

جمع وإعداد

د. عبد الله بن محمد آل يحيى الغامدي

إمام وخطيب جامع خديجة بغلف بجدة

دار القبس للنشر والتوزيع



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، **وبعد:**

فإنَّ ممَّا يشهد بالقيمة الحضارية، والثقافية، لأمة ما: ما تحققه من مبادئ إنسانية زاهية، تتجاوز حدودها، لتعم بإنسانيتها الآخرين، ولو خالفوها في الدين، والجنس، واللغة.

وقد اصطفى الله نبينا ﷺ للرسالة، وجعله رحمة إلى الناس أجمعين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكانت رسالة الإسلام أول رسالة عالمية، تجاوزت حدود الزمان، والمكان، واللغة، والجنس، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثتُ إلى الناس عامة**»(١).

فرسالته ﷺ هي الرسالة التي جعلها الله تعالى خاتمة الرسالات، والمهيمنة عليها، ودعا الناس إلى الإيمان بها؛ لأنها الحق الذي ارتضاه الله للبشرية ديناً ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولكن الله تبارك وتعالى شاء بمشيئته وحكمته أن يخلق الإنسان كائناً فريداً، متميزاً بالاختيار، فقدر سبحانه أن ينقسم الناس إلى مؤمنٍ مصدق، وكافرٍ جاحد ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن: ٢]،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التيمم، ١/ ٧٤، حديث رقم (٣٣٥).

ولو شاء الله لألزم الإنسانية دينه فطرةً وقهراً، فلا تملك في قبوله حولاً ولا طولاً، ولكنه سبحانه وتعالى لم يشأ ذلك؛ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

قال ابن كثير عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾؛ «أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم، ونحلهم، ومذاهبهم، وآرائهم»[(١)].

إذاً فاختلاف الناس في أديانهم قدر الله، وسُنَّته الماضية في خلقه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

ولنا أن نتساءل عن مصير أولئك الذين آثروا إرث الأجداد على الهدي المستبان، وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢]، كيف يتعامل الإسلام مع هؤلاء؟ وكيف يمكن للدعاة الوصول إليهم؟

ولا يخفى أن مجالات الدعوة إلى الإسلام قد كثرت، وحاجة الدعاة إلى الوسائل، والأساليب الجديدة المرتبطة بالمنهج النبوي سُنَّةً، وبالواقع حاجةً، وبالإبداع، والابتكار، والتجديد، بياناً؛ لهو من الأمور المهمة التي يجب على الدعاة التنبه له.

وما أحرانا اليوم ونحن نعرّف العالم بالإسلام، دين: السلام، والرحمة، والطمأنينة؛ أن نحرص على تبديد مخاوف الآخرين، الذين يعيشون داخل العالم الإسلامي، أو خارجه، بتصحيح الصورة الذهنية المغلوطة، والتي رسمها الإعلام الفاجر.

ومن المعلوم أن من جهل شيئاً عاداه! أو نفر منه أو خافه، وهذا الذي حصل لكثيرٍ من غير المسلمين، خصوصاً في المجتمعات غير الإسلامية، حين لم

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط١، ٢/ ٤٦٦.

يعرفوا الإسلام، أو أنه قد صُوِّر لهم الإسلام بطريقةٍ غير صحيحة، فهم واقعون بين الجهل بالإسلام، أو المعرفة والتصور الخاطئ له.

ولذلك كان لزاماً على المسلمين باختلاف تخصصاتهم، وميولهم، وجنسهم، وهويتهم؛ أن يشتغلوا بالتعريف بدينهم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

فالتعريف بالإسلام هو الخطوة الأولى، والأهم في دعوة الناس إلى الله، فلا يمكن أن تدعو إنساناً لشيءٍ يجهله، «والتعريف بالإسلام» يقوم على عرض الصورة الصحيحة للإسلام، بدون الدعوة الصريحة لاعتناقه، إذ أن من يقتنع بالإسلام بعد معرفته المعرفة الحقيقية؛ لا يحتاج أن يدعوه أحد لاعتناقه، وأما من لا يرغب الدخول في الإسلام بعد معرفته، فقد قامت عليه الحجّة.

وأهمية الحديث عن «التعريف بالإسلام» في هذا الوقت؛ خاصة في ظل الحملات المنظمة التي بدأت تشنها بعض الجمعيات، والمؤسسات، بل الدول، في تشويه صورة الإسلام، ورموزه، ومجتمعاته، وقيمه، وأخلاقه، وأنه أخطر قادم.

ومن هنا، وإسهاماً في تجديد الخطاب الدعوي لغير المسلمين، وحرصاً على الدلالة على الخير، كانت الحاجة إلى هذا البحث فتحاً لآفاقٍ جديدة، لتأصيل مفهوم التعريف بالإسلام، وتطبيقاته، وأساليبه، ووسائله، وموضوعاته، وصفات، ومهارات، القائمين به، للدعوة إلى الله في أوساط غير المسلمين.

وفي هذا البحث حرصت على تقديم ما يعين ويسهم في تجويد خطاب التعريف بالإسلام، وقد جعلته في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالي:

١ ـ **الفصل الأول:** التعريف بالإسلام.

٢ ـ **المبحث الأول:** مفهوم التعريف بالإسلام.

٣ ـ **المبحث الثاني:** مرادفات مصطلح التعريف بالإسلام في القرآن والسُّنَّة.

٤ ـ **المبحث الثالث:** العلاقة بين التعريف بالإسلام ومصطلحات الدعوة.

٥ ـ **المبحث الرابع:** شواهد التعريف بالإسلام في الكتاب والسُّنَّة.

٦ ـ **الفصل الثاني:** تاريخ التعريف بالإسلام وواقعه.

٧ ـ **المبحث الأول:** نشأة مصطلح التعريف بالإسلام وأسباب الظهور.

٨ ـ **المبحث الثاني:** أهمية التعريف بالإسلام.

٩ ـ **المبحث الثالث:** أهداف التعريف بالإسلام.

١٠ ـ **الفصل الثالث:** أساليب التعريف وصفات المعرف.

١١ ـ **المبحث الأول:** أساليب التعريف بالإسلام.

١٢ ـ **المبحث الثاني:** وسائل التعريف بالإسلام.

١٣ ـ **المبحث الثالث:** صفات المعرف.

١٤ ـ **المبحث الرابع:** مهارات المعرف.

١٥ ـ **الفصل الرابع:** منهجية طرح موضوعات التعريف بالإسلام.

١٦ ـ **المبحث الأول:** منهجية التعريف بحقائق الإسلام العظمى.

١٧ ـ **المبحث الثاني:** منهجية التعريف بمراتب الدين.

١٨ ـ **المبحث الثالث:** منهجية التعريف بالشريعة الإسلامية.

١٩ ـ **الفصل الخامس:** منهجية التعريف بالقضايا والشخصيات والمعالم.

٢٠ ـ **المبحث الأول:** منهجية التعريف بأبرز القضايا الشرعية وموقف الإسلام منها.

٢١ ـ **المبحث الثاني:** منهجية التعريف بالشخصيات الإسلامية.

٢٢ ـ **المبحث الثالث:** منهجية التعريف بالمعالم الإسلامية.

٢٣ ـ **الخاتمة**: النتائج والتوصيات.

٢٤ ـ الفهارس والمراجع والمصادر.

وأخيراً: أسأل الله تعالى بمنِّه وكرمه أن يكون هذا العمل لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً.



التمهيد

التعريف بالإسلام كتخصصٍ مستقل؛ يحتاج إلى دراسة منهجية، تأصيلية، شرعية؛ حيث أن الدراسات السابقة التي تدور في فلك التعريف بالإسلام تأخذ اتجاهاتٍ ثلاثة:

ما المراد بالدليل أو الاستدلال؟

١ ـ **الاتجاه الأول:** من يعرض عقائد، وأحكام، وتشريعات الإسلام، عرضاً مجرداً.

٢ ـ **الاتجاه الثاني:** من يدعو إلى اعتناق الإسلام دعوة مباشرة، من خلال عرضه لأحكامه، وتشريعاته.

٣ ـ **الاتجاه الثالث:** من تحدث عن الدعوة إلى الله بشكلٍ عام، ولم يتطرق بشكلٍ تفصيلي لأساليب، ومهارات دعوة غير المسلمين، أو يستعرضها كتخصصٍ مستقل؛ ممَّا يتطلب معرفة المنهجية الصحيحة، التي تخول المعرِّف بالإسلام لتقديم رسالته في أجمل صورة ممكنة.

وقبل البدء في طرح محتوى الكتاب أود التعريف بمفردات هامة نحتاج إليها في ثنايا الموضوع:

أولاً: المنهجية:

المنهج في اللُّغة: مادتها (نَهَجَ)، يُقال: نَهَجَ يَنْهَجُ نَهْجَاً. والمنْهَجُ هو الطريق البيِّن الواضح، ويُطلق على الطريق المستقيم. والمنْهَجُ، والنَّهج، والمِنْهَاجُ بمعنى واحد(١).

وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٢/٣٨٣، الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٣، ١/٢٠٩.

والمنهاج: الطريق الواضح، والنهج: الطريق المستقيم[١].

والمنهاج أيضاً جمْع منهج، وهو لغةً: الطريق الواضح، كما في «مختار الصحاح»، ومنه نهج الطريق، بمعنى أبانَه، وأَوْضَحه، وسلكه[٢].

وفي الاصطلاح: السَّبيل، والسُّنَّة[٣]، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٤]، وهو مرويٌّ كذلك عن مجاهد، وعكرمة، والحسن البصري وغيرهم ـ رحمهم الله ـ[٥].

واستناداً على ما سَبَق من معانٍ لغويةٍ لمعنى «نهج» في المعاجم: يَستخدم العلماء المعاصرون مصطلحَ المنهج، حيث عرَّفه بعضهم بأنه: «الطريق المؤدِّي إلى الكَشْف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفةٍ من القواعد العامة، التي تُهَيْمِن على سَيْر العقل، وتُحدِّد عملياتِه، حتى يصلَ إلى نتيجةٍ معلومة»[٦].

وعرَّفه آخرون بأنَّه: «الطرق الواضحة التي يسلكها الدارسون في دراستهم»[٧].

ومن التعريفات أيضاً: أنَّه «التنظيمُ الصحيح لسلسلةٍ من الأفكار العديدة، إمَّا من أجْل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو مِن أجْل البرهنة عليها حين نكون بها عارفين»[٨].

ويُلاحظ على التعريفات السابقة: أنَّها تكاد تكون متقاربةً، إن لم تكن متطابقةً، إلَّا ما يمكن الإشارة إليه من أنَّ بعضها يجعل البحث العلمي هدفه ومبتغاه، والبعض الآخر فيه عمومية تجعل التعريفَ يشتمل على أكثرَ من مجال

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/ ٩٥٧.
(٢) «لسان العرب» ٢/ ٣٨٣، الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص٣٢٠.
(٣) الطبري، «جامع البيان في تأويل القرآن»، ط١، ١٠/ ٣٨٧.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، د. ط، ٣/ ١٢٠، ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١/ ٤٨.
(٦) بدوي، «مناهج البحث العلمي»، ط٣، ص٤ ـ ٥.
(٧) يعقوب، «منهج البحث»، د. ط، ص١٠.
(٨) بدوي، مرجع سابق، ص٤.

في البحْث؛ كالبحث الأدبي، واللغوي، والتاريخي، والبحث في الإنسانيات، بما تشتمل عليه مِن فروع.

ومِنَ المفيد أن نذكر: أنَّ التعريف الأخير يشير إلى أنَّ هناك اتجاهين للمناهج من حيث الهدف:

أحدهما: يكشف عن الحقيقة، ويُسمَّى منهج الاختراع.

والثاني: يبرهن أو يُعدِّل من مفاهيم سائدة، ويُسمَّى منهج التصنيف(١).

تعريف المنهجية:

يعرف نصر محمد عارف المنهجية بأنها: «هي العلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج، واختيارها، وتشغيلها، وتعديلها، ونقضها، وإعادة بنائها، يبحث في كلياتها، ومسلماتها، وأطرها العامة، فهو الواصلة ما بين النموذج المعرفي، والمناهج التي تمثل الوسائل، والطرق، التي تستخدم للوصول إلى الحقيقة»(٢). ويعرفها آخر: «تنظيم أدوات التفكير، وجمع الحقائق، ويبحث فيها كليات المناهج بأطرها العامة، فقد تكون هناك عدة مناهج أخرى هامة تساهم في تطوير المنهجية الحديثة»(٣).

ويعرِّفها محمد أبو يحيى، وزملاؤه، بأنها: «المحاولات العلمية، والقواعد، والمحاور المنظمة، التي تقوم عليها دراسة مسائل، وحقائق موضوعات الثقافة الإسلامية، حتى تصبح علماً مستقلاً له كيانه القائم بذاته، فالمنهجية هي التي توجه مسيرة هذا العلم للوصول إلى بنائه، وتأسيسه، وكينونته، وجوهر العلم يكمن في دقة المنهج، وأحكامه، وبغير المنهج فليس ثمة طريق يوصل إلى النتائج، والأهداف، مهما بُذل من جهد»(٤).

ويمكن أن نرتضي التعريف الذي يرى: «أن المنهجية الإسلامية هي

(١) عمر، «البحث العلمي مناهجه وتقنياته»، ط١، ص٤٨.
(٢) مجلة قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية، مقدمة العدد [١٢]، ص٨.
(٣) أسد، «الأداء المنهجي في تفسير آيات الأحكام»، ط١، ص٧.
(٤) آل عايش، «التوجيه الإسلامي لمنهجية البحث في العلوم الإنسانية في الفكر الإسلامي»، tarbyatona.net.

مجموعة القواعد المقررة للتنظيم، والوسائل، والبحوث، التي يُتوصل بها إلى معرفة الأحكام الشرعية العملية، التي تتعلق بسلوك الإنسان، وأفعاله، في مجتمعه». ويمكن أن نصف هذه المنهجية بأنها: «القواعد الأساسية المستمدة من المثالية الإسلامية، أو ما نسميه (الشرعية) التي تحدّد موضوع كل علمٍ من العلوم السلوكية، ونمط النظام الذي يحكمه، وتبين الأحكام الجزئية اللازم توافرها لبناء هياكل هذا النظام»[(١)].

إن ما ندركه من الواقع ليس إلا خلاصة تفاعل عناصر ثلاثة ذكرها نصر محمد عارف: «وهي المسلمات الكامنة في أذهاننا، أو هي المنهجية التي نعتمد عليها، والأدوات أو المناهج المستخدمة في الدراسة والحقائق الواقعية...»[(٢)]، ومن ثم فالبحث القائم على منهجيةٍ سليمةٍ متسقة، لا يعني أنه ينقل الحقيقة كما هي بصورةٍ كاملة، بل ينقل أقرب صورة منها... وإنما يقول فيه قولاً قد يختلف عليه ومعه آخرون.

وعليه نخلص إلى القول: بأن المنهجية في التعريف بالإسلام، إنَّما نريد بها مادة التعريف بالإسلام، والطُّرق والسُّبُل المسلوكة في تبليغها للناس كافة، وقد جاء في الحديث: «تكون النُّبوة فيكم ما شاء الله أنْ تكون، ثم تكون خلافةً على منهاج النُّبوَّة»[(٣)].

الفرق بين المنهج والمنهجية:

يقول إميل يعقوب: «ونميل إلى التمييز بين المنهج والمنهجية» استناداً إلى:

١ ـ أنَّ «المناهج» وصْف لأعمال العلماء المتقدِّمين، وطرائق بحوثهم، وأساليبهم، ومصطلحاتهم في العلوم، والبحْث العلمي، سابقة للمناهج، وأما

(١) آل عايش، «التوجيه الإسلامي لمنهجية البحث في العلوم الإنسانية في الفكر الإسلامي»، tarbyatona.net.

(٢) عارف، «إبستمولوجيا السياسة المقارنة: النموذج المعرفي (النظرية، المنهج)»، ط١، ص٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»، مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ، ٣٠/ ٣٥٥، حديث رقم (١٨٤٠٦).

«المنهجيَّة» فمجموعةُ معايير، وتقنيات، ووسائل، يجب اتِّباعها قبلَ البحث، وفي أثنائه.

٢ ـ أنَّ المنهجية؛ كالمنهج، وصفيَّة؛ لأنَّها تبيِّن كيف يقوم الباحثون بأبحاثهم، لكنَّها تختلف عنه في أنها معيارية في الوقت نفسه؛ لأنَّها تقدِّم للباحث مجموعةَ الوسائل والتقنيات الواجب اتباعُها.

٣ ـ أنَّ مناهِجَ الدِّراسة تختلف من علم إلى آخَرَ، فللأدب مناهجه، وكذلك للغة، وللتاريخ، والبيولوجيا، والرِّياضيات، وأما المنهجية فعموماً واحدة.

٤ ـ أنَّ «المناهج» تُطرْح عادةً للنقد والتقويم، فيفصِّل ما لها وما عليها، وأيها أوْلى بالاتِّباع؟ وما المنهج المناسب من الدِّراسات؟ أما «المنهجية»: فمعاييرٌ، وتقنياتٌ، يجب التزامها لتوفير الجهد، وعدم إضاعة الوقت، وتسديد الخُطى على الطريق العلمي الصحيح.

٥ ـ أنَّ المناهج: مرتبطة بالمنطق، وطرق الاستدلال والاستنتاج، ولذلك فهي تتطوَّر وتتعدَّل من حينٍ لآخر، وأما المنهجية: فأضحتْ ـ عموماً ـ جملة قواعد ثابتة(١).

ورغم التنوع الكبير في الفرق بين المنهج، والمنهجية، إلا أن الباحث أنجرس موريس لخَّص كل ذلك بالقول: بأن المنهج هو «عبارة عن جواب لسؤال» كيف نصل إلى الأهداف، في حين أن التقنيات المساعدة تشير على الوسيلة التي يتم استخدامها للوصول إلى هذه الأهداف(٢).

أهمية المنهجية في التعريف بالإسلام:

لقد تقدم العلم ووسائله، وأساليبه، في هذا العصر تقدماً سريعاً جدّاً، وخطا خطوات جبارة لا يكاد يصدقها أحد، حتى من شاهدها وعاينها! ممَّا يوجب إرساء لمنهجية البحث العلمي في الدراسات الإنسانية، والاجتماعية، والعلمية التجريبية، وغيرها، وها نحن نرى ثمرة هذه المنهجية في كل شيءٍ حولنا من ابتكارات الإنسان!

---

(١) يعقوب، «كيف تكتب بحثاً»، ط١، ص١٠ ـ ١١.

(٢) العسكري، «منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية»، ط٢، ص١١.

ومن هنا تأتي أهمية بناء المنهجية العلمية في مجال التعريف بالإسلام على وجه الخصوص؛ لخلو المكتبة الإسلامية من رسالةٍ علميةٍ تسدّ هذا الفراغ المنهجي في مجال التعريف بالإسلام؛ ولذا كان من الواجب على المهتمين بمجال دعوة غير المسلمين؛ سد هذه الثغرة المهمة، لرسم منهجية معتبرة لتأهيل الدعاة المعرِّفين بالإسلام، تختصر لهم الوقت، والجهد، وتحقق لهم الثمار المرجوة من دعوتهم بأفضل الطرق الموصلة إلى الهدف المرجو.

وإننا لن نصل إلى المنهجية إلا إذا تخلينا عن العشوائية والفوضى، ولن نتخلى عن العشوائية والفوضى؛ إلا بصدق التوجه نحو المنهجية والانضباط بها في بحوثنا، ودراساتنا، وسائر أعمالنا.

إذ أن الاهتمام بالمنهجية يعدّ تأصيلاً للفكر المنهجي، ولا يتحقق إلا بالتحصين الثقافي، والتميز الحضاري للأمة الإسلامية، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالعودة إلى الجذور والينابيع الأصيلة للفكر الإسلامي، والتي أصلها الأوحد هو الوحي، من أجل ضبط حركة الفكر في انطلاقته، وأهدافه، ووسائله، وحمايته من الانحراف والانتكاس.

إن الإطار المرجعي في مجال التعريف بالإسلام؛ هو ذلك الجزء الحي الواعي من النموذج المعرفي الذي يكون حافزاً في ذهن الباحث، فيشكل رؤيته، ويحدد مسلّماته، ومقولاته الكبرى.

ومن المعلوم أن صياغة المفاهيم صياغة إسلامية، وتحديد المصطلحات لكل مجالٍ من مجالات المعرفة، بما يتفق والتصور الإسلامي؛ يساعد العاملين في تكوين تصور موحد، يمنع وقوع الشقاق والجدل العقيم بينهم، ويوفر لهم الجهد، والوقت، اللذان سيستثمران في العمل، وكما قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ في كثرة الخلاف، وتعدد المصطلحات، بأنها مضرة بالعالِم والمتعلِّم:

«اعلم أنه ممَّا أضرّ بالناس في تحصيل العلم، والوقوف على غاياته؛ كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك... ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد

لها فيقع القصور»[(١)].

وخلاصة القول: إن المنهجية فلسفة وإجراءات: الفلسفة تكمن في النموذج المعرفي، والإجراءات هي المناهج والأدوات، ويترتب على ذلك:

أن المناهج، تستبطن فلسفتها، وأن الإجراءات المنهجية، والأدوات المساعدة، تحمل في طياتها وثناياها فلسفة المنهجية، التي تنبعث منها وتُبنى عليها.

إن بناء فلسفة المنهجية خطوة أولى ضرورية سابقة على بناء أدواتها ومناهجها، وأما محاولات البدء من الفرع قبل الأصل؛ فلن تؤسس منهجية، وهذا ما تعانيه الجهود المبذولة في خدمة التعريف بالإسلام في غالبها.

وإنْ كنا نتفق على أهميَّة التعريف بدين الله ووجوبه انطلاقاً من النصوص العديدة في القرآن والسُّنَّة مثل قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله سبحانه: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾**﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله ﷺ: «**لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه**» فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**»، فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: «**فأرسلوا إليه فأتوني به**»، فلما جاء بصق في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟، فقال: «**انفذ على رِسْلِكَ، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[(٢)]. وقوله ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً،**

---

(١) ابن خلدون، «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»، ط٢، ١/ ٧٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ٤/ ٦٠، حديث رقم (٣٠٠٩).

وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(١)].

إلَّا أننا نجد أنَّ الاختلاف واردٌ في المنهج المسلوك في هذه الدَّعوة، ولا إشكال في ذلك ما دام الاتفاق حاصلاً حول الأسس، والمبادئ، والمضمون.

ومضمون التعريف بالإسلام وجوهره لا يتغيَّر، وحقائقه ومبادئه لا تتبدَّل، بل تبقى ثابتةً على اختلاف الزمان، والمكان، والظروف، والأشخاص؛ لأننا لسنا نحن الذين أفردناها أو اخترناها، بل إنَّ الله ربَّ العالمين ـ سبحانه ـ هو الذي تكفَّل بإفرادها، واختيارها، وبيانها لنا، وطالبنا أن نلتزم بها، وأن لا نخرج عنها، والداعية المعرِّف بالإسلام مُطالبٌ أنْ يبلِّغها كلها للنَّاس، وإن لم يفعل فما قام بالمطلوب، ولا بلَّغ الرسالة، ويَحْرُمُ عليه أن يخفي منها واحدة، أو يؤجِّل أو يعطِّل واحدة، أو يحرِّف في معنى واحدة، أو يستحي من الجهر بواحدة؛ لأن الدَّاعي إلى الله مطالبٌ بالصدع بالحق، والجهر به، والقيام بالواجب.

وكل من اعتدى عليها لينال رضا النَّاس والقبول لديهم، فقد خان الأمانة، ونقض العهد، وباء بسَخَطٍ من الله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

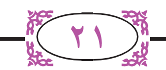
وهنا يلزم بيان أن دور المعرِّف بالإسلام: معرفة الحق، والالتزام بما ورد في الكتاب والسُّنَّة، وعليه أن يتدبَّرهما، ويستخرج منهما بيان هذه الحقائق، وتحديدها، وتفصيلها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥][(٢)].

إنَّ المضمون توقيفي لا تصرُّف فيه، وأمَّا المنهج؛ فإنَّه اجتهادي، ولذا تتعدد مناهج النَّاس في تبليغ دين الله تعالى، وكلهم يسير على أسسٍ ومبادئ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٤/ ١٧٠، حديث رقم (٣٤٦١).

(٢) الخالدي، «الدَّعوة إلى الله بين الأسلوب والمضمون»، مقال منشور في مجلة البيان، العدد [٤]، جمادى الآخرة، فبراير ١٩٨٧م، ص٥٣. بتصرف يسير.



راسخة، تحدد ملامح تلك المناهج، حتى تصل إلى الهدف جميعاً فلا تزيغ أو تنحرف.

وإذا كانت المناهج اجتهادية؛ فإنَّ ذلك يقتضي أنْ تكون عُرضةً للخطأ، ولذا فإن التقويم مطلوب، والمناصحة مقبولة، ويمكن أنْ نقول: إنَّ نفس الحديث عن المنهج يُعدُّ مظهراً من مظاهر النُّضج في التفكير، وتجاوز الوقوف عند المسائل الفرعية وتكرارها والجدل فيها على حساب الأصول[(١)].

ومن هنا تأتي أهمية إبداء الملاحظات؛ لأنها لا تقدح في أصل المنهج بالضرورة، فقد تكون المناهج سليمة وتأتي الأخطاء في تطبيقها أو تنزيلها على الواقع، ولذا فإنَّه لا بدَّ من اتِّساع الفهم، وحسن القبول والاستفادة من المفيد الموضوعي منها، ومناقشة ما يحتاج إلى المناقشة، بما يُحقِّق الفائدة لمن أبدى الملاحظة لغيره.

ثانياً: التعريف بالإسلام:

هو العرض، والبيان، لعقائد، وعبادات، وتشريعات الإسلام لغير المسلمين، عن طريق بناء تصور صحيح، أو تصحيح تصور خاطئ، أو إزالة شبهة[(٢)].

ثالثاً: المجتمعات غير الإسلامية:

تقسيم المجتمعات البشرية على أساس العقيدة، ليس بالأمر النظري الذي لا أثر له في مسيرة الحياة بالنسبة لنا، أو لا تترتب عليه أحكام، بل إن بحثنا هذا بأكمله ما هو إلا نتاج هذا التقسيم، لما ينشأ عنه من آثار بالغة الأهمية، إذ أن الشرع الحنيف شرَّع الأحكام التي تبين للمسلم كيفية التعامل مع غير المسلمين،

---

(١) الدويش، «أخطاء في فهم المنهج»، مقال منشور في مجلة البيان، العدد [١٠٠]، ذو الحجة، مايو ١٩٩٦م، ص٢٦. بتصرف يسير.

(٢) مصطفى، «تأهيل المبتعثين للدراسة في البلاد غير الإسلامية للتعريف بالإسلام»، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية. وسيأتي له بإذن الله مزيد بيان في مبحث مفهوم التعريف بالإسلام.

وما يجب أن يكون عليه موقفه منهم في شؤون الحياة المتنوعة، وطبيعة الصلة بهم، وموقعه بالنسبة لحكوماتهم التي يقيم تحت ظل قوانينها.

ومجتمعات غير المسلمين تتباين بحسب أصول عقائدها، فهي ليست سواء، وليست على درجةٍ واحدة، في نظر الشرع.

ولذا؛ فإن البشر في نظر الشريعة الإسلامية، ينقسمون بحسب الديانة، إلى طائفتين كبيرتين[(١)]:

١ ـ طائفة المسلمين.

٢ ـ طائفة غير المسلمين، وهم أصنافٌ ومِللٌ شتَّى، يجمعهم وصف واحد وهو الكفر بالله، وإن كان لكل صنفٍ منهم اسم خاص يميزه عن الآخر.

والكافر: هو من لم يؤمن بوحدانية الله ﷻ، أو بنبوَّة محمد ﷺ، أو بشريعته، أو بثلاثتها.

وبعبارةٍ موجزة: هو من لم يعتنق دين الله الحق (الإسلام).

وهم أصناف:

أولاً: أهل الكتاب:

اختلف الفقهاء في تحديد الكتابي، وفيمن ينطبق عليه هذا الوصف إلى فريقين:

الفريق الأول: الحنفية:

فقد ذهبوا في تعريفه إلى أنه: (هو كل من اعتقد ديناً سماوياً، وله كتاب منزل؛ كالتوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم وشيث، وزبور داود)[(٢)]، ونصَّ على ذلك الشافعي[(٣)].

فأهل الكتاب عند هؤلاء ليسوا هم اليهود والنصارى كما هو مشهور فحسب، بل هم من لهم كتاب ذو أصلٍ سماوي.

---

(١) عبد القادر، «من فقه الأقليات المسلمة»، ط١، ص٤٣.

(٢) البارعي، «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق»، ط١، ٢/ ١١٠، لجنة علماء، الفتاوى الهندية، ط٢، ١/ ٢٨١.

(٣) الشافعي، «الأم»، د. ط، ٤/ ٢٨١.

ويظهر أن الحنفية ومن وافقهم، نظروا إلى طبيعة اللفظ اللغوية (أهل الكتاب)؛ أي: أصحاب كتاب سماوي، وبه قال أبو يعلى من الحنابلة(١).

والفريق الثاني، وهم جمهور الأمة من العلماء والفقهاء:

فقد قالوا: (إن أهل الكتاب هم اليهود، والنصارى، فقط)، ولا يدخل غيرهم في هذا المُسمَّى، لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأنعام: ١٥٦].

ووجه الدلالة: أن أهل الكتاب لو كانوا أكثر من طائفتين، لما خصهم بهما، (أي: بالطائفتين).

وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: إن المقصود بالطائفتين هم: اليهود، والنصارى، وذهب ابن عطية إلى إضافة القول: (بإجماع من أهل التأويل).

وقال أصحاب هذا القول: وأما أصحاب الصحف؛ فلا يدخلون تحت مسمى (أهل الكتاب)؛ لأنها كانت مواعظ، وأمثالاً، لا أحكام فيها، ولا شرائع، فلا يثبت لها حكم الكتب المشتملة على الأحكام.

ثانياً: المجوس:

المجوس قوم يعظِّمون الأنوار، والنيران، والماء، والأرض، ويقرُّون بنبوة زرادُشت، وقيل: كان له كتاب، ولهم شرائع يقرون بها، وهم فِرَق شتَّى(٢).

ثالثاً: الدهريون:

الدهريون ينكرون الخالق، ويقولون: لا إلٰه ولا صانع للعالَم، وأن هذه الأشياء وجدت بلا خالق.. فهم قد عطَّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

---

(١) ابن قدامة المقدسي، «المغني»، د. ط، ٩/٢١٢، أبو الفرج المقدسي، «الشرح الكبير على متن المقنع»، د. ط، ١٠/٥٨٥، وأبو يعلى هو: محمد بن الحسين بن الفراء، إمام الحنابلة، عالم عصره في الأصول والفروع، من أهل بغداد، ولد سنة٣٨٠هـ وتوفي سنة ٤٥٨هـ، له تصانيف كثيرة. ابن أبي يعلى، «طبقات الحنابلة»، د. ط، ٢/١٩٣، الزركلي، «الأعلام»، د. ط، ٦/٩٩.

(٢) ابن القيم، «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، د. ط، ٢/٢٤٧.

وقال تعالى عنهم أيضاً: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩].

والدهر هو: مر الزمان الطويل، وطول العمر، واختلاف الليل والنهار.

وقالت فرقة منهم: إن الأشياء ليس لها أول البتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، وإن العالَمَ دائمٌ لم يزل ولا يزال[(١)].

وهؤلاء قديماً، ويتفق معهم حديثاً ـ في أصل نظرتهم للكون والحياة ـ الشيوعيون.

والشيوعية: مذهب فكري يقوم على الإلحاد ـ أي إنكار وجود الله سبحانه، والغيبيات كلها ـ وأن المادة هي أساس كل شيء.

رابعاً: المشركون:

سمي هؤلاء بالمشركين نسبة إلى الشرك، والشرك: هو أن يتخذ المرء من دون الله ندّاً (أي: مثلاً ونظيراً) يحبه كحبه، ويعظمه كتعظيمه، ويعبده كعبادته، وهذا هو حال مشركي العالم، إذ يسوون آلهتهم برب العالمين[(٢)]، وقد سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك**»[(٣)].

فهؤلاء المشركون يقرون بربوبية الله تعالى في الجملة، وأنه الخالق المالك، ولكنهم لا يفردونه ـ سبحانه ـ وحده بالعبادة والتوجه، بل يجعلون معه غيره ـ ليقربهم إلى الله ـ ممَّا يستحسنونه من الأصنام، والأوثان، والشمس، والملائكة، والنيران، والأَنَاسِيّ، وغير ذلك.

ومن ملل أهل الشرك ذوات النفوذ والانتشار والأغلبية في ديارها، نذكر:

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، ٢/٢٥٦.

(٢) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ١/٣٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، ٩/١٥٢، حديث رقم (٧٥٢٠).

الهندوسية(١)، والكونفوشيوسية(٢)، والبوذية(٣)، والسيخية(٤).



(١) ويطلق عليها أيضاً البرهمية، ديانة وثنية، يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد، والعادات، والتقاليد، التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إلى وقتنا الحاضر. وهي ديانة تضم القيم الروحية، والخلقية، إلى جانب المبادىء القانونية، والتنظيمية، متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إلٰه، ولكل عمل أو ظاهرة إلٰه. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط٤، ٢/ ٧٢٤.

(٢) وهي ديانة أهل الصين، وترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، داعياً إلى إحياء الطقوس، والعادات، والتقاليد الدينية، التي ورثها الصينيون عن أجدادهم مضيفاً إليها جانباً من فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم. وهي تقوم على عبادة إلٰه السماء أو الإله الأعظم، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ٢/٧٤٨.

(٣) هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت في البداية تناهض الهندوسية، وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف، والخشونة، ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة، والتسامح، وفعل الخير، وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألَّهوه، وهي تعتبر نظاماً أخلاقياً، ومذهباً فكرياً، مبنياً على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحياً، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني، وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغتها أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة؛ هي: تعاليم بوذا، مختلطة بآراء فلسفية، وقياسات عقلية عن الكون، والحياة. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ٢/٧٥٨.

(٤) جماعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، داعين إلى دين جديد، زعموا أن فيه شيئاً من الديانتين الإسلامية، والهندوسية، تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون»، وقد عادوا المسلمين خلال تاريخهم، وبشكل عنيف، كما عادوا الهندوس بهدف الحصول على وطن خاص بهم، وذلك مع الاحتفاظ بالولاء الشديد للبريطانيين خلال فترة استعمار الهند، وكلمة سيخ كلمة سنسكريتية؛ تعني: المريد، أو التابع. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق، ٢/ ٧٦٤.

الفصل الأول

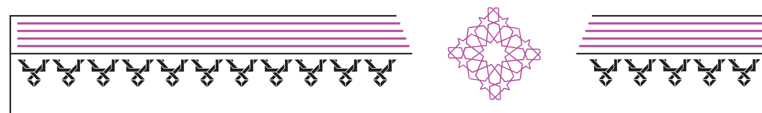
التعريف بالإسلام

المبحث الأول: مفهوم التعريف بالإسلام.

المبحث الثاني: مرادفات مصطلح التعريف بالإسلام في القرآن والسُّنَّة.

المبحث الثالث: العلاقة بين التعريف بالإسلام ومصطلحات الدّعوة.

المبحث الرابع: شواهد التعريف بالإسلام في الكتاب والسُّنَّة.



المبحث الأول

مفهوم التعريف بالإسلام

أ ـ التعريف لغةً:

قال الجوهري: «والتعريف: الإعلام، والتعريف: أيضاً إنشاد الضالة، والتعريف: التطييب من العرف، واعترفت القوم: إذا سألتهم عن خبر لتعرفه»[(١)]، وقال الرازي: «والاعْتِرَافُ بالذنب: الإقرار به»[(٢)].

وفي «القاموس المحيط»: «عرفه يعرفه معرفة وعرفاناً وعِرفة بالكسر، وعِرِفّاناً بكسرتين مشددة الفاء: علمه»[(٣)].

وقال الجوهري: «والعريف: النقيب، وهو دون الرئيس، والجمع: عرفاء، والمعارف: المعالم، وتطلق على الوجه، يقال: امرأة حسنة المعارف؛ أي: الوجه، وما يظهر منها»[(٤)].

وقال الرّاغِبُ: «المَعْرِفةُ والعِرْفان: إِدْراكُ الشيءِ بتَفَكُّرٍ وتَدَبُّرٍ لأَثَرِهِ»[(٥)]، وقال ابن منظور: «والعارِفُ بمعنَى عالم، وعرَّفه الأَمرَ أَعلمه إياه»[(٦)].

ومن هنا، فالمعرفة: تدل على العلم القاصر الظاهر، المُتَوَصَّلِ إليه بتَفَكُّر، بهدف جلب السكون إلى الشيء، والطمأنينة إليه.

---

(١) الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ط٤، ٤/١٤٠٢، الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص١٠٨٢.

(٢) الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص٢٠٦.

(٣) «القاموس المحيط»، ص١٠٨٠.

(٤) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ص٨٦ ـ ٨٩، الطالقاني، «المحيط في اللغة»، د. ط، ٢/٢٢ ـ ٢٤.

(٥) الزبيدي، «تاج العروس من جواهر القاموس»، د. ط، ٢٤/١٣٣ ـ ١٣٦.

(٦) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٩/٢٣٦.

قال سيبويه: «عَرَّفْتُه زيداً، فذهَب إلى تعدية عرّفت بالتثقيل إلى مفعولين، يعني: أَنك تقول عرَفت زيداً، فيتعدَّى إلى واحد، ثم تثقل العين فيتعدَّى إلى مفعولين، قال: وأَما عرَّفته بزيد فإنما تريد عرَّفته بهذه العلامة وأَوضَحته بها، فهو سِوى المعنى الأَوَّل، وإنما عرَّفته بزيد كقولك سمَّيته بزيد[١].

«والتعريفة: قائمة تحدد أثمان السلع وأجور العمل أو رسوم النقل»[٢].

ويطلق التعريف على الوصف، قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [محمد: ٦]؛ أي: وصفها لهم في الدنيا، وقيل على المعرفة؛ أي: جعلهم يَعْرِفُوْنَ فيها منازلهم إذا دخلوها، كما كانوا يَعْرِفُوْنَ منازلهم في الدنيا[٣]، وقيل: على التحديد: أي: حَدَّها لهم[٤]، ومن ذلك إطلاق العلماء الحد على التعريف، قال الشيخ أحمد بن حميد: «ويقصدون بالتعريف بالحد؛ التعريف بحقيقة الشيء»[٥].

ويقول الشيخ مصطفى السلماني: «الحد، والتعريف، والرسم، من العبارات التي يستعملها العلماء في مقام تعريف الشيء، وبما يتميز به عن غيره، فهي مترادفات»[٦].

وممَّا سبق يتبين أن التعريف في اللغة يطلق ويراد به: التعَلِيمُ، والإِفْهامُ، والوصفُ، والإخبارُ، والتحديدُ، والاطّلاعُ، والتمَييزُ، والتَّبيينُ، والتبصيرُ.

ب ـ التعريف اصطلاحاً:

عرَّف العلماء التعريف اصطلاحاً بعدة تعريفات، **منها**:

١ ـ عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر[٧].

٢ ـ تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة[٨].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ٩/٢٣٦.
(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/٥٩٥.
(٣) الصغاني، «العباب الزاخر»، د. ط، ١/٤٧٥.
(٤) الطالقاني، «المحيط في اللغة»، د. ط، ٢/٢٢ ـ ٢٤.
(٥) ابن حميد، «الشرح على شرح جلال الدين المحلي للورقات»، د. ط، ص٣٨.
(٦) السليماني، «الجواهر السلمانية على المنظومة البيقونية»، د. ط، ص٢١.
(٧) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص٨٥.
(٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مرجع سابق، د. ط، ٢/٥٩٥.

٣ ـ هو الوصف المحيط بموصوفه، الممَيِّز له عن غيره.

بمعنى: أنه لا بد أن يكون جامعاً مانعاً؛ أي: أنه لا يُخْرِج شيئاً من المحدود، ولا يُدخل شيئاً من غيره في الحد.

ج ـ مفهوم التعريف بالإسلام:

أولاً: هو العرض، والبيان، لعقائد، وعبادات، وتشريعات الإسلام، لغير المسلمين، عن طريق بناء تصور صحيح، أو تصحيح تصور خاطئ، أو إزالة شبهة[١].

ثانياً: شرح المفهوم:

(العرض): قال المناوي: العرض هو: «إظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله»[٢]. فالتعريف بالإسلام هو إظهار الإسلام للناس ليقفوا على حاله.

(والبيان): قال المناوي: «البيان هو: إظهار المعنى للنفس، حتى يتبين من غيره، وينفصل عمَّا يلتبس به، ومنه البيِّنة، وهي الحجة الواضحة»[٣].

(العقائد، والعبادات، وتشريعات الإسلام): هذه الثلاثة أمور هي الأسس التي يقوم عليها أي دين، فكل دين له عقيدته التي يؤمن بها أصحابه، وله عبادات وأعمال معينة، يتقربون بها لمعبودهم، وتشريعات تنظم لهم أمورهم وحياتهم.

وهذه الأمور الثلاثة تبنى على بعضها وتتكامل، فبسلامة العقيدة؛ تصح العبادة، وتكمل الشريعة.

(وغير المسلمين): وهم المستهدفون بعملية التعريف بالإسلام ابتداءً.

(عن طريق): أي وهذا العرض، والبيان، له وسائله الرئيسة، وهي:

(بناء تصور صحيح): لأن كثيراً من غير المسلمين لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه فقط، وبعضهم لم يعرف حتى اسم الإسلام.

---

(١) مصطفى، «تأهيل المبتعثين للدراسة في البلاد غير الإسلامية للتعريف بالإسلام»، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية.

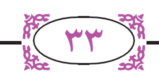
(٢) المناوي، «التوقيف على مهمات التعاريف»، ط١، ص١٤٩.

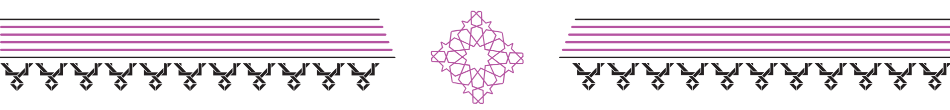
(٣) المرجع السابق.

(أو تصحيح تصور خاطئ): لأن كثيراً من الذين يعادون الإسلام، أو يقفون موقف المحايد بين الإسلام وغيره؛ لديهم تصورات خاطئة عن الإسلام.

(أو إزالة شبهة): لأعداء الإسلام في القديم والحديث شبهات يبثونها حول الإسلام، تمنع الناس من قبول هذا الدين بأي صورة من صوره، ولذلك كانت من الوسائل المهمة في التعريف بالإسلام، إزالة تلك الشبه، وإن لم تكن هي أساس التعريف بالإسلام، وإنما توجد بحسب وجودها أو عدمها.







المبحث الثاني

مرادفات مصطلح التعريف بالإسلام في القرآن والسُّنَّة

لم يرد مصطلح التعريف بالإسلام بهذا اللفظ في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ، بل ورد مفهومه بألفاظ كثيرة في القرآن والسُّنَّة.

وقبل الحديث عن مرادفات هذا المصطلح في الكتاب والسُّنَّة؛ لا بدّ من النظر إلى مرادفات الدعوة إلى الله في القرآن والسُّنَّة، ومن خلالها ستظهر لنا المرادفات المناسبة للتعريف بالإسلام، ومن مرادفات الدعوة إلى الله تعالى:

١ ـ التبليغ والبلاغ: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]. وقوله ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية...**»[(١)].

٢ ـ التلاوة: قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العكنبوت: ٤٥].

٣ ـ الإسماع: قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

٤ ـ التعليم والإعلام: قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]. وقول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله، فان هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل**

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٤/ ١٧٠، حديث رقم (٣٤٦١).

يوم وليلة...»(١).

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٦ ـ الدعاية: كما في كتابه ﷺ إلى هرقل: «سلام على من اتبع الهدى، **أما بعد:** فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم...»(٢). قال الحافظ في «الفتح»: «أي: بالكلمة الداعية إلى الإسلام، وهي: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله»(٣).

٧ ـ الإيصال: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١].

٨ ـ التذكير: قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢٩].

٩ ـ العرض: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: **«هل من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي...»**(٤).

١٠ ـ الأداء: روي عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف، فقال: **«نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها...»**(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ١/٥٠، حديث رقم (٢٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/٨، حديث رقم (٧)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ٣/١٣٩٣، حديث رقم (٧٤).

(٣) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١/٣٣.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ٢٣/٣٧٠، حديث رقم (١٥١٩٢)، قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين غير عثمان بن المغيرة، فمن رجال البخاري.

(٥) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، كتاب العلم، باب وأما حديث كعب بن مالك، ١/١٦٢، =

ومن خلال هذا العرض يتبين أن أبرز المرادفات لمصطلح التعريف بالإسلام في القرآن؛ سبعة مرادفات وهي: [البيان، والبلاغ، والتلاوة، والإسماع، والإيصال، والقول، والعرض].

وتفصيل ذلك كالتالي:

١ ـ البيان والتبيين:

البيان: قيل هو: «الحجة، والمنطق الفصيح، والكلام يكشف عن حقيقة حال، أو يحمل في طياته بلاغاً، وعلم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة»[(١)].

وقيل: «البيان: إظهار المقصود بأبْلَغ لفْظ، وأصله الكَشْف والظُّهور، ومنه قول النبي ﷺ: «**إنَّ من البيان لَسِحْراً**»[(٢)]، قيل: معناه أنَّ الرجُل يكون عليه الحقُّ وهو أقْوَمُ بحُجَّته من خَصْمه؛ فيَقْلب الحقَّ بِبَيانه إلى نفْسه، ألا تَرى أنَّ البليغ يَمْدَح إنْساناً حتى يَصْرف قُلوبَ السَّامعين إلى حبه، ثم يَذُمُّه حتى يَصْرِفَها إلى بُغْضِه»[(٣)].

وقيل: «البيان: الإظهار، وعند بعض أصحاب الأصول عبارة عن إظهار المراد للمخاطب منفصلاً عمَّا يستر به، وهو قد يكون بالقول، وقد يكون بالفعل»[(٤)].

وقيل: «البيان في الأصل مصدر بان الشيء، بمعنى: تبين وظهر، وقيل: البيان ينطلق على تَبْيين، وعلى دليل يحصل به الإعلام على علمٍ يحصل منه الدليل».

= حديث رقم (٢٩٤)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأحمد في «مسنده»، مسند المدنيين، حديث جبير بن مطعم، ٢٧/٣١٨، حديث رقم (١٦٧٥٤)، قال: شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ص٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب الخطبة، ٧/١٩، حديث رقم (٥١٤٦).

(٣) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ١/٤٥٤.

(٤) نكري، «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون»، ط١، ١/١٧٤.

والبيان أيضاً هو: التعبير عمَّا في الضمير، وإفهام الغير، وقيل: هو الكشف عن شيء، وقد يطلق على نفس التبليغ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤][1].

والخلاصة: أن معنى البيان في اللغة يدور حول معنى: الكشف، والإيضاح، والظُّهور.

يقول زكريا الأنصاري: «البيان: إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التجلي»[2].

وقال المناوي: «البيان هو: إظهار المعنى للنفس، حتى يتبين من غيره، وينفصل عمَّا يلتبس به، ومنه: البيِّنة، وهي الحجة الواضحة»[3]، وقيل: «البيان هو الدلالة التي تزيل الشبهة»[4].

والنصوص الدالة على أن البيان من مرادفات التعريف بالإسلام كثيرة، ومنها:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨]. قال ابن كثير: «يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها»[5].

قال الرازي: «ولا بد من الفرق بين البيان، وبين الهدى، وبين الموعظة؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، وعلى ذلك:

فالبيان هو: الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت الشبهة حاصلة.

وأما الهدى فهو: بيان لطريق الرشد ليُسلك دون طريق الغي.

وأما الموعظة فهي: الكلام الذي يفيد الزجر عمَّا لا ينبغي في طريق الدين»[6].

---

(١) الكفوي، «الكليات»، د. ط، ص٣٣٩.
(٢) السنيكي، «الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة»، ط١، ص٦٩.
(٣) المناوي، «التوقيف على مهمات التعاريف»، ط١، ص١٤٩.
(٤) النعماني، «اللباب في علوم الكتاب»، ط١، ٥/ ٥٥٠.
(٥) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٢/ ١٢٦.
(٦) الرازي، «التفسير الكبير»، ط٣، ٩/ ٣٧٠.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

وقال الشيخ عبد العزيز السلمان: «أي: لتعرِّفهم ما أنزل إليهم من الأحكام، والشرائع، وأحوال القرون المهلكة، وتبين لهم ما أشكل عليهم من الأحكام، وتفصل لهم ما أجمل بحسب مراتبهم في الاستعداد، والفهم لأسرار الشرائع»(١).

٢ ـ البلاغ والتبليغ:

البلاغ: قال ابن منظور: «بَلغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً؛ وصَلَ وانْتَهَى، وأَبْلَغَه هو إِبْلاغاً وبَلَّغَه تَبْلِيغاً، وتَبَلَّغَ بالشيء؛ وصَلَ إِلى مُرادِه، وبَلَغَ مَبْلَغَ فلان ومَبْلَغَته، والبَلاغُ؛ ما يُتَبَلَّغُ به، ويُتَوَصَّلُ إِلى الشيء المطلوب، والبَلاغُ ما بَلَغَكَ، والبَلاغُ الكِفايةُ، والإِبلاغُ الإِيصالُ»(٢).

وقال الرازي: «والإبلاغُ والتّبليغُ؛ الإيصال، والاسم منه البَلَاغُ، والبلاغ أيضاً الكفاية»(٣).

وقيل: «إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الإفهام»(٤).

والفرق بين البلاغ، والبيان، قال الرازي: «البلاغ هو ذكر المسائل، والإبانة هي إقامة البرهان عليها»(٥).

والنصوص الدالة على أن البلاغ من مرادفات التعريف بالإسلام كثيرة كذلك، ومنها:

قال تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) السّلمان، «الأنوار الساطعات لآيات جامعات»، ط١، ١/ ٢٠٠.
(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٨/ ٤١٩.
(٣) الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص٧٠.
(٤) الخلوتي، «روح البيان في تفسير القرآن»، د. ط، ١٠/ ٢٣٩.
(٥) الرازي، «التفسير الكبير»، ط٣، ٢٥/ ٤١.

وَالْأُمِّيِّنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [المائدة: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى عن الرسل الذين أرسلهم إلى أصحاب القرية: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٦، ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦١، ٦٢].

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فهذا التفريق بين البلاغ، والعلم؛ يدل على معنى زائد في البلاغ، أو معنى مغاير، وهو التعريف.

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ حينما كان يعرض نفسه على الناس بالموقف: **«هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي...»**[(١)].

---

(١) سبق تخريجه ص٣٤.

والأدلة على ذلك كثيرة تركتها اختصاراً.

٣ ـ التلاوة:

التلاوة: من «تلا يَتْلُو تلاوَةً: أي: قَرأ، والمُتَلّي: المُرَدِّدُ للتِّلاوَةِ، وتلاه: أي: رَوَاه»[١]. «وفلان يَتْلو فلاناً؛ أي: يحكيه ويَتْبَع فعله»[٢].

قال الشيخ سيد طنطاوي: «والتلاوة: هي القراءة المتتابعة المرتلة، التي يكون بعضها تلو بعض»[٣].

والنصوص الدالة على هذا المرادف كثيرة، ومنها:

كان دعاء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لهذه الأمة أن يرسل الله لهم نبيّاً يتلو عليهم آيات الله تعالى، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

فاستجاب الله تعالى لدعاء أبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وامتنَّ على هذه الأمة كذلك بهذا النَّبي الذي يتلو عليهم آيات الله قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن التلاوة هي تبليغ كلامه تعالى إليهم،

---

(١) الطالقاني، «المحيط في اللغة»، د. ط، ٩/ ٤٦٠.

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٤/ ١٠٢.

(٣) طنطاوي، «تفسير الوسيط للقرآن الكريم»، ط١، ١/ ٧٩٠.

وهذا لا بد منه لكل مؤمن، وتزكيتهم هو جعل أنفسهم زكية بالعمل الصالح الناشئ عن الآيات التي سمعوها»[(١)].

فهذه ثلاث كلمات: «يتلو، ويزكيهم، ويعلمهم» لا شك أن بينها فرق حيث بدأ بالتلاوة، إذ بها يعرف الشيء؛ لأنها عرض لكلام الله تعالى وشرعه، ثم التزكية، ثم التعليم، لما تُلي وقُرئ.

قال ابن عاشور: «تلاوة الرسول ﷺ لا تكون إلا تلاوة تبليغ لما أُوحي به إليه»[(٢)].

قال النعماني: «ومعنى تلاوته إيّاها عليهم، أنه كان يذكرهم بها»[(٣)].

وقد بيَّن الله تعالى أنه لن يُهلك قرية إلا إذا جاءها رسول يتلو عليها آيات الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩].

وهذه التلاوة المقصود منها التعريف بدين الله تعالى، قال النعماني: «أي: يؤدّي ويبلِّغ»[(٤)].

وبيَّن الله تعالى في القرآن على لسان رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن التلاوة هي من وظائفه ﷺ، فمن سمع تلك التلاوة عرف الإسلام؛ فهو بعد ذلك إما مهتدٍ، وإما ضال، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [النمل: ٩٢].

قال الشيخ سيد طنطاوي: أي: «وأمرني أن أتلو القرآن على مسامعكم؛ لأنه هو معجزتي الدالَّة على صدقي»[(٥)]. وقال ابن كثير: «أي: على الناس، أبلغهم إياه»[(٦)].

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ٤/ ٤١.
(٢) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ط١، ١٥/ ١٥٣).
(٣) النعماني، «اللباب في علوم الكتاب»، ط١، ٢/ ٤٩٣.
(٤) المصدر السابق، ط١، ١٥/ ٢٧٧.
(٥) النعماني، «اللباب في علوم الكتاب»، ط١، ٢/ ٤٩٣.
(٦) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٦/ ٢١٨.

وقال النسفي: «وأن أتلو القرآن» لأعرف الحلال والحرام، وما يقتضيه الإسلام»[(١)].

وقال البقاعي: «أي: أواظب على تلاوته عبادة لربي، وإبلاغاً للناس ما أرسلت به إليهم، ممَّا لا يحاط به ريب في أنه من عنده، ولأكون مستحضراً لأوامره فأعمل بها، ونواهيه فأجتنبها، وليرجع الناس إليه، ويعولوا في كل أمرٍ عليه؛ لأنه جامع لكل علم»[(٢)].

وقد أمر الله تعالى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتعريف بهذا الدين عن طريق تلاوة شرائع الله على الناس، لعلهم يعرفونها، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

٤ ـ الإسماع:

الإسماع يدخل في التلاوة، ولكن ليس كل من يتلو يُسمع له، فقد يحول دون سماعه موانع من نفسه، أو من غيره؛ فالإسماع زيادة في التعريف، والتأكد من السماع.

والإسماع هو: مِنْ «أَسمَعه اسْتَمَعَ له وتسَمَّع إِليه؛ أي: أَصْغى»[(٣)].

ومن الأدلة على هذا المرادف:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

وقال أبو حيان: «فالمعنى: وإنْ أحد من المشركين طلب منك أن تكون مجيراً له، وذلك بعد انسلاخ الأشهر الحُرم؛ ليسمع كلام الله وما تضمنه من

---

(١) النسفي، «تفسير النسفي»، ط١، ٣/ ٢٢٥.
(٢) البقاعي، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، د. ط، ٥/ ٤٥٨.
(٣) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٨/ ١٦٢.

التوحيد، ويقف على ما بعثت به، فكن مجيراً له حتى يسمع كلام الله، ويتدبره، ويطلع على حقيقة الأمر، ثم أبلغه داره التي يأمن فيها إنْ لم يُسلم»(١).

وقال السعدي: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: «لأجل أن يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام»(٢).

وقال سيد قطب: «إن هذا يعني أن الإسلام حريص على كل قلب بشري أن يهتدي، وأن يثوب؛ فلا ضير إذن من إعطائهم فرصة سماع القرآن، ومعرفة هذا الدين؛ لعل قلوبهم أن تتفتح، وتتلقى، وتستجيب، إنه منهج الهداية لا منهج الإبادة، إن هذا الدين إعلام لمن لا يعلمون، وإجارة لمن يستجيرون»(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ ۝٥١﴾ [القلم: ٥١].

وقد كان كفار قريش ينهون الناس عن سماع القرآن؛ لأنهم إذا سمعوا عرفوا الحق، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦].

وقد حصل لبعض من كان على الكفر اهتداء عندما استمع إلى كتاب الله تعالى يتلى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨٣﴾ [المائدة: ٨٣].

وهذه الآية أصل في هذا الباب، فهم عندما سمعوا ما يتلى عليهم عرفوا الحق، فالذي جعلهم يسلمون هي المعرفة الناتجة عن التلاوة(٤).

وفي السُّنَّة النبوية ما يدل على التعريف بالإسلام عن طريق التلاوة، والإسماع، ومن ذلك: قصة عتبة بن ربيعة عندما تلا رسول الله ﷺ القرآن، فقد ورد أنه ﷺ قال لعتبة: «**أفتجلس فتسمع؟**» فتلا عليه قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ١ ـ ٣]،

(١) أبو حيان، «البحر المحيط»، ط١، ٥/ ٧.
(٢) السعدي، «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»، ط١، ص٣٢٩.
(٣) قطب، «في ظلال القرآن»، ط١٧، ٣/ ٤٧٧.
(٤) سيأتي الحديث عن هذه الآية في مبحث الأدلة من القرآن على التعريف بالإسلام.

إلى أن بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣]، فرجع عتبة متغيراً إلى قومه بعد سماعه تلك الآيات[١]. فهذا التغير ناتج عن المعرفة المتولدة عن التلاوة، والسماع.

٥ ـ الإيصال:

الإيصال هو: من «أوصله الشيء، وإليه الشيء؛ أي: أنهاه وأبلغه إياه»[٢]، قال حقي: «وحقيقة الوصل؛ رفع الحائل بين الشيئين»[٣].

والفرق بين الإبلاغ، والإيصال: «أن الإبلاغ أشد اقتضاءً للمنتهي إليه من الإيصال؛ لأنه يقتضي بلوغ فهمه وعقله؛ كالبلاغة التي تصل إلى القلب»[٤].

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١].

قال الماوردي: «ويقتضي قوله: ﴿وَصَّلْنَا﴾ البيان والإتمام، فيكون المعنى: بيّنا وأتممنا لهم الخبر، عن خيري الدنيا والآخرة»[٥]، وقال مجاهد: «فصلنا لهم القول»[٦]. وقال ابن حجر: «بينا لهم القول»[٧].

وقال الخلوتي: «أي: أكثرنا لقريش القول موصولاً بعضه ببعض؛ بأن أنزلنا عليهم القرآن آية بعد آية، وسورة بعد سورة؛ ليتصل التذكير، ويكون أدعى لهم، فيؤمنون، ويطيعون، أو تابعنا لهم المواعظ، والزواجر»[٨].

فتوصيل الإسلام، هو: التعريف به، فلن يتحقق التعريف إلا بالإيصال.

---

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، د. ط، ١/ ٢٩٤. وسيأتي الحديث باستفاضة عن هذه القصة وعرض روايتها كاملة في مبحث الأدلة من السُّنَّة على التعريف بالإسلام.
(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/ ١٠٣٧.
(٣) الخلوتي، «روح البيان في تفسير القرآن»، د. ط، ١٠/ ١٦٨.
(٤) العسكري، «الفروق اللغوية»، ط١، ص١٢.
(٥) الماوردي، «النكت والعيون»، د. ط، ٤/ ٢٥٦.
(٦) ابن أبي حاتم، «تفسير القرآن العظيم»، ط١، ١١/ ٣١١.
(٧) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٨/ ٥٠٩.
(٨) الخلوتي، «روح البيان في تفسير القرآن»، د. ط، ١٠/ ١٦٨.

٦ ـ الإنباء:

الإنباء: «مأخوذ من الفعل الثلاثي نبأ، النَّبَأُ مَهْمُوْزٌ: الخَبَرُ، أَنْبَأه ونَبَّأَه: خَبَّرَه، والجَمع: الأَنْبَاءُ. والنَّبِيْءُ: مَنْ هَمَزَه من ذلك؛ لأنَّه أَنْبَأَ عن اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالى، ومَنْ خَفَّفَه فهو من النَّبْوَةِ، للمَكَانِ المُرْتَفِعِ. والنَّبِيْءُ: التَّلُّ من الرَّمْلِ، والطَّرِيْقُ الواضِحُ، يَأْخُذُ بكَ إلى حَيْثُ تُرِيْدُ»[١].

قال ابن دريد: «والنَّبَأ من الأنباء، والنَّبَأ: العلوّ والارتفاع»[٢].

ومن هذا التعريف: يتبين أن تصريفات الكلمة تدل على التعريف، فالإنباء يدل على الإخبار عامة، وعلى الإخبار عن الله تعالى، وعلى المكان المرتفع، والمكان المرتفع يكون ظاهراً معروفاً للناس.

وكذلك يطلق على الطريق الواضح، والطريق الواضح معروف بين الناس، وكذلك إذا عرف الناس الإسلام، ساروا في وضوح تامٍّ لما يريدون.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣].

قال الماوردي: ﴿وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ﴾؛ أي: يستخبرونك، وهو طلب النبأ»[٣].

وقال ابن جزي: «أي: يسألونك هل الوعيد حق؟ أو هل الشرع والدين حق؟»[٤].

وقال أبو حيان: «الضمير» هو «عائد على العذاب، وقيل: على الشرع، والقرآن. وقيل: على الوعيد، وقيل: على أمر الساعة»[٥]. والتعريف بالإسلام يتطرق إلى كل هذه الأمور.

فهم أرادوا أن يخبرهم الرسول ﷺ لكي يعرفوا أحقٌّ ما يدعو إليه من الدين أم لا؟! وسواء كان ذلك الاستنباء على سبيل التحدي، أو على سبيل

---

(١) الطالقاني، «المحيط في اللغة»، د. ط، ١٠/ ٤٠٤.
(٢) ابن دريد، «جمهرة اللغة»، ط١، ٢/ ١١٠٧.
(٣) الماوردي، «النكت والعيون»، د. ط، ٢/ ٤٣٨.
(٤) ابن جزي، «التسهيل في علوم التنزيل»، ط١، ١/ ٤٨٤.
(٥) أبو حيان، «البحر المحيط»، د. ط، ٥/ ١٦٦.

طلب المعرفة؛ فهو يؤدي إلى المعرفة، ولذلك نجد أن الخضر قال لموسى عليه السلام عندما لم يصبر على ما رأى من أعمال الخضر، التي لا يصبر عليها من لا يعرفها، قال له: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾ [الكهف: ٧٨].

قال السمرقندي: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ﴾؛ أي: بتفسير، ﴿مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾؛ أي: تعلم ما رأيتني أصنع، فأنكرت لتعرف أهلها وتأويله[(١)].

ثم بدأ الخضر يُعرِّف موسى عليه السلام لماذا فعل كل ما فعله، حتى إنه في نهاية الأمر قال له: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ [الكهف: ٨٢].

فلو أن الخضر عَرَّف موسى عليه السلام قبل أن يقدم على ما أقدم عليه لما وجد من موسى ذلك الإنكار الشديد؛ لأن موسى لم يتحمل الصبر على ما رآه.

وهذه هي مهمة التعريف بالإسلام؛ أن يعرف الناس الإسلام، لكي يختاروا بعد ذلك قرارهم، سواء كان إيجابياً، أو سلبياً، تجاه الإسلام، وفق ما لديهم من نوايا واعتبارات.

٧ ـ القول:

أمر الله تعالى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أكثر من ثلاثمائة وخمسين موضعاً في القرآن بالقول.

وأمره بلفظ: [قل] له دلالته على التعريف بالإسلام، وهو لفظ: عبارة عن تعريف بالله تعالى، أو برسوله ﷺ، أو بالدين الذي أرسل به، فلو لم يقل الرسول ﷺ لم يعرف الناس.

والملاحظ كذلك في أمر الله تعالى لرسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالقول، أن المخاطب بمقول القول في الغالب هم غير المسلمين، وهذا يعطينا دلالة أخرى، فلم يأمره الله تعالى بأن يدعوهم فقط، أو يأمرهم فقط، بل أمره أن

(١) السمرقندي، «بحر العلوم»، ط١، ٢/ ٢٥٧.

يقول، وإذا قال؛ عرف الناس الحق، ثم يدعوهم إليه، ثم يأمرهم بتطبيق ما فيه، وما عرفوه عنه.

ونماذج ذلك:

في مقام التعريف بالله تعالى: يأمر الله نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يعرِّف به بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ۝٣٠﴾ [الملك: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ [الملك: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ [الأنعام: ١٢].

وفي مقام التعريف بالنبي ﷺ: يأمر الله نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يعرِّف بنفسه، فيقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾ [الجن: ٢٠ ـ ٢٢].

وفي مقام التعريف بشرع الله تعالى: يأمر الله تعالى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يعرِّف بالشرع، بقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

وفي مقام التعريف بالقرآن وإعجازه: يقول الله لنبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨].

٨ ـ العَرض:

يقال: «عَرَضَ له أمر كذا يَعْرِضُ؛ أي: ظَهَرَ، وعَرَضْتُ عليه أمر كذا، وعَرَضْتُ له الشيء؛ أي: أظهرته له وأبرزته إليه»(١).

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ على القلوب عَرْضَ الحَصِير**»(٢). قال ابن الأَثير: أَي: «توضَع عليها، وتُبْسَطُ كما تُبْسَطُ الحَصِيرُ»(٣).

قال ابن منظور: «وعَرَضَ الشيء فأَعْرَضَ؛ أي: أظهره فظهر، قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠﴾ [الكهف: ١٠٠]؛ أي: أبرزناها حتى نظروا إليها»(٤).

فالعرض هو الإبراز، والبسط، والظهور، وهو كذلك مقصود التعريف بالإسلام، فما التعريف بالإسلام إلا العرض، والبسط، والإبراز له، فإذا أبرز الشيء عُرف.

وقد ورد هذا المصطلح في السُّنَّة النبوية: فعن جابر رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: «**هل من رجل يحملني إلى قومه فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي**»(٥).

وورد في قصة إسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه: «وكان أسعد بن زرارة قد قال لمصعب رضي الله عنهم جميعاً: لقد جاء والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف منهم اثنان، فقال له مصعب: أَوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته؛ عزلنا عنك ما تكره، فقال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة، وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه

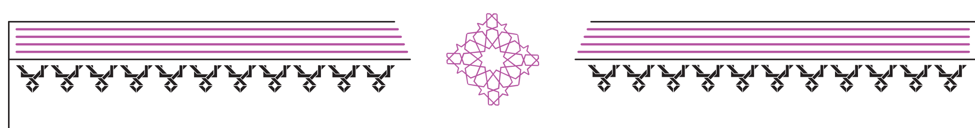
---

(١) الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ط٤، ٣/ ١٠٨٢.
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، تتمة مسند الأنصار، حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ، ٣٨/ ٣١٤، حديث رقم (٢٣٢٨٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٣) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٧/ ١٧٥.
(٤) الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص٤٦٧.
(٥) سبق تخريجه ص٣٤.

أول سورة الزخرف، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله»[١]. وهكذا تصنع المعرفة من السرور والفرح عندما يصل الإنسان للحقيقة التي يجهلها.



(١) أبو شهبة، «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسُّنَّة»، ط٣، ١/٤٤٤، الطرهوني، «صحيح السيرة النبوية»، ط١، ص٢٩١.



المبحث الثالث

العلاقة بين التعريف بالإسلام ومصطلحات الدعوة

الباحث في مصطلحات العلم والدعوة يجد ترابطاً وثيقاً بين مصطلحاتها المتنوعة فتجد التعليم والدعوة والحسبة وغيرها، وعند استخدامها في دعوة غير المسلمين يظهر لنا أن التعريف بالإسلام باب من أبواب الدعوة له أدبياته ويمكن إيضاح ذلك من خلال الآتي:

١ ـ العلاقة بين التعريف بالإسلام وتعليم الإسلام:

سيتضح الفرق عندما نعلم الفرق بين المعرفة، والعلم، وقد ذكر تلك الفروق الإمام ابن القيِّم ـ عليه رحمة الله ـ في مدارج السالكين، فقال: «أما الفرق المعنوي بين المعرفة، والعلم؛ فمن وجوه:

أحدها: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، فتقول: عرفت أباك، وعلمته صالحاً، عالماً، ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة: ٩٨]، فالمعرفة: حضور صورة الشيء، ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله، وصفاته، ونسبتها إليه. فالمعرفة تشبه التصور، والعلم يشبه التصديق.

الثاني: أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، أو تكون لما وصف له بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل: عرفه، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يوسف: ٥٨].

فالمعرفة تشبه الذكر للشيء، وهو حضور ما كان غائباً عن الذكر.

الثالث: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، فإذا قلت: علمت زيداً، لم يفد المخاطب شيئاً؛ لأنه ينتظر بعد أن تخبره على أي حال علمته، فإذا قلت: كريماً، أو شجاعاً، حصلت له الفائدة، وإذا قلت: عرفت زيداً، استفاد المخاطب أنك أثبته، وميزته عن غيره، ولم يبق منتظراً لشيءٍ آخر، وهذا الوجه قريب من الفرق الأول.

الرابع: قيل: إن المعرفة علم بعين الشيء مفصلاً عمَّا سواه، بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملاً، وعلى هذا الحد فلا يتصور أن يعرف الله البتة، بل حقيقة هذا الحد انتفاء تعلق المعرفة بأكبر المخلوقات، حتى بأظهرها وهو الشمس، والقمر، بل لا يصح أن يعرف أحد نفسه، وذاته، البتة.

فالمعرفة تتعلق بصورة الشيء، وشكله، بينما العلم أعمق من ذلك، فهو معرفة الصفات، والأحوال. فالعالم عارف، لكن العارف قد لا يكون عالماً»[(١)].

وقد وصف الله نفسه بالعلم، ولم يصف نفسه بالمعرفة، وأمر عباده أن يعلموا أنه إلٰه واحد، كما أمرهم بالعلم في صفاته، وليس مجرد المعرفة. قال ابن القيِّم رحمه الله: «واختار سبحانه لنفسه اسم العلم، وما تصرَّف منه، فوصف نفسه بأنه عالم، وعليم، وعلَّام، وعَلِمَ، ويعلم، وأخبر أن له علماً، دون لفظ المعرفة في القرآن، ومعلوم أن الاسم الذي اختاره الله لنفسه؛ أكمل نوعه المشارك له في معناه.

وإنما جاء لفظ المعرفة في القرآن في مؤمني أهل الكتاب خاصة؛ كقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦][(٢)].

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٢، ٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧.
(٢) المرجع السابق ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

وعلى هذا نقول:

أولاً: إن التعريف بالإسلام: معرفة تتعلق بذات الإسلام، لا بأحواله، فالمعرفة بالإسلام تعتبر تصور الإسلام ككل، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

ولم يقل: فاعرف؛ لأن العلم بعد المعرفة، والمعرفة قد حصلت للنبي ﷺ، ولذلك أُمر بعدها بالعمل وهو الاستغفار.

ثانياً: إن المعرفة بالإسلام: الذكر له، وأما العلم بالإسلام: فهو التدقيق، والإفهام، لمحتويات ما ذكر، فتقول مثلاً ـ وأنت تعرِّف بالإسلام ـ: الإسلام دين فيه صلوات تقرِّب العبد من ربه، فتنبه الناس على أن هناك دين اسمه الإسلام، له عباداته، وتشريعاته، وحدوده.

وتقول وأنت تُعلِّم الإسلام: إن الإسلام فيه خمس صلوات، الفجر، والظهر، والمغرب، والعشاء، ولكلٍّ منها وقت محدد، فتشرح وتعلم الإسلام.

ثالثاً: إن المعرفة بالإسلام تفيد: تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره.

فتقول مثلاً في التعريف بالإسلام: الإسلام دين سماوي، فقد ميزته بذلك عن الأديان المحدثة في الأرض.

فإذا قلت إنه دين يأمر بخمس صلوات في اليوم والليلة؛ فهذا تمييز ما يوصف به عن غيره، فكل الأديان لها أعمالها الخاصة في صلاتها، وفي دعائها لآلهتها.

ولذلك نجد أن الله تعالى قال عن أهل الكتاب عندما عرض عليهم الإسلام: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

فلم يقل ممَّا علموا؛ لأنهم لم يتعلموا الإسلام، وشرائعه، وعقائده، بل تصوروه، وعرفوا حدوده، فالمعرفة قاصرة، والعلم دقيق.

وقال تعالى أيضاً عن أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦][1].

ولم يقل الله: يعلمونه، وذلك لأنهم عرفوا النبي ﷺ، ولكنهم لم يؤمنوا به، فأدى ذلك إلى بعدهم عن التعلّم.

٢ ـ العلاقة بين التعريف بالإسلام والدعوة إلى الله تعالى:

يمكن بيان العلاقة بين الدعوة، والتعريف بالإسلام؛ في النقاط التالية:

أولاً: التعريف بالإسلام أعم من الدعوة من ناحية الأهداف:

فأهداف التعريف بالإسلام المرجوة من المُعَرّفين به بعد المعرفة، تتلخص في الآتي[2]:

١ ـ قبول الإسلام والدخول فيه.

٢ ـ إزالة تصور خاطئ عن الإسلام.

٣ ـ بناء تصور صحيح عن الإسلام.

٤ ـ التحييد.

٥ ـ النصرة.

٦ ـ إقامة الحجة.

٧ ـ رفع الحرج عن الأمة.

وأما أهداف الدعوة إلى الله؛ فتتلخص في الآتي:

دخول الناس في الإسلام، والتزام أوامره، ونواهيه، وتحكيم شرعه.

ثانياً: التعريف بالإسلام أخص من الدعوة من ناحية المستهدفين:

فالمستهدفون في التعريف بالإسلام ـ ابتداءً ـ هم: غير المسلمين، الذين لا يعرفونه حق المعرفة، وأما المستهدفون في الدعوة إلى الله فهم كل إنسان:

ـ سواء كان مسلماً، أو كافراً.

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٢، ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٢) سيأتي الحديث بتوسع عن هذه الأهداف في مبحث أهداف التعريف بالإسلام بإذن الله تعالى.

- وسواء كان طائعاً لله، أو مقصراً، أو مرتكباً للكبائر.
- وسواء كان من أهل السُّنَّة، أو من أهل البدعة.
- وسواء كان مشركاً، أو ملحداً، أو من أهل الكتاب.

ثالثاً: التعريف بالإسلام أخص من الدعوة من ناحية المطروح المعرفي:

المطروح المعرفي في التعريف بالإسلام: يركز حول أصول الإسلام بشكلٍ أساسي، وبحسب الحاجة يتطرق إلى رد الشبهات عنه.

وأما المطروح في الدعوة: فهو يشمل كل أمور الإسلام، من أصوله، وفروعه، ودقائقه، وحلاله، وحرامه، وما حوله من شبهات، وكيفية الرد عليها، وما يشتمل عليه من روحانيات، وعبادات قلبية، وبدنية، وما فيه من أمرٍ بمعروف، ونهيٍ عن منكر، إلى غير ذلك، ممَّا يدخل في الدعوة إلى الله.

رابعاً: الحوار والجدال هو الأسلوب الأمثل الذي ينطلق منه التعريف بالإسلام:

إن إسلوب الحوار والجدال بالتي هي أحسن؛ هو الطريق الذي يميز التعريف بالإسلام عن الدعوة إلى الله، حيث نجد أن النبي ﷺ ظل يعرِّف بالإسلام بالطريقة السلمية في المرحلة المكيَّة، ولم يُأمر بالجهاد إلا في المرحلة المدنية.

وكذلك نجد أن الفتوحات الإسلامية تبدأ دائماً بإرسال الرسل للتعريف بالإسلام، وترك الطريق أمام الفاتحين لكي يعرِّفوا الناس بالإسلام أولاً.

وكذلك نجد أن الرسائل التي كان يرسلها رسول الله ﷺ للملوك كانت عبارة عن تعريف بالإسلام بطريقة سلمية.

وأما الدعوة إلى الله: فهي كذلك تتخذ الطريق السلمي، وتتخذ أيضاً من قوة السلطان معيناً لها، فما تطبيق الحدود، وإلزام الناس بالتزام شرع الله، ومعاقبة المخالف؛ إلا نوع من أنواع الدعوة إلى الله تعالى.

وما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه من حربه للمرتدين؛ إلا دعوة إلى الله، وأمر بمعروف ونهي عن منكر.

وأما التعريف بالإسلام، فلا يدخل تحت ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

خامساً: الخطاب العقلي هو الأساس الأول الذي تستند إليه عملية التعريف بالإسلام:

فالتعريف بالإسلام يهتم جدّاً بالإقناع العقلي للمعرِّفين، وهذه هي طريقة القرآن والسُّنَّة في التعريف بالإسلام، والأدلة في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد: ٣].

وأما بالنسبة لنوعية الخطاب في الدعوة إلى الله؛ فيتنوع ما بين الخطاب العاطفي، والوعظ، والترهيب، والترغيب، والأسلوب الحماسي، وكذلك العقلي.

سادساً: كل دعوة تعريف وليس كل تعريف دعوة:

فالدعوة إلى الإسلام مفتقرة إلى التعريف بالإسلام، فالتعريف بالإسلام هو أول خطوة من خطوات الدعوة إلى الله، ولن تقبل الدعوة إلا إذا تم التعريف الحقيقي بها، ويمكن أن تخفق الدعوة إذا لم يسبقها تعريف، ويمكن أن تنجح الدعوة بدون تعريف، ويكتب الله تعالى لها الاستمرار، وكذلك يمكن أن تحوطها الشبهات التي تزعزع أفرادها.

قال القشيري في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢]، قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ تعريف، وقوله: ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ تكليف، فحصولُ التعريف بتحقيقه ـ أي: بتحقيق التعريف على الله، والوصولُ إلى ما وَرَدَ به التكليف بتوفيقه؛ أي: أن الهداية بيد الله[(١)].

فقولك للناس: قولوا: لا إلٰه إلا الله، من غير أن يعرفوا حقيقة ما يقولون؛ أو لم يعرفوا من هو الله، لا يكفي في دخول الناس في الإسلام، فلا بدّ مع القول العمل، ولا يأتي العمل إلا بعد أن تعرف حقيقة ما ستعمل، ومن ثم تتعلم كيفية ما عرفت.

ولذلك رأينا أن كفار قريش رفضوا أن يقولوا هذه الكلمة؛ لأنهم عارفون

---

(١) ابن عجيبة، «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، ط٢، ٢/ ٤٥٠.

بما يقتضيه النطق بها، وكان رسول الله ﷺ يذكرهم بما يعرفونه عن الله، ثم يدعوهم إلى الإسلام، وكل ما في القرآن يدعو إلى ذلك.

وما توحيد الربوبية إلا تعريفٌ بالله تعالى، وتذكيرٌ للمشركين والملحدين، بما يعرفونه عنه جلّ وعلا.

سابعاً: التعريف بالشيء لا يستدعي الدعوة إليه:

هذا الفرق محل إشكال بين العاملين في المجال الدعوي، ولكن بالتدقيق نجد أنه من أهم الفروق بين الدعوة، والتعريف بالإسلام.

فالإنسان مثلاً عندما يعرّف بأولاده، أو بما رزقه الله تعالى من مال؛ فهو لا يريد أحداً أن يأخذ أولاده، ولا أن يأخذ ماله، بل يريد أن يبرز الصورة الحسنة عنه لأهداف كثيرة، وليس الأساس فيها أن يستفيد الناس من أولاده، أو من ماله.

ولا يعني ذلك أن الدعوة منفصلة انفصالاً كلياً عن التعريف بالإسلام؛ فالتعريف بالإسلام وسيلة مهمة جدّاً من وسائل الدعوة، بل إن الدعوة لا تستغني أبداً عن التعريف.

فالتعريف بالإسلام هو الخطوة الأولى التي تسبق الدعوة للدخول في دين الله، ولكن قد تصبح الدعوة الصريحة للدخول في دين الله غير مستطاعة لظروفٍ سياسيةٍ، أو اجتماعيةٍ، أو نحوها.

ثامناً: قيام الحجة وبراءة الذمة مقترنة بالتعريف قبل الدعوة:

إذا عرف الإنسان الإسلام، قامت عليه الحجَّة، وأما إذا قيل له: ادخل في الإسلام، ولم يعرف عن الإسلام إلا الاسم، فإن الحجَّة لم تقم عليه.

تاسعاً: قبول المعرفة بالإسلام وحدها لا يدخل في الإسلام وأما قبول الدعوة فهو دخول في الإسلام:

إن قبول التعريف بالإسلام لا يعني دخول المعرَّف في الإسلام، بل لا بد من النطق بالشهادتين.

وأما لو نطق المدعو للإسلام بالشهادتين رغبة في الدخول في الإسلام ـ حتى ولو لم يعلم من الإسلام إلا اسمه أو شكله ـ فقد دخل في الإسلام.

عاشراً: الفرق بين التعريف بالإسلام والدعوة إلى الله من حيث مرادفاتهما في الكتاب والسُّنَّة:

يتبين عند الحديث عن مرادفات التعريف بالإسلام، ومرادفات الدعوة، أن الدعوة إلى الله لها في القرآن والسُّنَّة ثلاثة وعشرون مرادفاً: وهي: [التلاوة، والإسماع، والتعليم، والإعلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاية، والإيصال، والبيان والتبيين، والتذكير، والإصلاح، والنصيحة، والتواصي، والدلالة على الخير، والتعاون على البر والتقوى، والبشارة والنذارة، والنداء، والنصيحة، والتفصيل، والإنباء، والقول، والصدع، والجهاد، والعرض، والأداء].

أما ما مرادفات التعريف بالإسلام، فثمانية وهي: [البيان، والبلاغ، والتلاوة، والإيصال، والإسماع، والإنباء، والقول، والعرض].

والناظر يجد أن المرادفات المشتركة بين الدعوة، والتعريف، تطلق على الدعوة، والتعريف، باعتبار الأصل العام، الذي يندرجان حوله، وهو: الحديث عن الإسلام، سواء بالتعريف به، أو الدعوة إليه، ولكن عند الحديث عن التخصيص؛ فلكلٍّ منهما مصطلحاته التي لا بد أن ينتبه إليها أهل التخصص.

وهذا الخلط بين المصطلحات ناتج عن الخلط بين التعريف، والدعوة، من حيث المفهوم، والتطبيق، فإذا اتضح المفهوم، وتطبيقاته؛ عُلم الفرق.

الحادي عشر: الفرق من حيث التعريف اللغوي والاصطلاحي:

أما بالنسبة للتعريف اللغوي:

فقد ذكر اللغويون معانٍ عديدة للدعوة، منها: «النداء، والطلب، والحث، والحض، والنصيحة، والاستمالة»[(١)].

وأما التعريف لغةً: فيطلق ويراد به: التعليم، والإفهام، والوصف، والإخبار، والتحديد، والاطِّلاع، والتمييز، والتبيين، والتبصير.

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٤/٢٥٧، الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ٤/٣٢٨، «مجمع اللغة العربية بالقاهرة»، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/٢٨٦.

وأما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي:

فالدعوة إلى الله تعالى: لها تعريفات كثيرة، ومنها: «حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل، والآجل»[(١)].

وقيل: «الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام»[(٢)].

وأما التعريف بالإسلام؛ فهو: العرض، والبيان، لعقائد، وعبادات، وتشريعات الإسلام، لغير المسلمين، عن طريق بناء تصور صحيح، أو تصحيح تصور خاطئ، أو إزالة شبهة.

الثاني عشر: الفرق من حيث القائمين على عملية التعريف:

ليس كل الناس لهم القدرة على التعريف بالإسلام، وأما الدعوة إلى الله، يستطيع أن يقوم بها كل أفراد المجتمع، ولا تستلزم الدعوة إلى الله من الداعية إلا أن يكون عالماً بما يدعو إليه.

وهذه النقطة نوضحها من خلال تكوين المعرِّف بالإسلام، فالمعرِّف بالإسلام يتكون من خلال المراحل التالية:

المرحلة الأولى: مرحلة الانتساب للإسلام: وهو أن يكون مسلماً.

المرحلة الثانية: مرحلة حمل الإسلام: أي: تعلمه، والعمل به.

المرحلة الثالثة: مرحلة نقل الإسلام: أي: التعريف به.

المرحلة الرابعة: مرحلة الإقناع بالإسلام.

المرحلة الخامسة: مرحلة رد الشبهات عن الإسلام.

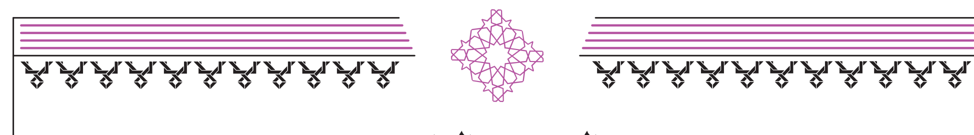
فليس كل منتسب للإسلام يحمله علماً، وعملاً، وليس كل من يحمله علماً، وعملاً؛ يستطيع الدعوة إليه، وليس كل داعية لديه قدرة على الإقناع بالإسلام، وليس كل من يقنع بالإسلام يستطيع أن يرد الشبه التي ترد عن الإسلام.

فمرحلة الإقناع، ورد الشبهات؛ لا يستطيع أن يقوم بها إلا المعرِّف بالإسلام، وعلى ذلك فكل معرِّف داعية، وليس كل داعية معرِّفاً.

---

(١) محفوظ، «هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة»، ط١، ص١٧.

(٢) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ص٥.



المبحث الرابع

شواهد التعريف بالإسلام في الكتاب والسُّنَّة

شواهد التعريف بالإسلام كثيرة ومتنوعة، وفي هذا المبحث سنورد أمثلة على تلك الشواهد؛ ليتضح للقارئ ويستشهد بها ويستنتج منها ما يعينه في طريق دعوته.

١ ـ الشواهد الإجمالية على التعريف بالإسلام في القرآن:

أولاً: شواهد التعريف بالإسلام من خلال أول سورة نزلت من القرآن:

أول ما نزل من القرآن هي الخمس آيات الأول من سورة العلق[(١)]، وكانت تلك الآيات عبارة عن مقدمة تعريفية بالله تعالى، وقد أفردتها هنا في مطلبٍ مستقلٍّ عن باقي الشواهد، إبرازاً لذلك المعنى الجليل، وهو: أن أول ما نزل عبارة عن تعريف بالإسلام، من خلال التعريف بالله تعالى.

فقد قال الله تعالى في صدر هذه السورة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

فقوله تعالى: ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ فيه إشارة إلى التعريف بربوبية الله تعالى، وعنايته بخلقه، وتذكيرهم بهذه النعمة، فعندما خلقهم لم يتركهم سدى، بل ربّاهم، وقام على إصلاح شؤونهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ تعريف بالله تعالى كذلك؛ ببيان مِنَّته على خلقه، حيث يُذكرهم أنه هو الذي خلقهم، ولذلك فهو أعلم بهم، وبما يصلحهم، أما قوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ فيه تعريف كذلك بالله تعالى الخالق للإنسان، وهذا التخصيص للإنسان دون غيره من المخلوقات؛ سببه: «أن

(١) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ٨/ ٤٣٧ ـ ٢٠/ ١١٧.

الإنسان هو المقصود من الاستدلال، فلا يخلو من أن يخطر له خاطر البحث عن الذي خلقه وأوجده لذلك»[١].

ثم يعرف الله تعالى كذلك بنفسه؛ عن طريق بيان إعجازه في خلق ذلك الإنسان، فيقول تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ قال القرطبي: «العلق: جمع علقة، والعلقة الدم الجامد، وأراد أن يبين قدر نعمته عليه بأن خلقه من علقة، حتى صار بشراً سوياً، وعقلاً مميزاً»[٢].

ثم عرَّف الله تعالى كذلك بنفسه، فقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ قال السعدي: «الأكرم» هو: «كثير الصفات، واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود»[٣].

وقال القرطبي: «ودل على كمال كرمه سبحانه؛ بأنه علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم»[٤].

ولو تركنا المجال للتعريف بكرم الله تعالى على خلقه لن نحصيه، فالله ﷻ يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ [النحل: ١٨].

وكذلك من التعريف بالله تعالى ـ في الآيات الأولى نزولاً من القرآن ـ أن الله عرَّف بنفسه بأنه: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ قال قتادة: «القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش»[٥].

ومن تعريف الله تعالى بنفسه كذلك في هذه الآيات؛ أن عرَّف عباده أنه هو مصدر العلم، والتعلم، فقال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ قال سيد قطب: «وفي هذا كذلك إبراز مصدر التعليم؛ إن مصدره هو الله، منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار نفسه، فهو من هناك، من ذلك المصدر الواحد، الذي ليس هناك سواه»[٦].

---

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٠/٤٣٨. بتصرف.
(٢) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ٢، ٢٠/١١٩. بتصرف.
(٣) السعدي، «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»، ط١، ص٩٣٠.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ٢٠/١٢٠.
(٥) الطبري، «جامع البيان في تأويل القرآن»، ط١، ٢٤/٥١٩.
(٦) قطب، «في ظلال القرآن»، ط١٧، ٦/٣٩٣٩.

ثانياً: شواهد التعريف بالإسلام من خلال قصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في القرآن:

١ ـ التعريف بالإسلام في دعوة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عموماً:

لقد بيَّن الله تعالى في كتابه الكريم أنه أرسل رسله لتعريف الناس بالإسلام، ثم دعوتهم إليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فقد أمر الله تعالى الأنبياء أن يعرِّفوا الناس بالله أولاً، ثم يأمروهم بعبادته.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩]، وتلاوة الرسل للآيات تعريف للناس بما أرسلوا به.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤]. فالبيان ـ كما مر بنا من قبل ـ هو التعريف.

وقال تعالى عن رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهم يعرفون بالإسلام: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠].

٢ ـ التعريف بالإسلام في قصة نوح ـ عليه الصلاة السلام ـ:

قال تعالى عن نوح عليه السلام وهو يعرِّف قومه بنفسه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾﴾ [هود: ٢٥، ٢٦].

٣ ـ التعريف بالإسلام في قصة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام، وهو يعرف أباه وقومه بالإسلام، بطريقة الاستفهام: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٧٧].

ثم يعرف بالله ﷻ رب العالمين وبنعمه وآلائه فيقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٢].

وفي موضع آخر يعرفهم بالإسلام عن طريق المناظرة، والعرض غير المباشر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٤ ـ ٨٠].

٤ ـ التعريف بالإسلام في قصة شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

وهذا نبي الله شعيب ﵇ يعرِّف بنفسه، بهدف تعريف الناس بالإسلام، فيقول: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨].

٥ ـ التعريف بالإسلام في قصة يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

وهذا نبي الله يوسف ﵇ يدخل السجن، ويأتيه اثنين من المسجونين معه، ويسألونه تعبير رؤيا رأوها في المنام، فيستفيد نبي الله يوسف ﵇ من تلك الفرصة، ويعرفهم بالإسلام، فعرَّف بنفسه أولاً ثم عرفهم بالله تعالى، فقال لهما بعد أن قص كل واحد منهما رؤيته: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٧ ـ ٤٠].

فالملاحظ أنه عليه السلام أطال في التعريف بنفسه، وكذلك أطال في التعريف بالله تعالى، وبدينه، ثم أمرهم ودعاهم لعبادة الله وحده لا شريك له.

٦ ـ التعريف بالإسلام في قصة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

قصة موسى عليه السلام مليئة بالشواهد على التعريف بالإسلام، ومن ذلك:

نجد أن الله تعالى في بداية إرساله لموسى عليه السلام عرفه بنفسه، بقوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

وعند إرسال الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام لفرعون عرفهما بما يجب عليهما تجاه فرعون، وهو أن يعرفا بنفسيهما وبما يريدان قبل أن يدعونه للإسلام، قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه: ٤٧].

وقال في موضع آخر: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦].

فلما ذهبا إلى فرعون امتثالاً لأمر ربهما، عرَّفا فرعون بنفسيهما أولاً، ثم بالله تعالى، كما ذكر الله ذلك في كتابه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥].

وقال في موضع آخر يحكي محاورة موسى عليه السلام لفرعون: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ

وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٤٧ ـ ٥٦].

وقال في موضع آخر: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٨].

٧ ـ التعريف بالإسلام في قصة عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

وكذلك قصة عيسى عليه السلام فيها من الشواهد على التعريف بالإسلام الكثير، ومن ذلك:

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام، وهو يعرِّف بنفسه، وبما أُرسل به: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٤٩ ـ ٥١].

وقال تعالى في السياق نفسه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٦]، فهنا لم يدعهم عيسى عليه السلام إلى العبادة والطاعة إلا بعدما عرَّفهم بنفسه، وعرَّفهم بتاريخ ما يدعو إليه؛ ثم قال لهم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾﴾.

٨ ـ التعريف بالإسلام من خلال قصة أصحاب القرية ومن أرسلوا إليهم:

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس: ١٣ ـ ١٧]، وهم كذلك عرَّفوا بأنفسهم للقوم الذين أُرْسِلوا إليهم.

٩ ـ التعريف بالإسلام في قصة مؤمن آل فرعون:

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون وهو يعرِّف قومه بموسى عليه السلام، وبما جاء به من الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨]، فقد دافع مؤمن آل فرعون عن موسى عليه السلام؛ عن طريق تعريف قومه بموسى عليه السلام.

٢ ـ شواهد تعريف الرسول ﷺ بالإسلام:

وهذا ظاهر في كل دعوة النبي ﷺ منذ أول يوم أمر بالإنذار، فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي..**» لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد**»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١][(١)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥] ألن جانبك، ٦/ ١١١، حديث رقم (٤٧٧٠).

وفي رواية: «قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جربنا عليك كذباً قط»[(١)].

والمتأمل لهذا الموقف يجد أنه يشهد للتعريف بالإسلام من ناحيتين:

الناحية الأولى: رفع رسول الله ﷺ شعاراً كبيراً، وقاعدة مهمة من قواعد التعريف بالإسلام، وهي: قاعدة: [أنا مسلم وهذا هو الإسلام].

فعرَّف النبي ﷺ بنفسه أولاً؛ لكي يطمأنوا إليه، ويقيم عليهم الحجة، ثم دعاهم.

وهذا من إعداد الله تعالى لنبيه قبل البعثة، فلم يبعثه الله تعالى إلا بعد أن عرفه الناس، وعرفوا أمانته، وصدقه.

بل إن الله تعالى نص في القرآن في حديثه لأهل الكتاب؛ أنه عرفهم بذلك النبي، وبأخلاقه، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

الناحية الثانية: نداء النبي ﷺ، وصعوده على جبل الصفا؛ يعطينا دلالة على أن التعريف بالإسلام لا بد أن يصل إلى كل الناس، وأنه يجب أن يعرف كل الناس الإسلام، وإلا فما فائدة هذا الصعود، وهذا النداء لكل الناس.

ويظهر تعريف رسول الله ﷺ أيضاً من خلال تعريفه ﷺ لعتبة بن ربيعة بالإسلام، فقد ورد في كتب السيرة أن المشركين اجتمعوا يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة، والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا،

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات»، «السيرة النبوية الشريفة»، ذكر دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام، ١/١٥٦.

وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يردُّ عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك؛ فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة(١) قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى.

أيها الرجل: إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله ﷺ: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**» قال: نعم، فقال رسول الله: «**أفتجلس فتسمع؟**» فتلا عليه قوله تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١ ـ ١٣]، فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا؟! قال: «لا»، فرجع إلى قريش، فلما جلس إليهم؛ قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال:

(١) السَّخْل: المولود المُحَبَّب إلى أبويه، وهو في الأصل ولد الغنم، ورجال سُخَّل وسُخَّال: ضعفاء أرذال، انظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١١/ ٣٣٢.

ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوا، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيم، فإن تصبه العرب؛ فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب؛ فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي، فاصنعوا ما بدا لكم[١].

٣ ـ شواهد التعريف بالإسلام من خلال السيرة والتاريخ الإسلامي:

أولاً: تعريف جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه النجاشي بالإسلام:

لما اشتد البلاء على أصحاب رسول الله ﷺ في مكة؛ قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل لكم فرجاً ممَّا أنتم فيه**»[٢]، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

«فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا، واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً واستقراراً؛ ائتمروا فيما بينهم أن يبعثوا وفداً للنجاشي، لإحضار من عنده من المسلمين إلى مكة، بعد أن يوقعوا بينهم وبين ملك الحبشة، إلا أن هذا الوفد خدم الإسلام والمسلمين من حيث لا يدري، فقد أسفرت مكيدته عند النجاشي عن حوارٍ هادفٍ دار بين أحد المهاجرين ـ وهو جعفر بن أبي طالب ـ وبين ملك الحبشة، أسفر هذا الحوار عن إسلام النجاشي، وتأمين المهاجرين المسلمين عنده»[٣].

حيث أنه لما قدم الوفد على النجاشي قالوا له: أيها الملك، إنه صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدينٍ

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، د. ط، ١/ ٢٩٤.
(٢) «السيرة النبوية»، ١/ ٣٢١.
(٣) انظر: جزولي، «الهجرة في القرآن الكريم»، ط١، ص٣٠٤.

مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنَا إليك فيهم أشرافُ قومهم؛ من آبائهم، وأعمامهم، لتردهم إليهم؛ فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فغضب النجاشي ثم قال: لا هَيْمُ[١] الله إذن لا أسلمهم إليهما، ولا أُكادُ[٢] قوماً جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم؟ فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، وقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الأمم؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، فعدد عليه أمور الإسلام...

فصدَّقناه، وآمنَّا به، واتَّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث؛ فلما قهرونا، وظلمونا، وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين

---

(١) والمعنى: لا والله، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/ ١٠٠٥.

(٢) يقولون: إذا حُمِلَ أَحدهم على ما يَكْرهُ لا والله ولا كَيْداً، ولا هَمّاً يريد: لا أُكادُ، ولا أُهَمُّ. ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٣/ ٣٨٣.

ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك ممَّا جاء به عن الله شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي، فاقرأه عليَّ؟

فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]، فبكى النجاشي، حتى أخضل لحيته[١]، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا ـ والله ـ والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاةٍ واحدة، فوالله لا أُسلِمُهم إليكم أبداً، ولا أكاد.

فخرج الوفد، وكانا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وقال عمرو: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً! فأرسل إليهم، فاسألهم عمَّا يقولون فيه، فأرسل إليهم يسألهم عنه.

فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء[٢]، البتول[٣].

فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود! فتناخرت[٤] بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي[٥] من سبَّكم غرم، ثم من سبَّكم

---

(١) ابتلت بالدموع، يقال: خضل وأخضل إذا ندي، انظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٣/ ٤٣.

(٢) العذراء: الجارية التي لم يمسها رجل، وهي البكر. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ٣/ ٤٢٤.

(٣) والبَتُولُ من النساء؛ العذراء، المنقطعة من الأزواج، وقيل: هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا، والتَّبَتُّلُ: الانقطاع عن الدنيا إلى الله، وكذا التبتِيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ الآية. انظر: الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص٢٩.

(٤) فتناخرت: أي: تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ٥/ ٧٢.

(٥) السيوم: الآمنون. الخطابي، «غريب الحديث»، د. ط، ١/ ٧١٩.

غرم، فما أحب أن لي دَبراً ذهباً، وإني آذيت رجلاً منكم. والدبر بلسان الحبشة الجبل[(١)].

وهذه الحادثة من حوادث السيرة من الأصول التي تستند إليها عملية التعريف بالإسلام، سواء من جهة المعَرِّفين بالإسلام، أو المعرَّفين، أو المنهج الذي تسير عليه عملية التعريف، فهو جديرٌ أن يدرس بعنايةٍ فائقة، وما ذِكري له هنا إلا لإبرازه، وبيان أهم الجوانب فيه، والتي تشهد على عملية التعريف بالإسلام.

ويمكن إجمال تلك الشواهد في النقاط التالية:

١ ـ من أهداف الهجرة إلى الحبشة التعريف بالإسلام خارج مكة:

قال سيد قطب: «كان يبحث رسول الله ﷺ عن قاعدة غير مكة، تحمي العقيدة، وتكفل لها الحرية، حيث تظفر بحرية الدعوة، وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة»[(٢)].

فحماية الإسلام والمنتسبين له، وكفالة الحرية لهم في التطبيق والممارسة؛ كل هذه من أهداف التعريف بالإسلام، التي كانت في ذهن رسول الله ﷺ وهو يرسل الصحابة إلى الحبشة، فمعظم الذين هاجروا إلى الحبشة لم يكونوا من ضعفاء المسلمين الذين كانوا يؤذون.

«فالمتأمل في أسماء الصحابة الذين هاجروا[(٣)]؛ لا يجد فيهم أحداً من الموالي، الذين نالهم من أذى قريش وتعذيبها أشد من غيرهم، بل نجد غالبيتهم من ذوي النسب والمكانة، فلو كان الفرار من الأذى هو السبب الوحيد في

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو حديث الهجرة، ٣/٢٦٨، حديث رقم (١٧٤٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعة، وهو صدوق حسن الحديث إلا أنه مدلس، لكنه هنا صرح بالتحديث فانتفت شبهة تدليسه.

(٢) قطب، «في ظلال القرآن»، ط١٧، ١/٢٩ باختصار.

(٣) تحتاج لتعداد عدد من أسماء الصحابة ارجع إليهم في: ابن هشام، «السيرة النبوية»، د. ط، ١/٣٤٤ ـ ٣٥٢.

الهجرة؛ لكان الموالي المعذبون أحق بالهجرة من غيرهم»[(١)].

٢ ـ ليس كل الناس يستطيع أن يحسن عرض الإسلام والتعريف به:

فقد كان من أهداف الهجرة للحبشة كما ذكرنا التعريف بالإسلام، ولذلك حرص النبي ﷺ على اختيار نوعيات معينة لتحقيق هذا الهدف، فلذلك هاجر سادات الصحابة في بداية الأمر، ثم لحق بهم أكثر الصحابة، وأوكل الأمر إلى جعفر رضي الله عنه.

وقد امتازت شخصية جعفر بعدة أمور جعلته قادراً على التعريف بالإسلام على أكمل وجه:

يقول الدكتور الصلابي: «كان جعفر من ألصق الناس برسول الله ﷺ، فقد عاش معه في بيتٍ واحد، فهو أخبر الناس به.

والموقف بين يدي النجاشي يحتاج إلى بلاغة وفصاحة، وبنو هاشم قمة قريش نسباً وفضلاً، وجعفر في الذؤابة من بني هاشم، وهم أفصح الناس لساناً، وأوسطهم نسباً.

وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئناناً وثقةً بما يعرض عن ابن عمه.

وخُلُق جعفر مقتبس من مشكاة النبوة، فالسفير بين يدي النجاشي كان قدوة لسفراء المسلمين على مر الزمان، وكل العصور، فقد اتصف بسمات السفراء المسلمين؛ كالإسلام والانتماء إليه، والفصاحة، والعلم، وحسن الخلق، والصبر، والشجاعة، والحكمة، وسعة الحيلة، والمظهر الجذاب»[(٢)].

٣ ـ لا بد من الدقة في اختيار النوعيات التي تعرِّف بالإسلام:

فاختيار النبي ﷺ للنجاشي ليس عبثاً، واختيار الحبشة ليس عبثاً كذلك، فقد فشلت خطة قريش الداعية إلى تشويه الإسلام؛ لأن شخصية النجاشي التي اختارها الرسول ﷺ يعلم أنها شخصية عادلة، لا تحكم على الشيء قبل التعرف

(١) العودة، «الهجرة الأولى في الإسلام»، ط١، ص٣٧.
(٢) الصِّلَّابي، «السِّيرةُ النّبوية»، ط٧، ١/٣٠٣. باختصار.

عليه، وبذلك كانت الفرصة للمسلمين أن يعرضوا إسلامهم ودينهم القويم، فتم بذلك التعرف وتمت النصرة.

٤ ـ أهمية إتقان المعرِّف لأدوات الإقناع والتعريف بالإسلام وإزالة الشُّبه عنه:

«فقد كان رد جعفر على أسئلة النجاشي في غاية الذكاء، وقمة المهارة السياسية، والإعلامية، والدعوية، والعقدية، حيث قام بالتالي:

١ ـ عدَّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفر السامع، وقصَدَ بذلك تشويه صورة قريش في عين الملك، وركز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلا بنبوة.

٢ ـ عرض شخصية الرسول ﷺ في هذا المجتمع الآسن المليء بالرذائل، وكيف كان بعيداً عن النقائص كلها، ومعروفاً بنسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه.

٣ ـ أبرز محاسن الإسلام، وأخلاقه، التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، مثل نبذ عبادة الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية؛ فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء، التي بعثوا بها من لدن موسى وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

٤ ـ فضح ما فعلته قريش بهم؛ لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على محمد ﷺ، وتخلقوا بخلقه.

٥ ـ أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، بأنه لا يُظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه.

٦ ـ أوضح أنهم اختاروه كهفاً من دون الناس، فراراً من ظلم هؤلاء الذين يريدون تعذيبهم؛ وبهذه الخطوات البيِّنة الواضحة دحر بلاغة عمرو وفصاحته، واستأثر بلب النجاشي وعقله، وكذلك استأثر بلب وعقل البطارقة، والقسِّيسين الحاضرين.

٧ ـ وعندما طلب الملك النجاشي شيئاً ممَّا نزل على محمد ﷺ، جاء

صدر سورة مريم في غاية الإحكام، والروعة، والتأثير، حتى بكى النجاشي، وأساقفته، فسورة مريم تتحدث عن مريم وعيسى عليهما السلام.

٨ ـ كان رده في قضية عيسى عليه السلام دليلاً على الحكمة والذكاء النادر، فرد بأنهم لا يألهون عيسى ابن مريم، ولكنهم كذلك لا يخوضون في عرض مريم عليها السلام، بل عيسى ابن مريم كلمته، وروحه، ألقاها إلى مريم البتول العذراء الطاهرة، وليس عند النجاشي زيادة عمَّا قال جعفر، ولا مقدار هذا العود»[(١)].

ونتج عن عملية التعريف بالإسلام التي تمت عند النجاشي عدة أمور، منها:

١ ـ تم تصحيح التصور الخاطئ الذي وصل إلى النجاشي عن طريق وفد قريش، عن الإسلام ورسول الإسلام.

٢ ـ بناء تصور صحيح عن الإسلام، ورسول الإسلام، ومنهج الإسلام.

٣ ـ نصرة النجاشي للمسلمين وحمايته لهم.

٤ ـ وبعد ذلك أسلم النجاشي رضي الله عنه.

٥ ـ كانت بداية إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه بأرض الحبشة، وإن كانت كثير من المرويات تتجه إلى أن بداية إسلام عمرو بن العاص كانت على يد النجاشي، وهو المشهور كما يقول ابن حجر[(٢)] وهي لطيفة لا مثيل لها، إذ أسلم صحابي على يد تابعي.

وهذا بلا شك أثر من آثار مجلس التعريف بالإسلام، الذي كان بين النجاشي وجعفر رضي الله عنهما، بحضور وفد قريش، فقد كان عمرو بن العاص أحد المبعوثين في الوفد، وهو برهان على ما حققته رحلة التعريف بالإسلام إلى الحبشة من مكاسب للإسلام.

٦ ـ من حكمة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أنه لم يهاجر إلى الحبشة لأسباب كثيرة ذكرها العلماء، ولكن ما يهمنا هنا في قضية التعريف بالإسلام؛ أن

---

(١) الصَّلَّابي، «السِّيرةُ النّبوية»، ط٧، ١/٣٠٦. باختصار.

(٢) انظر: العودة، «الهجرة الأولى في الإسلام»، ط١، ص١٦٧.

على المعرِّف بالإسلام أن يختار البيئة المناسبة لدعوته إلى الإسلام «فالبيئة الحبشية لم تكن لتسمح لهذا الدين اللاجئ أن ينمو إلى جوار المسيحية، ولم تكن الرومان لتسمح للحبشة بذلك»[(١)].

ثانياً: تعريف مصعب بن عمير رضي الله عنه بالإسلام من خلال قصة إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما:

كان سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير رضي الله عنهما، سيدا قومهما، وكانا مشركين، فلما سمعا بمصعب بن عمير رضي الله عنه، ونشاطه في الدعوة إلى الإسلام، قال سعد لأسيد: لا أباً لك، انطلق إلى هذين الرجلين، اللذين أتيا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

فأخذ أُسيد حربته ثم أقبل عليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال: هذا سيد قومه، وقد جاءك، فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب بلسان المؤمن الهادئ الواثق من سماحة دعوته: أَوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره؟

قال أسيد: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام ـ قبل أن يتكلم ـ في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي، فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكم الآن: سعد بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد مقبلاً، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي

---

(١) انظر: سبع، «أضواء على الهجرة»، ط١، ص٣٢٠.

ذهب به من عندكم! فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة، ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحقروك.

فقام سعد مغضباً مبادراً مخوفاً للذي ذكر له من أمر بني حارثة، وأخذ الحربة في يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما سعد فوجدهما مطمئنين، فعرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره، وكان أسعد قد قال لمصعب: لقد جاء والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف منهم اثنان، فقال له مصعب: أَوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، فقال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة، وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ القرآن، قالا: فعرفنا ـ والله ـ في وجهه الإسلام ـ قبل أن يتكلم ـ في إشراقه وتسهله.

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل، فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، ثم تشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه، ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً؛ قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم! فلما وقف عليهم، قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأياً، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة(١).

فلو نظرنا إلى الجهد الذي قام به مصعب مع زعيمين من زعماء المدينة؛

---

(١) انظر: أبو شُهبة، «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسُّنَّة»، ط٨، ١/ ٤٤٤، الألباني، «صحيح السيرة النبوية»، ط١، ص٢٩١.

لوجدنا أنه عرَّفهما بالإسلام من خلال قراءة القرآن، وعرض الإسلام عليهما ليعرفوه، فما كان منهما إلا أن أسلما، وذلك بعد التعريف.

فإن مصعب ﷺ لم يدعُ أسيداً ولا سعد بن معاذ للإسلام، وإنما هما اللذان سألا واستفسرا ـ بعد أن عرفهما بالإسلام ـ عن كيفية الدخول في هذا الدين، وهذا يشبه حال المسلمين اليوم في العالم من الضعف، وقلة النصير؛ فكان أمر التعريف بالإسلام وعرضه مجرداً من الدعوة الصريحة لاعتناقه هو الأنسب لهذا الحال.



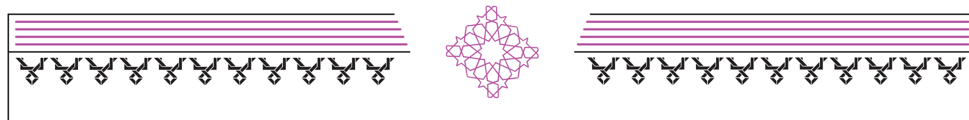
الفصل الثاني

تاريخ التعريف بالإسلام وواقعه

المبحث الأول: نشأة مصطلح التعريف بالإسلام وأسباب الظهور.

المبحث الثاني: أهمية التعريف بالإسلام.

المبحث الثالث: أهداف التعريف بالإسلام.



المبحث الأول

نشأة مصطلح التعريف بالإسلام وأسباب الظهور

الحديث عن التعريف بالإسلام كمصطلح في هذا الوقت لَمِنَ الأهمية بمكان؛ في حين لم نكن بحاجةٍ ماسةٍ له في الأزمنة السابقة كالعصور المفضلة، وفي أزمنة تدين الناس، وبخاصة العوام؛ فقد فتحوا الدنيا بسلوكهم العام، وأخلاقهم العملية؛ فانتشر الإسلام في آسيا، وأفريقيا، وغيرها من البلدان، وأما اليوم وفي ظل الآتي:

١ ـ ظهور مصطلح «الإسلام فوبيا» وانتشاره بين النخب السياسية، وتصوير الإسلام بأنه أخطر قادم[(١)].

٢ ـ الحملات المنظمة التي بدأت تشنها بعض الجمعيات، والمؤسسات، بل الدول الغربية في تشويه صورة الإسلام، ورموزه، ومجتمعاته، وقيمه، وأخلاقه[(٢)].

٣ ـ جهل المسلمين بدينهم، وممارستهم لشعائره بطريقةٍ خاطئة، أو عدم ممارستها بالكلية.

٤ ـ انتشار البعثات الدراسية إلى البلاد غير الإسلامية بشكلٍ كبير، مع ضعف لدى هؤلاء المبتعثين في تمسكهم بدينهم، ممَّا نتج عنه تصور خاطئ عن الإسلام.

٥ ـ الاستغلال القبيح للأخطاء التي تقع من بعض الجماعات الإسلامية، وتضخيمها، وإبرازها، ومحاولة جرِّها وإلباسها على كل ما هو مسلم، ومحاولة

---

(١) شتوان، «مجلة الوعي الإسلامي»، دار الوطن (الكويت)، العدد ٥٦٩.

(٢) البهي، «الحملة الصليبية والاستشراق الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»، ط١٠، ١/ ١٦٧.

خلق فزّاعة منها لإرهاب المسلمين، وغيرهم، وتنفيرهم عن الإسلام[١].

٦ ـ النفور العام من فكرة تحكيم الشريعة، والخوف الذي يجتاح المجتمعات الإسلامية من الحكم الإسلامي؛ تطرح تحدياً جديداً قديماً على كل العاملين في حقل الدعوة والعمل الإسلامي فإما أن يستعدوا للمواجهة، وإما أن يستعدوا للزوال[٢].

٧ ـ تنامي الدعوات إلى تقارب الأديان من قبل الساسة، ممَّا ينذر بخطرٍ قادم على الأمة[٣].

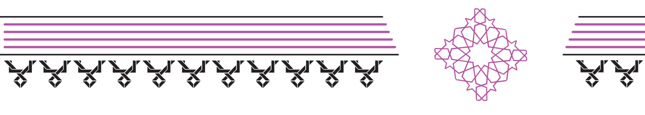
٨ ـ تطور وسائل وأدوات الدعوة إلى الله تعالى، ممَّا يتطلب مواكبةً للعصر الحاضر وتحدياته.



(١) مثل: تنظيم القاعدة، وداعش.

(٢) وذلك بمحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة، وتحت أسماء خادعة رقيقة، مثل: «التغريب، والتحديث، أو الحداثة، والتمدين، والتحضر، والتغيير الاجتماعي»، ينظر: الرحيلي، «العلمانية وموقف الإسلام منها»، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٥ ـ السنة ٣٤ ـ ١٤٢٢هـ، ص٣٨١.

(٣) وهي دعوات حديثة، مثل: «تقارب الأديان»، و«وحدة الأديان»، و«العولمة الغربية».



المبحث الثاني

أهمية التعريف بالإسلام

الحديث عن أهمية التعريف بالإسلام مدخلٌ مهمٌ لفهم أهدافه، ولذلك يحسن بنا الإشارة إلى أهميته من خلال النقاط التالية:

١ ـ فهم أهداف وأهمية التعريف بالإسلام تؤدي إلى فتح آفاق جديدة للدعوة إلى الله، وتفتح أبواباً ومجالات أخرى للدعوة.

٢ ـ إذا علم المعرِّف الهدف والثواب العظيم من تعريفه، هانت أمامه كل الصعوبات في سبيل تحقيق ذلك الهدف، واجتهد في العمل الدائب على تنفيذ أمره سبحانه وتعالى.

٣ ـ معرفة أهمية أهداف التعريف بالإسلام تؤدي إلى التوازن، والتعاون، والتنوع، والتخصص في المجالات، والأعمال، والبرامج.

٤ ـ إن فهم المعرِّف لأهمية أهداف التعريف بالإسلام، يجعله متحفزاً في سلوك هذا التخصص؛ ليكون عالماً بمجالاته، وحدود عمله.

٥ ـ توزيع الطاقات المسلمة في سبيل تبليغ دين الله تعالى إلى البشرية.

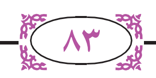
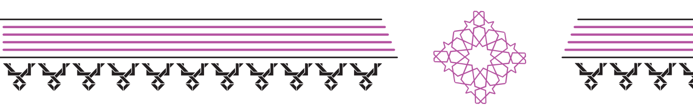
٦ ـ فهم أهمية أهداف التعريف بالإسلام؛ يضبط أفكار المعرِّفين، وتفكيرهم، ويساعدهم في إدراك مآلات الأفعال، والأقوال، ويجعلهم يتخيرون من الأقوال أنسبها، وينزلونها في خير محلها، وعلى أحسن أحوالها.

٧ ـ إدراك أهمية وأهداف التعريف؛ يعين المعرِّفين على ردِّ الشبهات التي تثار حول الإسلام؛ ببيان منهجه الأصيل، وإدراك مراميه وأهدافه، فتستبين صورة الإسلام واضحة.

٨ ـ إدراك أهداف التعريف بالإسلام يساعد الدعوة في تحقيق أهدافها، وترشيد مسيرتها بأقصر طريق، وأقل وقت وجهد مبذول، وبقليل من المواجهات.

ومن هنا يتبين لنا أهمية هذا الفصل في العمل في جانب التعريف بالإسلام، حيث أنه إذا تم إدراك تلك الأهداف والأهمية؛ اتضحت مسيرة العمل.



المبحث الثالث

أهداف التعريف بالإسلام

للتعريف بالإسلام أهداف كثيرة من أبرزها:

أولاً: براءة الذمة والإعذار إلى الله:

«البراءة: يقال بَرِئتُ إليك من كذا: أي أنا بريٌ منه فلا عتبَ لكَ عليَّ، ويقال: برئتُ منك ومن الدُّيون والعيوب براءةً، والبُرء الشفاء، والبراءة الخلو»[(١)].

والذمة: «الذَّمُّ نقيض المدح، والعَهْد يسمَّى ذِماماً؛ لأن الإنسان يُذَمُّ على إضاعته منه، والذِّمَّةُ أهل العقد، والذِّمّةُ الأَمان، والذمة: الضَّمانِ، والحُرْمَةِ، والحق»[(٢)].

فبراءة الذمة هي: «خروج المعرِّف بالإسلام من عهدة التكليف بتبليغ دين الله للناس.

قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤]، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة، لكان ملوماً»[(٣)].

فقد روى الطبري بسنده عن ابن زيد أنه قال: «قد بلغت ما أرسلناك به، فلست بملوم، وكيف يلومه، وقد أدّى ما أمر به»[(٤)].

قال الشيخ الأمين: «نفيه ﷻ في هذه الآية الكريمة للوم عن نبيه ﷺ، يدل على أنه أدى الأمانة، ونصح للأمة»[(٥)].

والإعذار إلى الله: «من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٤/ ٦٩.
(٢) «لسان العرب»، ١٢/ ٢٢٠.
(٣) الصالح، مقال بعنوان «إشراقات قرآنية من سورة العصر فوائد ودروس»، مجلة البيان، العدد: [١٦٠].
(٤) الطبري، «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، ط١، ٢٢/ ٤٤٣.
(٥) الشنقيطي، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، د. ط، ٧/ ٤٤٣.

﴿١٦٤﴾ [الأعراف: ١٦٤]، والمَعْذِرةُ من عَذَرَ يَعْذِر أُقِيم مُقام الاعتذار، فيكون المعنى نَعْتَذِرُ مَعْذِرَةً بوَعْظِنا إِيَّاهم إِلى ربنا»[١]. «وأعذَر فلانٌ إذا أَبْلَى عُذْراً فلم يُلَمْ»[٢].

والإعذار في التعريف بالإسلام القيام به؛ طلباً للعذر من الله، وعدم الملامة.

ويخص الإعذار إلى الله تعالى؛ عندما يقوم المعرِّف بالإسلام باستفراغ الجهد في بيان الإسلام، وعرضه، ولو لم تحصل الاستجابة، وذلك لكي لا نكون من الذين أمرهم الله تعالى بالتعريف بدينهم فرفضوا، قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا توبيخٌ من الله وتهديدٌ لأهل الكتاب، الذين أخَذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوِّهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهْبَة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عمَّا وعدوا عليه من الخير في الدنيا، والآخرة، بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم».

وفي هذا تَحْذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويُسْلكَ بهم مَسْلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سُئل عن علم فكتمه؛ أُلْجِم يوم القيامة بلجامٍ من نار**»[٣][٤].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٤/ ٥٤٥.

(٢) الرازي، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٤/ ٢٥٤.

(٣) جاء من حديث أبي هريرة، ومن حديث أنس، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أما حديث أبي هريرة، فأخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ١٣/ ١٨، حديث رقم (٧٥٧١)، وأبو داود في «سننه»، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، ٣/ ٣٢١، حديث رقم (٣٦٥٨)، والترمذي في «سننه»، أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، ٤/ ٣٢٦، حديث رقم (٢٦٤٩)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه في «سننه»، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من سئل عن علم فكتمه، ١/ ٩٧، حديث رقم (٢٦٤).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» ٢/ ١٨١ ـ ١٨٢.

ثانياً: طلب الأجر من الله تعالى:

وهذا هدفٌ مُسَلَّمٌ به، وكفى به هدفاً سامياً؛ فالدلالة على الخير من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأي خير أعظم من أن يعرف الناس جميعاً الإسلام، وما فيه من خيرٍ لهم، وما فيه من جوانب ـ لو عرفها غير المسلمين ـ لتغيرت صورة الإسلام في نفوسهم ولحصل لهم الخير في دنياهم وأخراهم.

والمسلم مطالبٌ أن يقصد بكل عمل يعمله رضا الله تعالى، وثوابه، وجنته، وإلا لذهب عنه الخير الذي أعده الله تعالى لكل قاصدٍ بعمله رضا الله ﷻ(١).

ثالثاً: قيام الحجة على المُعَرَّفين بالإسلام:

«الحجة في كلام العرب ما يقصد بها إثبات المخالف، بحيث لا يجد منه تفصّياً(٢)، ولذلك يقال للذي غلَب مخالفه بحجته قد حَجَّه.

والاحتجاج: إتيان المحتج بما يظنه حجة، ولو مغالطة، يقال: احتج، ويقال: حَاجَّ؛ إذا أتى بما يظنه حجة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالحجة: لا تطلق حقيقةً إلّا على البرهان، والدليل الناهض، المبكت للمخالف، وأما إطلاقها على الشبهة فمجاز؛ لأنها تُورَد في صورة الحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورى: ١٦] فهم يأتون بحجة؛ أي: بما يشبه الحجة»(٣).

---

(١) القحطاني، «عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُّنَّة» ـ المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، د. ط، ٢/ ٧٠٢.

(٢) تفصياً: أي: خُروجاً، يُقال: تَفَصَّيْتُ من الْأمر تَفَصِّياً: إذا خرجْتَ منه وتَخَلَّصْت. انظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٣/ ٨٧١.

(٣) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٢/ ٤٦.

فإقامة الحجة: هي: بيان الحق للناس كلٌّ بحسبه، قطعاً للعذر إذا سألهم عن أوامره هل التزموا بها، وعن نواهيه هل كفُّوا عنها؟ فإذا لم يجيبوا كانت الحجة عليهم.

وتقام الحجة على المُعَرَّفين بالإسلام: بإرسال الرسل، وقيام أتباع الرسل بالتعريف بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥]، والتبيين ـ كما سبقت الإشارة ـ هو التعريف والإظهار.

رابعاً: دخول الناس في الإسلام:

وهذا هدفٌ سامٍ جدّاً يطمح إليه المعرِّف بالإسلام، قال رسول الله ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**». ولكنه لا يتوقف عنه؛ لأن دخول الناس في الإسلام ليس في استطاعة الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يطالبوا به ـ فضلاً عمَّن دونهم ـ، وإلا لكان أولى الناس بذلك الحبيب المصطفى ﷺ، إذ كان إسلام عمه الذي كان يحوطه ويرعاه ويحافظ عليه أحب إليه من أن يموت مشركاً.

فنحن نطمح أن يدخل كل الناس في الإسلام، وسبيلهم إلى ذلك التعرُّف عليه، ومن لا يريد أن يسلم فتحصل له المعرفة، أملاً في أن يتخذ موقفاً إيجابياً تجاه الإسلام، أو أن يلتزم الحياد، الذي يقلل من حدة المواجهة مع غير المسلمين، فهم لو عرفوا الإسلام حق المعرفة لم يواجهوه تلك المواجهة.

خامساً: بناء صورة صحيحة عن الإسلام:

وهذا الهدف من الأهداف الرئيسة المهمة جدّاً للتعريف بالإسلام، حيث إن كثيراً من الناس لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، بل أن هناك أناس حتى الآن لا يعرفون اسم الإسلام، نظراً للمادية الحديثة التي تتحكم في عقول البشرية، أو

بسبب الطبقية الحديثة التي أدت إلى استعباد كثيرٍ من الناس، ومنعهم من معرفة الخير والنور الذي في الإسلام.

فالتعريف بالإسلام يستهدف تلك الفئة من الناس؛ التي لا تعرف من الإسلام إلا اسمه، وربما لا تعرف حتى اسم الإسلام، تطبيقاً لحديث رسول الله ﷺ: «**ليبلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدرَ ولا وبرَ إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز يعز به الإسلام، أو ذل ذليل يذل به الكفر**»[١]، فلن يحصل هذا البلوغ إلا بالتعريف بالإسلام الصحيح.

سادساً: تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام:

لقد أحاطت مخططات أعداء الإسلام[٢]، وتصرفات بعض المسلمين[٣] الإسلامَ بسياجٍ من التصورات الخاطئة عن الإسلام، وهذا من قديم الزمان بقدم الصراع بين الحق والباطل.

فما من نبيٍّ ولا رسولٍ إلا وقد شككوا فيه ورموه بأشد التهم؛ كالكذب، والسحر، والتفرقة بين الناس، وحب المال، وطلب الشهرة.

وفي العصر الحاضر كثرت هذه الشبهات، فنمت تصورات خاطئة في عقول وواقع كثير من غير المسلمين، فكانت مانعاً لهم عن قبول هذا الدين، بل اتخذ بعضهم العداء للإسلام هدفاً من أهدافه، ومنهجاً ينتهجه في حياته.

فكان التعريف بالإسلام هو الطريق لإزالة تلك الشبهات والتصورات الخاطئة، وذلك بعرض الإسلام في أبهى حلة، مع مراعاة العقل، والفطرة، وواقع البشرية.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الشاميين، حديث تميم الداري، ٢٨/ ١٥٥، حديث رقم (١٦٩٥٧)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ومن ذلك القضاء على الحكم الاسلامي، ومحو القرآن، والقضاء على وحدة المسلمين، وإبقاء العرب ضعافاً، وعدم حصولهم على القوة الصناعية، وقادة الغرب يقولون: «دَمِّرُوا الإِسْلَامَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ»، جلال العالم عبد الودود الدمشقي، ص٤٩ إلى ٥٩.

(٣) كالغش، والخداع، والكذب، وغيرها.

سابعاً: نصرة الدعوة:

يحتاج المسلمون بل كل البشر إلى التعاون، والتناصر، ورفع الظلم، والعمل على إقامة حياة كريمة للبشر جميعاً، وهذا لن يكون إذا لم يعرف يعرفون بعضهم بعضاً، ومن عرف الإسلام الصحيح وجد فيه كل عوامل النصرة، والمعايشة الطيبة، حتى مع غير المسلمين.

وقد رأينا عبر التاريخ الإسلامي كثيراً ممنْ كان عدواً للإسلام، فأصبح حامياً، ومؤدياً، ومناصراً له؛ حتى مع عدم إسلامه، وما دور أبي طالب في حماية الدعوة عنا ببعيد، حيث أنه قد عرف الإسلام حق المعرفة، ودافع عنه، ونصره، وحماه بما يستطيع، بل واجه في ذلك الحصار مع المسلمين الذي دام ثلاث سنوات، ولكن لم يسلم؛ للعصبية التي كانت عنده تجاه الآباء والأجداد.

وعتبة بن ربيعة، ما إن سمع رسول الله ﷺ يتلو القرآن حتى رجع إلى قومه مدافعاً عن رسول الله ﷺ، ينصح قومه بترك رسول الله ـ عيه الصلاة والسلام ـ وما يدعو إليه.

فالتعرف على الإسلام هو السبب الرئيس في تغير مسيرة هؤلاء بعد توفيق الله تعالى.

وبعد هذا العرض الموجز لأهداف التعريف بالإسلام؛ نستطيع القول: بأن الناس إذا عرفوا حقيقة الإسلام فإنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

١ ـ **مقتنع بالإسلام**: أي: أعجب بالإسلام، ورأى فيه خيراً اطمأنت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، ودخل فيه راغباً مختاراً، فهذا أصبح أحد أفراد المجتمع المسلم، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وهنا يبدأ واجب المسلمين في تعليمه شرائع الإسلام، وتفاصيل التكاليف.

٢ ـ **متحامل**: وهو الذي لا يرى الإسلام إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنه إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج في غروره، ويسدر في شكوكه، ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقّاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد، ونبقى على

تواصل مستمر لتعريفه بحقيقة الإسلام النقية الصافية معه، حتى نكسبه؛ إما للدخول في الإسلام، وإما تحييده، وتخفيف تحامله ضد الإسلام والمسلمين.

٣ ـ **متردد**: أي: لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف على الإسلام حق التعرف، لموانع معينة، فهذا نواصل معه فكرة التعريف، ونحاول أن نجعله يتصل بالإسلام أكثر، ويقرأ عنه، ويتعرف على المسلمين، ويعايشهم، فسيطمئن بعد ذلك ـ إن شاء الله ـ إلى الإسلام، وهذا كان شأن كثير من المترددين من أتباع النبي ﷺ من قبل أن يدخلوا في دين الله تعالى.

ومن ذاك ما رُوي أن الصحابة أسروا ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، وقدموا به المدينة، وربطوه بساريةٍ من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فَتُرِك حتى كان الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «**أطلقوا ثمامة**»، فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك؛ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان دينٌ أبغض إليَّ من دينك؛ فأصبح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان بلدٌ أبغض إليَّ من بلدك؛ فأصبحت بلدك أحب البلاد إليّ. . .» الحديث[١].

فقد تركه النبي ﷺ في المسجد ثلاثة أيام متتالية؛ لكي يرى ويشهد المسلمين وهم يصلون، ويتعاملون بينهم، ورسول الله ﷺ بينهم يعلمهم ويرشدهم، فلما رأى ذلك أسلم، مع أن النبي ﷺ لم يدعه إلى الإسلام.

وهذا هو محل حديثنا؛ فالمتردد دائماً يكون محايداً، فيستفيد الإسلام منه توقفه عن العداء، والتثبيط، والمكر للإسلام والمسلمين.

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ٥/ ١٧٠، حديث رقم (٤٣٧٢).

وما أكثر هذه الفئة المترددة المحايدة في زمننا، والتي تعتبر قاعدةً مهمةً جدّاً للتعريف بالإسلام، فهم ينقصهم المعرفة أكثر عن الإسلام، والمعايشة أكثر للمسلمين.



الفصل الثالث

أساليب التعريف وصفات المعرف

المبحث الأول: أساليب التعريف بالإسلام.

المبحث الثاني: وسائل التعريف بالإسلام.

المبحث الثالث: صفات المعرف.

المبحث الرابع: مهارات المعرف.



تمهيد

إن هدف التعريف بالإسلام هو عرض رسالة الإسلام الواضحة، وإبراز مقاصد الإسلام الكبرى لغير المسلمين، كما عرضها القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية المطهرة، وهذا الهدف يتطلب الأسلوب المناسب، والوسيلة الملائمة، في الوقت المناسب، بل هو أقصر طريق موصل لتحقيق أهداف التعريف بالإسلام بطريقةٍ مشروعة.

والداعية الناجح هو الذي يختار ما يناسب المدعوين، ويراعي خصوصياتهم، واختلاف مداركهم، وتباين ثقافاتهم، وبذلك تحقق الدعوة مواقع جديدة، وأنصاراً مؤيدين.

وإن قبول أي دعوة مهما كانت مؤيدة بالأدلة والبراهين متوقفٌ ـ غالباً ـ على حسن عرضها وأدائها بأفضل الطرق، وأحسن الأساليب؛ فكيف إذا كانت هذه الأساليب تستمد جوهرها من القرآن الكريم، الذي وضع حجر الأساس، والذي يجب أن تندرج تحته جميع الأساليب، والوسائل الدعوية، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولقد تطرق الباحثون والكتّاب لمفهوم الأساليب، والوسائل، من زوايا مختلفة، حيث تعددت وجهات النظر في ذكر هذه الأساليب، والوسائل، من حيث أنواعها، ومجالاتها، واستخداماتها، والفروقات بينها، وكلٌّ له وجهة نظر معتبرة، وقد أفدت منها في هذا الفصل، وذكرت خلاصة ما كُتُب في هذا الموضوع ممَّا يتفق مع بحثي، ولست أدعي حصرها، وإنما إشارات للعاملين في الميدان، ولفت لأنظارهم إلى ما قد يخفى أو يغفل عنه، وجعلته في أربعة مباحث، هي:

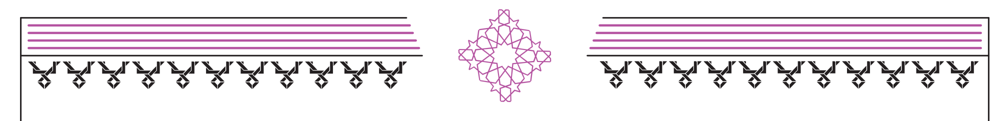
المبحث الأول: أساليب التعريف بالإسلام.

المبحث الثاني: وسائل التعريف بالإسلام.

المبحث الثالث: صفات المعرف.

المبحث الرابع: مهارات المعرف.



المبحث الأول

أساليب التعريف بالإسلام

تمهيد

الأسلوب في اللغة:

الطريق، والوجه، والمذهب، يُقال: أنتم في أسلوب سواء، ويُجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه.

والأسلوب بالضم الفن، يُقال: أخذ فلان في أساليب القول؛ أي: أفانين منه[(١)].

وفي المعجم الوسيط: الأسلوب: الطريق، ويُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته[(٢)].

الأسلوب كلمة جاءت من الفعل الثلاثي: سلب، وهو من باب نصر وقتل.

والأساليب: هي الفنون المختلفة[(٣)].

والأسلوب: هو الطريق، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: أي: طريقته ومذهبه.

الأسلوب في الاصطلاح:

نظراً لشمولية المعنى اللغوي للأسلوب، فمن الصعب تحديد مصطلح عام يشمل جميع الفنون والتخصصات، وحيث إن ما يتعلق بموضوع هذه الدراسة في

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٢/ ١٧٨.
(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/ ٤٤٠.
(٣) الراغب الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، ط١، ص٢٣٨.

جانب الدعوة إلى الله تعالى، فسيكون التعريف خاصّاً بالأسلوب الدعوي، قال الدكتور أبو المجد السيد نوفل رحمه الله تعالى في تعريف الأسلوب الدعوي بأنه هو: «عرض ما يراد عرضه من معاني، وأفكار، ومبادئ، وأحكام، في عباراتٍ وصيغ ذات شروط معينة»[١].

وقيل هو: صيغ التبليغ في دعوة الناس[٢].

وقيل: إن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته[٣].

وقيل: أنه طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح، والتأثير[٤]. وقيل: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته[٥]. وقيل: عرض ما يراد عرضه من معانٍ، وأفكار، وقضايا، في عباراتٍ وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقامٍ من المقال[٦].

والأسلوب في مجال الدَّعوة إلى الله: الطريقة التي يلجأ إليها الدَّاعي إلى الله في دعوته، ليحقق بها أهداف الدَّعوة[٧].

ومن خلال معاني الأسلوب في اللغة، وتعريفاته في الاصطلاح، يتضح أن الأسلوب هو: «طريقة العرض، والتأثير، والإقناع، التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو، وإقناعه بما يدعو إليه، ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إلى تحقيقه»[٨].

---

(١) نوفل، «الدعوة إلى الله تعالى ـ خصائصها ـ ومقوماتها ـ ومنهاجها»، ط١، ص١٨٩.
(٢) الساداتي، «الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام»، ط١، ص٤٨.
(٣) الرومي، «خصائص القرآن الكريم»، ط٤، ص١٨.
(٤) الشايب، «الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)»، د. ط، ص٤٤.
(٥) «خصائص القرآن الكريم»، ط٤، ص١٨.
(٦) أبا بطين، «المرأة المسلمة المعاصرة ـ عدادها ومسؤوليتها في الدعوة»، د. ط، ص٥٢٣.
(٧) محمود، «فقه الدَّعوة إلى الله»، ط/١، ١/ ٢١٥.
(٨) الخياط، «الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر»، د. ط، ص١٠٤.

وفيما يلي ذكر لبعض الأساليب التي يحتاجها الداعية في دعوة غير المسلم:

١ ـ أسلوب القدوة:

أولاً: مفهوم أسلوب القدوة:

ونقصد به: الحالة الّتي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره؛ إن حسناً، وإن قبيحاً، وإن سارّاً، وإن ضارّاً[(١)]. وقال الشّيخ محمّد الأمين الشّنقيطيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] الأسوة كالقدوة، وهي اتّباع الغير على الحالة الّتي يكون عليها حسنة، أو قبيحة[(٢)]، وقال القرطبيّ: واختلف في هذه الأسوة بالرّسول ﷺ، هل هي على الإيجاب، أو على الاستحباب، على قولين: أحدهما على الإيجاب حتّى يقوم دليل على الاستحباب، الثّاني على الاستحباب حتّى يقوم دليل على الإيجاب، ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدّين، وعلى الاستحباب في أمور الدّنيا[(٣)].

وليس للمسلمين من سبيل إلّا هذا السبيل، التأسي بخطوات محمّد ﷺ، وأصحابه، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، في كلّ ظاهرة، وخفيّة، وفي كلّ دقيقة، وجليلة، وفي العبادة والتّفكير، والحرب، والتّدبير، والسّياسة، والدّعوة، والجرأة، والحكمة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ولا يصلح آخر هذه الأمّة إلّا بما صلح عليه أوّلها.

إنّ محمّداً ﷺ لم يعمد إلى إصلاحٍ اقتصاديّ، أو أخلاقيّ، أو صحيّ، أو سياسيّ، أو إداريّ، أو علميّ؛ فحسبٍ؛ ولكنّه مع ذلك عمد إلى إصلاح

---

(١) المناوي، «التوقيف على مهمات التعاريف»، ط١، ص٥١، الكفوي، «الكليات»، د. ط، ص١١٤.

(٢) الشنقيطي، «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، د. ط، ٨/ ١٣٥.

(٣) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ص١٥٥ ـ ١٥٦.

الإيمان، ودعا بدعوة التّوحيد، فكان من بعد ذلك كلّ إصلاح، وكلّ قوّة، وكلّ خير(١).

والأسوة نوعان: حسنة، وسيّئة، فالحسنة: الاقتداء بأهل الخير، والفضل، والصّلاح، في كلّ ما يتعلّق بمعالي الأمور وفضائلها.

والسّيّئة: تعني السّير في المسالك المذمومة، واتّباع أهل السّوء، والاقتداء من غير حجّة، أو برهان(٢).

وتبرز أهمية أسلوب (القدوة الحسنة) في عدة أمور، منها:

١ ـ أن الله ﷻ جعل لعباده أسوة عملية في الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والصالحين من عباده، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم، فأرسل الرسل، وقصَّ على المؤمنين قصصهم، وعرض سيرتهم، ثم أمر باتباعهم، والاقتداء بهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ الآية [الأنعام: ٩٠].

٢ ـ إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس، على مختلف مستوياتهم، حتى الأمي منهم، فبإمكان كل امرئٍ أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه.

ومن هنا: كان فضل الصحبة للصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ لا يعدله شيء، وكان إنكار الله عظيماً على من يخالف قوله عمله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

٣ ـ إن القدوة الحسنة تثير في نفس العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان، فتتهيج دوافع الغيرة لديه، ويحاول تقليد ما استحسنه وأعجب به.

٤ ـ إن القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة.

٥ ـ إن مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى

---

(١) المصري، «مقتطفات من كتاب المسؤولية»، د. ط، ص٣٧ ـ ٤٠.

(٢) ابن حميد، «مبادئ ونماذج في القدوة»، د. ط، ص٥ ـ ٦. بتصرف يسير.

أمام الرؤية بالعين المجردة لمثالٍ حي؛ فإن ذلك أيسر في إيصال المفاهيم التي يريد المربي إيصالها للمقتدي.

٦ ـ إن الأتباع ينظرون إلى القدوة نظرة دقيقة دون أن يعلم، فرب عمل يقوم به لا يلقي له بالاً يكون في حسابهم من الكبائر.

٧ ـ المثال الحيّ المرتقي في درجات الكمال البشري، يثير في نفس البصير العامل قدراً كبيراً من الاستحسان، والإعجاب، والتّقدير، والمحبّة.

٨ ـ الأتباع ينظرون إلى القدوة نظرة دقيقة فاحصة دون أن يعلم.

لقد انتشر الإسلام في كثيرٍ من بلاد الدّنيا بالقدوة الطّيّبة للمسلمين، والّتي كانت تبهر أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، والقدوة الحسنة الّتي يحقّقها الدّاعي بسيرته الطّيّبة؛ هي في الحقيقة دعوة عمليّة للإسلام، يستدلّ بها سليم الفطرة، راجح العقل من غير المسلمين؛ على أنّ الإسلام حقّ من عند الله تعالى، قال تعالى للمؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة: ٤ ـ ٦].

القدوة الحسنة: وسيلة من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ، قدوة الدعاة إلى الله تعالى، بل يجب على الناس أجمعين أن يقتدوا به ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ، قدوة وأسوة عملية، وقولية، لأتباعه، فقد تخلَّق بأصول الأخلاق، والحكمة: فحلُم على الأعراب، ولم يعاقبهم على إساءة

الأدب معه ﷺ، ومع هذا وعدهم خيراً، وبيَّن لهم وسيلة أخرى من وسائل الإِيضاح، فقال: «**لو كان لي عَدَد هذه العضاه نَعَماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوباً، ولا جباناً**». وهذا كله يدل على رغبته ﷺ في أن يقتدي به الناس في هذه الأخلاق الكريمة(١).

ولقد عرض عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فيما عرض على النبي ﷺ أن قال: «أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة؛ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً وأخذاً، وإن كان إنما بك من الباءة، فاختر أي نساء قريش شئت، فلنزوجك عشراً»(٢).

هذا عرض رجل جاهل لا يعرف أقدار الناس، ولا منازل الرجال، فقد عرفت قريش محمداً ﷺ في شبابه أعف الرجال نفساً، وأطهرهم قلباً، وأنقاهم خاطراً، وما هفا هفوة صغيرة، فقد عصمه الله، وكان هو الأمين وحده، دون سائر شباب قريش وشيوخها أجمعين.

ولقد كان أرضاهم وهو صغير، فماذا حدث لعقولهم بعد أن جاءهم بالروح الأمين؟! مقالة شنعاء، وقحة بذيئة، جافية، جامدة، عمياء، قالها عتبة بن ربيعة ويستحق في مقابلها ردّاً مساوياً لها؛ جفوةً وقسوةً، وإيلاماً، ولكن الداعية الأول ﷺ يقدم في رده برهاناً على أنه لا يخالفهم إلى ما ينهاهم عنه.

لقد أبرز النبي ﷺ أسلوباً من أساليب الدعوة في رده على عتبة بقوله: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**» في هدوء، واتزان رزين، وصفح كريم، وعفو صادق.

«**أفرغت يا أبا الوليد؟**». بهذا الأدب الجم واستعمال الكنية في مخاطبة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وبنداءٍ رخي هادئ؛ يتحدث الرسول ﷺ إلى عتبة مجيباً عليه بعد أن تحدث طويلاً، وأفرط في الحديث، وذكر كلاماً يثير الحليم، ويهيج العفيف، ويغضب الحر.

يقولها رسول الله ﷺ معلناً بها؛ إن مبدأ العمل مع الجماعة في نظر الدعوة

---

(١) القحطاني، «فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري»، ط١، ١/ ٢٥٠.

(٢) السهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ٣/ ١٤٩، السيوطي، «الخصائص الكبرى»، د. ط، ١/ ٢٨٣، ابن الجوزي، «الوفا بأحوال المصطفى»، د. ط، ١/ ٢٠١.

هو مطابقة سلوك الداعية مع المبادئ الإسلامية، فتلا عليه القرآن حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: ١٣].

فأمسك عتبة بفم رسول الله ﷺ خوفاً من نزولها، فإنه يعلم أن محمداً لصادق، وأنه ما كذب أبداً[(١)].

ولم يكن ذلك الحلم مرةً واحدة، لقد كان منهجاً في أسلوب العمل لنشر الإسلام، ولقد ذهب رسول الله ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى عبادة الله وحده[(٢)]، لكن القوم آذوا رسول الله ﷺ بصورةٍ شنيعةٍ قاسية، لا تتفق مع الواجبات الأخلاقية لضيفٍ، أو قريبٍ، أو عابر سبيل.

لقد سلَّطوا عليه سفهاءهم، وعبيدهم، فجعلوا يسبونه، ويصيحون به، ويرضخونه بالحجارة، حتى أدموا رجليه، وهم يضحكون، ويأتي ملك الجبال ليستأذن رسول الله ﷺ في أن يطبق الأخشبين على قوم ثقيف، ويقول ملك الجبال للنبي ﷺ: (أنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بما شئت، فإن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)[(٣)].

ولكن الإسلام دعوة لصلاح الناس، والنبي ﷺ رحمة للعالمين، فهل تبقى المبادئ الإسلامية نظرية فقط؟ هنا يأتي دور التطبيق والقدوة الحسنة فيقول النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئاً**»[(٤)]. ويصفح رسول الله ﷺ الصفح الجميل، ويدعو دعاءً نديّاً، رخيّاً، أخّاذاً

---

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ١/ ٢٩٥، ابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ١/ ٥٠٤ ـ ٥٠٥، الزرقاني، «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، ط١، ١/ ٢٥٦، الحلبي، «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ط٢، ١/ ٢٣٩، السيوطي، «الخصائص الكبرى»، د. ط، ١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ط٢، ١/ ١١.

(٣) هما جبلان يضافان تارة إلى مكة، وتارة إلى منى، وهما واحد، **أحدهما**: أبو قبيس، **والآخر**: قعيقعان. ويقال: بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك، ويسميان الجبجبين أيضاً. الحموي، «معجم البلدان»، ط٢، ١/ ١٢٢.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ٣/ ١٤٢٠، حديث رقم (١٧٩٥)، وانظر: ابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ٢/ ١٥٣، السيوطي، «الخصائص الكبرى»، د. ط، ١/ ٣٠١، =

بالنفس، والمشاعر، والوجدان، يعلم الداعية في كل زمنٍ كيف يكظم غيظه، ويعفو عن قومه ويدعو ربه: «**اللَّهُمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني؟ أم إلى عدوٍّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضبٌ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العُتْبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**»(١).

ولم يكن هذا السلوك من النبي ﷺ في مكة فقط، بل إن هذا السلوك استمر مع الدعوة في كل ظروفها؛ يخلصها لله تعالى، ويجعل كل حركة فيها ابتغاء وجهه سبحانه، ويبرهن في كل مصيبة يأتي بها الأعداء؛ أن الدعوة ما تقصد إلا تكريمهم، وتوقيرهم، وإعزازهم، واحترامهم، ففي الشفا:

روي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته، وشجَّ وجهه الكريم يوم أُحُد؛ شق ذلك على أصحابه، وقالوا: لو دعوت الله عليهم؟!

فقال عليه الصلاة والسلام: «**إني لم أبعث لعَّاناً، ولكن بعثت داعياً، ورحمة، اللَّهُمَّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»(٢).

ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي وعاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأبطئوا عليه، فأنف الطفيل منهم ذلك الإبطاء، فهو رجلٌ وجيه في قومه، وإنه للبيب، ذكي، مشهور بالألمعية، والفطنة، والرجاحة، وما كان يظن أن قومه يلبثون ملياً إذا دعاهم إلى الإسلام حتى يجيبوا داعي الله، فلما أبطئوا عليه؛ جاء إلى رسول الله ﷺ بمكة، فقال له: يا رسول الله! إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم!

لقد ضاقت نفس الداعية، ونفد صبره، وكره من قومه الاستمرار في

= القسطلاني، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، د. ط، ١/١٥٨، الحلبي، «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ط٢، ١/٥٠٣.

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ١/٤٢٠، الطبري، «تاريخ الطبري»، ط٢، ٢/٣٤٥.

(٢) السبتي، «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، ط٢، ١/١٤.

الضلالة والانحراف، ولكنه هو واثق من دعوته ومبادئه؛ فاستعان برسول الله ﷺ أن يدعو الله عليهم ليهلكهم.

ولكنه منطق لا يتفق مع عالمية الإسلام واستمراره إلى يوم القيامة، فليس بعد الإسلام دين آخر، حتى يهلك هؤلاء، ثم يأتي قوم آخرون، ولهم نبي آخر كما فعل بأشياع الكافرين في الغابر، إنه دين خاتم، ورسالة سرمدية إلى يوم القيامة، ومنهج يربي، ويسوس، ويبني لخير الإنسانية كلها، ولهذا قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهد دوساً**». ثم قال للطفيل: «**ارجع إلى قومك، فادعهم، وارفق بهم**»[(١)].

لقد كان الخُلُق الفاضل، والمؤانسة، والوداد، والصفح؛ هي أسلوب النبي ﷺ مع معاندي الدعوة، حتى تبرز معالم الإسلام، وحقائقه، وأفضاله؛ ولهذا كان الرسول ﷺ دائماً ودوداً، رؤوفاً، صفوحاً، وكان لا ينادي الواحد من أعداء الدعوة إلا بالكنية المؤدبة، والاسم اللطيف.

وفي الخصائص الكبرى، عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفنا رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة؛ إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «**يا أبا الحكم! هلمّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله...**»[(٢)].

إن مكانة النبي ﷺ في قومه معروفة مشهورة، ومركزه فريد في القوم، وأبو جهل واحد من كبار أعداء الله ورسالته، ولكن أسلوب التعامل هنا هو أن يظهر الداعية أخلاقيات الدعوة عملياً، فيناديه الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام: «**يا أبا الحكم!**»[(٣)]، إن اسمه المشهور به: عمرو بن هشام بن المغيرة ابن أخ الوليد بن المغيرة[(٤)]، من أسرة تعادي الله ورسوله، وجماعة المسلمين، ولكن الداعية الأول ﷺ يبسط إليه القول في لين، وسماحة، ومودة؛ كسلوك عملي لمحاسن الإسلام.

---

(١) ابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ٢/ ٧٤، الحلبي، «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ط٢، ١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤، السهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ٣/ ٣٧٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الأوائل، باب أول ما فعل ومن فعله، ٧/ ٢٥٥، حديث رقم (٣٥٨٢٩).

(٣) السيوطي، «الخصائص الكبرى»، د. ط، ١/ ٢٨٦.

(٤) «الخصائص الكبرى»، ١/ ٢٨٠.

لقد كان رسول الله ﷺ على المستوى الرفيع، في تحمل أعباء الرسالة، وكان عمله الكريم نبراساً لمنهجية تبليغ الإسلام، وقد أثبت القرآن الكريم ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى: ١٥].

ولقد وصفه الله جلَّ شأنه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

قال ابن كثير في تفسيرها: عن قتادة: سئلت عائشة عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: كان خُلُقه القرآن[1].

لقد كان رسول الله ﷺ مثالاً وأسوةً لتطبيق مبادئ الدعوة سلوكياً، فهو وحده الأسوة الحسنة، التي يتأسى بها الدعاة في كل عصرٍ وحين.

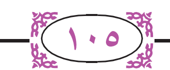
إنك ترى النبي ﷺ في غنى عظيم، تأتيه الإبل موقرة بالخزائن إلى عاصمته، ويبقى مع ذلك محتاجاً، ولا توقد في بيته نار لطعام الأيام الطوال، وكثيراً ما يطوي على الجوع.

وتراه قائداً عظيماً، يقود الجند القليل العَدد، الضعيف العُدد، فيقاتل بهم ألوفاً من الجند المدجج بالأسلحة الكاملة، ثم يهزمهم شر هزيمة، وتجده محبّاً للسلام، مؤثراً للصلح، ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلبٍ مطمئن، وجأشٍ هادئ، ومعه ألوفٌ من أصحابه، كلٌّ منهم شجاع باسل، وصاحب حماسة، وحمية تملأ جوانحه.

ونشاهده بطلاً شجاعاً، يصمد وحده لآلاف من أعدائه، غير مكترث بكثرتهم، وهو مع ذلك رقيق القلب، رحيم، رؤوف، متعفف عن سفك قطرة دم.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند النساء، مسند الصدِّيقة عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما، ٤١/ ١٤٨، حديث رقم (٢٤٦٠١). وابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٤/٤٠٣، وابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ط١، ١/٣٦٤.



وتراه مشغولاً بجزيرة العرب كلها، بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته، وأزواجه، وأولاده، ولا من أمور فقراء المسلمين، ومساكينهم، ويهتم بأمر العالم كله، وهو مع ذلك متبتل إلى الله، منقطع عن الدنيا، فهو في الدنيا وليس فيها؛ لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضي الله[1].

لقد كان رسول الله ﷺ أسبق الناس إلى عمل ما يأمر به، يقول الشيخ الندوي:

«ومن أفضل سيرته وأعلاها؛ أنه بعدما أوحي إليه؛ لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمرٍ إلا وقد سبقهم إلى العمل به»[2].

ثانياً: تطبيقات على أسلوب القدوة والأسوة الحسنة:

١ ـ الإيمان بالفكرة: لا تتكون القدوة في نفس الداعية حتى يكون هو أول من يؤمن بما يقول، ثم ينقل هذا الإيمان إلى عمل.

٢ ـ تعلم العلم: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا قبل أن تَسُودوا»، فالسيادة في الدعوة تحتاج إلى علمٍ يتأكد فيه القدوة من صحة خطواته، ويصحح فيه خطوات الآخرين.

٣ ـ حسن الخُلُق: هناك أخلاق بارزة يحتاجها الداعية القدوة دائماً، وبغيرها يصبح من المتعذر عليه النجاح في دعوة الناس، ومن أهمها الصبر، والرحمة، والرفق، والتواضع، والمخالطة.

٤ ـ موافقة العمل القول.

٥ ـ عدم الانقطاع عن عمل ما دون مبررٍ شرعيٍّ أو نسيان، وترجع خطورة هذا الانقطاع إلى أمرين؛ **الأول:** دخوله في دائرة الذين يقولون ما لا يفعلون، **والثاني:** إحساس المتربي بعدم جدية ذلك الأمر وأهميته.

٦ ـ التثبت من صحة النقول: سواء كانت أحاديث للرسول ﷺ، أو كلمات للصالحين؛ فإذا كان القدوة لا يتثبت من صحة النقول؛ يكون المقتدون كذلك.

---

(١) الندوي، «الرسالة المحمدية»، ط١، ص٨٧.

(٢) «الرسالة المحمدية»، ص١٠٨.

٧ ـ الابتعاد عن المباحات: يقول ابن القيِّم: «فالعارف يترك كثيراً من المباح؛ إبقاءً على صيانته، ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخاً بين الحلال والحرام».

وهذه أتقنها يحيى بن يحيى فقد كان يوماً عند مالك في جملة أصحابه؛ إذ قال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك لينظروا إليه غيره، [أي: بقي يحيى مكانه] فقال له مالك: لم تخرج فترى الفيل ـ لأنه لا يكون بالأندلس ـ، قال يحيى: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك، وعلمك، ولم أجئ لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك، وسمّاه: عاقل أهل الأندلس(١).

٨ ـ المحاسبة الدائمة: فعلى الداعية القدوة أن يعي أنه تحت رقابة دقيقة ممن يتخذونه قدوة لهم، فيحاسب نفسه على كل كلمة، أو تصرف، صغر، أم كبر، حتى يتجنّبه في مراتٍ أخرى.

٢ ـ أسلوب العرض المباشر:

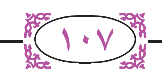
أولاً: مفهوم أسلوب العرض المباشر للتعريف بالإسلام:

ونقصد به دعوة الناس في كل مناسبة إلى الدخول في الإسلام، بطريقةٍ مباشرةٍ وصريحة، بدون مقدمات. «لقد حرص الرسول ﷺ على الاجتماع بالناس وتبليغهم دعوة الإسلام، وكان يتحرى مواضع اجتماع القبائل، وخاصة في موسم الحج، وفترات عقد أسواق العرب، حيث كان يلتقي بذوي الشأن من رؤساء القبائل، وغيرهم، وكان يطالب الرؤساء بحمايته دون أن يكره أحداً على قبول دعوته(٢). وقد نقل الإمام أحمد رواية ربيعة بن عباد الديلي، وكان من شهود العيان الذين رأوا رسول الله ﷺ في مواسم الأسواق وهو يباشر الدعوة، قال: «رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم، يدعوهم إلى الله ﷻ، ووراءه رجل أحول، تقد وجنتاه، وهو يقول: لا يخرجنَّكم هذا

---

(١) الشيرازي، «طبقات الفقهاء»، ط١، ص١٥٢.

(٢) البيهقي، «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة»، ط١، ٢/ ٤١٤.



من دينكم، ودين آبائكم»[(١)].

وكان عليه الصلاة والسلام قد عرض نفسه على كندة، وبني كلب، وبني حنيفة، وكان ردّهم قبيحاً، كما عرض نفسه على بني عامر بن صعصعة، ومحارب، وفزارة، وغسان، ومرّة، وسليم، وعبس، وبني النضر، وبني البكاء، وعذرة، وربيعة، وبني شيبان، والحضارمة[(٢)].

وكان ممَّا يقوله ﷺ في المواسم: «**هل من رجل يحملني إلى قومه فإنّ قريشاً منعوني أن أبلّغ كلام ربّي** ﷻ»[(٣)].

وخاطب ﷺ الناس في سوق ذي المجاز بقوله: «**أيّها النّاس، قولوا لا إلٰه إلّا الله تفلحوا**»[(٤)]، وكان الناس يزدحمون عليه، غير أنهم لم يتجاوبوا مع دعوته، ومع ذلك فقد كان ﷺ يواصل الدعوة فلا يسكت، بل يكرر مقولته.

وحين يعرض ﷺ نفسه على القبائل كان يقول: «**يا بني فلان، إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، وأن تؤمنوا بي، وتصدّقوني، وتمنعوني، حتّى أبيّن عن الله ما بعثني به..**»[(٥)].

لقد كان رسول الله ﷺ يتبع الناس في منازلهم، وأسواقهم، بعكاظ، ومجنّة، وفي مواسم الحج في منى، «حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكيين، حديث ربيعة بن عباد الديلي، ٢٥/٤٠٣، حديث رقم (١٦٠٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير»، باب الراء، ربيعة بن عباد الديلي، ٥/٦١، حديث رقم (٤٥٨٤). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) ابن هشام، «السيرة النبوية»، د. ط، ٢/٥١.

(٣) سبق تخريجه ص٣٤.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، حديث المكيين، حديث ربيعة بن عباد الديلي، ٢٥/٤٠٤، حديث رقم (١٦٠٢٣)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد ينزل عن رتبة الصحيح، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكيين، حديث ربيعة بن عباد الديلي، ٢٥/٤٠٦، والطبراني في «المعجم الكبير»، باب الراء، ربيعة بن عباد الديلي، ٥/٦١، حديث رقم (٤٥٨٣). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

مضر فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون عليه بالأصابع»[(١)][(٢)].

ولقد كان الحصين رجلاً تعظمه قريش وتجله، فأرسلوه إلى رسول الله ﷺ ليكلمه حتى ينتهي عن دعوته، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال: «**أوسعوا للشيخ**».

فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا حصين! كم تعبد من إلٰه؟**» قال: سبعة في الأرض، وواحد في السماء، فقال: «**فإذا أصابك الضر لمن تدعو؟**»، قال: الذي في السماء، قال: «**فإذا هلك المال من تدعو؟**» قال: الذي في السماء، قال: «**فيستجيب لك وحده وتشرك به؟ أسلم تسلم**»، فأسلم، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه شيعوه إلى منزله[(٣)].

وفي أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم دعوة صريحة ومباشرة إلى الإسلام.

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك، قيل له: إنهم لا يقبلون إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة، نقشه: محمد رسول الله، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر: محمد سطر، رسول سطر، والله سطر.

واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك، وقد جزم العلامة المنصور فوري: أن النبي ﷺ أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم، سنة سبع من الهجرة، قبل الخروج إلى خيبر بأيام.

وفيما يلي نصوص هذه الكتب.

ومن ذلك أن النبي ﷺ كتب إلى جُرَيْج بن مَتَّى، الملقب بالمُقَوْقِس، ملك مصر والإسكندرية، الرسالة التالية:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ٢٢/٣٤٧، حديث رقم (١٤٤٥٦). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) ابن حميد، «نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ١/٢٥١.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب الدعوات، ٥/٣٩٧، حديث رقم (٣٤٨٣). قال الترمذي: هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتّبع الهدى، **أما بعد:** فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤])، واختار لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بَلْتَعَة، فلما دخل حاطب على المقوقس، قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

فقال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فَقْدَ ما سِواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، فكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممَّن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهودٍ فيه، ولا ينهى عن مرغوبٍ فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ، فجعله في حُقٍّ من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، **أما بعد:**

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيّاً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك

بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة لتركبها، والسلام عليك)[١].

وكتب إلى هرقل ملك الروم رسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، جاء فيها: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٢]، وَ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤])[٣].

«وهكذا أرسل النبي ﷺ كتبه إلى كسرى ملك الفرس، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المنذر بن ساوى أمير البحرين، وملكي عمان، وإلى هوذة بن عليّ ملك اليمامة، وإلى صاحب دمشق الحارث بن أبي شمَّر الغساني، وإلى ملك عُمان جَيْفَر وأخيه عبد ابني الجُلَنْدي، وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر، ولكن شغل فكره هؤلاء الكافرين، وعرف لديهم باسمه ودينه»[٤].

«من حقِّ المدعو أن يؤتى ويُدعَى؛ أي: أنَّ الداعي يأتيه ويدعوه إلى الله تعالى، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل ذلك الداعي الأول نبينا الكريم محمد ﷺ، يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسم قدومها مكة، ويدعوهم، ويذهب إلى

---

(١) المباركفوري، «الرحيق المختوم»، ط١، ص٣١٥.

(٢) اختلف في وزن هذه الكلمة ومعناها، ومن معاني الأريسيين الخدم، والحشم، والأَتباع، يريد أنه مسؤول عن إثم رعيته لصدِّه إيَّاهم عن الدين. انظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ١/ ٣١.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ٣/ ١٣٩٣، حديث رقم (١٧٧٣).

(٤) انظر: «الرحيق المختوم»، ط١، ص٣٢٠ ـ ٣٣٠.

ملاقاة من يقدم إلى مكة ويدعوه، فقد جاء في سيرة ابن هشام: فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه، ويمنعوه، حين يبيّن عن الله ما بعثه به، فيقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: «**يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه، هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني حتى أبيّن عن الله ما بعثني به**».

وكان ﷺ لا يسمع بقادمٍ إلى مكة من العرب له اسمٌ وشرف إلّا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده، ولم يكتفِ ﷺ بأهل مكة ومن كان يأتيها، وإنما ذهب إلى خارجها، ذهب إلى الطائف يدعو أهلها، فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفرٍ من ثقيف، هم يومئذٍ سادة ثقيف وأشرافهم، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، ونسأل هنا: لماذا كان المدعوّ يؤتى ويدعى ولا يأتي؟ والجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: إن وظيفة الرسول الكريم ﷺ التبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤]، وهذا التبليغ قد يستلزم نقلة الرسول ﷺ إلى مكان من يراد تبليغه؛ لاحتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه، أو إنها وصلته بصورةٍ غير صحيحة، أو وصلته بصورةٍ صحيحة ولكن لم ينهض، فيأتي إلى الرسول ﷺ ليسمع منه، فلأجل هذه الاحتمالات كان الرسول ﷺ يأتي إلى أماكن الناس لتبليغهم الدعوة إلى الله.

الوجه الثاني: شفقته ﷺ على عباد الله، وحرصه على هدايتهم، وتخليصهم من الكفر، كل ذلك كان يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم، ويبلّغهم الدعوة إلى الله تعالى.

الوجه الثالث: إن البعيد عن الإسلام قلبه مريض، ومرضى القلوب لا يعرفون مرضهم، ولا يحسون به، فلا يشعرون بالحاجة إلى علاجه، فلا بدّ من إخبارهم بمرضهم من قِبَل الرسل الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ولا ينتظرون مجيئهم إليهم ليخبروهم، بل يذهبون إليهم ويخبرونهم بالمرض والعلاج؛ لأن من

أعراض مرضهم إعراضهم عن الدعوة والمجيء إلى صاحبها، وعلى الداعي المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ فينتقل إلى الناس في أماكنهم، ومجالسهم، وقراهم، ويبلّغهم الإسلام، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويا حبَّذا لو توزّع الدعاة إلى القرى والمحلات، وتفرّغ كل واحد منهم إلى جهة، وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي: «يتكفّل كل عالم بإقليم، أو بلدة، أو محلة، أو مسجد، أو مشهد، فيعلم أهله دينهم، وتمييز ما يضرهم عمَّا ينفعهم، وما يشقيهم عمَّا يسعدهم، ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يُسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدَّى إلى دعوة الناس إلى نفسه، فإنهم ورثة الأنبياء، والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم، بل كانوا ينادونهم إلى مجامعهم، ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء، ويطلبونهم واحداً واحداً، فيرشدونهم، وهذا فرض عين على العلماء كافّة، وعلى السلاطين كافّة؛ أن يرتبوا في كل قرية، وفي كل محلة؛ فقيهاً متديناً، يعلّم الناس دينهم، فإن الخلق لا يولدون إلّا جهّالاً، فلا بدّ من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل، والفرع، لا يستهان بأي إنسان، لا يجوز للداعي أن يستصغر شأن أيّ إنسان، أو أن يستهين به فلا يدعوه؛ لأنّ من حق كل إنسان أن يُدعَى، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعي وزناً، سيكون له عند الله وزنٌ كبير بخدمته للإسلام، والدعوة إليه.

وهكذا، كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه، جاء في السيرة النبوية: أنّ الرسول ﷺ بعد أن عرض نفسه الكريمة على قبائل العرب التي وافت الموسم في مكة، وكان ذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، ولم يستجب له منهم أحد؛ لقي ستة نفرٍ من الخزرج عند العقبة من منى، وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا، ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة، وذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإسلام، ففشا فيهم حتى لم يبقَ دار من دور الأنصار إلّا فيه ذكر رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يحلقون رؤوسهم، بعد أن لم يستجب له أحد من القبائل النازلة حوالي مكة، ولم يقل في نفسه الكريمة: أي أمل في هؤلاء المشغولين بحلق رؤوسهم، ثم إن أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأُوَل إلى الإسلام في المدينة، فعلى الداعي

أن يقتدي بهدي رسول الله ﷺ ولا يستهين بأحد فيزهد في دعوته، فقد يكون الخير الكثير على يد هذا الذي لا يرى فيه خيراً الآن»[(١)].

وكتب السيرة والشمائل مليئة بالشواهد على هذا الأسلوب النبوي المباشر في الدعوة إلى الإسلام.

ويتضمن هذا الأسلوب الكثير من الوسائل الحديثة في التعريف بالإسلام، ومن ذلك على سبيل المثال: المحاضرات ـ والندوات ـ والمؤتمرات ـ واستخدام الوسائط الإعلامية، وشبكات التواصل الاجتماعي وسيأتي الحديث عنها في فصل وسائل التعريف بالإسلام.

ثانياً: تطبيقات أسلوب العرض المباشر للتعريف بالإسلام:

على الرغم من تطور وسائل وأساليب الاتصال في العصر الحديث التي تستخدم في بث الأفكار والدعوة لمبدأ ما؛ فإن الاتصال عن طريق اللغة، والمقابلة الشخصية؛ ما زال هو العامل الأساسي في توصيل أية دعوة؛ لأن اللغة تمثل أهم طريقة للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد، وعن سبيلها يمكن الإلمام بمعرفة أحوال الناس، والمشاركة في الأفكار، والمشاعر، والمعتقدات، ونتيجةً لهذا يمكن تحديد وتشخيص، وحل المشكلات في المجتمع[(٢)].

وقد نشطت الدراسات الاجتماعية الحديثة في تصوير وسائل الاتصال بالجماعة، عن طريق اللغة التي تعتبر وسيلة أساسية فعَّالة في توصيل المبادئ للناس.

وقد توصل الدارسون الغربيون والشرقيون إلى وضع عدة وسائل، منها[(٣)]:

١ ـ المناقشة في الجماعة الصغيرة: وهي تبادل الأفكار والآراء وجهاً لوجه بين أعضاء جماعة صغيرة نسبياً «وتكون عادة من خمسة إلى عشرين». ومن سمات هذه الوسيلة: أنها تتيح الحد الأقصى من التفاعل المتبادل بين الأعضاء،

---

(١) جامعة المدينة العالمية، «أصول الدعوة وطرقها» ٣، ط١، ص٢١٨ ـ ٢٢١.
(٢) البابي، «الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية»، ط١، ص٢٨٧.
(٣) مليكة، «القيادة وديناميكية الجماعات»، د. ط، ص١٨٣.

وأنها تعلم الأعضاء التفكير في حيز إطار الجماعة، الذي ينمي الإحساس بالمساواة، وأنها تساعد على انبثاق قيادة، ولقد سبق رسول الله ﷺ الدراسات المعاصرة منذ أن توجه إلى تبليغ دعوة الله تعالى.

ففي أسباب النزول للواحدي: أن النبي ﷺ كان يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وعباس بن عبد المطلب، وأبيّاً وأمية بن خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم، وقال: يا رسول الله! علمني ممَّا علمك الله، وجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره[(١)].

٢ ـ الندوة: وهي طائفة من الأحاديث، والكلمات، أو المحاضرات، يعرضها أشخاص لموضوع مشكلة واحدة[(٢)].

ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أقام النبي ﷺ لهم ندوة مرتين، تكلم أبو لهب في الأولى، وعرض وجهة نظره، وتكلم رسول الله ﷺ في الثانية، وشرح لهم دعوته[(٣)(٤)].

والندوة وسيلة للدعوة الإسلامية، وصورتها: أن يجتمع عدد من العلماء والدعاة لمناقشة موضوعٍ ما، على أن يقوم كلٌّ منهم بتوضيح جزئية من الموضوع أمام جمهور يسمعهم، ويتابعهم، وبهذا التصور يسمع الناس عدداً من آراء العلماء في موضوعٍ واحد، يكمل بعضهم بعضاً[(٥)]، من خلال تبادل الرأي والمناقشة، ومن ثم التقويم، وصياغة النتائج، ويمكن للمستمعين أن يعلقوا على المتحدثين اعتراضاً، أو اتفاقاً، أو استفهاماً.

٣ ـ المناظرة: هي محاورة تجري بين شخصين من ذوي المعرفة، القادرين على الحديث عن موضوعٍ معين[(٦)].

---

(١) الواحدي، «أسباب نزول القرآن»، د. ط، ص٤٧٨.
(٢) مليكة، «القيادة وديناميكية الجماعات»، د. ط، ص٢٠٣.
(٣) ابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ١/٤٥٨ ـ ٤٥٩.
(٤) شلبي، «الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها»، ط٣، ص٣٢٥ ـ ٣٥٥.
(٥) جامعة المدينة العالمية، «أصول الدعوة وطرقها»، ٣، ط١، ص٣٧٩.
(٦) «القيادة وديناميكية الجماعات»، ص٢٣٣.

وقد سبقت الدعوة الإسلامية بهذا الأسلوب في العمل لتبليغ الدعوة، كما وقع بين الرسول ﷺ وحصين[١]، وسبق أن ذكرت كيف أسلم ضماد[٢]، وقد أسلم عمرو بن عبسة السلمي نتيجة محاورة بينه وبين الرسول ﷺ غير أن عنصر المحاورة هنا كان طبيعياً، لا يحمل صفة التعصب، أو التعنت، وهو أمرٌ غير سهل في العصر الحديث.

٤ ـ المقابلة: وهي وسيلة متعددة الأساليب، بالزيارة أو بالراديو، والتلفزيون. . . إلخ[٣].

وقد كان رسول الله ﷺ دائماً حريصاً على أن تتم المقابلة بينه وبين خصوم الدعوة، فإنه رغم الأذى الذي كان يدأب على تقديمه عقبة بن أبي معيط؛ إلا أن رسول الله ﷺ كان يكثر من مجالسته، ولما دعا النبي ﷺ لوليمة في بيته أثر عودته من سفر؛ استجاب له رسول الله ﷺ وما أكل حتى أنطقه شهادة التوحيد[٤][٥]».

٥ ـ المؤتمر: وهو عبارة عن مجموعة محاضرات مكثفة، ذات موضوع مترابط، تلقَى في وقتٍ محدد، لا يتجاوز في الغالب أياماً معدودة، وفيها يتبادل المحاضرون وجهات النظر حول الموضوع المطروح.

وقد كثرت هذه الوسيلة الدعوية في الآونة الأخيرة، وعليها إقبال كبير من الشباب والمثقفين، وقد كان لكثيرٍ من هذه المؤتمرات أثر دعوي، واجتماعي، بين المسلمين، وبخاصة تلك التي تُعقد في ديار الغرب بين غير المسلمين، الذين هم بحاجة ماسة إلى تعريفهم بالإسلام، وإظهار الدين الحنيف بمظهره الذي هو عليه. وقد استخدم النبي ﷺ المؤتمر المؤقت في أسلوب الدعوة، حين صعد على الصفا يوم أن نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، وناداهم،

(١) الحلبي، «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ط٢، ١/٣١٨.
(٢) ابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ١/٤٥٢ ـ ٤٤٢.
(٣) حسانين، «دراسات في تنظيم المجتمع»، ط٢، ص١٧، مليكة، «القيادة وديناميكية الجماعات»، د. ط، ص٢٣٩.
(٤) الحلبي، «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، ط٢، ١/٣٥٣.
(٥) شلبي، «الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها»، ط٣، ص٣٥٥.

فاجتمع الناس إليه، وكانوا بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسولاً عنه، ثم قال لهم: «**لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل تريد أن تُغير عليكم صدقتموني؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»(١).

وقد كان النبي ﷺ يمر على الناس في أسواق الحج، يقول لهم: «**يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»(٢).

وقد كانت هذه الوسيلة في مواسم الحج هي ركيزة العمل التمهيدي لنقل الدعوة من مكة إلى طابة، المدينة المنورة.

إن أساليب الدعوة التي استخدمها رسول الله ﷺ هي أمنية العاملين في الحقل الاجتماعي في العصر الحديث.

وما يزيد الداعية في المجتمعات البدائية عن هذه الطريقة التي سنَّتها الدعوة الإسلامية كأسلوب، ووسيلة، لنشر دين الله، إلا أنه ينفذها فقط(٣).

٦ ـ المحاضرة: وهي فن من فنون القول يختلف عن الخطبة في اعتماد المحاضر على الحقائق المجردة، والإحصاءات الدقيقة، والحجج المنطقية، بدون اعتماد على الناحية العاطفية، وتستخدم المحاضرات في شتى مجالات المعارف العلمية، والإنسانية(٤).

وهذه الأساليب المباشرة لتبليغ دعوة الإسلام، ومبادئه، وأحكامه، وقيمه؛ يجب أن تكون جميعها في إطار الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) حسانين، «دراسات في تنظيم المجتمع»، ص١٧، مليكة، «القيادة وديناميكية الجماعات»، ص٢٩٤، ابن الجوزي، «الوفا بأحوال المصطفى»، د. ط، ١/ ١٨٣.

(٢) «الوفا بأحوال المصطفى»، د. ط، ١/ ١٨٢، ابن كثير، «السيرة النبوية»، ٢/ ١٥٥ وما بعدها.

(٣) شلبي، «الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها»، ط٣، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٤) رفاعي، «صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم ـ دراسة في التفسير الموضوعي»، د. ط، ص٤٧.

٣ ـ أسلوب الحوار العقلي:

أولاً: مفهوم أسلوب الحوار العقلي:

الحقيقة لم أقف ـ في حدود اطلاعي ـ على تعريف للأسلوب العقلي في الاصطلاح في مصدرٍ من المصادر، أو مرجعٍ من المراجع؛ سوى تعريف محمد أبو الفتح البيانوني، الذي قال فيه: (مجموعةً الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل، وتدعو إلى التفكر، والتدبر، والاعتبار)(١)، ونقصد بالمنهج العقلي: اعتماد أساليب عقلية يفهمها العقل البسيط الفطري، يرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكر، والتدبر، والاعتبار، وعرّف (بالنظام الدعوي الذي يرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكر، والتدبر، والاعتبار)(٢)، ذلك أن العقل السليم ينسجم مع تعاليم الإسلام وعقيدته، ومن ثم فمن الواجب استعمال المسلمات العقلية، والبديهيات المنطقية، لإيصال معلومة، أو تصحيح خطأ، أو توجيه تربوي، أو تنبيه سلوكي.

وقد استعمل الشارع الكريم هذا المنهج في الكثير من المواقف والأحوال، فنجد قول الله تعالى مثلاً: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة: ١٣]، استعمالاً صريحاً للمنهج العقلي في مسألة عقدية أخلاقية، وكان بإمكان الخالق الكريم أن يأمرنا بخشية الله دون استعمال هذا التسلسل العقلي، ونجد هذا المنهج في العديد من النصائح القرآنية؛ كقول الله تعالى: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٩]

وقد اعتمد الرسول ﷺ هذا المنهج في العديد من المواقف، فقد روى الإمام مسلم ـ بسنده ـ عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «**أَوَ ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحةٍ صدقة، وكل تكبيرةٍ صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة،**

---

(١) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٢٠٨.

(٢) «المدخل إلى علم الدعوة»، ص٢٠٨.

وكل تهليلةٍ صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله؛ أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟! فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[(١)].

فتذكيره ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالأجر الذي يأخذه المتعفف بالزواج في مقابل الزاني، عبارةٌ عن منطقٍ شرعي، يفهمه المسلم، وقد فهمه الصحابة بامتياز.

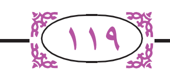
وليس ثمة دين على ظهر الأرض، يقوم على احترام العقل، وإنزاله منزلته؛ مثل الدين الإسلامي؛ لأنه اتخذ المنهج الوسط، فهو لم يلغ دور العقل تماماً، كما ذهبت طائفة من بني البشر، ولم يؤلّه العقل، ويجعله الحكم في كل شيء؛ كما ذهبت طائفة أخرى، فاعترف بالعقل، وحفظ له مكانته، ومنزلته، وفي ذات الوقت وضع للعقل حدوداً وقيوداً تتناسب مع مقدرته وإمكاناته.

ولكي يتضح لنا ذلك؛ سنورد في النقاط التالية ما يؤيد ويؤكد ما قلناه آنفاً:

لقد كرَّم الله العقل بأن جعله مصدراً للمعرفة، وأساساً للتكليف في التشريع، والعبادات، فرفع القلم عن أولئك الذين لا يتمتعون بكامل قواهم العقلية، فقد ورد في الحديث النبوي: «**رفع القلم عن ثلاثة: عنِ النائم حتى يستيقِظَ، وعن الصبيِّ حتى يشِبَّ، وعنِ المعتوهِ حتى يعْقِلَ**»[(٢)]، وجعل النبي ﷺ العقل في منزلةٍ عالية، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله: بم يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: «**العقل**»، قلت: وفي الآخرة؟ قال: «**العقل**»، قلت:

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب بَيَان أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، ٢/٦٩٧، حديث رقم (١٠٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ٢/٢٦٦، حديث رقم (٩٥٦)، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، ١/٦٥٨، حديث رقم (٢٠٤١)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدّاً، ٤/١٣٩، حديث رقم (٤٣٩٨)، والترمذي في «سننه»، أبواب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، ٣/٨٤، حديث رقم (١٤٢٣)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.



أليس يجزون بأعمالهم؟ فقال: «**يا عائشة، وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله** ﷻ **من عقل؟ فقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم، وبقدر ما عملوا يجزون**»[(١)] .

أضف إلى ذلك أن الإسلام أمر العقل بالاستسلام للأمر الشرعي، حتى ولو لم يدرك الحكمة؛ أو العلة في ذلك؛ لأن الدين ليس بالرأي، ولو كان كذلك كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: (لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه)[(٢)] .

ويستعمل أسلوب الحوار العقلي مع من ينكر الأمور الظاهرة، والبديهيات العقلية، ومع المعتدِّين بعقولهم وأفكارهم، ومع المنصفين من الناس، البعيدين عن التعصب لآرائهم، والمتجردين من الأغراض والأهواء، ومع المتأثرين بالشبهات، والمخدوعين بالباطل، وسنقف على كل صنفٍ من المدعوين على حدة، ويمكن إيضاح ذلك فيما يلي:

١ ـ مع المنكرين للأمور الظاهرة والبديهيات العقلية:

إن الأمور الظاهرة والبديهيات العقلية كثيرة، سواء كانت في خلق الإنسان، أو في المحيط الذي يعيش فيه، أو في المخلوقات الأخرى التي تعيش معه وتشاركه الحياة على ظهر البسيطة، أو في السماء التي يستظل بها، وما فيها من نجومٍ، وكواكب، وسحب، ونحوها.

إن الله سبحانه وتعالى أودع خلقه في السمٰوات، والأرض، الأدلة الواضحة البينة على وحدانيته، وتفرده بالعبادة، والخلق، وتدبير شؤون الحياة على هذا الكوكب، وكل ذلك بمثابة الإشارات، والدلالات البينة، التي يستطيع العقل من خلالها الوصول إلى حقيقة الوحدانية، والإقرار بالعبودية، وذلك لأن النظر في الكون وما فيه من آياتٍ باهرات؛ بتدبر، وتفكر، وتأمل، سيقود صاحبه إلى الحقيقة، وقد أشارت إلى ذلك آيات الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١]، والأمر

---

(١) الحكيم الترمذي، «نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ»، د. ط، ٢/٣٥٦، قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. ابن الجوزي، «الموضوعات»، ط١، ١/١٧٦.

(٢) أبو داود، «سنن أبي داود»، د. ط، ١/٤٢.

بالنظر في الآية ليس المراد به مجرد النظر، ولكن النظر الذي يصاحبه تدبر، وتأمل، واعتبار.

والدليل، والبرهان، والحجة، التي يسوقها القرآن الكريم دائماً ما تكون بعموميات، وثوابت هذا الكون، وهنا دليل في غاية الرصانة والرسوخ، ذلك لأن العموميات تبعد عن الذهن، والفكر، دائرة الحصر، والتضييق، التي تقيده، ولا تسمح له بالانطلاق، والتفكير العميق الهادئ، كما أن الثوابت الكونية تصلح دليلاً للعقل في كل جيل، وعصر، وبيئة، وتجعل الدليل ذا صفة مستمرة لا ينقطع، بما فيها من عناصر الثبات، كما تسمح له بتفريع الجزيئات، والاجتهادات، والأقيسة على ذلك الأصل الثابت، فهو أساس يُبنى عليه، فيقوم البنيان متيناً، قوياً، ذا جذور ثوابت، بخلاف ما عدم فيه الأصل، أو ما كان أصله متغيراً، وغير ثابت، فإن نتائج فروعه، أو نتائج التفريع عليه؛ تكون مخلخلة مزعزعة[1] فالإنسان مخلوق، وهذا أمر ظاهر وبدهي، ولكن مع ذلك هناك من ينكر هذه الحقيقة الظاهرة البينة، لذا نجد أن القرآن قد استخدم المنهج العقلي لرد هؤلاء إلى الحق، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

فهناك ثلاث احتمالات لخلق الإنسان: إما أن يكون خلق من غير شيء، وإما أن يكون هو الذي خلق نفسه، وإما أن يكون له خالق، **فالاحتمال الأول:** يجب استبعاده؛ لأن العدم لا يوجد موجوداً، وأما **الاحتمال الثاني:** أن يكون هو خالق نفسه؛ فهذا يستحيل عقلاً، هذا إلى جانب لو أنه هو خالق نفسه؛ لخلقها على أحسن تقويم، وفي أكمل صورة، ولكن هناك من هو قبيح، ومن هو جميل، ومن هو دون ذلك، إذن فهو لم يخلق نفسه، وعليه لم يبق إلا **الاحتمال الثالث:** بأن له خالق، هو الله ﷻ.

وهنالك من لا يقر بالله الواحد الأحد، وإنما يقر بوجود آلهة متعددة، ولكي يرجع هؤلاء إلى الحق، والإقرار بوحدانيته تعالى، استخدم القرآن الكريم المنهج

(١) الهادي، «منهاج الحياة الإسلام»، ط١، ص٥٩.

العقلي مع هؤلاء الذين ينكرون وحدانيته تعالى، الذي هو أمر ظاهر، وبدهية عقلية، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وهنا نجد أن القرآن قد عرض على عقول هؤلاء المنكرين الأدلة العقلية المقنعة المفحمة، فطلب منهم، النظر، والتدبر في السموات والأرض، ـ ليقضوا على تهافت عقولهم وسذاجتها ـ هل هي مستقرة، منظمة، منتظمة، وفي غاية الدقة، والإتقان، أم غير مستقرة، وغير منتظمة، والحقيقة هي الأولى: أنها مستقرة... فلو كان فيهما آلهة متعددة لفسدتا، ولما كانتا على هذا النظام والدقة والإتقان، فعدم فسادهما فيه دلالة عقلية، ونتيجة منطقية لنفي تعدد الآلهة، وفي ذات الوقت دلالة على إثبات وحدانية الخالق جلّ جلاله.

٢ ـ مع المعتدِّين بعقولهم وأفكارهم:

نقصد بهم أولئك الذين يعدون أنفسهم أنهم يملكون عقولاً راجحة، ويفاخرون بذلك، فهؤلاء يمكن أن نستخدم معهم المنهج العقلي؛ لأنهم أسرع من يتأثر بالمنهج العقلي السليم، ولعل خير شاهدٍ على ذلك قصة إسلام سيدنا الطفيل بن عمرو رضي الله عنه، قال سيدنا الطفيل بن عمرو:... فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذناي، حيث غدوت على المسجد كُرسفاً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت على المسجد، فإذا رسول الله عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل لبيب، شاعر، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإذا كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكُرسف، لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك، قال: فعرض عليّ رسول ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه،

ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحق[(١)].

والشاهد في القصة قوله: «والله إني لرجل لبيب شاعر، وما يخفى عليّ الحسن من القبيح»، ففي ذلك اعتداد منه بعقله وفكره، كما أنه لما عرض عليه الإسلام كانت استجابته سريعة للحق «فأسلمت وشهدت شهادة حق»، وذلك لأنه رجل عاقل، سليم التفكير، استطاع أن يميز بين الحسن، والقبيح، فلما تبيَّن له الحسن؛ «فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه» استمسك به، وأسرع إلى اعتناقه والإيمان به.

٣ ـ مع المنصفين من الناس البعيدين عن التعصب لآرائهم:

إن العقل عندما يكون صاحبه بعيداً عن التعصب، متجرداً من الأغراض؛ يكون العقل حراً طليقاً، بعيداً عن الحجب التي تحجب عنه الحقيقة، وبالتالي يكون صاحبه مهيأ لقبول الحق، والإيمان به، لذا يجب أن يستخدم المنهج العقلي مع هذا الصنف من المدعوين، وسنسوق هنا مثالاً يجسد ذلك:

قال ابن إسحاق: «... لما قدم أبو الحيسر، أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «**هل لكم في خيرٍ ممَّا جئتم له؟**» فقالوا له: وما ذاك؟! قال: «**إني رسول الله، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب**»، قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلاماً حدثاً: أي قوم، هذا والله خير ممَّا جئتم له! قال: فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فضرب به وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا...»[(٢)].

إن وجه الدلالة في القصة السابقة يتضح من موقف إياس وموقف أبي الحيسر، فإياس كان منصفاً بعيداً عن التعصب، متجرداً عن الغرض الخاص،

---

(١) الشامي، «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، ط١، ٢/٤١٧، والمرصفي، «الجامع الصحيح للسيرة النبوية»، ط١، ٤/١٠٦٨.

(٢) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ١/٤٢٧ ـ ٤٢٨.

وبالتالي قبل الحق وأقر به؛ (أي قوم، هذا والله خير ممَّا جئتم له)، وعكس ذلك تماماً موقف أبي الحيسر الذي كان عقله وفكره منشغلاً فقط بما جاء من أجله، فلم يكن في قلبه متسعاً لتدبر وتأمل ما قاله له رسول الله ﷺ، فيصل إلى ما وصل إليه إياس، لذا كان رده (دعنا فلعمري لقد جئنا لغير هذا) بخلاف رد إياس (أي قوم هذا والله خير ممَّا جئتم له)، ومن هنا يتضح لنا الفرق بين العقل الذي يحمله شخصٌ منصفٌ متجردٌ عن الأهواء والأغراض، وبين عقلٍ يحمله شخصٌ غير منصف، وليس متجرداً عن الأغراض.

٤ ـ مع المتأثرين بالشبهات والمخدوعين بالباطل:

عندما يكون العقل متأثراً بشبهة، أو مخدوعاً بالباطل؛ فإنه لا يستطيع أن يصل إلى الحق ما دامت تلك الشبهات قائمة وجاثمة عليه، ولا سبيل إلى إرشاده إلى الحق إلا بإزالة ودحض تلك الشبهات، لذا يجب استخدام المنهج العقلي مع هذا الصنف من المدعوين، المتأثرين بالشبهات، المخدوعين بالباطل؛ حتى يتسنى لهم الوصول إلى الحق، والدخول في دين الله تعالى، ولعل أقرب مثال يجسد لنا ذلك ما كان من إسلام سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه.

قال ابن إسحاق: «. . . فقام سعد مغضباً، مبادراً، تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيداً، إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة أما والله، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمت هذا مني، أتغشانا في ديارنا بما نكره، وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان، قال: فقال له مصعب: أَوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه، وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين،

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق...»[١].

والشاهد من القصة أن سيدنا مصعب أقنع سيدنا سعداً بأسلوبٍ عقليٍّ سلس؛ (أَوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهت عزلنا عنك ما تكره؟) فكان ثمرة هذا الأسلوب الاستجابة للسامع (أنصفت)، ولما كان سيدنا سعد مخدوعاً بباطل الجاهلية، والوثنية، وعادات الآباء، والذي عبَّر عنه بقوله: «أتغشانا في ديارنا بما نكره؟!»، تبين له أن ما كان عليه هو الباطل بعينه، وأن ما في الإسلام هو الحق الذي لا تشوبه شائبة؛ فأسلم.

ثانياً: خصائص المنهج العقلي:

١ ـ اعتماده على الاستنتاجات العقلية والقواعد المنطقية:

من أبرز الخصائص التي تميز المنهج العقلي عن بقية المناهج؛ هو اعتماده على الاستنتاجات العقلية، والقواعد المنطقية، فالمجادلة، وضرب الأمثال، والمحاكمات العقلية؛ كلها تعتمد على الاستنتاجات التي يصل إليها العقل بعد التدبر، والتأمل، والاعتبار.

والمنهج العقلي يقوم أيضاً على القواعد المنطقية القائمة على المقدمات، والنتائج، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال المنهج العقلي؛ بحيث لا يمكن الربط بين النتائج، والمقدمات، إلا من خلال العقل الذي يُبنى على المقدمات، ونتائجها.

وهذا بخلاف المنهج العاطفي؛ الذي سبقت الإشارة إليه، وأنه يقوم ويعتمد على رقة العبارة، ولطف الأسلوب، والذي يناسب طبيعة وخصوصية القلب.

٢ ـ عمق تأثيره في المدعوين:

مما لا شك فيه أن النتيجة التي يتوصل إليها العقل بعد تدبر، وتأمل، وتفكر؛ ستكون نتيجة عميقة، راسخة في النفس، وهذا العمق والرسوخ يتحول إلى قناعة في الأفكار، يصعب تغييرها، أو زعزعتها؛ لذا فالأثر الذي يتركه المنهج العقلي في النفس البشرية هو أثرٌ ضارب الجذور.

---

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ١/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

٣ ـ بطيء التأثير:

إن المراحل التي تمر بها المخاطبة من تفكرٍ، وتدبرٍ، واعتبارٍ، تستغرق فترةً من الزمن، ولا تظهر نتائجها فوراً، وإنما بعد حين؛ لأن التفكير يستغرق وقتاً، ثم التدبر يستغرق هو الآخر وقتاً، وكذلك الاعتبار، وعليه يكون المنهج العقلي بطيء في تأثيره، هذا بخلاف المنهج العاطفي؛ الذي أشرنا إليه، وقلنا: إنه سريع التأثير.

٤ ـ إفحام الخصم المعاند:

من أبرز خصائص المنهج العقلي؛ أنه يقود إلى إفحام الخصم المعاند، وذلك بإقامة الحجة البينة، والأدلة الدامغة، والتي تلزم الخصم بالتسليم، ولعل خير شاهدٍ على ذلك؛ ما كان بين سيدنا إبراهيم عليه السلام، والنمرود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وموضع الشاهد في الآية واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، فقد عبّر القرآن على إفحام النمرود بعبارةٍ فصيحةٍ، بليغةٍ، صورت الإفحام بطريقة تجعلك تتخيل الحالة النفسية التي كان عليها النمرود ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٥ ـ ضيق دائرته:

ونقصد به قلة عدد الناس الذين يمكن أن ندعوهم عن طريق المنهج العقلي، بخلاف المنهج العاطفي، الذي يختص بسعة دائرته، وكثرة من يمكن دعوتهم بالمنهج العاطفي، ولعل ذلك يرجع إلى مواطن استعمالات المنهج العقلي؛ فإذا تأملنا عدد المنكرين للأمور الظاهرة، وعدد المعتدِّين بعقولهم، وعدد المنصفين من الناس، وعدد المتأثرين بالشبهات؛ لخرجنا بنتيجةٍ مفادها: أنهم قلة، الأمر الذي ترتب عليه ضيق دائرة المنهج العقلي.

ثالثاً: تطبيقات أسلوب الحوار العقلي:

لما كانت طرق مخاطبة العقل عديدة، ومتنوعة، فيمكن أن نذكر أساليب المنهج العقلي في المطالب الآتية:

أ ـ الجدل:

يُعد أسلوب الجدل من أهم وأبرز أساليب المنهج العقلي، وسوف نركز في هذا المطلب على تعريفه لغةً واصطلاحاً، وبيان أنواعه، وتوضيح أهميته، وذكر آدابه وخصائصه.

أولاً: تعريف الجدل في اللغة:

يقول أهل اللغة: جادله مجادلة وجدلاً: ناقشه، وخاصمه، والجدل: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها، وهو شدة الخصومة، وهو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة، والمخاصمة، وقيل: مراجعة الكلام[(١)].

ثانياً: تعريف الجدل في الاصطلاح:

تولد عن الأصل اللغوي مصطلح الجدل، أو الجدال، وهو قريبٌ في المعنى من الأصل الحسي دلالةً، فنلحظ في الاصطلاح كذلك معاني الشدة في الخصومة، وقد وضع الشريف الجرجاني ثلاثة تعريفات للجدل، على النحو الآتي:

١ ـ الجدل: هو القياس المؤلف من المشهورات، والمسلَّمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصرٌ عن إدراك مقدمات البرهان.

٢ ـ الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجةٍ، أو شبهةٍ، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.

٣ ـ الجدال: عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[(٢)].

وقال أبو حامد الغزالي: «وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير،

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١١/١٠٥، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ص١١١.

(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص٧٤ ـ ٧٥.

وتعجيزه، وتنقّصه بالقدح في كلامه، ونسبته إلى القصور، والجهل فيه»[(١)].

يُلاحظ أن هناك تقارباً كبيراً بين التعريفات السابقة، وأن بعضها يكمل بعضاً، وهي من التقارب لدرجة يصعب معها الترجيح، وعليه فيمكن أي من التعريفات السابقة يصلح أن يكون تعريفاً للجدل في الاصطلاح.

ثالثاً: أقسام الجدل:

انطلاقاً من أنواع المجادلة بالحسنى، والمجادلة بالباطل، والتي أشارت إليها الآيتان: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، فالآية الأولى أشارت إلى المجادلة بالحسنى، والثانية إلى المجادلة بالباطل، ومن هذين النوعين قسَّم العلماء الجدل إلى ممدوح، ومذموم، وقد سبق الحديث عنها في مبحث مهارات المعرف بالإسلام.

ب ـ المحاكمة العقلية:

نقصد عرض الأدلة والبراهين على العقل ليتدبرها ويتأملها؛ ليصل من خلالها إلى الحق؛ ومنها الأقيسة بجميع أشكالها: قياس الأولى، والمساوي، وقياس الخلف (العكس).

أولاً: قياس الأولى:

وهناك عدة أمثلة على قياس الأولى وردت في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

يشير المولى سبحانه في الآية إلى موعد البعث الذي هو تكملة للخلق، وعنده يستوفي الأحياء جزاءهم على ما قدموا، وأن الخالق وحده الذي يعلمه، فلذا استنكر على هؤلاء الكفار الذين يتخذون الأصنام آلهة لهم، فهي لا تستحق

(١) الغزالي، «إحياء علوم الدين»، د. ط، ٣/ ١١٧.

التأليه؛ لأنها لا تعلم متى يُبعث من يعبدها، فالقياس الأولى هنا هو: من الأجدر أن يُعبد؟ من يعلم متى يبعثهم وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ، أم أولئك الذين لا يعلمون، وهي الأصنام؟[(١)].

ومن الأمثلة أيضاً قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: ١٣، ١٤].

وقياس الأولى في هذه الآية ظاهر، فإذا كان الإنسان يخشى من الناس، الذين هم عبيد الله ضعاف لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً، ناهيك أن يملكون لغيرهم، فالأولى بالخشية والأحق بها هو الله الخالق، القوي، الجبار.

ومن الأمثلة من السُّنَّة ما ورد في شأن الأمر بحفظ وستر العورة، فلما قال له أحد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (. . . يَا نَبِيَّ اللهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً؟ قَالَ: «**فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**»)[(٢)].

والقياس الأولى هنا واضح أيضاً، فإذا كان الإنسان يستحي من الناس أن يروه مكشوف العورة؛ فمن باب الأولى أن يستحي من الله الذي خلقه والناس، فهو أولى بالاستحياء.

ثانياً: القياس المساوي:

ومن أبرز الأمثلة على القياس المساوي، قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشاب الذي استأذنه في الزنى قال له: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: «**ولا الناس يحبونهم لأمهاتهم. إلخ**»[(٣)].

---

(١) شبو، «مناهج الدعوة في سورة النحل»، د. ط، ص١٢٥ ـ ١٢٦.
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، ٤/٤٠٧، حديث رقم (٢٧٩٤)، وقال: هذا حديث حسن.
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، تتمة مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي، ٣٦/٥٤٥، حديث رقم (٢٢٢١١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٧١٢ ـ ٧١٣ برقم (٣٧٠).

والقياس المساوي واضحٌ في الحديث السابق، فإذا كان الشاب لا يحب الزنا لأمه؛ فبالمثل تماماً الناس لا يحبونه لأمهاتهم، وكذلك في سائر الحديث، لا يحبونه لأخواتهم، ولا لعماتهم.

ثالثاً: قياس الخلف (العكس):

من الأمثلة التي تصلح مثلاً لقياس الخلف، قول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله؛ أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟! فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(١).

إن قياس الخلف واضحٌ في الحديث السابق، فمعلومٌ أن قضاء حاجة الرجل مع زوجته حلال، وإذا قضاها مع غير زوجته فهي حرام، ومعلومٌ أن الحلال خلاف وعكس الحرام، والعكس، كما أنه يترتب على الحلال أجر، وعلى الحرام وزر، ومعلوم أن الوزر عكس الأجر، فهنا تم قياس قضاء الحاجة في الحلال على قضاء الحاجة في الحرام؛ فيترتب عليها أجر، إلا أنه لو قضاها في حرام لترتب عليها وزر، وهذا ما يُعرف بقياس الخلف (العكس).

رابعاً: الاستفهام التقريري:

وهو الاستفهام عن المقدمات البينة الواضحة، التي لا يمكن لأحدٍ أن يجحدها، وهي تدل على المطلوب، لإقرار المخاطب، ولاعترافه بإنكار الباطل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

إن المتأمل للآية آنفة الذكر يرى أن الله ﷻ استفهم بحرف الهمزة في (أفمن)، وليس المعقول قطعاً أن يسوي إنسان وهو بكامل قواه العقلية بين من يخلق ذلكَ الخلق كله، وبين من لم يخلق شيئاً؟ والمقدمات الآتية واضحة، بحيث لا يستطيع أحد أن يجحدها، ولا يملك المرء إلا أن يُجِبْ بقوله: لا.

---

(١) سبق تخريجة ص١١٨.

خامساً: الأقيسة الإضمارية:

وهي التي تحذف إحدى المقدمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف[١]، ونجد أن ذلك كثير في القرآن الكريم، منها على سبيل المثال لا الحصر: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل: ٣٨].

إن المقدمة المحذوفة في هذه الآية هي معجزة الخلق الأولى (الخلق من عدم) وهو الذي تجلت فيه القدرة الإلهية، فإذا أخذ المشركون الاستغراب في البعث، فينبغي أن يأخذهم في خلق الإنسان؛ لأن الخلق بعد الإيجاد أهون بكثيرٍ من الخلق من العدم.

سادساً: إفحام الخصم ببيان أن دعواه تلزمه القول بما لم يقل به أحد ولم يقل به هو:

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧] فدعوى المشركين أن لله البنات؛ تلزمهم القول بما لم يقل به أحد، بل ولم يقولوا به هم أنفسهم؛ لأن وجود البنين يتطلب وجود زوجة لله ﷻ وهذا ما لم يقل به أحد، فلم يؤثر سابقاً ولا لاحقاً أن زعم أحد أن لله زوجة، بل المشركون أنفسهم. وعليه فقولهم هذا يلزمهم القول بما لم يقل به أحد، ولم يقولوا به هم أنفسهم.

ج ـ ضرب الأمثال:

فالمثل في الاصطلاح: (قول محكي يقصد منه تشبه حال الذي حكى، بحال الذي قيل لأجله، ويجتمع فيه أربع صفات لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة)[٢]. والأمثال عدة أنواع يمكن حصرها في ثلاثة أنواع:

---

(١) الألمعي، «مناهج الجدل في القرآن»، ط٣، ص٧٧.
(٢) النيسابوري، «مجمع الأمثال»، د. ط، ص١، والسيوطي، «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، ط١، ١/ ٣٧٤.

١ ـ أمثال صريحة:

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل صراحة، وجاءت تشبيهات، وتمثيلات، ومقارنات، وموازنات، صوراً مجازية قصيرة، أو حكايات وقصص طويلة.

٢ ـ أمثال كامنة:

وهي التي لم يصرح بها بلفظ المثل، ولكنها تدل على معانٍ رائعة، في إيجاز يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، فجميع القصص الواردة في القرآن والسُّنَّة يمكن عدَّها أمثالاً كامنة.

٣ ـ أمثال مرسلة:

ويقصد بها الجمل التي أرسلت إرسالاً من غير تصريح، بلفظ التشبه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال، وقد اختلف العلماء في هذا النوع الأخير من الآيات، الذي يسمونه إرسال المثل فرأى بعضهم أن الاستشهاد به يعد خروجاً عن أدب القرآن، بينما يرى الآخر لا حرج في ذلك إن كان ذلك في مقام الجد؛ كأن يأسف أسفاً شديداً لنزول كارثة قد انقطعت أسباب كشفها عن الناس[(١)]، فيقول: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النجم: ٥٨]، ونحن مع الرأي الأول تأدباً مع القرآن الكريم.

وهناك عدد كبير من الآيات التي ذكر فيها المثل صراحة بصيغ متعددة، فورد بلفظ مثل إحدى وأربعين مَرَّة (٤١) لفظ مثلاً اثنتان وعشرون مرَّة (٢٢)، ومثله ثلاث مرات، وكذلك مثلهم، وورد لفظ الأمثال أحد عشرة مرّة وأمثالكم أربع مرات، وأمثالها مرتان، وأمثالهم مرتان، وكل ذلك يصلح أن يكون مثالاً للأمثال الصريحة في القرآن.

وأما الأمثلة الكامنة: فكثيرة هي الأخرى، ولكن سنورد مثالاً لها من القرآن، وآخر من السُّنَّة، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ

(١) شبو، «مناهج الدعوة في سورة النحل»، د. ط، ص١٤٢.

دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ [النحل: ٩١، ٩٢][1].

ويظهر لنا المثل الكامن في هذه الآية في أن الله ﷻ ضرب مثلاً لناقض العهد بامرأةٍ حمقاء، ضعيفة العزم والرأي، فهي تفتل غزلها ثم تنقضه، وتتركه مرة أخرى قطعاً منكوثة، ومحلولة، وكل جزئية من جزئيات التشبيه تشي بالتحقير، والترذيل، والتعجب، وتشوه الأمر في النفوس، وترسم الصورة القبيحة في القلوب، وهو المقصود، ولا يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة، الملتاثة العقل، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه، فائدة منه[2].

ومن أمثلة السُّنَّة على المثال الكامن قوله: «**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[3]، قال الإمام الخطابي: (الربقة ما يجعل في عنق الدابة؛ كالطوق يمسكها، لئلا تشرد... من خرج عن طاعة الجماعة، وفارقهم في الأمر المجمع عليه فقد ضلَّ وهلك، وكان كالدابة إذا خلعت الربقة التي هي محفظة بها، فإنها لا يُؤمَن عليها عند ذلك من الهلاك والضياع)[4].

د ـ القصة:

يرجع معنى القصة في اللغة: إلى أنها مأخوذة من الفعل قَصَّ يَقُصُّ قَصَصاً وقِصصاً.

قال ابن فارس: (قَصَّ) الْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي

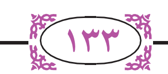
---

(١) شبو، «مناهج الدعوة في سورة النحل»، ص١٤٩.

(٢) قطب، «في ظلال القرآن»، ط١٧، ٤/ ٢١٩١.

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب السُّنَّة، باب في قتل الخوارج، ٤/ ٢٤١، حديث رقم (٤٧٥٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، جماع أبواب الرعاة، باب الترغيب في لزوم الجماعة والتشديد على من نزع يده من الطاعة، ٨/ ٢٧٠، حديث رقم (١٦٦١٤)، وصححه الشيخ الألباني في «الجامع الصغير» وزياداته برقم ٦٤١٠.

(٤) الخطابي، «معالم السنن في شرح سنن أبي داود»، ط١، ٤/ ٣٣٤.



الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ. وَمِنَ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ، وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ الْقَصُّ، وَهُوَ عِنْدَنَا قِيَاسُ الْبَابِ؛ لأنهُ مُتَسَاوِي الْعِظَامِ؛ كَأَنَّ كُلَّ عَظْمٍ مِنْهَا يُتْبَعُ لِلْآخَرِ.

وَمِنَ الْبَابِ: قَصَصْتُ الشَّعْرَ، وَذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا قَصَصْتَهُ فَقَدْ سَوَّيْتَ بَيْنَ كُلِّ شَعْرَةٍ وَأُخْتِهَا، فَصَارَتِ الْوَاحِدَةُ كَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْأُخْرَى، مُسَاوِيَةٌ لَهَا فِي طَرِيقِهَا، وَقُصَاصُ الشَّعْرِ: نِهَايَةُ مَنْبِتِهِ مِنْ قُدُمٍ، وَقِيَاسُهُ صَحِيحٌ، وَالْقُصَّةُ: النَّاصِيَةُ[١].

والقصة في القرآن الكريم ثلاثة أنواع: قصص الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وتشمل دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيَّدهم الله بها؛ كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، وغيرهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وهذا النوع من القصص يسمى واقعة؛ لأنها تعرض نماذج متفاوتة للنفس البشرية.

وأما **النوع الثاني:** قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبؤتهم؛ كقصة طالوت، وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وأصحاب الفيل، ونحوهم، وهذا النوع يسمى بالقصة التمثيلية؛ لأنها تمثل واقعة بذاتها، ولكن يمكن أن تحدث في أي لحظةٍ من اللحظات، وفي أي وقتٍ من الأوقات.

وأما **النوع الثالث:** قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، وهذا النوع يسمى بالقصة التاريخية؛ لأنها قصص يذكرها القرآن بكل أشخاصها، وأحداثها، وأماكنها، على وجه التحديد والحصر[٢].

والقصة في القرآن تهدف إلى تحقيق أمورٍ أربعة، وهي:

١ ـ إثبات الوحي الإلهي وصدق النبوة والرسالة للرسول.

٢ ـ العظة والاعتبار لما حدث للأمم الماضية.

---

(١) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٥/ ١١.

(٢) شبو، «مناهج الدعوة في سورة النحل»، د. ط، ص١٣٠. بتصرف يسير.

٣ ـ تثبت قلب النبي ﷺ في مجال الدعوة.

٤ ـ بيان الدروس التي يمكن أن يفيد الناس منها في حياتهم.

أنواع القصة من حيث مضمونها:

تنقسم القصة من حيث مضمونها إلى قسمين:

القصة العقلية: وهي التي يغلب عليها الطابع العقلي.

القصة العاطفية: وهي التي يغلب عليها الطابع العاطفي، والقصة التي نعنيها، هي النوع الأول، القصة العقلية، والتي يغلب عليها الجانب العقلي، وتساق من أجل العظة والاعتبار، وقد أشار إليها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وعليه؛ نستطيع القول أن كل قصة في القرآن الكريم؛ فيها إشارة إلى التفكر، والتدبر، أو فيها إشارة إلى أولي الألباب والعقول، فهي تصلح أن تكون مثالاً للقصص العقلي، وكذلك كل ما قصه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أصحابه من قصص الأمم السابقة، ويحتوي على العظة، والاعتبار، وهي كثيرة، يضيق المجال عن ذكرها.

٤ ـ أسلوب الإعجاز:

أولاً: مفهوم أسلوب الإعجاز:

الإعجاز لغةً: مصدر، وفعله رباعي، هو أعجز، تقول: أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز(١).

والإعجاز في الاصطلاح: له عدة تعريفات، منها تعريف الإمام الجرجاني(٢)

---

(١) الحموي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ص١٤٩.

(٢) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكوا قرب استرياد، ودرس في شيراز وأقام بها إلى أنْ توفي، له نحو =

في كتابه القيم «التعريفات»: «أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق»[(١)].

وقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: «وإنما الإعجاز شيئان:

١ ـ ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

٢ ـ ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدنه المحدودة، بالغة ما بلغت.

ومنها: «أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة، فعل مثله، في القدر الذي اختص به»[(٢)].

ويمكن تعريفه بقولنا هو: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله، ومن بعدهم إلى يوم القيامة، عن الإتيان بمثل هذا القرآن، مع تمكنهم من البيان، وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة، وتوفر الدواعي، واستمرار البواعث[(٣)].

وما من شك في أن إتقان فن الخطاب ومحاورة الآخر، مسؤولية وأمانة كبيرة في أعناق العلماء والدعاة، فالأمة الإسلامية هي أمة الشهادة على الناس كما وصفها الحق تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، لذا وجب عليها أن تؤدي رسالتها في تبليغ الإسلام بكل الطرق، والوسائل المشروعة، القديم منها والحديث[(٤)].

ومن بين هذه الوسائل: عرض آيات الله تعالى التي تبدو فيها الحقائق

= خمسين مصنفاً. انظر: ترجمته في: «اللكنوي»، «الفوائد البهية في تراجم» الحنفية»، د. ط، ص١٢٥، وبروكلمن، «دائرة المعارف الإسلامية، ط١، ٦/ ٣٣٣، والسخاوي، «الضوء اللامع»، د. ط، ٥/ ٣٢٨، وسركيس، «معجم المطبوعات العربية والمعربة»، ٢/ ٦٧٨، والزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ٥/ ١٥٩ ـ ١٩٠.

(١) الخالدي، «إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني»، د. ط، ص٢٣ ـ ٣١.

(٢) الأسد آبادي، «المغني في أبواب التوحيد والعدل»، د. ط، ١٦/ ٢٢٦.

(٣) الرومي، «دراسات في علوم القرآن»، ط١٤، ص٢٦٣.

(٤) ساسي، «الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم»، د. ط، ص٤٤٣.

واضحة جليّة، لا لبس فيها، ولا غموض، وجعلها قبساً هادياً، يكشف ببرهانٍ علميٍّ قدرة الله، وحكمته في الخلق كما يدعو إلى الإيمان الراسخ بالوحي الإلهي، ينبوع الإسلام ومصدره، يقول تبارك وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥].

ومع أن طريقة الدعوة إلى الله ﷻ بالتفسير العلمي لكتابه الكريم تحمد، فإن ذلك لا يعني إحداث مدرسة جديدة في تفسير القرآن الكريم، بل لا بد من ضوابط لهذا التفسير يضعها المفسِّرون والدعاة نصب أعينهم، ويمكن أن يكون منها ما يلي[١]:

١ ـ عدم فهم القرآن على أنه كتاب علمي بحت، يشرح ظواهر علمية، ويكشف عن نظريات حديثة.

٢ ـ عدم التكلف في إخضاع النصوص القرآنية للبحث، والتنقيب، في دلالة ألفاظ اللغة العربية بما يوافق النظريات العلمية الحديثة.

٣ ـ ألا يكون التفسير إلا بالمتفق عليه من الحقائق العلمية، والتي صارت اليوم من المسلَّمات.

٤ ـ الحذر من الحماسة والانبهار الزائدين باكتشافات العلوم المادية في الغرب، واعتقاد أن علاقة الأسباب بمسبباتها ليست أكثر من رابطة اقتران مجردة، وما العلم في أحكامه وقوانينه إلا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران وحده، أما سر هذا الكون فهو عند ذلك الإلٰه العظيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

والحقيقة أننا إذا عملنا بهذه الضوابط، نكون قد تجنبنا المحاذير التي طالما رددها الكثير من العلماء، والمفكرين المسلمين في عصرنا الحالي، الذين

(١) مقال لكريمة بداوي، مجلة الوعي الإسلامي عدد [٥٣٢] بتاريخ ٩/ ٢٠١٠م.

يرفضون التفسير العلمي للقرآن الكريم، مخافة تغير مدارك العلم الحديث واكتشافاته.

وعليه فلا ينبغي أن نقف حائرين بين دعاة التفسير العلمي ومانعيه، فالمسلم الحق قد تعلَّم من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله ﷺ، أن الحق يُلتمس في آفاق الكون، وفي أغوار النفس، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

ولما كانت قاعدة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»، من قواعد الشرع المقررة، كان على الدعاة المسلمين، أن يخاطبوا غير المسلم بمستوى إدراكه وبلسانه، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم بابٌ واسعٌ يدخل منه الكثيرون من غير المسلمين، ومفكريه، إلى حظيرة الإسلام، إذا ما أحسن توظيفه.

ولطالما بعثت آيات الرحمٰن المعجزة الحياة في قلوب الكثيرين في بلاد الغرب ممن يعتدون بسلطان العقل، ويشككون في كل غيب لا يسانده العلم والدليل، فكان الإعجاز العلمي خيطاً من خيوط الحقيقة التي يكتمل نسيجها عندهم بعد قراءة القرآن الكريم، والسيرة النبوية، لتعلن ولادة جديدة لقلبٍ حي، نابض، بشهادة أن لا إلٰه إلا الله.

ثانياً: تطبيقات أسلوب الإعجاز:

١ ـ الإعجاز اللفظي أو البلاغي:

ونقصد بهذا الوجه بديع نظمه، وعجيب تأليفه؛ وجمله، وتناسقها مع بعضها، وسمّوه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الطوق البشري عن الإتيان بمثله، ويُعلم أن البلاغة إنما تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ودقة اللفظ في انطباقه على المعنى المراد(١).

والإنسان مهما أوتي من القدرة البيانية لا يستطيع أن يسمو إلى ذروة هذه الغاية؛ للأسباب والعوائق التي سنتحدث عنها إن شاء الله.

(١) البوطي، «من روائع القرآن»، د. ط، ص١٣٥.

وإعجاز القرآن من هذا الوجه حجة ـ بشكلٍ مباشرٍ ـ على العرب وحدهم؛ لأنهم هم الذين يدركون هذا المعنى فيه، إلا أن العرب حجة بدورهم، على سائر الناس؛ لأنهم إذا رأوا أن أرباب هذه اللغة وأُدباءها قد قصر بهم الطوق عن إنشاء مثله؛ أدركوا أنه معجز، وأنه ليس ممَّا يقدر عليه البشر(١).

٢ ـ الإعجاز بالغيبيات:

ويقصد بالغيبيات: تلك الإخبارات المتعلقة بأحداث مقبلة، والتي لم يظهرها بعد أيّ شاهد من العقل، أو الحس، أو الدلائل، التي تعوّد الإنسان على الاعتماد عليها، سواء تعلقت هذه الأخبار بأحداث عامة، أو تعلقت بأناس، أو فئات بأعيانهم، أو تعلقت بنواميس كونية.

ففي القرآن آيات كثيرة أخبرت عن أحداث ستقع في زمنٍ مقبل، وفيه آيات تحدّثت عن مصائر أشخاص بأعيانهم، وفيه نصوص تقرر قوانين ثابتة بالنسبة لكثيرٍ من المظاهر الكونية المحيطة بنا، وقد جاء الزمن فيما بعد بمصداق هذه الأخبار كلها، دون أن يكون عليها أيّ شاهد من قبل، من حس، أو عقل، أو أيّ بيّنة من البيّنات.

فمن **النوع الأول**: قول الله ﷿: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤﴾ [الروم: ١ ـ ٤].

ومن المعلوم كما رواه الترمذي وغيره، وكما هو ثابت في التاريخ أن الفرس انتصروا في معركة بقيادة «شربزان» على الروم، وذلك أيام كسرى، وكان المشركون يحبّون أن يظهر أهل فارس على الروم؛ لأنهم وإيّاهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، فلما أنزل الله هذه الآية، وفيها إخبار بأن الروم سيعودون فينتصرون على الفرس في بضع سنين؛ أي: في أقل من عشر سنين، خرج أبو بكر يصيح بها في نواحي مكة، فقال له أناس من قريش: فذلك بيننا وبينكم، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال:

(١) الباقلاني، «إعجاز القرآن»، د. ط، ص٢٥٩.

بلى... وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع؟ ثلاث سنين، أو تسع سنين؟ فسمّوا بينهم ست سنين، فمضت السنوات الست قبل أن يظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السَّنة السابعة ظهرت الروم على فارس، قال: وأسلم عند ذلك كثيرون... وفي رواية أخرى أنه لما مرّت السنوات الست ولم يظهر الروم؛ قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**ارجع فزدهم في الرهان، واستردهم في الأجل**»، ففعل أبو بكر، فغلبت الروم في أثناء الأجل[(١)].

٣ ـ الإعجاز بالتشريع:

الإعجاز التشريعي في القرآن حقيقة بارزة، لا تقبل ريباً، ولا يكتنفها غموض، ولكن الأمر يحتاج إلى فهم حيثية الإعجاز التشريعي فيه، وهو ما فات التنبّه له، أو التنبيه إليه، لدى كثير من الباحثين.

ولا شك أن التنبّه إلى هذه الحيثية التي هي مكمن الإعجاز التشريعي في القرآن، يحتاج إلى مقدمة، نوجزها فيما يلي:

من المعلوم فيما أجمع عليه علماء القانون، والاجتماع؛ أن آخر ما يتوج به تقدم أيّ جماعة، أو أمة، في نهضتها المدنية والحضارية، هو تكامل البنية القانونية، والتشريعية، في حياتها؛ أي: إن ظهور صياغة قانونية متكاملة في الأمة؛ يعدّ الثمرة العليا لتقدمها الحضاري.

ولا يمكن أن تختلف هذه الظاهرة بحال من الأحوالٍ، بمعنى لم تصادف أن تجد جماعة من الناس بدأت سيرها في طريق الرقي، والحضارة، بإرساء بناء قانوني متكامل لحياتها، بحيث جعلت منه منطلقها إلى الثقافة، والرقي الاجتماعي، والاقتصادي، والعلمي؛ ذلك لأن الأمة التي لم تتقدم حضارياً بعد، والتي لا تزال تعيش في عهد البداوة، وفي ظل الأعراف القبلية؛ ليس في حياتها الاجتماعية من التعقيد ما يشعرها بالحاجة إلى سن قانون، ووضع تشريع، غير أنها تزداد شعوراً بذلك، تدريجاً كلما تقدمت حضارياً، وازداد تركيبها تعقيداً.

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب التفسير، باب: ومن سورة الروم، ١٩٨/٥، حديث رقم (٣١٩٤). وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

والذي ظهر في الجزيرة العربية قبل أربعة عشر قرناً، عكس هذا الذي أجمع عليه علماء القانون، والاجتماع، وعرفه الناس من تجارب الأمم ووقائع التاريخ... فلقد ظهر فجأةً بين تلك الجماعات الأميّة من أهل الجزيرة العربية، قانون متكامل يتناول الحقوق المدنية، والأحوال الشخصية، ويرسم العلاقات الدولية، ويضع نظام السلم، والحرب، ويضبط آثارهما... كل ذلك ولـمَّا تتعلم تلك الجماعات بعد شيئاً عن معنى المجتمع الذي يحتاج إلى قانون، ولـمَّا تأخذ بنصيبٍ من العلم، أو الحضارة والثقافة، ممَّا يعدّ خطوات أساسية لا بدّ من اجتيازها في طريق الوصول إلى المستوى الذي يوجد الشعور بالحاجة إلى وضع تشريع، وقانون.

وهذا يؤكد بأن الكتاب الذي حوى هذا التشريع، إنما أنزل وحياً من عند الله تعالى ولم يؤلّف من قبل أيّ بشر على وجه الأرض...

وإلَّا فأين القدرة في أن تؤلف قبائل تظلها حياة البداوة البدائية البسيطة قانون توثيق العقود، ونظام توزيع التركات والمواريث، وضوابط السلم، والحرب، ثم تمر الأجيال، وتتطور الظروف والأحوال، دون أن يشعر أي باحث منصف بأيّ موجبٍ حقيقيٍّ لتغيير شيء من هذه النظم، والأحكام، بل تعقد لدراسته المؤتمرات العالمية بعد مرور أربعة عشر قرناً من وجوده، وتطبيق المسلمين له، ويُجمع أساطين الفقه، والقانون، على أعقاب هذه المؤتمرات ـ على اختلاف مللهم ومذاهبهم ـ على الأهمية البالغة لهذا التشريع، وعلى ضرورة دراسته، والإفادة منه في الدراسات المختلفة... أفيكون هذا التشريع الذي اتّسم بهذا الخلود من وضع جماعات من العرب والأعراب الأميين، الذين يحكمهم نظام البادية وأعراف القبيلة؟!

من أجل هذا وجب باليقين بأن هذا القرآن كلام الله تعالى، ذهب الباحثون المستشرقون ومن لفّ لفّهم يميناً وشمالاً، في البحث عن تحليل مقبول لقصة هذا التشريع الذي ظهر فجأة في الجزيرة العربية، فمرّة فرضوا أنه مقتبسٌ عن القانون الروماني، ولما رأوا أنه لا توجد أيّ جسور واصلة ما بين هذه الفرضية، وواقع الجزيرة العربية آنذاك، تحولوا عن هذا القول إلى فرض أنه مقتبسٌ عن الشرائع

اليهودية... ولما أعوزهم الدليل على هذا الزعم العجيب؛ قالوا: فلعلّه مقتبسٌ عن شريعة حمورابي.

كل هذا فراراً من القول: بأن هذا التشريع ظهر هكذا في جو الجزيرة العربية، دون أن ينبع من أرضها؛ لأنه غير معقول أن ينزل من سمائها؛ لأنهم لا يريدون أن يعترفوا بنبوّة محمد عليه الصلاة والسلام.

ونحن نقول: إما أنه لا يمكن أن يكون قد نبع من أرضها، وهو صحيح؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، بل لا يستشعر الحاجة إليه، وإما أنه لا يمكن أن يكون قد نزل من سمائها، فهذا ما نخالف فيه، بل نقول إنه لا يمكن إلا أن يكون شرعاً منزّلاً من السماء؛ أي: من لدن ربّ العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، ليكون من المبلغين له بلسانٍ عربيٍّ مبين.

هذه هي خلاصة القول عن الإعجاز التشريعي في القرآن، وأما القول عن دقة هذا التشريع، وسعته، ومقوّمات خلوده، وصلاحيته؛ فحدّث عن ذلك ولا حرج، والكلام في ذلك متشعب، وطويل الذيل. إلا أن الحديث في ذلك خارج في جملته عن حقيقة الإعجاز الذي نتكلم عنه، وإنما مكمن الإعجاز التشريعي هو ما قد أوضحناه بشكلٍ موجز.

٤ ـ الإعجاز التأثيري:

والمقصود بالتأثيري: «الأَثر، بالتحريك ما بقي من رسم الشيء، والتأْثير إِبْقاءُ الأَثر في الشيء، وأَثَّرَ في الشيء؛ ترك فيه أَثراً»[(١)].

«وحد الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته»[(٢)].

ويظهر ذلك جليّاً في أن أشد الناس عداوة للمسلمين على مر الزمان؛ اليهود، والذين أشركوا، وقد بيّن الله ﷻ لنا عداوتهم بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٤/ ٥.

(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص١١٢.

ومع هذه العداوة الشديدة؛ فإن المشركين كانوا يتأثرون بالقرآن، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: تأثير القرآن على المشركين:

١ ـ تأثيره على الوليد بن المغيرة واعترافه بذلك:

جاء في الحديث: (أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن؛ فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له، أو إنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وأنه ليعلو وما يعلى، وأنه ليحطم ما تحته! قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر؛ قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المدثر: ١١])[١].

٢ ـ تأثيره على عتبة بن ربيعة:

وهذا «عتبة بن ربيعة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه النبي ﷺ أوائل سورة فصلت، فرجع إلى قريش قائلاً: إني والله قد سمعت قولاً ما سمعتُ بمثلِه قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبينَ ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ»[٢].

فهذا الاعتراف من أشد الناس عداوة لهذا الدين، لهو دليلٌ قاطعٌ لتأثير القرآن الكريم عليهم على الرغم من شركهم.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، ٢/٥٥٠، حديث رقم (٣٨٧٢). وقال فيه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

(٢) هارون، «تهذيب سيرة ابن هشام»، ط١٤، ١/٨١، والبيهقي، «دلائل النبوة»، ط١، ٢/٢٠٥.

٣ ـ تأثيره على أبي جهل والأخنس بن شريق وأبي سفيان حال الشرك:

خروج بعض المشركين في الليل في زمن الرسول ﷺ ليستمعوا للقرآن الكريم، وذلك لشدة تأثرهم بالقرآن، مع أنهم غير مؤمنين به.

فقد ورد في سيرة ابن إسحاق عن الزهري، قال: «حدثت أن أبا جهل، وأبا سفيان، والأخنس بن شريق؛ خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا، أو طلع الفجر، تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودنَّ، لو رآكم بعض سفهائكم؛ لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة؛ أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر؛ تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق، أخذ عصاً، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان؛ قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه! فقام عنه الأخنس بن شريق»[(١)].

فمن هذه القصة يتضح أن عدم إسلام أبي جهل سببه الكبر، بعد معرفة الحق والاعتراف بتأثير القرآن الكريم، والذي يدل على أنه من عند الله تعالى.

---

(١) ابن إسحاق، «سيرة ابن إسحاق»، ط١، ٤/ ١٧٠.

٤ ـ محاولة المشركين الصد عن سماع القرآن الكريم:

وذلك لتأثير القرآن الكريم على سامعيه، ومن ذلك لما كان أبو بكر يقرأ في فناء داره، وكان النساء والأطفال يأتون فيستمعون له، ويتأثرون به؛ خافوا من ذلك، وأمروه أن لا يرفع صوته بالقرآن.

فعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «... لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد[(١)]، لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج، ولا يُخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشيةً في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلَّ، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا، وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث بذلك يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين، وأبناؤهم، وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا، وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك؛ فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد

---

(١) موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل. الهمداني، «الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة»، د. ط، ص٧٢٥.

كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان...» الحديث[١].

ومن شدة تأثيره على المشركين؛ تواصوا فيما بينهم بقولهم كما أخبرنا الله ﷻ عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦].

وكما جاء في تفسير هذه الآية؛ بأنها حكاية لما فعله بعض قريش كأبي جهل، وذلك أن رسول الله ﷺ كان يقرأ القرآن في المسجد الحرام، ويصغي إليه الناس من مؤمنٍ، وكافرٍ، فخشي الكفار استمالة القلوب بذلك، فقالوا: متى قرأ محمد فلنلغط نحن بالمكاء، والصفير، والصياح، وإنشاد الشعر والإرجاز، حتى يخفى صوته، ولا يقع الاستماع منه[٢].

٥ ـ إسلام بعض الكافرين تأثراً بالقرآن:

المشركون حاولوا الصد عن سماع القرآن لأنهم يرون الناس يتأثرون به، ومن ذلك خبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يخرج يريد قتل محمد ﷺ، وبمجرد قراءته لبعض الآيات؛ يسلم كما جاء عن ابن إسحاق قال: «ثم إن قريشاً بعثت عمر بن الخطاب وهو يومئذٍ مشرك في طلب رسول الله، ورسول الله ﷺ في دار في أصل الصفا، ولقيه النحام وهو نعيم بن عبد الله بن أسد أخو بني عدي بن كعب، قال: وأسلم قبل ذلك، وعمر متقلدٌ سيفه، فقال: يا عمر؛ أين تراك تعمد؟! فقال: أعمد إلى محمد هذا، الذي سفَّه أحلام قريش، وسفَّه آلهتها، وخالف جماعتها، فقال له النحام: والله لبئست الممشى مشيت يا عمر، ولقد فرطت وأردت هلكة بني عدي بن كعب، أو تراك تنفلت من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً، فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما، فقال له عمر: إني لأظنك قد صبأت، ولو أعلم ذلك لبدأت بك، فلما رأى النحام أنه غير منته؛ قال: فإني أخبرك أن أهلك وأهل ختنك قد أسلموا، وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك، فلما سمع عمر تلك المقالة، قال: وأيهم؟ قال: ختنك، وابن عمك، وأختك،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، ٣/ ٩٨.

(٢) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، ط١، ٥/ ١٢.

فانطلق عمر حتى أتى أخته وكان رسول الله ﷺ، إذا أتته الطائفة من أصحابه من ذوي الحاجة؛ نظر إلى أولي السعة فيقول: «**عندك فلان، فليكن إليك**»، فوافق ذلك ابن عم عمر وختنه زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل؛ فدفع إليه رسول الله ﷺ خباب بن الأرت مولى ثابت ابن أم أنمار، حليف بني زهرة، وقد أنزل الله ﷻ ﴿طه ۞ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۞﴾ [طه: ١ ـ ٣]، وكان رسول الله ﷺ دعا ليلة الخميس، فقال: «**اللَّهُمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بأبي الحكم بن هشام**»، فقال ابن عم عمر وأخته: نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لعمر، فكانت، فأقبل عمر حتى انتهى إلى باب أخته ليغير عليها ما بلغه من إسلامها؛ فإذا خباب بن الأرت عند أخت عمر يدرس عليها طه، ويدرس عليها إذا الشمس كورت، وكان المشركون يدعون الدراسة الهيمنة، فدخل عمر، فلما أبصرته أخته عرفت الشر في وجهه، فخبأت الصحيفة، وراغ خباب فدخل البيت، فقال عمر لأخته: ما هذه الهيمنة في بيتك؟ قالت: ما عدا حديثاً يتحدث به بيننا، فعذلها وحلف ألا يخرج حتى تبين شأنها، فقال له زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: إنك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك يا عمر، وإن كان الحق سواه! فبطش به عمر، فوطئه وطياً شديداً، وهو غضبان، فقامت إليه أخته تحجزه عن زوجها، فنفحها عمر بيده فشجها، فلما رأت الدم؛ قالت: هل تسمع يا عمر، أرأيت كل شيء بلغك عني ممَّا يذكر من تركي آلهتك، وكفري باللات والعزى؟! فهو حق، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فائتمر أمرك، واقض ما أنت قاض. فلما رأى ذلك عمر سقط في يديه، فقال عمر لأخته: أرأيت ما كنت تدرسين؟! أعطيك موثقاً من الله لا أمحوها حتى أردها إليك، ولا أرتبك فيها، فلما رأت ذلك أخته، ورأت حرصه على الكتاب، رجت أن تكون دعوة رسول الله ﷺ له، فقالت: إنك نجس ولا يمسه إلا المطهرون، ولست آمنك على ذلك، فاغتسل غسلك من الجنابة، وأعطني موثقاً تطمئن إليه نفسي، ففعل عمر، فدفعت إليه الصحيفة، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقرأ: ﴿طه ۞﴾ حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۞﴾ [طه: ١٥، ١٦]، وقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞﴾ [التكوير: ١]

حتى بلغ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: ١٤]، فأسلم عند ذلك عمر: فقال لأخته وختنه: كيف الإسلام؟ قالا: تشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع الأنداد، وتكفر باللات والعزى، ففعل ذلك عمر»[١].

وكان الطفيل بن عمروٍ الدوسي يُحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً، شاعراً، لبيباً، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه، ولا تسمعنَّ منه شيئاً، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي! والله إني لرجل لبيب، شاعر، ما يخفي عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف، لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض علي أمرك، قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام ـ، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت، وشهدت شهادة الحق[٢].

وكذلك كان السبب في إسلام كثير من الصحابة رضي الله عنهم التأثر بالقرآن الكريم.

---

(١) ابن إسحاق، «سيرة ابن إسحاق»، ط١، ص١٨٣.

(٢) سبق تخريجه ص١٢٢.

وأما من لم يسلم؛ فقد بيَّن تعالى سبب عدم استفادتهم بما يسمعون في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية: ٧، ٨].

فأوضح أن الكبر هو المانع من الاستجابة، والجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ۝٥٧﴾ [الكهف: ٥٧].

ثانياً: تأثير القرآن الكريم على أهل الكتاب:

كثرت الشهادات، وفاض الكثير منها عن تأثر أهل الكتاب وغيرهم بالقرآن الكريم، وأكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها:

قال أرنولد(١): «.. (إننا) نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار (الإسباني) الذي عرف بتعصبه على الإسلام؛ يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به:

ولقد ألَّف الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا السابق بالرباط كتاب (الإسلام كبديل)(٢)، وفيه شهادات كثيرة على إعجاز القرآن، وصدقه، وصدق النبي ﷺ، وكمال التشريع»(٣).

---

(١) توماس آرنولد (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠)، مستشرق إنجليزي التحق بكلية المجدلية في جامعة كمبردج عام ١٨٨٢م حيث اجتذبته الدراسات الشرقية، وبعد أن أنجز بنجاح دراسته أمضى السنة الرابعة عاكفاً على دراسة الإسلام، واختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في الهند، فقضى فيها عشر سنوات، كان لها تأثير بالغ في نظره تجاه الإسلام، وكان يدعو إلى التوفيق بين الثقافة الإسلامية والفكر الأوربي، وتولى عدة مناصب، وقبل وفاته بعام دعته الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) أستاذاً زائراً. وبعد أن أمضى النصف الثاني من العام الدراسي ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠م في التدريس بقسم التاريخ عاد إلى لندن وتوفي فيها في ٣٠ يونيو ١٩٣٠، من مؤلفاته: «الدعوة الإسلامية» و«الخلافة» وغيرها.

(٢) من منشورات مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ٢٠٠١.

(٣) المطيري، «الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري»، ط١، ص٣٧.

وقد ذكر ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩]، «وهذه الصفات توجد في اليهود، ولكن قليلاً كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود، ولم يبلغوا عشرة أنفس، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق»[(١)].

وأما سبب سجودهم، وتأثرهم؛ فلأنهم أولاً: خَرُّوا ساجدين لله تعالى قبل ذلك؛ لأنهم أدركوا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، وتحقَّق لهم وعد الله فعاصروه وآمنوا به، وأما هذه المرة؛ فيخرون ساجدين لما سمعوا القرآن تفصيلاً، وانفعلوا به، فيكون له انفعال آخر، لذلك يزيد هنا الخشوع، والخضوع، فكلما قرأوا آية ازدادوا بها خشوعاً، وخضوعاً[(٢)].

ثالثاً: الإعجاز التأثيري للعلاج بالقرآن:

هناك محاولات لفهم سر العلاج بالقرآن، وكيف يؤثر في علاج المرضى؟ يقول أحد الباحثين: «إن تلاوة القرآن هي عبارة عن مجموعة من الترددات الصوتية التي تصل إلى الأذن، وتنتقل إلى خلايا الدماغ، وتؤثر فيها من خلال الحقول الكهربائية التي تولدها في الخلايا، فتقوم الخلايا بالتجاوب مع هذه الحقول، وتعدل من اهتزازها، هذا التغير في الاهتزاز هو ما نحس به ونفهمه بعد التجربة والتكرار.

إن النظام الذي فطر الله عليه خلايا الدماغ، هو النظام الطبيعي المتوازن، وهذا ما أخبرنا به البيان الإلهي، يقول تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

إن صوت القرآن يؤدي إلى تغيير المعلومات التي تحملها هذه الخلية بما

---

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ١/ ٥٤٥.

(٢) الشعراوي، «تفسير الشعراوي»، د. ط، ١٤/ ٨٨٠٦.

يزيد من كفاءتها في مقاومة الفيروسات والخلل الناتج عن الأمراض الخبيثة»[١].
وهذا ما أثبتته إحدى التجارب العلمية إذ أثبت العلم الحديث أن الصوت صورة من صور الطاقة، وينتقل على شكل موجات، وعند وصول الصوت إلى الأذن؛ تبدأ إرهاصات الإدراك السمعي، والتي تنتهي بالفهم، والتخيل، والرغبة، والرهبة، والحب، والبغض، وكافة المشاعر الإنسانية المرتبطة بالمؤثر الصوتي، سواء كان له معنى في ذاته، أو أثار في نفسك قصصاً، وذكريات، وتنشأ عن ذلك الفكرة، والنية، والعزيمة، والإرادة، والفعل، وذلك وفقاً لما يمكن أن يحمل الصوت المسموع من معاني، ومفاهيم، ونغم، وهدير، ممَّا يكون له تأثيره على النفس والجسد[٢].

وقد أجرى الدكتور أحمد القاضي تجربة في عيادات (أكبر)[٣] لإثبات ما إذا كان للقرآن أي أثر على وظائف أعضاء الجسد، وقياس هذا الأثر إن وجد، واستعملت أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر، لقياس أي تغيرات فسيولوجية عند عدد من المتطوعين الصم أثناء استماعهم لتلاوة القرآن، وقد تم تسجيل وقياس أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين باللغة العربية، وبغير العربية، وكذلك عند عدد من غير المسلمين متحدثين بالعربية، أو غير متحدثين بها، وتليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم، كما تليت عليهم ترجمة لهذه المقاطع باللغة الإنجليزية، وفي كل هذه المجموعات أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدئ مؤكدة للقرآن في ٩٧٪ في التجارب المجراة، وهذا الأثر ظهر في شكل تغيرات فسيولوجية تدل على تخفيف توتر الجهاز العصبي التلقائي، وقد ظهر من الدراسات المبدئية أن تأثير القرآن المهدئ للتوتر يمكن أن يعزى إلى عاملين:

(١) موقع عبد الدائم الكحيل، بعنوان: «قوة العلاج بالقرآن: بين العلم والإيمان»، على هذا الرابط: http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=498
(٢) موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة بعنوان «المعجزة الصوتية للقرآن الكريم»، للدكتور محمود يوسف عبده. رابط الموقع:
http://www.nooran.org/ShowArticle.aspx?ArtID=97
(٣) في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا، وقدم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في استنبول، تركيا.

١ ـ صوت الكلمات القرآنية، بغض النظر عمَّا إذا كان المستمع قد فهمها، أم لم يفهمها، آمن بها أم لم يؤمن بها.

٢ ـ معنى المقاطع القرآنية ولو كانت مقتصرة على الترجمة الإنجليزية بدون الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، ولذلك أُجريت بحوث المرحلة الثانية التي تضمنت دراسات مقارنة، لمعرفة إذا ما كان أثر القرآن المهدئ للتوتر وما يصاحبه من تغيرات فسيولوجية عائداً لتلاوة القرآن، وليس لعوامل أخرى، مثل الصوت، أو رنة القراءة القرآنية العربية، أو معرفة السامع بأن ما يُقرأ عليه هو جزء من كتاب مقدس؛ أي: أن هدف الدراسة تحقيق الافتراض القائل: بأن الكلمات القرآنية في حد ذاتها لها تأثير فسيولوجي، بغض النظر عمَّا إذا كانت مفهومة لدى السامع، وقد أجريت هذه التجارب خلال اثنين وأربعين جلسة علاجية، تضمنت كل جلسة خمس تجارب، وبلغ المجموع الكلي للتجارب: مائتين وعشرة تجربة، تليت على المتطوعين فيها قراءات قرآنية خلال خمس وثمانين تجربة، كما تليت عليهم قراءات عربية غير قرآنية باللغة العربية مجودة، لتطابق القراءات القرآنية من حيث الصوت، واللفظ، والوقع، على الأذن خلال خمس وثمانين تجربة أخرى، ولم يستمع المتطوعون لأي قراءة خلال أربعين تجربة، بحيث كانوا جالسين جلسة مريحة، وأعينهم مغمضة خلال تجارب الصمت، وهي نفس الحالة التي كانوا عليها أثناء التجارب السابقة، ولقد ظهر بوضوح أن التجارب الصامتة لم يكن لها أي تأثير مهدئ للتوتر، وكانت النتائج إيجابية في٦٥٪ من تجارب القراءات القرآنية، بينما لم يظهر هذا الأثر إلا في ٣٣٪ فقط من تجارب القراءات غير القرآنية[(١)].

ويقول الشيخ عبد المجيد الزنداني: «وقد ذكر لي أحد كبار المسؤولين في اليمن أنه إذا أوقظ من نومه في الليل؛ يأتيه أرق يمنعه من النوم ثانية، فيلجأ إلى سماع القرآن لإذهاب ما أصابه من توتر والعودة إلى النوم، ويمكن لكل شخص

(١) الزنداني، «بينات الرسول ومعجزاته، الفصل الثالث، التحدي بالقرآن، عنوان تجربة في تأثير القرآن على التوتر العصبي» في موقع جامعة الإيمان على هذا الرابط:
http://www.jameataleman.org/book/MOGZAT/MAIN.HTM

يقع في مثل هذه الحالة أن يعالج نفسه بنفس العلاج، وإن كثيراً من المجهدين بالتوتر العصبي، إذا استمعوا إلى كلام الله ارتخت أعصابهم، ورأيت النعاس يداعب أجفانهم، إن هذه القوة المؤثرة في الأعصاب تدل على مصدرها الإلهي العظيم»[١].

وإذا أدى القرآن الكريم إلى إنقاص التوتر، فبالتالي يؤدي إلى علاج الأمراض المصاحبة للتوتر؛ كنقص المناعة.

والأبحاث حول أثر القرآن على العلاجات المختلفة للإنسان لا تزال في بداياتها، ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

رابعاً: تأثير القرآن الكريم على الجماد:

يخبر الله تعالى عن القرآن بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

قال الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أي: من شأنه، وعظمته، وجودة ألفاظه، وقوة مبانيه، وبلاغته، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب؛ أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض؛ لرأيته مع كونه في غاية القسوة، وشدة الصلابة، وضخامة الجرم، خاشعاً، متصدعاً؛ أي: متشققاً من خشية الله ـ سبحانه ـ، حذراً من عقابه، وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله، وهذا تمثيل وتخييل يقتضي علو شأن القرآن، وقوة تأثيره في القلوب»[٢].

---

(١) «بينات الرسول ومعجزاته الفصل الثالث التحدي بالقرآن عنوان تجربة في تأثير القرآن على التوتر العصبي».

(٢) الشوكاني، «فتح القدير»، ط١، ٢/ ٢٩١.

بل قد جاء في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن للجبل مشاعر، وكذلك الجذع، والحجر الأسود، ومن كان يتصور ذلك! فقد جاء في الصحيح عن جبل أحد من حديث أنس بن مالك ﵁، قال: (خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً وبدا له أحد، قال: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»[١]، وكحنين الجذع المتواتر خبره عن ابن عمر ﵄: «كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع؛ فلما اتخذ المنبر؛ تحول إليه، فحنَّ الجذع، فأتاه يمسح يده عليه»[٢]، وجاء عن الرسول ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[٣]، وفي هذا الحديث إثبات التمييز لهذا الحجر، وما يدرينا أنها في كل الجمادات؟! وجاء في صفة الحجر الأسود بأنه يشهد لمن استلمه بحق يوم القيامة، فقد جاء عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحق**»[٤] وغير ذلك ممَّا في معناه.

خامساً: تأثير القرآن على النبات:

رأينا في تأثير القرآن على الجماد أن للجماد تمييزاً، فهو يسلم على الرسول ﷺ قبل البعثة، ويحن الجذع لفراق الحبيب محمد ﷺ وتأثراً بما كان يسمع من الذكر، ويخبرنا الله أنه لو نزل هذا القرآن على جبلٍ لتأثر، ولتصدع من خشية الله، وأما هل يتأثر النبات بالقرآن؟ تقول الأبحاث العلمية، والتي تحتاج إلى توثيقٍ أكبر، ولا يوجد مانع من ذلك، والله خالق كل شيء، وقادر على كل

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، ٤/ ٣٥، حديث رقم (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ١٩٥، حديث رقم (٣٥٨٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ٤/ ١٧٨٢، حديث رقم (٢٢٧٧).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ٤/ ٩١، حديث رقم (٢٢١٥). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

شيء، وهذا بحث أشار إليه الدكتور محمد راتب النابلسي بقوله: «فالنباتات كالأجرام السماوية، وكمخلوقات الله الأخرى، تشعر وتسمع، وتستجيب سلباً أو إيجاباً، لما حولها من مؤثرات خارجية»[١].

وأشار الدكتور إلى بحث حول تأثير القرآن على النبات، ونتمنى أن يكون هناك أبحاث مشابهة لتأييد ذلك، وهذا ملخص البحث:

أجري في هذا البحث تجربة في حديقة كلية العلوم عام ١٩٩٧م، فنصب الباحث أربعة بيوت بلاستيكية موحدة في حجمها، وزرع فيها قمحاً من نوع معين واحد، وملأها بكميات متساوية من التراب، وغرس فيها بذور الحنطة على عمقٍ واحد، وتم تسميدها جميعاً بكميات متساوية من سمادٍ معين، وسقيت جميعاً بذات العدد من السقيا، وبكميات متماثلة من الماء، العجيب أنه أراد التوحيد في كل شيء في الحجم، والتربة، ونوع البذور، والسقيا، ـ زمن السقيا ـ ونوع السماد، ثم اختار إحدى طالباته لتقرأ السور القرآنية التالية على أحد البيوت البلاستيكية، سورة يس، والفاتحة، والإخلاص، وآية الكرسي، مرتين في الأسبوع، على البيت الأول ـ عندنا أربعة بيوت ـ وفي البيت الثاني كلف طالبة أن تأتي بنبات، وتمزقه أمام بقية النبات، وتعذبه، وتقطع أوصاله، وتذكر كلمات قاسية ونابية أمام هذا النبات، مرتين في الأسبوع، وكلف طالبة ثالثة بضرب النبات الثالث، وكيّه، وتعريض وريقاته للقص، فهناك نبات عذب أمامه نبات، وهناك نبات تلقى التعذيب مباشرة، وهناك نبات قرأت عليه آيات القرآن الكريم، وأما البيت الرابع فترك ينمو نمواً طبيعياً، وأطلق عليه اسم البيت الضابط، فماذا كانت النتيجة؟ فالبيت الرابع هو المقياس، والأول سمع القرآن، والثاني لقي التعذيب، والثالث رأى التعذيب، والنتيجة التي عرضها في مؤتمر علمي: أن نبات البيت الذي استمع للقرآن الكريم، ازداد طوله أربعة وأربعين بالمئة من طول النبات الضابط في البيت الرابع، وازدادت غلته مئة وأربعين بالمئة من غلة البيت الرابع الضابط، وأما البيت الثاني، والثالث، اللذان تحملا التعذيب، ورؤيته؛

---

(١) موسوعة النابلسي بعنوان: «سلوك النبات»، على هذا الرابط:

http: //www.nabulsi.com/index ar.php

فقد تدنى طول نباتهما خمسة وثلاثين بالمئة، وهبط إنتاجه إلى ثمانين بالمئة، وهذا تفسير علمي للبركة، فحينما يزرع المؤمن يقرأ القرآن بنفسٍ طيبة، ويذكر الله دائماً، فهذا الذكر أمام النبات يزيد في الغلة(١).

ج ـ الإعجاز العلمي:

هو إخبار القرآن الكريم، أو السُّنَّة النبوية، بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهذا ممَّا يظهر صدق الرسول محمد ﷺ فيما أخبر به عن ربه ﷻ فهو «إخبار القرآن الكريم، أو السُّنَّة النبوية» وهذا علم سماع عن طريق النقل.

«بحقيقة أثبتها العلم التجريبي» وهذا علم يحتاج إلى أجهزة، وأبحاث، ودراسات، ومعرفة مدة التعرف على هذه الحقيقة العلمية.

«وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ» وهذا العلم يحتاج إلى معرفة بالتواريخ، للاكتشافات العلمية المختلفة، ومقارنتها بما كان عليه الحال في زمن الرسول ﷺ حتى يتضح الإعجاز.

وللإعجاز العلمي أثر بيِّن المسلمين في تقوية الإيمان وزيادته؛ كأثر المعجزات التي شاهدها الصحابة، فالمعجزات الأولى للصحابة؛ كانت سبباً لإسلامهم، والتي تليها كانت لتقوية الإيمان وزيادته، وهذا الإعجاز العلمي بين المسلمين هو لزيادة الإيمان، وتقويته، وتثبيته، ومع كثرة الشبهات من العلمانيين، والكفار؛ تصبح المعجزات العلمية رداً واضحاً، ومعجزة بينة في زماننا؛ لتثبيت المؤمنين على إيمانهم، ولزيادة الإيمان، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

فإذا كان الصحابة قد رأوا العشرات من المعجزات في أحوال مختلفة، والتي قد سمعنا بها من طرقٍ صحيحة، والتي تسمى دلائل النبوة، والتي تشهد للرسول ﷺ، وتثبت إيمان المؤمنين وتقويه، ومن ذلك:

---

(١) موسوعة النابلسي بعنوان: «سلوك النبات» على هذا الرابط:
http: //www.nabulsi.com/index ar.php

أولاً: الغيوب التي أخبر عنها النبي ﷺ، وتحققتْ حال حياته، أو بعد وفاته؛ كما أخبر عنها.

ثانياً: المعجزات الحسية التي وهبها الله لنبيه ﷺ؛ كتكثير الطعام، وشفاءِ المرضى، وانشقاقِ القمر.

ثالثاً: الدلائل المعنوية؛ كاستجابة الله دعاءه، وعصمتِه له من القتل، وانتشارِ رسالته عليه الصلاة والسلام، فهذا النوع من الدلائل يدل على تأييد الله له، ومعيَّته لشخصه، ثم لدعوته، ودينه، ولا يؤيد الله داعياً يفتري عليه الكذب بمثل هذا.

رابعاً: القرآن الكريم وهو أعظمُها وأدومُها، إنه معجزة الله التي لا تبليها السُّنونُ ولا القرون، وبه تحداهم أن يأتوا بمثله، فلم يستطيعوا، واعترفوا بشدة تأثيره عليهم، مسلمهم، وكافرهم.

خامساً: إخبار النبوات السابقة وتبشيرها بمقدمه ﷺ.

سادساً: أخلاقه ﷺ، فأخلاقه، وأحواله الشخصية؛ الدالة على كماله، ونبوّته، إذ لم تجتمع فيه هذه الصفات وتلك الكمالات إلا من تأديب الله له، فقد أدّبه فأحسن تأديبه، وقد روي عن الرسول ﷺ قوله: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**».

فإذا كان الصحابة قد رأوا عشرات المعجزات والدلائل التي تظهر صدق الرسول ﷺ، وتزيد إيمان المؤمنين، وتثبته وتقويه، ومن قرب من ذلك الجيل، فكيف بمن بَعُد عن ذلك الجيل؟ الجواب: في كل يوم تظهر معجزات لماذا؟ لأن هذا الدين ليس خاصّاً بالصحابة، أو بمن أسلم من العرب فقط، أو للجيل الأول دون الأجيال الأخرى، ليس هذا، بل هو للناس جميعاً، أبيضهم، وأسودهم، الجيل الأول ومن بعده إلى قيام الساعة، ولذلك أمر الله الرسول ﷺ بتبليغ هذا الدين للناس جميعاً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى يخبرنا عن مهمة الرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا

كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فإذا عرفنا أن الرسول ﷺ مرسل للناس جميعاً، وأنه لا نبي بعده فقد جعل الله ﷻ لهذا الدين معجزة كبرى، أشار الرسول ﷺ إلى عظمتها بقوله ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»، فهذه المعجزة الكبرى تُظهر في كل زمن وعصر صدق الرسول ﷺ، ومنها في عصرنا الحاضر الإعجاز العلمي، ويظهر أثره في تقوية الإيمان وتثبيته بين المسلمين، ويقوم مقام المعجزات المشاهدة في عصر الرسول ﷺ بل هو معجزة مشاهدة في عصرنا الحاضر: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

وصحيح أنّ هذا المنهج له جذور في التراث السابق، لكن يعود الفضل إلى العرب المسلمين في إعادة الاعتبار إليه، وقد ركزوا بصورة خاصة على ما يلي:

أ ـ أن التجربة هي المعيار الذي نلجأ إليه لحسم صدق القضايا العلمية الاختبارية، وقد أطلقوا عليها ألفاظاً مختلفة، مثل: الاعتبار، أو الامتحان، عند ابن الهيثم أو التدبير، كما هو الحال عند جابر بن حيان، ولم يكتف العلماء العرب المسلمون بالتجربة الواحدة، وإنما ذهبوا إلى ضرورة التكرار، بغية المزيد من التحوط في الحكم، وما أثبتته التجربة عندهم يرتقي إلى مستوى القانون العام، وفي علم الفلك لعبت الملاحظة العلمية دوراً حاسماً في غياب إمكانية التجارب الدقيقة، ودعموا ذلك بأجهزة كثيرة تحسن أدوات الملاحظة.

ب ـ استخدم العلماء العرب المسلمون الأدوات والآلات المختلفة في تجاربهم، وكانوا حريصين على تقديم وصف نظري لها، ولطرق عملها وتطويرها باستمرار، ومن هنا نجد التقدم الكبير الذي شهده علم الفلك بدءاً من مرصد المأمون، إلى مرصد أولوغ بك، وهذا ما نجده مع ابن الهيثم في البصريات، أو مع أدوات الجراحة عند الزهراوي(١).

وبعد الصراع الذي حصل في بلاد أوربا بين الدين المحرَّف مع العلم،

(١) عواد، «ملامح العقلانية العلمية في التراث العربي الإسلامي»، د. ط، ص٢.

وخروج الدِّين المحرف من المعركة منهزماً يُبق القانون التجريبي في تلك البلاد، ثم يُبني في العالم كله، وبنيت له الجامعات، والمؤسسات، والمراكز، والمدارس، ويسمى في عصرنا قانون المعرفة العلمية: التجربة + الملاحظة الاستنتاج (الحقيقة العلمية).

إن هذه العلوم الحديثة جاءت مصدقة لما في الكتاب، والسُّنَّة، فأسرت بأبحاثها عقول العلماء، والمفكرين المنصفين؛ لأن قبولهم بنتائج العلوم التجريبية، وقبولهم بشهاداته، ومقرراته؛ يلزمهم بقبول الإعجاز العلمي، والدليل على هذا إسلام الكثير من الطبقات المثقفة بعد اطلاعهم(١) على ما في القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، والتي تشهد للرسول ﷺ بصدق الرسالة، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٦].

إن معجزات الرسول ﷺ متنوعة لتنوع الأقوام المرسل إليهم:

فهنالك بينات تناسب العرب الفصحاء البلغاء أكثر من غيرها، وهنالك بينات تناسب أهل الأديان في الزمن السابق، وبينات كثيرة منها في عصرنا الحاضر: الأبحاث العلمية بما تحويه من أخبار، وأسرار، والتي تناسب أصحاب الأبحاث، والمدارس، والجامعات، فهي تناسب العصور الماضية والحاضرة العربية وغيرها.

إذا سألنا اليهود: كيف آمنتم برسولكم موسى عليه السلام(٢)؟

فإن قالوا: بسبب معجزاته، أو أخلاقه، أو تشريعه، أو تأييد الله له ونصرته، أو استجابة دعائه، أو عدم رغبته في المصلحة الذاتية، أو غير ذلك من الأدلة.

قلنا: كل ما ذكرتموه هو موجود في النبي ﷺ.

---

(١) يمكن الاطلاع على كتاب، «إنه الحق»، للشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني، وفيه قصص عن إسلام بعض البروفسورات.

(٢) المطيري، «الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري»، ط١، ١/ ٣٣.

وكذلك النصارى نسألهم! هل هم يؤمنون بنبوة موسى عليه السلام؟ فإن الجواب سيكون: نعم، قلنا: كيف استدللتم على نبوته؟ فإن قالوا: لأنه قد ذكره لنا عيسى.

قلنا: هل هناك دليل آخر؟.

فإن قالوا: لا يوجد دليل آخر على نبوة موسى عليه السلام، قلنا: إذن أنتم صَحَّحْتم مذهب مَن كفر بموسى عليه السلام من قومه؛ حيث إن موسى عليه السلام لم يأت بدليل على رسالته، ولم ينزل عيسى عليه السلام في ذلك الوقت، وأثبتم لمن آمن به أنه آمن بغير بينة، ولا علم، ولا دليل، وأن رسالة موسى علقت عن التصحيح قروناً متطاولة، حتى بعث الله عيسى عليه السلام.

فإن قالوا: نعم، هناك أدلة أخرى على رسالة موسى عليه السلام.

قلنا: كل دليل استدللتم به على نبوة موسى عليه السلام هو صالح لأن يكون دليلاً للإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا فلا حجة لرجل لا يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن صدق الله إذ يقول: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: ١٩٨]؛ يعني: ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل صدقه، ثم لا يبصرون كأنهم عميان.

فإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صادق، فإنه أخبرنا أن هذا القرآن كلام الله عز وجل منزل من عنده سبحانه حقّاً، فحصل بهذا المراد، وهو إثبات أن القرآن من الله تعالى.

أن القرآن والسُّنَّة حثّا على العلم وعلى العلوم الكونية:

فأول آية نزلت على نبينا صلى الله عليه وسلم كانت: اقرأ، وتعلُّم العلم، وطلبه، طريق من طرق الجنة، وامتنَّ الله على آدم بتعليمه، وأمرنا بالنظر، والتأمل، في هذا الكون الفسيح، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس: ١٠١].

١ ـ أنه طريق للرد العملي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقّاً؛ حيث لم يستطع أحد أن يثبت وجود تعارض أي

دلالة كونية، واردة في القرآن الكريم قطعية، مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم، بل على العكس كم من القضايا العلمية التي صححها القرآن لعلماء العلم التجريبي؟!

٢ ـ المؤتمرات الدولية للإعجاز العلمي دليل على سبق القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، ومشاركة غير المسلمين في المؤتمرات تبعث الثقة بالبحوث المقدمة، وتجذب أبناء الطبقة المثقفة، وعامة المسلمين المختصين بها.

٥ ـ أسلوب التتبع التاريخي:

أولاً: أسلوب التتبع التاريخي:

ونقصد به: المجهود الذي يقوم به الداعية لاستنتاج العلاقة بين الأحداث التي جرت في ديانة ما، والربط بينها، ويهتم رواد هذا الأسلوب بالمادة التاريخية كمنطلقٍ لتقرير الحقائق التي يبحثون عنها، أو يريدون تجليتها من خلال وقائع، وسير، ومصادر، ووثائق تاريخية، وهذا يشبه إلى حدٍّ ما الأسلوب التاريخي في أساليب البحث العلمي المعروفة[(١)]، ودراسة تاريخ أي حضارة، أو فكر؛ يكشف فصولاً مهمة في التعريف بها، وبيان جوانب منطلقاتها الفكرية، وسيرتها العملية، في تطبيق ذلك الفكر.

ومما يميز الأسلوب التاريخي في التعريف بالإسلام:

يقدم الأسلوب التاريخي مادة ثرية، وموجهة، للتعريف بالإسلام، حيث يدلف لتقديم المعرفة من خلال تاريخها، أو تاريخ تداولها، وبناء مفاهيم ذهنية تعطي وصفاً لجزء، أو كل، من قضايا الإسلام، ويمكن تفصيل هذه المميزات بما يلي:

أ ـ مميزات ترجع لطبيعة الأسلوب:

١ ـ أن المادة التي يعتمدها الأسلوب التاريخي في التعريف بالإسلام مادة موجودة مسبقاً، ولا تدخل للمعرف في وضعها، بمعنى أن المعرف ينقل واقعاً

---

(١) العساف، «المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية»، د. ط، ص٢٨١.

حفظه الزمن، ولا مجال لتغييره حين يثبت صحة نقله، وهذا يعطي المادة التاريخية امتيازات، من أهمها: أنها فرضت نفسها على ذهن المتلقي بلطف.

٢ ـ أن التاريخ والبعد التاريخي يحظى باحترام وقبول واسع في الأوساط العلمية، والثقافية، والباحثون في مجالات علمية حديثة اتخذوا التاريخ قاعدة لنظريات اشتهرت عنهم، وقام عليها إنجازات علمية واسعة، مثل: دراسة تاريخ الأرض، والذي أصبح قاعدة هامة في علم الفلك اليوم، وبناءً على هذه الميزة؛ فإن التعريف بالإسلام عبر هذه الميزة؛ سيكون محط تثمين وتقبل لدى طبقة الباحثين، والعلماء؛ لأنه يقدم عبر أسلوب دأبت عقولهم على تلقيه بالرضا، من حيث كونه أسلوباً لعرض، أو تقرير الحقائق وفحصها أيضاً.

٣ ـ أن آليات النظر في الوثائق تحكمها أساليب علمية أخرى، توافق عليها الباحثون، مثل: الاستقصاء، والنقد العلمي، والوصف، وتحليل المحتوى، ممَّا يتيح فرصة كبيرة وواسعة لإدارة المعرفة ونقلها بلغة علمية، ووسائط ذهنية متعددة[١].

٤ ـ أن المصادر التاريخية التي لا يتطرق إليها الاحتمال (وفق معايير النقد لكل حالة[٢]؛ تعتبر عنصراً محايداً، يجعل النتائج، والتصورات، التي تبنى عليها؛ تستقبل خارج إطار التحيز، وهذا يعني أنها تصلح حين ثبوتها كدليل يتم بواسطته بناء معرفة كانت قبل مفترضة، أو غير مسلمة، وكثير من معارف الأمم التي تلقاها أصحابها بالقبول، ليست مقبولة بنفس الدرجة لدى أمم وثقافات أخرى، ما لم يقم دليل على صحتها، ولا بد في هذا الدليل من توفر شرط الصحة، حتى يصلح دليلاً على الادعاءات، والمزاعم، وبالنسبة للجانب التاريخي؛ فإن أهم ما ينبغي توفيره في الدليل التاريخي هو: صحة النقل، وإثبات الحدوث، وسلامة الأسلوب الذي يتم به عرض السياقات، والملابسات.

---

(١) يعد كل من: (الاستقصاء، والنقد العلمي، والوصف، وتحليل المحتوى) وسيلة ذهنية يتوسط بها لنقل المعارف ودراستها.

(٢) ففي النقل عن النبي ﷺ من شروط الثبوت ما لا يكون في النقل عمَّن بعده، وكذلك الحالات التي أفرزها صلاح المجتمع المسلم لا تقاس عليها حالات أفرزها مجتمع مسلم يعيش هجر المنهج الشرعي.

ب ـ مميزات ترجع للمتلقي:

المتلقي طرفٌ هامٌّ ورئيسٌ في عملية التعريف بالإسلام، وأي مميزات لا تأخذ في اعتبارها موقف المتلقي؛ فهي مميزات لا تعطي تقدماً ملموساً في نجاح الاتصال في الموقف التعريفي[(١)]، وعلى هذا فللأسلوب التاريخي في التعريف بالإسلام مميزاته حين نأخذ في الاعتبار طبيعة المتلقي، ومن هذه ما يلي:

١ ـ الناس تجد رغبة في سماع الأخبار والأحداث، لا سيما ما يتضمن تسلسلاً؛ لأن ذلك يستثير فضولهم لكشف الغموض، أو معرفة التالي، وحين تصبح القضايا التاريخية المعروضة في أزمنة، أو أماكن، أو لأشخاص، يكتنفها الغموض، فإن توق الناس لسماع ما يقال عنها، أو يكتب، أو يثار؛ يكون شديداً، وبالتالي فكل حقيقة يتم اكتشافها، أو مفهوم يتم تعلمه، أو انطباع يتم تشكيله؛ كل ذلك يعد في نظر المتلقي اكتساباً ذا قيمة؛ لأنه حين يحصل على نتيجة معرفية؛ فإنه يعتبرها إنجازاً مهماً حين تحقق له كشف الغموض، أو امتلاك فهم لشيءٍ مشكل، أو تفرد بخبر، أو حدث مثير.

٢ ـ قدرة الذهن على استيعاب الأحداث، والوقائع، والقصص، أكثر منها في استيعاب العلاقات الذهنية المجردة[(٢)]، حيث أن السرد القصصي لا يكلف ذهن السامع جهداً كبيراً لكي يستوعب الرسالة، ويشعر بأنه يفهم ما يقال له، وهذا متحققٌ في الجانب التاريخي في أي قضية يتم عرضها، فذكر سيرة شخصية ما، وهذه الشخصية تعتبر أنموذجاً لتمثل الإسلام؛ يعني أن المتلقي سيتلقى هذه السيرة ويستوعبها بسهولة، وفي الوقت نفسه سيقف على بعض العبر والدروس التي في مجموعها تعبر عن الإسلام بوجهٍ ما.

٣ ـ الحدث يحمل في طياته رسالة قد يصعب تقديمها منفصلة عنه، ونظراً لطبيعة الأفراد في تجاوز الحدث إلى ما يمليه عليهم من معلومات؛ فإن الحدث يعد بمثابة الدليل على صحتها، أو على الأقل يعضد قبولها، وتعني هذه الميزة أنه حين يريد المعرِّف بالإسلام أن يعرض صورة من صور محاسن أو آثار الإسلام

---

(١) بمعنى أن المنهج التاريخي يحظى بمميزات، نتيجة ملائمته حال المتلقي.

(٢) تقديم مفهوم الإيثار عبر قصة أسهل من تقديمه عبر تعريف الإيثار، وأبعاده الفلسفية.

في حياة الناس، ثم يختار المنحى التاريخي؛ فإن المتلقي يعتبر الحدث التاريخي شاهداً على صحة ما يدعيه المعرف[١]، وبهذه الميزة يمكن للمعرف أن يختار من المواد التاريخية ما يحمل رسائل تلقائية، بحيث يجعل المتلقي بفطرته يكتسب المعرفة الجديدة من خلالها.

٤ ـ تلقي الحدث المتضمن تسلسلاً والمكون من عدد من المواقف، يدفع بالمتلقي إلى الاندماج في الحدث، وبالتالي تقل حساسيته النقدية له، ممَّا يعطي الذهن فرصة للإنصات لصوت المفاهيم التي يشكلها مجموع الأحداث، والتي قد لا يجد الفرد في نفسه الرغبة لتأملها من أول وهلة. وشاهد ذلك أنك تجد فئة من الناس لا يرغبون بالاستماع إلى حديث عن السياسة، وبعضهم ليس في مواضيع الرياضة وأخبارها ما يستهويهم، ولكنهم حين يستمعون إلى سيرة رياضي سابق، وتقدم القصة عبر سيناريو محكم؛ فإنهم سرعان ما يندمجون مع القصة، ويسلمون لقوتها الجاذبة قياد ملكاتهم الذهنية، وربما كانت تلك بداية دخولهم عالم الرياضة، وقل مثل ذلك حين يندمج المتلقي مع حدث أو مجموعة أحداث تاريخية، مثل: السيرة النبوية الشريفة، ثم يستهويه تتابع الأحداث وتواليها، حتى يجد أنه ليس أمام قصة رجل له أتباع يكافحون لبناء دولة بل أمام عقيدة جديدة، ومعارف متعددة، تجعله يتابع فهم وتعميق تلك المعارف من خلال الموروث العلمي الذي حواه الإسلام بكل فنونه.

ثانياً: تطبيقات التعريف بالإسلام عبر الأسلوب التاريخي:

أ ـ الدراسات التاريخية:

تمثل الدراسات والبحوث العلمية مرداً ثرياً ودقيقاً، وتتم دراسة التاريخ وفق أساليب البحث العلمي الملائمة عبر دراسة المصادر، والوثائق، وتحليلها، والخروج بنتائج ذات قيمةٍ علمية، وفيما يتعلق بالتعريف بالإسلام؛ فإن الدراسات تهدف إلى تحقيق نتائج معرفية، تعتبر رسالة ذات مضمون تعريفي، ومن أنواع هذه الدراسات ما يلي:

(١) لأن ما يقوله المعرف لم يثبت كحقيقة في ذهن السامع بعد فهو بالنسبة للمتلقي ادِّعاء.

١ ـ دراسة تاريخ العقيدة والأنبياء الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في الكتب السماوية.

٢ ـ دراسة المسيرات العلمية عبر حقبة زمنية:

مثل دراسة تطور ثقافة طلب العلم، والاهتمام بالمعرفة وحركة التصنيف العلمي، التي تعتبر نتيجة حضارية حققها الإسلام في ثقافة أتباعه، ويتم من خلال دراسة هذه المسيرات، والتطورات العلمية؛ توجه الرسالة الحضارية، والثقافية، وإبراز البناء العقلي الذي تمنحه العقيدة الإسلامية للأفراد، والمجتمعات، ليمتلكوا كل مؤهلات التفكير الناضج، والإدارة الذهنية الصحيحة للمعرفة، إن دراسة المقومات العقلية التي بناها الإسلام في معتنقيه، والمتمثلة في منظومةٍ متكاملةٍ، ومتآزرةٍ، من النصوص الشرعية، والملابسات، من سيرة النبي ﷺ؛ لتعد مدرسة فريدة يمكن من خلال إبرازها بلغة العصر أن تحقق رسالة تعريف مفادها؛ فهم الإسلام في آلية بناء العقول.

٣ ـ تحليل ظواهر مجتمعية في فترة من فترات التاريخ الإسلامي:

ومثال هذه النوع من الدراسات ما يقدمه الباحثون من تتبع لواقع المرأة في التاريخ العربي القديم، وبعد ظهور الإسلام، وكيف تطورت المفاهيم من خلال الإسلام، لتحدث نقلة من التكريم للمرأة؛ باتت جزءاً من الثقافة الدينية، وتحظى بحصانة الشريعة، وقانونها، وتسهم هذه الدراسات في تجلية بعض التصورات الخاطئة تجاه الإسلام، فيما يتعلق بحقوق الإنسان، وليست هذه هي القضية الوحيدة التي يمكن دراستها عبر تاريخ الإسلام؛ فهناك التكافل الاجتماعي في الإسلام، والعفاف الخلقي، والمالي، حيث ظهرت حالات من عدالة التوزيع العادل للثروات، وبرزت صور مشرقة من حالات الغنى المعنوي، والنفسي، تضاءلت معه صور الجشع، والطبقية، وغيرها من المظاهر الاجتماعية التي لا يتوقع من لا يعرف الإسلام أن حقبة من حقب الزمان عاشت صورة الحياة الفاضلة من خلال شريعة محكمة هي شريعة الإسلام. ومن المهم عند إجراء مثل هذا النوع من الدراسات؛ أن مجرد إعدادها لا يعد (تعريفاً بالإسلام)[(١)]، فلا تعد

(١) قد تحمل بعض الدراسات تعريفاً بالإسلام ولكنه غير ممنهج، بمعنى لم يكن مقصود =

الدراسة التي تتبع أي ظاهرة اجتماعية في تاريخ الإسلام تعريفاً به ما لم تجعل ضمن أهدافها الرئيسة ما يتفق مع أهداف التعريف بالإسلام بصفةٍ عامة، مثل: رد شبهة، أو توضيح شعيرة من شعائر الدين، أو تحقيق انطباع مميز عن الإسلام كمؤثر مثالي في الحياة الاجتماعية، ويعيش العالم اليوم أزمة في هذا الجانب.

٤ ـ سرد أحداث محددة ذات سمة عامة:

مثل عرض غزوات النبي ﷺ؛ لأنها تشترك في سمة معينة، وهي: الطابع العسكري، وتتضمن في ثناياها مواقف نبوية تعطي رسالة عن الإسلام فيما يتعلق بعدة قضايا؛ كالتعامل مع غير المسلمين، من كفار، وكتابيين، ومعاهدين، وحربيين، والتعامل مع المواثيق، والعهود، وإدارة التفاوض، وأخلاق الجندي المسلم، وغيرها، ممَّا يصعب حصره من المجالات التي تمثل تعريفاً بالإسلام من خلال دراسة هذه الأحداث، ويمكن للمعرف الباحث أن يوصل رسالة تحترمها الأوساط العلمية والثقافية عن دين الإسلام، ولا شك أن هذه الأوساط تتفاعل كثيراً مع المنتجات العلمية التي تسلك أسلوب البحث العلمي الدقيق في أدواته، ومعالجاته، وخلفياته النظرية، ويراعى في هذه الطريقة من التعريف أن تكون خالية من تقديم المزاعم الخالية من الدليل العلمي، وإذا كان المعرف لديه قصور في فهم الإسلام، أو يعاني تحيزاً في أحكامه؛ فلن تكون هذه الطريقة مفيدة في التعريف بالإسلام الحقيقي على مراد الله، بل أنها لا تَعْدُو أن تكون تعريفاً بالصورة التي أراد المعرف أن يصل لها مسبقاً[(١)]، فطوّع الدراسة لذلك.

= الدراسة أن تعرف بالإسلام، ولكن حصول التعريف في بعض الدراسات يأتي كنتيجة طبيعية لأي دراسة منصفة تتعلق بالإسلام وتاريخه، وتكون قد حققت بعض التعريف.

(١) قد يقول قائل: إن أي دراسة تعرض يمكن الحكم على قوتها العلمية ودقتها البحثية من خلال الأدوات المتبعة، وطريقة المعالجة، وفحص المعلومات، وهذا سيظهر في الدراسة ما إذا كان دقيقاً ومحايداً، أم أنه مزاعم في صورة دراسة؟! وهذا صحيح في أغلب الدراسات التي تكتمل فيها مقومات البحث العلمي، لكن بعض أساليب فحص المعلومة التاريخية التي ترد في مصادر إسلامية؛ هي أساليب من ابتكار المسلمين؛ مثل دراسة الأسانيد، وعلم الرجال، وغيرها، من نقد الروايات، وحين تقدم الدراسة لغير المسلم فربما لا يستطيع بنفسه التأكد من صحة الأحكام التي يصدرها الباحث على صحة ما يرويه حيال الحدث التاريخي محل الدراسة.

٥ ـ دراسة التطور السيكولوجي للأفراد خلال حقبة تاريخية غيرها الإسلام:

مثل دراسة تطور القيم (القناعات) في حياة شخص، أو مجموعة أشخاص، خلال فترة تاريخية كانت لمعارف الإسلام دور في بناء قيم الأفراد فيها، ومن الشخصيات التي طرأت على شخصياتهم تغيرات كبيرة إثر تغير القيم المؤثرة فيها؛ الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان للإسلام تأثيره الواضح في ذلك، ويمكن من خلال دراسة هذا التغير تقديم التطور النفسي، والقيمي، الذي يحدثه المعتقد الإسلامي في الأفراد بصفةٍ عامة[١].

ومن أمثلة الدراسات التي تقع تحت هذه الصورة؛ دراسة الاتزان الانفعالي[٢] عبر مواقف عينة من الأفراد في فترةٍ من فترات التاريخ الإسلامي، لا سيما الصحابة، والتابعين، والشخصيات التي تمثل فيها الإسلام علماً، وعملاً، ويعتبر الإسلام متغيراً بارزاً في تشكيل قدراتهم النفسية، ومن أنفس ما يمكن دراسته كذلك؛ دراسة التطور في نمو الإدراك في شخصية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من طفلة تنام عن عجين أهلها، وتقضي جلّ وقتها في اللعب، وهي زوجة في بيت النُّبوة؛ إلى معلمة للعلماء، ورمز للمرأة الشامخة بعقليتها، وهي لم تتجاوز التاسعة عشرة من عمرها، وهذا الإعجاز النفسي الذي حظيت به رضي الله عنها، كان نتيجة معجزة تربوية تتمثل في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة من خلال الوحي.

ويُراعى في مثل هذا النوع من الدراسات؛ المقاصد، والكليات، والأصول الشرعية، بدقة؛ لأنها تصدر أحكاماً على شخصيات هامة في تاريخ الإسلام، في مقدمتهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، لا سيما أن بعض القواعد والنظريات السيكولوجية تفتقر للتأصيل الشرعي[٣].

---

(١) حين تتمحور الدراسة حول التغيير في فرد من الأفراد فهي تشترك كذلك مع صورة أخرى من صور التعريف عبر المنهج التاريخي وهي «السير والتراجم» لكن السير والتراجم لا تختص بجانب محدد في حياة الشخص بل تقدم سيرته بشكل شامل.

(٢) هذا مصطلح نفسي وحين يتم دراسة هذا المفهوم في شخصيات مهمة مثل الصحابة فيجب مراعاة قدر الصحابة ومنزلتهم.

(٣) يحسن بمن يباشر التعريف بالإسلام عبر الدراسات التاريخية السيكولوجية أن يكون لديه إلمام بكيفية تأصيل هذه العلوم الحديثة وهي رغم مكانتها العلمية في العالم لكنها نشأت =

ملاحظات عند تطبيق هذه الصورة من الأسلوب التاريخي:

١ ـ الحرص على اتباع خطوات البحث العلمي، والمناهج السائدة في الدراسات.

٢ ـ توخي الدقة في المعلومات التي تُبنى عليها أصول الدراسة.

٣ ـ فحص المعارف من حيث صحة النقل، ومن حيث التمييز بين ما هو حقيقة، وما هو إدعاء.

٤ ـ أن يظهر في الدراسة التاريخية البعد التعريفي، حتى تعد أسلوباً من أساليب التعريف بالإسلام.

٥ ـ مراعاة الفئة التي تستهدف بمخرجات الدراسة من حيث اعتبارات كثيرة، من أهمها: ما يؤثر في فهم النتائج، وقبولها، والاعتراف بها.

٦ ـ ترجمة الدراسة ونشرها في المجلات العلمية، والمؤتمرات، يساعد في تحقيق نتائجها التعريفية.

٦ ـ الروايات والقصص:

١ ـ عرض القصص والنوادر التاريخية ذات الرسالة التعريفية.

٢ ـ مثل قصص إسلام بعض الصحابة ﭫ، لا سيما من كان إسلامهم متضمناً لحوار ثري حول الإسلام، أو كانت ملابسات إسلامه تتضمن إثارة ذهنية للسامع، بحيث يعيد النظر في حكمه على الإسلام، ومثال ذلك: إسلام سلمان ﭬ، ورحلة البحث عن العقيدة، وعرض الحوار الذهني، والتساؤلات، التي كانت تدفع سلمان ﭬ للبحث عن دينه الصحيح، وكذلك تجلية نوع الوصايا التي تلقاها من القسس الذين كانوا يبشرون بنبي الإسلام ﷺ، ومنها أيضاً تساؤلات غير المسلمين عن الإسلام، مثل: قصة بحيرى الراهب المشهورة، وحوار هرقل مع أبي سفيان حين كان لا زال على الشرك حول صفات النبي ﷺ، وبيان المنطق الذي من خلاله تأكد هرقل الروم من صدق نبوته ـ عليه الصلاة

= في بيئة غير بيئة الإسلام ممَّا يجعل من الضروري فحصها وفق معايير التأصيل الخاصة بهذه العلوم والتي تضع آلية للإفادة من هذه العلوم بما تستحق.

والسلام ـ، ومع أن هذه الحادثة تتضمن أسلوباً عقلياً في الحكم، إلا أنها تعتبر حادثة تاريخية في رحلة أبي سفيان إلى الإيمان بالله، ومن القصص المناسبة لهذا الباب، حوارات رستم خلال التفاوض مع الجيش المسلم قبيل معركة القادسية.

٣ ـ قصص العدل والإنصاف التي حظي بها الناس من مسلمين، وغير مسلمين، خلال حكم الإسلام، والتاريخ زاخر بهذه القصص، ويمكن للمعرِّف أن يختار ما يناسب ملابسات الموقف الذي سيعرف بالإسلام من خلاله بما يناسب أسلوب التعريف من جهة، والمستهدفين من جهة أخرى.

٤ ـ المواقف الناطقة برسالة تعريف، مثل: مواقف بدايات الوحي، وما صحبها من تعريفٍ للنبي ﷺ بما جاء به جبريل، ولا شك أن المادة المتعلقة بهذا الحدث تتضمن مناجم غنية للتعريف بالإسلام من عدة حيثيات، نحو:

١ ـ تعرضها لدلائل النبوة من خلال المبشرات التي سبقت الوحي بفترةٍ وجيزة، مثل: الرؤيا الصالحة، وسلام الحجر عليه ﷺ.

٢ ـ عرضها للوحي كحقيقة؛ رغم كونها خارجة عن العادة، وكيف تلقى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الحقيقة؟ وما المؤشرات التي بنت عليها خديجة رضي الله عنها استنتاجاتها من خلال بعض أسئلتها للنبي ﷺ، ومن خلال تحليل ورقة بن نوفل للحدث؟.

٣ ـ تضمنها إيجازاً، ووصفاً، للربوبية؛ كالتعريف بالله عبر آيات القرآن، التي نزلت في بداية الوحي، وهذا من أهم قضايا التعريف بالإسلام.

ملاحظات عند تطبيق هذه الصورة من الأسلوب التاريخي:

١ ـ هذه الصورة من حيث ما تتضمنه من محتوى به حوارات، وتساؤلات، قد تشترك مع أساليب أخرى في التعريف، مثل: أسلوب دراسة وتحليل النصوص، وكذلك المعجزات، والأسلوب المنطقي في تقرير الحقائق؛ ولكنها حين تعرض ضمن الأسلوب التاريخي؛ فإنه يجب أن لا تغفل الطبيعة الخاصة لعرض القصص، وجذب المتلقي، وعدم إرهاق ذهنه بعمق التحليل، إلا بمقدار ما يمكنه من تصور الحقيقة التي تدور حولها القصة، والحدث، تاركين لخياله التحليق في جو القصة لأن ذلك من أهم مقومات طباعة الأحاسيس في عقل

المتلقي، بعيداً عن تحيز خلفيته المسبقة، والتي يعد سوء الوعي بها أثناء التلقي عائقاً أمام وصول الحقيقة للوعي المحايد في المتلقي.

٢ ـ على من يقدم الإسلام عبر القصص والنوادر التاريخية؛ ألا يفتن بغرائب الأحداث والقصص، التي لا تثبت أمام النقد التاريخي، أو لا تعد نتيجة طبيعية لشريعة الإسلام، مثل ما حظي به بعض أصحاب الديانات الأخرى من امتيازات في ظل دولة تعد ضمن التاريخ الإسلامي، لكنها لم تكن تمثله في أسلوبها، وبالتالي فما يُؤْثَر عنها من مواقف وأحداث وإن كانت تسعف المعرف في الردّ على بعض الشبهات؛ إلا أن الإسلام الحق ليس معدماً من بصمات العدل، والجمال، في غير هذه الحقبة من التاريخ.

٣ ـ مع أن القصص تعدّ صورة من صور الأسلوب التاريخي في التعريف لكونها كانت محدودة بحقبة تاريخية؛ هي جزء من واقع الإسلام مع هذا، لكنها يمكن أن تكون صورة من صور أسلوب آخر؛ مثل أسلوب المحاسن، بحيث تعرض بعض المحاسن للإسلام عبر قصة تضمن ذلك.

٤ ـ على المعرف بالإسلام حين يتخذ هذه الصورة مدخل تعريف؛ أن يتقن مهارات أدائها بصورة قياسية، وإذا علم من نفسه تمكناً من أدبيات فن السرد، وعرض الحوادث، وتجلية مضامينها، وقيادة ذهن المتلقي؛ سواء بالكتابة، أو بالحديث، إذا علم من نفسه هذا؛ فعليه أن يعمد لزيادة رصيده المعرفي من هذه الشواهد والقصص، وأن يتعلمها كفن مستقل، ثم يتعلم كيف يمحصها كوثيقة تاريخية، وكيف يوظفها بشكلٍ جيدٍ حسب خبرته بطبيعة المتلقي وملابسات العصر؟.

٥ ـ تأليف الروايات المبنية على أساس ووقائع تاريخية:

تعد الروايات قالباً مؤثراً في صياغة المفاهيم، وتشكيل القناعات، لما لها من خصائص لغوية، ونفسية[1]، ويمكن للروايات أن تمثل أسلوباً فعالاً للتعريف بالإسلام، حين تُراعى فيها النقاط التالية:

(١) تعد اللغة من أقوى أدوات تشكيل المفاهيم، ولذا كانت هي معجزة القرآن الكريم مما يشير إلى قوة نفوذ فطرية في النظام المعرفي واللغوي في القرآن الكريم.

١ ـ أن تبنى على أساس تاريخي، وهذا يعني أنها ليست افتراضية، ولأن من طبيعة الروايات اشتمالها على سيناريوهات لم تكن واقعية، لكن على المعرف بالإسلام روائياً أن يقدم بمقدمة تمنع الخلط بين الواقع وغيره في الرواية.

٢ ـ ألا تنسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله أو يفعله، مثل اختلاق حوارات لم تحدث في الحقيقة كما وردت في النص، ومنطلق ذلك أن حرية الصياغة في الروايات لا ينبغي أن تتجاوز ما هو مأذون به شرعاً.

٣ ـ أن لا تبني مفاهيم لا يقرها الشرع.

٤ ـ أن تراعي أدبيات الرواية المتعارف عليها في الأوساط الثقافية.

٥ ـ أن لا تشوه الحقيقة التاريخية.

٦ ـ أن يتم بناؤها بحيث تحقق هدف التعريف في الوضع الطبيعي للمتلقي.

٧ ـ أن لا تكون مقصودة في ذاتها، فتقحم فيها المفاهيم التفصيلية التي لا يمكن تطويعها للطبيعة الروائية.

ويمكن توظيف الرواية في التعريف بالإسلام بالطرق التالية:

أ ـ الروايات المكتوبة:

هناك نسبة كبيرة من مجتمعات غير المسلمين التي تتابع الروايات، وتقبل على قراءتها، وهذا يعد من الفرص السانحة للتعريف بالإسلام عبر هذا المنفذ[1]، ومن الأفكار التي يمكن بها توظيف الروايات للتعريف بالإسلام ما يلي:

١ ـ تصحيح المفاهيم حول وقائع تاريخية تعرضت للتشويه، ونتج عنها فهم خاطئ للإسلام: مثل بعض الحروب، (الفتوحات) التي خاضها المسلمون مع الكفار، ففي تفاصيل بعض هذ الحروب فرص يمكن صياغتها كرواية توضح بعض الجوانب المشرقة، والتي لم تلق من المنصفين من يوصلها للناس.

٢ ـ إزالة لبس حيال وقائع وأحداث نسبت للإسلام تعسّفاً وظلماً مثل:

---

(١) الرواية من حيث جنسها، تعد منفذاً ينفذ من خلاله للقارئ، ومن حيث أسلوب عرضها للمعاني؛ فهي تعد تاريخية الصبغة، رغم طبيعتها الأدبية من حيث الصياغة.

بعض الممارسات التي لا تقرها الشريعة من قبل بعض الجماعات المسلحة، دون مبرر شرعي، وتلعب الرواية دوراً بارزاً في الولوج لوجدان القارئ، بعيداً عن المضللات.

٣ ـ إظهار الجانب الجميل للحق في الإسلام في قضايا اعتبرها بعض من غير المسلمين مآخذ عليه، وثارت حولها شبهات: مثل: حرية المرأة، والحدود الشرعية، وغيرها، ممَّا يعد من محاسن الإسلام، غير أنه مع سوء الفهم اعتبرت هذه الميزة مأخذاً، فدور الرواية التي تتمحور حول حياة مجتمع من مجتمعات المسلمين، أو شخصية في ذلك المجتمع، أو قصة إسلام بعض مشاهير الفن مثلاً، بحيث يتسنى للقارئ رؤية الحقيقة الرائعة التي تمثلها؛ شعيرة أو أكثر من شعائر الإسلام في مصالح الناس وإسعادهم.

ب ـ روايات عبر الدراما والمسرح:

يعد المسرح أب الفنون؛ لاشتماله على فنون تأثير متعددة، وهو لغة تواصل معبرة لها جمهورها في العالم اليوم، ويمكن للمعنيين بالتعريف بالإسلام؛ توظيف هذا النوع من الفن، من خلال مواد تاريخية روائية، يتم عرضها لتحقيق رسالة تمثل في مجملها تعريفاً بالإسلام، أو تصحيحاً لفهم خاطئ عنه، وما سبق ذكره في الروايات التاريخية يقال هنا في المسرحيات التاريخية، ويمكن التنبيه على بعض الملاحظات في هذا المجال:

١ ـ الإسلام غني عن كل الطرق، والأساليب، التي تفرض على أصحابها تغيير الثوابت بحجة التعريف؛ فاشتمال عملية التعريف عبر المسرح على ما هو محرم شرعاً يعد إساءة للإسلام، وليس عرضاً لمحاسنه، فدين الله ليس قبيحاً ليتم تجميل مظهره بتغيير حقائقه وأحكامه.

٢ ـ حين تتاح الفرصة لبناء روايات تاريخية السمة، وتعرض كمسرحيات، أو دراما مشاهدة؛ فعلى من يباشر هذا العمل مسؤولية كبيرة من الناحية الشرعية للحفاظ على روح الشريعة، وحدودها، ومن الناحية الفنية حتى لا يسقط العمل فنياً من وجهة نظر عقلاء الفن؛ لأن أصحاب هذا الفن ورواده لا ينجذبون لمنتج تتدنى فيه معايير الجودة الفنية، وفي الوقت نفسه فإن المعرف الذي يفقه مهمة

التعريف بدين الله لا يتحمس لمنتج تتدنى فيه فرص التعريف السليم.

٣ ـ من المهم جدّاً التواصل مع المؤلفين، والكتَّاب، والمنتجين، وغيرهم، في هذا المجال، وتعريفهم بالإسلام، وتصحيح مفاهيمهم عنه، وهذا سيظهر أثره فيما ينتجونه مستقبلاً من أعمال، فالهدف هنا ليس إنتاج شيء خاص بالإسلام، ولكنه تحييد المنتجات بصفةٍ عامة، لتجنب الإساءة للإسلام عبر إنتاجهم الخاص.

ملاحظات عند تطبيق هذه الصورة من الأسلوب التاريخي:

١ ـ مراعاة الدقة التاريخية.

٢ ـ مراعاة الثوابت الشرعية في هذا المجال.

٣ ـ مراعاة الجودة الفنية وفق أدبيات كل فن.

٤ ـ التأكيد على كون جميع هذه الصور فرص تصنف في الوسائل، وليست هدفاً في ذاتها، فليس من الضروري أن يقحم الإسلام في كل طريقة من طرق التعريف بلا هدف ومبرر معقول.

ج ـ السير والتراجم:

أولاً: السيرة النبوية:

تعد السيرة النبوية أفضل مادة تاريخية للتعريف بالإسلام، وذلك لتميزها بالخصائص التالية:

١ ـ وجود شواهد، ومبشرات، ببعض أحداثها في الكتب السماوية السابقة للإسلام، فقد ورد ذكر الهجرة، وبعض صفات النبي ﷺ السلوكية.

٢ ـ دقة النقل: فقد حظيت السيرة النبوية الشريفة بأدق منهج عرفه التاريخ في إثبات الأحداث، والوقائع، فالوثائق التي حفظت القرآن، والسُّنَّة، سيرةً، وعلماً، هي أدق وثائق التاريخ على الإطلاق، فقد بلغ من دقة النقل أنها تنقل بالأسانيد المتصلة إلى يومنا هذا، وتحتفظ المكتبة الإسلامية بقاعدة معلومات عن ملابسات وأحوال كل ما اعتمد نقله، بما في ذلك المعلومات الدقيقة عن أحوال الرجال، وأسمائهم، وتواريخ وفياتهم، واتصالهم بمصادر المعلومة.

٣ ـ السيرة النبوية الشريفة شاملة لشرائع الدِّين تقريباً، حيث يلزم من

عرضها عرض ما نزل من القرآن، وما استجدّ من أحكام ارتبطتِ بوقائع، وأحداث، ومواقف، وبالتالي فإن عرض السيرة النبوية يتضمن عرض الإسلام كدين له شعائر، وأحكام، مثل حادثة الإسراء والمعراج، وفرض الصلاة، وغيرها، ممَّا تزخر به السُّنَّة المطهرة.

٤ ـ تظهر رسالة الرحمة التي تميز بها الإسلام من خلال مواقف النبي ﷺ تجاه الضعفاء، والأقوياء، والأصدقاء، والأعداء، والسلم، والحرب، والكسب، والعطاء، وغير ذلك، من مواقف مشرقة.

٥ ـ تظهر فيها بشرية النبي ﷺ، وهذا يسهل على من يتلقاها فهم مضامينها وفق نموذج حي يمكن إدراكه بسهولة.

٦ ـ تحمل تفسيراً لكثير من المواقف من منطلق إسلامي، وهذا يساعد في الوقوف على جوانب من التعريف بالإسلام إزاء قضايا معينة، مثل موقف النبي ﷺ من تنفيذ بنود صلح الحديبية؛ كشاهد على احترام العهود والمواثيق.

٧ ـ تضمنت السيرة النبوية الشريفة في ثناياها حوارات حول حقيقة الدين، والوحي، وتعرضت هذه الحوارات لطرح عدد من التساؤلات حول النبوة، وحول البعث، والنشور، وحول شرائع الدين، ومثل هذه الحوارات هي في حقيقتها تعريف بالإسلام، وعرض له، وتفسير لما جاء فيه، وعرض السيرة يسهم في تحقيق هذا البعد من التعريف، ومثال ذلك: فقد نقلت لنا السيرة حوار النبي ﷺ مع ورقة بن نوفل، وحوار أبي سفيان مع هرقل ملك الروم، وحوارات النبي ﷺ مع قريش.

٨ ـ تضمنت السيرة النبوية عرضاً لبداية ظهور الإسلام، وموقف أتباع النبي ﷺ من الأذى، وهذا يعني أنها أبرزت النموذج العملي للدعوة للإسلام، كما أن هذا يظهر ما كفله الإسلام لأتباعه من بناءٍ نفسيٍّ، وعمليٍّ، ساعدهم على بناء حضارتهم دون ارتكاب أي أخطاء إنسانية، وبالنظر لنموذج ما بعد الهجرة، أبرزت السيرة البناء المجتمعي، والحضاري، الذي أسَّسه الإسلام، لا سيما مع وجود ثقافات متعددة في المدينة.

٩ ـ تضمنت السيرة وصفاً دقيقاً للمعجزات التي أعطيت للنبي ﷺ؛ كدليل

على صدق نبوته، وبالتالي صدق الإسلام، ومعلوم أن الإعجاز أحد أساليب التعريف بالإسلام.

كيفية تفعيل السيرة النبوية في التعريف بالإسلام:

لتحقيق نتيجة فاعلة في التعريف بالإسلام عبر السيرة النبوية؛ هناك مجموعة من القضايا التي يمكن مراعاتها:

١ ـ عرضها في سياق متتابع ليسهل فهمها وتتبع مراحلها.

٢ ـ عرضها في تناغمٍ مع القضية المراد خدمتها، من خلال السيرة، مثل توظيف السيرة لعرض جوانبَ في شخصية النبي ﷺ، أو عرضها لتجلية التطور في التشريع، أو عرض السيرة لتجلية التساؤلات التي تسبق الدخول في الإسلام، ونحو ذلك.

٣ ـ الاقتصار على الثابت، ففيه غنية عمَّا لم يثبت.

٤ ـ الوقوف عند مواضع التعريف التي يختارها المعرف بلغة تساعد المتلقي من اكتساب المعرفة من خلالها، فالمتلقي قد لا يستطيع استجلاء بعض المفاهيم بلا مساعدة، ويجب أن تكون التعليقات منطقية، وغير متكلفة.

٥ ـ مراعاة كليات الشريعة بصفةٍ عامةٍ عند التتبع الموضوعي في جوانب محددة في السيرة، خشية الوقوع في جزئيات مشتتة، فمثلاً ممَّا قد يلاحظ عند دراسة الجانب السياسي في مواقف السيرة؛ أن الباحث يغلب عليه الحس السياسي، فيبالغ في تفسير المواقف، ويعتسف الدلالات دون مراعاة ملابسات أخرى ذات علاقة، مثل مرحلة الدعوة، أو الناسخ والمنسوخ، أو تدرج التشريع، أو مقاصد النص.

وعلى كل حال ستبقى السيرة النبوية مادة ثرية، ودفاقة، للتعريف بالإسلام تاريخاً، وعقيدةً، وشريعةً، وحضارةً.

ثانياً: سير الخلفاء الراشدين والصحابة رضي الله عنهم:

تمثل سيرة أي علم في أي حضارة؛ جزءاً من التعريف بتلك الحضارة، ويمكن من خلال عرض السيرة الشخصية لذلك العلم؛ أن نعرض صوراً من المفاهيم، والاتجاهات، التي يمثلها، وسير الملوك تعد من الواقع أكثر السير

تعبيراً عن الوجه الحضاري لأي أُمَّة، فالقادة عبارة عن رموز تختصر فيها أمة بأكملها[١]، والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، كانوا يمثلون الأُمَّة عقيدةً، وسلوكاً، ويعبرون عن نبض الإسلام عبر مسيرتهم الشخصية، ومواقعهم القيادية، ولا شك أن عرض السيرة الخاصة بأيٍّ منهم يعني عرض الإسلام الحاكم، ولهذا فإن سيرة الخلفاء الراشدين كصورة من صور الأسلوب التاريخي في التعريف بالإسلام تتميز بما يلي:

١ ـ أنها سيرة راشدة، ليس فيها ما لا يمثل الإسلام، لا سيما وقد وصى النبي ﷺ بالاقتداء بهم، حيث قال: «**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ**..» وزكى الله الكثير منهم كما في بيعة الرضوان، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]، وكما في موقعة بدر الكبرى، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

٢ ـ أنها تمثل التطبيق العملي الأول للحياة بالإسلام بعد انقطاع الوحي، وموت النبي ﷺ، وهذا يظهر واقعية الإسلام وغناه المنهجي، بحيث لا يفتقر لأصول بناء الحياة السعيدة، ممَّا يساعد في التعريف بالسياسة الإسلامية للدولة، وضمانات الحقوق في النظام الإسلامي، حين يُطبَّق كاملاً، هذا من حيث سيرة الخلفاء، ومن حيث سيرة بقية الصحابة؛ يظهر دور الرعية في التعامل مع الولاة، ونظام الحكم، حين يعيش الشعب بقيم الإسلام ومسؤولياته، وهذه فرصة للمعرِّفين بالإسلام أن يبينوا للناس ما يكفله الإسلام للرعية حين يتمثل القادة شريعة الله، وما يكفله الإسلام للقادة، وللدولة، حين يحيا الشعب وفق دين الله تعالى، ولن تجد منهجاً يوزع المسؤوليات بشكلٍ متقن، بحيث لا تضيع حتى أبسط الحقوق مثل منهج الإسلام، ومن مصادر تجلية هذه السمة؛ السِّيَر التاريخية لأعلام الإسلام في مواقع مختلفة من المسؤوليات.

---

(١) هذا حين يمثل القائد أمته، ولكن حتى لو لم يكن ممثلاً لها، فإن من يحكم على هذه الحضارة من خارجها سينطلق من سير قادتها وملوكها البارزين.

٣ ـ أن سيرة الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة رضوان الله عليهم؛ تظهر الدور الذي أحدثه الإسلام في شخصياتهم، ومعارفهم، وخبراتهم، رضي الله عنهم، وكيف تَعرَّفوا هم على الإسلام؟ وماذا عرفوا فيه؟ ممَّا يسهل على المراقب تصور الإسلام من خلال النقلة التي أحدثها في الحياة، من خلال هؤلاء النخبة التي تمثلت الإسلام.

٤ ـ أن سيرة الصحابة رضي الله عنهم يشملها ما يشمل السير بصفةٍ عامة، من حيث تعبيرها عن الفكر بلغةٍ عملية، عبر مواقف وأحداث، ولكنها تتميز بأن ارتباط تلك المواقف بالفكر كان وثيقاً، بمعنى أن مواقف التواضع، والإيثار، والحزم، والسمو الأخلاقي؛ لم تكن تصدر منهم كإملاءات عابرة اقتضتها لعبة السياسة، أو مصالح موقفية، بل كانت نتاج عقيدة، وخُلُق، هو في الحقيقة الوجه العملي للإسلام، ووفق هذه الميزة، فإن المعرف بالإسلام حين يسوق أي موقف ثابت وواضح لأي من الخلفاء الأربعة، أو أي من الصحابة؛ فإن القيمة الدلالية للموقف لا تسقط، ولا يتطرق لها احتمالية تمنع الاستشهاد بها كنتيجة مباشرة لأثر الإسلام؛ لأنها مواقف معبرة، وليست مجرد حالات نادرة[١].

٥ ـ أن سير الصحابة لا سيما مع توسع الفتوحات الإسلامية؛ تظهر احتكاكهم بمجتمعات مختلفة، وتعرضهم لتعاملات متنوعة في السلم، والحرب، وقد تركوا للتاريخ ميراثاً غنياً، وثرياً، في التعامل مع كل الشعوب، والثقافات، والطبقات، عبر مختلف الأدوار، سواء كانت تجارية، أو سياسية، أو تعليمية، أو معايشة؛ وعرض سير الصحابة كممثلين للإسلام؛ يعني: التعريف بالإسلام في كل هذه الأدوار.

ومجمل ما ذكر يتيح لنا فرصة للتعريف بالإسلام عبر هذه الصورة التاريخية، من خلال عرضها بشكلٍ معين، يناسب هدف التعريف.

---

(١) القاعدة تقول: إن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال، بطل به الاستدلال به، ولا يعتبر السلوك دليلاً على معتقدات صاحبه، إلا إذا دل القرآن على ذلك، ولم يظهر تدخل عامل آخر في الموقف، وحين يتكرر السلوك في ظروف مختلفة؛ فإن العنصر المشترك يكون مرجعه قيم الفرد، وإنها من تحدد السلوك في كل مرة، وإذا عرف عن الفرد أن له قيمٌ ثابتة، يؤمن بها ويتمثلها؛ لأن مواقفه ستعكس تلك القيم، وهذا ما يحدث في مواقف الصحابة التي عكست قيمهم الإسلامية، وأعطت بدورها تصوراً عن هذا الدين.

ثالثاً: سير الشخصيات الإسلامية عبر التاريخ:

لا يختلف الوضع في سير أعلام الإسلام من غير الصحابة ﷺ، من حيث ما يشتركون فيه من نقاط؛ كتمثيلهم للإسلام، وتقلدهم أدواراً مختلفة ومتنوعة، ولكن هناك بعض المميزات الأخرى، ومنها على سبيل المثال:

١ ـ أعلام الإسلام من التابعين ومن بعدهم؛ ظهرت سيرتهم في ظروف أوسع جغرافياً، وزمن أبعد عن العهد النبوي، وظهرت بعض الاختلافات في حياة الناس، لكن الفرق الذي ميز هؤلاء الأعلام في سيرتهم، وجعلها مميزة حضاريّاً، وأخلاقيّاً، وعلميّاً، هو استمرار تمثلهم للإسلام، وبالتالي يظهر البعد التعريفي في عرض حياتهم كنماذج لامعة، اكتسبت لمعانها من شعائر الإسلام، وبالتالي فأي عرض لهذه السيرة هو عرض للإسلام في صورة حياة هؤلاء الأفراد.

٢ ـ عدد كبير من هؤلاء الأعلام ليسوا من العرب، ولكن بناؤهم كان إسلامياً، ممَّا جعل تميزهم العلمي، وغيره، يحسب لصالح الإسلام، فهو البعد الجديد في ثقافتهم، ويمكن من خلال ذلك التعريف بالبناء الفكري، والعاطفي، والاجتماعي، الذي يحدثه الإسلام في أتباعه.

٣ ـ بعض أعلام الإسلام كان أنموذجاً مثالياً للإنسان الصالح، المتحلي بالقيم، رغم تعرضه لظروف، وبيئات، لا تعين على هذا التميز، ولكنه تجاوز كل الظروف بما يحمله من هدي الإسلام، وتعامل مع غير المسلمين، بأخلاق سطَّرها تاريخهم قبل تاريخ المسلمين أنفسهم[١]، ولكن حين نجد من غير المسلمين من عاش الدور نفسه في التاريخ المعاصر[٢]، ولم يتحرر من هواه، وطغيان سلطته؛ فإن المقارنة تجعل من النتيجة قاعدة لبيان الصورة الصحيحة، التي غابت عن بعض من لم يتعرف على الإسلام من مصادر صحيحة.

(١) مثل مواقف صلاح الدين مع الصليبيين وبعض الولاة المنصفين في الأمصار التي فتحوها.

(٢) كنابليون في احتلال غزة.

ملاحظات عند تطبيق هذه الصورة من الأسلوب التاريخي:

١ ـ لا ينبغي المبالغة في إبراز السيرة لأي علم، فهناك نماذج معبرة دون الحاجة لأي مبالغات، أو تضخيم.

٢ ـ لا يحبذ الاستشهاد بمواقف ظهرت من أصحابها بشكل نادر، ولا تعكس أثراً للإسلام عليه؛ لأن بعض الشخصيات وإن قدم موقفاً مشرفاً في موضع؛ إلا أنه أساء للإسلام في مواضع كثيرة، فتقديمه كنموذج إسلامي يعرف الإسلام من خلاله يعد خطأ.

٣ ـ شروط الرواية التاريخية ليست كشروط رواية الحديث، من حيث الدقة، والقوة، ولكن ذلك لا يعفي من تمحيص الروايات، حتى لا يقع المعرف في الناقض، نتيجة للوقوع في فخ الوضاعين[١]، الذين يسوقون رواية تغري المعرف بالإسلام، يوجد فيها مادة تاريخية مناسبة، ثم يفاجأ أن الرواة في موضع آخر وبنفس المنهجية في النقل؛ يسوقون رواية أخرى يحتاج المعرف إلى تفنيدها، وربما يلجأ للطعن في سندها، أو مصدرها، مع أنه قبله في الموضع السابق، واستدل به على فكرة ما[٢].

٤ ـ حين تكون الشخصية متعددة الجوانب؛ فيمكن للمعرف أن يحدد الجانب الذي سيعرضه من هذه الشخصية، حتى يسهل على المتلقي استيضاح الرسالة التي تخدم عملية التعريف.

٦ ـ أسلوب استقراء النصوص والوثائق:

أولاً: أسلوب استقراء النصوص والوثائق:

نقصد بهذا الأسلوب تحليل النصوص، والوثائق، وقراءتها وفق آليات مختلفة، لتجلية قضية تخدم التعريف بدين الإسلام، ورسوله الكريم.

---

(١) مثل ما ورد من مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري.

(٢) قد يستدل برواية سلسلتها واهية لغرض علمي، كالاحتجاج بقول الخصوم حين يكون لدى المحتج رواية معتمدة من طريق آخر.

ومما يميز هذا الأسلوب أنه:

١ ـ ينطلق من مادة موجودة أصلاً، وغالباً ما تكون مقبولة لدى المتلقي، أو على الأقل لا يجد صعوبة في النظر فيها.

ومثال ذلك: حين يقوم المعرّف بعرض نص مقتبس من مذكرات أحد الرحالة من غير المسلمين، يصف فيه بعض المظاهر الاجتماعية التي ميزت أهل الإسلام عن غيرهم.

٢ ـ يعتمد منهج الاستقراء والاستقصاء في تنظيم البيانات، وإظهار النتائج، وهذا جانب قوة في هذا الأسلوب، حيث يقابل الظواهر، ويربط المتفرقات، ويدقق في القرائن، ويستبعد الاحتمالات الضعيفة، ويجلي العلاقات، ممَّا يساعد المتلقي على استبانة الحقيقة بسهولةٍ دون عناءٍ ذهنيٍّ كبير.

٣ ـ المستهدف ليس سلبياً في تلقي النتيجة، بل يتيح أسلوب تحليل النصوص للمستهدف فرصة للمشاركة الذهنية في مراحل التحليل، والتي من أهمها عملية الاستدلال وغيرها[(١)]، من عمليات العلم المشهورة في هذا المجال، وهذه المشاركة تحقق مكاسب كبيرة منها:

١ ـ فاعلية التعلم من قبل المتلقي، نتيجة للجهد الذهني الذي يبذله في تلقي المعرفة حين يشارك في خطوات التحليل ولو ذهنياً فقط.

٢ ـ ما يحصل عليه المستهدف من شعور بالثقة، والإنجاز، حين يصل للمعرفة ترتبط به كمشارك فيها، وهذا يدفع لتبني النتائج التي تربطه بها وشائج نفسية.

٣ ـ أن المعرفة المتحققة من التحليل عبر الاستدلال والعمليات الذهنية الأخرى؛ تضفي على النتيجة سمة التسليم، وترشحها لثقة العقول بها، وتقوي الاتجاهات التي تخدمها، فمثلاً حين يجد المتلقي أنه بمتابعة وتحليل بعض النصوص التي يعرفها مسبقاً أو يقبل النظر فيها، قد أوصلته لنتيجة معينة تعطي انطباعاً عن الإسلام خلاف ما كان يعتقد؛ فإنه حتماً لن يستهين بهذه المعلومة

(١) مثل الملاحظة، والمقارنة، والاستدلال، والأبعاد الزمانية، والمكانية، والتراكيب اللغوية، وغيرها.

الجديدة، التي اكتشفها بطريقةٍ ليست مرفوضة لديه أصلاً، وهنا يأتي انحياز المستهدف للفكرة، لوقوفه بنفسه على مقومات بنائها.

٤ ـ يمتاز أسلوب تحليل النصوص من حيث التعريف بالإسلام؛ في كونه يساعد في إعادة قراءة النصوص، والوثائق، التي يستند لها من يروج لشبهات، ويصدر أحكاماً خاطئة عن الإسلام، حيث يعمد المعرّف لإعادة تحليل تلك الوثائق من حيث الثبوت، والمحتوى، لتسقط دلالتها العلمية، كما يمكن وفق هذه الميزة تفنيد المفاهيم الخاطئة عن الإسلام عبر إعادة تحليل الوقائع الموثقة، التي بنيت عليها، أو تحليل نصوص أخرى مقبولة لدى المستهدف تعارض هذا المفهوم الخاطئ.

ثانياً: تطبيقات أسلوب استقراء النصوص والوثائق:

هناك ثلاثة اتجاهات لتحقيق هذا الأسلوب:

الاتجاه الأول: تحليل الوثائق الإسلامية: وتشمل النصوص الشرعية، والوثائق العلمية، وغيرها، ممَّا يتضمن مادة تقبل التحليل، ومن صور التعريف بالإسلام عبر هذا الاتجاه ما يلي:

أ ـ تفسير الآيات القرآنية.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ الآيات التي تعد إجابة على تساؤلات المشركين فيما يتعلق بأصول الإسلام، وعقائده، حيث أن تنظيم المعلومات التي تتمحور حولها هذه الأجوبة يمكن أن يكون مادة تسهم في تعليمنا كيف نعرف بهذه القضايا، وهي أيضاً تساهم في التعريف بها من خلال تتبعها موضوعياً في القرآن الكريم، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨].

٢ ـ الآيات القرآنية التي قوبلت بتشكيكٍ وتشويهٍ لحقيقة معناها، مثل آيات المواريث، والقتال، وغيرها، ويعمد المعرف بالإسلام إلى تفسير هذه النصوص.

٣ ـ الآيات القرآنية التي تناولت قضايا أخلاقية، أو حقوقية، ونحوها،

حيث يتم تتبع مضامين هذه الآيات، وتحليل الرؤية الإسلامية لقضية العدالة الاجتماعية مثلاً، أو آيات البر والإحسان، والعفاف، وغيرها.

٤ ـ الآيات القرآنية التي عرضت التوحيد بصورٍ مختلفة، ومن منطلقاتٍ
متعددة ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ
أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ
ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ (١٠) ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن
شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ
(١٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ
تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)
يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ
لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ
(٢٥) وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ (٢٦) وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٧)
ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ
فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
(٢٨)﴾ [الروم: ٧ ـ ٢٨].

٥ ـ الآيات التي وضعت منهج الحركة الإنسانية في الحياة لعمارة الأرض وفق السُّنن الإلهية؛ كنموذج إسلامي في حماية العالم من الاختلاف والهلاك.

٢ ـ تحليل نصوص الأحاديث النبوية الشريفة الثابتة عنه ﷺ:

وفيها من الأغراض التعريفية ما في الآيات القرآنية من حيث تضمنها لإجابة تساؤلات، أو عرض قضايا قوبلت بالتشويه، والتشكيك، أو قضايا عامة اجتماعية، أو أخلاقية، وحقوقية، أو منهج معين عبر تتبع النصوص، غير أن السُّنَّة النبوية قد تنفرد ببعض النصوص التي تمثل مادة مختلفة للتعريف بالإسلام، ومنها:

١ ـ المعاهدات التي تمت بين النبي ﷺ وبين أطرافٍ أخرى، مثل: معاهداته ﷺ مع اليهود في المدينة، وما انتهى إليه معهم من الصلح كما في فتح خيبر، وهذه الوثائق تعد مصدراً مناسباً لعرض الإسلام من خلال ما فيها من العدالة، والنزاهة، وإبراز الذوق الرفيع في تعاملات الإسلام.

٢ ـ الرسائل المكتوبة للملوك في عصره ﷺ، لما فيها من تعريفٍ بالإسلام، أو دعوة إليه مباشرة، مستندة إلى ما لدى المستهدف من خلفية سابقة عن هذا الدين، كما في كتاب النبي ﷺ لهرقل عظيم الروم(١).

٣ ـ الروايات التي نقلت وصفاً للنبي ﷺ من كتب، أو مقولات أهل الكتاب، مثل مقارنة وصف أم معبد للنبي ﷺ بأوصافٍ وردت في الكتب السابقة(٢)، أو صفات وردت في كتب أهل الكتاب بنصوص من السُّنَّة أثبتت ذلك الوصف(٣).

٤ ـ الوثائق التي كانت في عهد ما بعد النبي ﷺ.

وتشمل صوراً متعددة، منها:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، ٣/ ١٣٩٣، حديث رقم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ٥/ ٢٨، حديث رقم (٣٧٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ٤/ ١٨٧، حديث رقم (٣٥٤٥) وما بعده.

١ ـ المراسلات: سواء مراسلات الخلفاء للملوك، أو مراسلات القادة لنظرائهم من قادة المعارك أثناء الفتوحات الإسلامية.

٢ ـ عهود الصلح، والجزية، والمواثيق العسكرية، والسياسية، التي كانت تطبيقاً لمنهج الإسلام في الحرب، والسلم، والمكتبة الإسلامية مليئة بالمخطوطات التي أثبتت هذه النصوص ودرستها.

٣ ـ الاتفاقات التجارية، وعقود المعاملات، التي تبادلها المسلمون فيما بينهم، أو مع غيرهم أثناء الحركة التجارية في مختلف البلدان.

٤ ـ المرافعات، ونصوص الأحكام، التي دونت عبر التاريخ الإسلامي، ومنهجية بنائها من الناحية القانونية الإسلامية الفريدة، وما تقدمه للعالم اليوم من رسالةٍ واضحةٍ عن عدالة ودقة منهج التقاضي الإسلامي مع المسلم، وغير المسلم.

٥ ـ القرارات والبيانات الرسمية التي بنيت على منهجٍ إسلامي، بحيث يتم دراستها كوثائق عملية لتفعيل الشريعة ضمن النظم الإدارية للحكم.

٦ ـ المؤلفات التي أنتجتها المكتبة الإسلامية التي مهدت للثورة الصناعية الحديثة، ووضعت الأساس للتفكير العلمي في الظواهر الطبيعية، والإنسانية.

وهذه الوثائق مع أنها تتضمن اكتشافات، أو دراسة علمية لظواهر طبيعية، لا تقدم الإسلام من خلال ما تعرضه بشكلٍ مباشر، لكنها تفيد في إظهار الشخصية المسلمة والبيئة الإسلامية الحاضنة للابتكار، والمشجعة عليه، وهذه في عصرنا الحاضر تزيل اللبس الذي لحق الشخصية المسلمة، حيث أدى الجهل بواقع شخصية المسلم، وقدراته العقلية، إلى استبعاده من قائمة العقول المنتجة، وتتمثل الرسالة التي تؤديها دراسة هذه الوثائق، في أنها تقول للعالم: إن دين الإسلام يرتبط بكل شريف، ومفكر، وذكي، ومنتج من الناس.

ويحسن التنبيه عند استخدام هذا الاتجاه من أسلوب تحليل النصوص للتعريف بالإسلام:

١ ـ فيما يتعلق بالآيات القرآنية: ينبغي مراعاة ما يلي:

١ ـ أصول التفسير المعروفة في هذا المجال.

٢ ـ تطبيق شروط التفسير بالرأي في أي استنباط، أو توجيه للآية القرآنية، لم ينص عليه المفسرون صراحة.

٣ ـ فيما يتعلق بالآيات التي تناولها المفسرون بآراء واتجاهات متعددة؛ ينبغي الحرص على توخي الرأي الأصوب قدر الإمكان، ممَّا يظهر من أدلته، أو قرائنه الشرعية، واللغوية، والتاريخية.

٤ ـ مراعاة المحكم من كتاب الله، ومعرفة مقاصد الآيات، وعرض النصوص ضمن هذا الإطار.

٥ ـ لا ينبغي عسف النصوص لتحقيق نتيجة مسبقة، أو للحصول على موافقة لاكتشافٍ علمي، أو ثقافةٍ عالمية، تقبلها الناس كمسلّمة[١].

٦ ـ تتبع موضوع محدد في القرآن الكريم لا يعني الاستغناء عن السُّنَّة الصحيحة، وملابسات السيرة النبوية، وفهم الصحابة، وأصل اللغة؛ لكونها مفسرة، أو مخصصة، أو مقيدة، أو موضحة لأسباب النزول والأحوال، فكون المادة المدروسة أصلاً عن النص القرآني، لكن أدوات فهمه وتوجيهه متعددة.

٧ ـ ينبغي التأكد من أن المستهدفين يدركون العملية التي يقدمها لهم المعرف من خلال تحليل الآيات القرآنية، ولكل شريحةٍ من الناس طريقة لعرض الآيات عليهم، وطريقة أيضاً لدمجهم في التفكير بما لا يعجز عقولهم.

ب ـ فيما يتعلق بالأحاديث والآثار النبوية الشريفة.

تشترك مع الآيات القرآنية فيما يتعلق بطريقة الدراسة، والتفسير، وقواعد الاستنباط، والترابط بين مجمل الوحي، ولكن هناك بعض الملاحظات الأخرى:

١ ـ التثبت من صحة الآثار، وعدم تجاوز الصحيح إلا بحجة معتبرة.

---

(١) فقد تظهر قضية تشغل الرأي العام العالمي، ويصبح لدى الناس حساسية نحوها، مثل: (الديمقراطية) فيعمد البعض للبحث عن مخرج لنفي اتهام متوهم عن الإسلام، وهذا ليس من سبل التعريف الصحيحة، بل ينبغي تجنب الخوض فيها، وحتى يحتاج المعرف بالإسلام للإجابة، فعليه أن يبين موقف الإسلام من تلك القضية كما هي في شرع الله، دون تشويه، وربما كان في هذا البيان إيصال رسالة تظهر تميز الإسلام في رؤيته الخاصة حيال تلك القضية، وكيف أن الإسلام كفل الحقوق التي تدعو لها الديمقراطية بطريقةٍ خاصةٍ ربَّانية المصدر، وشاملة، وتعدّ غاية في العدل، والواقعية.

٢ ـ مراعاة السياق الذي تدرس فيه الوثائق إذا كانت دعوةً أو عرضاً.

٣ ـ ربطها بما جاء في القرآن لتعطي دلالة واضحة في تكامل الكتاب، والسُّنَّة، وعدم وجود تناقض بينهما.

الاتجاه الثاني: تحليل نصوص وردت في كتب أهل الكتاب، أو بعض كتب أصحاب الديانات الأخرى، وتوظيفها في عملية التعريف بالإسلام.

ولقد بادر كثير من المهتمين بتجلية كل ما ورد في التوراة، أو الإنجيل، فيما يتعلق بنصوص يُعتقد أنها من بقايا أصل الكتابين، لما فيها من الحق المتعلق بالتوحيد، وبعض النبوات بالنبي محمد ﷺ، وظهرت صور كثيرة في هذا يمكن الاستفادة منها، كما أن المعرف بالإسلام يمكنه أن يستثمر بعض هذه الصور، ومنها:

١ ـ تحليل النصوص التي بشَّرَت بالنبي ﷺ، وجمع القرائن الدالة من خلال مطابقة ما ورد بما ثبت في الواقع من سيرة النبي ﷺ، وصفاته، ويمكن تناول هذه الصورة من بُعدين:

أ ـ إبراز النبوات، وعرضها، وبيان تواترها، وتعاضدها، في التبشير بالنبي محمد ﷺ، وربطها ببعض ما ثبت عن أساقفة ورهبان النصارى، وأحبار اليهود، ممَّا قالوه في حق النبي ﷺ قُبيل أو بعد مبعثه.

ب ـ تفنيد التفسيرات الخاطئة التي صرفت معاني النصوص المبشرة بمبعث النبي محمد ﷺ، وإثباتها له عبر إعادة تحليلها بشكلٍ منهجي، وبقرائن صحيحة.

٢ ـ تحليل النصوص التي تخالف العقائد الخاطئة في دين النصارى، أو اليهود، والتي تعد نصوصاً توضح المعتقد الصحيح من حيث مطابقته لما جاء في القرآن، ويكون التعريف بالإسلام من هذه الزاوية يحقق هدفين:

الهدف الأول: إبراز النصوص المهمشة في التوراة، والإنجيل، وإبراز ما فيها من حقٍّ سعى المضللون لكتمانه.

الهدف الثاني: إظهار علاقة الإسلام بحقيقة الدعوة التي جاء بها موسى وعيسى عليهما السلام.

٣ ـ تحليل النصوص التي تظهر اضطراباً في بعض القضايا في الكتب

السماوية السابقة، نتيجة التحريف، ويكون ذلك بغرض إزالة اللبس الذي يعترض طريق التعريف، ولا يُعمد لهذه الطريقة إلا في حال مناسبة الموقف، فحين يكون الهدف التعريف بالإسلام؛ فليس من المناسب استثارة المتلقي بالتعرض لمعتقده ابتداءً، ما لم يبدي الرغبة في الحوار والمقارنة، ولكن إذا وجد المعرف بالإسلام أن للمتلقي أبداً تساؤل حول بعض مفاهيم الإسلام، وتضمنت الإجابة إشارة لبعض المتناقضات في التوراة، أو الإنجيل، أو غيرها، وكانت ملابسات الموقف تُطمئن بحيث لا يترتب عليها خسارة هدف التعريف، فيمكن لهذه الصورة أن تكون وسيلة للتعريف أيضاً[١].

٤ ـ تحليل النصوص التي تحمل آداباً، وأخلاقاً عامة، تشترك فيها كل الأديان، وهذه الصورة من التحليل تخدم عملية التعريف من خلال الأبعاد التالية:

١ ـ تحدث استمالة نفسية للمتلقي من خلال ما يلمسه من تقارب مع ما يؤمن به ويعتقده.

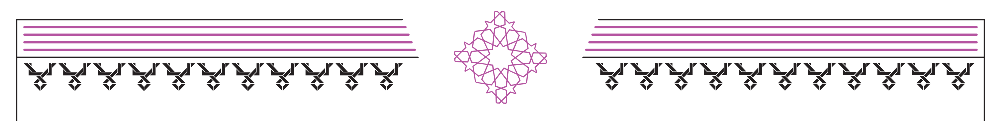
٢ ـ تتيح فرصة للتعريف بالمنهج الأخلاقي الفريد في الإسلام.

٣ ـ الحصول على انطباع حسن لدى المتلقي عن الإسلام؛ يتيح فرصة أيضاً لمخاطبته بما لم يعرفه من شرائع الدين الأخرى ومحاسنه.

وهناك اتجاه ثالث: وهو: تحليل الكتابات، والمدونات، التي تتضمن مادة صالحة للتعريف بالإسلام، من خلال تحليلها، أو إزالة شبهة متعلقة بالإسلام، أو تناقض في معتقدات المخالفين.



(١) ذكرت هذه الصورة باعتبارها من صور تحليل النصوص وليس بالضرورة أن تخدم عملية التعريف في كل حال.



المبحث الثاني

وسائل التعريف بالإسلام

تمهيد

إنّ الإسلام لم يجعل وسائل الدعوة أمراً محدداً لا يمكن تجاوزه، بل جاء بالإطار العام لمنهج الدعوة، ووسائلها، يقول الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، ونحن أمّة أصحاب دين عالمي، ولسنا أصحاب دين قومي، أو محلي، ورسالتنا للعالم أجمع، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

إنّ وسائل الدعوة إلى الإسلام متجددة، ومتطورة، ومتنوعة، وعلى دعاة الإسلام وعلمائه أن يستفيدوا منها لتبليغ دعوة الله إلى الناس، وبكل اللغات إن أمكن ذلك.

والداعية الناجح لا يترك وسيلة لعرض دعوته، وكسب الأنصار لها، إلا استعملها، دون حصرٍ لنفسه في دائرة ضيقة من الوسائل، مع الحفاظ على ثوابت الدعوة وأصولها، وبما يتناسب مع الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال، وشعاره: «أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم».

لقد أصبح اليوم بإمكان الداعية المسلم أن يصل إلى ملايين الناس بفضل هذه الوسائل الحديثة، والتي ظهرت واختُرعت ليس من أجل الدعوة، ولكن لمصالح أخرى حسب نوايا مصنعيها، وربما أنّ بعضها استخدم أصلاً لمعارضة الدعوة، والتشكيك في الإسلام، شريعة، وعقيدة، فالجدير بالدعاة أن لا يقفوا جامدين إزاء هذه الوسائل، التي أصبحت سلاحاً ذا حدّين، فأهل الباطل

يستفيدون منها أقصى ما يستطيعون في نشر باطلهم، ولذا فنحن أولى بذلك منهم، ونحن نحمل الحق المبين.

والوسيلة في اللغة: أصلها (وسل) فلان إلى الله بالعمل (يسل) وسلاً: رغب وتقرّب(١).

والوسيلة القربة، والواسل الراغب إلى الله، وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه(٢). والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع وسائل(٣)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

يقول ابن كثير: الوسيلة: هي التي يُتوصل بها إلى تحصيل المقصود(٤). ويقول الفخر الرازي: الوسيلة هي التوصل إلى تحصيل المقصود(٥). وفي المفردات: الوسيلة هي التوصل إلى الشيء برغبة(٦). ويقول ابن الأثير في النهاية: الوسيلة هي ما يُتوصل به إلى الشيء، ويُتقرب به، وجمعها وسائل(٧).

وفي الاصطلاح لها تعاريف أكتفي منها بالآتي:

الوسيلة: هي كل ما يتم به تبليغ الأساليب، وحملها إلى المدعو(٨). وقيل: هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو(٩). وقيل: الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس(١٠).

ومن خلال مجموع تعاريف الوسيلة في اللغة، والاصطلاح، أستطيع القول

---

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/١٠٣٢.
(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٢/٩٢٧.
(٣) الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ط٤، ٥/١٨٤١.
(٤) ابن كثير، «تفسير القرآن الكريم»، ط٢، ٢/٥٣.
(٥) الرازي، «التفسير الكبير»، ط٣، ٦/٢٢٠.
(٦) الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، ط١، ص٥٢٣.
(٧) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٥/١٨٥.
(٨) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ص٤٢٩.
(٩) نوفل، «الدعوة إلى الله تعالى ـ خصائصها ـ ومقوماتها ـ ومنهاجها»، ط١، ص١٨٩.
(١٠) الساداتي، «ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام»، ط١، ص٢٩.

بأن الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار، من الداعي إلى المدعو.

بخلاف الأسلوب فهو: طريقة العرض، والتأثير، والإقناع.

والفرق بينهما أن الوسيلة أعم من الأسلوب، إذ إنها هي الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس.

إنّ الاعتماد على وسيلة واحدة باستمرار، أو على وسائل محدّدة مدى زمان الدعوة، والاقتناع بكفايتها دون سواها، اعتقاداً في أنه لا تصلح إلا هي مهما طال الأمد، أو تغيّر الحال، أو صارت في نفسها رتيبة لا توصل إلى مقصد، أو غاية اتُخذتْ لأجلها؛ أمرٌ في غاية الخطورة على الدعوة:

لأنه يربِّي في الدعاة الرضا عن النفس، والعمل، وعدم الشعور بالتقصير الذي يستلزم الإسراع إلى تغيير الحال، والبحث عن وسائل أخرى تقلل من تقصيرهم، وتنفي عنهم خبث الشعور بالرضا عن النفس، والعمل.

ولأنه يوقف الاجتهاد للابتكار في أساليب العمل، وينشر الجمود، والتقليد للغير، بلا داعٍ يتطلبه، ولا ضرورة تقتضيه، ممَّا يُسلّ روح التجديد والتجدد من جسد الحركة.

ولأنه يؤثر في تصوّر الأمور، والأشياء، وبالتالي يؤثر في الحكم عليها، إذ الحكم على الشيء دائماً فرعٌ عن تصوّره، والجمود على الوسيلة الواحدة أو الوسائل المعينة؛ يوصل بالإصرار إلى التبلّد عليها، وعدم التحوّل عنها، أو تطويرها، وتكييفها بالحال، والبيئة، والواقع، يوصل بعد حين إلى قلب وضعها من كونها وسيلة إلى جعلها غاية في ذاتها، ومقصداً يُتمسّك بها لنفسها.

وهذا الذي يقتل العمل ويميته، إذ اختلاط التصورات، وانقلاب الأحكام، يورث تلاشي التمييز بين ما هو وسيلة وبين ما هو غاية، وبين ما هو ثابت، وبين ما هو متغيّر، فيُعمَل من أجل الوسيلة لإبقائها والمحافظة عليها، ويُضيَّع المقصد من الدعوة في سبيل الوسيلة، ويُقضَى على الغايات، لإبقاء الوسائل، وهكذا تصبح الحركة جموداً تسكن لوسيلة، أو وسائل تعيش لها، وتجاهد من أجلها، وتوالي بها، وتخاصم عليها، ومن ثَمَّ تصبح حركة الدعوة لافتة معروفة بماضيها،

لا تأثير لها على الحاضر، ولا أمل لعطاءٍ منها ذي قيمة فيما يُنتظر من مستقبلٍ قادم.

لهذا كله: يجب على العاملين للإسلام أنْ يتواصل اجتهادهم في رفقة جهادهم الدعوي، يصوّب الوسائل ويقوّمها، يستشرف بها مستقبل الدعوة، ويستجلب بها أسباب التمكين، ويستفتح بها مغاليق القلوب والعقول لدى الجماهير من أمتنا، وجماهير الأمم، ولا يتحقق ذلك إلّا بتعددية الوسائل المتخذة.

ومما يحسن الإشارة إليه في صدد الحديث عن الوسائل، والأساليب الدعوية؛ أن الوسيلة مقدمة على الأسلوب، وذلك لما يلي:

١ ـ أن الوسيلة هي التي تحدد الأسلوب.

٢ ـ أن الوسيلة هي التي تبني كيفية استخدام الأسلوب، ومن خلال الوسيلة؛ يمكن للداعية عرض ما يراد عرضه.

٣ ـ أن الوسيلة هي التي تنقل الأسلوب، والأسلوب محمولٌ عبر الوسيلة، كما تحمل وسائل الإعلام أساليب الدعوة، والإعلام.

وعلى هذا يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة، وصلة قوية بين الوسيلة، والأسلوب، حيث إن الوسيلة هي الشيء الحسي ليتمكن الداعية من استخدام الأسلوب في تبليغ دعوته، فكأن الأسلوب داخلٌ في الوسيلة أو طريقة تفعيل الوسيلة والاستفادة منها في البلاغ.

إن على الداعية أن ينوع في أسلوبه مع المدعوين، وأن تكون عنده القدرة على تشخيص الداء في المدعوين، ومعرفة الدواء على ذلك، وإزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من رؤية الداء، والإحساس به، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى يرغبهم في استعمال الدواء، ومن ناحيةٍ ثالثة يرهبهم من تركه، ومن ناحيةٍ رابعة يتعهد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم، لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم، وهكذا لأن أساليب الدعوة تختلف باختلاف المدعوين، فإن كانوا من العلماء النابهين يكون أسلوب الدعوة معهم بالدلائل القطعية، والحجج الساطعة، وإن كانوا حكاماً كان المناسب في حقهم دعوتهم بالرفق واللين، وإن كانوا من أهل

الكتاب فتكون دعوتهم ببيان محاسن الإسلام، وبيان شدة حاجة الناس إليه في كل زمانٍ ومكانٍ وهكذا.

إن الأساليب، والوسائل، في الدعوة إلى الله تعالى أكثر من أن تُحصى، وذلك لتجددها، ومرونتها، ولأن لكل حالة دعوية، وسيلةً وأسلوباً خاصّاً بها، ولكل شخصٍ وسائل وأساليب نافعة ومفيدة معه، ولا تنفع مع غيره.

ويحسن القول: بأنّ وسائل نشر الإسلام كثيرة جدّاً، ومن الصعب حصرها في هذا المبحث الذي سنسلط الضوء فيه ـ بإذن الله تعالى ـ للحديث عن وسائل التعريف بالإسلام في مطلبين مهمين:

الأول: الضوابط العامة لوسائل التعريف بالإسلام.

الثاني: نماذج من وسائل التعريف بالإسلام.

١ ـ الضوابط العامة لوسائل التعريف بالإسلام:

لما كانت الدعوة إلى الإسلام دعوةً، وعملاً أساسياً، من أعمال رسول الله ﷺ، وأتباعه، كان لا بد أن تكون منطلقة من كتاب الله تعالى، وسُنَّة نبيه ﷺ منضبطة بأحكام الإسلام في مناهجها، وأساليبها، ووسائلها.

فإن الإسلام لا يعرف فصلاً في الحكم بين المناهج، والأساليب، والوسائل، ولا يُقر بأن الغاية تبرر الوسيلة، كما هو الحال في المبادئ البشرية؛ بل إن للوسائل حكم الغايات، وللأساليب حكم المناهج، وإن أي تجاهل لحكم الشريعة في جانب المناهج، أو الأساليب، والوسائل، يُعدُّ انحرافاً في مسارها، وخروجاً بها عن مصادرها.

ونظراً للخلط في هذا الجانب في حياة بعض الدعاة إلى الإسلام؛ وتَصَرُّفِهم فيها دون قيود، أو اعتقاد آخر بأن الوسائل توقيفيّة.

كان لزاماً بيان بعض من ضوابط استعمالات وسائل التعريف بالإسلام، ويمكننا تلخيص ضوابط مشروعيتها في الآتي[1]:

(١) البيانوني، «المدخل الى علم الدعوة»، ط٣، ص٢٩٠.

١ ـ أن يُنص على مشروعية استخدام الوسيلة في الكتاب أو السُّنَّة أو طلبها بوجه الطلب:

فإن أي وسيلة نص الشارع على مشروعيتها بأن أمر بها وباستخدامها على سبيل الوجوب، أو الندب، أو صرح بإباحتها وجواز استخدامها فهي وسيلة مشروعة بحسب نوع مشروعيتها من وجوب، أو ندب، أو إباحة، يلتزم الداعية باستخدامها، أو بسعة التوصل بها إلى دعوته... وقد وردت نصوص شرعية كثيرة في ذلك، منها:

الأمر بوسيلة القول، والحركة، والكتابة، والتعليم، والجهاد، وما إلى ذلك من وسائل.

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩﴾ [النمل: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم: ١]، وقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٣ ـ ٥]، وجاء في الحديث الشريف: «**اكتبوا لأبي شاه**»(١)، وقال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢].

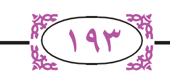
وما إلى ذلك من نصوصٍ شرعيةٍ كثيرةٍ تنص على مشروعية بعض الوسائل صراحةً أو إشارةً، أو دلالة.

٢ ـ أن يُنص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السُّنَّة أو النهي عنها بوجهٍ من أوجه النهي:

فإن أي وسيلة نص الشارع على النهي عنها بوجهٍ من أوجه النهي، فهي

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٢/ ١٨٣ حديث رقم (٧٢٤٢).



وسيلة ممنوعة بحسب نوع النَّهْي؛ تحريماً كان، أو كراهةً، على الداعية أن يتجنبها، ويتنزه عن استخدامها.

وقد وردت نصوص شرعية تنهى عن بعض الوسائل، ومن ذلك:

ما ورد مِنَ النهي عَنِ الكذب، والكبر، والحَلفُ، والبُخل، وإخلاف الوعد، ورفع الصوت، وما إلى ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١٠، ١١]، وقال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٤﴾ [الحديد: ٢٤]، وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩]، وما إلى ذلك من نصوصٍ شرعيةٍ تنهى عن بعض الوسائل صراحةً أو إشارةً أو دلالة.

٣ ـ أن تكون الوسيلة داخلة في دائرة المباح:

إن أي وسيلة دعوية لم ينص الشارع على مشروعيتها، ولم يأت بالنهي عنها، وإنما سكت عنها، فتدخل في دائرة الإباحة؛ بناءً على أن الأصل في الأشياء الإباحة، فيسع الداعية استخدامها في دعوته، كما هو الشأن في وسيلة مُكبِّر الصوت، والمذياع، وغيره من المخترعات الحديثة...

فالأصل في هذا النوع من الوسائل الإباحة، ما لم يعرض له عارضٌ يخرجه عن ذلك الأصل، وهنا يحسن التنبيه إلى مسألتين مهمتين، وهما:

١ ـ الوسيلة المختلف في حكمها بين العلماء بين الإباحة والتحريم.

٢ ـ الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال والحرام.

وتفصيل ذلك يطول، وليس البحث هنا مجالاً له، ولكني أذكر ما أورده صاحب كتاب مدخل في أصول الدعوة، فقد وجدته جيداً في بابه، إذ يقول:

الوسيلة المختلف في حكمها بين الإباحة والتحريم:

«هناك وسائل اختلف العلماء في حكمها بين مُحرِّم، ومُبيح، لسببٍ من أسباب الخلاف أو أكثر... ولم يتضح للداعية رجحان قول فيها على قول، فلا يصح وصفها عنده بمباحة، أو محرمة، وإنما هي من المختلف فيه»[(١)].

وقد تعددت مواقف الناس من مثل هذه الوسائل المختلف في حكمها، فمنهم من عاملها معاملة الحرام تورعاً واحتياطاً، فتجنبها وأنكر على من استخدمها، ومنهم من ترخص فيها وتوسع في استخدامها دون تحرّج، وكأنها من الحلال البيّن، وذلك مثل: وسيلة التصوير الفوتوغرافي[(٢)]، أو وسيلة «التمثيل المسرحي»[(٣)] أو استخدام الدف ونحوه...[(٤)].

ويمكننا أن نلخص ضوابط الوسيلة المختلف في حكمها في أربعة أمور، وهي:

١ ـ الترخُّص والتوسُّع في استخدامها، حيث الضروراتُ، والحاجاتُ الملحة، والمصالح الدعوية العامة، وذلك لأنه إذا كانت الضرورات والحاجات الملحة تبيح المحظورات القطعية التي لا خلاف في حرمتها، كما هو مقرر في القواعد الفقهية، فإن إباحتها للأمر المختلف فيه من بابٍ أولى؛ لأنه مترددٌ بين الحرمة، والإباحة، ولأن الحرمة عند من يراها فيه ظنية أيضاً.

---

(١) البيانوني، «المدخل الى علم الدعوة»، ط٣، ص٢٩١.

(٢) كلمة فوتوغرافي (ضوئي) مشتقة من اليونانية، وتعني الرسم أو الكتابة بالضوء لذلك فالتصوير الضوئي أساساً رسم صورة بالأشعة الضوئية. انظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة العربية العالمية، د. ط، ٦/ ٤٣٤.

(٣) المثل، والشبيه، كلاهما بمعنى واحد، قيل: المراد التصوير، والتمثيل بخلق الله، من قولهم: مثل الشيء بالشيء، ومثل به: إذا سوى به.. والمحاكاة: هي و(التمثيل) بمعنى، يقال: حكيت، وأحكيه حكاية، إذا أتيت بمثله على الصفة التي أتى بها غيرك فأنت كالناقل عنه، فالمثلية معنى جامع بين مادتي: حكى، ومثل. وفي اصطلاح العصر. (عرض حي لقصة وأصحابها، واقعة أو متخيلة) والمسرحيات. واحدتها مسرحية. وأصلها من مادة (سرح)، والسارحة الماشية، ولذا قيل للمرعى (مسرح). وفي حديث الثلاثة المشهور (يغدوا عليهما بسارحة له). انظر: أبو زيد، «حكم التمثيل»، ط١، ص١٥ ـ ١٧.

(٤) البيانوني، «المدخل الى علم الدعوة»، ص٢٩١.

٢ ـ التورُّعُ عن استخدامها حيث الأمور العادية، والمصالح الشخصية، وذلك لأن التورع عن الشبهات مطلوب، ولا بد أن يترك الخلاف العلمي مهما ضعف في الموضوع شبهة، وقد جاء في الحديث الشريف: «... **فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام...**»[(١)].

٣ ـ لطالب العلم أن يبحث في المسألة المختلف فيها، ويرجح أحد الأقوال بدليله، إذ ليس قول أَحَدٍ بحجةٍ على آخر، ما دامت المسألة اجتهادية.

٤ ـ ليس لمن ترجح له أحد الأقوال تحريماً، أو إباحةً، الإنكارُ على من خالفه في الترجيح، أو العمل، إذ من المُسلَّم به في قواعد الحسبة: عدمُ الإنكار في المختلف فيه[(٢)]، وإنما يَحقُّ لمن ترجح له قول من الأقوال أن يدعو إليه بلطف مبيناً دليله مع احترام القول الآخر. . . وقديماً قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «إذا رأيتَ الرجلَ يَعملُ العملَ الذي قد اختُلِفَ فيه، وأنت ترى غيره، فلا تَنْهه»[(٣)]. وقال: «ما اختلف فيه الفقهاء، فلا أنهى أحداً عنه من إخواني أن يأخذ به»[(٤)].

وهذه الضوابط الأربعة في الوسائل الدعوية المختلف فيها، لو طبقها المسلمون على جميع المسائل المختلف فيها بين العلماء؛ لاندفعت سلبيات الخلاف عن حياتهم، وعاش المختلفون فيما بينهم متآلفين متحابين كما كان أسلافهم.

أما الوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال بالحرام:

فقد وجدت في عصرنا وسائل دعوية ـ كما توجد في كل عصر ـ اختلط فيها الحلال والحرام تبعاً لغفلة المسلمين، وضعف التزامهم بدينهم، ممَّا يجعل الداعية حائراً تجاهها، يشعر بحاجته إليها، ويمنعه منها ما رافقها من حرام. . .

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ٣/ ١٢١٩، حديث رقم (١٥٩٩).
(٢) ابن تيمية، «الحسبة»، د. ط، ص١٧٤.
(٣) أبو نعيم، «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، د. ط، ٦/٣٦٨.
(٤) الخطيب البغدادي، «الفقيه والمتفقه»، ط١، ٢/١٣٥.

وقد اختلفت مواقف الدعاة والعلماء منها سابقاً وحاضراً، فكان منهم من يقاطعها ويتجنبها تجنبه للحرام الخالص، وكان منهم من يستخدمها ويشارك فيها ترجيحاً لجانبٍ على جانب.

ولعل أبرز ما يمثل هذا النوع في زماننا وسيلة النوادي، ووسيلة الإذاعة، ووسيلة التلفاز... فقد حوت هذه الوسائل جوانب من الخير مع جوانب من الشر، واختلط في كثيرٍ منها الحلال والحرام، وانتشرت في حياة الناس انتشاراً كبيراً قَلّ أن يسلم منها المسلمون...

كما جَرَّب تجاهها العلماءُ موقفين: موقف المقاطع لها، وموقف المشارك فيها، فلم يفيدا في ذلك شيئاً، إذ لم يصل المشاركون فيها إلى إصلاح واقعها، ولا المقاطعون لها إلى معالجتها والسلامة من شرِّها...

لذا ألخص الضوابط فيها في حالتين:

١ ـ حالة إمكان معالجتها وتنقيتها ممَّا شابها.

٢ ـ حالة عدم إمكان معالجتها وتنقيتها ممَّا شابها.

الحالة الأولى:

فلا بد للداعية تجاهها من معالجتها وتَعْرِيتها عمَّا شابها من حرام، واستخدامها في سبيل دعوته، وذلك كما فعل ﷺ مع وسيلة «النذير العُريان» فقد كان عادة العرب في الجاهلية إذا أرادوا الدعوة إلى أمرٍ هام، أو الإنذار بأمرٍ خطيرٍ يفعلون عدة أمور:

١ ـ يصعدون إلى مكان عال كجبل أو أي مكان مرتفع.

٢ ـ ينادون بأعلى صوتهم: واصباحاه، وما إلى ذلك من ألفاظ النداء.

٣ ـ يتعرّون عن ثيابهم، ليشعروا الناظر إليهم بخطر الأمر الذي ينادون من أجله، وكأَنَّ العدو قد عرَّاهم من ثيابهم، فيسرع الناس إليهم.

فلم يترك ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الوسيلة المشوبة بالعُرْي، وإنما عمل على تعريتها عمَّا شابها واستخدمها، بل قال عن نفسه: «**أنا النذير العُريان**»[(١)] مُعبِّراً عن خطر الأمر الذي جاء به.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ٨/١٠١، حديث رقم (٦٤٨٢).

فقد جاء في الحديث الشريف أنه ﷺ لما نزلت آية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج حتى صعِد الصفا فهتف: «**يا صباحاه...**»[(١)].

وأما في الحالة الثانية:

فلا بد للداعية من أحد موقفين:

١ ـ المقاطعة لها بضوابط.

٢ ـ المشاركة فيها بضوابط.

ومن ضوابط المقاطعة:

١ ـ أن تكون المقاطعة جماعية بحيث يتفق عليها معظم العلماء والدعاة، فلا تختلف مواقفهم منها، ليعلم الناس جميعاً هجر العلماء والدعاة لها، فيتابعونهم في ذلك.

٢ ـ أن تكون المقاطعة كاملة نظرياً وعملياً، فلا مشاركة فيها، ولا إدخال لها إلى بيوت المسلمين، وتجنبها تجنباً كاملاً لإحكام المقاطعة من جهة، والسلامة من شرها من جهةٍ أخرى.

٣ ـ أن يُسعى إلى إيجاد بديل صالح عنها، يعوّض الناس عن جانب الخير الذي فيها، ويشغلهم ويصرفهم عن جانب الشر فيها، إلى غير ذلك من ضوابط يراها العلماء والدعاة.

ومن ضوابط المشاركة:

١ ـ أن تكون جماعية، بحيث يقدم على المشاركة فيها معظم العلماء والدعاة، فلا تختلف مواقفهم منها، وذلك لتكثير جانب الخير فيها وتغليبه على جانب الشر.

٢ ـ أن لا تكون المشاركة في جزءٍ محرمٍ منها؛ كالبرامج الداعية إلى الفساد، وبرامج الموسيقى والغناء المحرم...

٣ ـ أن تكون المشاركة على مستوى مكافئ للموضوع شكلاً ومضموناً،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣]، ٦/١٧٩، حديث رقم (٤٩٧١).

حتى لا يظهر صوت الخير ضعيفاً أمام صوت الباطل، فيزهد الناس فيه، ويجرهم الباطل إليه.

٤ ـ اختيار الوقت المناسب للمشاركة، والتحكم في بداية البرنامج وخاتمته، فلا يبدأ أو يختم بمحرمٍ أو باطل...

٥ ـ أن يُسعى لإصلاحها وتنقيتها باستمرار، وذلك عن طريق المشاركة الصالحة الفعالة، ومراجعة المسئولين عنها وتذكيرهم بضرورة ذلك، وعدم اليأس والسكوت.

٦ ـ أن يُسعى لإيجاد بديل صالح غير مشوب يكون قدوة في ذلك من جهة، وبديلاً عن المشوب من جهةٍ أخرى[١].

إلى غير ذلك من ضوابط يراها العلماء المشاركون، والدعاة العاملون.

٤ ـ أن لا تكون الوسيلة شعاراً لكافر:

فقد ثبت نهيُ رسول الله ﷺ عن التشبه بالكفار، وأمرُهُ بمخالفتهم ولا سيما فيما كان شعاراً لهم يعرفون به، فقد جاء في الحديث الشريف: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[٢]، وجاء أيضاً: «**ليس منا من تشبه بغيرنا**»[٣]، كما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**خَالِفوا المشركين، ووفِّروا اللِّحى، وأَحْفوا الشوارب**»[٤]، وجاء عنه ﷺ قوله: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**»[٥].

فعلى الداعية إلى الإسلام أن يتجنب في دعوته أي وسيلة تُعدُّ شعاراً للكفار، مهما كان نوعها، كما فعل ﷺ لما عُرِضت عليه مثل هذه الوسائل للدعوة إلى الصلاة.

---

(١) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٢٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ٤/ ٤٤، حديث رقم (٤٠٣١).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب الإستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام، ٤/ ٣٥٣، حديث رقم (٢٦٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب اللباس، باب تقليم الأظافر، ٧/ ١٦٠، حديث رقم (٥٨٩٢).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٤/ ١٧٠، حديث رقم (٣٤٦٢).

ففي الحديث عن ابن عمر ﵄ أنه قال: (كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، وليس ينادي بها أحد، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم قَرْناً مثل قَرْن اليهود، فقال عمر: أَوَلا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ قال رسول الله ﷺ: «**يا بلال قُمْ فناد بالصلاة**»[(١)].

ومن هنا: كان من ضوابط مشروعية الوسيلة أن لا تكون شعاراً لكافر، كما بيَّن هذا عدد من العلماء، في مواطن متعددة[(٢)].

٥ ـ جواز استعمال بعض الوسائل الممنوعة لأحوال معينة:

لما كان الدين الإسلامي ديناً عملياً يصلح للتطبيق في كل زمانٍ ومكان، جاء فيه الترخيص باستعمال الممنوع منه دفعاً للحرج وتحقيقاً للضروريات والحاجيات. . .

وكان هذا الترخيص على نوعين أساسيين هما:

أ ـ الترخيص ببعض الوسائل الخاصة في بعض الأحوال تغليباً لجانب درء المفاسد على تحقيق المصالح، أو موازنة بين المفاسد إذا اجتمعت، وتقديم أخف المفسدتين، كما جرى في الترخيص بالكذب في عدة مواطن.

فقد جاء في الحديث الشريف: «**ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس، فَيَنمْي خيراً، أو يقول خيراً**»[(٣)]، وزاد مسلم في رواية: «ولم أسمعه يُرخص في شيء ممَّا يقول الناس إلا في ثلاث، تَعْنِي: الحربَ، والإصلاحَ بين الناس، وحديثَ الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأذان، باب بدء الأذان، ١/١٢٤، حديث رقم (٦٠٤).

(٢) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٢٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، ٣/١٨٣، حديث رقم (٢٦٩٢).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، ٤/٢٠١١، حديث رقم (٢٦٠٥).

وقد قَعَّدَ العلماء من هذا الحديث وأمثاله قاعدة في أحوال جواز الكذب، وجعلوا منها: إذا لم يتمكن المرء من الوصول إلى حقه الثابت له، إلا بالكذب فيباح له استخدام الكذب للوصول إلى حقه فإن في هذا ترجيحاً لمصلحة حفظ الحقوق، وتفويت مقاصد الظَّلمة، على مفسدة الكذب[1].

ب ـ الترخيص بفعل المحظورات بسبب الضرورات الملجئة أو الحاجات المُلِحّة، وقد قَعَّد العلماء في هذا قاعدتين:

١ ـ الضرورات تبيح المحظورات.

٢ ـ الضرورات تُقدّر بقدرها.

ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

فيجوز للداعية في حالات الاضطرار وما شابهها أن يستخدم الوسيلة المحرمة بالقدر الذي تدفع فيه تلك الضرورة الملجئة، والحاجة الملحة.

ويختلف هذا الضابط الأخير عن المبدأ القائل «الغاية تبرر الوسيلة» من عدة وجوه منها:

١ ـ أن المحرِّم والمبيح في الإسلام هو الشارع نفسه توسعة على عباده، أما التبرير عند غير المسلمين فمتروك لاجتهاداتهم وأهوائهم.

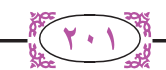
٢ ـ أن الغاية التي أبيحت من أجلها بعض الوسائل الممنوعة، محمودة دائماً في نظر الشارع، وليست مجرد مصلحة يراها المرء محمودة كانت أو مذمومة كما هي عند الآخرين...

٣ ـ أن الترخيص في الإسلام مقيد بحال الضرورة الملجئة أو الحاجة الملحة، كما أن الضرورات تقدر بقدرها، وليس الأمر مطلقاً كما هو عند غير المسلمين، والله أعلم.

٤ ـ أن يراعي الداعية الزمان والمكان المناسب لاستخدام الوسيلة:

---

(١) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٢٩٩.



إذ الأصل في الوسائل والأساليب التطوّرُ والتجدّدُ، تبعاً لتطور عادات الناس وأعرافهم، ولتقدم العلوم والفنون، كما أن الأصل في المبادئ والأهداف والمناهج الربانية الثبات وعدم التحول، تبعاً لكمال الله وعصمة شرائعه، وإحاطة علمه. . .

فإن لكل عصرٍ أساليبه ووسائله في جميع نواحي الحياة، وإن هذه الوسائل المعاصرة قد تشترك مع وسائل عصرٍ سابق، وقد تختلف عنها، فالداعية الحكيم هو الذي يختار لكل عصرٍ وسائله المناسبة والموجودة فيه، ومن هنا استخدم ﷺ وسيلة «المآدب» الدعوات إلى الطعام من أجل جَمْع الناس على أمرٍ يبلغهم عن طريقه دعوته.

كما استخدم تجمعات الأسواق، وغيرها من أجل إيصال دعوته إلى الناس، وعرضها على الناس؛ لأنها كانت تستخدم للشعر والأدب، كما تستخدم للبيع والشراء. . .

وفي كتاب «منهج الدعوة إلى الله»: «لا بد أن يراعي الداعي الحق، الطرق المعروفة في زمانهم، حتى تكون دعوته أكثر وقعاً وتأثيراً في النفوس والقلوب، فليَجْتمع بالناس كما يجتمعون، وليتحدث إليهم كما يحبون، وليلاحظ في التعرض لهم من الطرق ما يتفق، وأوضاعهم وطبيعتهم وأسلوب حياتهم، فلو وطئ اليوم أحدٌ بلاد أوربا وأمريكا ينشر فيها الدعوة، لوجب عليه أن يختار من وسائل الاتصال بالناس، والاستئناس بهم، وبث آرائه وأفكاره فيهم، ما يكون قد راج في حياتهم الاجتماعية والمدنية، فإن تَنكَّرَ لهذه الوسائل وألحَّ على رفضها، فسوف تذهب جهوده سُدى، ويكون سعيه نفخاً في رماد أو صوتاً في واد.

وفي القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة نجد إشارات قوية تنبّه إلى مراعاة الزمان والمكان لكل واقع وقضية وحال ليبقى الإسلام داعياً إلى الله حاكماً على الأشياء والأحياء مستوعباً الأفعال والتصرفات في حكم الشرع. إذ الأصل في دين الإسلام أنه دين البشرية لا قومية فيه ولا طائفية، وهو أيضاً الدين الخاتم.

ولمواكبة الزمان والمكان والحال فلا بد أن تقوم المواكبة[(١)] على هذه المعاني الثلاثة: المسايرة، والمبادرة، والمسابقة.

وأمّا المسايرة فإن تعاليم الإسلام والدعوة إليها قد سايرت الأوضاع والأحوال والأزمان، لا خضوعاً ولا انكساراً ولا استسلاماً، وإنما دعوةً وموافقةً وترغيباً، بل إنها في الحقيقة مسايرة ساعية للهيمنة الواجبة وقيادة المواكب إلى الله وتحكيم الشرع.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

وحين قدم النبي ﷺ المدينة وجدهم تتعلّق قلوبهم بشيءٍ من حبّ اللعب والترفيه، فوافقهم على ما هم عليه، مع تبديل لوقته، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة، وجد لأهل المدينة يومين يلعبون فيهما، فقال: «**ما هذان اليومان؟**» قالوا: يا رسول الله! هذان يومان كنّا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال ﷺ: «**إنّ الله عز وجل قد أبدلكما خيراً منهما، يوم الفطر ويوم الأضحى**»[(٢)].

وكان من وصية الرسول الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين ابتعثه إلى اليمن بدعاية الإسلام يقول له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلّا الله وأني رسول الله، فإنْ هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلة، فإنْ هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم**

(١) «واكبت القوم إذا ركبت معهم وإذا سبقتهم، وواكب القوم بادرهم». انظر: ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١/ ٨٠٢ ـ ٨٠٣. والفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط١، ص١٨٢.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ٢١/ ٢٢٥، حديث رقم (١٣٦٢٢)، وأبو داود في «سننه»، تفريع أبواب الجمعة، باب صلاة العيدين، ١/ ٢٩٥، حديث رقم (١١٣٤)، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا قال الحاكم، ووافقه الذهبي. انظر: الألباني، صحيح أبي داود، ط١، ٤/ ٢٩٧.

أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإنْ هم أطاعوك لذلك، فإيّاك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»(١). فهنا يراعي النبي ﷺ أحوال القوم فيأمر أنْ تقوم الدعوة على التدرّج والتجزئ، ولم تكن هذه الطريقة مرعيةً في دعوة كل الأقوام والقبائل والناس، بل استخدمت مع بعضهم لا جميعهم، ممَّا يدلّ ـ كذلك ـ على تعددية الوسائل.

ومن تدبّر تَتَابُعَ الرسل كلٌّ يأتي بذات الرسالة في حقيقتها وأصولها، غير أنها تختص في الجانب الواقعي بمعالجة أهم الظواهر الفاشية مواكبةً لعصرهم وواقعهم وأوضاع أقوامهم وأحوالهم، يبادرون بالإصلاح تصويباً وتوجيهاً وتغييراً:

١ ـ فإبراهيم عليه السلام ركّزت دعوته على تسفيه الآلهة وتصحيح الاعتقاد.

٢ ـ ولوط عليه السلام ركّزت دعوته على تنقية المجتمع من الانحلال والتفسق والشذوذ الاجتماعي بعد الدعوة إلى توحيد الله تعالى.

٣ ـ وشعيب عليه السلام ركّزت دعوته على ترشيد الاقتصاد وتجديد الخلافة في المال.

٤ ـ وموسى عليه السلام ركّزت دعوته على إيقاف الاستعباد الطاغوتي، ونصرة المستضعفين، وتصويب السياسة والحكم نحو العبودية والإصلاح والعدالة(٢).

٥ ـ أمّا رسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد جاء مبادراً بالإصلاح والتغيير في كل المجالات ليقيم الحياة الطيبة للبشرية على نور الإسلام وهدى القرآن وفق مراد الرحمٰن الرحيم جلّ وعلا.

ويؤكد مشروعية مراعاة الزمان والمكان في الوسائل الأساسية قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ... ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) سبق تخريجه ص٣٤.

(٢) نحو العبودية: لأن فرعون نازع الرب جل جلاله الربوبية ادعاءً وجهلاً.. والإصلاح: لأنه أفسد في الأرض.. والعدالة: لأنه جعل رعيته شيعاً يستضعف طائفة منهم هم بنو إسرائيل فظلمهم واستعبدهم واستغلّهم شر استغلال.

أما الحكمة: فإنّ من أظهر معانيها مراعاة مقتضى الحال، وهذا يعني للداعية إلى سبيل الله أن يراعي مع كل حال ما يقتضيه من الخطاب ترغيباً وترهيباً، مجادلةً أو مجاهدةً، تقديماً أو تأخيراً، إبقاءً أو تغييراً، إقراراً أو إنكاراً.. وهكذا.

وأمّا الموعظة الحسنة: فهي تتخذ صوراً عديدة، فقد تكون بإنزال الكتاب والحكمة كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقد تأتي على صورة الأوامر الواجبة المحققة لمقاصد الشرع في العباد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

وتكون بالمناظرة والتحدّي الفكري كما جاء مثله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦].

والموعظة قد تكون لبعض الفئات ممن يصدون عن الحق صدوداً بالتنبيه إلى حقائق أنفسهم وحياتهم وما يحيطهم من الأجرام والكواكب وما يتلبسهم من أزمان وأماكن وما ينتظرهم من موت وبعث ونشور، وغير ذلك كما في قوله تعالى فيمن يصدون صدوداً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

وهذه الصورة الأخيرة يمكن تطويرها والاستفادة منها في عصرنا الحاضر فنعظ الذين يصدّون عن سبيل الله بدعاوى العلم والتقانة فنعظهم بآيات وأحاديث الإعجاز العلمي في الكون والحياة والناس فنقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً.

ولا يخفى مقدار ما أفاد الإعجاز العلمي في دعوة المختصين في العلوم المختلفة في الغرب فأسلم منهم خلق كثير بفضل الله ﷻ في آياته المعجزات وسُنن نبيه ﷺ.

وأمّا الجدال بالحسنى: فهو وسيلة مواكبة لكل الأحوال والأوضاع والأمم والملل، فلا يمتنع مجادلة أهل ملة، أو صاحب رسالة، أو أهل هوى أو شبهة أو

أيٍّ من الأمم، بل الصحيح استحباب ذلك كلما أمكن، إذ هو الوسيلة الأصل في الدعوة، ويكون به المبتدأ في دعوة الآخرين، وفي القرآن ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومن أصول المجادلة والحوار إكثار نقاط الاتفاق والوفاق، وتقليل نقاط الاختلاف، فهو إذن يرتكز على المسايرة إلّا في القليل.

ويظهر ذلك جليّاً في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].

ويجب التنبيه على أن مراعاة الزمان والمكان والحال يجب أن يكون القصد منها تحقيق الانتصار للدين ولتثبيت مبادئ دعوتنا لا لمجرد الموافقة والمسايرة لأحوال الآخرين، إلّا في حالات الاستضعاف الظاهر، فقد تكون المخالفة لغيرنا في الهدي الظاهر واجبة، وقد تكون الموافقة لهم مستحبة أو واجبة بحسب المقصد والغاية منها.

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك: «لمّا كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء، لم يشرع المخالفة لهم، فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك، ومثل ذلك اليوم»(١).

ويجب التنبيه أيضاً إلى أن مراعاة الزمان والمكان والحال لا تؤدي إلى إقرار الواقع وتجويزه وتثبيته، وعدم إنكار المنكر والأمر بالمعروف، وغير ذلك من المفاسد المعلومة.

٦ ـ أن يتجنب الداعية من الوسائل ما يحط من شأن الدعوة، أو ينال من شخصيته ومكانته:

كل ما يحتاج إليه الداعي إلى الله في هذا الصدد، هو أن يتحاشى من الوسائل المُتَّبعة المفضَّلة لدى الناس عمَّا يؤدي إلى الفساد الخلقي.. إلى أن

---

(١) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، ط٧، ص١٧٦ ـ ١٧٧.

قال: وعلى الداعي أن يتفادى من وسائل استقطاب الناس ما يحط من شأن الدعوة، أو ينال من شخصيته ومكانته.

لهذا كله: يجب على العاملين للإسلام أنْ يتواصل اجتهادهم في رفقة جهادهم الدعوي، يصوّب الوسائل ويقوّمها، يستشرف بها مستقبل دعوته وبلاغه، ويستجلب بها أسباب التمكين، ويستفتح بها مغاليق القلوب والعقول لدى الجماهير من أمتنا وجماهير الأمم، ولا يتحقق ذلك إلّا بتعددية الوسائل المتخذة. خاصة إذا صارت تلك الوسيلة لا تحقق المطلوب ولا توصل إلى المقصود، وقد يحتاج الداعية إلى البحث عن وسائل أخرى، أو تعديدها بغرض التكميل والتعضيد والتقوية لبعضها البعض حتى يتحقق المطلوب.

وقد نبَّه الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله في كتابه: «مقاصد الشريعة الإسلامية» حيث يقول داعياً إلى الاهتمام بفقهها: «وقد تتعدد الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها أقوى تلك الوسائل تحصيلاً للمقصد المتوسل إليه بحيث يحصل كاملاً، راسخاً، عاجلاً، ميسوراً، فتقدمها على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل. وهذا مجال متسع ظهر فيه مصداق نظر الشريعة إلى المصالح وعصمتها من الخطأ والتفريط، ولم أرَ من نبّه على الالتفاف إليه، وأحسب أنّ عظماء المجتهدين لم يغفلوا عن اعتباره، ويجب أنْ يكون تتبع أساليب مراعاة الشريعة لهذا الأصل من أكبر ما يهتمّ به المجتهدون والفقهاء في الاستنباط والتشريع وتعليل الشريعة، وما يهتمّ به القضاة والولاة في تنفيذ الشريعة، فإنه متشعّب متفنن». اهـ[1].

٢ ـ نماذج من وسائل التعريف بالإسلام:

الناظر اليوم لكثرة الوسائل المنتشرة بين الناس يرى ضرورة التنوع في استخدامها فمنها المرئي ومنها المسموع ومنها المقروء ومن ذلك التقني وغير التقني وكذلك منها الأقل كلفة والأعلى كلفة ومنها الأوسع انتشاراً بحكم ما تيسر

(١) ابن عاشور، «مقاصد الشريعة الإسلامية»، د. ط، ص١٤٩.

في هذا العصر من ثورة للمعلومات وغيرها وإن الباحث ليجد صعوبة في تصنيف هذه الوسائل كما هو معتاد في تقسيم الوسائل إلى مقروء ومسموع ومرئي فقد يجتمع في الوسيلة الواحدة أكثر من وصف فقد تكون مسموعة ومرئية في وقتٍ واحد وقد تكون مرئية ومكتوبة وهكذا.

وقد اخترت بعضاً من الوسائل التي يمكن التعريف بالإسلام من خلالها لا على سبيل الحصر ومنها:

١ ـ توزيع الأشرطة والأقراص:

الشريط الإسلامي أو القرص المدمج في عصر التكنولوجيا سلاح من أمضى أسلحة العصر الحاضر، وقد أثبتت التجارب أنه كم من شاب وشابة كان سبب هدايتهما إلى الإسلام شريطاً سمعه أو قرصاً مدمجاً اطّلع عليه، ومما يحسن التنبيه عليه التأكد من سلامة المحتوى قبل توزيع هذه الوسيلة فقد يكون لها في حال كانت خاطئة أو ضعيفة انعكاسات سلبية خطيرة لا مجال للتحدث عنها هنا.

٢ ـ إقامة المعارض والندوات:

لا بأس من تنظيم بعض المعارض والندوات أثناء المناسبات الدينية كرمضان، حسب ظروف المكان، والحرص على الانتقاء الأمثل للمواد المعروضة في المعارض، وكذلك تحديد موضوعات مفيدة لمناقشتها أثناء الندوات، واستضافة من لهم القدرة على اجتذاب الناس. إن المعارض تطبيق عملي لعموم مسؤولية الدعوة، وتحطيمٌ للنظرة الشائعة الخاطئة، وهي قصر الدعوة على منسوبي قطاعات الدعوة الرسمية، أو خريجي الكليات الشرعية.

إن المعرض يجب أن يحفل بوسائل متنوعة وطرائق مبتكرة للدعوة تدلل على أن هناك من يعيش والدعوة همه، فينوع الطرق، ويتفنن في الوصول إلى قلوب الناس ومد ظل الهداية إليهم، وكان من المفيد وضع مسابقات في ابتكار طرق، ووسائل جديدة تستضاف في المعرض القادم، إذ من غير المناسب أن يعاد المعرض بعد ذلك بذات المناشط المعروضة هذه المرة، وما دامت حياة

الناس في تغير[١].

٣ ـ المؤسسات الاجتماعية والخيرية:

ومن وسائل الدعوة المعاصرة تأسيس الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية والخيرية والمساهمة فيها، ومد يد العون للمحتاجين مادياً أو معنوياً، من منطلق مبدأ التكافل الاجتماعي للوصول إلى من لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال العمل الصالح، وإسداء المعروف. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. وقال جلَّ شأنه: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤]. فالعمل الاجتماعي جزء من العمل الدعوي؛ لأنّ الناس تختلف مواهبهم، وقدراتهم وإمكانياتهم؛ لذا نجد كثيراً منهم قادراً على العمل الاجتماعي، في حين يعجزون عن العمل الفكري، فيعمل كلٌّ حسب استعداده. ويجب أن يتمّ هذا وفق منهاج مدروس ومعلوم، ومحيط بالظروف البيئية، والزمانية، والمادية والنفسية؛ لأنّ ما يصلح في بلد قد لا يصلح في غيره لظروفٍ وملابسات خاصة.

إنّ الإحسان إلى الناس وتقديم البر لهم والخدمة، من أعظم ما يجلب القلوب إلى الإسلام. لقد كان ﷺ كما حكت عنه زوجه: يكرم الضيف، ويعين على نوائب الحق، وكان يشفع للناس، ويحسن حتى إلى الحيوان، فعندما رأى جملاً قد احدودب ظهره ذرفت عينا الجمل إذ رأى في قلبه الرحمة والإحسان فيأتي إليه ﷺ فيسأل: «**من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟**»، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه**»[٢].

---

(١) عبد الوهاب بن ناصر الطريري، «وسائل الدعوة توقيفية».. تلفظ أنفاسها، صحيفة الوطن، العدد [٦٤٤] السنة الثانية ـ الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ الموافق ٥ يوليو ٢٠٠٢م. وعبد الوهاب بن ناصر الطريري، «موات الأغلوطات»، موقع الإسلام اليوم على شبكة المعلومات الدولية www.slamtoday.net 2002/7/6

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ٣/ ٢٣، حديث رقم (٢٥٤٩).

إن النبي ﷺ يرسم لنا الأسوة والقدوة في أن نحسن إلى الناس، وأن نسعى إلى تبني قضاياهم وهو من قبله، فها هو يوسف عليه السلام يقول له أصحابه: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف: ٣٦]. فقد رأيا فيه الإحسان إليهما، فالإحسان بابٌ من أبواب الخير، وطريق للتعرف على الناس فيعرف الناس بأن هؤلاء صادقون وأنهم مخلصون(١).

٤ ـ المؤسسات والمنظمات الإسلامية:

غالباً ما تطلق الجماعات والمنظمات الإسلامية على المؤسسات الدعوية ذات الأهداف العامة، كما تطلق (الجمعيات) و(الهيئات) على المؤسسات الدعوية ذات الأهداف الخاصة، فيقال: جماعة دعوية ومنظمة دعوية، كما يقال: هيئة خيرية، أو جمعية خيرية وهكذا...

ويمكننا أن نعرِّف الجماعات والمنظمات الإسلامية بأنها: «مجموعةٌ من الناس، التقت على هدفٍ واحد، ضِمْنَ إطارٍ تنظيمي واحد».

ويمكن أن نقسم الجماعات والمنظمات الإسلامية إلى نوعين أساسيين:

١ ـ المنظمات الرسمية.

٢ ـ المنظمات الشعبية.

ونريد بالمنظمات الرسمية: ما كان له طابع رسمي كالدولة، أو كان منبثقاً عن الدولة، أو معترفاً به من جهة الدولة: وذلك مثل:

رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والرئاسة العامة للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي فيها. وما إلى ذلك...

ونريد بالمنظمات الشعبية: ما ليس له طابع رسمي، وأنشأه أفراد، ولم تعترف بها الدولة، وذلك مثل:

---

(١) الفارس، «الدعاة الصامتون»: موقع صيد الفوائد على٩٢ وسيلة دعوية: موقع صيد الفوائد على(www.saaid.net) (الإنترنت)، وانظر: موقع منابر الدعوة على (الإنترنت) بإشراف الشيخ حامد عبد الله العلي.

جماعة الإخوان المسلمين في بعض الدول الإسلامية، والجماعة الإسلامية في باكستان والهند في بعض أحوالها، وجماعة التبليغ في الهند وغيرها من الجماعات الإسلامية الكثيرة. . .

كما يمكن أن تقسم المنظمات والجماعات تقسيمات أخرى بحسب أهدافها وأعمالها، أو بحسب انفتاحها وانغلاقها، وما إلى ذلك من اختلافات جوهرية في أهدافها أو طبيعتها.

وأول من أنشأ جماعةً إسلامية بالمعنى العام في تاريخ الإسلام والمسلمين هو سيدنا محمد ﷺ، حيث كوَّن جماعةً مسلمةً شعبيةً في مكة المكرمة، ثم تحولت إلى جماعة رسمية في المدينة المنورة، حيث صار للمسلمين دولة تضمهم وتنظم أمورهم. . .

واستمرت هذه الجماعة بعده ﷺ يرعاها الخلفاء من بعده، تقوى أحياناً وتضعف أحياناً حتى سقوط الخلافة الإسلامية.

وانبثقت عَنْ هذه الجماعةِ الدعويةِ (الدولة المسلمة) جميعُ المؤسسات الدعوية والمنظمات على مر العصور الإسلامية؛ لأن الدولة المسلمة تُعَدُّ في حقيقتها أكبر المؤسسات الدعوية، التي قامت على أساس الإسلام، ومن أجل الحفاظ عليه وتطبيق حدوده وأحكام الله في الأرض، ومن ثَمَّ نشره في العالم كله. . .

ولا تزال تنبثق عن الدول المسلمة القائمة اليوم بعض المؤسسات والمنظمات الدعوية هنا وهناك. . .

أما المؤسسات الشعبية والجماعات الإسلامية الأخرى، فقد نشأت الحاجة إليها في العصر الحديث، ولا سيما بعد سقوط الخلافة، وفَقْدِ المسلمين الدولة المسلمة في كثير من أوطانهم، حيث رأى بعض الدعاة والمصلحين ضرورة تكوين جماعة إسلامية تُعوِّض ذلك الفقد من جهة، وتمارس بين أفرادها نظام السمع والطاعة، وتربيهم على النظام والانضباط، وتعمل على إعادة الدولة المسلمة بأي شكلٍ من أشكالها.

وأكد الحاجة إلى وجود هذه الجماعات والمنظمات، غفلةُ كثير من علماء

الأمة وأهل الحل والعقد فيها عن واجبهم بعد سقوط الخلافة، والذي يُعدُّ من أولوياته: جَمْعُ كلمة أهل الحل والعقد من علماء الأمة وعقلائها وأصحاب الحل والعقد فيها، على كلمةٍ واحدة، وأميرٍ واحد يسمعون له ويطيعون، ويتعاونون معه على سَدِّ تلك الثغرة الكبرى في حياة الأمة التي يكوّنها غياب الإمام المسلم بمعناه الكامل[(١)].

فظهرت اجتهادات عديدة في ذلك، وأخذت في بعض الأحيان طابعاً فردياً، وأحياناً طابعاً جماعياً تنظيمياً، كما فعل كثير من علماء الأمة، وعدد من دعاتها الكبار... ولا تزال تظهر أمثال هذه الاجتهادات والمنظمات بتعددها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فكان منها القوي ومنها الضعيف، ومنها المصيب ومنها المخطئ...

ولعل بهذا البيان المجمل لنشأة الجماعات الدعوية والمنظمات تندفع شبهة القائلين ببدعيّة ظهور هذه الجماعات، وتحريم الانتماء إليها، وتشبيهها بالفرق الضالة المنتسبة لهذا الإسلام، والمتفرقة فيه، أو بالأحزاب السياسية غير الإسلامية المنتشرة في هذا العصر... وهذا يؤكد ضرورة التفريق في أسلوب العمل بين العمل في دولة مسلمة أو مسالِمةٍ للدعوة، وبين العمل في غيرها[(٢)]....

وتبرز أهمية الجماعات والمنظمات الإسلامية وخصائصها من عِدَّة حيثيات، وهي:

١ ـ من حيث الشكل.

٢ ـ من حيث الهدف.

٣ ـ من حيث المضمون.

وأما من حيث الشكل: فهي عَمَلٌ جماعي وليس عملاً فردياً، وفضل العمل الجماعي على العمل الفردي ثابت في الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ

---

(١) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٣٣٤.

(٢) «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٣٣٥.

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وجاء في الحديث الشريف: «**عليكم بالجماعة، وإياكم والفُرْقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بُحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة...**»(١).

وجاء في الحديث: «**يد الله مع الجماعة**»(٢).

وأما من حيث الهدف: فإن الجماعات الإسلامية عموماً تهدف إلى التعاون على تحقيقِ مرضاةِ الله ﷻ، سواء على جميع المستويات ومختلف الميادين، أو على بعض المستويات والميادين، وتحقيقُ مرضاة الله ﷻ هو أسمى أنواع البر الذي يتعاون عليه، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وأما من حيث المضمون: فإن مضمون العمل الجماعي يقوم على ثلاثة أسس هامة، وهي: التخطيط والتنظيم، والتطبيق والتنفيذ، والمتابعة لذلك كله. وذلك لأن العمل الجماعي أقدر على الوصول إلى التخطيط الكامل، وعلى التطبيق الصحيح للخطط، وعلى المتابعة لكل من التخطيط والتطبيق، من العمل الفردي الذي يقصر تخطيطه غالباً، ويصعب على الفرد تطبيقه، ويضعف صاحِبُهُ عن متابعته...

إلى غير ذلك من خصائص ومزايا...

وقد تَعدَّدت الجماعات الإسلامية تبعاً لتعدد اجتهادات أصحابها ومؤسسيها ـ كما بيّنّا سابقاً في شأنها ـ حيث اختلفت اجتهادات الدعاة والعلماء في المناهج الدعوية والأساليب والوسائل، كما اختلفت اجتهادات الفقهاء في الأحكام الشرعية، وذلك لأسباب مشابهة...(٣).

ومن هنا: كان التعدد في الجماعات الإسلامية ظاهرة طبيعية لا تضر بشكلٍ من الأشكال ما دام الاتفاق قائماً على المبادئ والمناهج الربانية، لا كما وصفه بعضهم بأنه ظاهرة مَرَضية منكرة، ودعا إلى التخلص منها والقضاء عليها(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ٤/ ٣٥، حديث رقم (٢١٦٥).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، ٤/ ٣٥، حديث رقم (٢١٦٥).
(٣) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٣٣٦.
(٤) «المدخل إلى علم الدعوة»، ص٣٣٧.

وقد سبق الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تشبيه تعدد مناهج العلماء والدعاة بتعدد شرائع ومناهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من بعض الوجوه فقال: «فالمذاهبُ والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء، إذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء، ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم من الكتاب والسُّنَّة بحسب الإمكان من الاجتهاد التام: هي لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء، وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله وعبادته وحده لا شريك له، وهو الدين الأصلي الجامع، كما يثابُ الأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له.. إلخ..»(١).

والتعدد في العمل الإسلامي، والجماعات الإسلامية يؤكد على وجود بعض السلبيات لهذا التعدد، التي يتوجب على الدعاة الصادقين علاجها.

٥ ـ القافلة الدعوية:

القافلة الدعوية عبارة عن سيارة صغيرة أو مجموعة منها تحمل طابعاً متميزاً في شكلها ومضمونها، حيث تقوم القافلة بزيارة أماكن تجمَع الناس في المراكز، والأندية، والأسواق التجارية؛ أي: الوصول إلى كثيرٍ من فئات المجتمع التي تظهر حاجتهم إلى الاستفادة من البرامج الدعوية، حيث تتوقف القافلة حيث تجمعات الناس، ومن ثم يتحدث الدعاة مع الناس، ويطرحون عليهم الأسئلة الثقافية والمسابقات المتنوعة ذات الطابع الدعوي، ويقدمون لهم الهدايا والجوائز الفورية القيمة(٢).

٦ ـ مراكز الأبحاث لخدمة الدعوة الإسلامية:

تظهر في هذا العصر أهمية إنشاء مركز بحثي متخصص في مجال الدعوة الإسلامية، يُعنى بجمع جهود عمل الباحثين المتخصصين والمتميزين، ومن ثم

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ١٩/١٢٦.
(٢) انظر: موقع قافلة الخير على شبكة المعلومات الدولية:
http: //www.islamic-ef.org/Arabic

الاستفادة من تطبيقات الحاسوب في خدمة الدعوة. وهذا المركز البحثي ـ في حالة إنشاؤه ـ سيكون فريداً من نوعه، وسيحظى القائمون عليه بشرفٍ عظيم، إنّه شرف حمل الدعوة الإسلامية إلى كافة البشر، والأجر العظيم الذي يتحقق من هذا العمل، قال رسول الله ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(١).

ويمكن أن يقوم بإنشاء هذا المركز إحدى الجامعات أو المؤسسات العلمية الإسلامية، ويشرف عليه جمع من الباحثين المتميزين، وعدد من العلماء الشرعيين، وأساتذة التربية، بالإضافة إلى مجموعة من المتخصصين في علوم برمجيات الحاسوب، على أن تتوفر لهم الموارد المالية والعلمية والبحثية التي تساعدهم في الإنشاء والاستمرار.

وأبرز أهداف المركز البحثي للدعوة ما يلي:

١ ـ دعم جهود الأبحاث الأساسية التي تهدف لفهم عملية تكوّن العقيدة في الإنسان، والعوامل التي تؤثر عليها، ووضع النظريات العلمية المتعلقة بهذه العملية.

٢ ـ تجميع الجهود العلمية والبحثية السابقة، والنتاج المعرفي الذي سبق إنتاجه في مجال الدعوة بمختلف اللغات، والذي يزداد ويتراكم مع مرور الزمن.

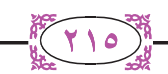
٣ ـ تطوير البرمجيات الحاسوبية، وقواعد المعلومات التي تتيح للمستخدمين الوصول إلى الكم المعرفي المتعلق بالإسلام، من خلال مختلف الوسائل المعلوماتية ـ وعلى الأخص من خلال شبكة (الإنترنت).

٤ ـ إنشاء موقع على (الإنترنت) للدعوة للإسلام، وتوفير هذا الموقع للمستخدمين بمختلف اللغات الحية: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأسبانية، وغيرها.

٥ ـ دعم الجهود البحثية التي تهدف لتطويع التقنيات المعلوماتية في خدمة الدعوة الإسلامية.

---

(١) سبق تخريجه ص١٩.



٦ ـ عمل البحوث الميدانية التي تهدف لقياس فعالية البرامج الحاسوبية وقواعد البيانات الإسلامية كوسائل للدعوة للإسلام.

٧ ـ متابعة مستخدمي قواعد معلومات المركز عبر شبكة (الإنترنت) والتجاوب مع تساؤلاتهم واستفساراتهم من مختلف البلدان وبمختلف اللغات[(١)].

٨ ـ القنوات الفضائية الدعوية:

إن إنشاء قنوات فضائية إسلامية دعوية أصبح اليوم من الواجبات، فهي أكثر الوسائل الدعوية تحقيقاً لواجب الدعوة إلى الله تعالى، حيث هناك من النّاس من لا تصل إليهم الدعوة إلا بواسطة هذه الوسيلة، وما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب، وإذا لم نستعملها في الدعوة نقص حظّنا منها، وفات كثير من الناس أن يعرفوا شيئاً عن الإسلام، وبقوا على جهلهم، أو يغزوهم المضلِّلون والهدامون فيصلون إليهم بإذاعاتهم وشبكاتهم وقنواتهم الفضائية فتصل إليهم الأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة، ولا يصل إليهم نور الإسلام وهديه.

إنّ القناة الإسلامية تتوافر لها كثير من إمكانيات الانتشار الواسع والتأثير البالغ.. ولذلك قد تعين على الأمّة إنشاء قنوات فضائية إسلامية تحمل همّ الدعوة إلى الله تعالى، وتسير على منهج أهل السُّنَّة والجماعة، فتحمل رسالتها بكل ثقةٍ واعتزاز وتبصر، لتبث روح التدين الصحيح القائم على الوسطية في الاعتقاد والسلوك بعيداً عن الغلو والتطرف، كما يمكن لها أن تقدّم المفهوم الصحيح للإسلام لكثيرٍ من الأقليات المسلمة التي تعيش في المجتمعات الكافرة ويهددها الذوبان في هذه المجتمعات. إن مسألة إنشاء القناة الفضائية لم يعد خياراً للأُمَّة بل هو واجبٌ شرعيٌّ لإشاعة الحق وكشف الباطل، وإنشاء القناة الفضائية الدعوية مهمة: الحكومات المسلمة والعلماء والدعاة والإعلاميين والمفكرين والتجار وغيرهم، ممن لديه استطاعة في الإسهام في إنشاء هذه القنوات بالدعم المالي أو الفكري أو البدني، وذلك بتسخير الطاقات المالية والإعلامية والإدارية لإنشائها واستمرارها في أداء رسالتها الدعوية[(٢)].

---

(١) مقترح إنشاء مركز خدمة الإسلام بواسطة الحاسوب والإنترنت.

(٢) قناة مكة الفضائية، (makkah1.tv/main.html)

٧ ـ شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت): وما يلحق بها، ومنها:

يمكن للداعية أن يستفيد من شبكة المعلومات الدولية لبث الدعوة، وكذلك المدعو يستفيد ممَّا فيها من العلوم الشرعية، ففيها الكثير من الكتب الشرعية، والمواعظ والخطب والمحاضرات والدروس، وغير ذلك من البرامج النافعة، مع ضرورة الحذر ممَّا فيها من المنكرات والضلالات. والدعوة فيها تكون بالصوت والصورة مباشرة، وبعدة لغاتٍ لدعوة المسلمين وغير المسلمين في شتى بقاع الأرض.

«ومن فوائد (الإنترنت) الحصول على برامج عديدة في العلوم المختلفة في التفسير والحديث، والفتاوى الفقهية، واللغة، إضافةً إلى تحميل الكتب والمصنفات العديدة، بلغاتٍ مختلفةٍ على أجهزة الحاسوب، وهذه تفيد كثيراً من الناس في الدول التي يصعب، أو لا يمكن نقل الكتب الإسلامية إليها، إضافةً إلى تبصير المسلمين بأحوال العالم الإسلامي، وما يعانون منه وطرح مشكلاتهم وسبل حلها»[١].

والدعوة الإسلامية من خلال استخدام شبكة المعلومات الدولية يمكن تلخيص أهم مزاياها فيما يأتي:

١ ـ «إن إثبات العقائد يتطلب استحضار عدد كبير من الأدلة والبراهين، وتختلف طبيعة المعلومات المسترجعة بحسب طبيعة المستخدم ومعلوماته السابقة عن الإسلام، وكذلك بحسب عمره الزمني وتخصصه العلمي ووضعه الاجتماعي وغير ذلك من العناصر المؤثرة.

٢ ـ وهنا يمكن لتقنيات الحاسوب حفظ كم كبير من الأدلة والبراهين والمناقشات والحوارات، وتصنيف جميع هذه المعلومات وفق الموضوعات أو وفق مستوى مناسبتها لفئات معينة من المستخدمين. وستقوم هذه الحواسيب بتخزين كم معرفي كبير ممَّا سبق إنتاجه في الماضي من قبل العلماء والمختصين في مجال الدعوة، وسينمو هذا الكم المعرفي من خلال الجهود المستمرة التي

---

(١) القريوتي، «استخدام البالتوك في الدعوة إلى الله ﷺ والبديل المقترح»، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية.

يبذلها العشرات والمئات من العلماء والمختصين في مختلف بقاع العالم وبمختلف اللغات.

٣ ـ يمكن لتقنيات الحاسوب وشبكة (الإنترنت) أن تصل إلى مجموعاتٍ كبيرةٍ من البشر لم تصلهم رسالة الإسلام بسبب وجودهم في مجتمعاتٍ منغلقةٍ فكرياً وإعلامياً، أو بسبب عدم وصول جهود الدعوة الإسلامية إلى بلادهم. ويمكن لهذه التقنيات أن تنقل المفاهيم والأفكار الصحيحة عن الإسلام إلى المجتمعات التي تتعمد تشويه صورة الإسلام وتنشر المفاهيم المغلوطة عنه.

٤ ـ إن توفر المادة العلمية التي تخدم الإسلام على شبكة (الإنترنت) يجعل الوصول إليها تحت تحكم المستخدم بحيث يمكنه الوصول إليها ساعة يشاء واختيار المواضيع التي يرغبها. وهذه ميزة كبيرة لا تتوفر في الوسائل التقليدية للدعوة التي تتطلب جهداً كبيراً وتكلفة عالية في إرسال الدعاة أو طباعة الكتب وإرسالها للناس.

٥ ـ إن الدعوة باستخدام الحاسوب وشبكة (الإنترنت) يمكنها أن تصل إلى الفئات المتعلمة في المجتمعات المختلفة حيث أن هذه الفئات هي الأكثر استخداماً لهذه التقنيات. وهذه الفئات هي في العادة ذات التأثير الفعال في المجتمع، لذا فإن الوصول إليهم واستمالتهم إلى دين الإسلام يعني التأثير بطريق غير مباشر على أعدادٍ كبيرة أخرى من البشر تتأثر بهذه الفئات.

ميزات الدَّعوة عبر (الإنترنت):

لقد اشتملت شبكة (الإنترنت) على عدة ميزات تجعلها أرضاً خصبةً للاستثمار في الدعوة إلى الله تعالى، ومن هذه الميزات:

١ ـ ارتباط ملايين الهيئات والمنظمات والأفراد في شبكةٍ عالميةٍ واحدة.

٢ ـ تحقيق الاتصال وتبادل المعلومات بين الأطراف المشتركة على الشبكة بخلاف الوسائل الإعلامية الأخرى كالصحف والبث التلفزيوني، والتي تكون غالباً وحيدة الاتجاه من الناشر إلى القارئ.

٣ ـ سهولة الاستخدام والتعلم للوسائل الحديثة، والنشر الإلكتروني تجعل الكل يستطيع التعامل معها. إن استخدام (الإنترنت) أسهل من استخدام

الكمبيوتر، ويمكن أن يستخدم الشخص (الإنترنت) خلال عدة جلسات لا تتجاوز عشر ساعات حتى ولو لم يستخدم (الإنترنت) من قبل، وهذا حافز للدعاة في تسهيل عملية التعامل مع (الإنترنت)، الذي يحسب بعض الدعاة أنه يحتاج إلى دورات تعليمية طويلة المدى لإتقان مهارات التعامل مع (الإنترنت).

٤ ـ توفير وسائل بحث واستقصاء وعرضٌ للمعلومات ذات سرعة بالغة بالإضافة لتخزين كم هائل من البيانات والمعلومات.

٥ ـ تنوع وتعدد أسلوب العرض والإعلان على الشبكة من النصوص المكتوبة والصور والرسوم بالإضافة إلى الأصوات والعرض الفيديوي بخلاف وسائل الإعلام الأخرى كالإذاعات أو محطات التلفزيون أو الصحف.

٦ ـ إمكانية الربط بين المعلومات المتنوعة المتوفرة على الشبكة حيث يمكن للمستخدم مثلاً البحث في موسوعة القرآن الكريم ثم البحث في موسوعة كتب التفاسير على موقع، والانتقال إلى موسوعة الحديث والتي قد تكون على موقع آخر بالشبكة دون جهد، ثم في نفس الوقت ممَّا يهيئ وسيلة غاية الفاعلية للحصول على المعلومات المطلوبة ولكن الذي يجب التأكيد عليه أن استخدام الحاسوب وشبكة (الإنترنت) كوسيلة لنشر الإسلام لا يعني الاستغناء عن الوسائل الأخرى، فهذه الوسيلة ليست بديلاً عنها وإنما هي وسيلة تكمل الجهود الأخرى المبذولة في سبيل نشر الإسلام بين الناس»[(١)].

٧ ـ الجاذبية: إقبال الناس المتزايد على استخدام (الإنترنت) كبير؛ إذ يبلغ عدد المستخدمين حوالي (١,٣١٩) مليار، حسب إحصائية ٢٠٠٧م[(٢)]، وينضم شهريّاً أكثر من مليون مستخدم، وأصبحت (الإنترنت) اليوم مرجعاً لكل باحثٍ عن معلومة معينة ومقصداً لكل طالب علم ديني أو دنيوي. ولقد كان من الصعوبة فيما مضى الحصول على معلومات صحيحة وشاملة عن الإسلام في كثيرٍ من بلدان العالم، وأمّا اليوم فقد اختلف الوضع تماماً، وصار الإسلام يقتحم بيوت الناس ومعاهدهم بل وغرفهم الخاصة.

---

(١) مقترح إنشاء مركز خدمة الإسلام بواسطة الحاسوب والإنترنت.

(٢) الموسوعة الحرة ويكيبديا wikipedia.org

٨ ـ إنّ بعض الدول الشيوعية مثلاً[١] ترفض دخول القرآن الكريم، وتحارب الدين وتضع الموانع للحيلولة دون تواصل المسلمين فيها مع إخوانهم من بلدان المسلمين الأخرى، وعبر (الإنترنت) يمكن أن يقرأ المسلم القرآن الكريم، وكتب التفسير، فيعرف أحكام الدين، ويتعلم وهو في منزله.

٩ ـ قلة التكلفة: ويدلّ على ذلك أنه لو فكر إنسان بطباعة كتيب صغير يوزعه على عشرة آلاف شخص فسيكلفه مبلغاً كبيراً، أمَّا عبر (الإنترنت) فيمكن أن يُطبع الكتاب ويُرسل إلى ملايين دون تكلفة تذكر. كما أن كثيراً من الخدمات التي تقدمها الشركات العالمية أصبحت مجانية، ومعظم هذه الخدمات هي نفسها التي يستخدمها الدعاة إلى الله من الوسائل المقروءة والمرئية والمسموعة.

١٠ ـ العالمية: لقد أصبح استخدام (الإنترنت) متوفراً في كل دول العالم تقريباً، ولذا فإنّ الداعية ليس محصوراً في مكانٍ معين، أو مدرسةٍ معينة أو مسجدٍ معين؛ إذ يمكن أن يدعو في أي مكان بمجرد وجود شبكة (إنترنت) حتى من مقاهي (الإنترنت) كما يستطيع أن يدعو وهو بعيد عن الشبكة، ويتمثل هذا في حالة تأسيسه لموقع يمكن الاستفادة منه حتى وهو نائم.

١١ ـ تعدُّد وسائل الدعوة عبر (الإنترنت): يشتمل الإنترنت على عدة أشكال وصور من التواصل والاتصال مع الآخرين، إذ يمكن توظيفه من خلال أكثر من وسيلة دعوية، فالكتاب أو الشريط أو المحاضرة أو المحاورة سواء كانت خطية أو مسموعة أو منظورة، كلها وسائل دعوية مؤثرة يمكن استثمارها عبر (الإنترنت)[٢].

ويمكن أن أذكر هنا بعضاً من استخدامات الإنترنت كوسائل:

أ ـ إنشاء المواقع الشبكية:

تعدُّ المواقع الشبكية من أهمِّ الوسائل للدعوة الإسلامية المعاصرة، والمواقع الإسلامية لا تزال قليلة مقارنةً بالمواقع غير الإسلامية. ولقد «شهدت

---

(١) كالصين مثلاً.

(٢) البشر، الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية: موقع الدين على الشبكة العنكبوتية: www.deen.ws/daoh/112.htm

السنوات الأخيرة جهوداً متزايدة لتطوير تطبيقات الحاسوب في خدمة الأغراض الإسلامية والشرعية. وقد تركزت معظم تلك الجهود حول تطوير استخدامات الحاسوب في خدمة السُّنَّة النبوية (تحقيق وتصنيف وحفظ واسترجاع)، وفي خدمة القرآن الكريم (حفظ واسترجاع وشرح معاني كلمات وتفاسير). كذلك برزت التطبيقات التي تهدف لبناء نظم معلومات وقواعد بيانات فقهية ولأغراض حساب المواريث وخدمة علم الفرائض، كما توجد بعض التطبيقات التعليمية التي تهدف لتعليم الأطفال كيفية أداء الصلاة وكيفية ممارسة بعض الشعائر الدينية... إنَّ الدعوة للإسلام مجال يتعامل فيه الداعية مع قدر كبير من المعلومات التي يرغب في إيصالها إلى من يدعوهم، لذا فإنّ الحاسوب وشبكة (الإنترنت) ستكون وسائل فعالة في هذا المجال، لما لهذه التقنيات من قدرات عالية على حفظ كم هائل من المعلومات وتيسير عمليات استرجاعها والوصول إليها. وقد بينت العديد من الدراسات السابقة أن هناك عناصر عديدة تزيد من فعالية تقنيات الحاسوب وشبكة (الإنترنت) في مجال الدعوة الإسلامية.

ولا بد من مراعاة بعض الأمور في إنشاء المواقع عبر شبكة المعلومات الدولية، ومن أهمها:

١ ـ أن يسبق إنشاء الموقع دراسة واقعية، يتم من خلالها تحديد الهدف من الموقع وطبيعته ومدى حاجة الناس إليه، وفائدة مثل هذه الدراسة: أن نتفادى التكرار في المواقع ونسخها، فإنَّ كثيراً من المواقع تتشابه في المضمون إلى حدٍّ بعيد، وإن اختلفت في الظاهر، فنجد أنَّ الموقع يبدأ من حيث بدأ غيره، ويعيد التجارب والأخطاء بسبب عدم اطّلاعه على منجزات الآخرين.

٢ ـ أن يشرف على الموقع لجنة شرعية متخصصة، أو على الأقل أحد العلماء، أو طلاب العلم، حتى لا يعرض الموقع ما يخالف شرع الله تعالى.

٣ ـ أن يستقل الموقع بذاته قدر الإمكان، بمعنى أن لا يكون تابعاً لموقع آخر ممن يقدمون خدمة تصميم المواقع مجاناً، وإن لم يكن بد من الاستعانة بمثل هذه المواقع فليكن الموقع المضيف من المواقع التي لا تعرض ما يخالف الدين والأخلاق، فبعض المواقع المضيفة يعرض الصور السيئة حين التنقل بين

صفحاته، والسبب أن موقعهم تم تصميمه من خلال موقع لا يبالي بعرض مثل هذه الأمور.

٤ ـ التصميم الجيد للموقع، وهذا يتطلب أموراً منها:

١ ـ حسن اختيار عنوان الموقع، وهذا يتطلب ثلاثة أمور: **أولها:** أن يكون العنوان سهل التذكر، وهذا يستلزم أن لا يكون طويلاً، **والثاني:** أن يدل العنوان على محتوى الموقع، **والثالث:** أن يكون العنوان جذاباً يلفت انتباه المتصفحين.

٢ ـ استعمال أساليب الجذب والتشويق للزائر، وهذا لا يتم إلا باستخدام تقنيات الوسائط المتعددة التي تُعنى بدمج النص والصوت والصورة والعروض المرئية والرسوم المتحركة في بيئةٍ واحدة.

٣ ـ أن يكون الموقع سهل الاستخدام، ويحقق مفهوم الصداقة مع المستخدم.

٤ ـ الاهتمام باللغة العربية الفصحى، وجعلها لغة الموقع الأساسية في جميع الصفحات.

٥ ـ أن يدعم الموقع أكثر من لغة لا سيما اللغات الحية كالإنجليزية والفرنسية.

٦ ـ التعميم أو التخصيص بشرط الجودة، فإمّا أن يتخصص الموقع في جانبٍ معين (علمي ـ دعوي ـ إيماني ـ تربوي ـ جهادي ـ سياسي ـ المرأة المسلمة)، وقد يتخصص كل جانب من هذه الجوانب في فرعٍ من الفروع، فالموقع العلمي قد يهتم بالعقيدة أو بالفقه أو بالحديث النبوي أو بالقرآن وعلومه وهكذا، وبذلك يجعل الموقع كل ثقله في الجانب الذي تخصص فيه، بحيث يكون مرجعاً لجميع الزوار في هذا الجانب، أو أن يكون الموقع عاماً شاملاً فيجمع بين جوانب مختلفة من العلوم والدعوة والتربية.

٧ ـ إدارة الموقع من حيث صيانته من الاختراق وأمن بياناته وملفاته وكذلك تحديثه بين فترة وأخرى، بما يجذب الزوار، وهناك شركات تسمى Web hosting service تقدم مثل هذه الخدمة ـ أعني إدارة الموقع من جميع النواحي ـ تتولى القيام بمثل هذه المهام، إضافة إلى أن هناك برمجيات تسمى Web Server Software تقوم

بالإشراف على كفاءة الموقع، من حيث سرعة تحميل الصفحة الرئيسية Home page، وكذلك معرفة الروابط Links المنقطعة بين الصفحات وغير ذلك[(١)].

ب ـ استخدام البريد الإلكتروني (E-Mail):

إنَ البريد الإلكتروني أفضل بكثير من البريد العادي أو حتى الممتاز من حيث عامل الوقت وعامل الكلفة، وعلى الإنسان أن لا يستصغر مثل هذه الرسائل فهي كبسة زر وتصل إلى المدعو، فإن قرأها فالحمد لله، وإن لم يقرأها فالأجر ثابت إن شاء الله تعالى، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرنّ من المعروف شيئاً**»[(٢)]. ولقد عرف البريد الإلكتروني قبل (الإنترنت) إلّا أن (الإنترنت) أشهره، وأصبح حصول أي مستخدم على بريد إلكتروني مجاني من الأمور السهلة جداً، وتحرص كثير من المواقع على منح هذا البريد لأغراض خاصة بهم!

ومن طرق الدعوة إلى الله تعالى عبر البريد الإلكتروني: شراء قوائم بريدية؛ إذ يوجد شركات في الإنترنت تقدم خدمات بريدية بأسعار معقولة؛ فهذه الشركات لها قوائم بريدية تتجاوز أحياناً عشرون مليون عنوان بريدي، ويتم الاتفاق بين هذه الشركات والداعية على مبلغ معين لتوصيل رسالة لعشرة ملايين مشترك في (الإنترنت)، ويمكن أن يقوم الداعية بإنشاء قوائم؛ ويستخدمها في المراسلة، ويمكن الرجوع إلى موقع القائمة التي أنشأها أحد الدعاة جزاه الله خيراً ويبلغ عدد المنتسبين إليها أكثر من عشرة آلاف عنوانها (http://www.Egroups.Com/ group dateel) وقد استخدم بعض الدعاة هذه القوائم؛ فنفع الله بها وجادت بالخير الكثير؛ وأسلم على يديه عدد لا بأس به من مختلف دول العالم[(٣)].

---

(١) عباد، طرق لخدمة الإسلام عبر الإنترنت، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية: saaid.net.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ٤/٢٠٢٦، حديث رقم (٢٦٢٦).

(٣) البشر، الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية: موقع الدين على الشبكة العنكبوتية: deen.ws/daoh/112.htm، وعباد، طرق لخدمة الإسلام عبر الإنترنت، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية: .saaid.net

إنّ الداعية يستطيع خدمة الإسلام عن طريق هذه الأداة في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بإرسال رسائل إلى جميع الناس مسلمهم وكافرهم، فأمَّا المسلم فقد يكون مقصراً أو واقعاً في معصية أو بدعة فيُنبه لذلك، ويُنصح ويُوعظ ويُذكر، قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥]. وأما الكافر فبدعوته إلى الإسلام وعرضه عليه، وإزاحة الشبهات عنه التي تزعزع ثقته بالإسلام. وعناوين مثل هؤلاء الأشخاص يمكن الحصول عليها من طريق الصحف والمجلات السيارة التي تهتم بنشر عناوين قرائها[١].

ج ـ المنتديات الإلكترونية (Forums):

وتسمى أيضاً ساحات النقاش، وفي المنتدى يتبادل مجموعة من الأشخاص الأفكار والمعلومات فيما بينهم في موضوعٍ ما من خلال سبورة إلكترونية كبيرة، حيث يستطيع كل واحد أن يبعث رسالته إلى الآخرين حول الموضوع، ثم يردُّون عليها إن أرادوا.

ويستطيع الداعية أن يخدم الإسلام بواسطة المنتديات من زاويتين: **الأولى:** إنشاء المنتديات الدعوية المفيدة، وهذا يدخل في إنشاء المواقع النافعة، **والثانية:** المشاركة الفعالة في مثل هذه المنتديات والرفع من مستواها، والارتقاء بها، وتفعيل دورها في الدعوة الإسلامية، ولذلك يقترح مراعاة الآداب التالية:

١ ـ الاشتراك في المنتدى الذي سيستفيد منه الشخص أو الذي سيستفيد غيره من خلاله، لا المنتدى الذي يحبه ويميل إليه نفسياً فإن مثل هذا المنتدى ـ غالباً ـ مضيعة للوقت.

٢ ـ على مشرف المنتدى أن يقوم بمسؤوليته الكاملة، وأن يتقي الله في الإضافة والحذف لمشاركات الأعضاء، وإن كان المشرف من ذوي العلم الشرعي فالأفضل أن يطرح هو الموضوع بعد أن يختاره، ثم يطلب من الأعضاء المشاركة والتعليق، كما تفعله عدد من المنتديات.

---

(١) كيف تدعو إلى الله تعالى عبر الإنترنت، موقع السُّنَّة الإسلامي، موقع صيد الفوائد. saaid.net.

٣ ـ عدم الاستعجال في المشاركة والتريث في ذلك، ولا يغتر المسلم بكثرة المشاركين، ولينظر في قصده من المشاركة، فإن كان لله تعالى فبها ونعمت، وإلَّا فعدم المشاركة أولى وأجدى، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقد حث عليه الصلاة والسلام على ترك الجدال فقال: «**أنا زعيمٌ ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً**»(١).

٤ ـ الالتزام بأدب الحوار والمناقشة، والتحلي بحسن الخلق، وترك ردود الأفعال الهوجاء.

٥ ـ الابتعاد عن المنتديات المشبوهة، والتي تبث الأفكار المنحرفة والعقائد الهدامة، إلا لمن يقوى على الدعوة والرد لا سيما إن كان المنتدى يجمع بين المسلم والكافر أو السُّنِّي والمبتدع. قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال عبد الله بن المبارك: «وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة»(٢). وقال عبد الصمد مردويه سمعت الفضيل يقول: «من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عمل، نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب ونظر الرجل إلى صاحب بدعة يورث العمى، من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة»(٣). وإذا كان المنتدى نسائياً فيحبذ عدم المشاركة فيه من قبل الرجال سدّاً للذريعة، وللشيطان في مثل هذه الأماكن وجود.

٦ ـ توجيه النصيحة المباشرة للمشرفين على المنتدى، وذلك في حالة وجود

---

(١) رواه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ٤/٢٥٣، حديث رقم (٤٨٠٠). والبيهقي في «السنن الكبرى»، جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار البالغين العاقلين المسلمين، باب المزاح لا ترد به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى عضه النسب أو عضه بحد، ١٠/٤٢٠، حديث رقم (٢١١٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير»، باب الصاد، سليمان بن حبيب المحاربي قاضي عمر بن عبد العزيز عن أبي أمامة صدي بن عجلان، ٨/٩٨، حديث رقم (٧٤٨٨). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، ط١، ٨/٣٩٩.

(٣) «سير أعلام النبلاء»، ط١، ٨/٤٣٥.

مخالفات شرعية أو انحراف عن المنهج القويم، فإن لم يستجيبوا وتكرّرت منهم مثل هذه الأمور فينظر للمصلحة والمفسدة من المشاركة أو عدمها[(١)].

ويمكن الدعوة من خلال المنتديات ببعض المشاركات الدعوية ومنها:

١ ـ نشر عنوان موقع إسلامي جديد وما يحتويه من مواد شرعية وأهم ميزاته.

٢ ـ نشر بعض محتويات موقع إسلامي متميز ومناسب في وقتٍ مناسب؛ كموقع عن الحج في شهر الحج أو موقع عن الصيام في شهر الصيام.

٣ ـ نشر جديد المواقع الإسلامية مع روابط متكاملة للمواضيع الجديدة.

٤ ـ المشاركة الفعالة عن طريق مقال جيد.

٥ ـ تشجيع كاتب متميز مقل.

٦ ـ جمع روابط مواضيع معينة تمس الحاجة إليها.

٧ ـ تذكير الناس بعبادة يحين وقتها قريباً؛ كصيام عاشوراء والأيام البيض.

٨ ـ تذكير الناس بأحكام فقهية يحين وقتها؛ كالحج وصيام رمضان.

٩ ـ تنبيه الناس على بدعةٍ أو منكر، أو خطأ يقع فيه بعض الناس.

١٠ ـ تنبيه الناس على منكرٍ معين، والمساعدة الفعلية في محاولة إزالته.

١١ ـ تنبيه الناس على خطأ وقع فيه صاحب مقال، في حدود آداب الإسلام في الحوار والنصيحة بالتي هي أحسن.

١٢ ـ وعظ الناس وتذكيرهم بالله ﷻ، والتنويع في كل مرة، ما بين آية وحديث وموعظة وقصة وفلاش دعوي.

١٣ ـ الدلالة على بابٍ من الخير كمشروع خيري، من جمعية أو مؤسسة خيرية.

١٤ ـ الدلالة على محتاج إلى خدمة عاجلة؛ كمحتاج إلى فصيلة دم نادرة مثلاً.

---

(١) البشر، الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية: موقع الدين على الشبكة العنكبوتية: deen.ws/daoh/112.htm، طرق لخدمة الإسلام عبر الإنترنت.

١٥ ـ إفادة الناس بخبرٍ جديد وبشرى للمسلمين.

١٦ ـ تفنيد خبر كاذب، أو إشاعة باطلة بالدليل والبرهان.

١٧ ـ التعاون في مجال الدعوة، ونقاش أفضل الطرق والوسائل في بابٍ معين.

١٨ ـ نجدة الزوار من محتاجي المساعدة، بالدلالة على موقع، أو مقال ونحو ذلك.

١٩ ـ إصلاح ذات البين بالحسنى، بين من تحصل بينهم مشاحنات أو مناقشات حادة[١].

د ـ غرف الدردشة (البالتوك):

وهي قاعات افتراضية يتواجد بها عدد من المشتركين في هذه الغرفة يمكنهم الحديث إلى بعضهم ومناقشة القضايا المختلفة بالصوت وقد تكون بالصوت والصورة.

ويمكن القول: بأن أبرز الإيجابيات لهذا البرنامج ما يلي:

أولاً: استخدامه كوسيلة من الوسائل الإعلامية الحديثة في إلقاء الدروس والمحاضرات والندوات والفتاوى.

ثانياً: إيصال العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسُّنَّة وفهم السلف إلى ديار المسلمين المتباعدة، وإلى ديار الكفر التي يقل فيها العلماء وطلبة العلم، أو المناطق التي لا يسمح بنقل الكتب والمصادر إليها، ففي هذا تغلُّبٌ على تلك الصعوبات، وفيه تيسير التلقي العلمي عوضاً عن حلق العلم المباشرة على الشيوخ حيث لا يمكنهم ذلك، إضافة إلى فائدته للنساء حيث يصعب على كثيرٍ منهن حضور حلقات العلم، والدروس.

ثالثاً: تبصير المسلمين بدينهم الحق وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسُّنَّة مع التحذير من الفرق المنحرفة بالرد على شبهاتهم التي يطرحونها خلال هذا البرنامج.

---

(١) عبد الكريم، الدعوة الإسلامية ومواقعها على الإنترنت بين الواقع والطموح، مجلة الفرقان، العدد [٢٦١].

رابعاً: يعد هذا البرنامج وسيلة من الوسائل الحديثة الهامة في بيان محاسن الإسلام وعدالته ونشر ذلك بلغاتٍ مختلفةٍ وبلوغ ذلك أقاصي الدنيا وأطرافها.

خامساً: الرد على مطاعن النصارى وشبهاتهم التي يعرضها المبشرون في كتبهم في خلال هذا البرنامج.

سادساً: الرد على الفرق المنحرفة، وبيان باطلهم وانحرافهم عن دين الإسلام ووقوعهم في الكفر.

سابعاً: نقل الدروس العلمية والدورات العلمية التي تقام في العطل وغيرها لما فيها من فوائد عدة.

ثامناً: إمكانية طرح عدد من الدروس التي تؤخذ عادةً بالتلقي عن الشيوخ كدروس التجويد للقرآن الكريم وتعميم الفائدة في ذلك.

تاسعاً: إمكانية إقامة غرف خاصة للأخوات من النساء يتدارسن فيها كتاب الله وأمور دينهن وأمور النساء من خلال غرف مغلقة لا يدخلها إلا من يردن من النساء من خلال رقم خاص للغرفة تضعه من تريد الدخول.

سلبيات هذا البرنامج:

لا ريب أن الوسائل الحديثة لا يخلو بعضها من سلبيات، منها ما يمكن التغلب عليه ومنها ما لا يمكن، ونعرض هنا أبرز سلبيات برنامج البالتوك مع كيفية التغلب عليها إن وجدت:

أولاً: وجود غرف كثيرة ضمن البالتوك تتنافى مع الآداب والأخلاق والقيم الإسلامية، لذا ينبغي على المسلم أن لا يدخل إلا في غرف مخصوصة معلومة الفائدة من خلال سؤاله من يثق بدينه، ولا يجلس يبحث وينقّب فيدخل في الصالح والطالح من هذه الغرف.

ثانياً: إمكانية دخول بعض الناس ممن قد يسيئ الأدب في هذه الغرف، ويمكن لمديري الغرف الجيدة أن يضبطوا ذلك إلى حدٍّ كبيرٍ إذا وقع ذلك بمنع من يفعل ذلك من الكتابة أو إخراجه من الغرفة.

ثالثاً: ظهور دعايات غير أخلاقية ضمن البالتوك، ويمكن التغلب على ذلك فيما يتعلق بمديري الغرف وذلك بإيجادهم الغرف عن طريق الاستئجار للغرف من

الموقع، وبذلك لا ترد في غرفهم الدعايات ولديهم الخيار في وضع ما يشاؤون لأنفسهم، وأما في غير غرفهم فالأمر لا يزال قائماً في ظهور الإعلانات، ويمكن التغلب على ذلك من خلال اشتراك الشخص في الموقع بعدم إظهار الدعايات الخاصة في البالتوك وهو اشتراك ذو قيمة قليلة باسم له، وبهذا لا تظهر له دعايات إذا دخل بهذا الاسم في جميع الغرف.

رابعاً: وجود التصوير ضمن البالتوك من خلال الكاميرات، وقد بدأ ظهوره وانتشاره علماً بأن الأمر فيه اختياري للمستخدم إن شاء استقبل الصورة مع الحديث وإن شاء بدونها، ويمكن لمديري الغرف منع من يستخدم الكاميرا بإزالتها[١].

هـ ـ الحوار مع الآخرين من خلال برامج المحادثة المختلفة:

الحوار مع الآخرين من الوسائل التي يتيحها (الإنترنت) وهي خدمة الحوار سواء أكان مباشراً أو غير مباشر، فالأول: باستخدام برامج (Icq) أو (Micr) أو برنامج (messenger yahoo)، وهي موجودة في جميع محركات البحث العالمية مثل: (ياهو) و(التافيستا) و(إكسايت) وغيرها، ويمكن الرجوع لهذا المثال. (Http: //messages,yahoo. (Com/index. Html.

والثاني: الحوار غير المباشر فيتم عن طريق مجموعات الأخبار التي يبلغ عددها أكثر من (٢٠٠٠٠) ألف مجموعة، وهي تناقش مواضيع شتى بما في ذلك المواضيع الدينية، ويمكن الوصول إلى مجموعات الأخبار بإحدى الطريقتين التاليتين؛ إما عن طريق كلمة (news) الموجودة في متصفح (إكسبلورر)، أو في متصفح (النتسكيب) وقد تكون موجودة في الصفحة الأولى في محركات البحث العالمية، أما الطريقة الأخرى والتي يمكن بواسطتها الوصول إلى مجموعات الأخبار فهي عن طريق موقع www.Deja.com، المهم بعد أن تصل إلى هذه المجموعات يمكن التسجيل فيها، وتبدأ الدعوة إلى الله تعالى، وسواء استخدم

---

(١) القريوتي، استخدام البالتوك في الدعوة إلى الله ﷺ والبديل المقترح، موقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية (www.said.net)، والكواري، الرقابة والبالتوك، صحيفة الوطن الكويتية، ٣ ديسمبر ٢٠٠٣م.

الداعية الحوار المباشر، أو غير المباشر؛ فكلها ستحقق النتيجة المرجوة إن شاء الله تعالى، إذا خلصت النية[(١)].

و ـ تصميم برامج دعوية متخصصة:

يمكن الاستفادة من إمكانيات الحاسبات الآلية في تصميم برامج دعوية متخصصة ونشرها بين الدعاة، فمثلاً: برنامج خاصّ بالطلاب، وآخر بالنساء، وثالث بالأطباء، ورابع بالعمال وهكذا، ويشمل البرنامج جملة من التوجيهات الدعوية، وعرضاً لأسماء الكتب والكتيبات والأشرطة المناسبة، وغير ذلك[(٢)].

٢٠ ـ التلفاز:

التِلْفاز أو التلفِزْيون هو: اصطلاح مُوَلّدٌ عَرّفه صاحب المعجم الوسيط بأنه: جِهازُ نَقْل الصور والأصوات بواسطة الأمواج الكهربائية واجتهد بعضهم في تسميته بـ«الرائي».

وهو من الوسائل العلمية والفنية التي جمعت بين خصائص الوسائل السمعية والبصرية، وقد انتشر في العصر الحديث بعد اختراعها انتشاراً كبيراً، حتى لا يكاد يخلو من التلفاز بيت من بيوت الناس، وتبرز أهمية هذه الوسيلة من عدة وجوه منها:

أ ـ اجتماع أهم خصائص الوسائل السمعية والبصرية فيها، وذلك مثل:

١ ـ الامتداد الزماني والمكاني، حيث تستغرق هذه الوسيلة الزمان في البث، وقد لا تخلو ساعة من بث تلفازي من بلد من البلدان، كما تخترق الحواجز الجغرافية، فلا يقف أمامها بُعْدٌ أو قرب، ولا سيما بعد اختراع الأقمار الصناعية....

٢ ـ تنوع موضوعاتها التي تبث فيها بحيث تلامس حاجات الناس ورغباتهم المتعددة.

---

(١) البشر، الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية: موقع الدين على شبكة المعلومات الدولية (http: //www.deen.ws/daoh/112.html). كيف تدعو إلى الله تعالى عبر الإنترنت؟ موقع السُنَّة الإسلامي.

(٢) الفارس، ٩٢ وسيلة دعوية، ص٢٤، موقع صيد الفوائد .(saaid.net)

٣ ـ سهولة الاستماع إليها والمشاهدة لها، فلا تكلف جهداً كبيراً، ولا تتطلب وقتاً خاصّاً، فيسمعها السامع قائماً وقاعداً، وعلى الطعام وأثناء الكلام، وعند التمدد للنوم وهكذا...

٤ ـ شدة جاذبيتها للناس، حيث ترتكز على حاسة السمع والبصر معاً، ومن هنا نجد المشاهدين لها والمتابعين للبث فيها أكثر بكثير من المتابعين للإذاعة وحدها أو للصحف... وقد برزت جاذبيتها بما تطورت إليه من بثٍّ مُلوَّن جذاب.

٥ ـ كثرة توفرها ورخص ثمنها حَيْثُ تسابقت الشركات العالمية في صناعتها وتصديرها وتقليل ثمنها... وكثرة أماكن عرضها وبيعها...

٦ ـ تنوع المشاهدين لها والمتابعين لبرامجها من الكبار والصغار، والرجال والنساء، والمثقفين وغيرهم... وما إلى ذلك من خصائص تجعلها من أخطر الوسائل الحديثة انتشاراً[١].

والتلفاز وسيلة مادية تصلح لأن تستعمل للخير أو الشر، إلا أنها بحكم الدول التي اخترعتها، والأيدي التي تتولى عليها غالباً ما تستخدم للشر، إما رغبة في إشاعة الأفكار السيئة، والعادات القبيحة عن قصدٍ وتخطيط، وإما إشباعاً لرغبات الناس المتنوعة، وجذباً لهم دون مراعاة للضوابط الشرعية والخلقية عن إهمال وغفلة... وإما ملئاً للفراغ مع قلة البرامج الخيرة وندرتها، رغبة في الإكثار من ساعات البث.. وما إلى ذلك من أسباب ودوافع تختلف من بلدٍ إلى آخر...

وقد قصَّر الدعاة كثيراً في معالجة هذه الوسيلة، واختلفت مواقفهم منها، فمنهم من قاطعها وهجرها وابتعد عنها... ومنهم من شارك فيها مشاركة فردية أو ارتجالية لم تُجد في إصلاح واقعها، ومنهم من حارب وجودها، وكسر أجهزتها، أو حرم دخولها إلى بيته وهكذا....

وعلى الرغم من تنوع هذه المواقف تجاهها، لم يحصل تغيير يذكر في

(١) قاسم، «المسرح الإسلامي روافده ومناهجه»، د. ط، ص٤٠٠.

واقعها، وإنما كثر شيوعها وانتشارها، وعظم تأثيرها في الكبار والصغار، وأقبل الناس عليها مستسلمين لواقعها، مستقبلين ما تبثه عليهم من خيرٍ أو شر، وإن غالب ما تبثه مَشُوبٌ اختلط فيه الحلال بالحرام، وإن كان يختلف قلة وكثرة من بلدٍ إلى آخر...

واشتد خَوْف الدعاة المصلحين ممَّا تطور إليه البث التلفازي، وما وصل إليه من استقبال البث المباشر عن طريق القمر الصناعي والذي يبث فيه من أنحاء الدنيا ما تريد الدول بثه من برامج، وما تدعو إليه من دعوات.

حتى فكر بعضهم بالمعالجات السلبية من تشويشٍ على بعض القنوات، ومَنْعٍ من استيراد بعض الأجهزة الحديثة المعينة على استقبال البث المباشر.. وهكذا...

ولقد اشتملت وسيلة «التلفاز» نظراً لما يُعرض فيها على ثلاثة أنواع من أنواع الوسائل من حيث حكمها، وهي:

١ ـ الوسيلة المباحة: نظراً لما يبث فيها من خيرٍ أو مباح.

٢ ـ الوسيلة المشوبة: نظراً للبرامج المشوبة الكثيرة التي اختلط فيها الخير بالشر، والحلال بالحرام.

٣ ـ الوسيلة المختلف في حكمها: نظراً لما تقوم عليه من أنواع التصوير الذي اختلف العلماء في حكمه...

وهذا التنوع جعل الحكم عليها صعباً ومُعَقَّداً، كما جعل عملية علاجها عسيرةً وشاقّة...

فلا يستطيع المسلم أن يحكم بتحريمها مطلقاً لمجرد غلبة الشر عليها، إذ أن هذه الغلبة تتفاوت من مكانٍ إلى آخر، ومن قناةٍ إلى أخرى، بل من برنامجٍ إلى برنامج.

كما لا يستطيع أن يحكم بحلها مع ما خالط برامجها من محرمات ومفاسد.. ولا يستطيع أن يعاملها معاملة المختلف فيه من كل وجه؛ لأن كثيراً من المحرمات والمفاسد التي تعرض فيها ليست من المختلف فيه...

لذا، أرى أن يفصل في حكمها تبعاً لحال السائل والمستفتي فيقال مثلاً:

«يحرم استعمالها على من عَرَفَ من نفسه عدم القدرة على ضبطها والتحكم فيها في نفسه وأسرته، ويجوز استعمالها لمن عرف من نفسه القدرة على ضبطها والتحكم فيها في نفسه وأسرته».

إلا أن هذا التحكم فيها والضبط لها لا بد له من تربية عملية دقيقة يشرف عليها الآباء والمربّون، ومن ضوابط شرعية واضحة يتقيد بها المسلمون، يعرفون بها الحلال والحرام، وما تجوز مشاهدته وما لا تجوز مشاهدته.

وبغير هذين الأمرين: التربية والإشراف، ووضع الضوابط الشرعية، يصعب أن تتصور السلامة من استخدام هذه الأجهزة بوجهٍ من الوجوه.

٨ ـ وسيلة التمثيل:

التمثيل لغةً: التشبيه، يقال: مَثَّل الشيء بالشيء، تمثيلاً وتَمثالاً: شبَّهَهُ به وقدره على قدره...[(١)].

ومَثَّلَ له تمثيلاً: صوَّره له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه[(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧].

والتمثيل في الاصطلاح: عرفه بعضهم بقوله: «عَرْضٌ حيٌّ لقصةٍ وأصحابها، واقعةً أو متخيَّلة»[(٣)]، وعرفه آخرون بقولهم: «تجسيد الحادثة التاريخية أو الواقعة الاجتماعية أو الموقف السياسي، أو الفكرة التوجيهية، بشخصياتٍ بشرية، أو صور مادية وحسية»[(٤)].

والتمثيل فَنٌّ قديم عرف عند اليونان وغيرهم، ولم يدخل حياة المسلمين في عصورهم الأولى، وعَرَفَ المسلمون أنواعاً مُبَسَّطةً منه في العصور المتقدمة عرفت بـ«خيال الظل»[(٥)] وتمثيل الوعاظ والمعلمين، ثم أصبح في عصرنا هذا فناً مستقلاً له رواده ومدارسه وأشكاله.

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، المؤلف، د. ط، ٢/٨٥٣.
(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١١/٦١٣.
(٣) أبو زيد، «حكم التمثيل»، ط١، ص١٥.
(٤) علوان، «حكم الإسلام في وسائل الإعلام»، د. ط، ص٢٣.
(٥) «حكم التمثيل»، ص١٧.

وتظهر أهمية التمثيل كوسيلة من الوسائل في هذا العصر، من وجوهٍ عدة، منها:

١ ـ جمعها بين خصائص الوسائل اليدوية والسمعية والبصرية في وقتٍ واحد، ممَّا زاد في جاذبيتها وإقبال الناس عليها.

٢ ـ تنوع أشكالها وموضوعاتها، فمنها: المأساة، والملهاة، والشعبية، والهزلية...

ومنها: المُسَلْسَلَةُ والسِّلْسِلَة وغيرها.

وبهذا أصبحت التمثيلية أكثر البرامج التلفازية جذباً للمشاهدين، وتعد أنجح أسلوب في عصرنا لربط الجماهير الغفيرة بعملية المتابعة بتلهُّفٍ وشغف، فهي تجتذب المشاهدين وتملك عليهم عقولهم، وتأسر أفئدتهم.

«وقد اختلف العلماء في حكم التمثيل اختلافاً واسعاً، كما رويت عن بعض العلماء السابقين أقوالٌ بمنع بعض أشكاله التي عرفت في زمانهم، حتى روي عن بعضهم تكفير من تشبه بالمذكرين والوعاظ والمعلمين فَسَألوا المسائِلَ وهم يَضْحكون ويَسْتهزئون... كما روي عن بعضهم عدم التكفير به.

وقد شدد في حكمه بعض المُحْدَثين حتى كاد أن يصل فيه إلى التحريم القطعي المعلوم من الدين بالضرورة وجعله من أكبر الكبائر.

وفَرَّقَ آخرون بين نوع وآخر، فحرم هذا وأباح هذا، وكره ذاك... كما أباحه آخرون بشروطٍ وضوابط»[١].

ونظراً لدقة البحث في حكم التمثيل وكثرة الاختلاف فيه من جهة، ولحاجة المسألة إلى مزيدٍ من المتابعة والبحث العلمي من جهةٍ أخرى، فتعامل معاملة الوسائل المختلف في حكمها، وقد سبق معنا في المبحث الأول من هذا الفصل ضوابط ذلك.

وقد أجمل صاحب كتاب «المدخل إلى علم الدعوة» الأقوال فيها وأدلتها بما يلي:

---

(١) البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٣٢٧ ـ ٣٢٨.

١ ـ «ذهب قوم إلى تحريمه تحريماً قاطعاً، وجعله من أكبر الكبائر ـ كما فعل الشيخ أحمد الغماري ـ واستدل على ذلك بأدلة كثيرة عامة، وساقها بأسلوب بعيد عن الأدب العلمي، واحترام رأي المخالف، حتى كاد أن يُخرج مَنْ قال بحله عن الدين، ولعل أقوى ما استدل به على قوله أن التمثيل نوع من اللهو الباطل، ونوع من الكذب، والتشبه بالكفار... وما دام الكذب محرماً قطعاً، فيكون التمثيل كذلك...

٢ ـ وذهب بعضهم إلى تحريمه معتمداً في ذلك على ترك الرسول ﷺ له في عهده، كما فعل الدكتور: عمارة نجيب في كتابه «فقه الدعوة والإعلام» وما إلى ذلك من أدلة.

٣ ـ وذهب آخرون إلى تحريمه أيضاً معتمدين في ذلك على أن التمثيل أول ما نشأ كان شعاراً تعبّدياً للكفار، وقد نهي المسلمون عن تقليدهم والتشبه بهم، هذا عن التمثيل في مجال العادات واللعب، وأما التمثيل الديني فهو في نظرهم ما جاء على سبيل التعبد، والعبادات موقوفة على النص ومورده فيكون حراماً لأنه مُحْدَثٌ وسمُّوه (بالتمثيل البدعي)(١)، وممن ذهب إلى هذا الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في بحثه المقدم لمجمع الفقه الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي، والشيخ حمود بن عبد الله التويجري(٢) وغيرهم.

(١) قال بكر أبو زيد: ولهذا فما تراه في بعض المدارس والجامعات من فرق للتمثيل الديني، فإن في حقيقته (التمثيل البدعي) لما علمت من أصله، وحدوثه لدى المسلمين خارجاً عن دائرة المنصوص عليه بدليل شرعي، وأنه من سبيل التعبد لدى أهل الأوثان من اليونان، ومبتدعة النصارى، فلا أصل له في الإسلام بإطلاق، فهو إذاً محدث، وكل أمر محدث في الدين فهو بدعة، تضاهي الشريعة، فصدق عليه حسب أصول الشرع المطهر: اسم (التمثيل البدعي). أبو زيد، حكم التمثيل، ط١، ص٢٨ ـ ٢٩.

(٢) عالم، قاض، كاتب. (١٣٣٤ ـ ١٤١٣هـ)، ولد بمدينة المجمعة (السعودية) وقرأ على المشايخ شتى العلوم والفنون. أُلزِمَ بالقضاء في رحيمة ورأس تنورة بالمنطقة الشرقية، ثم مرة أخرى في مدينة الزلفي عام: ١٣٦٩هـ، إلى آخر سنة: ١٣٧٢هـ، ثم اعتذر عن القضاء، قرأ عليه أولاده، وأجاز عدداً من العلماء. وكان قليل الكلام كثير الفكر. نهاره للعلم بحثاً وكتابة، منذ بزوغ الشمس إلى غروبها، وربما جلس بعد صلاة العشاء قليلاً بمكتبته يكمل ما ابتدأه بالنهار، وذلك في أخريات حياته، وأما ليله فيقضي جزءاً كبيراً =

٤ ـ وذهب آخرون إلى إباحته بشروط وضوابط، وتحريم أنواع خاصة منه؛ كتمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو الصحابة الكرام، وما إلى ذلك، وممن ذهب إلى هذا الشيخ صالح الفوزان[١]، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان[٢]، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين[٣]، والشيخ عبد الله علوان[٤]، والشيخ مصطفى الزرقا[٥] وعدد من العلماء والباحثين المعاصرين.

= منه في التهجد والصلاة، حضراً كان أو سفراً. انظر: يوسف، «تَكملَة مُعجم المُؤلفين»، ط١، ص١٦٦ ـ ١٦٧.

(١) المولد في القصيم في بلدة الشماسية جنوب القصيم في عام ١٣٥٤هـ. أحد أعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية وعضو في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وأستاذ في المعهد العالي للقضاء، وله أنشطة عبر وسائل الإعلام وأنشطة أيضاً صحفية. انظر: موقع الشيخ صالح الفوزان: .alfawzan.af.org.sa

(٢) عالم وداعية الى الله، وإمام وخطيب، وولد بمدينة البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٥٠هـ، عين عام ١٣٨٣هـ مساعداً لرئيس المحكمة الكبرى بالرياض، ثم صار رئيساً للمحكمة عام ١٣٨٤هـ، إلى أن عين عام ١٣٩٠هـ قاضي تمييز وعضواً بالهيئة القضائية العليا، وفي عام ١٤٠٣هـ عين رئيساً للهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى، واستمر نائباً لرئيس المجلس في غيابه الى أن عين عام ١٤١٣هـ رئيساً للمجلس بهيئته الدائمة، وهو عضو في هيئة كبار العلماء منذ إنشائها عام ١٣٩١هـ، وعضواً في رابطة العالم الإسلامي، ومديرها ورئيس تحريرها. انظر: موقع الشيخ صالح اللحيدان: .lohaidan.af.org.sa

(٣) محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمٰن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم، ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٤٧هـ في عنيزة، عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته، وقد مُنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، تُوفي رحمه الله في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام. انظر: موقع الشيخ ابن عثيمين .binothaimeen.net

(٤) ولد رحمه الله في حي قاضي عسكر بمدينة حلب سنة ١٩٢٨م في أسرة متدينة معروفة بنسبها الطاهر، حيث يرجع نسب عائلة الشيخ إلى علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عمل أستاذاً في قسم الدراسات في جامعة الملك عبد العزيز في جدة إلى أن لقي ربه، وقدم للمكتبة الإسلامية الإنتاج الوفير، وكانت الوفاة صباح يوم السبت ٥ من شهر محرم عام ١٤٠٨هـ. انظر: موقع الشيخ عبد الله علوان: .abdullahelwan.net

(٥) ولد في حلب بسورية عام ١٣٢٥هـ. ودرس علوم الشريعة واللغة الفرنسية، وتخرج من كلية الحقوق وتفوق فيها ودرس في الفقه خاصة على والده، ثم عين أستاذاً للحقوق المدنية والشريعة في تلك الكلية سنة ١٩٤٤م. وبقي فيها أستاذاً، ورئيساً لقسمه وأستاذاً =

وقد سبق للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، أن وَجَّه أسئلة واستفتاءات علمية حول بعض الوسائل الحديثة التي يحتاج إليها قسم الإعلام فيه إلى بعض العلماء والمؤسسات العلمية، وكان من هذه الوسائل التصوير الفوتوغرافي والتلفازي، والتمثيل... فوصل إليه عدد من الإجابات من بعض الهيئات والعلماء، ينصُّ معظمها على حكم الإباحة بشروط(١).

واستدل معظم من قال بالإباحة؛ بأنها الأصل في هذه الأمور، واكتفوا بمناقشة أدلة المحرمين وتضعيف دلالتها على التحريم، وتوسع بعضهم في الاستدلال عليها ببعض النصوص الشرعية العامة التي احتوت نوعاً من أنواع التمثيل والتشبيه بصورٍ مادية، أو أشخاص بشرية.

٩ ـ المطويات:

المطويات جمع مطوية ورقة واحدة سهلة العبارة ومختصرة على من لا يقدر على مطالعة الكتب الكبيرة الحجم، تقدم رسالة مباشرة للقارئ ممَّا يتطلب الحرص على أن تكون هذه المطويات خالية من الاختلافات والتعقيدات، وقبل إعطائها يحرص على التشويق لقراءتها. والاهتمام بمتابعة الجديد منها تفادياً للتكرار.

١٠ ـ المجلة الحائطية والورقية:

المجلة الحائطية وسيلةٌ مهمةٌ من وسائل الدعوة، وتكون هذه الوسيلة متيسرة لأكثر للدعاة الذين يمارسون مهنة التعليم، ولا بد من الحرص على الإخراج

= للشريعة الإسلامية إلى حين بلوغه سن التقاعد في آخر عام ١٩٦٦م، وقد انتخب عضواً في مجلس النواب السوري في دورتين سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٦٤م، كما تولى وزارة العدل والأوقاف مرتين، ثم أصبح خبيراً للموسوعة الفقهية التي قامت وزارة الأوقاف الكويتية بمشروعها، وبقي هناك خمس سنوات حيث أنجز من المشروع مقداراً كبيراً، ثم انتقل للتدريس في كلية الشريعة الأردنية، وللشيخ إنتاج علمي غزير، وقد نال الشيخ عضوية المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في عام ١٣٩٨هـ، ومجلس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن، وفاز رحمه الله بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٤هـ. انظر: المكتبة الشاملة.

(١) انظر: البيانوني، «المدخل إلى علم الدعوة»، ط٣، ص٣٢٨.

الفني والموضعي الجيد للمجلة: الإطار والمكان المناسب، الخط المتناسق الواضح، الألوان المناسبة، تنويع الأبواب مع التبسيط، وتخصيص باب للمسابقات يخصص لها جوائز قيمة يتم تقديمها خلال أمسية محددة[(١)].

١١ ـ كروت التهنئة وكروت دعوية صغيرة الحجم:

يتمّ تصميم الكروت بإتقان، وتكون جميلة الإخراج، ويكتب فيها عبارات دعوية شيقة بمعاني وتعبيرات سلسة، وهذه تصمّم عند المطابع المختصة، وتكون على شكل مجموعات، فواحدة عن الإسلام وأخرى عن التوحيد وثالثة عن القيم وهكذا، ويحمل الداعية معه مجموعة متنوعة في جيبه، ومن ثم يقدمها كرسالة أنيقة لمن يراه من أولئك القوم، مع الحرص على جودتها من حيث الشكل والألوان، والعبارات المكتوبة، وكذلك الحرص على أن تكون موجّهة لأصحابها بصفةٍ شخصيّة، فكروت التهنئة والأفراح تدخل السرور على نفوس الناس وتشعرهم بأهميتهم، ومن آثارها أن يزول ما بين النفوس من جفاءٍ ووحشةٍ، وبها ترق القلوب، وتصفو النفوس، وتزداد المودَّة والألفة، ويعمّق الحب، وتوثق الروابط، وبالتالي يكسب أنصاراً جدد للدعوة الإسلامية[(٢)]. قال القرطبي: «الهدية مندوبٌ إليها، وهي ممَّا تورث المودة وتذهب العداوة». وقال: «ومن فضل الهدية مع اتِّباع السُّنَّة أنها تزيل حزازات النفوس وتكسب المُهدي والمُهدَى إليه رنة في اللقاء والجلوس»[(٣)]. وقد ظهر في هذه الأزمنة نماذج رائعة كبطاقات مركز ركن الحوار بالمملكة العربية السعودية، وبطاقات لجنة التعريف بالإسلام بالكويت وغيرها.

(١) طرق ووسائل الدعوة إلى الله في أماكن العمل: موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية (www.saaid.net). ١٢١ وسيلة دعوية: إعداد الفريق العلمي لجناح الوسائل المتميزة بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية (www.saaid.net). دليل الفرص والوسائل الدعوية: جمع وإعداد خالد بن محمد الدبيخي، موقع منابر الدعوة بإشراف الشيخ حامد عبد الله العلي على شبكة المعلومات الدولية (www.dawah.ws).

(٢) الفارس، «٩٢ وسيلة دعوية»، د. ط، ص١٤.

(٣) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ١٣/ ١٣٢.

١٢ ـ الدعوة بالمراسلة:

يمكن الاستفادة من هواة المراسلة عبر المجلات العربية والأجنبية، أو من تذكر أسماؤهم في الإذاعات المختلفة، وكثيرٌ منهم بحاجةٍ ماسةٍ إلى التوجيه والمناصحة، وذلك بأن يقوم الداعية بوضع ملف لكل عنوان، ثم يرسل لصاحبه رسالة أولى رقيقة المشاعر عذبة الأسلوب، ويضمّنها جملة من النشرات والكتيبات التي تعرف بالإسلام، وبعد أن يأتيه الردّ يتبع ذلك برسالة ثانية وثالثة وهكذا، مع أخذ الحذر من ناحية أن المرسل إليه قد يكون أقوى من المرسِل، فيعرض للمرسل جملة من الشبهات أو الشهوات التي قد تؤثر فيه(١).

وبإمكان المرأة الداعية مراسلة النساء على عناوينهن عن طريق الدعاة المشهورين، أو دور النشر الذين تصلهم يومياً مئات الرسائل من سائر أنحاء الدنيا، ويعجزون عن الرد عليها. أو عن طريق صفحات التعارف في المجلات الهابطة. ويجب أن يقتصر دور الداعية على مراسلة النساء من أجل توجيههن والأخذ على أيديهن، وأجمل هدية يمكن أن تقدم عن طريق المراسلة هي: المقال أو الكتيب النافع، أو المطوية المفيدة، أو الشريط المؤثر وكذلك الصور والبطاقات المختلفة.

وطريقة المراسلة:

١ ـ استقبال الرسائل بعد الحصول على عنوان الداعية من بعض المجلات الإسلامية أو المواقع الشبكية.

٢ ـ إرسال الكتب والأشرطة على مجموعاتٍ متفرقةٍ بعد ردّهم على رسائل الداعية.

٣ ـ استقبال الأسئلة ثمَّ إحالتها لأهل العلم ليجيبوا عليها ثم إرسالها لأصحابها(٢).

٤ ـ برامج تربوية وشعارات دعوية:

---

(١) الريس، «الدعوة بالمراسلة»؛ و«المسند»، «المرأة والدعوة»، موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية.

(٢) «الدعوة بالمراسلة»، موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية.

ويمكن توفير هذه البرامج بالاتفاق مع تجار القرطاسية والمواد المكتبية الذين يستوردونها أو يصنعونها، حيث تتم طباعة برامج تربوية، وشعارات دعوية، أو أقوال مأثورة ومؤثرة على الدفاتر وعلب الألوان، وعلب الهندسة، والأقلام والميداليات، وحافظات أقلام.. ونحوها. ومن ثمّ إهداؤها إلى الآخرين، بعد طباعة أسمائهم عليها إن أمكن، ووضعها ضمن مظروف فيه كتيبات وأشرطة وغيرها، ولعل هذا الأسلوب مؤثر فعلاً على الطلاب والطالبات.

ومن ذلك تصميم دليل هاتف جيب، وتعبئة الصفحات الأول منه بمجموعة من الحكم والنصائح والمواعظ، وأمّا بقية الصفحات المرتبة هجائياً فيوضع في رأس كل صفحة حديثاً شريفاً قليل الكلمات يتضمن موعظة أو حكماً شرعياً، أو بيتاً شعرياً مؤثراً ومفيداً من أشعار الزهد والحكمة والحكم وغيرها، ويكون هناك تناسق في ترتيب الأحرف بين أوائل الأبيات والصفحات[(١)].

١٣ ـ الصحافة:

الصحافة وسيلة هامة من وسائل التأثير في الرأي العام في المجتمعات المعاصرة، ويتعاظم دور الصحافة الإسلامية بخاصة لأنها من أكثر الوسائل التوجيهية مصداقية لدى الجمهور المنتمي للدعوة، ومن ثَمّ فيفترض فيها أن تكون الأكثر تأثيراً في صياغة آراء هذا الجمهور وبلورة أفكاره وبناء تصوراته وتوجيه سلوكياته.

إن الصحافة الإسلامية اليوم بعيدة عن ميدان نشر الإسلام ودعوة غير المسلمين والدفاع ضد طعنات الأعداء.

إننا نريد صحافة إسلامية خالصة للإسلام يحررها صحفيون مسلمون يتقيدون بالإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً.

إن مصطلح الصحافة الإسلامية مصطلح جد شائك، فهو يطرح جملة من التساؤلات التي تبحث عن إجابات:

أولاً: ماذا نقصد بالصحافة الإسلامية بالضبط؟ هل هي صحافة دينية

(١) الفارس، «٩٢ وسيلة دعوية»، د. ط، ص٢٠.

متخصصة، أم هي صحافة عامة مستلهمة لروح الدين ومصطبغة بتوجيهاته؟ هل هي صحافة حزب أو جماعة أو تيار، أم هي صحافة قيم ومبادئ وروح غالبة حتى ولو لم يصدرها حزب يرفع شعار الإسلام أو تيار يتبنى توجهات إسلامية؟ هل هي صحافة يصدرها مسلمون وتتوجه إلى مسلمين، أم هي صحافة يصدرها مسلمون وتتوجه لغير المسلمين بهدف دعوتهم إلى الإسلام؟

ثانياً: ما نوع الجمهور الذي تتوجه إليه الصحافة الإسلامية، هل هو جمهور خاص أم عام؟ هل تتجه الصحافة الإسلامية إلى الملتزمين بالدين، أم إلى النخبة المثقفة الواسعة، أم إلى عامة الناس، أم تتوجه إلى هؤلاء جميعاً؟

ثالثاً: ما المنهج الذي يميز الصحافة الإسلامية في معالجتها وطرحها عن الصحافات الأخرى؟ وبنحو أكثر دقة: ما الصبغة التي يمتاز بها هذا اللون من الصحافة هل هي الصبغة الملتزمة، أم هي الصبغة الموضوعية المحايدة؟ هل هي صحافة قضية ورسالة أم صحافة وصف وإخبار، أم هي مزيج من هذا وذاك؟ وفي أسلوب الطرح: هل هو أسلوب يميل إلى الرصانة والوقار أم يجنح نحو التبسيط والإثارة؟

رابعاً: ما مواصفات العناصر البشرية التي تصلح لقيادة وإدارة وتحرير وإنتاج هذه الصحافة؟ وما طبيعة ومكونات تأهيل هذه العناصر (أو الكوادر) وما المحاضن التي يمكن أن تقوم بهذا التأهيل؟

خامساً: ما هي اقتصاديات هذا النوع من الصحافة، وهل تختلف في طبيعتها ومتطلباتها وآلياتها عن اقتصاديات (الصحافات) الأخرى؟ وهل هناك صيغة مميزة للصحافة الإسلامية تحكم العلاقات التي تقوم بين عناصر: التمويل والإعلان التجاري والتوزيع والإمكانيات التقنية الحديثة؟

سادساً: ما هو المناخ الملائم لنشوء صحافة إسلامية حقيقية سواءً على الصعيد السياسي، أو الصعيد الاقتصادي، أو الصعيد الاجتماعي؟ وما الارتباط بين كل من حدود الحرية السياسية وحرية التعبير، ومستوى الوعي الاجتماعي، ومشكلات الرقابة والقوانين وبين قدرة الصحافة الإسلامية على القيام بدورها وأدائها لرسالتها؟

هذه بعض التساؤلات التي تشخص ـ في تصوري ـ أعراض الأزمة التي تعيشها الصحافة الإسلامية المعاصرة، وهي أزمة حقيقية لا مصطنعة، وقد لا يعي عمقها ومشكلاتها إلا أولئك الذين عايشوا تجربة هذا النوع من الصحافة عن كثب، أو أولئك الذين حاولوا خوض غمار البحث والدرس التنظيري للصحافة الإسلامية في الحقل الأكاديمي.

١٤ ـ برامج التواصل الاجتماعي:

التطورات المتلاحقة فيما يتعلق بالتقنيات الحديثة مثل الإنترنت أحدثت نقلة غير تقليدية في عالم التواصل والاتصال، بوسائله المختلفة مثل الصحف والمواقع والإذاعات الإلكترونية المسموعة والمرئية، والمدونات، والشات، والمنتديات، والبريد الإلكتروني، والمجموعات، ومواقع التواصل الاجتماعي، لذا فإن الدعوة الإسلامية أحوج ما تكون إلى استخدام هذه الوسائل وبفاعلية لشرح مبادئ، وقيم، وموقف الإسلام من القضايا المطروحة على الساحة في مختلف المجالات الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والعسكرية، والإنسانية، وغيرها.

ويلاحظ أن مواقع التواصل الاجتماعي مثل «فيسبوك» و«تويتر»، أو تطبيقات مثل «سكايبي» أو «واتساب» ـ من أفضل الوسائل التي ربما ميَّزت العصر الحديث، حتى باتت تستحوذ على عقول كثيرٍ من الناس، وبخاصةٍ الشباب منهم، ممَّا يجعلنا نؤكد على ضرورة التوجه صوب هذه الوسيلة لاغتنامها في الدعوة الإسلامية، من خلال دعوة غير المسلمين للإسلام وتعريفهم به، ودعوة الشباب المسلم للتمسك بدينه وعدم الولوج في بحر الظلمات المليء بموبقات التواصل مع الآخرين، وهي لا تخفى على أحد، بل أكدتها الدراسات العلمية وغيرها، «ومنها دراسة أجريت على عينة من طلاب جامعة الفاتح، حيث أكدوا أن الفيسبوك قد يتعارض مع الثقافة والقيم والمبادئ السائدة في مجتمعاتهم، ومع ذلك فهم لا يمكنهم الاستغناء عن متابعته.

وحسب دراسة أجرتها شركة كيتشوم بلون عام ٢٠١١م بعنوان «الفيسبوك وحماية الخصوصية الفردية» تبين أن حوالي (٨٠٠) مليون يستخدمون الفيسبوك، وفي دراسة لشركة Surge ons digital المتخصصة بتسويق العلامات التجارية على

الشبكات الاجتماعية عام ٢٠١٠م بينت أن أكثر من ٥٠٠ مليون مستخدم للفيسبوك، وأن حوالي ١٠٠ مليون مستخدم لتويتر.

كما توصلت إحدى الدراسات حول الطلاب والشبكات الاجتماعية عام ٢٠١٠م إلى أن ٤٠ في المئة من الطلاب موضوع الدراسة استخدموا الفيسبوك لاكتساب معارف وخبرات، و٢٠ في المئة للبحث عن أصدقاء، وأن نسبة ٥٠ في المئة منهم يستخدمون الفيسبوك كشبكة اجتماعية، وأن هذا الاستخدام يشغلهم عن الدراسة، وأن هذا الاستخدام يؤدي بهم إلى التكاسل والتراخي بنسبة ٣٠ في المئة[١].

ويبلغ عدد مستخدمي «فيس بوك» في إندونيسيا ٣٥ مليون شخص، ما يجعلها ثاني أكبر سوق لاستخدام الموقع بعد الولايات المتحدة حسب موقع «جلوبال بوست» الأميركي على الإنترنت[٢].

ويمكن توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في خدمة الدعوة الإسلامية على النحو التالي[٣]:

أولاً ـ الفيس بوك «Facebook»: وهو موقع اجتماعي شهير يدخل عليه الملايين على مستوى العالم، وهو ما يؤكد أهميته ورواجه الواقعي، ومن خلاله يمكن التواصل مع أي إنسان في أي مكان وزمان، ومن هنا فقد انتبه إليه دعاة كثر في زماننا، وتم عمل صفحات شخصية لهم عليه لمخاطبة جماهيرهم، ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي وخارجه، ولكن ليس بالحجم المطلوب، ويمكن توظيفه دعوياً من خلال القيام بالآتي:

١ ـ عمل مجموعات «GROUPS» تقوم بالحث على الفضيلة ونشرها بين الناس.

---

(١) الدماري، الطلاب والشبكات الاجتماعية ـ دراسة ميدانية في استخدامات وإشباعات طلاب كلية الفنون والإعلام للفيسبوك كشبكة اجتماعية، بحث مقدم ضمن متطلبات دبلوم الدراسات العليا، جامعة الفاتح، كلية الفنون والإعلام.

(٢) موقع مصراوي، خبر بعنوان: «مسؤولة إندونيسية: الفيس بوك وراء حمل المراهقات والزواج المبكر» متوفر بتاريخ ٣/ ٥/ ٢٠١١م.

(٣) موقع، عادل عبد الله هندي البشري، http: //www.albushraa.com/?p=9771.

٢ ـ مراسلة جميع أصحاب الصفحات الموجودة لدى الداعية بما تريد توصيله من قيم وأخلاق وغيرها من أعمال فاضلة.

٣ ـ التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الدين الإسلامي العظيم؛ وذلك بإتقان لغة المخاطب، وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة التي شوهها الغرب عبر إعلامهم.

٤ ـ فقد تمكن داعية سعودي بالمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بغرب الدمام (نور) من إقناع عروس كندية في العقد الثاني من عمرها بالإسلام عبر موقعي «الفيسبوك» و«سكايبي»، وأعلنت إسلامها تزامناً مع حفل زواجها في بداية العام الميلادي ٢٠١٤ بحضور والدها، وأكد فضيلة الشيخ يوسف الرشيد، مدير المكتب على ممارسة دعاة المكتب هذه الدعوة الإلكترونية باستخدام آخر وسائل التواصل الاجتماعي وبرامج المحادثات التقنية التي وجدت تفاعلاً حقيقياً، حيث يوجد أكثر من ١٠٠ ألف طالب مستفيد من برامج الدعوة عبر الإنترنت، مع دعاة المكتب على مستوى العالم بأستراليا وبريطانيا والهند وبنجلاديش والفلبين، والتي حققت نتائج ممتازة[١]، وهذا شائعٌ في زماننا على مستوى العالم.

٥ ـ محاربة المجموعات التي تقوم بتشويه صورة الإسلام والضغط على موقع الفيس بوك لإغلاقها، وهذا ما حدث بالفعل مراراً وتكراراً في مواقف مختلفة.

ثانياً ـ تويتر «Twitter»: هو أحد المواقع التي تقدم خدمات مجانية للتواصل الاجتماعي والتدوين المصغر، ويسمح للمستخدمين بإرسال أهم اللحظات في حياتهم في شكل تدوينات نصية لا تزيد عن ١٤٠ حرفاً؛ وذلك من خلال خدمة الرسائل النصية القصيرة، برامج التراسل الفوري، أو البريد الإلكتروني، ويتميز باستقطاب صفوة القوم، وقطاع لا بأس به من الشباب من الجنسين.

---

(١) صحيفة وطنيات الإلكترونية، خبر بعنوان «الدمام» داعية سعودي عبر الإنترنت يقنع كندية في كندا بدخولها الإسلام، متوفر بتاريخ الجمعة ١٦ ربيع الأول ١٤٣٥/١٧ يناير ٢٠١٤م.

ثالثاً ـ الإيميلات (E: mails) ومجموعات البريد الإلكتروني (Hotmail- Yahoo maktoob-Gmail) التي يمكن من خلالها نشر فكرة إسلامية معينة، أو إرسال رسالة مؤثرة تصحح مفهوماً أو تدعو إلى خلق فاضل.

رابعاً ـ المدونات (Bloggers): التي يمكن من خلالها القيام بالآتي:

١ ـ توصيل رسالة المدون إلى متصفحي مدونته وتوجيه أفكارهم نحو الصالح.

٢ ـ يمكن من خلالها نشر مواعظ ومقالات وأخبار وتحليلات.

٣ ـ مواكبة الأحداث الجارية ونشر فكرة المدون وتعليقاته على الأحداث؛ وهو ما يجعلها أكثر فعالية وواقعية.

ويمكن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في عمل حملات تعريفية بالإسلام وبأحكامه وشرائعه والدفاع عنه وتصحيح الصورة المغلوطة عنه، وقد نفذت جمعية أهلاً بالقاهرة أعمال جميلة بهذا الخصوص تجدها على الرابط التالي: http: //www.ahlan-group.com

«يقول الداعية الفنزويلي: سليمان زبيب، الذي يعمل لدى موقع «Islamreligion»: إن شبكات التواصل الاجتماعي أضحَت المَسار الأساسي للرد على شكوك الباحثين عن الحق بكلِّ سهولة ويُسر، كما أن هناك عدة مواقع إلكترونيَّة تُوفِّر خدمة المحادثة الفورية، بشكل يسمح للراغبين بالتواصل بشكل مباشر مع الدُّعاة لعرض أسئلتهم، والوصول إلى الإجابات التي تقنعُهم.

وقد أدَّى قيام شبكات التواصل الاجتماعي بلعبِ هذا الدور إلى تراجعِ دور المساجد وحلقات الدعوة في ظل ازدياد مساحة انتشار الإنترنت في كل مكانٍ في العالم، لكن المشكلة تكمن في أن بعض الأشخاص يستخدمون هذه المنابر لنشر معلومات خاطئة، أو تشويه الأديان الأخرى، أو الدعوة للكراهية وعدم التسامح.

ويرى الداعية المصري يوسف محمود مدير موقع «Caminoalislam» أنه بلا شكٍّ إن شبكات التواصل الاجتماعي أسهمَتْ في دعمِ نحو ٩٠٪ من الراغبين في التعرُّف على الإسلام في رحلتهم للبحث عن الحقيقة، ووفَّرت جهوداً ضخمة كانت تُبذَلُ من أجل خروج قافلة من الدعاة إلى إحدى الدول؛ لتعريف أهلها بالإسلام.

وأضاف أنه أصبح الآن من السهل للغايةِ على الداعيةِ أن يتواصلَ مع الراغبين في التعرُّف على الإسلام، وتقديم العونِ لهم في دقائق بشكلٍ سريعٍ يتواكبُ مع السرعة التي باتت تلعب دوراً كبيراً في مسار حياتنا؛ فوسائل التواصل الحديثة أضحَتْ بمثابة سفينة يَصِلُ بها الدعاة إلى جميع أنحاء العالم، وبها يصلون إلى منازل الراغبين في التعرف على الإسلام بشكلٍ مباشر.

وبحسب تقديرات محمود فإن الموقعَ قد أسهم بشكلٍ مباشرٍ في إسلام أكثرَ من ٢٥٠ شخصاً عبر الإنترنت منذ عام ٢٠١١م.

ويرى محمود أن إيصالَ الرسالة الحقيقية للإسلام تعتمِدُ على الداعية، ومدى حنكته في المجال الدعوي، واستغلاله للأدوات الإلكترونية المتاحة لديه؛ من أجل مساعدة الراغبين في التعرف على الإسلام بشتى الوسائل، خاصة أن شبكات التواصل ووسائل الاتصال الحديثة أصبحت وسيلةً أسهلَ من الذهاب للمسجد بالنسبة إلى المهتدين الجُدد للتعرف على الإسلام، وتكوين صَدَاقات بين المسلمين من دول مختلفة بشكلٍ أيسرَ من خلال الضغط على بعض الأيقونات في الشبكة العنكبوتية، كما ساعدت المسجدَ، ودعمت دورَه الذي لا غنى عنه، خاصة مع قلة المساجد وبُعدها عن مكان سكن المهتدين الجدد.

وتلعب هذه الوسائل دوراً فعَّالاً في دعم وتعزيز المسلمين الجُدُد والراغبين في التعرف على الإسلام بشكلٍ مستمرٍّ على مدار ٢٤ ساعة، ومن خلالها يعرفون ما يريدون في أي وقت، وفي أي مكان، سواء كانوا في موقع العمل، أو المنزل، أو المواصلات.

وترى نتاليا بافون سانتشس (إسبانية مسلمة منذ سبع سنوات) أن شبكات التواصل الاجتماعي كان لها عظيم الأثر في وصولها للإسلام، ورَوَتْ لنا أنها وُلِدت وعاشت في أسرة يَدينُ جميعُ أفرادها بالمسيحية، لكنها كانت تشعر بأن هذا الدين ناقصٌ؛ فأخذت بالبحث عن الإسلام، حتى تعرَّفت على شابٍّ مسلم أرسل لها مجموعةَ كتب عن الإسلام بلغتِها، وما أن شرعَتْ في قراءتها، حتى وجدت ما كانت تبحثُ عنه، وقامت بزيارة المسجد، ثم نطقت الشهادة.

وتُضيف شانتشس أن المسجدَ بعيدٌ للغاية عن محلِّ سكنها، لكنها لم تجد

أيَّةَ صعوبة في الحصول على المعلومة، وأن مواقع التواصل الاجتماعي كانت لها خير معين.

وفي هذا الصَّدد تروي لنا أمينة كاسترو (أمريكية مسلمة منذ ٣ أعوام) أنها تعرَّفت على الإسلام للمرة الأولى من خلال اشتراكها في مناظرة إلكترونية بإحدى الصفحات على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك»، حيث كانت تدافِعُ عن المسيحية بشدة أمام أخت مسلمة تونسيَّة، فقامت التونسية بإضافتها، وعرضت عليها أن تتناقش معها، وأن تُوضِّحَ لها وجهة نظر الإسلام في كل ما تقولُ، فرحبت كاسترو، وكانت النتيجة أنها قرَّرت إعلان إسلامها.

وتضيف كاسترو: أنه على الرغم من سهولة التواصلِ من خلال هذه المواقع فإن بعض المواضيع لا تُعرَضُ بشكلٍ واضح، كما أن أغلب الباحثين لا يجيدون التفريقَ بين المواقع السّنيّة والشيعيَّة مثلاً، وهو ما يُشكِّلُ تضارباً عند البعض في المعلومات.

ويُذكَرُ أن كاسترو بعد إسلامها انضمت إلى أحد المواقع الإسلامية؛ لتعملَ في الدعوة إلى الإسلام(١).

ولا شك أن الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي في الدعوة إلى الله أمرٌ مهمٌّ إذ لا تشكل عناء للناصح ولا مشقة، فالناصح مطالَبٌ بتطوير وسائل النصح حسب العصر بما يتناسب مع الشريعة الغراء، وبما يحقق الهدف المرجو من النصيحة، والإسلام لم يفرض علينا النصح بطرق ووسائل محددة لا يمكن أن نتجاوزها وأن نبتكر فيها أو نجدد في رحابها، بل ترك لنا مساحة كبيرة للابتكار ووضع لنا قاعدة ثابتة في السير على منهج الدين، بدون إفراط ولا تفريط، فالوسائل لها حكم الغايات، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]، والحكمة: هي وضع الشيء المناسب في المكان، والزمان، والشخص المناسب، وهذا يتحقق مع مواقع التواصل الاجتماعي(٢).

---

(١) موقع شبكة الألوكة دور شبكات التواصل الاجتماعي في نشر الإسلام في أمريكا اللاتينية رابط الموضوع http: //www.alukah.net/world muslims/0/93065/#ixzz45U7nlg8H

(٢) آل الشيخ، هشام بن عبد الملك، الدعوة إلى الله عبر مواقع التواصل الاجتماعي، مدونته =

١٥ ـ تعليم اللغة العربية:

إن لِلُّغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة، فهي الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، فتُقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة. واللغة هي الترسانة التي تحمي الأمة وتحفظ هويتها وكيانها ووجودها، وتحميها من الضياع والذوبان في الحضارات والأمم الأخرى.

واللغة العربية من اللغات الحيّة، فهي لغة القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة، لها سلطانها على النفوس، وقوّة تأثيرها على الأفكار، وسِحْر بيانها على العقول.

وتأتي أهمية اللغة العربية في مجال التعريف بالإسلام في مقدمة الوسائل لارتباط هذا اللسان العربي بملة الحنيفية دين الإسلام، ولا غرو فقد كانت خاتمة رسالات السماء إلى الأرض تفصح بلسانٍ عربيٍّ مبين، وقد كانت هذه الرسالة هي الدين الذي أراد الله سبحانه ظهوره وهيمنته في الأرض على سائر الملل والأديان الأخرى، بل حذّر الله البشرية من العبودية بسواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فكان ـ كما هو معلوم ـ أن نزل القرآن بلغة العرب وبعث الله خاتم رسله وهو عربي الجنس واللسان، وأوحى إليه من وحيه ما هو مماثل للقرآن من السُّنَّة، وكان من ذلك الأصلان العظيمان لهذا الدين، أعني القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وكلاهما بلسان العرب ولغتهم، فكان من ذلك الأصل والمرجع والقاعدة التي يُعَوَّل عليها في فهم هذا الدين في أصوله وأحكامه، وعلم أسراره وجزئياته، وبخاصة عندما تضطرب المفاهيم وتقع الخلافات في شيءٍ ممَّا يتعلق بعلوم هذا الدين وأحكامه، فالأصل موجود ولا مجال لبقاء النزاع، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ. . .﴾ [النساء: ٨٣]، ولا مراء أن بقاء هذا الدين متوقف على بقاء حياة هذين المصدرين الأساسيين، وذهابه حاصل بفقدهما، ومن هنا يمكن القول:

١ ـ إنّ أي محاولة للقضاء على اللغة العربية أو النيل منها، على أيّ وجهٍ

= الفقهية من خلال تصفح الرابط التالي: http: //fiqh.islammessage.com/ NewsDetails.aspx?id = 5934

من أوجه النيل المتعددة، سواء ما استتر تحت وجه الإصلاح، أو تظاهر بادعاء التطوير، أو التفجير اللغوي، أو الدعوة إلى العامية كما حدث في عصرنا الحاضر أو غير ذلك، كل ذلك سيصل في آخر الأمر إلى مس هذين المصدرين، ومن ثمّ القضاء عليهما أو مسخهما وتحريفهما عن الحقيقة التي جاءا عليها، وهذا هو القضاء المبرم والهدم الحقيقي لإزالة هذا الدين من الوجود والتخطيط لاقتلاع جذوره أو قلب حقائقه.

٢ ـ إنّ معرفة حقيقة هذا الدين والإلمام بأصوله وفروعه والوقوف على أحكامه لا تكون دقيقة وصائبة إلا بالوقوف على أصول هذا الدين في لغتها الأصلية، والتي جاء بها النبي الأمين ﷺ فكما هو معلوم لأهل اللغة أن الترجمة لأي عمل إبداعي وحتى غير الإبداعي تنقص وتعجز كثيراً عن الوفاء الكامل بما يحمله الأصل من دقة في أفكاره وأساليبه وإيماءاته، فكذلك الحالة هنا، مع العلم أن القرآن لم يترجم إلا معانيه كما يرى ذلك علماء الإسلام، ولا يغيب عن البال أن هذين المصدرين في الذروة العليا من الفصاحة والبيان، وقمة الإبداع اللغوي.

ومن هنا، من هذا الإبداع اللغوي العظيم لهذين المصدرين يتضح لنا القصور العظيم في أي ترجمة لمعانيهما أو لهما إلى لغاتٍ أخرى عن الوفاء بدلالات لغتهما العربية، وذلك، بلا ريب مدعاة إلى تحريف هذين الأصلين أو الوقوع في ذلك على أقل تقدير، وتحريف الترجمة والفهم هنا هو تحريف لحكم شرعيٍّ أو استنباطٍ فقهي، ممَّا قد لا يكون هو الحكم الشرعي الصائب، أو ما جاءت به الشريعة المطهرة، وهذا كله من نتائج الترجمة المباشرة لأي من هذين المصدرين.

وأما اعتماد هذه الترجمة لهذين الأصلين عند وجودها لتقوم مقام أصلهما ومن ثم الركون إليها في استنباط أحكام الشرع والاجتهاد في استخراج الأحكام، فهنا تكون النتائج أشد خطراً وأبعد كثيراً عن مراد الشارع وما جاء به الدين، وبذا يظهر لنا جليّاً ما ذهب إليه علماء الأمة الإسلامية ـ رحمهم الله ـ من سداد الرأي وصائب الحكمة عندما وضعوا شرط الإلمام الواسع والفهم الدقيق للغة العربية من

ضمن الشروط التي لا بد من توفرها في المجتهد، والذي قد بلغ درجة عالية في علوم الشريعة وفهم دقائقها وجزئياتها، حتى يستخرج للمسائل التي لم يقف على جوابٍ لها ما يهديه اجتهاده إليه[(١)]، ولا يذهب الفهم بالقارئ هنا إلى أن المقصود رفض الترجمة أو جهل قدرها وفائدتها، وما تدعو إليه الضرورة منها، أو أن الإسلام لا يُقبل ممن لا ينطق اللسان العربي، فهذا لا يعتقده مسلم، ولكن ما أريده هو التذكير ببعض مزالق الترجمة، وعمق الطعنة التي تصيب الأمة ودينها من جراء ذلك.

وثمة أمر آخر لا يمكن تجاهله حول أهمية اللغة العربية وهو أن تكون العربية لغة الثقافة الدينية للأمة الإسلامية، فهي بذلك اللسان الذي يصح اجتماعهم عليه، بعدما اجتمعوا على دينٍ واحد، ولا غرو أن ذيوع اللغة العربية في الأمة الإسلامية كبير ويبشر بالمزيد، بل إنه كان لسان كثير من الأمم الإسلامية قبل أن تحيق بها مؤامرات أعداء الإسلام، والتي فرقت بين هذه الأمم في اللغة والثقافة حتى تصل إلى تفريق دين هذه الأمم، ومتى تحقق انتشار اللسان العربي بدرجة أكبر في الأمة الإسلامية كان من أعظم العناصر وآكد الدعائم التي تحيا بها الوحدة الإسلامية وتزدهر، وتتذلل في سبيلها كثير من العقبات والعراقيل التي منيت بها الأُمَّة الإسلامية.

إن اللغة ذات دلالة وسمة للأمة الناطقة بها، بل: (إن لغة الأمة دليل نفسيتها وصور عقليتها، بل هي أسارير الوجه في كيانها الاجتماعي الحاضر، وفي تطورها التاريخي الغابر؛ لأن وراء كل لفظة في المعجم معنى شعرت به الأمة شعوراً عامّاً، دعاها إلى الإعراب عنه بلفظٍ خاص، فوقع ذلك اللفظ في نفوس جمهورها موقع الرضى، وكان بذلك من أهل الحياة، وما معجم اللغة إلا مجموعة من المعاني التي احتاجت الأمة إلى التعبير عنها، فاختارت لكل معنى لفظاً يدل على الجهة التي نظرت الأمة منها إلى ذلك المعنى عندما سمته باللفظ الذي اصطلحت عليه، فلغة الأمة تتضمن تاريخ أساليب التفكير عندها من أبسط حالاته إلى أرقاها، يعلم ذلك البصير في أبنية اللغة وتلازمها ومن له ذوق دقيق

---

(١) أبو زهرة، «أصول الفقه»، د. ط، ص٣٠٢.

في ترتيب تسلسلها الاشتقاقي)[١].

وتعد اللغة العربية إحدى اللغات العالمية ذات الحضور اللافت والمتميز على المشهد الدولي بكافة تجلياته الثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية والتواصلية، ويزداد حضور العربية وانتشارها وتوسع الإقبال على تعلمها عالميّاً عامّاً بعد آخر نتيجة جملة من العوامل المتعددة والتي يتداخل فيها الذاتي بالموضوعي؛ فمن العوامل الذاتية ما يتصل برغبة كثير من المهتمين والمثقفين غير العرب في تعلم العربية للإشباع العلمي والمعرفي والاطلاع على الثقافة العربية وفكرها وتراثها المتنوع والمتعدد، وأما العوامل الموضوعية فتبدو واضحة في العولمة الثقافية والسياسية والفكرية واللغوية والتي أصبح تعلم اللغات إحدى السمات الرئيسة لجيل اليوم، وأحد الشروط المهمة للعيش المشترك وبناء صيغ متعددة للتفاهم والحوار بين مختلف الشعوب والحضارات؛ سعياً لفهم أفضل لعالم اليوم الموسوم بصفة الغنى والتنوع والتقارب والتعددية الفكرية والثقافية؛ باعتبار اللغة الوسيلة الأرقى للاتصال والحوار.

استخدام اللغة العربية في التعريف بالإسلام:

١ ـ يمكن من خلال تعليم القرآن والاستماع له، فله أثر عظيم حيث إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري... فله سلطاناً عجيباً على القلوب حتى إنه ليؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا، وقد رأيت نماذج كثيرة لغير المسلمين تأثروا بمجرد سماع القرآن دون فهم لمعناه، يقول عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلَّموا العربيةَ؛ فإنها من دينِكم، وتعلَّموا الفرائضَ؛ فإنها من دينكم»[٢]. وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «أمَّا بعد، فتفقهوا في السُّنَّةِ، وتفقهوا في العربية، وأَعْرِبُوا القرآنَ فإنه عربي»[٣]، وفي توجيهِ عمر هذا أمران:

(١) «مجلة الزهراء المجلد الأول»، سنة ١٣٤٣، ص٦٦.
(٢) الأنباري، «إيضاح الوقف والابتداء»، د. ط، ١/ ٣١.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إعراب القرآن، ٦/ ١١٦، حديث رقم (٢٩٩١٤).

الأول: الدعوةُ إلى فقهِ العربية.

والثاني: الدعوةُ إلى فقهِ الشَّريعة.

وبيَّن شيخُ الإسلام ابن تيمية سببَ قول عمر: «تفقهوا في السُّنَّةِ، وتفقهوا في العربية»؛ حيث قال: «لأنَّ الدِّينَ فيه فقهُ أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريقُ إلى فقه الأقوال، وفقه الشريعة هو الطريقُ إلى فقه الأعمال»(١). وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «ما كنتُ أدري ما معنى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، حتى سمعتُ امرأةً من العربِ تقول: أنا فطرتُه؛ أي: ابتدأته»(٢)، وقال: «إذا خَفِيَ عليكم شيءٌ من القرآنِ، فابتغوه في الشِّعرِ؛ فإنَّه ديوانُ العرب»(٣).

٢ ـ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وذلك من خلال إعداد المناهج التي تدرس للمتعلمين بطريقةٍ محكمةٍ تتضمن معلومات ومعارف عن الإسلام بحيث ينتهي من المقرر وقد عرف الإسلام بأخلاقه وأحكامه وقد عرف نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام والقرآن وغيرها ممَّا يحسن أن يتعلمه، وقد نشط هذا الأسلوب ولله الحمد وكان له أثره الفعال.

٣ ـ من خلال سماع الكلام العربي ومنه الأناشيد المعبرة عن جمال الإسلام وقيمه فللصوت تأثيره في أذن المتلقي بل إن بعض الأعاجم استحوذ عليهم الصوت العربي فلا يكاد يترك الاستماع إليها.

٤ ـ تقديم محتوى مشوق مرئي أو مسموع أو مكتوب من خلال المواد المختلفة.

٥ ـ إنشاء مراكز تجارية متخصصة في تعليم اللغة العربية.

٦ ـ تأهيل معلمي اللغة العربية بحيث يصبحون قادرين على إيصال رسالة الإسلام لغير المسلمين خاصة في تلك البلاد التي تمنع نشر الإسلام فيها كالصين وغيرها.

---

(١) ابن تيمية، «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، ط٧، ١/٤٢٥.

(٢) ابن حزم، «الإحكام في أصول القرآن»، د. ط، ١/١٧، والآمدي، «الإحكام في أصول الأحكام»، د. ط، ١/٥١.

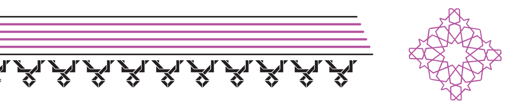
(٣) الألوسي، «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، ط١، ٢١/١٩٢.

٧ ـ تعليم الخط العربي بحيث يمكن كتابة عبارات ذات دلالة مباشرة في التعريف بالإسلام.

٨ ـ تبادل الرسائل العربية عبر الوسائل الحديثة مع غير العرب وخاصة غير المسلمين، وهذه وسيلة ناجحة في الصين مثلاً.

والوسائل كثيرة وإنما تحتاج إلى من يفطن لذلك ويوفقه الله إلى استعمالها.




المبحث الثالث

صفات المعرف

إن العلاقة بين مهمَّة الداعية المعرف بالإسلام وصفاته يجب أن تكون واضحة ومحددة حيث أن كل مهمة ـ بحسب طبيعتها ـ تقتضي للنجاح فيها، أن يكون القائم بها متَّصفاً بمواصفات، أو مؤهَّلاً بمؤهِّلات تمكِّنه من القيام بها على أكمل وجه. فالعلاقة وطيدة بين المهمَّة المنوطة به ونوعية الصفات والمهارات والمؤهلات التي يجب أن تتوفر فيه.

ولذلك فقد يصلح شخص ما للقيام بمهمَّة معينة، ولا يصلح لمهمَّة أخرى؛ وقد ينجح في مهمة تربوية تعليمية، ولا ينجح في مهمة إدارية.

ومن النصوص القرآنية التي نؤصل بها للعلاقة بين المهمة والمؤهلات، تلك الآيات من سورة البقرة، والتي نقلت لنا النقاش الذي دار بين ملأٍ من بني إسرائيل من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ونبيٍّ بعثه الله إليهم؛ حيث طلبوا منه أن يجعل عليهم مَلِكاً، يقودهم في قتالهم ضد أعدائهم، فأخبرهم أن الله عَزَّ وَجَلَّ اختار لهم طالوت ملكاً، فتعجبوا من تعيينه ملكاً عليهم، رغم أنه لا يملك المؤهلات لهذا المنصب الخطير في نظرهم، والتي تتمثل ـ أساساً ـ في أن يكون من أكثرهم ثروة ومالاً، فأخبرهم نبيُّهم أن المهمة المنوطة به تقتضي مؤهلات ذات صلة بنوع المهمة؛ فالقائد العسكري يُشتَرط فيه أن تكون له دراية بفنون القتال، وقدرات بدنية كبيرة، واتِّصاف ببعض الصفات اللازمة لهذه المهمة، ولا علاقة للنجاح في هذه المهمة بكونه غنيّاً أو فقيراً.

وقد سجل القرآن الكريم لنا هذا النقاش في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا

مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦، ٢٤٧]. وإلى هذه العلاقة بين المهمة، وما تقتضيه من مواصفات ومؤهلات، أشار يوسف عليه السلام حين طلب من الملك أن يولِّيه خزائن الأرض، فركَّز على صفتين أساسيتين لا بد منهما للنجاح في القيام بهذه المهمة، وهما: الأمانة والعلم، ذكرهما القرآن على لسانه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥].

ولقد حرصت على بيان هذا المعنى، وإيراد الشواهد عليه، رغم ما يبدو للناظر لأول وهلة أنه واضح لا يحتاج إلى بيان واستدلال، بسبب ما يلاحظه الدارس لكتب فقه الدعوة عند طَرْقها لموضوع صفات الداعية، من غفلةٍ عن العلاقة الموجودة بين صفات الداعية والمهمة التي هو مكلَّفٌ بها، واكتفاء بسرد مجموعة كبيرة من الصفات تمثِّل صفات المؤمنين عامة وليست صفات خاصةً يتميَّز بها رجل الدعوة؛ حيث نجدهم يسهبون في الحديث عن صفاتٍ مثل: العلم، الإخلاص، الصبر... وغيرها من الصفات التي يُكتفى في الغالب بتناولها تناولاً عاماً، بعيداً عن ربطها بمهام محدَّدة يقوم بها رجل الدعوة.

كما حرصت على بيان هذا الأمر؛ لما يلاحظه المتابع لواقع العمل الدعوي، من عدم مراعاة بعض الدعاة للمؤهلات التي تقتضيها بعض المهام التي يتقدمون إليها، واعتقادهم أن نجاح الواحد منهم في ميدان الخطابة، أو كسبَه لقدرة التأثير بكلامه، تجعله مؤهَّلاً للنجاح في ميادين أخرى للعمل الدعوي.

وفي تقديري أن التناول السليم لموضوع صفات الداعية ينبغي أن يُستحضَر فيه المهمة الدقيقة للداعية، والربط المحكم بين هذه المهمة وما تقتضيه من صفاتٍ ومؤهلات.

والمعلوم أن مهمة الداعية تتمثل في القيام بوظائف ثلاث: البلاغ،

والتزكية، والتنفيذ. وكلُّ وظيفة من هذه الوظائف تحتاج إلى نوعٍ خاصٍّ من الكفاءات أو المؤهلات أو الصفات، يَبْعُد أن تتوفر في شخصٍ واحدٍ مهما كانت قدراته ومهاراته باستثناء الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بل إنَّ من الأنبياء عليهم السلام من كان يرى عدم امتلاكه بعض المؤهلات التي تقتضيها وظيفة من وظائف دعوته، فسأل الله أن يعينه بمن يملك مؤهلات قوية ذات صلة بتلك الوظيفة؛ فهذا موسى عليه السلام يسأل ربه أن يشدَّ أزره بأخيه هارون لما يمتلكه من قدرةٍ عاليةٍ على البيان يرى عليه السلام أنه لا يمتلكها، كما يدل على ذلك قوله تعالى على لسانه: ﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص].

قد يقول القائل: ألم يكن هارون عليه السلام أوْلى من موسى عليه السلام بالرسالة باعتبار فصاحته وبيانه؟

والجواب: إن الوظيفة الأساسية التي اصطُفي موسى عليه السلام للقيام بها، والمتمثِّلة في إنقاذ بني إسرائيل وقيادتهم، كانت تقتضي مواصفات تتجاوز حدود القدرة على البيان، ويمكن أن نفهم ذلك بالتأمُّل في عدم استطاعة هارون عليه السلام التحكُّم في بني إسرائيل عند ذهاب موسى إلى لقاء ربه، وتمكُّن السامري من إضلالهم.

وفي موقفٍ آخر يسعى موسى عليه الصلاة والسلام إلى (الرجل الصالح) الذي آتاه الله من لدنه علماً؛ ليكتسب نوعاً من العلم والنظر كان في أمسِّ الحاجة إليه للنجاح في دعوته، فبحث عنه حتى وصل إليه، وقَبِل أن يضع نفسه منه ـ وهو النبي المصطفى من الله عز وجل ـ موضع التلميذ من أستاذه، ويقبل جميع شروطه ليقبل الرجل الصالح تتلمُذَه على يديه، كما يؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف: ٦٦].

ونستطيع أن نستشف من الآيات التي سجلت لنا مواقف موسى عليه السلام مع هذا الرجل الصالح أن على الداعية العناية بعلم النظر في تقدير الأعمال إلى المآلات التي تؤول إليها الأمور، وعدم الاكتفاء بالنظر إلى معطيات الحاضر.

وفي تربية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وفي إفادتهم من مهاراتهم في خدمة

الدعوة والمجتمع، ما ينبِّهنا إلى مراعاته ﷺ لما تقتضيه المهام المختلفة من مؤهلات؛ فكان في كل موقف، وإزاء كل مهمة يقدِّم من أصحابه مَنْ يمتلك المؤهلات المناسبة لتلك المهمة.

وكمثال على ذلك يمكن أن نذكر تقديمه لخالد بن الوليد ـ وهو ممن تأخَّر إسلامهم ـ في قيادة جيش المسلمين، بسبب حنكته ومهاراته القتالية، ورفضه تولية أبي ذر ـ وهو من السابقين الأولين ـ الإمارة، مع طلبه لها، وقوله له ﷺ بكل صراحة وصدق: «**يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة**»(١).

وخلاصة ما أريد قوله:

إن صفات الداعية ومؤهلاته لا يمكن أن تُتَناول كموضوع نظري، بعيداً عن الوظائف التي يُطلَب من الداعية القيام بها؛ فللدعوة في كلِّ وظيفة من وظائفها الثلاث مؤهلات ينبغي أن تتوفر في المتقدم للقيام بها:

فلوظيفة البلاغ حين تكون خطابة، من مؤهلاتها: حدّ أدنى من المعارف الشرعية والعامة، وفصاحةٍ، وبيانٍ، وحين تكون عملاً إعلامياً أيضاً لها مواصفات فنية أخرى لازمة للنجاح في هذا الميدان.

وللتربية ـ كوظيفة ثانية من وظائف الدعوة ـ مؤهلاتها الخاصة؛ معرفية كانت أم روحية أم نفسية وأخلاقية.

كما أن وظيفة التنفيذ في ميادينها الكثيرة تتطلب مؤهلات مناسبة لهذه الوظيفة ولتلك الميادين.

وحين ننظر إلى موضوع صفات الداعية من هذه الزاوية، فإننا سنتنبَّه إلى صفات أساسية مهمة، يغفل عنها كثير ممن كتبوا في الموضوع؛ لأن تصورهم للدعوة لم يتجاوز حدود مهمة البلاغ(٢).

وقد يعتقد بعض المهتمين بشؤون الدعوة الإسلامية أنه يكفي الداعية معرفة بأحكام الدين الإسلامي ليكون ناجحاً في نشر الإسلام وتعريف الناس به

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ٣/ ١٤٥٧، حديث رقم (١٨٢٥).

(٢) سكحال، نور الدين، مجلة البيان العدد [٢٧٤]، ص٢٧.

وترغيبهم للدخول فيه، غير أنه بالتأمل والتحليل يظهر قصور هذا الاعتقاد ومجانبته للصواب إلى حدٍّ كبير. ذلك أنه بتحديد عمل الداعية يتضح أن هناك أبعاداً متداخلة في مسار الدعوة تتناول جوانب فكرية وشخصية واجتماعية وسلوكية ممَّا يتطلب إعداداً معيناً، ومعارف ضرورية لازمة ليكون الداعية متمكناً من دوره(١).

ومقوّمات الداعية الناجح متعددة وكثيرة؛ ولكني سأقتصر على ذكر أهم الصفات والمهارات اللازمة لنجاح الدعاة المعرفين بالإسلام، والتي بدونها لا يتحقق غالباً النجاح المرجو لهم في دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام:

أولاً: العلم الشرعي:

العلم من أعظم المقوّمات للداعية الناجح، وهو من أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وقد بوَّب الإمام البخاري رحمه الله تعالى لهذه الآية بقوله: باب: العلم قبل القول والعمل(٢).

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، فدلّ ذلك على أن مرتبة العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل(٣).

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيماً حكيماً إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه

---

(١) الطيوبي، «المعارف اللازمة للداعية»، مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد [٥]، ١٩٨٨م، طرابلس، ليبيا، ص٧٨.

(٢) البخاري، «صحيح البخاري»، ط١، ١/ ٢٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١/ ١٦٠، ابن قاسم، «حاشية ثلاثة الأصول»، ط٢، ص١٥.

على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح.

قال ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكان منها أجادِبُ أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان: لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فَقُهَ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلت به**»(١).

وهذا يدل على أهمية العلم للدعاة إلى الله تعالى، وأنه من أهم المهمات، وأعظم الواجبات؛ ليدعوا الناس على بصيرة.

فيجب أن يكون الداعية على بيّنة في دعوته؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨]، والعلم الصحيح مرتكز على كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ؛ لأن كل علم يتلقَّى من غيرهما يجب أن يعرض عليهما، فإن وافق ما فيهما قُبل، وإن كان مخالفاً وجب ردّه على قائله كائناً من كان(٢).

والعلم الشرعي للدعاة المعرِّفين بالإسلام أساسٌ لا بد منه حتى يجد الناس عندهم إجابة التساؤلات، وحلول المشكلات إضافةً إلى ذلك هو العدَّة التي بها يعلِّم الداعيةُ الناس أحكام الشرع، ويبصّرهم بحقائق الواقع، وبه أيضاً يكون الداعية قادراً على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقناً في العرض، ومبدعاً في التوعية والتوجيه.

«وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها فهي لا تحصل إلَّا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم، ١/٢٧، حديث رقم (٧٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم، ٤/١٧٨٧، حديث رقم (٢٢٨٢).

(٢) القحطاني، «الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، د. ط، ص٥٨.

العلم على حد يصل إليه السعي»[(١)].

والخوض في غمار الدعوة وميادينها فيما لا علم للداعي به، تترتب عليه آثار وخيمة لأن «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر ممَّا يصلح»[(٢)]، «ولا يكون عمله صالحاً إن لم يكن بعلمٍ وفِقْه، وكما قال عمر بن عبد العزيز: «من عبَد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر ممَّا يصلح»[(٣)]، وكما في حديث معاذ بن جبل ﵁: «العلم إمام العمل والعمل تابعه»[(٤)]، وهذا ظاهر فإن القصد العمل، والعمل إن لم يكن بعلمٍ كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى»[(٥)].

وطبيعة مهمة المعرِّف بالإسلام خطيرة ونظرة الناس إليه، واعتدادهم به، وأخذهم عنه يجعل أمر العلم «أشد ضرورة للداعي إلى الله لأن ما يقوم به من الدين، ومنسوبٌ إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرةٍ وعلمٍ بما يدعو إليه، وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب اللازم له كان جاهلاً بما يريده ووقع في الخبط والخلط، والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف لجهله بما أحلّه الشرع وأوجبه وبما منعه وحرَّمه»[(٦)]، ومن أكثر الأمور التي يفتن بها عوام الناس التصرف الخاطئ الذي يصدر من بعض الجهلاء من أهل العبادة والصلاح لأن «الناس يحسنون الظن به لعبادته وصلاحه فيقتدون به على جهله»[(٧)]، فهذا يقتدون به من أثر حاله، فكيف بالداعية الذي يوجههم بحاله ومقاله، إن افتتانهم به أكبر وأشد.

(١) ابن القيم، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، د. ط، ١/ ١٥٤.
(٢) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، ١/ ١٣٠.
(٣) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، ١/ ٨٢.
(٤) ابن تيمية، «الإستقامة»، ط١، ٢/ ٢٣٠.
(٥) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ٢٨/ ١٣٥ ـ ١٣٦.
(٦) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ص٣٢٦.
(٧) ابن القيم، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»، د. ط، ٢/ ١٢.

ثانياً: الاستقامة:

الاستقامة كلمة جامعة تشمل الدين كله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤]، وقال تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك ـ وفي حديث أبي أسامة غيرك ـ قال: «**قل: آمنت بالله، فاستقم**»(١).

والمطلوب من العبد المسلم وخاصة الدعاة إلى الله والمعرِّفين بالإسلام على وجه الخصوص: الاستقامة، وهي السداد؛ فإن لم يقدر فالمقاربة، فإن نزل عن المقاربة فلم يبق إلا التفريط والضياع.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سدِّدوا وقارِبوا، واعلموا أنه لن ينجوَ أحدٌ منكم بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلّا أن يتغمدنيَ الله برحمةٍ منه وفضلٍ**»(٢).

فجمع هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي: السداد والإصابة في النيات، والأقوال، والأعمال، وعلم النبي ﷺ أنهم لا يطيقون الاستقامة، فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقرب الإنسان من الاستقامة بحسب طاقته؛ كالذي يرمي إلى الهدف، فإن لم يصبه يقاربه، ومع هذا أخبرهم ﷺ أن الاستقامة والمقاربة لا تُنجي يوم القيامة، فلا يعتمد أحدٌ على عمله، ولا يُعجب

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ١/ ٦٥، حديث رقم (٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله، ٤/ ٢١٧٠، حديث رقم (٢٨١٦).

به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله، وعفوه، وفضله، فالاستقامة: كلمة آخذة بمجامع الدين كله، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات[(١)].

والمعرِّف بالإسلام يجب أن يكون من أعظم الناس استقامة، وبهذا لا يُخيِّب الله سعيه، ويجعل الحكمة على لسانه، وفي أفعاله، وتصرفاته، وهو تعالى ذو الفضل والإحسان[(٢)].

وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة، وبذلك يُقبل قول الداعية، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

إنّ كلمة الدعوة حينئذٍ هي أحسن كلمة تقال في الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدّق الدعوة، ومع الاستسلام الكامل لله وحده، والاعتزاز بالإسلام.

وبهذا يُعلم أن هذه الآية اشتملت على ثلاثة شروط حتى يكون الداعية لا أحد أحكم ولا أحسن قولاً منه في الدنيا أبداً:

الشرط الأول: دعوته إلى الله ـ تعالى ـ بأن يُعبد الله وحده، فَيُطاع فلا يُعصى، ويُذكرَ فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

الشرط الثاني: عمل الداعية الصالحات.

الشرط الثالث: اعتزاز الداعية بالإسلام وانقياده لأمره شكراً لربه؛ ولأنه على الحق الواضح المبين، فإذا قام الداعية بهذه الشروط الثلاثة، فلا أحد أحسن قولاً منه.

---

(١) القحطاني، «الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، د. ط، ص٨٢.
(٢) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين»، ط٣، ٢/ ١٠٥، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ١٥/ ٣٥٧.

ثالثاً: الحكمة:

جاءت كلمة الحكمة في اللغة بعدة معانٍ، منها: العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل. وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد(١).

ومنها الحكمة وهي: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويُقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويُتقنها: حكيم(٢). والحكيم: المتقن للأمور، يقال للرجل إذا كان حكيماً: قد أحكمته التجارب(٣).

والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل(٤).

ومما تقدّم يتّضح ويتبيّن أن الحكمة يظهر فيها معنى المنع، فقد استعملت في عدة معانٍ تتضمن معنى المنع:

فالعدل: يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم.

والحِلْمُ: يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب.

والعلم: يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل.

ومن فسّر الحكمة بالمعرفة فهو مبنيٌّ على أن المعرفة الصحيحة فيها معنى المنع، والتحديد، والفصل بين الأشياء، وكذلك الإتقان، فيه منع للشيء المتقن من تطرق الخلل والفساد إليه، وفي هذا المعنى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذي به يتحقق الشيء ويحصل إتقانه؛ ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء معناه لا جميع معناه»(٥).

والحكمة في الاصطلاح الشرعي:

---

(١) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص١٤١٥، وابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٢/ ١٤٣، والرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص٦٢.

(٢) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ١/ ١١٩، وانظر: «لسان العرب»، ١٢/ ١٤٠، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/ ١٩٠.

(٣) ابن منظور، «لسان العرب»، ١٢/ ١٤٣، «مختار الصحاح»، ص٦٢.

(٤) الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، ط١، ص١٢٧.

(٥) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ١٣/ ٢٧٤.

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، واختلفوا على أقوالٍ كثيرة، فقيل: الحكمة: النبوة، وقيل: القرآن والفقه به، وقيل: العلم النافع، والعمل الصالح، وقيل: الخشية لله، وقيل: العلم والعمل به، ولا يُسمَّى الرجل حكيماً إلا إذا جمع بينهما، وقيل: وضع كل شيء في موضعه [بإحكامٍ، وإتقانٍ]، وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة[(١)] وغيرها من الأقوال المذكورة في تعريفها.

فجميع الأقوال تدخل في هذا التعريف؛ لأن الحكمة مأخوذة من الحكم وفصل القضاء الذي هو بمعنى الفصل بين الحق والباطل، يقال: إن فلاناً لحكيم بيِّن الحكمة؛ يعني: أنه لبيّن الإصابة في القول والفعل، فجميع التعاريف داخلة في هذا القول؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها، وعلم، ومعرفة، والمصيب عن فهم منه بمواضع الصواب يكون في جميع أموره: فهِماً، خاشياً لله، فقيهاً، عالماً، عاملاً بعلمه، ورعاً في دينه... والحكمة أعمّ من النبوة، والنبوة بعض معانيها وأعلى أقسامها؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مُسدَّدون، مُفهَّمون، ومُوفَّقون لإصابة الصواب في الأقوال، والأفعال، والاعتقادات، وفي جميع الأمور[(٢)].

وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولاً في تعريف الحكمة[(٣)].

«وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام، وهو الإتقان في قولٍ أو فعل، فكل ما ذكر فهو نوعٌ من الحكمة التي هي الجنس، فكتاب الله حكمة، وسُنَّة نبيه ﷺ حكمة، وكل ما ذكر من التفصيل فهو حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السَّفَه، فقيل للعلم حكمة؛ لأنه يمتنع به من السفه، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كلُّ فعلٍ قبيح...»[(٤)].

وعند التأمل والنظر نجد أن التعريف الشامل الذي يجمع ويضمّ جميع هذا

(١) التعريف بالتفصيل: القحطاني، «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى»، ط١، ص٢٦ ـ ٣١.
(٢) الطبري، «جامع البيان في تأويل القرآن»، ط١، ١/ ٤٣٦ ـ ٣/ ٦١.
(٣) أبو حيان، «البحر المحيط في التفسير»، د. ط، ٢/ ٣٢٠.
(٤) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ٣/ ٣٣٠.

الأقوال في تعريف الحكمة هو: «الإصابة في الأقوال والأفعال، والإرادات، والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه».

وقد بيّن القرآن الكريم طرق الدعوة إلى الله تعالى، ويأتي في مقدمة هذه الطرق: الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ، وقد أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن تتبّع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله ﷻ، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى، ثم بفضل هذا النبي الحكيم ﷺ الذي ملأ الله قلبه بالإيمان والحكمة، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يُحدّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**فُرِجَ سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل فَفرجَ صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطستٍ**(١) **من ذهب ممتلئٍ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي..**» الحديث(٢).

وهذا يُثبِتُ أن الحكمة من أعظم الأمور الأساسية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، حيث امتلأ بها صدر رسول الله ﷺ وهو صاحب الدعوة، مع الإيمان، وهو قضية الدعوة في لحظةٍ واحدة، كما يؤكّد قيمة وأهمية الحكمة من خلال مجيئها يحملها جبريل وهو روح القدس، في طستٍ من ذهب، وهو أغلى المعادن، في مكة المكرمة، وهي البقعة المباركة؛ ليمتلأ بها صدر محمد رسول الله ﷺ وهو خير الخلق، بعد غسله بماء زمزم وهو أطهر الماء وأفضله.

كل هذا يؤكد أن أمر الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى عظيم، وشأنها كبير، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ثم سار أصحاب رسول الله ﷺ على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله

(١) إناء كبير مستدير مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/٥٥٧.
(٢) البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، ١/٧٨، حديث رقم (٣٤٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات وفرض الصلوات، ١/١٤٨، حديث رقم (١٦٣).

بالحكمة، فانتشر الإسلام في عهدهم ﷺ انتشاراً عظيماً، ودخل في الإسلام خلقٌ لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التابعون، وكمّلوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة، وهكذا سارت القرون الثلاثة المفضلة ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، فأظهر الله الإسلام وأهله، وأَذَلَّ الشرك وأهله وأعوانه.

ومن الناس من يظن أو يعتقد أن الحكمة تقتصر على الكلام اللين، والرفق، والعفو، والحلم.. فحسب، وهذا نقصٌ وقصورٌ ظاهر لمفهوم الحكمة؛ فإن الحكمة قد تكون:

باستخدام الرفق واللين، والحلم والعفو، مع بيان الحق علماً وعملاً واعتقاداً بالأدلة، وهذه المرتبة تستخدم لجميع الأذكياء من البشر الذين يقبلون الحق ولا يعاندون.

وتارةً تكون الحكمة باستخدام الموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل، وهذه المرتبة تستخدم مع القابل للحق المعترف به، ولكن عنده غفلة وشهوات، وأهواء تصدّه عن اتّباع الحق.

وتارةً تكون الحكمة باستخدام الجدال بالتي هي أحسن، بِحُسنِ خُلُقٍ، ولُطفٍ، ولين كلام، ودعوة إلى الحق، وتحسينه بالأدلة العقلية والنقلية، وردّ الباطل بأقرب طريق، وأنسب عبارة، وأن لا يكون القصد من ذلك مجرّد المجادلة والمغالبة وحبّ العلوّ، بل لا بدّ أن يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق، وهذه المرتبة تستخدم لكل معاند جاحد.

والمعرِّفون بالإسلام المبلغون لدين الله حينما يتّسمون بالحكمة في دعوتهم إلى الله تعالى فإنهم يُقدِّرون الأمور قدرها ويختارون الزمان والمكان المناسب للدعوة والعبارات المناسبة التي تفتح قلوب المستمعين إلى ما يسمعون والتي تجعلهم منجذبين إلى كلام المعرف بالإسلام عن الإسلام وسماحته ومحاسنه ومبادئه العظيمة.

إن الحكمة تجعل المعرِّف بالإسلام يتأمل ويراعي أحوال المدعوين وظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم، والوسائل التي يُؤتَون من قبلها، والقدر الذي يبيّن

لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم، ولا يشقّ بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع والتشويق في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، ويدعو إلى الله بالعلم لا بالجهل، ويبدأ بالمهم فالذي يليه، ويُعلِّم العامة ما يحتاجونه بألفاظ وعبارات قريبة من أفهامهم ومستوياتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، فالحكمة تجعل الداعية ينظر ببصيرة المؤمن، فيرى حاجة الناس فيعالجها بحسب ما يقتضيه الحال، وبذلك ينفذ إلى قلوب الناس من أوسع الأبواب، وتنشرح له صدورهم، ويرون فيه المنقذ الحريص على سعادتهم ورفاهيتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهذا كله من الدعوة إلى الله بالحكمة التي هي الطريق الوحيد للنجاح.

رابعاً: الرحمة:

الرحمة: الرّقّة والعطف والرّأفة، يقول ابن فارس: الرّاء والحاء والميم أصل واحد يدلّ على الرّقّة والعطف والرّأفة. ويقول الجوهريّ: الرّحمة: الرّقّة والتّعطّف(١).

وقال الجاحظ: الرّحمة خلق مركّب من الودّ والجزع، والرّحمة لا تكون إلّا لمن تظهر منه لراحمه خلّة مكروهة، فالرّحمة هي محبّة للمرحوم مع جزع من الحال الّتي من أجلها رحم(٢).

وقال الكفويّ: الرّحمة حالة وجدانيّة تعرض غالباً لمن به رقّة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النّفسانيّ الّذي هو مبدأ الإحسان(٣).

الإسلام هو دين الرحمة بالخَلق، والعطف عليهم، وحُسن رعايتهم ومداراتهم، والسعي في نفعهم، وجلب الخيرات لهم، ودفع المضرات عنهم.

والرحمة هي خُلُقُ هذا الدين، فلكل دين خلق، وخلق الإسلام الرحمة،

---

(١) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٢/ ٤٩٨، ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٦/ ٢٠٦١.

(٢) «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ٦/ ٢٠٦٢.

(٣) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٦/ ٢٠٦٢.

وقد كتبها الله على نفسه، وتَسمَّى بها، وقال ﷻ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢].

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فادخر عنده تسعاً وتسعين رحمة لعباده المؤمنين في الجنة، وأنزل رحمة واحدة في الدنيا، فبها يتراحم الخلائق فيما بينهم، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها**»(١).

وقال الله تعالى في وصف نبيه الله ﷺ وفي معرض الامتنان على الأمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الشيخ محمد بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: . . . واللين هنا مجاز في سعة الخلق مع أمة الدعوة والمسلمين، وفي الصفح عن جفاء المشركين، وإقالة العثرات(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: أُرسل محمد ﷺ مفطوراً على الرحمة؛ فكان لينُه رحمةً من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهلٍ وبرفقٍ وإعانة على تحصيلها؛ فلذلك جعل لينه مصاحباً لرحمةٍ من الله أودعها الله فيه؛ إذ هو قد بُعث للناس كافة، ولكن اختار الله أن تكون دعوته بين العرب أول شيء لحكمة أرادها الله تعالى في أن يكون العرب هُمْ مُبَلِّغَ الشريعة للعالم(٣).

والعرب أمة عُرِفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامة الفطرة، وسرعة الفهم.

وهم المتلقون الأولون للدين؛ فلم تكن تليق بهم الشدة والغلظة، ولكنهم

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، حديث رقم (٥٦٥٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم (٢٧٥٢).

(٢) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٤/ ١٤٥.

(٣) «التحرير والتنوير»، ٤/ ١٤٥.

محتاجون إلى الرحمة في تبليغ الشريعة لهم؛ ليتجنبوا بذلك المكابرةَ التي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحق.

وأن صفح النبي وعفوه ورحمته كان سبباً في دخول كثير في الإسلام.

وقال الله ﷻ مبيناً شمول الرحمة للعالمين بإرسال الرسول ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فجاءت هذه الآية مُؤَكِّدةً للرحمة بأسلوبٍ من أقوى أساليب التأكيد، ألا وهو أسلوب الحصر، وأداتُه هنا النفي والاستثناء؛ فدل ذلك على أن الرحمة عامة.

قال ابن القيِّم: وأصح القولين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أنه على عمومه، وفيه على هذا التقدير وجهان:

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته، أما أتباعه فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه المحاربون له فالذين عُجِّل قَتْلُهم وموتُهم خيرٌ لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادةٌ في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء؛ فتعجيلُ موتِهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرّاً بذلك العهدِ من المحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقنُ دمائهم وأموالِهم وأهلِهم واحترامُها، وجريانُ أحكامِ المسلمين عليهم من التوارث وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض؛ فأصاب كلَّ العالمين النفعُ برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكلِّ أحدٍ، لكنَّ المؤمنين قبلوا هذه الرحمة؛ فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها؛ فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة، لكن لم يقبلوها كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإن لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواءً لهذا المرض[1].

---

(١) ابن القيم، «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام»، ط٢، ص١٨١.

وقال الشيخ ابن عاشور في تفسير الآية: فجاءت هذه الآية مشتملة على وصفٍ جامعٍ لبعثة محمد.

ومزيَّتُها على سائر الشرائع مزيةٌ تناسبُ عمومَها ودوامها، وذلك كونُها رحمةً للعالمين.

إلى أن قال: وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: **الأول:** تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، **والثاني:** إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته[(١)].

فلا بد أن يكون الداعية المعرف بالإسلام رحيماً بالمدعوين؛ لأن حرصه عليهم ورأفته بهم ستكون سر نجاحه في دعوته، واستمراره فيها، وتذكره أن هؤلاء عرضة لأن يكبهم الله على وجوههم في النار، فهو يرحمهم، ويسعى للحيلولة بينهم وبين ذلك.

والرحمة تقتضي من الداعية ألا يخاطب الناس من منطلق الترفع والتعالي، بل يخاطبهم من واقع الحرص عليهم؛ لإنجائهم من عذاب الله.

وأن من أهم صفات الداعية الموفق، أنه رحيمٌ بالناس رفيقٌ بطباعهم، صبورٌ على جهلهم وإعراضهم، يتألف النفوس الناشزة، ويضمد الجراحَ الغائرة، بأرقِّ عبارة وألطف إشارة..

والرحمة سُنَّةُ الأنبياء والمرسلين، وسمتُ الهداة المصلحين وقد أرشد الله نبيه موسى وأخاه هارون ـ عليهما صلوات الله وسلامه ـ باستخدام الأسلوب الرحيم في دعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، وانظر كيف علَّمَ موسى من القول اللين أحسنَ ما يخاطَبُ به طاغيةٌ متجبرٌ فقال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، وانظر إلى الخطاب الدعوي الرقيق الذي وجَّهه خليلُ الرحمٰنِ إبراهيمُ عليه السلام إلى أبيه المشرك: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٧/١٦٦ ـ ١٦٧.

﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٢ ـ ٤٥].

خامساً: الصدق:

الصدق: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم، وهو ضد الكذب(١)، وقيل: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً(٢)، وقيل: الصدق حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه(٣).

ولا يخفى ما للصدق من فضلٍ عظيم، وثوابٍ جزيل، ومقامٍ كريم، ومما يدلّ على فضل الصدق، وسموّ منزلته، وعلوّ مكانه أنه من خصائص أهل الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فمن اتصف بهذه الصفات العظام وكانت لباسه وحليته فقد فاز. نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ولقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين ويلازموا الصدق في كل الأحوال فهو سبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

ومما يدل على فضل الصدق والصادقين سوء مصير الكذابين وبوارهم، وأن الكذب من علامات النفاق والعياذ بالله تعالى، وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد**

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/٥١١، وأبو حبيب، «القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً»، ط٢، ص٢٠٩.
(٢) الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، ط١، ص٤٧٨.
(٣) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/٢٦٨.

أخلف، وإذا ائتمن خان»[(١)]، وفي رواية: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها...**» فذكر الكذب[(٢)].

والصدق طريق البر والجنة على عكس الكذب الذي هو طريق الفجور والنار والعياذ بالله، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صدّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً**»[(٣)].

والصدق يكون في القصد بمعنى خلوص النية وصدق العزيمة وثبات الإرادة، ويستلزم إخلاص النية لله ﷻ في الدعوة وفي كل طاعة وقربة، فلا يدعو لطلب جاه ولا محمدة ولا وجاهة، ومتى دخل شيء من هذه الشوائب النية خرج الإخلاص المشروط لقبول العمل، ومتى حصل الصدق في القصد وتحقق الإخلاص أثمر ذلك عزيمة صادقة وإرادة ماضية، فلا يتوانى الداعي الصادق عن المضي في إيصال الحق والخير للناس يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، يتعلَّم ويعلِّم، ويتوخّى الحق والصدق أينما كان.

ويكون الصدق في القول بالأخذ بالحق ونبذ الباطل واللغو واللهو المحرم، والصدق في القول: يستلزم أن لا ينطق الداعي بالباطل أياً كانت صورة هذا الباطل: كذباً، أو شتماً، أو سباباً، أو لعناً، أو فحشاً، أو غيبةً، أو نميمةً، أو

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ١/١٦، حديث رقم (٣٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ١/٧٨، حديث رقم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ١/١٦، حديث رقم (٣٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ١/٧٨، حديث رقم (٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ٨/٢٥، حديث رقم (٦٠٩٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ٤/٢٠١٣، حديث رقم (٢٦٠٧).

قول الزور.. وبالجملة فهو أبعد الناس عن آفات اللسان. هذا ما يمس حياة الدعاة وسيرتهم الذاتية.

ويكون الصدق في العمل بموافقة القول العمل، وموافقتهما هدي الكتاب والسُّنَّة.

ومتى بلغ العبد تحقيق الصدق في هذه المجالات كلها على الوجه الأتم الأكمل كان من الصِّدِّيقين، وكانت الحياة حينئذٍ لا تساوي عنده إلا بقدر ما يتبلغ به المسافر، وكان ما عند الله ﷻ أحبّ إليه ممَّا في أيدي الناس.

وأما في مجال الدعوة إلى التعريف بالإسلام فإن للصدق آثاره الحميدة في حياة الدعاة، ونجاح الدعوة، ومن هذه الآثار:

١ ـ أن للصدق أثره البالغ في مسيرة الدعاة، إذ يظهر الصدق في كلام الداعي، وسمته، ولهجته، وحرارة عاطفته، فيؤثر ذلك في المدعوين، ويترك فيهم انطباعاً عميقاً بمصداقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها.

ولقد كان النبي ﷺ يحدث الذين يلقونه أول مرة فيقولون: والله ما هذا بوجه كذّاب ولا بكلام كذاب! وإذا كان المسلم مطالباً بالصدق في الأقوال والأعمال والمقاصد؛ فإن الدعاة إلى الله تعالى من بابٍ أولى وأوجب.

٢ ـ للصدق أثره الحميد في التآلف والتآزر والتوادد وتقارب القلوب، على عكس الكذب الذي يغرس الضغينة ويرفع الثقة، ويورث الريبة بفعل التلوّن والتغيّر وعدم الثبات الذي يتصف به الكاذب، ومن هذا المنطلق كان من لوازم الصدق ترك كل آفات اللسان: كالهمز، واللمز، والقيل، والقال، وكثرة السؤال.. ومتى تآلفت القلوب وتصافت واجتمعت على محبة الله سرت الدعوة في المجتمع سريان الماء في الزرع، فأمدته بالحياة والنماء والبقاء، ونما في المجتمع ـ كذلك ـ الإيمان، واستوثقت عراه وارتفعت أعلامه.

٣ ـ الصدق يزرع في النفوس الثقة والطمأنينة والراحة والأنس، فيركن الناس إلى الدعاة الصادقين، ويثقون فيهم وبهم ويأمنونهم، وتقوية هذه الوشائج بين الدعاة والمدعوين من أهم أسباب نجاح الدعوة، ولا يتحقق ذلك إلا بالصدق.. على عكس الكذب الذي يزرع في النفوس بذور الريبة والشك

والحذر، فليس أمر أهل الكذب من الوضوح والثبات بالمكان الذي يألفه الناس ويحبذونه.

ومتى وثق الناس في الداعي لصدقه فتحوا له القلوب فاستمعوا إليه إذا تحدّث وقبلوا إرشاده وتوجيهه إذا وجّه وأرشد وبيّن وحدّث، وتوجهوا إليه يسألون ويستفتون.. وحصل التواصل بينه وبينهم وهي نعمة لا تُقدَّر بثمن ولا تحصل إلا بفضل الله تعالى، ثم بفضل الصدق، ونقاء الصفحة، وخلو السيرة من مساوئ الأعمال والأخلاق[(١)].

سادساً: التواضع ولين الجانب:

التواضع: إظهار التنزل لمن يراد تعظيمه، وقيل: تعظيم من فوقه لفضله[(٢)]. ويقال: تواضع: تذلّل وتخاشع[(٣)].

والتواضع صفة عظيمة وخلق كريم يجب على الدعاة إلى الله تعالى، وغيرهم، ولهذا مدح الله المتواضعين فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: يمشون في سكينةٍ ووقارٍ متواضعين غير أشرين ولا متكبّرين، ولا مرحين، فهم علماء، حلماء، وأصحاب وقار وعفّة[(٤)].

والدعاة إلى الله تعالى إذا تواضعوا رفعهم الله في الدنيا والآخرة؛ لقول النبي ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه**»[(٥)].

وهذا ما يفتح الله به للداعية قلوب الناس؛ فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه في قلوب الناس منزلة ويرفعه عندهم ويجلُّ

---

(١) ابن نوّاب، «أصول الدعوة وطرقها»، ط١، ٢/١٢٨.
(٢) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١١/٣٤١.
(٣) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص٩٩٧.
(٤) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/٣٢٧.
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ٤/٢٠٠١، حديث رقم (٢٥٨٨).

مكانه[١]، وأمَّا من تكبر على الناس فقد توعده الله بالذلّ والهوان في الدنيا والآخرة؛ لأن الله ﷻ «العزُّ إزاره، والكبرياءُ رداؤه فمن ينازعه ذلك عذّبه»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة لرسول الله ﷺ تُسمّى العضباء وكانت لا تُسْبَقُ، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتدّ ذلك على المسلمين وقالوا: سُبِقَتِ العضباء، فقال رسول الله ﷺ: «**إن حقّاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**»[٣].

ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة للدعاة فقد كان متواضعاً في دعوته للناس، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلّمه فجعل ترعُد فرائصه فقال له: «**هوِّن عَليكَ نفسك فإني لستُ بِمَلِكٍ، إنما أنا ابن امرأةٍ كانت تأكل القديد**»، ثم تلا جرير: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [ق: ٤٥][٤].

فعلى المعرفين بالإسلام أن يقتدوا برسول الله ﷺ فقد كان متواضعاً في دعوته مع الناس، فكان يمرّ بالصبيان فيسلّم عليهم، وتأخذه بيده الأَمَة بيده فتنطلق به حيث شاءت، وكان في بيته في خدمة أهله، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء، فكان متواضعاً من غير ذلّة، جواداً من غير سَرَف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم[٥].

---

(١) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٦/ ١٤٢.
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ٤/ ٢٠٢٣، حديث رقم (٢٦٢٠)، ولفظه: «فمن ينازعني عذبته».
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرقائق، باب التواضع، ٨/ ١٠٥، حديث رقم (٦٥٠١).
(٤) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، كتاب التفسير، تفسير سورة ق، ٢/ ٥٠٦، حديث رقم (٣٧٣٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٥) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

إن التواضع ولين الجانب والتزام الأدب عموماً له دورٌ كبيرٌ في استمالة الطرف الآخر واقتناعه بما تقول، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيراً وتواضعاً، ويلمس خلقاً كريماً، ويسمع كلاماً طيباً، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح له قلبه لاستماع رأيه.

وفي الحديث الصحيح: «**وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»؛ أي: يرفع منزلته في الدنيا عند الناس، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا.

ومما ينافي التواضع: العجب والغرور والكبر.

والداعي إلى الإسلام أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام فكيف يكون عارياً من التواضع، وهو من ركائز أخلاق الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبَّر عليهم، وإن كان ما يقوله حقّاً وصدقاً، هكذا جبلت طبائع الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده. فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً إلى كرههم الحق منه ومن غيره.

على الداعية أن يفقه هذا الأمر جيداً وليتق الله ربه ولا يكون سبباً لتنفير الناس من دين الله تعالى.

وأود أن أضيف هنا شيئاً آخر له علاقة بالموضوع وله أهميته البالغة، وهو أن من طبائع الناس أنهم لا يحبون من يكثر الحديث عن نفسه ويكثر الثناء عليها ويكثر من قول أنا، أنا.

ولهذا فعلى الداعي أن يحذر ذلك وأن لا يدَّعي شيئاً يدل على تعاليه كأن ينسب إلى نفسه المزيد من العلم أو الفصاحة أو المعرفة، بل على الداعية أن يعرف أن جميع ما عنده هو محض فضل الله عليه فليتحدث إلى الناس وهو بهذا اليقين وبهذا الشعور، ويتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه فإذا عرف الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم أو على الأقل لم يغلقوها دون كلامه فيقع فيها من

معانيه الطيبة النافعة ما يشاء الله وقوعه[(١)].

سابعاً: العدل والإنصاف:

إن من أهم المُثل ومكارم الأخلاق التي جاء الإسلام لحمايتها وتتميمها؛ العدل، وهو غاية قريبة ميسورة إذا كان الأمر متعلقاً بإخوة الدين أو النسب، وغيرها ممَّا يتعاطف له البشر.

لكن صدق هذه الخُلة إنما يظهر إذا تباينت الأديان وتعارضت المصالح، وهو ما يعنينا في هذا المبحث.

ولقد أمر القرآن الكريم بالعدل، وخصَّ ـ بمزيد تأكيده ـ على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨].

قال القرطبي: «ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يُقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المُثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمّونا بذلك؛ فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم»[(٢)].

وقال البيضاوي: «لا يحملنَّكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل؛ كمُثلةٍ وقذفٍ وقتل نساء وصِبية ونقض عهد، تشفياً ممَّا في قلوبكم؟ اعدلوا هو أقرب للتقوى؟ أي: العدل أقرب للتقوى»[(٣)].

وأعلم الله تعالى المؤمنين بمحبته للذين يعدلون في معاملتهم مع مخالفيهم في الدين الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة: ٨]. فالعدل مع الآخرين موجبٌ لمحبة الله.

---

(١) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ص٤٠٦.

(٢) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ٦/ ١١٠.

(٣) البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، ط١، ٢/ ١١٧.

قال ابن حجر: «المراد به من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم»[(١)].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في سورة النحل»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠][(٢)].

والداعية المسلم من أولى الناس بتطبيق هذا السلوك الحكيم، فيكون عدلاً محسناً واصلاً لأقربائه، مبتعداً عن الفحشاء والمنكر، والبغي.

والعدل: ضد الجور[(٣)]، وهو إعطاء المرء ما لـه وأخذ ما عليه[(٤)]، وأنواعه ثلاثة:

النوع الأول: العدل بين العبد وربه، وهو: إيثار حق الله على حظّ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والامتثال للأوامر، والاجتناب للزواجر.

النوع الثاني: العدل بين العبد وبين نفسه: منعها عمَّا فيه من هلاكها ودمارها، وإلزامها بتقوى الله في السر والعلن.

النوع الثالث: العدل بين العبد وبين الخلق: ببذل النصيحة، وترك الخيانة فيما قلّ وكثر، والإنصاف من النفس بكل وجه، ولا يكون من الداعية إلى أحد مساءة بقولٍ أو فعل، والصبر على ما يحصل منهم من البلوى، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل ما عليه[(٥)].

ثامناً: القدوة الحسنة:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن تتحقق لدى المعرِّف بالإسلام: الهدي الحسن والسلوك المستقيم والسمت الطيب: ذلك أن الداعية يترك آثاره بهديه وسمته وسلوكه أضعاف ما يترك بحديثه وكلامه، ولهذا أخبرنا الله تبارك وتعالى

---

(١) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١٢/٢٥٩.
(٢) الطبري، «جامع البيان في تأويل القرآن»، ط١، ٤/١٠٩.
(٣) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص١٣٣١.
(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/٥٨٨.
(٥) ابن العربي، «أحكام القرآن»، ط٣، ٣/١١٧٢، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ١٠/١٦٦، وقطب، في «ظلال القرآن»، ط١٧، ٤/٢١٩٠.

أنه جعل لنا أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، وأمرنا أن نتأسى بنبينا محمد ﷺ، والعمل والفعل يترك أثراً في النفوس لا يتركه القول.

ولا يخفى أبداً أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكرة، والتطبيق العلمي للدعوة، والتوَضيح الجلي للحجة، ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب، ووجود القناعة في العقول «وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة ولا سيما العامة وأرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها»(١).

والعكس صحيح فلو وجدت المحبة، وأقيمت الحجة، وبذلت الدعوة كان لتخلف القدوة ووجود ما يعارض مقتضى الدعوة أثره في ضعف التأثير ونقص المحبة، وزعزعة القناعة ومعلوم «أن التأسي بالأفعال ـ بالنسبة لمن يعظّم في الناس ـ سرٌّ مبثوثٌ في طباع البشر، لا يقدرون عن الانفكاك عنه بوجهٍ ولا بحالٍ ولا سيما عند الاعتياد والتكرار»(٢)، ورحم الله ابن القيِّم حيث أبدع في بيان عكس هذه الحقيقة عندما قال: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقّاً كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطّاع الطريق»(٣)، ولله در هرم بن حيان حيث حذر من العالم الفاسق فكتب إليه عمر رضي الله عنه يسأله عن مراده فقال: «يكون إمام يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق، ويشبه على الناس فيضلوا»(٤).

وفي كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مُغْنِية عن كثيرٍ من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة، وكذلك تعفي من الاستكثار من الاستدلال، وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكلٍ تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث أن القدوة «تساعد على تكوين

(١) ابن باز، «مجموع فتاوى ابن باز»، د. ط، ٣/ ١١٠.
(٢) الشاطبي، «الموافقات»، ط١، ٤/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.
(٣) ابن القيم، «الفوائد»، ط٢، ص٦١.
(٤) أخرجه الدارمي في «سننه»، المقدمة، باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله، ١/ ٣٤٠، رقم (٣٠٨). قال الداراني: إسناده صحيح.

الحافز في المتربي دونما توجيهٍ خارجي»[١]؛ لأن «المثال الحي المرتقي في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقرير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة»[٢]؛ فيحصل التأثر والاقتداء وتكون الاستجابة قوية وهي في الوقت نفسه سهلة وتلقائية، «حتى إذا أحببت الاقتداء به من غير سؤال أغناك من السؤال في كثير من الأعمال»[٣]، ولله در ابن القيِّم حيث قال: «إن الناس قد أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبِّخ نفسه»[٤].

وبهذا تتكامل عناصر التأثير فإذا اجتمع مع محبة الفعل اقتناع العقل بثمرته وفائدته وأضيف إليهما قدوة يتمثل فيهما الفعل فإن التأثير يكون قد بلغ مبلغه.

ولا بد من التأكيد على أهمية عنصر القدوة وخطورة انعدامه حيث «يستطيع الإنسان أن يكون عالماً جهبذاً في الكيمياء أو العلوم أو الطب أو الهندسة أو غير ذلك من العلوم التي أمرنا الله بتعلمها لتعمر الدنيا ولكن هذه العلوم لا تتطلب منا قيداً سلوكياً، فقد تكون عالماً في أي فرع من هذه العلوم وسلوكك تبعاً لهواك ولكن هذا لا يفسد الحقيقة أنك عالم في علمك لأن النبوغ لا يضع قيداً على الأخلاق إلا علم الدين فإنك إن كنت من علمائه أو الداعين إليه أو المتدينين المخلصين لا بد أن تكون قدوة حسنة لما تدعو إليه وإلا ما استمع إليك أحد»[٥].

ولله در القائل[٦]:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

وحسب المسلم قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

---

(١) ابن حميد، «القدوة مبادئ ونماذج»، د. ط، ص١١.
(٢) «القدوة مبادئ ونماذج»، ص٨.
(٣) الشاطبي، «الموافقات»، ط١، ٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.
(٤) ابن القيم، «الفوائد»، ط٢، ص١٩٢.
(٥) عبد العزيز، «الدعوة قواعد وأصول»، ط٤، ص١١١.
(٦) السكري، «ديوان أبي الأسود الدؤلي»، ط٢، ص٤٠٤.

والقدوة الحسنة تكون بحسن الخصال وجميل الفعال وطيب المقال، وذلك بأن يكون المعرف بالإسلام قدوة طيبة في كلامه وفي تعامله وفي حركاته ويكون قدوة لغيره.

فالقدوة أمرها عظيم وأمرها خطير جدّاً لهذا نجد أن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: ٦]، ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[(١)]، فالمعرف بالإسلام لا بد أن يلتزم بتوجيهات القرآن وسُنَّة النبي ﷺ حتى يكون لدعوته تأثير ويكون لدعوته قبول، ولهذا نكرر ونقول: إنه لا يقبل عمل الإنسان إلا إذا صدقت نيته وكان عمله موافقاً لمراد الله سبحانه وتعالى.

والقدوة الحسنة أقصر طريق لجذب غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام حتى بدون كلام؛ ولهذا نجد أن الإسلام انتشر في جنوب أفريقيا وفي الفلبين وفي أندونيسيا وبعض المناطق الأخرى عن طريق القدوة الحسنة، والمعاملة الطيبة التي كان يتعامل بها الدعاة والتجار في تلك الأزمنة فكان الناس يتساءلون عن هذه الأخلاق الطيبة فيقول لهم أنا مسلم ثم يسألون عن الإسلام ثم يدخلون في دين الله سبحانه وتعالى بسبب الأخلاق الفاضلة[(٢)].

قال أبو حاتم البستي رحمه الله: «الواجب على العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم حسن الخلق؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيئ ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[(٣)].

والناس إذا لاحظوا من الداعية سوءً في أخلاقه تبرموا منه، ونفروا من دعوته، خوفاً من تضررهم بأخلاقه السيئة، وقد يميلون إلى تفضيل أهل الفسق والضلال ومجالستهم، إذا آنسوا منهم حسناً في الخلق ورفقاً في المعاملة، وفي ذلك يقول الفضيل بن عياض[(٤)] رحمه الله: «إذا خالطت فخالط حسن الخلق، فإنه لا

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند النساء، مسند الصدِّيقة عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما، ٤١/ ١٤٨، حديث رقم (٢٤٦٠١).
(٢) العصيمي، «الدعوة إلى الله أهميتها ووسائلها»، د. ط، ص١٨.
(٣) البستي، «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»، د. ط، ص٦٤.
(٤) الفضيل بن عياض التميمي. ثم أحد بني يربوع. ويكنى أبا علي. ولد بخراسان بكورة =

يدعو إلا إلى خير، وصاحبه منه في راحة، ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر، وصاحبه منه في عناء، ولأن يَصْحَبُني فاجرٌ حسن الخلق أحب إليَّ من أن يَصْحَبُني قارئ سيئ الخلق، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس ومقتوه»[(١)].

وحسن الخلق يبذل حتى مع الأعداء، فإنه يقلب البغض حبّاً، ويبدل العداوة بالولاية الحميمة، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤]، والداعية إذا حَسُنَت أخلاقه كثُر مُصافوه، وقل مُعادوه، فتسهَّلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب[(٢)].

وقد كانت حياة الرسول ﷺ وسيرته بصفةٍ عامةٍ مدرسة تربوية خلقية سلوكية، حتى الأنماط السلوكية التي لا تظهر فيها أول الأمر أسس المفاهيم الأخلاقية، كانت في حياته ﷺ موصولة بأسس هذه المفاهيم، وكان لها صفة الظواهر الناتجة عن أخلاق راسخة في النفس[(٣)]، فما من موقفٍ أو قولٍ إلا ويحمل بين ثناياه صفة أخلاقية تحلى بها ﷺ، ولا توجد كذلك صفة أخلاقية حميدة، إلا وكان له الكمال البشري فيها، وهو أكمل الناس خلقاً وديناً.

والمتأمل في فتح مكة، يستلهم الأخلاق الحميدة العديدة، ومن شواهد ذلك:

١ ـ مقابلته لمسلمة الفتح بطلاقة الوجه وطيب الكلام، فأوحى لهم بالبشر والخير ودخلوا في الإسلام طائعين؛ كملاقاته لعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله عنهما.

= أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره. ثم تعبّد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة في خلافة هارون. وكان ثقة ثبتاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث. ابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ط١، ٦/٤٣.

(١) البستي، «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»، ص٦٤.

(٢) الحدادي، «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، ط١، ٢/٤٠١.

(٣) الميداني، «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، ط٥، ١/٤٣٦.

٢ ـ وترى منه ﷺ الحلم في تصرفه مع حاطب رضي الله عنه، وفي تجاوزه عمن حاول الغدر به من مسلمة الفتح من أهل مكة.

٣ ـ وترى الوفاء بالعهد في نصرته ابتداءً لبني خزاعة بعد الغدر بهم، ثم وفاءه لعثمان بن أبي طلحة وتسليمه مفاتيح الكعبة.

٤ ـ ويظهر خلق العفو والصفح عن أهل مكة، والمنّ عليهم بإطلاقهم.

٥ ـ ويظهر جوده وكرمه ﷺ في إعطائه العطايا العظيمة تأليفاً لقلوب مسلمة الفتح وغيرهم وترغيباً لهم في الإسلام.

٦ ـ كما يعظم تواضعه حين تتأمل هيئته في دخوله مكة خاشعاً لله، ثم ترى عفته وقناعته حين تعلم أنه نزل في خيمة أقيمت له ولم يأخذ دوراً كانت يوماً من الأيام ملكاً له، وكذلك نصحه لحكيم بن حزام رضي الله عنه بالتعفف والتقلل من الدنيا.

٧ ـ وترى الشجاعة والتضحية في توجهه إلى مكة دون تردد، ومشاركته بنفسه الكريمة في قيادة الجيش، ولبسه عدة المحارب.

٨ ـ وترى عدله وإنصافه حتى لو كان ذلك من نفسه أو أقرب الأقربين إليه... إلى آخر الأخلاق الكريمة التي عرفتها منه قريش معرفة تامة، فوقعت محبته في قلوبهم، ودخلوا في دين الإسلام أفواجاً.

وأصول السيرة الحسنة التي بها يكون الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ترجع إلى أصلين كبيرين: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول. فإذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة الداعي إلى الله وكانت سيرته الطيبة داعية إلى الإسلام. وإن فاته هذان الأصلان ساءت سيرته وصارت دعوته منفرة عن الإسلام، فليتق الداعي ربه في هذا الأمر الخطير ولا يكون منفراً عن دين الله بسيرته وهو يريد الدعوة إليه بقوله.

تاسعاً: الصبر:

الصبر لغةً: الحبس والمنع، وهو ضدّ الجزع، ويقال: صبر صبراً: تجلَّد ولم يجزع، وصبر: انتظر، وصبّر نفسه: حبسها وضبطها، وصبر فلاناً: حبسه، وصبرت صبراً: حبست النفس عن الجزع، وسُمّي الصوم صبراً لما فيه من حبس

النفس عن الطعام، والشراب، والنكاح[(١)].

فتبين بذلك أن الصبر هو: منع وحبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكِّي، والجوارح عن التشْويش: كلطم الخدود، وشقّ الجيوب ونحوهما[(٢)].

وحقيقة الصبر: هو خُلُقٌ فاضلٌ من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها[(٣)].

وهذه القوة تمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق، والآلام[(٤)].

والصبر في التعريف بالإسلام من أهم المهمات، ومن أعظم الواجبات. وإن كان واجباً بأنواعه على كل مسلم، فإنه على الدعاة إلى الله من بابٍ أولى؛ ولهذا أمر الله به إمام الدعاة وقدوتهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤]، فهذا سيد ولد آدم ﷺ قد أمره الله بالصبر، وأتباعه من بابٍ أولى.

والله ﷻ قد أوضح للناس أنه لا بد من الابتلاء، والاختبار، والامتحان

---

(١) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٣/٧، والحموي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ١/٣٣١، والفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص٥٤٠، والرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص١٤٥، وأبو حبيب، «القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً»، ط٢، ص٢٠٦.

(٢) ابن القيم، «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، ط٣، ص٢٧، وابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/١٥٦، وابن القيم، «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، ط٢، ص٤٣٧.

(٣) ابن القيم، «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، ط٣، ص٢٩.

(٤) الميداني، «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، ط٥، ٢/٣٠٥.

لعباده، وخاصة الدعاة إلى الله تعالى؛ ليظهر الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، والصابر من غيره، وهذه سُنَّة الله في خلقه، قال سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾ [محمد: ٣١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه...**»(١).

وقد ذم الله ﷻ من لم يصبر على الأذى من أجل الدعوة إلى الله فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وتبرز أهمية الصبر في التعريف بالإسلام في عدة أمور، منها:

أولاً: إن الابتلاء للدعاة إلى الإسلام لا بد منه.

فلو سلم أحد من الأذى لسلم رسل الله عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم محمد بن عبد الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقد أُوذوا فصبروا، وجاهدوا حتى نصرهم الله على أعداء الدعوة إلى الله تعالى، ولا شك أن كل داعية مخلص يصيبه الأذى، وإن سلم أحد فذلك من أندر النوادر.

الصبر في التعريف بالإسلام والدلالة على الله ﷻ بمثابة الرأس من الجسد، فلا دعوة لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، ولهذا قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له»(٢)، فإذا كان ذلك في الإيمان فالصبر في الدعوة إلى الله تعالى من بابٍ أولى.

---

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار»، ٥/٤٥٦، حديث رقم (٢٢٠٧).

(٢) هذا مقتبس من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: «ألا إن الصبر من الإيمان =

ولأن المعرِّفين بالإسلام يطلبون من الناس أن يتركوا أهواءهم وشهواتهم التي لا يرضاها الله ﷻ، وينقادوا لأوامر الله، ويقفوا عند حدوده، ويعملوا بشرائعه التي شرع، فيتخذ أعداء الدين من هذه الدعوة عدواً يحاربونه بكل سلاح، وأمام هذه القوة لا يجد الدعاة مفرّاً من الاعتصام باليقين والصبر؛ لأن الصبر سيفٌ لا ينبو، ومطيةٌ لا تكبو، ونورٌ لا يخبو.

الصبر في مقام الدعوة إلى الله تعالى عموماً وفي التعريف بالإسلام خصوصاً هو وصف الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعليه مدار نجاح دعوتهم إلى الله تعالى، ولا شك أن المعرِّف بالإسلام إذا فقد الصبر كان كمن يريد السفر في بحرٍ لُجِّيٍّ بغير مركب ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم: ٦٠]؛ ولهذا أوصى به الحكماء من أتباع الأنبياء، فهذا لقمان الحكيم عندما أوصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرن ذلك بالصبر ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان: ١٧]، فهو عندما أمره بتكميل نفسه بطاعة الله أمره أن يكمّل غيره وأن يصبر على ما ينزل به من الشدائد والابتلاء.

والصبر ينتصر به المعرِّف بالإسلام على عدوه ـ مع الأخذ بالأسباب ـ من الكفار والمنافقين، والمعاندين، وعلى من ظلمه من المسلمين ولصاحبه تكون العاقبة الحميدة، قال ﷻ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وحكى الله عن يوسف عليه الصلاة والسلام قوله وبأي شيءٍ نال النصر والتمكين، فقال لإخوته حينما سألوه: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠﴾

= بمنزلة الرأس من الجسد» ثم رفع صوته فقال: «ألا لا إيمان لمن لا صبر له» انظر: ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ١٠/ ٤.

[يوسف: ٩٠]، ولا بد بعون الله وتوفيقه من النصر للداعية المتقي الصابر العامل بما أمره ربه، ومن ذلك الأخذ بجميع الأسباب المشروعة ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: ١١٥].

ولن يكون الداعية مُوَفَّقاً إلا إذا كان صابراً على دعوته وما يدعو إليه، صابراً على ما يعترض دعوته من معارضات، صابراً على ما يعترضه هو من أذى.

الصبر يجعل المعرِّف بالإسلام يضبط نفسه عن أمورٍ لا بد لـه من الابتعاد عنها، ومنها: ضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الضجر، والجزع، والسأم، والملل، والعجلة، والرعونة، والغضب، والطيش، والخوف، والطمع، والأهواء، والشهوات، وبالصبر يتمكن المعرِّف بالإسلام أن يضع الأشياء مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقلٍ واتِّزان، وينفِّذ ما يريد من تصرف في الزمن المناسب بالطريقة المناسبة الحكيمة، وعلى الوجه المناسب، بخلاف عدم الصبر الذي يوقع في التسرع والعجلة، فيضع المعرِّف بالإسلام الأشياء في غير مواضعها، ويتصرف فيخطئ في تحديد الزمان، ويسيئ في طريقة التنفيذ، وربما يكون صاحب حق فيكون مفسداً، ولو أنه اعتصم بالصبر لسلم من ذلك كله بإذن الله تعالى[١]، وبهذا يتضح أن الصبر ضروري للداعية يتسلح به ويتصف به في محاور ثلاثة:

المحور الأول: الصبر على طاعة الله والدعوة إليه.

المحور الثاني: الصبر عن محارم الله.

المحور الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة.

وكل هذه المحاور الثلاثة لها ارتباطٌ وثيقٌ بوظيفة الدعوة إلى الله ﷻ؛ لأنها تجعل الداعية قدوة حسنة لغيره من الناس[٢].

وإذا ظهر للصبر هذه الأهمية في الدعاة المعرفين بالإسلام فحينئذٍ لا بد أن يتنادى أهل الإيمان ليتواصوا بالحق، ويتواصوا بالصبر لينجوا من الخسران المبين الذي يواجه الفارِّين من وجه الهدى.

---

(١) ابن القيم، «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، ط٣، ص١٤٠، والميداني، «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، ط٥، ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٢٩.

(٢) أبابطين، «المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة»، د. ط، ص٢١٠.

وفي ذلك أنزل الحق سورة كاملة وهي سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

عاشراً: الحلم:

الحِلْم: بالكسر: العقل[١]، وحلم حلماً: تأنَّى وسكن عند الغضب أو مكروه مع قدرة، وقوة، وعقل[٢]، ومن أسماء الله ـ تعالى ـ: (الحليم)، وهو الذي لا يستخفّه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منتهٍ إليه[٣].

والحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[٤].

والحلم: هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقّل ولا تبصّر كان على رذيلة، وإن تبلّد، وضيّع حقه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلّى بالحلم مع القدرة وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة.

وهناك ارتباطٌ بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلم: وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدةٍ شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعاً من طبائعها كان ذلك هو الحلم[٥].

وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۝١٥٥﴾ [آل عمران: ١٥٥].

والملاحظ أن الآيات التي وصفت الله بصفة الحلم قد قرنت صفة الحلم ـ

(١) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص١٤١٦.
(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/ ١٩٤.
(٣) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ١/ ٤٣٤.
(٤) الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن»، ط١، ص١٢٩.
(٥) «المفردات في غريب القرآن»، ص١٢٩، والشرباصي، «موسوعة أخلاق القرآن»، ط٣، ١/ ١٨٢، والميداني، «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، ط٥، ٢/ ٣٢٦.

في أغلب هذه الآيات ـ بصفة المغفرة أو العفو، ويأتي هذا الاقتران في الغالب بعد إشارة سابقة إلى خطأ واقع، أو تفريط في أمر محمود، وهذا أمر يتفق مع الحلم؛ لأنه تأخير عقوبة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥].

ونجد أيضاً أن عدداً من الآيات التي وصفت الله بالحلم قد قرن فيها ذكر الحلم بالعلم؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩﴾ [الحج: ٥٩]، وهذا يفيد ـ والله أعلم بمراده ـ أن كمال الحلم يكون مع كمال العلم، وهذا من أعظم مقومات الداعية الناجح، ومن أعظم أركان الحكمة[(١)].

وهو أيضاً من دعائم الحكمة، فلا يكون المعرف بالإسلام ناجحاً حتى يكون: حكيماً، فالحكمة تقوم على ثلاثة أركان: العلم، والحلم، والأناة، وكل خلل في المعرف بالإسلام فسببه الإخلال بالحكمة وأركانها، فأكمل الناس أوفرهم منها نصيباً، وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال أقلّهم منها ميراثاً، ومعاول هدم الحكمة: الجهل، والطيش، والعجلة، فلا حكمة لجاهلٍ، وطائشٍ، ولا عجول[(٢)].

ومما يُؤكِّد أن الحلم من أعظم مقومات المعرف بالإسلام، قول النبي ﷺ للأشجِّ[(٣)]: «**إن فيك خصلتين يحبِّهما الله: الحلم والأناة**»[(٤)].

وفي روايةٍ قال الأشجّ: يا رسول الله، أنا تخلَّقت بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بل الله جبلك عليهما**»، قال: الحمد لله الذي جبلني على خُلُقيْن يحبهما الله ورسوله[(٥)].

(١) الشرباصي، «موسوعة أخلاق القرآن»، ط٣، ١/ ١٨٥.
(٢) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/ ٤٨٠.
(٣) المنذر بن عائذ بن المنذر العصري، أشج عبد القيس، كان سيد قومه، رجع بعد إسلامه إلى البحرين مع قومه، ثم نزل البصرة بعد ذلك ومات بها رضي الله عنه. انظر: ابن حجر العسقلاني، «تهذيب التهذيب»، ط١، ١٠/ ٢٦٧.
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، ١/ ٤٨، حديث رقم (١٧).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الأنصار، مسند الوزاع بن الزراع العبدي، ٣٩/ ٤٩٠، حديث رقم (٥٤).

وسبب قول النبي ﷺ ذلك للأشجّ ما جاء في حديث الوفد أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ، وأقام الأشجّ عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقرّبه النبي ﷺ وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي ﷺ: «**تبايعونِ على أنفسكم وقومكم؟**» فقال القوم: نعم، فقال الأشجّ: يا رسول الله، إنك لم تزاول الرجل على شيء أشدّ عليه من دينه، نبايعك على أنفسنا، ونرسل من يدعوهم، فمن اتبَّعَنا كان منا، ومن أبى قاتلناه، قال: «**صدقت، إن فيك خصلتين...**» الحديث.

فالأناة: تربُّصُه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والحلم: هذا القول الذي قاله، الدال على صحّة عقله، وجودة نظره للعواقب[(١)].

ومما يُؤكِّد أن الحلم من أعظم أركان الحكمة ودعائمها العظام أنه خُلُق عظيم من أخلاق النبوة والرسالة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم عظماء البشر، وقدوة أتباعهم من الدعاة إلى الله والصالحين في الأخلاق المحمودة كافة.

وقد واجه كل واحدٍ منهم من قومه ما يثير الغضب، ويغضب منه عظماء الرجال، ولكن حلموا عليهم، ورفقوا بهم، ولانوا لهم حتى جاءهم نصر الله المؤزَّر، وعلى رأسهم إمامهم، وسيدهم، وخاتمهم محمد ﷺ ولم يكن غريباً أن يوجهه الله تعالى إلى قمة هذه السيادة حين يقول له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١/ ١٨٩، والمباركفوري، «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي»، د. ط، ٦/ ١٢٩.

وقد بَلَغَ النبي ﷺ في حلمه، وعفوه في دعوته إلى الله تعالى الغاية المثالية، والدلائل على ذلك كثيرة جدّاً، منها على سبيل المثال لا الحصر الصور الآتية:

الصورة الأولى: مع من قال: هذه قسمة ما عُدِلَ فيها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنينٍ آثر النبيُّ ﷺ أُناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذٍ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وجه الله، فقلت: والله لأُخبرنَّ النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته، فقال: «**فمن يعدلْ إذا لم يعدلِ الله ورسولُه؟! رحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»(١).

وهذا من أعظم مظاهر الحلم وقد اقتضت حكمة النبي ﷺ أن يقسم الغنائم بين هؤلاء المؤلفة قلوبهم، ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه(٢).

الصورة الثانية: مع من قال: كنا أحقَّ بهذا:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله من اليمن بذهيبة(٣) في أديم مقروظ(٤) لم تُحصّل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر(٥)، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل(٦)، والرابع إما علقمة(٧) وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ٤/ ٩٥، حديث رقم (٣١٥٠).
(٢) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٨/ ٤٩.
(٣) أي: ذهب. انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ٨/ ٦٨.
(٤) مدبوغ بالقرظ. انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ٨/ ٦٨.
(٥) وهو: عيينة بن حصن بن حذيفة، نسب لجده الأعلى. «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ٨/ ٦٨.
(٦) زيد الخيل بن مهلهل الطائي، وسمَّاه النبي ﷺ زيد الخير، بالراء بدل اللام. انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ٨/ ٦٨.
(٧) ابن علاثة العامري، أسلم وحسن إسلامه، واستعمله عمر على حوران، فمات بها في خلافته. انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ٨/ ٦٨.

أحقَّ بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟**» قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كثّ اللحية، محلوق الرأس، مشمِّر الإزار، فقال: يا رسول الله! اتّقِ الله، قال: «**ويلك، أَوَ لست أحقَّ أهل الأرض أن يتقي الله؟**»، قال: ثم ولَّى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، فقال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقِّب قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم**»، قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍّ فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد**»[(١)].

وهذا من ظواهر حلم النبي ﷺ، فقد أخذ بالظاهر، ولم يؤمر أن ينقب قلوب الناس، ولا أن يشق بطونهم، والرجل قد استحق القتل واستوجبه؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتله، لئلا يتحدّث الناس أنه يقتل أصحابه، ولا سيما من صلّى[(٢)].

الصورة الثالثة: مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه:

من مواقف الحلم ما فعله رسول الله ﷺ مع الطفيل بن عمرٍو الدوسي رضي الله عنه، فقد أسلم الطفيل رضي الله عنه قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله عز وجل فأبت عليه وعصت، وأبطؤوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله ﷺ وذكر له أن دوساً هلكت وكفرت وعصت وأبت.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمرٍو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: «**اللَّهُمَّ اهد دوساً، وائت بهم، اللَّهُمَّ اهد دوساً،**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن، ٥/١٦٣، حديث رقم (٤٣٥١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ٢/٧٤٢، حديث رقم (١٠٦٤).

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٨/٦٩.

وائت بهم»[١].

وهذا يدلّ على حلم النبي ﷺ وصبره، وتأنِّيه في الدعوة إلى الله ﷻ؛ فإنه ﷺ لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من ردّ الدعوة؛ ولكنه ﷺ دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي ﷺ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين[٢].

وهذا ممَّا يوجب على الدعاة إلى الله ﷻ المعرفين بالإسلام العناية بالحلم في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة هدي النبي ﷺ في دعوته.

الصورة الرابعة: مع من أراد قتل النبي ﷺ:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غزونا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد، فأدركنا رسول الله ﷺ في وادٍ كثير العضاه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلّق سيفه بغصنٍ من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلّون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً**[٣] **في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام**[٤]

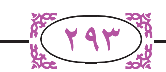
---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ٤/٤٤، حديث رقم (٢٩٣٧)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل غفار وأسلم وجهينة وأشجع وتميم ودوس وطيء، ٤/١٩٥٧، حديث رقم (٢٥٢٤).

(٢) الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، د. ط، ١/٣٤٦، وابن القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ط٢٧، ٣/٦٢٦، وابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ٢/٢٢٥.

(٣) والسيف صلتاً: أي: مسلولاً. انظر: النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٥/٤٥.

(٤) شام السيف: أي: ردَّه في غمده. انظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ١٥/٤٥.



السيف، فها هو ذا جالس»، ثم لم يعرض لـه رسول الله ﷺ[(١)].

الله أكبر! ما أعظم هذا الخُلُق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكِّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخُلُقٌ عظيم، وصدق الله العظيم إذ يقول للنبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وهذا الخلق الحكيم قد أثَّر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير[(٢)].

الصورة الخامسة: مع زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود وعلمائهم:

كان النبي ﷺ يعفو عند القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيئ، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار[(٣)]، حيث جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه ديناً لـه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ لـه القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجهٍ غليظٍ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطْلٌ، وشدّد لـه في القول، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكونٍ وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: **«أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر،**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر، ٤/ ٤٠، حديث رقم (٢٩١٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب: توكله على الله ـ تعالى ـ وعصمة الله ـ تعالى ـ لـه من الناس، ٤/ ١٧٨٦، حديث رقم (٨٤٣). وانظر: الميداني، «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، ط٥، ٢/ ٣٣٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٧/ ٤٢٨، النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ١٥/ ٤٤، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

(٣) الجزائري، «هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب»، ط٣، ص٥٢٨، ومحفوظ، «هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة»، ط٩، ص٣٨٤.

أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمرٍ»، فكان هذا سبباً لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وكان زيد قبل هذه القصة يقول: «لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً»[١].

فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي ﷺ مشاهده، واستشهد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر[٢].

فقد أقام ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

الصورة السادسة: مع زعيم المنافقين:

قدم النبي ﷺ المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبد الله بن أُبيّ، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجلٍ من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، ليُتَوِّجوه ثم يملِّكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسول الله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام امتلأ قلبه حقداً وعداوةً وبغضاً، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام، دخل فيه كارهاً مُصرّاً على النفاق والحقد والعداوة[٣]، ولم يألُ جهداً في الصدّ عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذبّ عن اليهود ومساعدتهم.

---

(١) ذكر ابن حجر هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي الشيخ في كتابه «أخلاق النبي ﷺ»، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال إسناده موثقون... ومحمد بن أبي السري وثقة ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث. ابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ١/٥٦٦. وذكره ابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٢/ ٣١٠، وعزاه إلى أبي نعيم في «الدلائل»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، ٨/ ٢٤٠: (رواه الطبراني، ورجاله ثقات).

(٢) ابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ١/ ٥٦٦.

(٣) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٢/ ٢١٦، وابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٤/ ١٥٧.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبيُّ ﷺ يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإسلام؛ ولأن لـه أعواناً من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبعٌ لـه، فكان ﷺ يحسن إليه بالمقال والفعل، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها:

١ ـ شفاعته ليهود بني قينقاع عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين[١]، فسار إليهم رسول الله ﷺ يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وحاصرهم خمسة عشر يوماً، وتحصّنوا في حصونهم، فحاصرهم أشدّ الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر بهم فَكُتِّفُوا، وكانوا سبعمائة مقاتل، فقام إلى النبي ﷺ عبد الله بن أُبيّ حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع[٢]، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ لـه[٣]، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه[٤].

---

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ٢/ ٤٢٧، ابن كثير، «البداية والنهاية»، ٤/ ٤، والمباركفوري، «الرحيق المختوم»، ط١، ص٢٢٨، والجزائري، «هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب»، ط٣، ص٢٤٦.

(٢) الحاسر: هو الذي لا درع لـه، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/ ٢٨٠.

(٣) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٢/ ٤٢٨، «البداية والنهاية»، ط١، ٤/ ٤.

(٤) ابن القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ٢٧، ٣/ ١٢٦ ـ ١٩٠.

٢ ـ ما فعله مع النبي ﷺ يوم أُحُد:

خرج النبي ﷺ إلى معركة أحد، فلما صار بين أُحُد والمدينة انخزل عبد الله بن أُبيّ بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر رضي الله عنهما فوبّخهم، وحضّهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبّهم(١).

فلم يعاقبه رسول الله ﷺ على هذا الجرم العظيم، وتخذيل المسلمين.

٣ ـ صدّه الرسول ﷺ عن الدعوة إلى الله تعالى:

ركب النبيُّ ﷺ إلى سعد بن عبادة، فمرّ بعدوّ الله عبد الله بن أبيّ وحوله رجال من قومه، فنزل ﷺ فسلّم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل، وذكَّر بالله، وحذّر وبشّر وأنذر، وعندما فرغ النبي ﷺ من مقالته، قال له عبد الله بن أُبيّ: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقّاً فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدِّثه إيَّاه، ومن لم يأتك فلا تغته(٢)، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه(٣)، فلم يؤاخذه النبي ﷺ وعفا عنه وصفح.

٤ ـ تثبيته بني النضير:

عندما نقض يهود بني النضير العهد بِهَمِّهِم بقتل النبي ﷺ، بعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق ـ وعلى رأسهم عبد الله بن أُبيّ ـ أن اثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نُسلمكم، إن قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فقويت عزيمة اليهود، ونابذوا رسول الله ﷺ بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في

---

(١) ابن القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ٣/ ١٩٤، ابن هشام، «السيرة النبوية»، ٣/ ٨، ٣/ ٥٧، وابن كثير، «البداية والنهاية»، ٤/ ٥١.

(٢) أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص٢٠٠، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ٢/ ٦٤٤.

(٣) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي ﷺ وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام[(١)].

وترك النبي ﷺ عبد الله بن أُبيّ فلم يُعاقبه على ذلك.

٥ ـ كيده وعداوته للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع:

في هذه الغزوة قام عبد الله بن أُبيّ بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه، ومنها:

الموقف الأول: دبّر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولّى كِبْرَه عبد الله بن أُبيّ بن سلول[(٢)].

الموقف الثاني: وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أُبيّ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[(٣)] [المنافقون: ٨].

الموقف الثالث: وفي هذه الغزوة قال عدو الله: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾[(٤)] [المنافقون: ٧].

وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي ﷺ نار الفتنة، وقطع دابر الشرّ ـ بفضل الله ثم بصبره ـ على عبد الله بن أُبيّ، وتحمّله

---

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ٣/١٩٢، وابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٤/٧٥، وابن القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ط٢٧، ٣/١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٥/١١٦، حديث رقم (٤١٤١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب التوبة، باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٤/٢١٢٩، حديث رقم (٢٧٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقون، باب قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ٦/١٥٢، حديث رقم (٤٩٠٠)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ٤/١١٩٩٨، حديث رقم (٢٥٨٤)، وانظر: ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٣/٣٣٤.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، سورة المنافقون، باب قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى: ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ٦/١٥٢، حديث رقم (٤٩٠٠)، ومسلم، كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم»، برقم (٢٧٧٢).

له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرّهم على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يُظهر إسلامه؛ ولهذا قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب ـ حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ـ: **«دعه حتى لا يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»**(١).

فلو قتله رسول الله ﷺ لكان ذلك منفِّراً للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد الله بن أُبيّ كان مسلماً، ومن ثم سيقول الناس: إن محمداً يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاسد، وتتعطّل المصالح.

فظهرت حكمة النبي ﷺ وصبره على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتّب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أُمر بالحكم الظاهر، والله يتولّى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبد الله بن أُبيّ فقال: «قد والله علمت، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»(٢).

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله تعالى أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداءً بنبيهم ﷺ.

الصورة السابعة: مع ثمامة بن أُثال، سيد أهل اليمامة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أُثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ [المنافقون: ٦]، برقم (٤٩٠٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، ٤/ ١١٩٩٨، حديث رقم (٢٥٨٤).

(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٤/ ١٨٥، والنووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٦/ ١٣٩، والجزائري، «هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب»، ط٣، ص٣٣٦.

«**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم[(١)]، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت؛ فتركه رسول الله حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعطَ منه ما شئت؟ فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد، فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**»، فقال: عندي ما قلت لك، إن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أطلقوا ثمامة**»، فانطلق إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغضَ إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغضَ إليّ من دينك، فأصبح دينك أحبَّ الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشّره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال لـه قائل: أصبوت؟ فقال: لا والله، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبّة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ»[(٢)].

«ثم خرج رضي الله عنه إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل»[(٣)].

---

(١) معناه: أن تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. انظر: ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٨/ ٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ٥/ ١٧٠، حديث رقم (٤٣٧٢)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه، ٣/ ١٣٨٦، حديث رقم (١٧٦٤).

(٣) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٤/ ٣١٧ بتصرف يسير، وابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٨/ ٨٨.

وذكر ابن حجر أن ابن منده[(١)] روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه قريش عن الميرة، ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[(٢)] [المؤمنون: ٧٦].

وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتدّ أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء ابن الحضرمي، فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين[(٣)].

ما أحلم النبي محمداً ﷺ، وما أعظمه من موقف، فقد كان ﷺ يتألف القلوب، ويلاطف من يُرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير، وهكذا ينبغي للمعرفين بالإسلام، أن يعظّموا أمر الحلم والعفو عن المسيء؛ لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حبّاً في ساعةٍ واحدة؛ لما أسداه النبي ﷺ إليه من الحلم والعفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه[(٤)].

الصورة الثامنة: مع من جبذ النبي ﷺ بردائه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة

---

(١) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده العبدي الحافظ المشهور، صاحب كتاب «تاريخ أصبهان»؛ كان أحد الحفاظ الثقات، وهم أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ولم يكونوا عبدين، وإنما أم الحافظ أبي عبد الله المذكور وإسمها برة بنت محمد كانت من بني عبد يا ليل فنسب إلى أخواله، ذكر ذلك الحافظ أبو موسى الأصبهاني في كتاب «زيادات الأنساب» واستوفى رفع نسبها هناك فأضربت عن ذكره لطوله، وكذلك ذكره الحازمي في كتاب «العجالة» لكنه لم يرفع في نسبها. وتوفي الحافظ أبو عبد الله المذكور في سنة إحدى وثلثمائة، رحمه الله تعالى. ومنده: بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة وفي الآخر هاء ساكنة أيضاً. ابن خلكان، «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، د. ط، ٤/٢٨٩.

(٢) وقال ابن حجر عن هذا الأثر: «إسناده حسن». انظر: ابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ١/٢٠٣.

(٣) «الإصابة في تمييز الصحابة»، ١/٢٠٣.

(٤) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٢/٨٩، وابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٨/٨٨.

عاتق النبي ﷺ قد أثّرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء»[(١)].

وهذا من روائع حلمه ﷺ وكماله، وحسن خلقه، وصفحه الجميل، وصبره على الأذى في النفس، والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام؛ وليتأسّى به الدعاة إلى الله، والولاة بعده في حلمه، وخُلُقه الجميل من الصفح، والإغضاء، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن[(٢)].

الصورة التاسعة: اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون:

ومن عظيم حلمه عدم دعائه على من آذاه من قومه، وقد كان باستطاعته أن يدعو عليهم، فيهلكهم الله، ويدمرهم، ولكنه ﷺ حليم حكيم يهدف إلى الغاية العظمى، وهي رجاء إسلامهم، أو إسلام ذرياتهم؛ ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدْمَوْهُ وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللَّهُمَّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[(٣)].

الصورة العاشرة: ملازمة صفة الحلم للأنبياء:

ومما يدلّ على أن الحلم ركن من أركان الحكمة ملازمة صفة الحلم للأنبياء قبل النبي ﷺ في دعوتهم إلى الله تعالى.

فهذا إبراهيم أبو الأنبياء، عليه وعليهم الصلاة والسلام، قد بلغ من الحلم

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ٤/ ٩٤، حديث رقم (٣١٤٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ٢/ ٧٣٠، حديث رقم (١٠٥٧).

(٢) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، ١٠/ ٥٠٦، والنووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ٧/ ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ٤/ ١٧٥، حديث رقم (٣٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه»، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ٣/ ١٤١٧ حديث رقم (١٧٩٢).

مبلغاً عظيماً حتى وصفه الله بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

فقد كان إبراهيم كثير الدعاء، حليماً عمّن ظلمه، وأناله مكروهاً، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: ٤٦ ـ ٤٨].

فحَلَم عنه مع أذاه له، ودعا له، واستغفر[١]، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

وهكذا جميع الأنبياء والمرسلين، كانوا من أعظم الناس حلماً مع أقوامهم في دعوتهم إلى الله تعالى[٢].

الصورة الحادية عشر: مع من سبّ:

ومن وراء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأتي الدعاة إلى الله والصالحون من أتباعهم، وإذا كان الله ﷻ قد جعل محمداً ﷺ مثلاً عالياً في الحلم، فقد أراد لأتباعه أن يسيروا على نهجه وسُنَّته، ولذلك يقول الله تعالى عن الأخيار من هؤلاء: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

فمن صفاتهم أنهم أصحاب حلم، فإذا سفه عليهم الجُهّال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً كما كان رسول الله ﷺ لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً[٣].

---

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٢/ ٣٩٦، والبغوي، «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، ط١، ٢/ ٣٣٢، والميداني، «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، ط٥، ٢/ ٣٣٢.
(٢) «تفسير القرآن العظيم»، ٢/ ١١٤، والشرباصي، «موسوعة أخلاق القرآن»، ط٣، ١/ ١٨٥.
(٣) ابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٢/ ٣١٠، وابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ١/ ٥٥٦، والهيثمي، «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد»، د. ط، ٨/ ٢٤٠.

فعن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ ـ وسبّ رجلٌ رجلاً عنده، فجعل المسبُوبُ يقول: عليك السلام ـ، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنَّ ملكاً بينكما يذبّ عنك كلما يشتمك هذا، قال لـه: بل أنت وأنت أحقّ به، وإذا قال لـه: عليك السلام، قال: بل لك، أنت أحق به**»[١].

فهؤلاء الدعاة إلى الله والصالحون إذا خاطبهم الجاهلون قالوا صواباً وسداداً، ويردّون المعروف من القول على من جهل عليهم؛ لأن من أخلاقهم العفو والصفح عمن أساء إليهم، فقد تخلّقوا بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعةً، حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله كظموا ذلك الغضب فلم يُنفِّذُوه، ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧]، فترتّب على هذا الحلم، والعفو، والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير[٢]، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

الصورة الثانية عشرة: مع عيينة بن حصن:

ومما يُبيّن حلم أصحاب النبي ﷺ من بعده وإن كانوا خلفاء أو أمراء، ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجهٌ عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن لـه عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، تتمة مسند الأنصار، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث النعمان بن مقرن، ٣٩/ ١٥٤، حديث رقم (٢٣٧٤٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره..

(٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٤/ ١١٨، والسعدي، «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»، ط١، ٦/ ٦٢١.

همّ به، فقال لـه الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله»[(١)].

وهذا الرجل قد جفا عمر أمير المؤمنين بعدة أمور تثير الغضب، وتجعله عرضة للانتقام والتأديب.

أول هذه الأمور: قوله: هي يا ابن الخطاب، ولم يقل: يا أمير المؤمنين.

والثاني: قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

والثالث: وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله: ولا تحكم بيننا بالعدل.

ومع هذا كله حلم عنه عمر وعفا عنه، وصفح بعدما سمع الآية، وسمع قول الحر: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية، ولم يعمل بغير ما دلت عليه، بل عمل بمقتضاها، رضي الله عنه وأرضاه[(٢)]، وهذا يدل على كمال حلمه وحكمته التي استفادها من هدي رسول الله ﷺ فرسخت في ذهنه حتى كانت هيئة راسخة ثابتة في نفسه وخُلُقه.

وهذا يحتاج في بداية الأمر إلى جهادٍ وقوة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٣)].

ولا شك أن الغضب يهدم الحلم وينافيه، وصاحب الغضب لا يكون حليماً، ولهذا قال ﷺ لمن قال أوصني: «**لا تغضب**»[(٤)].

والداعية إلى الله يستطيع أن يتّصف بالحلم؛ ليكون حكيماً، وذلك بعلاج

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ٦/ ٦٠، حديث رقم (٤٦٤٢).

(٢) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١٣/ ٢٥٩ ـ ٨/ ٣٠٥ ـ ١٣/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٨/ ٢٨، حديث رقم (٦١٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، ٤/ ٢٠١٤، حديث رقم (٢٦٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٨/ ٢٨، حديث رقم (٦١١٦).

الغضب[١]، إذا حلّ به ونزل، ولا يكون العلاج النافع إلا بما شرعه الله، وبيَّنه نبيِّه ﷺ، فقد عمل على تربية المسلمين تربية قولية وفعلية حتى يكونوا حلماء، حكماء.

الصورة الثالثة عشرة: حلم زين العابدين:

ولم يقتصر الحلم على النبي ﷺ وأصحابه، بل حلم أتباعه أهل العلم والإيمان ومن ذلك:

سبَّ رجلٌ عليَّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب المشهور بزين العابدين يوماً فجعل يتغافل عنه ـ يريه أنه لم يسمعه ـ فقال لـه الرجل: إيّاك أعني، فقال لـه علي: وعنك أغضي[٢].

وخرج يوماً من المسجد فسبَّه رجل فانتدب الناس إليه فقال: دعوه. ثم أقبل عليه فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة كانت عليه وأمر لـه بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذ رآه يقول: إنك من أولاد الأنبياء[٣].

وإذا أراد الداعية أن يزداد حلمه، وتعظم حكمته، فليحرص على الأسباب التي تدعو إلى الحلم، فليعمل بها، وهي عشرة[٤]:

١ ـ الرحمة بالجهال؛ فإنها من أوكد أسباب الحلم.

٢ ـ القدرة على الانتصار؛ وذلك من سعة الصدر، وحسن الثقة.

٣ ـ الترفع عن السباب، وذلك من شرف النفس وعلو الهمة.

٤ ـ الاستهانة بالمسيئ.

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوتُ[٥]

---

(١) انظر: المبحث الرابع: «طرق تحصيل الحلم»، المطلب الأول: علاج الغضب من هذا الكتاب.

(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٩/١٠٥.

(٣) «البداية والنهاية»، ٩/١٠٥.

(٤) القحطاني، «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى»، ط١، ص٦٦.

(٥) سليم، «ديوان الشافعي»، د. ط، ص٣٨.

٥ ـ الاستحياء من جزاء الجواب، وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.

٦ ـ التفضّل على السّابّ، وهذا من الكرم وحبّ التألّف.

٧ ـ قطع السّباب، وهذا من الحزم كما قال الشاعر:

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى   وفي الخرق إغراء فلا تك أخرقا(١)

٨ ـ الخوف من العقوبة على الجواب، وهذا ممَّا يقتضيه الحزم، فقد قيل: الحلم حجاب الآفات.

٩ ـ الرعاية ليد سالفة، وحرمة لازمة، وهذا من الوفاء وحسن العهد.

١٠ ـ المكر وتوقع الفرص الخفية، وهذا من الدهاء، وقد قيل: من ظهر غضبه قلّ كيده(٢).

وقال بعض الشعراء:

ولَلْكفُّ عن شتم اللئيم تكرّماً   أضرّ له من شتمه حين يشتم(٣)

فإذا راعى الداعية الوقاية من الغضب، والعلاج، وهذه الأسباب العشرة كان حليماً بإذن الله تعالى، وبهذا يحقّق ركناً من أركان الحكمة التي من أوتيها فقد أُوتي خيراً كثيراً.

وينبغي أن يعلم أن الغضب لله يكون محموداً، ولا يدخل في الغضب المذموم، فالغضب المحمود يكون من أجل الله عندما ترتكب حرمات الله، أو تترك أوامره ويستهان بها، وهذا من علامات قوة الإيمان، ولكن بشرط أن لا يخرج هذا الغضب عن حدود الحلم والحكمة، وقد كان رسول الله ﷺ يغضب لله إذا انتهكت محارمه، وكان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتُهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء، ولم يضرب بيده خادماً، ولا امرأة، إلّا أن يجاهد في سبيل الله، وقد خدمه أنس بن مالك رضي الله عنه عشر سنوات، فما قال له: أُفٍّ قطّ، ولا قال له

(١) الماوردي، «أدب الدنيا والدين»، ط٤، ص٢٦٤.
(٢) القحطاني، «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى»، ط١، ص٦٦.
(٣) «أدب الدنيا والدين»، ص٢١٤.

لشيءٍ فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيءٍ لم يفعله: ألا فعلت كذا؟[(١)].

وهذا لا ينافي الحلم والحكمة، بل الغضب لله في حدود الحكمة من صميم الحلم والحكمة.

الحادي عشر: العفو:

العفو لغةً: مصدر قولهم عفا يعفو عفواً، وهو مأخوذ من مادّة (ع ف و) الّتي تدلّ على معنيين أصليّين الأوّل: ترك الشّيء، والآخر طلبه[(٢)]، ومن المعنى الأوّل عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إيّاهم فلا يعاقبهم، فضلاً منه تعالى، قال الخليل: العفو تركك إنساناً استوجب عقوبة فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفوّ الغفور[(٣)]، قال ابن فارس: وقد يكون أن يعفو عن الإنسان بمعنى التّرك، ولا يكون ذلك عن استحقاق، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «**عفوت عنكم عن صدقة الخيل**»[(٤)]، فليس العفو هاهنا عن استحقاق، ويكون معناه تركت أن أوجب عليكم الصّدقة (أي: الزّكاة) في الخيل[(٥)].

وقال ابن الأثير: أصل العفو: المحو والطّمس[(٦)]، ومنه حديث أمّ سلمة، «قلت لعثمان: لا تعف سبيلاً كان رسول الله ﷺ لحبها»[(٧)] أي: لا تطمسها، وقال ابن منظور: وأمّا العافية فهي أن يعافيه الله تعالى من سقمٍ أو بليّة، وهي:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ٨/ ١٤، حديث رقم (٦٠٣٨).

(٢) ومن هذا المعنى الثاني: العفاة وهم طلاب المعروف، ومن ذلك أيضاً: أعطيته المال عفواً؛ أي: من غير طلب. انظر: هذه المعاني وما أشبهها. ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٤/ ٦١ وما بعدها.

(٣) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٧/ ٢٨٨٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الزكاة، باب زكاة الورق والذهب، ١/ ٥٧٠، حديث رقم (١٧٠٩).

(٥) «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ٧/ ٢٨٨٩.

(٦) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٣/ ٢٦٥.

(٧) «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ٧/ ٢٨٨٩.

الصّحّة ضدّ المرض، يقال: عافاه الله وأعفاه؛ أي: وهب له العافية من العلل والبلايا، وأمّا المعافاة فأن يعافيك الله من النّاس ويعافيهم منك؛ أي: يغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك ويصرف أذاك عنهم[(١)].

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأنّي أنظر إلى النّبيّ ﷺ يحكي نبيّاً من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدّم عن وجهه ويقول: «ربّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون»[(٢)].

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجرانيّ[(٣)] غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيّ، فجبذه بردائه جبذة[(٤)] شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النّبيّ ﷺ، وقد أثّرت بها حاشية الرّداء من شدّة جبذته، ثمّ قال: يا محمّد،! مر لي من مال الله الّذي عندك، فالتفت إليه، فضحك، ثمّ أمر له بعطاء»[(٥)].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطّ بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلّا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قطّ فينتقم من صاحبه إلّا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله عز وجل»[(٦)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلمّا قفل[(٧)] رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٥/ ٧٢، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ٢/ ٢٦٥.
(٢) سبق تخريجه ص٣٠١.
(٣) نجرانيّ: منسوب إلى نجران، موضع بين الحجاز واليمن.
(٤) فجبذه: جبذ وجذب لغتان مشهورتان.
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ٨/ ٢٤، حديث رقم (٦٠٨٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة، ٢/ ٧٣٠، حديث رقم (١٠٥٧).
(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ٤/ ١٨١٤، حديث رقم (٢٣٢٨).
(٧) قفل: أي: رجع.

رسول الله ﷺ، وتفرّق النّاس يستظلّون بالشّجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلّق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابيّ، فقال: «**إنّ هذا اخترط**[(١)] **عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال: من يمنعك منّي؟. فقلت: الله** (ثلاثاً) ولم يعاقبه وجلس»[(٢)].

وما دام المعرف بالإسلام ينظر إلى من يدعوهم نظرة الرحمة والشفقة عليهم فانه يعفو ويصفح عنهم في حق نفسه قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإذا كان هذا هو شأن الداعي المسلم بالنسبة لمن يدعوهم ويحتمل صدور الأذى منهم فإن عفو الداعي وصفحه عن أصحابه أوسع قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وليعلم المعرِّف بالإسلام أن الفظاظة تؤدي إلى انفضاض الناس والمحروم من الرحمة الغليظ القلب لا ينجح في عمله ولا يُقبِل الناس عليه وإن كان ما يقوله حقّاً وصدقاً. هذه هي طبيعة الناس ينفرون من الغليظ الخشن القاسي ولا يقبلون قوله لأن قبول القول الناصح يستلزم إقبال قلب المنصوح إليه ولا يحصل هذا الإقبال مع خشونة الطبع وغلظة القلب قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فإذا كان هذا يمكن أن يقع بالنسبة لرسول الله ﷺ لو حصل ما ذكرته الآية الكريمة، والرسول لا ينطق إلا بالحق ومؤيد بالحق، فكيف يمكن تصور تخلف الانفضاض عن المعرف بالإسلام إذا كان فظاً غليظ القلب؟

فليتق الله المعرِّفون بالإسلام والدعاة إلى الله تعالى، وليتكلفوا الرحمة والرفق إن لم يكونوا رحماء حتى يكتسبوها ويألفوها، ولا يكونوا منفردين عن الإسلام بسوء أخلاقهم وغلظة قلوبهم وخشونة طبعهم وبذاءة كلامهم، فإن عجزوا عن اكتساب الرحمة وحمل نفوسهم على أخلاق الإسلام فمن الخير لهم

---

(١) اخترط: أي: سلّ.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٤/٣٩، حديث رقم (٢٩١٠).

الانصراف إلى علاج نفوسهم[١].

الثاني عشر: المروءة:

المروءة لغةً: المروءة: كمال الرّجوليّة، وفي حديث عليّ رضي الله عنه: لمّا تزوّج فاطمة، قال له يهوديّ، أراد أن يبتاع منه ثياباً ـ لقد تزوّجت امرأة، يريد: امرأة كاملة، كما يقال: فلان رجل؛ أي: كامل في الرّجال[٢].

وفي الاصطلاح:

قال الماورديّ[٣]: المروءة مراعاة الأحوال إلى أن تكون النفس على أفضلها، حتّى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجّه إليها ذمّ باستحقاق[٤].

وقال الكفويّ: المروّة هي الإنسانيّة. وقيل هي الرّجوليّة الكاملة[٥].

وقال المقريّ[٦]: المروءة آداب نفسانيّة، تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات[٧].

---

(١) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٢) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٥/ ٣١٥، والهروي، «تهذيب اللغة»، ط١، ١٥/ ٢٨٨، الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ١/ ٧٢، وابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١/ ١٥٦.

(٣) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، أحد أصحاب الوجوه في المذهب، مؤلف الحاوي الكبير، الذي هو في المصنفات عديم النظير في بابه، وله التفسير، والأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وله تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه، وغير ذلك، وكان ثقة، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، وآخرهم موتاً أبو العز بن كادش، وأثنى عليه القاضي ابن خلكان في الوفيات، وعلى مصنفاته، قال الخطيب، وغير واحد: توفي ببغداد، بعد موت القاضي أبي الطيب بأحد عشر يوماً، في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة، عن ست وثمانين سنة، رحمه الله، وله اختيارات غريبة، ووجوه منقولة عنه، في الأصول، والفروع، وعلوم الحديث. ابن كثير، «طبقات الشافعيين»، ط١، ص٤١٨.

(٤) الماوردي، «أدب الدنيا والدين»، د. ط، ص٣٠٦.

(٥) الكفوي، «الكليات»، د. ط، ص٨٧٤.

(٦) «أدب الدنيا والدين»، د. ط، ص٣١٧.

(٧) الحموي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ٢/ ٢٣٤، والزبيدي، «تاج العروس من جواهر القاموس»، د. ط، ص٤٢٧.

وقال ابن القيِّم: «حقيقة المروءة: اتّصاف النّفس بصفات الإنسان الّتي فارق بها الحيوان البهيم، والشّيطان الرّجيم، فإنّ في النّفس ثلاثة دواع متجاذبة: داع يدعوها إلى الاتّصاف بأخلاق الشّيطان، من الكبر، والحسد والعلوّ والبغي، والشّرّ والأذى، والفساد والغشّ، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشّهوة، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك، من الإحسان، والنّصح، والبرّ، والطّاعة، والعلم. والمروءة بغض الدّاعيين الأوّلين وإجابة الدّاعي الثّالث، ولهذا قيل في حدّ المروءة: إنّها غلبة العقل للشّهوة، ونقل عن الفقهاء قولهم: حدّ المروءة: استعمال ما يجمّل العبد ويزينه، وترك ما يدنّسه ويشينه سواء تعلّق ذلك به وحده أو تعدّاه إلى غيره»[١].

ومروءة كلّ شيء بحسبه: وقال ـ رحمه الله تعالى ـ: مروءة اللّسان: حلاوته وطيبه ولينه.

ومروءة الخلق: سعته وبسطه للحبيب والبغيض.

ومروءة المال: الإصابة ببذله مواقعه المحمودة عقلاً وعرفاً وشرعاً.

ومروءة الجاه: بذله للمحتاج إليه.

ومروءة الإحسان والبذل: تعجيله وتيسيره، وتوفيره وعدم رؤيته حال وقوعه، ونسيانه بعد وقوعه[٢].

وللمروءة ثلاث درجات:

الأولى: مروءة المرء مع نفسه، وهي أن يحملها قسراً على فعل ما يجمّل ويزين، وترك ما يقبّح ويشين، ليصير لها مَلَكَة في العلانية، ولا يفعل خالياً ما يستحي من فعله في الملإ، إلّا ما لا يحظره الشّرع والعقل.

الثانية: مروءة المرء مع الخلق؛ بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء، والخلق الجميل، ولا يظهر لهم ما يكرهه هو من غيره لنفسه.

الثالثة: المروءة مع الحقّ سبحانه، ويكون ذلك بالاستحياء من نظره إليك،

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/٣٥٣.

(٢) الماوردي، «أدب الدنيا والدين»، ص٣٠٦.

واطّلاعه عليك في كلّ لحظة ونفس، وإصلاح عيوب نفسك جهد الإمكان فإنّه قد اشتراها منك، وأنت ساعٍ في تسليم المبيع، وليس من المروءة تسليمه معيباً[(١)].

حقوق المروءة وشروطها[(٢)]:

قال بعض البلغاء من شرائط المروءة:

١ ـ أن يتعفّف المرء عن الحرام.

٢ ـ أن ينصف في الحكم.

٣ ـ أن يكفّ عن الظّلم.

٤ ـ ألّا يطمع فيما لا يستحقّ.

٥ ـ ألّا يعين قويّاً على ضعيف.

٦ ـ ألّا يؤثر دنيّ الأفعال على شريفها.

٧ ـ ألّا يسرّ ما يعقبه الوزر والإثم.

٨ ـ ألّا يفعل ما يقبّح الاسم والذّكر.

وقال الماورديّ: إذا كانت مراعاة النّفس على أفضل أحوالها هي المروءة، فليس ينقاد لها مع ثقل كلفها إلّا من تسهّلت عليه المشاقّ، رغبة في الحمد، وهانت عليه الملاذ، حذراً من الذّمّ، ولذا قيل: سيّد القوم أشقاهم[(٣)].

وقد لحظ المتنبّي[(٤)] ذلك فقال:

---

(١) ابن القيم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/٣٦٨.

(٢) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٨/ ٣٣٧٤.

(٣) الماوردي، «أدب الدنيا والدين»، د. ط، ص٣١٨.

(٤) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أَبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي: الشاعر الحكيم. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته. ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس. وقال الشعر صبيّاً. وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج (أمير حمص ونائب الإخشيد) فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. ووفد على سيد الدولة ابن حمدان (صاحب حلب) سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب =

لولا المشقّة ساد النّاس كلّهم ... الجود يفقر والإقدام قتّال[(١)]

وله أيضاً:

وإذا كانت النّفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام[(٢)]

إنّ حقوق المروءة أكثر من أن تحصى فلذلك أعوز استيفاء شروطها، والأظهر من ذلك ينقسم إلى قسمين[(٣)]: شروط المروءة في النّفس، وشروطها في الغير.

شروط المروءة في نفس المرء:

أي: شروطها في نفسه، بعد التزام ما أوجبه الشّرع من أحكامه فيكون بثلاثة أمور:

الأوّل: العفّة وهي نوعان: العفّة عن المحارم، **والآخر:** العفّة عن المآثم (انظر في تفصيل ذلك صفة العفّة).

الثّاني: النّزاهة وهي أيضاً نوعان: النّزاهة عن المطامع الدّنيويّة، والثّاني النّزاهة عن مواقف الرّيبة (انظر في تفصيل ذلك صفة النّزاهة).

الثّالث: الصّيانة وهي أيضاً على نوعين:

أ ـ صيانة النّفس بالتزام كفايتها، ذلك أنّ المحتاج إلى النّاس كلّ مهتضم، وذليل مستثقل، وهو لما فطر عليه محتاج إلى ما يستمدّه ليقيم أود نفسه، ويدفع ضرورتها ولذلك قالت العرب: كلب جوّال خير من أسد رابض.

= وانصرف يهجوه. وقصد العراق، فقرئ عليه ديوانه. وزار بلاد فارس فمر بأرجان ومدح فيها ابن العميد وكانت له معه مساجلات. ورحل إلى شيراز فمدح عضد الدولة ابن بويه. وعاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسد وغلامه مفلح، بالنعمانيّة، بالقرب من دير العاقول (في الجانب الغربي من سواد بغداد). وفاتك هذا خال ضبة بن يزيد، وله (ديوان شعر ـ ط) صغير. و(رسائل ـ ط) عدتها ٢٣٣ رسالة، ووفاته في هراة مسموماً. الزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ص١١٥.

(١) أبو البقاء، «شرح ديوان المتنبي»، د. ط، ٣/ ٢٨٧.

(٢) «شرح ديوان المتنبي»، ٣/ ٢٨٧.

(٣) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٨/ ٣٣٧٥.

ب ـ صيانتها عن تحمّل المنن، ذلك لأنّ المنّة استرقاق للأحرار تحدث ذلّة في الممنون عليه، وسطوة في المانّ، والاسترسال في الاستعانة تثقيل، ومن ثقل على النّاس هان، ولا قدر عندهم لمهان.

شروط المروءة في الغير:

شروط المروءة في الغير ثلاثة[(١)]:

«**الأوّل**: المؤازرة وهي على نوعين:

١ ـ الإسعاف بالجاه، ويكون من الأعلى قدراً والأنفذ أمراً، وهو أرخص المكارم يمناً، وألطف الصّنائع موقعاً، وربّما كان أعظم من المال نفعاً، وهو الظّلّ الّذي يلجأ إليه المضطرّون، والحمى الّذي يأوي إليه الخائفون، ولا عذر لمن منح جاهاً أن يبخل به، فيكون أسوأ حالاً من البخيل بماله.

٢ ـ الإسعاف في النّوائب، وهو إمّا واجب فيما يتعلّق بالأهل والإخوان والجيران، وإمّا تبرّع في من عدا هؤلاء الثّلاثة، وأمّا الأهل فلمماسّة الرّحم وتعاطف النّسب.

وقد قيل: لم يَسُد من احتاج أهله إلى غيره، وأمّا الإخوان فلمستحكم الودّ، ومتأكّد العهد وقد سئل الأحنف بن قيس عن المروءة، فقال: صدق اللّسان ومواساة الإخوان. وأمّا الجار فلدنوّ داره واتّصال مزاره.

فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء الثّلاثة تحمّل أثقالهم وإسعافهم في نوائبهم، ولا فسحة لذي مروءة عند ظهور المكنة، أن يَكِلهم إلى غيره، أو يُلجئهم إلى سؤاله، وليكن السّائل عنهم كرم نفسه، فإنّهم عيال كرمه، وأضياف مروءته، وأمّا التّبرّع لغير هؤلاء، فإنّه تبرّع بفضل الكرم وفائض المروءة، فمن تكفّل بنوائب هؤلاء فقد زاد على شرط المروءة وتجاوزها إلى شروط الرّياسة.

الثاني: المياسرة وهي أيضاً على نوعين:

١ ـ العفو عن الهفوات.

---

(١) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٨/ ٣٣٧٥.

٢ ـ المسامحة في الحقوق.

فأمّا العفو عن الهفوات، فلأنّه لا مبرّأ من سهوٍ وزللٍ، ولا سليم من نقصٍ أو خلل، وإذا كان الإغضاء حتماً والصّفح كرماً، ترتّب ذلك بحسب الهفوة، والهفوات نوعان: صغائر وكبائر، أمّا الصّغائر فمغفورة، والنّفوس بها معذورة، وأمّا الكبائر فنوعان:

أحدهما: أن يهفو بها خاطياً، ويزلّ بها ساهياً، فالحرج فيها مرفوع، والعتب عليها موضوع؛ لأن هفوة الخاطئ هدر، ولومه هذر.

والثّاني: أن يعتمد ما اجترم من كبائره، ويقصد ما اجترح من سيّئاته، وهو في ذلك إمّا موتور، فاللّائمة على من وتره. وإمّا عدوّ قد استحكمت شحناؤه، وحينئذٍ فالبعد منه حذراً أسلم، وإمّا أن يكون لئيم الطّبع خبيث النّفس ولا سلامة من مثله إلّا بالصّفح والإعراض، وإمّا أن يكون صديقاً قد استحدث نبوة وتغيّراً، أو أخاً قد استجدّ جفوة وتنكّراً، فأبدى صفحة عقوقه، واطّرح لازم حقوقه فهذا ـ ومثله ـ قد يعرض في المودّات المستقيمة، كما تعرض الأمراض في الأجسام السّليمة، فإن عولجت أقلعت، وإن أهملت أسقمت ثمّ أتلفت.

وأمّا المسامحة فنوعان:

الأول: المسامحة في العقود، بأن يكون فيها سهل المناجزة، قليل المحاجزة مأمون الغيبة بعيداً من المكر والخديعة.

الثاني: المسامحة في الحقوق، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمّا الحقوق فتتنوّع المسامحة فيها نوعين:

أحدهما: في الأحوال، **والثّاني:** في الأموال. فأمّا المسامحة في الأحوال فهي اطّراح المنازعة في الرّتب، وترك المنافسة في التّقدّم، فإنّ مشاحّة النّفوس فيها أعظم، والعناد عليها أكثر، فإن سامح فيها ولم ينافس؛ كان مع أخذه بأفضل الأخلاق واستعماله لأحسن الآداب، أوقع في النّفوس من إفضاله برغائب الأموال ثمّ هو أزيد في رتبته، وأبلغ في تقدّمه.

وأمّا المسامحة في الأموال، فتتنوّع ثلاثة أنواع:

١ ـ مسامحة إسقاط لعدم.

٢ ـ مسامحة تخفيف لعجز.

٣ ـ مسامحة إنظار لعسرة.

والمسامحة مع اختلاف أسبابها تفضّل مأثور، وتألّف مشكور، ومثال ذلك: أنّ امرأة جاءت النّبيّ ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، **فقال أتدرون ما البردة؟** قالوا: الشّملة. قال: **نعم**. قالت: نسجتها بيدي، فجئت لأكسوكها، فأخذها النّبيّ ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنّها إزاره، فحسّنها فلان، فقال: اكسنيها، ما أحسنها!. قال القوم: ما أحسنت.

لبسها النّبيّ ﷺ محتاجاً إليها، ثمّ سألته وعلمت أنّه لا يردّ. قال: «إنّي والله ما سألته لألبسها، إنّما سألته لتكون كفني. قال: سهل فكانت كفنه[(١)]»[(٢)].

وتزداد الحاجة إلى المروءة عندما يعمل المعرف بالإسلام مع رهط من الدعاة في إطار جماعة واحدة، فتكون عندئذٍ من مقتضيات الأخوة تماماً؛ كالمسافر الذي لا يمكن له الانسجام مع بقية المسافرين إذا ما شذ بسلوكٍ مخالف، أو حاد من عرف مشترك، أو استأثر بأذواق شاذة، ولهذا كانت المروءة صفة يمتاز بها أخيار الرجال، وأهل الفضل والمعروف، وفي هذا يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «لو أن الماء البارد يفسد مروءتي ما شربت إلا ماء حاراً»[(٣)].

وبناءً على هذه الصفة، وانطلاقاً منها يكون المعرف بالإسلام مع القافلة أقل أخطاء، وأقوى في معالجة أخطائه، كما يكون كيساً ولبقاً في معالجة أخطاء غيره، وبالتالي يصفو كدر الصف، وتزداد نقاوة الجماعة، فيصلب عودها، ويسهل طريقها، وهيهات أن يتوفر هذا الخير لجماعة أخرى أرضية، وذلك لأن: «من لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن أدى إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهي الدين، ومن لا مروءة له يؤثر ما يهواه وإن ثلم مروءته أو عدمها لضعف ناهي المروءة»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي ﷺ فلم ينكر عليه، ٢/٧٨، حديث رقم (١٢٧٧).

(٢) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ٨/٣٣٧٦.

(٣) ابن أبي حاتم، «آداب الشافعي ومناقبه»، ط١، ص٦٤.

(٤) ابن قيِّم الجوزية، «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، د. ط، ص٤٧٠.

وتتفرع عن المروءة جملة أخلاق وخصائص تميز ركب الأخوة عن غيره، وبها تتباين قافلة الدعاة عن سواها، ومنها حسن الظن بالآخرين، والاعتذار عنهم، وطيب الخلق الذي ترشد إليه الألفة. ولهذا كانت المروءة تستدعي أن الداعية إذ ما أسيئ إليه أن يعتذر في نفسه للآخرين، بل يقال له: «ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم تقبله فردّ اللوم على نفسك، فتقول لقلبك: ما أقساك!! يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك»(١). ولعل خلق المروءة من أعظم الأخلاق التي سها عنها المسلمون في زماننا عموماً، والدعاة إلى الله خصوصاً.

وخلاصة القول: إن المروءة تعني أمراً واحداً وهو ألا ترضى بما يعيبك ويشينك في أعين الناس والمجتمع الذي تعيش فيه.

الثالث عشر: التفاؤل:

الفأل لغةً: ضدّ الطّيرة(٢) والجمع فئول، وتفاءلت به(٣) والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء. قال أبو منصور(٤): من العرب من يجعل الفأل فيما يكره

(١) الغزالي، «إحياء علوم الدين»، د. ط، ٢/ ١٨٥.
(٢) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص١٠٤٠.
(٣) المرسي، «المحكم والمحيط الأعظم»، ط١، ١٠/ ٤٠٥.
(٤) مُحَمَّد بن أَحْمد بن الْأَزْهَر بن طَلْحَة الهروي أَبُو مَنْصُور، اللغوي صَاحب تَهْذِيب اللُّغَة، ولد سنة ٢٨٢هـ، وَسمع بهراة من الْحُسَيْن بن إِدْرِيس وَمُحَمّد بن عبد الرَّحْمَن السامي وَطَائِفَة، ثمَّ رَحل إِلَى بَغْدَاد فَسمع أَبَا الْقَاسِم البغوى وَأَبا بكر بن دَاوُد وَإِبْرَاهِيم بن عَرَفَة نفطويه وَغَيرهم، روى عَنهُ أَبُو يَعْقُوب القراب وَأَبُو ذَر عبد بن أَحْمد وَأَبُو عُثْمَان سعيد القرشي وَغَيرهم، وَكَانَ إِمَاماً في اللُّغَة بَصيراً بالفقه عَارِفاً بِالْمذهبِ عالي الْإِسْنَاد ثخين الْوَرع كثير الْعِبَادَة والمراقبة شَدِيد الِانْتِصَار لألفاظ الشافعي متحريّاً في دينه أدْرك ابْن دُرَيْد وَامْتنع أَن يَأْخُذ عَنهُ اللُّغَة، وَقد حمل اللُّغَة عَن الأزهري جمَاعَة مِنْهُم أَبُو عبيد الهروي صَاحب الغريبين، وَله مصنفات في اللغة والتفسير، وَأُسر مرّة، أسرته القرامطة فَحكى عَن نَفسه أَنه وَقع في أسر عرب نشأوا في الْبَادِيَة واستفاد مِنْهُم ألفاظاً جمة ثمَّ تُوفِّي في شهر ربيع الآخر سنة سبعين وثلاثمائة. السبكي، «طبقات الشافعية الكبرى»، ط٢، ٣/ ٦٣.

أيضاً. وفي نوادر الأعراب يقال: لا فأل عليك بمعنى لا ضير عليك ولا طير عليك ولا شرّ عليك، وفي الحديث «**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصّالح**»(١)، والفأل الصّالح: الكلمة الحسنة.

قال الماورديّ: فأمّا الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث على الجدّ، ومعونة على الظّفر؛ فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه. وروى أبو هريرة «أنّ رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته، فقال: **أخذنا فألك من فيك**»(٢).

والفأل هو الكلمة الصّالحة أو الكلمة الطّيّبة أو الكلمة الحسنة مصداق ذلك ما جاء في الحديث من أنّه ﷺ سئل ما الفأل؟ فقال: «**الكلمة الصّالحة يسمعها أحدكم**»(٣) وفي حديث أنس رضي الله عنه: «**أنّ الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطّيّبة**»(٤).

ومن ثمّ يكون المراد بالتّفاؤل: انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظّنّ، وتوقّع الخير بما يسمعه من الكلم الصّالح أو الحسن أو الطّيّب.

إن التفاؤل من المتطلبات المهمة في شخصية المعرف بالإسلام؛ لأن الشخصية المتفائلة تعمل، فهي ترى نوراً في نهاية النفق وإن كان النفق مظلماً، وأما الشخصية المتشائمة فهي لا ترى نوراً البتة. والتفاؤل من الدين وقد حث عليه الرسول ﷺ، فهو يجعل المسلم يقول الكلام الطيب ويذكر الأشياء الإيجابية. وأما التشاؤم فله الكثير من السلبيات التي لا تقتصر على الشخص نفسه بل تتعداه إلى المجتمع بأسره، لذا يوجب على المعرف بالإسلام عدم التأثر بضعف استجابة الناس له: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وعليه أن يبلغ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الطب، باب الفأل، ٧/ ١٣٥، حديث رقم (٥٧٥٦).

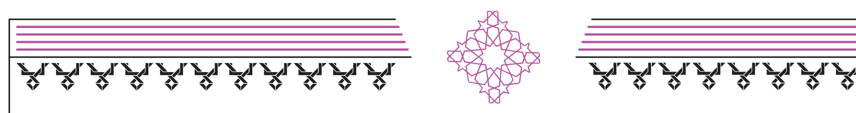
(٢) سنن أبو داود في «سننه»، كتاب الطب، باب في الطيرة، ٤/ ١٨، حديث رقم (٣٩١٧). وقال الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ٤/ ١٧٤٥، حديث رقم (٢٢٢٣).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ٤/ ١٧٤٦، حديث رقم (٢٢٢٤).

الناس الدين الإسلامي الحنيف ملتمساً ما يناسبهم من وسائل، ثم يكل أمرهم إلى رب الناس، وأن يكون متفائلاً بنجاح مهمته في كل الأحوال، بعد أن يبذل ما في وسعه والتوفيق والهداية بيد الله قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].





المبحث الرابع

مهارات المعرِّفين بالإسلام

من القضايا المهمة لدى المعرفين بالإسلام أن يكون لديهم مهارات متنوعة كالمهارات الشخصية والمهارات الاجتماعية والمهارات الفكرية والمهارات النفسية تمكنهم من استمالة الطرف الآخر وإقناعه بما لديهم من رسالة سامية.

والمعرِّفون بالإسلام أشبه بالتاجر أو البائع الذي يبيع سلعة للمشتري فهو يقدم للناس أفكاراً وقيماً جديدة عليهم كما يبيع التاجر بضاعته للمشترين، لذلك فإن ما يُشغِل المعرِّف هو كيف يرغّب غير المسلمين في قبول الدين الإسلامي وما يحويه من أفكار وعقائد ومبادئ جديدة عليهم إلى حدٍّ بعيد.

يحتاج المعرِّف بالإسلام إلى كثيرٍ من المهارات اللازمة التي يحقق بها هدفه وهو إقبال غير المسلمين على اعتناق الدين الإسلامي أو معرفته بالصورة الصحيحة، وإن شخصية المعرف بالإسلام وأسلوب تعامله هي ممَّا يجعل الناس يقبلون على هذا الدين.

وإنه مهما كانت الفكرة الجديدة ممتازة فإن الحاجة قائمة ـ في المرة الأولى على الأقل ـ إلى جذب انتباه الآخر لها وترغيبه فيها. فالشخص الذي لم يعرف الإسلام بعد لا يُدرك صدق هذا الدين وكماله وأهميته للإنسان في الدنيا والآخرة.

وسوف أركز هنا على أهم المهارات التي يجب على المعرفين بالإسلام أن يتقنوها حتى يحققوا النجاح المنشود في دعوتهم إلى الدين الإسلامي الحنيف.

أولاً: مهارة الجدل والمناظرة:

أ ـ الجدل:

شكلٌ من أشكال الخطاب التبادلي بين شخصٍ وآخر، أو طرفٍ وآخر،

ولكن المنطلق فيه أن أحد الطرفين يكون صاحب عقيدة، أو فكرة، أو موقف، نقيض ما يكون عليه الطرف الآخر، والهدف منه أن صاحب العقيدة، أو الفكرة يعمل لاستمالة الآخر، واستقطابه ليؤمن بما يؤمن به.

جاء في «لسان العرب»: «الجَدَل: اللَّدَد في الخصومة والقدرة عليها... ويُقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً؛ أي: غلبته. ورجل جَدِل إذا كان أقوى في الخصام. وجادله؛ أي: خاصمه... والاسم الجَدَل: وهو شدَّة الخصومة... الجَدَل: مقابلة الحجة بالحجة. والمجادلة: المناظرة والمخاصمة. ويقال: إنّه لَجَدِل إذا كان شديد الخصام»[1].

وجاء في «التعريفات»: «الجدل: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصرٌ عن إدراك مقدمات البرهان»[2].

هذه المعاني تبيِّن بأنّ الجدل ينطلق من أسسٍ راسخةٍ يؤمن بها من يحملها، ويلتزمها بثبات دونما ميل إلى التنازل أو التراجع عن أي شيءٍ فيها؛ بخلاف الحوار الذي يرتكز على المراجعة والتنازل.

فالجدل «يشير إلى تمسُّك طرف أو شخص بموقف، والمعاندة فيه وعدم الاستعداد للتراجع أو التنازل، ولذلك يقال: الجدل؛ شدة الخصومة. أو تجادلا: تخاصما. فالمجادلة تؤشِّر دوماً إلى المخاصمة والتناقض في الرأي، بحيث يكون الهدف إلزام الخصم بما عليه المجادل»[3].

والمجادل المحقُّ الذي يمتلك الحجَّة، يواجه خصومه من دعاة الباطل استناداً إلى بيان وبرهان ليعجزهم؛ لأنهم لا يمتلكون من البراهين ما يمتلك، وفي الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤].

وأمّا على صعيد الدعوة للإسلام، فإنّ الجدل هو الخيار الملزم لحامل

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١١/ ١٠٥.

(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص١٣٧.

(٣) السحمراني، «الإسلام والآخر»، ط١، ص١٨.

الدعوة لأنّ الإسلام دعوة إلى الدين الحقِّ، لذلك كان الجدل ضرورة، وقد بيَّن ابن الجوزي الحاجة إلى علم الجدل، فقال: «اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ إنّ معرفة هذا العلم لا يستغني عنها ناظر، ولا يتمشّى بدونها كلام مناظر؛ لأن به يتبيَّن صحة الدليل من فساده ـ تحريراً وتقريراً ـ وتتضح الأسئلة الواردة ـ من المردودة ـ إجمالاً كل مدعٍ ودعوى ما يرومه ـ على الوجه الذي يختار ـ ولو مكِّن كل مانع من ممانعة ما يسمعه ـ متى شاء ـ لأدّى إلى الخبط، وعدم الضبط، وإنما المراسم الجدلية تفصل بين الحقِّ والباطل، وتميِّز المستقيم من السقيم»[(١)].

وهذا الموقف مستفاد من الأمر الإلهي باعتماد الجدل المحمود بالأسلوب الحسن في العمل الدعوي؛ قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد جاء في تفسير «المحرِّر الوجيز» حول هذه الآية: «هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة المشركين، أمره الله تعالى أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطُّف، وهو أن يسمع المدعو حكمة، وهو الكلام الصواب القريب الوقع في النفس أجمل موقع، والموعظة الحسنة التخويف والترجية والتلطف بالإنسان بأن يجلَّه ويبسطه ويجعله بصورة من يقبل الفضائل، ونحو هذا. فهذه حالة من يُدعى وحالة من يجادل بدون مخاشنة، ويبين عليه دون قتال... فجملة المعنى: اسلك هذا السبيل ولا تعن للمخاشنة لأنها غير مجدية»[(٢)].

والجدل المحمود في الإسلام إنما هو عمل رسالي لنشر الحقيقة، ودحض المجادل بالباطل، وبيان تهافت حجة الخصم ومنطقه.

قال القنوجي[(٣)] في «أبجد العلوم»: «علم الجدل: هو علم باحث عن

(١) ابن الجوزي، «الإيضاح في الجدل والمناظرة»، ط١، ص٩٩.
(٢) ابن عطية، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، د. ط، ١٠/٢٥١.
(٣) حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، (١٢١٠ ـ ١٢٥٣هـ = ١٧٩٥ ـ ١٨٣٧م)، من مشايخ العلم في الهند. من أهل قنوج. وهو والد العلامة صدِّيق حسن خان. تعلم في دهلي. وعاد إلى بلده قنوج. له تصانيف باللغات الثلاث: العربية والهندية والفارسية، منها: (الاختصاص في الحدود والقصاص)، الزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ٢/٢٠٦.

الطرق التي يُقتدر بها على إبرام أي وضع أُريد، ونقض أي وضع كان. وهو من فروع علم النظر، ومبني لعلم الخلاف. مأخوذ من الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خُصَّ بالعلوم الدينية.

والغرض منه تحصيل مَلَكَة النقض والإبرام والهدم والإحكام. وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية من جهة الإلزام على المخالفين ورفع شكوكهم.

والإنصاف أنّ الجدل لإظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، لا بأس به وربما ينتفع به في شحذ الأذهان وتصقيل الخواطر، وتمرين الطبائع.

والممنوع هو الجدل الذي يضيع الأوقات ولا يحصل منه طائل»[(١)].

والجدل نوعان[(٢)]:

الأول: جدلٌ محمودٌ مطلوب، وهو الذي يهدف إلى استمالة الخصم بقوة الدليل والحجّة، وهذا النوع يرتكز على الحقِّ، ويكون صاحبه صلباً يسعى لغلبة الحقِّ.

والثاني: جدلٌ مذموم؛ وهو الذي يكون مرتكزاً إلى الباطل، ويريد صاحبه المراء، ودحض الحقِّ، أو حب الظهور والشهرة مع المعاندة بما هو فاسد.

والجدال الذي يكون لإظهار الحقِّ واجب، وإن كان في الباطل أو للدفاع عنه وإخفاء نور الحقيقة فهو محرَّم. وقد ذكر الله تعالى أن عقوبة هذا النوع من الجدال ستكون الإهلاك، فقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [غافر: ٥]، وإن كان لإظهار الغلبة والتفوق على الخصم فهو مكروه ولو كان الجدال في الحق، والكبر في الجدال محرَّم.

إنّ الداعية للإسلام لا يستغني عن الجدل، وفي هذا جاء الخطاب الإلهي في الآية الكريمة: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكذلك قوله تعالى في أمر التعامل مع أهل الكتاب، والآية: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ

(١) القنوجي، «أبجد العلوم»، ط١، ٢/ ١٧٧ وما بعدها.
(٢) رواس، «الموسوعة الفقهية الميسرة»، ط١، ١/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧.

أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال القرطبي: «هي محكمة، فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ والتنبيه على حججه وآياته، رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة»(١).

وأمّا النسفي(٢) فقد قال حول الآية: «بالخصلة التي هي أحسن، وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم... ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة،... أو معناه: ولا تجادلوا الداخلين في الذِّمة المؤدين للجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا»(٣).

وجاء في «المنتخب في تفسير القرآن العظيم»: «ولا تجادلوا مخالفيكم، من يهود ونصارى، إلا بالطريقة التي هي أهدأ وألين وأدعى إلى القبول، إلا الذين جاوزوا حدَّ الاعتدال في الجدال فلا حرج بمقابلتهم بالشِّدَّة. وقولوا لمن تجادلونهم: صدَّقنا بما أنزل الله إلينا من القرآن وما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، ومعبودنا ومعبودكم واحد، ونحن له وحده منقادون»(٤).

والجدل منه ما هو محمود كالانتصار للحق ودحض للباطل، ومنه ما هو مذموم.

---

(١) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط١، ١٦/ ٣٧١.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، (٠٠٠ ـ ٧١٠هـ ـ ٠٠٠ ـ ١٣١٠م)، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى «نسف» ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة، منها: «مدارك التنزيل ـ ط» ثلاثة مجلدات، في تفسير القرآن، و«كنز الدقائق ـ ط» في الفقه، و«المنار ـ ط» في أصول الفقه و«كشف الأسرار ـ ط» شرح المنار، و«الوافي ـ خ» في الفروع، و«الكافي ـ خ» في شرح الوافي، و«المصفى ـ خ» في شرح منظومة أبي حفص النسفي، في الخلاف، و«عمدة العقائد». الزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ٤/ ٦٧.

(٣) النسفي، «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، ط١، ٣/ ٣٧٥.

(٤) لجنة من علماء الأزهر، «المنتخب في تفسير القرآن الكريم»، ط١٨، ص٥٩٨.

ومما جاء في الجدل المذموم قول الله تعالى: ﴿وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ [غافر: ٥].

إنّ الجدل غير المنطلِق من قاعدة إيمانية يهم صاحبه الغلبة حتى لو استخدم الحيل، أو اعتمد نصرة الباطل، وقد عبَّر عن وجه المقارنة بين الجدل المذموم والجدل المحمود صاحب كتاب «مفاهيم قرآنية» حيث قال: «أما الجدل فيكون عندما يكون هناك صراعٌ فكريٌّ حول قضية من القضايا أو مسألة من المسائل، ويكون الهدف عند كل واحدٍ من المتجادلين هو هزيمة الآخر فكرياً، والانتصار عليه.

والعمل على تحقيق هذا الهدف قد يدفع كل واحد من المتجادلين، أو على أقل تقدير الواحد منهما، إلى أن يعتمد على أي سلاح يمكِّنه من النصر والغلبة، حتى ولو كان اعتماداً على ما هو باطل إذ الغاية في هذا الموقف تبرر الوسيلة.

وإنّه من هنا سلك القرآن الكريم مسلكاً خاصّاً في الجدل، ووضع النبي ﷺ القواعد التي يمارس الجدل على أساسها، منها القواعد التي نعتبرها من آداب الجدل القرآني، وأخلاقياته...

ولم تقف آداب الجدل في القرآن الكريم عند طلب أن يكون الجدل بالتي هي أحسن فقط، وإنما تجاوز ذلك إلى أخلاقية أخرى من أخلاقيات الجدل القرآني، وهي أن يكون الحقُّ هو المستهدف من الجدل، وليس الباطل»(١).

وأما الجدل المحمود في الإسلام فهو يدور حول موضوعين، وهما(٢):

١ ـ العقيدة، وأساسها الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وبالنبوة، والوحي، وسائر أسسها.

٢ ـ القِيَم الأخلاقية الناظمة لعلاقات الناس فرداً ومجتمعاً، من الأسرة، أصغر خلية اجتماعية، إلى اجتماع وطن الأُمّة بكل مكوناته.

ب ـ المناظرة:

المناظرة لون من التخاطب بين شخصين أو طرفين مقصده إظهار الحقيقة

---

(١) خلف الله، «مفاهيم قرآنية»، الكويت، د. ط، ص١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) «مفاهيم قرآنية»، ص١٥٧ ـ ١٥٨.

التي هي لدى أحد الطرفين. والمناظرة: «علم يُعرف به آداب طرق إثبات المطلوب ونفيه، أو نفي دليله مع الخصم»(١).

وقيل: «مجادلة بين شخصين في موضوع أدبي أو سياسي أو نحوه أمام الجمهور، وفنٌّ من فنون الإنشاء كثير الأناقة، يقوم على نسبة الكلام إلى متخاصمين يُفاخر أحدهما الآخر»(٢).

إنّ هذا المعنى اللغوي يفيد أنّ المناظرة، كما الجدل أو الحوار، إنما هي كلام يتبادله طرفان يعمد كلٌّ منهما إلى ترتيب كلامه منهجياً وتقويته بالأدلة مقارناً مع كلام من يناظره ليظهر الحقَّ على يده.

والمُناظِر: يجتهد في جمع أفكاره ومعارفه حول المسألة، موضوع المناظرة؛ لأن ذلك يعينه بمؤيدات تمكّنه من جلاء الحقيقة.

والمناظرة «علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحقُّ بينهما»(٣).

المُناظر بنّاء لروح مسؤولة، لا يقصد المكابرة والغلبة، كل همه الوصول إلى الحقيقة، وهذا مقصد يكون عند طرفي المناظرة. وقد عرَّف علماء المصطلح المناظرة على أنّها: «المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحقِّ، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم، أو غلبة الظنِّ ليظهر الصواب»(٤).

إنّ الداخل في المناظرة واجبه اعتماد أدب الخطاب الذي يجعل الآخر يدخل معه في المناظرة بكل طيب خاطر حتى لو كان على دراية بأنّ الحقيقة عنده، وأن غيره على ضلال. وقد جاء البيان القرآني يعلِّم المسلم أصول المناظرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: ٢٤].

(١) أبو حاقة، «معجم النفائس الكبير»، ط١، ص٢٠١٧.
(٢) «معجم النفائس الكبير»، ص٢٠١٧.
(٣) القنوجي، «أبجد العلوم»، ط١، ص٤٢٨.
(٤) الشنقيطي، «آداب البحث والمناظرة»، د. ط، ص٣.

فقد جاءت الآية منطلقة من المساواة بين الأطراف رغم أن رسول الله على علمٍ يقينيٍّ بأنّ الهدى ما هو عليه وما يحمل من رسالة، وأنّ المشركين أهل ضلال، لكن مثل هذا الأسلوب في دعوة الخصم المناظِر إلى الهدى، وفي الوقت نفسه تكذيب ما يعتقده من ضلال وعقيدة فاسدة لا يخدش مشاعره، ولا يولِّد عنده النفور، ممَّا يجعله ادعى للاستجابة.

قال القرطبي: «هذا على وجه الإنصاف في الحجَّة، كما يقول القائل: أحدنا كاذب، وهو يعلم أنّه صادق، وأن صاحبه كاذب، والمعنى: ما نحن وأنتم على أمرٍ واحد، بل على أمرين متضادَّين، وأحد الفريقين مهتدٍ وهو نحن، والآخر ضالٌّ وهو أنتم. فكذَّبهم بأحسن من تصريح التكذيب، والمعنى: أنتم الضّالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السماوات والأرض»[(١)].

هذا السياق القرآني يعطي قاعدة مهمة لكل مناظر للآخرين من أهل الشرك والباطل بأن واجبه التزام لغةٍ راقيةٍ لا تجريح فيها، وتحقق الغرض بدون تنفير للآخرين ولا تحقير.

ومع هذا العرض فأنه يحسن بيان الاختلاف بين المناظرة والجدل.

قال عبد الرشيد الجونفوري[(٢)] في المناظرة: «توجُّه المتخاصمين بين الشيئين إظهاراً للصواب»[(٣)].

أمّا المجادلة فقد قال فيها: «هي المنازعة لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم»[(٤)].

المجادلة تنطلق من أمورٍ مسلَّم بها، وهي تحمل الحقَّ، وتعمل لإلزام الآخر به، وأما المناظرة فالهدف منها بيان الحقيقة، وإذا كان جدِّيّاً لا يهمه ما إذا كانت الحقيقة ستظهر على لسانه أو على لسان من يناظره.

---

(١) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط١، ١٧/ ٣١٢.

(٢) عبد الرشيد بن مصطفى شمس الحق الجونفوري: فاضل حنفي هندي. له (الرشيدية ـ ط) شرح لرسالة الشريف الجرجاني في آداب البحث (١٠٨٣هـ). الزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ٣/ ٣٥٣.

(٣) الجونفوري، «الرسالة الرشيدية»، د. ط، ص١٥.

(٤) «الرسالة الرشيدية»، ص١٨.

وفي المناظرة التي تمت بين إبراهيم عليه السلام وبين النمرود الذي ادَّعى الربوبية، ما يدل على ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقد حاور النبي صلى الله عليه وسلم الشاب الذي طلب الإذن بالزنا، وذلك فيما ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «ادنه». فدنا منه قريباً. قال: فجلس.

قال: **أتحبه لأمك؟** قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**. قال: **أفتحبه لابنتك؟**

قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لبناتهم**.

قال: **أفتحبه لأختك؟**

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم**.

قال: **أفتحبه لعمَّتك؟**

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لعمَّاتهم**.

قال: **أفتحبه لخالتك؟**

قال: لا والله، جعلني الله فداءك.

قال: **ولا الناس يحبونه لخالاتهم**.

قال: فوضع يده عليه، وقال: «**اللّهمّ اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه**». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[(١)].

---

(١) سبق تخريجه ص١٢٨.

هذه المناظرة جاءت تبيِّن أسلوباً من أساليب البيان في تعليم الحقيقة والأحكام للناس، حيث كان من الممكن أن يعمد رسول الله ﷺ إلى إبلاغ حكم الإسلام في الزنا للفتى السائل بدون هذه المناظرة، لكن السُّنَّة النبوية جاءت هنا تؤصِّل، بعد القرآن الكريم، للمناظرة لتأكيد مشروعيتها.

وهذا التأصيل وهذه المشروعية للمناظرة جعلتها فنّاً اشتهر في التاريخ العربي الإسلامي، وقد كانت المناظرات تجري بين المسلمين وغير المسلمين، أو بين المسلمين بعضهم بعضاً، وفي كل الحالات كان المقصد إظهار الحقيقة.

وقد تكون المناظرة مذمومة إذا كانت من باب المكابرة التي هي شكلٌ من أشكال الانتصار للباطل، ومحاولة لنقض الحقِّ، والمكابرة رفض لكل ما هو صحيح وواقعي.

لهذا كانت المناظرة محتاجة لآداب وقواعد، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في المقدمة، عند تعريفه للمناظرة: «فإنّه لما كان باب المناظرة في الرَّدِّ والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأً، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوَّغ له أن يكون مستدلّاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال، ولذلك قيل فيه: إنّه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه»[(١)].

هذه هي المناظرة، تقوم على الاستدلال، وتهدف إلى حفظ رأي والانتصار له، أو تبين تهافت رأي وتهدمه، وقد عدَّها علماء السلف من العلوم الجمة فوائدها، والسامية مقاصدها، ومن هؤلاء السيد «محمد الكفوي»[(٢)] الذي قال في

(١) ابن خلدون، «المقدمة»، د. ط، ص٣٦٢.

(٢) محمد بن حيدر، «أبو الفيض الكفوي» (٠٠٠ ـ ١٠٥٣هـ = ٠٠٠ ـ ١٦٤٣م)، متأدب، =

مخطوط له محفوظة نسخة منه في مكتبة دار النفائس ببيروت الكلام الآتي في المقدمة: «إنّ العلوم، على تشعُّب فنونها، وتكثُّر شجونها، أرفع المطالب، وأنفع المآرب، وعلم المناظرة من بينها له شأن في عينها، يُحتاج إليه في تنقيح المعقول، ويُفتقر إليه في توضيح المنقول، ويُتوسل به إلى سالك الموصول، ويُتوصل به إلى مدارك المحصول، وإنِّي كنت، فيما مضى من الزمان إلى هذا الأوان، شغوفاً بتحصيله»[1].

ثم قال: «وأما آداب المناظرة فهي تسعة آداب:

أحدها: إنّه ينبغي للمناظر أن يحترز عن الإيجاز والاختصار، وعن الإطناب، وأن يحترز عن استعمال الألفاظ الغريبة في البحث، وعن استعمال اللفظ المجمل، ولا بأس بالاستفسار، وعن الدخل قبل الفهم، ولا بأس بالإعادة، وعن التعرُّض لما لا دخل له في المقصود، وعن الضحك ورفع الصوت وأمثالهما، وعن المناظرة مع أهل المهابة والاحترام، وأن لا يحسب المناظر الخصم حقيراً، وهذا غاية ما يراد في هذا الباب، ومن الله التوفيق لإظهار الحق، وإلهام الصواب».

إنها قواعد مهمة يحتاجها كل مناظر ومحاور لأنّها تعينه في الوصول إلى الحقيقة، وفي ضبط مسار المناظرة، والحفاظ على المستوى المناسب من الخطاب كي لا يتحول المجلس إلى غير المبتغى منه.

ومما جاء في أدب المناظرة «يلزم كل واحد منهما قصد إظهار الحقِّ في مناظرته لا قصد إظهار فضيلته، وأن لا يبالي قامت الحجة له أو عليه وليُلن كل منهما لخصمه الكلام ولا يغلظ عليه، وليتلقَّ ما يصدر عنه بقبول

= من علماء الدولة العثمانية. من أهل «كفه» بالتخفيف، من كتبه: «حدائق الأخيار في حقائق الأخبار ـ خ» وهو حكم وأمثال وأشعار بالعربية والتركية، وذكره إسماعيل البابائي وأرَّخ وفاته (١٠٥٣). إلا أن مؤرخ الترك محمد طاهر، أتى بترجمة طويلة لمحمد بن «حميد» الكفوي وقال إنه مصنف «حدائق الأخيار» و«شرح البناء» وعدة كتب في الفقه والعقائد منها ما هو مخطوط، وزد أنه كان في المدينة المنورة وتولى القضاء بالقدس الشريف وتوفي بها سنة (١١٦٨)، الزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ١١١/٦.

(١) مخطوط للكفوي محفوظة نسخة منه في مكتبة دار النفائس ببيروت.

ولطف وتحسين»[١].

هذه آداب المناظرة التي تنطلق من المقصد الذي أكَّد عليه العلماء وهو إظهار الحق، وأنّ المُناظر لا يبالي إذا ظهر الحق على لسانه أو على لسان خصمه، والأمر الآخر هو الابتعاد عن خشن القول، والغلظة في الألفاظ كي يحصل القبول من الخصمين المتناظرين لبعضهما.

ويضيف الطوفي الحنبلي[٢]: إنّه من واجب المُقدم على المناظرة أن يتفحص علمه في الموضوع المعروض، وأن لا يدخل المناظرة إلا حال امتلاكه القدر الكافي في موضوع البحث، وكذلك الخصم. قال: «ولا يناظر أحدهما الآخر في علم لا يفهمه، أو هو فيه ضعيف، إذ المتعرض لذلك مهين لنفسه والداعي إليه من علمه بقصور خصمه جائر عليه»[٣].

ثم يلفت إلى قاعدة أخرى مهمة هي أساليب التعابير والمفردات المستخدمة، فالمقصد النبيل في إظهار الحق من خلال المناظرة يحتاج عبارات رشيقة، وألفاظاً منتقاة مع الابتعاد عن الألفاظ العامية التي تنحطُّ بمستوى الخطاب. قال: «وليتجنبا في مناظرتهما الألفاظ العامية السخيفة كقوله في المنع: (لا) ويطوِّلها، أو قلب الدليل، أو فساد الوضع: (ذا عليك) كما يستعمله بعض

---

(١) الطوفي، «علم الجدل في علم الجدل»، د. ط، ص١٣.

(٢) سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، (٦٥٧ ـ ٧١٦هـ) فقيه حنبلي، من العلماء. ولد بقرية طوف ـ أو طوفا ـ (من أعمال صرصر: في العراق) ودخل بغداد سنة ٦٩١هـ ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤هـ وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفي في بلدة الخليل (بفلسطين). له: «بغية السائل في أُمهات المسائل» في أصول الدين، و«الإكسير في قواعد التفسير» في دار الكتب، و«الرياض النواضر في الأشباه والنظائر» و«معراج الوصول» في أصول الفقه، و«الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة» و«تحفة أهل الأدب في معرفة لسان العرب» و«الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية» و«العذاب الواصب على أرواح النواصب» حُبس من أجله، وطيف به في القاهرة، و«تعاليق على الأناجيل» و«شرح المقامات الحريرية» و«البلبل في أصول الفقه» اختصر به «روضة الناظر وجنة المناظر» لابن قدامة، و«موائد الحيس في فوائد امرئ القيس» و«مختصر الجامع الصحيح للترمذي» في مجلدين. الزركلي، «الأعلام»، ط١٥، ٣/ ١٢٧.

(٣) الطوفي، «علم الجدل في علم الجدل»، د. ط، ص١٤.

أخشان الزمان، أو يجعلان يحثهما مثل لغو اليمين، فيقول هذا: (لا والله)، وهذا: (بلى والله)، وليقل: (ذاك عليك)، هذا الدليل ينعكس، أو ينقلب، أو هو فاسد الوضع، وهو الذي يقتضي خلاف ما استدل به عليه؛ وعوض (لا) المطوَّلة: لِمَ قلت؟ أو لا نسلِّم»[١].

وقد ذكر أبو حامد الغزالي[٢] أن لا يعمد المتناظران إلى مسائل لم تقع وأمور تنظيرية لا وجود لها في الواقع: «أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً»[٣].

وينبِّه الغزالي إلى قاعدة أخرى مفيدة وهي: أن تكون المناظرة في خلوة أو مجلس خاص؛ لأن المناظرة أمام ملأٍ من الناس تفتح الباب للمراء والمكابرة والمعاندة فيؤدي ذلك إلى ضياع الحقيقة، وتشويش الفكر والذهن حيث قال: «أن تكون المناظرة في الخلوة أحبَّ إليه، وأهمّ من المحافل، وبين أظهر الأكابر والسلاطين، فإنّ الخلوة أجمع للفهم، وأحرى بصفا الذهن والفكر، ودرك الحقِّ، وفي حضور الجمع ما يحرِّك دواعي الرِّياء، ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقّاً كان أو مبطلاً، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله»[٤].

ثمّ يتابع متحدّثاً عن شكلٍ مذمومٍ من المناظرة سببه أن بعض الأدعياء والمغرورين لا يريدون أن تظهر الحقيقةُ إلا على أيديهم، وهذا أمرٌ مذموم، ويخالف ما هو مأثورٌ عن الإمام الشافعي: «ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يظهر الله الحقّ على يديه»[٥].

---

(١) الطوفي، «علم الجدل في علم الجدل»، ص١٥.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي، حجَّة الإسلام ومحجَّة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، له في المذهب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة، من مؤلفاته: كتاب «إحياء علوم الدين»، وكتاب «الأربعين»، وكتاب «الأسماء الحسنى»، و«المستصفى في أصول الفقه»، السبكي، «طبقات الشافعية الكبرى»، ط٢، ٦/ ١٩١.

(٣) الغزالي، «إحياء علوم الدين»، د. ط، ١/ ٦٢.

(٤) «إحياء علوم الدين»، د. ط، ص٦٢.

(٥) النووي، «المجموع شرح المهذب»، د. ط، ١/ ١٢.

قال أبو حامد الغزالي: «أن يكون في طلب الحقِّ كناشد ضالّة لا يفرِّق بين أن يُظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره أن عرَّفه الخطأ وأظهر له الحقَّ... فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسودُّ وجه أحدهم إذا اتضح الحقُّ على لسان خصمه وكيف يخجل به، وكيف يجهد في مجاحدته بأقصى قدرته»[(١)].

ومما يحسن بيانه في ختام هذا المبحث الأمور المذمومة في المناظرة حيث يقول الغزالي ـ عليه رحمة الله ـ: «اعلم وتحقَّق أنّ المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف، والتشدُّق عند الناس، وقصد المباهاة والمماراة أو استمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدوِّ الله إبليس»[(٢)].

ثانياً: مهارات الاتصال وبناء التصورات:

عندما ولد الإنسان لم يكن متكلماً، ولم يكن ماشياً. وإنما يتعلم هذه المهارة من خلال الدربة والممارسة، والاستمرار في التدرب والتعلم لاكتساب المهارات التي يحتاجها في عمله وحياته، يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

وعلى الدعاة المعرفين بالإسلام أن يتقنوا هذه المهارة لأنهم بها يستطيعون أن يوصلوا رسالة الإسلام للمستهدفين في أبهى صورة وأجمل حلة، ممَّا يوصلهم إلى تحقيق الهدف المنشود بأفضل وسيلة، وأحسن طريقة، وهو وسيلة الرسل والأنبياء في تبليغ دعواتهم إلى الأمم.

تعريف الاتصال:

الاتصال في اللغة: الوصل ضد الهجران وبينهما وُصلةٌ أي اتصال وذريعة وكل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلة[(٣)].

(١) الغزالي: «إحياء علوم الدين»، ص٦٣.
(٢) «إحياء علوم الدين»، ص٦٣.
(٣) الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ١/ ٧٤٠.

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت التعريفات الحديثة للاتصال فهو من أكثر المفاهيم والمصطلحات الشائعة في العصر الحديث بسبب تناول الباحثين له من زوايا مختلفة ومتنوعة في العلوم الإنسانية والسياسية.

الاتصال: الوصول إلى الشيء أو بلوغه إليه.

والاتصال: هو العملية التي تنتقل بها الرسالة من مصدرٍ معينٍ إلى مستقبل واحد أو أكثر، بهدف تغيير السلوك.

- وهو: العمليات التي بواسطتها تنتقل المعلومات بين الأفراد أو المنظمات بمعاني وطرق وإشارات متفق عليها.

ويفضل البعض استخدام مصطلح التواصل بدل الاتصال لأن التواصل يدل على أن هناك طرفين في العلاقة بينهما يفهم من الاتصال بأنه أحادي الجانب، وهذا يتوافق مع المفهوم المعاصر لعملية الاتصال بأنها تفاعلية وتبادلية التأثير[(١)].

وتنتقل الرسالة عبر قناة الاتصال على شكل رموز مفهومة ومتفق عليها بين المرسِل والمستقبِل أو رموز شائعة في المجتمع أو الحضارة التي تتضمنها.

وأطراف الاتصال الفعال خمسة: المرسل، والرسالة، والمستقبل، والوسيلة، والاستجابة[(٢)].

مهارات التواصل التي يجب على الداعية إتقانها:

إن التواصل الفعال الذي يحقق الرسالة المنشودة منه ويكون له الأثر البالغ في التأثير الدعوي يحتاج إلى استحضار هذه المعادلة:

التأثير يساوي: الانتباه مع المرونة.

الانتباه يساوي: القدرة على قراءة الشخص الآخر، أو الموقف، أو المفاتيح الخفية في الموقف، فالانتباه يعني التقاط الإشارات اللفظية وغير اللفظية للطرف المقابل، بمعنى آخر أن تكون بارعاً في فن الاستماع والملاحظة.

---

(١) الزيدي، «معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي»، ط١، ص١٢.

(٢) الحليبي، «مهارات التواصل مع الأولاد ـ كي تكسب ولدك؟»، ط١، ص١٣.

والمرونة تساوي: القدرة على الانتقال إلى سلوكٍ ملائمٍ بنّاءٍ على مدى انتباهك لمفاتيح الشخصية التي يقدمها لك الشخص الآخر.

ومن هنا يجب أن يتصف الداعية (المعرف بالإسلام) بالذكاء وسرعة البديهة، وحسن التصرف في المواقف المختلفة، وأن يكون على دراية جيدة بعلم النفس، وفن التعامل مع الآخرين، وغيرها من المهارات الشخصية.

من طرق التواصل الفعال مع المدعوين:

١ ـ الحرص على الانطباع الأول الطيب بحسن المظهر واللباقة.

٢ ـ الابتسامة الصادقة.

٣ ـ الحرص عليهم وحب الخير لهم.

٤ ـ حسن الإنصات والإصغاء لما يقول الطرف المقابل.

٥ ـ معرفة واستخدام أسماء المدعوين.

٦ ـ القول الطيب والثناء الحسن عليهم بما فيهم من صفاتٍ إيجابية طيبة.

٧ ـ معرفة خلفيات وأحوال المدعوين.

٨ ـ اختيار المفتاح أو المدخل المناسب في الحديث معهم ودعوتهم إلى الإسلام بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة.

٩ ـ استخدام لغة المدعو (أو بعض المفردات كمدخل للتواصل والحوار معه).

١٠ ـ الإكرام والاحترام المتبادل.

١١ ـ التعرف على نمط الطرف المقابل لمعرفة كيفية التواصل معه بطريقة فعالة بقصد الإقناع والتأثير فيه.

١٢ ـ التدرج مع المستقبل وإبراز الجوانب الإيجابية أولاً ونقاط الاتفاق قبل التطرق لنقاط الاختلاف.

١٣ ـ توظيف جميع عناصر الاتصال اللفظي وغير اللفظي (لغة الجسد وإيماءاته) عند الحديث مع المستقبل.

١٤ ـ المشاركة الوجدانية وإبداء التأثر بالمواقف الانفعالية.

١٥ ـ مشابهة المُستَقْبِل في نبرة الصوت واللغة المناسبة وطريقة الجلوس.

١٦ ـ تجنب أسلوب الأسئلة المباشرة، والاستعانة بعبارات تقريرية.

١٧ ـ محاولة قراءة أفكار المُستقبِل.

١٨ ـ اختيار وسيلة الاتصال المناسبة وفي الوقت المناسب والظرف المناسب.

١٩ ـ يجب أن تكون الرسالة الموجهة مباشرة وواضحة الملامح، وبموضوعٍ واحد لكل حالة اتصال، مع الحرص على حصول التغذية الراجعة.

٢٠ ـ جعل الرسالة كاملة ومحكمة.

٢١ ـ أن تتطابق الرسالة لفظياً مع الرسالة الغير لفظية.

٢٢ ـ أن تكون الرسالة ذات دلالات ومعانٍ مباشرة ومختصرة.

٢٣ ـ أن تكون مناسبة لمستوى عقلية المُستقبِل.

٢٤ ـ أن يكون المُستقبِل مستعداً لاستقبال الرسالة.

٢٥ ـ حسن استخدام المهارات غير اللفظية في إرسال الرسالة.

ومما يجب التنبه إليه أن التواصل مع المخاطبين لا بد له من رسالة، وهذه الرسالة قد تصل سليمة ويفهمها المستقبِل فهماً صحيحاً ويتقبلها ويتصرف حيالها حسب ما يتوقعه المرسِل.

وقد تصل الرسالة إلى المستقبل ولكنه لا يفهمها أو لا يتقبلها ومن ثم لا يتصرف بالنسبة لها كما يرجو المرسِل، وقد لا تصل الرسالة على الإطلاق لسببٍ أو لآخر أو قد تصل ناقصة أو مشوشة. ممَّا يستوجب التأكيد على الدعاة إلى الإسلام أن يرعوه في مخاطبتهم للآخرين.

ثالثاً: مهارة الإلقاء:

فن الإلقاء: هو فن إيضاح المعاني بالنطق والصوت لكي تتوثق حلقة الاتصال بين المتكلم والمخاطب دون أن يشوبها اضطراب أو لبس حتى تأتي الصورة السمعية دقيقة في تفاصيلها[(١)].

---

(١) مقلد، «فن الإلقاء»، د. ط، ص١٨.

وهو أيضاً: فن النطق بالكلام في صورةٍ توضح ألفاظه ومعانيه[(١)].

كما أن الإلقاء فن من الفنون، يعتمد على الإحساس بالجمال وما يعني أنه يسلك ضمن الفنون، بما تحويه من شحنٍ للعواطف، وقوة تأثيره، فهو لب الفن بما يحويه من ألفاظ ذات مدلولات فنية، تؤدي بفن وفق القالب الفني المعد له[(٢)].

فكلمات الإلقاء؛ أي: الأداء هي متعة الأديب فهو الجزء الرئيس الذي يحدث التأثير الفني.

أما غايته الرئيسية هي التأثير في الآخرين، بما يعني نقل التجربة والفكرة من الملقي إلى السامعين والمشاهدين التابعين فيتأثرون بما سمعوا من الملقي، ومن ثم يؤثرون في غيرهم، وهكذا تكون الغاية من فن الإلقاء.

وبالجملة فقد تتعين الخطابة طريقاً إلى التأثير والإقناع حيث لا يفيد البرهان[(٣)].

وقد اعتبر عبد الوارث عسر الإلقاء فناً؛ لأنه يعتمد أساليب الفنون ومن هذه الأساليب[(٤)]: المحاكاة بمعنى القدرة على محاكاة الآخرين واستخدام الحركات التعبيرية المصاحبة للغة وتنغيم الأصوات وتغيير أنماطها وفق مدلولاتها ومعانيها.

الإلقاء هو الثوب الذي ستلبسه الكلمات بعد اختيارها لأداء المعاني، ويمثل الإلقاء نصف عناصر النجاح، ولكل معنى ما يناسبه من الكلمات، وما يناسبه من الإلقاء.

ومما يجب ملاحظته في مرحلة الإلقاء[(٥)]:

١ ـ وضوح العبارات، بحيث تستفيد منها كل المستويات الثقافية، مع رعاية

---

(١) عبد الوارث، «فن الإلقاء»، د. ط، ص٥.
(٢) «فن الإلقاء»، ص٦.
(٣) محفوظ، «فن الخطابة وإعداد الخطيب»، د. ط، ص١٥.
(٤) «فن الخطابة وإعداد الخطيب»، ص٦.
(٥) مجلة الوعي الإسلامي، العدد [٥٣٢]، بتاريخ: ٣/٩/٢٠١٠م، بقلم الكاتب: د. محمد محمود متولي ـ جامعة الكويت.

مقتضى الحال، وتجنب التطويل الممل، والإيجاز المخل، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدِّث الناس ما دحجوك[(١)] بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمسك[(٢)]؟.

٢ ـ التجافي عن زخرفة الكلام وتنميقه، وعن ممجوجه وقبيحه، وعن محاكاة كلام العامة والسفلة فوق المنبر، وعن التصريح بالأسماء والعائلات والوظائف، فهذا فضح للناس، وتنفير لهم، فالخطابة أدب، وتوجيه بالتي هي أحسن، وتحاشٍ للاستطراد، حتى لا يتخرق الموضوع، ويجب الحرص على وحدة الموضوع، حتى لا تشتت أفكار المستمعين.

٣ ـ قصر المقاطع فهو أعون على المتابعة، وجذب الاهتمام، والتأثير في المستمع؛ لأن طول المقاطع يقلل الحماس والانتباه، وينوِّم المستمعين فالقضايا المحتاجة إلى إقناع تحتاج إلى حمية الكلام، وهذا لا يكون إلا في الجمل القصيرة، ومثال هذا في القرآن المكي عموماً، ولذا كان من مزاياه قصر المقاطع، فقد كان يؤسس الجماعة ويبني عقائدها في الله ورسوله، واليوم الآخر.

٤ ـ اختلاف نبرات الصوت عند الإلقاء، فلا يكون منخفضاً ميتاً، ولا يكون عالياً صاكّاً للأسماع مؤذياً للسامعين، مختلطاً بتشنج الخطيب، وإنما يعلو وينخفض إذا استدعى الموقف ذلك، ففي موقف الشدة يشتد، وفي موقف اللين يلين، وهذا التنويع في طبقات الصوت يحبب الحضور السماع والمتابعة، ويريح الملقي من متاعب علو الصوت.

٥ ـ ضبط العبارات نحوياً، ومن لا يعرف النحو قد يخطئ في قراءة الآيات والأحاديث، ونطق آثار السلف، فالقراءة حسب أصولها تعطي المقروء جمالاً وكمالاً يجعل تأثيره على سامعيه أكثر.

٦ ـ إظهار التأثر بما يقال بالتعايش مع الموقف، فالكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان.

(١) [دحجٍ] والدحج: لغة يمانية دحجه دحجاً إذا عركه كما يعرك الأديم. ويقال: ذحجه ذحجاً بالذال المعجمة وهي أعلى اللغتين. ابن دريد، «جمهرة اللغة»، ط١، ١/ ٤٣٥.
(٢) الجاحظ، «البيان والتبيين»، د. ط، ١/ ١٠٥.

رابعاً: مهارة التخطيط وإدارة المهام:

لا يخفى على كل داعية للإسلام نذر نفسه لتحمل هذه الأمانة العظيمة مدى الحاجة إلى التخطيط السليم في خدمة دعوة غير المسلمين حتى يكون العمل الدعوي مبنياً على أسسٍ سلمية من أجل أن يحقق الثمار المرجوة منه.

ولا ريب أن من أهم السمات المطلوبة في الداعية إلى الله هي البصيرة بمفهومها الواسع، والتي تشمل غير العلم بموضوع الدعوة معاني أخرى كثيرة من أهمها: وجود الفهم الشامل لدى الداعية بأهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه للوسائل الشرعية التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف، والتنبؤ بما قد يعترضه من عوائق ومشكلات، وهذا الوعي والإدراك لمثل هذه الأمور هو ما يسمى بلغة الإدارة: (التخطيط).

والتخطيط أساس نجاح أي عمل من الأعمال سواء في حياة الفرد أو المنظمة وهو الطريق الذي يرسم بصورةٍ مسبقةٍ ليسلكه الفرد أو المنظمة عند اتخاذ القرارات وتنفيذ العمل بشرط أن يكون وفق منهج فكري عقائدي متمثل بالإيمان بالقدر والتوكل على الله[(١)].

والإدارة سلوك إسلامي قويم، ومنهج رشيد حثَّ الإسلام على ممارسته في جميع شؤون الحياة؛ لأن بالإدارة يحقق المسلم فعالية في عمله وإنتاجه، وكفاءة في أدائه.

والتخطيط يُعرَّف لغةً: «يرجع التخطيط في اللغة إلى الخط، والجمع خطوط والخطة (بالكسر) يخطتها الرجل لنفسه، وقولهم خطة نائية؛ أي: مقصدٌ بعيد»[(٢)].

ويعرف اصطلاحاً بأنه: «عملية ذهنية منظمة لاختيار الوسائل الممكنة لتحقيق أهداف محددة»[(٣)]، والتخطيط أيضاً: مجموعة من العمليات المترابطة ماديّاً

(١) مقال للكاتبة: خديجة أحمد محمد بامخرمة، مجلة المنال الإلكترونية almanalmagazine.com.

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/ ٢٤٤.

(٣) حبيش، «مبادئ الإدارة العامة»، ط١، ص١٩.

وبشريّاً، يكون بدايته النظرة الفاحصة والمتعمقة للمستقبل، والتنبُّؤ بأحداثه ومستجداته في مجال موضوع محدد، وذلك من خلال التوجيهات والسياسات التي تصدر من قِمَّة الهرم الإداري، وحساب التقديرات والحقائق الواقعية القائمة(١).

وأما التخطيط الإسلامي فهو: التفكير والتدبر بشكلٍ فرديٍّ وجماعيٍّ في أداء عملٍ مستقبلي مشروع، مع ربط ذلك بمشيئة الله تعالى، ثم بذل الأسباب المشروعة في تَحقيقه، مع كامل التوكل والإيمان بالغيب فيما قضى الله وقدره على النتائج.

إن التخطيط عملية مستمرة تتضمن تحديد طريقة سير الأمور للإجابة عن الأسئلة مثل ماذا يجب أن نفعل، ومن يقوم به، وأين، ومتى، وكيف. وبواسطة التخطيط سيتمكن الداعي إلى حدٍّ كبيرٍ من تحديد الأنشطة اللازمة لتحقيق الأهداف.

والتخطيط العام يجيب على أربعة أسئلة وهي:

١ ـ ماذا نريد أن نفعل؟

٢ ـ أين نحن من ذلك الهدف الآن؟

٣ ـ ما هي العوامل التي ستساعدنا أو ستعيقنا عن تحقيق الهدف؟

٤ ـ ما هي البدائل المتاحة لدينا لتحقيق الهدف؟ وما هو البديل الأفضل؟

من خلال التخطيط ستحدد طرق سير الأمور التي سيقوم بها الداعي إلى الإسلام، أو المنظمة الدعوية ككل لمدة أيام، وشهور، وحتى سنوات قادمة.

لا شك أن كل داعية إلى الإسلام إنما يهدف من وراء دعوته إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ إذن: فما هي أهدافه؟

ولديه العديد من الوسائل التي ينوي القيام بها: فما هي أفضل هذه الوسائل لتحقيق أهدافه؟

ويطمح لأن تتحقق أهدافه ومقاصده: فكيف تتحقق هذه الأهداف بالشكل المطلوب؟

(١) عفيفي، «مبادئ وأصول علم الإدارة العامة»، د. ط، ص١٣٣.

ويرد في ذهنه العديد من العوائق والصعوبات عند رسم برامجه: فما السبيل لتلافي هذه المعوقات وتوقعها مسبقاً؟ إنَّ هذه الخواطر والتساؤلات تبرز مسيس الحاجة إلى التخطيط في برامجنا الدعوية؛ لأن ضعف جانب التخطيط أحياناً وانعدامه في أحيانٍ أخرى أسهم في إضاعة الكثير من جهود الدعاة وأضعف ثمار أعمالهم الدعوية وأضحى الكثير من البرامج تنفذ لمجرد التنفيذ فقط أو لتكون أرقاماً تضاف إلى أعداد البرامج المنفذة.

وإذا تأملت في آثارها فلا تكاد تجد لها أثراً في الواقع أو أنها قد حققت الحد الأدنى من أهدافها، وبتتبع معظم السلبيات في الجهود الدعوية نجد أن الكثير منها يمكن إرجاعه إلى ضعف أو انعدام التخطيط.

وهذا لا يعني إغفال العوامل الأخرى كسلامة المنهج وإخلاص النوايا لدى العاملين، وغيرها، ولكن هذه الجوانب قد تكون معلومة لدى معظم الدعاة وليست بخافية كما هو حال التخطيط الذي لا زال قليلاً أو شبه معدوم في واقع كثيرٍ من الدعاة أو الجهات العاملة في حقل الدعوة؛ ولا زالت الارتجالية والعشوائية والفوضى المالية والإدارية أحياناً هي السِّمة البارزة في كثيرٍ من الأعمال الدعوية.

إيجابيات التخطيط:

ويمكن أن نبرز أهم ما يمكن أن يسهم به التخطيط للنهوض بالأعمال الدعوية والارتقاء بها حتى تحقق أهدافها بإذن الله تعالى، ثم بجهود الدعاة الصادقين المخلصين، وأبرز هذه الإيجابيات هي[١]:

١ ـ أن التخطيط يحدد أهداف الدعاة وغايات البرامج والمشروعات الدعوية، كما يفيد في حسن الأداء أثناء التنفيذ والتقويم الدقيق بعد ذلك، ولا زال هذا الأمر ـ وهو وضوح الهدف ـ غائباً عن كثيرٍ من العاملين في الدعوة؛ فهو لا شك يدرك الهدف العام ـ وهو تبليغ دين الله ـ ولكنه قد يجهل الأهداف

---

(١) مقال: التخطيط في خدمة الدعوة، خالد الصقير. موقع صيد الفوائد.

الخاصة لكل برنامج ممَّا يُوجِد في كثيرٍ من الأحيان سلبيات كثيرة على هذه البرامج.

٢ ـ يساعد التخطيط في اختيار طرق الدعوة المناسبة والملائمة لكل داعية بحسب قدراته وإمكاناته والمتوافقة مع طبيعة البرنامج والأهداف المرسومة له؛ وفي تحديد الرأي الأقرب للتقوى لكل برنامج؛ فأحياناً قد يختار الداعية أساليب للدعوة لا تؤدي إلى نجاح البرنامج: إما لعدم مناسبتها لأهداف البرنامج، أو لطبيعة البرنامج وأهدافه، أو لعدم مناسبتها لإمكانات من يتولى تنفيذ البرنامج وقدراته الدعوية، أو أنها غير ملائمة لبيئة الدعوة أو نوع المدعوين وطبيعتهم، وقد (يجتهد) الداعية أحياناً في اختيار وسيلة غير منضبطة بضوابطها الشرعية.

٣ ـ يجعل من السهل التوقع لمعوقات البرنامج الدعوي التي قد يفاجأ بها الداعية أثناء أو قبل تنفيذ البرنامج، ويتم هذا بالاستفادة من المعلومات والبيانات التي يجمعها واضع الخطة الدعوية ممَّا يجعله ـ بإذن الله ـ أكثر أماناً وأقل عرضة للمفاجآت التي قد تُذهب جهوده أو تضعف ثمارها إضافة إلى أنه يعالج الخطأ في الوقت المناسب وقبل أن يتراكم فيمنع الرؤية وتصعب معالجته.

٤ ـ يُسهم التخطيط في ترتيب الأوليات لدى العاملين والقائمين على البرنامج الدعوي ممَّا يساعد في اختيار الأهم منها عند حدوث تضارب أو تداخل، أو عند الحاجة لتقديم برنامج على الآخر، أو إلغاء أحدهما، أو غير ذلك.

٥ ـ يُحدث التخطيط كثيراً من الانسجام والتناسق بين أعمال الداعية، ممَّا يمنع الازدواجية والتضارب في أعماله وبرامجه؛ فلا تضيع بفعل ذلك كثير من الجهود والأوقات التي يمكن استغلالها لتنفيذ برامج أخرى.

٦ ـ يعمل التخطيط على توفير كثير من النفقات المالية والجهود البشرية التي توضع في غير موضعها بسبب ضعف التخطيط أو انعدامه ممَّا يساعد على استثمار هذه الجهود والنفقات لإقامة برامج دعوية أخرى.

ولا شك أن عدم وجود تصورٌ واضحٌ للميزانيات المتوقعة لتنفيذ البرنامج هو من آثار ضعف التخطيط.

٧ ـ يفيد التخطيط في تحديد مواعيد زمنية تضبط بدء الأنشطة وانتهاءها؛ وهذا يجعل الداعية قادراً على تقويم أعماله ومدى التزامه بالمدة الزمنية المحددة لتنفيذها، وكذلك في حسن التوقيت لإقامة البرامج ومنع التضارب مع أنشطة أخرى.

٨ ـ يفيد التخطيط في التجديد في الأساليب والوسائل الدعوية وفي البعد عن الرتابة والتمسك بالأساليب التقليدية؛ مع التمسك بثوابت المنهج الصحيح في الدعوة.

٩ ـ يفيد التخطيط في التنسيق بين العاملين أو الجهات الدعوية في الساحة الدعوية بأشكالٍ مختلفةٍ سواء في التنسيق في توزيع المواقع الجغرافية، أو التخصص في البرامج الدعوية، أو غير ذلك. كما يفيد في منع التكرار في البرامج ويحول دون إضاعة الجهود أو إغفال برامج أخرى قد تكون الحاجة إليها أكثر.

١٠ ـ يفيد التخطيط في تقويم الواقع الدعوي في المواقع المختلفة التي تنفذ فيها الخطط الدعوية، وفي تحديد مواطن الضعف في الخطة أو في أسلوب التنفيذ ليتم تلافيها في الخطط القادمة؛ وهذا ممَّا يؤكد أهمية التخطيط في أنه يساعد في عدم تكرار الأخطاء التي ترتكب، وفي عمل مراجعات شاملة في نهاية كل خطة دعوية ليتم تقويم النتائج والنسب المتحققة من أهدافها وأبرز سلبياتها وإيجابياتها.

١١ ـ يجعل من السهل على الداعية أن يحصر حاجاته من البرامج والأنشطة والخطط اللازمة لتوجيه مسار الدعوة بالشكل الصحيح.

١٢ ـ يسهم في معرفة مواضع الضعف في القوى البشرية ومن ثَمَّ في تحديد البرامج التدريبية اللازمة للارتقاء بالكفايات الدعوية من كافة الجوانب العلمية والإدارية والقيادية.

١٣ ـ يساعد التخطيط القائمين على الأعمال الدعوية في وضع معايير وأُسس لمتابعة أداء الدعاة والعاملين في البرامج، ومدى تحقيقهم لأهداف البرنامج.

١٤ ـ يفيد التخطيط في تحديد مهام العاملين في البرنامج الدعوي أو الخطة

الدعوية عموماً، وطريقة أدائهم؛ ممَّا يساعد على إدارتهم وتوجيههم بالطريقة المناسبة لتحقيق الأهداف المطلوبة.

١٥ ـ يزيد التخطيط من فاعلية وإنتاجية المديرين للبرامج أو الخطط الدعوية؛ فما دام أن التخطيط يساعد في وضع الأهداف بشكلٍ واضحٍ ومحددٍ فإنه كذلك يساعد القائمين عليه في اتخاذ القرارات المناسبة التي تحكمها الأهداف الموضوعة للخطة الدعوية.

١٦ ـ يساعد التخطيط في استغلال الفرص الدعوية حيث يفيد في الإعداد المبكر وحسن التوقيت للبرامج وجمع المعلومات الخاصة بالبرامج وخصوصاً مواعيد إقامتها، وتحديد ذلك مسبقاً والإعداد الجيد له.

١٧ ـ يفيد التخطيط في جعل البرامج والخطط أكثر شمولية وتكاملاً؛ ويلاحظ أثر ذلك في جهود بعض الدعاة أو الجهات الدعوية حيث تركز على شرائح معينة من المجتمع أو على موضوعات وجوانب معينة في برامجها، وتهمل غيرها؛ بينما التخطيط يجعل للعمل الدعوي والجهود الدعوية سمة الشمولية في طروحاتها وبرامجها.

١٨ ـ يساعد التخطيط على استمرار الجهود الدعوية ـ بإذن الله ـ فكثيراً ما تتوقف الأنشطة وتتعطل البرامج بسبب حدوث المفاجآت كانقطاع الدعم، أو سوء التنفيذ، أو سوء التوقيت، ولعدم وضع بدائل لهذه الحالات الطارئة.

خامساً: القدرة على حل المشكلات:

إن وجود المشكلات شيء طبيعي في الحياة، وإن مواجهة الإنسان للمشكلات أيّاً كانت طبيعتها قد تشكل عقبة تحول دون تحقيقه لأهدافه؛ ممَّا يتحتم عليه التعامل معها بطرقٍ ذكيةٍ حتى يجد لها الحل المناسب ولا يبقى في حيرة أمام المشكلات التي تواجهه.

وتعد مهارة حل المشكلات من المهارات المهمة في الحياة إذ تَعلُّم المهارات ذات العلاقة بالتفكير وحل المشكلات تساعد على التعامل مع مشكلات الحاضر والمستقبل، وهي من المهارات المكتسبة التي يجب على الدعاة إلى الإسلام أن يتقنوها، فالعمل في حقل الدعوة قد تعترضه الكثير من المشكلات

والعوائق التي قد تؤدي إلى الفشل والإحباط وعدم الاستمرار في طريق الدعوة إلى الإسلام.

والمشكلة: هي حالة يشعر فيها الفرد أنه أمام موقفٌ مشكلٌ أو محير يجهل الإجابة عنه ويرغب في معرفة الإجابة الصحيحة.

وتعرف المشكلة أيضاً بأنها وضع غير مرغوب فيه يؤدي إلى حالة عدم توازن بسبب عدم وضوح الهدف أو وجود بعض العوامل أو المؤثِّرات السلبية التي تؤدي إلى وجود مفارقة بين الواقع والمتوقع أو انحراف عن الهدف المحدد(١).

فالمشكلة إذن حالة تنشأ عندما يحصل اختلاف بين ما يحدث فعلاً وبين ما يتوقع الفرد أو الجماعة أو المنظمة أن يحدث، وهكذا يمثل موقف غير مرغوب فيه إلى وجود المشكلة.

وهذا الأسلوب بدأ الاهتمام به حديثاً والمتأمل في السُّنَّة النبوية يجد نفسه أمام عدد من المواقف التي استخدم فيها الرسول ﷺ أسلوب حل المشكلات عندما تواجهه أو تعرض عليه مشكلة ما، ومن ذلك أنه ﷺ استخدمه عندما ظهرت مشكلة سماع الأذان، إذ إن المسلمين كانوا يتحينون الصلاة ويقدرون لها، فهمَّهم الأمر فبحثوا لهم عن شعار يميزهم في عبادتهم عن غيرهم من الأديان، فاجتمع الرسول ﷺ مع صحابته لدراسة المشكلة، فبدأت الاقتراحات «فعن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: اهتم النبي ﷺ كيف يجمع الناس، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القنع يعني: الشبور، وقال زياة: شبور، اليهود فلم يعجبه ذلك وقال: ومن أمر اليهود قال: فذكر له الناقوس فقال: هو من أمر النصارى، فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مهتم لهم رسول الله، فأُري الآذان في منامه، قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره: فقال له يا رسول الله إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آتٍ فأراني الأذان، قال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً، قال: ثم أخبر النبي ﷺ فقال: «**ما منعك أن**

---

(١) عبد الرحيم محمد، «فلسفة وتحليل المشكلات».

تخبرني»، فقال: سبقني عبد الله بن زيد فاستحيت، فقال رسول الله ﷺ: «**قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد، فافعله قال: فأذن بلال...**»[(١)] . .

يتبين من هذا الحديث حرص الرسول ﷺ على تدريب صحابته رضي الله عنهم على حل المشكلات التي تواجههم عن طريق توفير بيئة مشجعة للتفكير تسمح بإعطائهم فرصة للتفكير والاستماع بإنصاتٍ لجميع وجهات النظر والحلول المحتملة للمشكلة وإن كانت متباينة دون توجيه نقد لصاحبها؛ لأنه استمدها من ديانات أو مجتمعات مغايرة للمجتمع الإسلامي، إلى أن استطاعوا الوصول إلى حلٍّ جديدٍ للمشكلة لم يسبق إليه أحد، ويتناسب مع معتقدهم وهويتهم، ولا شك بأن هذا يمثل حلّاً إبداعياً للمشكلة.

إن القدرة على حل المشكلات تجعل الداعية قادراً على الأمور التالية:

١ ـ التنبؤ بالمشكلات قبل حدوثها واتخاذ الإجراء الوقائي المناسب.

٢ ـ مرونة في التفكير مع تولي زمام المبادرة لاتخاذ القرارات المتعلقة بحل المشكلات.

٣ ـ حل المشكلات بسرعة أكثر وجهد أقل.

٤ ـ التقليل من التوتر.

٥ ـ تنمي الأداء في العمل وتحسن العلاقة مع الآخرين.

٦ ـ تساعد على استثمار الفرص.

سادساً: قيادة الذات:

القيادة لغةً: قال ابن منظور: القَوْدُ: نقيض السَّوق، يقود الدابة من أمامها، ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام والسوق من خلف والاسم من ذلك كله القِيادَة[(٢)] .

وقيادة الذات تعني حسن إدارتها وضبطها ومعرفة محركاتها ودوافعها

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان، ١/١٣٤، حديث رقم (٤٩٨).

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ص٢١٥.

والكشف عن مكنوناتها ومهاراتها التي تؤدي بها نحو عالم الإبداع والتميز والتألق.

ومتى عرف الإنسان القدرات والمواهب والملكات التي بين جنبيه وعرف قدر نفسه وأحسن قيادها واستثمر تلك المواهب والملكات النفسية انشغل بها عن غيرها، وأضحى إنساناً مبدعاً.

ويتفاوت الناس في قيادتهم لتلك النفس البشرية لاختلاف نظرتهم للحياة فمنهم من أمسك بالمقود، ومنهم من ترك ظانّاً أنها آلة ذكية سهلة القيادة وليست بحاجة إلى قائد فجمحت بهم وانحرفت عن الطريق، ومنهم من توقفت دابته على قارعة الطريق وصدتها العقبات والحفر فلم يراوح مكانه.

ولقيادة الذات قواعد وأصول بها تتقنُ وتُحكم، وبدونها وحال تخلُّفها يكون الخلل، ويخيم الفشل وهي:

الأول: معرفة قدرات الذات:

إن الله تعالى متع الخلق بقدرات ومواهب؛ وهذه المواهب والقدرات متفاوتة بين الناس، وهم فيها متباينون، فإذا عرف الإنسان قدرات نفسه أحسن استعمالها، وانشغل بها عن غيرها.

ومعرفة قدرات النفس مرتكزة على ركيزتين:

الأولى: عدم رفعِ النفس فوق قدرها.

حيث ترى وهو كثِير من يخادع نفسه ويلبسها لباس الزور فينزلها منازل كبيرة عليها، ليست هي من أهلها ولا قربت من أحوالهم.

الثانية: عدم إهانتها وإنزالها عن قدرها.

وهذه كسابقتها في الكثرة والانتشار، وأعني بقدر النفس: ما تعرف النفس أنها ميالة إليه، وتتيقن أنها تنتج فيه أكثر.

الثاني: حسن إدارة النفس:

إدارة النفس تعني: قدرة الفرد على توجيه مشاعره وأفكاره وإمكانياته نحو ما يريد تحقيقه، وما يصبو إلى تحصيله[1]، فحين يستطيع الإنسان أن يوجه

---

(١) انظر: رضا، «إدارة الذات»، ط١، ص١٧.

خواطره ومشاعره نحو ما يسعى إليه في حياته يكون بدء صناعة النفس.

وإدارة النفس فنٌّ له أصوله وقواعده ومهاراته، فليس هو أمرٌ بالهين، ولا بالشأن السهل.

الثالث: تزكية النفس:

تزكية النفس: تنميتها، وتطهيرها.

فتنميتها: تكون بـالطاعات، والفضائل.

وتطهيرها: يكون بـالتخلِّي من الآفات؛ والمعاصي، وسفائل الأخلاق.

هذان أُسَّان في تربية النفس وتطهيرها.

الرابع: التدرج:

النفس تواقة نحو الدعة، وساعية إلى الخمول والسكون، فإذا أراد صاحبها أن يبدع في صناعة النفس فلا بدَّ له من نقلها من مواطن الركود والدعة إلى مشارف العلو والرفعة.

وهذا يحتاج إلى أن يتدرج بها صاحبها من الدون إلى العلو؛ شيئاً فشيئاً قليلاً قليلاً.

وسرُّ ذلك: أن في التدرج تنقُّل ممهدٌ يستدعي تقبُّلَ النفس لتلك الصناعة.

الخامس: الحكمة:

إن قيادة الذات تقتضي التعامل بالحكمة مع الذات؛ فلا تجهد، ولا تُطلق لها الأزمة.

فيراعيها في موطنين:

الأول: موطن الإقبال نحو المعالي؛ فيغتنم تلك الفرصة لتربيتها، وتنميتها.

الثاني: موطن الإحجام عن الفضائل فيستعمل معها سياسة القيادة من جهتين:

الأولى: الترغيب؛ فيرغب نفسه بفضائل الأفعال، ومقامات الكمال.

الثانية: الترهيب؛ فيرهب نفسه بعواقب الدُّنُوِّ، ويبينُ لها مساوئ الأعقاب.

سابعاً: طرق قيادة الذات:

لـصناعة النفس طريقان مهمان:

الأول: طريق (الذات):

وأعني به: أن يكون الإنسان هو الصانع لنفسه؛ وذلك من خلال القواعد الخمس السابقة.

الثاني: طريق الغير:

وأعني به: أن تكون صناعة النفس للإنسان من خارج عنه؛ أي: من صاحبٍ، أو عالمٍ، أو أبٍ، أو معلم.

مجالات صناعة النفس:

المجالات كثيرة ومتعددة، ولكن ما يهمُ هنا هو ما يتعلق بالأمور المتعلِّقة بالإسلام؛ وهما **مجالان**:

الأول: مجال العلم:

فإن أغلب الناس ممن أعملَ نفسَه في العلم: طلباً، وتعليماً، وتأليفاً وهذه محمدة ومنقبة يفرح بها.

لكن الأمر المُؤسف أن يكون من يشتغل بالعلم دائم الصعود والظهور على أكتاف أشياخه، ملازماً لتقليدهم، حَذِرَاً من إبداء أي رأي له خشية عدم الموافقة. وهذه سلبية لا إيجابية. إذ الواجب على الإنسان أن يكون مستقلّاً بنفسه، معتمداً عليها.

وهذا هو شأن كثير من العلماء ما أظهرهم إلا هم، سعوا جادِّيْن نحو صناعة النفس فأبدعوا وأنتجوا، في حين أن غيرهم ممن سيطر عليه الخوف ما برح مكانه.

ولا أعني بكلامي هذا إسقاط ما للعلماء من مكانةٍ وتأثيرٍ في نفس الإنسان، وإنما أريد أن يكون الإنسان ذا رأي معتبراً لنفسه قدراً ووزناً، وينفرد بالسعي في تحصيل العلم بعد أخذ مفاتحه وأصوله على مشايخه.

الثاني: مجال الدعوة:

وهذا أكثر وأشهر من سابقه. فصناعة النفس تكون بأن يعتمد الإنسان على ذاته في تبليغ الدعوة، ونشر الدين في أوساط الناس.

وكذلك أن يسعى لإيجاد طرائق متعددة لتبليغ الدين، ونشر الدعوة في أوسع نطاق.

إذا تَعلَّم المرء مهارة القيادة فإنه يكون قادراً على أن ينجز الكثير من الأعمال النافعة في زمنٍ قصيرٍ وجهد قليل، وتتولد لديه حاسة جديدة يستشعر بها قيمة الموارد فلا يسرف في استهلاكها، ومن أحسن قيادة نفسه لا بدَّ أن يحسن قيادة الآخرين إلى ما يريد..

ومن أتقن القيادة وصل بالنفس إلى قمة السعادة فيجد نفسه فرداً صالحاً ينفع نفسه والآخرين من حوله، ومن أجاد القيادة مرة تلو المرة يصبح بعد ذلك من المهرة الحاذقين والمحترفين في فنها فهو يبدع في قيادة نفسه وإيجاد الطرق لتوفير الوقود والزاد فتكون قيادته أثناء السير على **محاور ثلاثة**:

الإحسان والإتقان:

ينبغي للقائد المحترف أن يسعى للإبداع بعد الإتقان فيبدع في قيادته.

التنويع:

الابتعاد عن الأماكن الوعرة وغير الممهدة حتى لا تستهلك منه الزاد والوقود وهو قادرٌ على سلوك طرق أفضل منها وأن يحاول اختصار الطريق فيبحث عن الطرق السريعة ذات الجسور أو الأنفاق.

ومن الفطنة في استثمار الموارد لصالح الآخرة احتساب جميع الحاجات والمتطلبات عند الله لتتحول من عادة إلى عبادة.

وأختم الحديث في هذه المهارة بذكر الفائدة العظمى من إتقان هذه المهارة بالحصول على السعادة الحقَّة وزيادة الإنتاجية وتحقيق الإنجاز وقيادة الآخرين إلى بر الأمان.

ثامناً: مهارة التنبؤ:

التنبؤ: القدرة على توقع الأحداث القادمة بناءً على معلومات سابقة.

وهو: «النظر إلى المستقبل وافتراض ظهور بعض الظواهر (الظروف) وتقدير مدى تأثيرها على أمرٍ من الأمور».

التنبؤ لا يعني العلم بالغيب وإنما يقصد به تلمس ما يمكن أن يكون في المستقبل بناءً على تفكير منطقي يقود إلى توقعات معقولة دون الجزم بوقوعها في المستقبل إذ لا يخرج عن كونه افتراضاً وتوقعاً لما سيحدث في المستقبل، وعلى هذا الأساس أيضاً؛ فإن التنبؤ يرتبط بالماضي والذي يستطيع الداعية من خلاله التنبؤ بصورةٍ أفضل بأحداث المستقبل.

إن التنبؤ استشراف المستقبل واستشفاف الآتي، وهذا عين ما كان من نبي الله يوسف عليه السلام بما علَّمه الله تعالى، حينما وضع خطة زمنية مقننة لمضاعفة الإنتاج وتقنين الاستهلاك أو ترشيده، ثم تخزين الطعام.

هذا هو ما فعله يوسف عليه السلام على ضوء علم الإدارة الحديث، وإن كان القرآن الكريم حصر كلام يوسف عليه السلام في جُمَلٍ جامعة وجيزة.

ويطلق في كثيرٍ من الدراسات على عملية التنبؤ العلمي بالمستقبل اسم «الاستشراف». والاستشراف يحمل في مضمونه اللغوي معاني النظر إلى شيء قادم من بعيد، والتطلع إليه ومحاولة التعرف عليه، واتخاذ أسباب الوصول إلى ذلك بدقة؛ كالصعود إلى مكانٍ مرتفعٍ يتيح فرصة استطلاعه قبل وصوله[(١)].

ويحتاج الداعية المعرِّف بالإسلام أن يكون لديه قدرٌ جيدٌ من التنبؤ الذكي والحدس الصادق يتجاوز به حدود الحاضر الذي يسيطر على التصورات الآنية الضيقة ويتحكم في التفكير القاصر إلى أبعد الحدود.

وحاجة الداعية المعرِّف بالإسلام إلى اكتساب هذه المهارة من الأمور المهمة التي تساعده على التنبؤ بسلوك المدعوين بناءً على ما لديه من تصورات وخلفية معرفية عنهم يستطيع بها أن يشخِّص ردود أفعالهم تجاه دعوته وأسلوب

---

(١) مجلة المعرفة عدد ١٧٥، مقال: الدراسات المستقبلية شغف العلم وإشكالات المنهج.

تعامله معهم، والتنبؤ بما يعترض دعواته من عوائق ومشكلات، حيث أن مهارة التنبؤ تساعد الداعية على أمور **منها**:

١ ـ اكتشاف المشكلات قبل وقوعها، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها أو حتى لقطع الطريق عليها والحيلولة دون وقوعها. وبذلك تؤدي الدراسات المستقبلية وظائف الإنذار المبكر، والاستعداد المبكر للمستقبل، والتأهل للتحكم فيه، أو على الأقل للمشاركة في صنعه.

٢ ـ إعادة اكتشاف أنفسنا ومواردنا وطاقاتنا، وبخاصة ما هو كامنٌ منها، والذي يمكن أن يتحول بفضل العلم إلى موارد وطاقات فعلية. وهذا بدوره يساعد على اكتشاف مسارات جديدة يمكن أن تحقق لنا ما نصبو إليه من تنمية شاملة سريعة ومتواصلة. ومن خلال عمليات الاكتشافات وإعادة الاكتشاف.

٣ ـ بلورة الاختيارات الممكنة والمتاحة وترشيد عملية المفاضلة بينها. وذلك بإخضاع كل اختيار منها للدرس والفحص، بقصد استطلاع ما يمكن أن يؤدي إليه من تداعيات، وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج. والعمل الدعوي ـ كغيره من المجالات الأخرى ـ يحتاج إلى دراسات جادّة في توقّع صورة المستقبل من خلال استيعاب الماضي والحاضر، وتَتَبُّع سير الأحداث، والاستفادة من الخبرات والمعلومات المتوفرة، من أجل استنتاج صُوَر مستقبلية.

إن استشراف مستقبل العمل الدعوي الإسلامي يُعدّ ضرورة تفرضه طبيعة العصر وما يتصف به من تعقيدٍ في مضمونه، واضطراب في أحداثه، وتجدد في أساليبه ووسائله، وكلّ ذلك يتطلب الوعي بالمستقبل، بل إن الوعي بالمستقبل من المقومات الرئيسية للنجاح.

وتنبع أهمية دراسة المستقبل للعمل الدعوي من خلال ما يلي:

١ ـ مواجهة التحديات والصعوبات المتوقعة للعمل الدعوي.

٢ ـ تحديد الفرص الراهنة والمتوقعة للعمل الدعوي، ومن ثمّ تحديد سبل الاستفادة من تلك الفرص في المستقبل.

٣ ـ قيادة عملية التخطيط للعمل الدعوي بكفاءة عالية.

٤ ـ المساهمة في عملية التجديد في أساليب الدعوة ووسائلها وبرامجها وفق ما يتناسب مع الظروف الحاضرة والمستقبلة.

٥ ـ إن التطلع للغد المرتقب يجب أن يتم بأدوات الماضي ونتاج الحاضر وظروفه وبمنهج علمي، ولذا فمن الأهمية بمكان الوعي بالماضي والحاضر من أجل تَصوُّر المستقبل، فالمستقبل غالباً ما يكون نتيجة للماضي والحاضر، فالذي نقوم به الآن نجني ثماره غداً، والعوامل والمعطيات في الماضي والحاضر تُشَكِّل المستقبل، وهذا كله يدعو إلى الاهتمام بدراسة المستقبل.

ومن الأمور المعينة على اكتساب مهارة التنبؤ:

١ ـ قراءة التاريخ وكتب السير والتراجم قراءة جيدة.

٢ ـ القراءة في فن الفراسة وأنماط الشخصية.

٣ ـ الاطلاع على التجارب السابقة.

٤ ـ التأهيل والتدريب الأمثل للداعية.

تاسعاً: التوازن:

إن التوازن قائم في خلق الله كله، قائم في فطرة الإنسان، في الكون كله: في السموات والأرض، في النجوم والشمس والقمر، وفي الجبال.. إنه يكشف لنا دقّة التوازن وعدالته في حكمةٍ ربانيةٍ بالغة، وإعجازٍ ربانيٍّ بالغ.

والتوازن في حياة المسلم عموماً والداعية على وجه الخصوص أمرٌ ضروري لسعادته ونجاحه وهو من أهم عوامل نجاح دعوته؛ والمقصود بالتوازن: أن تتكون شخصية الإنسان الداعية معتدلة في جميع جوانب حياته، بحيث لا يطغى فيها جانبٌ على حساب جانب آخر، ولا يغفل فيها جانب بسبب الاهتمام الزائد بجوانب أخرى.

والداعية إلى الإسلام بحاجة إلى التوازن في جوانب شتى منها:

أ ـ توازن الداعية مع جسمه:

أن يكون معتدلاً في طعامه وشرابه، وفي حسن هيئته وفي نظافة جسمه وفي ممارسة الرياضة.

ولقد حرص النبي ﷺ على أن يكون المسلم شامة وعلامة في هيئته، ومما يروى من حديث ابن الحنظلية أن النبي ﷺ قال لأصحابه وكانوا في سفر فقال

لهم وهم قادمون على إخوانهم: «**إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة من الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش**»[(١)].

ب ـ توازن الداعية مع عقله:

عليه أن يسعى للعلم، ويفتح نوافذ فكره لكل جديدٍ يأخذ منه ما حسن، ويدع ما قبح، وليكن شجاع العقل ويضع هذه الشجاعة في موضعها، قال ابن حزم: «فمن سُرَّ بشجاعته التي يضعها في غير موضعها فليعلم أن النمر أجرأ منه، وأن الأسد والذئب والفيل أشجع منه، ومن سُرَّ بقوة جسمه فليعلم أن الثور والفيل أقوى منه، ومن سُرَّ بحمله الأثقال فليعلم أن الحمار أحمل منه، ومن سُرَّ بسرعة عَدْوِه فليعلم أن الكلب والأرنب أسرع عَدْواً منه، ومن سُرَّ بحسن صوته فليعلم أن كثيراً من الطير أحسن منه صوتاً، وأن أصوات الطير ألذَّ وأطرب من صوته، ولكن من قَوي تميزه واتسع علمه وحسن عمله فليتعظ بذلك فإنه لا يتقدمه في هذه الوجوه إلا الملائكة وأخيار الناس»[(٢)].

ولقد أكد ابن مسكويه[(٣)] على معنى السعادة فقال: «فالسعيد إذاً من الناس

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، «مسند الشاميين»، حديث سهل بن الحنظلية، ٢٩/ ١٦٤، حديث رقم (١٧٦٢٤)، وأبو داود في «سننه»، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، ٤/ ٥٧، حديث رقم (٤٠٨٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين.

(٢) ابن حزم، «الأخلاق والسير في مداواة النفوس»، ط٢، ص١٨ ـ ١٩.

(٣) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي (٠٠٠ ـ ٤٢١هـ = ٠٠٠ ـ ١٠٣٠م)، مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة، والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتأريخ والأدب والإنشاء. وكان قيِّماً على خزانة كتب ابن العميد، ثم كتب عضد الدولة ابن بويه، فلقب بالخازن، ثم اختص ببهاء الدولة البويهي وعظم شأنه عنده. وقال أبو حيان في جملة وصفه: (لطيف الألفاظ، سهل المأخذ، مشهور المعاني شديد التوقي، ضعيف الترقي، يتطاول جهده ثم يقصر، وله مآخذ وغرائب من الكذب ـ كذا ـ وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء.اهـ. (ألّف كتباً نافعة، منها «تجارب الأمم وتعاقب الهمم ـ ط» أجزاء منه، في التاريخ، انتهى به إلى السَّنة التي مات فيها عَضُد الدَّوْلَة ٣٧٢هـ) ومنه نسخة كاملة مصورة في مؤسسة كايتاني وله «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ـ ط» و«طهارة النفس ـ خ» و«آداب العرب والفرس ـ خ» و«الفوز الأصغر ـ ط» في علم النفس، و«ترتيب السعادات ـ ط» في الأخلاق، و«رسالة في ماهية العدل ـ ط» =

في إحدى مرتبتين: إما في مرتبة الأشياء الجسمانية متعلقاً بأحوالها السفلى سعيداً بها، وهو مع ذلك يطالع الأمور الشريفة باحثاً عنها مشتاقاً إليها متحركاً نحوها مغتبطاً بها»[(١)].

ومن التوازن العقلي أن يوازن الإنسان بين الحلم والواقع فلا ينشغل بالواقع وينسى أحلامه، ولا تأخذه الأحلام بعيداً عن معايشة الواقع.

ج ـ توازن الداعية مع روحه:

وذلك بأن يصقلها بالعبادة ومجالس الإيمان، والرفقة الصالحة وقراءة القرآن، وأذكار الصباح والمساء.

قال ابن حزم: «فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ونفرت من الرذائل والمعاصي»[(٢)]، فمن سعادة الإنسان ونجاحه في الحياة صلاح قلبه وروحه؛ لأن بصلاحهما يصلح الجسد كله: فصلاح القلب مستلزمٌ لصلاح سائر الجسد، وفساده مستلزمٌ لفساد سائر الجسد، فإذا رأى ظاهر الجسد فاسداً غير صالح علم أن القلب ليس بصالح بل فاسد، ويمتنع فساد الظاهر مع صلاح الباطن، كما يمتنع صلاح الظاهر مع فساد الباطن، فإن صلاح الظاهر وفساده ملازماً لصلاح الباطن وفساده»[(٣)].

ومن توازن الإنساني الروحي أن يكون متوازناً في عاطفته، ولذا كان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة**

= و«نديم الأحباب وجليس الأصحاب ـ خ» في مغنيسا (الرقم ١٢١٠) و«الحكمة الخالدة، جاويدان خرد ـ ط» رأيت منه مخطوطة في الفاتيكان (٤٠٨ عربي) كتبت سنة ٧٤١ اسمه فيها (جاويذان خرذ) جاء في أوله: (نقله أوشهنج الملك لخلفه كنجور بن إسفنديار وزير ملك إيران، من اللسان القديم إلى الفارسيّ، ونقله إلى العربية الحسن بن سهل أخوذي الرياستين، وتممه أحمد بن مسكويه إذ أضاف اليه حكم الفرس والهند والعرب والروم) وفي مقدمته بعد البسملة: (قال أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه) وله «الأدوية المفردة» و«الأشربة» وغير ذلك. وعاش عمراً طويلاً. الزركلي، الأعلام، ط١٥، ١/ ١١.

(١) مسكويه، «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، ط١، ١/ ٩٥.

(٢) ابن حزم، «الأخلاق والسير في مداواة النفوس»، ط٢، ص١٨.

(٣) ابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ١٠/ ٤٤٣٩.

الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر...»(١).

وفي الأثر: «أحبب حبيبك هوناً ما فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون عدوك يوماً ما»(٢).

وفي توازن المشاعر:

إن الكريم إذا تمكن من أذى ... جاءته أخلاق الكرام فأقلعا
وترى اللئيم إذا تمكن من أذى ... أطغى فما يبقى لصلح موضعاً

فليكن شعار الداعية إلى الإسلام في حياته التوازن والوسطية في كل شيء فقد وصف الله تعالى الأُمَّة الإسلامية بأنها أمة الوسط فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالتوازن والوسطية سمة من سمات المسلم المتوازن بل هو مطلب شرعي، والله تعالى يقول: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [القصص: ٧٧].

وفي الحديث المتفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «**إن لنفسك عليك حقّاً، ولأهلك عليك حقّاً، ولزوجك عليك حقّاً، ـ بل ـ ولزورك عليك حقّاً، فآت كل ذي حقٍّ حقَّه**»(٣)، وإن أي زيادة في جانب أو غلو يقابلها نقص وتفريط من جانبٍ آخر.

---

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، كتاب «الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر»، ١/ ٧٠٥، حديث رقم (١٩٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب «الدعاء» من كان يقول في دعائه: «**أحيني ما كانت الحياة خيراً لي**»، ٦/ ٤٥، حديث رقم (٢٩٣٤٨). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، ٣/ ٤٢٨، حديث رقم (١٩٩٧). وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب، بإسناد غير هذا رواه الحسن بن أبي جعفر وهو حديث ضعيف أيضاً، بإسناد له عن علي، عن النبي ﷺ والصحيح عن علي موقوف قوله.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقّاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، ٣/ ٨١٣، حديث رقم (١١٥٩).

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد   كلا طرفي قصد الأمور ذميم[١]

والمقياس في الزيادة والنقص هو النص، إما آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ صحيح، أو إجماع من أهل العلم قائم ثابت.

عاشراً: حسن اختياره لمعاونيه:

من صفات الداعية الناجح حسن الاختيار لمعاونيه ممن يثق بهم وبقدراتهم ويعتمد عليهم بعد الله في المهمات وممن يتوفر فيه حس المسؤولية ويكون همّ العمل للدِّين ضمن أولوياتهم الحياتية، وقد أرشدنا نبينا ﷺ إلى حسن اختيار الخليل، فقال: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل**»[٢].

ومعنى الحديث: أن الإنسان على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، فليتأمل ويتدبر من يخالل، فمن رضي دينه وخلقه فهو أخاً لله، ومن لا تجنبه فإن الطباع سراقة[٣].

الحادي عشر: مراعاة أحوال المخاطبين:

المراعاة في اللغة: الحفظ والرفق وتخفيف الكُلَف والأثقال[٤]، ومنه مُراعاةُ الحُقوقِ[٥].

وفي الاصطلاح يمكن أن نخلص إلى معنيين هما:

١ ـ المراعاة بمعنى المحافظة على الشيء والرفق به، قال ابن القيِّم: «المراعاة: الصيانة والحفظ»[٦]. وقال ابن الأثير: «المراعاة الحفظ والرفق وتخفيف الكلف والأثقال عنه»[٧].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٥/ ١٣٢.
(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، ٤/ ٢٥٩، حديث رقم (٤٨٣٣).
(٣) العظيم آبادي، «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، ط٢، ١٣/ ١٢٣.
(٤) «لسان العرب»، ط٣، ١٤/ ٣٢٥.
(٥) الزبيدي، «تاج العروس من جواهر القاموس»، د. ط، ٣٨/ ١٦٤.
(٦) ابن القيِّم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/ ٦٠.
(٧) ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٢/ ٢٣٦.

قال ابن عاشور: «طلب المراعاة: أي: الرفق؛ لأن الرعي من لوازمه الرفق بالمرعي»(١).

٢ ـ المراعاة بمعنى المناظرة والمراقبة: قال النووي: «قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»(٢).

وعليه فمراعاة أحوال الناس تعني: سياسية أمور الناس، واختيار الأصلح لهم، والاهتمام بشؤونهم، والمحافظة عليهم والرفق بهم، والتخفيف عنهم وتقدير حالهم وواقعهم(٣).

ومن هنا تظهر حاجة المعرف بالإسلام إلى مخاطبة الناس بما يعقلون، وبما يحتاجون.

ويكفي في هذا المعْلَم حتى يتضح؛ قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قال المفسرون: «الوسع: الطاقة والقدرة»(٤).

ومما يؤيد هذا المعنى؛ ما ورد عن علي رضي الله عنه أنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله»(٥)، وما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»(٦).

والمقصود: أن يُحدَّث الناسُ بما يعقلون.. ويدركون.. ويفهمون.. وبما يحتاجون إليه، وبما ينفعهم، وبما كلفوا به، وبما سيحاسبون عليه، وبما يقدرون على فعله.

---

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٥/٧٦.
(٢) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٢/٢١٣.
(٣) الأسطل، «مراعاة أحوال الناس في ضوء السُّنَّة النبوية»، ط١، ص١٤.
(٤) لجنة من العلماء، «التفسير الوسيط للقرآن الكريم»، ط١، ٦/١٣٠٦.
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضل العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ١/٣٧، حديث رقم (١٢٧).
(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه»، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ١/١١.

والمدعوون هم العنصر الأساس، إذ ما شُرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم. لذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، بما يقرره الشرع الحنيف.

فمن العبث: أن يلقي الكلام على عواهنه، بدعوى التبليغ ـ مجرد التبليغ ـ دون النظر إلى حال المدعوين، ودون معرفة واقعهم.

ومن الخطأ الواضح: ما يفعله بعض العاملين في الدعوة إلى الإسلام، من عدم مراعاة أحوال المدعوين، فترى أحدَهُم يحفظ خطبة، أو موعظة، أو يحضر محاضرة، ثم يلقيها في كل زمان ومكان، على كل المدعوين، رغم اختلاف مستوياتهم الإيمانية، والعلمية، والعقلية.

وربما ألقى محاضرة أو خطبة منقولة من قرون.. دون أن يغير في ألفاظها، أو يبدل في أسلوبها.. سواء كان المدعوون مثقفين علماء.. أو عواماً جهلاءَ، وسواء كان لها مناسبة.. أو لم يكن لها مناسبة.

ومما لا شك فيه: أن المدعوين ليسوا في الاستجابة سواء، ولا في الفهم، ولا في العلم، ولا في التدين.. كذلك، فمخاطبتهم على حدٍّ سواء، ليس من الحكمة في شيء.

وقد كان رسول الله ﷺ والرسل من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يراعون أحوال المدعوين مراعاة حكيمة، ويعالجونها معالجة ناجعة[١].

وسنعرض ـ بإذن الله ـ إلى معظم أحوال المدعوين المتنوعة، وإلى شيءٍ من مراعاتها.

أولاً: معرفة ثقافة المخاطب:

إن معرفة ثقافة غير المسلمين أمر ضروري للمعرف بالإسلام حتى يكون مؤثراً في تبليغ رسالة الإسلام إليهم ومقنعاً لهم في مجادلتهم؛ لأن الدعوة تكون أوقع في نفس المدعو إذا كانت مرتبطة بمحيطه الثقافي، والاجتماعي.

«ومما لا شك فيه أن للأعراف والعادات سلطاناً كبيراً في نفوس

---

(١) العرعور، «منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر»، ط١، ص٧٩.

المدعوين، فهي قضايا مسلمة يصعب انتزاعها منهم لهذا قالوا: «العادة طبيعة ثانية» يعنون بذلك أن لها من القوة ما يقرب من الطبيعة الأولى، وهي ما ولد عليها الإنسان وفطر منذ خروجه من بطن أمه، إذ إن من المعلوم أن كل إنسان خرج إلى هذا العالم مجهزاً بكثير من الأدوات: عين تبصر، وأذن تسمع، ومعدة تهضم.. إلخ، فهذا الذي ولد عليه هو طبيعته الأولى، فلو حاول أن يبصر بأذنه أو يسمع بعينه ما استطاع، فكذلك ما اعتاده وأصبح معروفاً عنده هو خاضع لسلطانه، ولا يمكن نزعه منه، ومن ظلم الداعية حينئذٍ الإنكار على الأعراف والعادات ذات السلطان القوي على النفس التي لا تتعارض مع نصوص الكتاب والسُّنَّة، والتي تستند إلى قبول عام عند المدعوين وتحقق منافع لهم ومصالح، وهذا مبنيٌّ على فعل الرسول ﷺ لما أراد علاج الأعراف الجاهلية السائدة، فقد اتخذ ﷺ وسيلة التدرج في نزعها، مراعاة لسلطانها في نفوس المدعوين، تقول عائشة رضي الله عنها في بيان ذلك: «إنما نزل أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً...» الحديث(١).

لذلك فإن مراعاة الداعية لأعراف المدعوين يجعل لدعوته جمالاً واستحساناً ولنصيحته قبولاً من غير نكير(٢).

إن فهم واقع المدعوين أمرٌ مهم حين الدعوة إلى الإسلام، وأعظم الناس فهماً لواقع أممهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ولعل من أهم الأمور المتعلقة بمعرفة الواقع معرفة أعراف المدعوين، وعاداتهم، وأحوالهم التي تحدد لهم تصرفاتهم وسنن معايشهم وطرائق سلوكهم.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ٦/ ١٨٥، حديث رقم (٤٩٩٣).

(٢) د. رقية بنت نصر الله نياز، «حاجة الداعية إلى العلم بالعرف لمراعاة أحوال المدعوين»، موقع شبكة رسالة الإسلام.

وأعراف المدعوين تتغير بتغير الزمان والمكان وهذه حقيقة لا مراء فيها، قال الإمام ابن القيِّم: «إن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال وذلك كله من دين الله»[(١)].

إذاً فالداعية يحتاج إلى العرف لفهم الواقع الذي يعينه على التركيز على ما ينفع المدعوين، ويفيدهم، ويصلح أحوالهم، وهذا بالتالي يؤهله إلى أن يحدث بما يعرفونه وبما تعارفوا عليه، ولا يحدثهم حديثاً لا تبلغه عقولهم، فيكون ضرره أكثر من نفعه.. كما قال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله». وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

وللإمام ابن القيِّم أيضاً: «ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم، وعوائدهم، وأزمنتهم، وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضلّ وأضلّ. وكانت جنايته على الدين عظيمة»[(٢)].

ثانياً: إتقان لغة المخاطب:

أ ـ اللغة:

لقد جعل الله تبارك وتعالى تعدد ألسنة الخلق من آياته البديعة؛ كما بين في قوله جل وعلا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢].

قال ابن كثير: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾؛ يعني: اللغات[(٣)]؛ فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء بلغات أخرى.

ومما يلفت الانتباه أن الله تعالى ختم هذه الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢]، قال الشوكاني في معرض تأويله لهذه الآية: «العالمين» الذين هم من جنس هذا العالم من غير فرقٍ بين برٍّ وفاجر[(٤)].

---

(١) ابن القيِّم، «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، ط١، ٤/١٥٧.
(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» ١، ٢/٦٦.
(٣) البغوي، «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، ط١، ٣/٥٧٥.
(٤) الشوكاني، «فتح القدير»، ط١، ٤/٢٨٩.

فإن الحكمة الإلٰهية تقضي أن يتم التفاهم والتواصل بين أقوام ذوي لغات متعددة؟ والجواب على هذا التساؤل يأتي من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]، والتعارف هنا يشمل أيضاً التسهيل في دعوة عباد الله إلى دين الله لكي يتحقق قول خاتم الأنبياء ﷺ: «**بعثت إلى الأحمر والأسود**»[(١)]. قيل: أراد العرب، والعجم[(٢)]، وقال مجاهد: «الجن والإنس»[(٣)].

إن الدعوة إلى الله هي مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذلك هي مهمة ورثتهم من أهل العلم؛ ذلك بأن استمرارية حيوية الدين الحنيف الذي لا يرضى الله ديناً سواه، لا يمكن أن تتحقق إلا بمخاطبة الناس بألسنتهم؛ لا بل وبلهجاتهم، فما من رسولٍ أرسله الله إلا بلسان قومه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤].

فالأعجمي الذي اعتنق الإسلام لا بد أن يعي واجباته الشرعية بشكلٍ يمكّنه من عبادة ربه على الوجه المطلوب؛ لا سيما وأننا نعيش اليوم في عصرٍ يختلف بتفاصيله عن عصور الازدهار التي مر بها الإسلام، فالناس آنئذٍ أقبلوا على دين الله بقناعة دفعتهم إلى الإقبال على تعلم لغة القرآن، حتى غدت بديلاً للغاتهم الأم.

وإذا أخذنا بالاعتبار الواقع السائد للعالم اليوم في المجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وسائر المجالات الأخرى نجد أن مهمة الدعوة ازدادت تعقيداً وصعوبة. فبات على الداعية أن يتعلم لغة من يدعوهم للوصول إلى هدفه، وبات الاعتماد على الأعاجم من المسلمين بعد تلقينهم مبادئ الإسلام لدعوة بني جلدتهم إلى الإسلام.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ٢٢/ ١٦٥، حديث رقم (١٤٢٦٤). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٢/ ١٨٥.
(٣) الحاكم، «المستدرك على الصحيحين»، ط١، ٢/ ٤٦٠.

والفرق بين الأمس واليوم هو أن من يعتنق الإسلام من الأعاجم اليوم لا يتخذ العربية بديلاً للغته الأم؛ بل يستعملها مجرد وسيلة لممارسة العبادات التي تتطلب استعمالها؛ وهذا الأمر بدوره يثقل كاهل الداعية الذي بات عليه أن يلقن المسلم الجديد المسائل العقدية التي يتحتم على هذا معرفتها؛ وهذا يعني: وجوب إتقان الداعية للغة المدعوين؛ ذلك بأن عدم فهم المسائل العقديّة، ولوازمها، بسبب عدم تمكن الداعية من تلك اللغة، هو منزلق خطير، ذو عواقب لا يستهان بها.

إن مسؤولية الدعوة هي أوجب على العربي منها على الأعجمي، فالداعية الأعجمي الذي لا يتقن العربية؛ يظل عالة على مؤلفين وكتَّاب أعاجم ينقل منهم وعنهم مادة دعوته، دون التثبت من صحة ما ينقل، ولا يستطيع البحث في المراجع الأصلية؛ فيظل مضطراً إلى الاعتماد على هذا الكاتب، أو ذاك، وهو لا يدري صحة ما ينقل عنه.

وفي المقابل فإن الداعية العربي الذي يتقن اللغة الأعجمية، وإن قلَّت بضاعته في العلم، يظل في فسحةٍ من أمره لقدرته على البحث في المراجع المطلوبة، أو سؤال أهل الذكر إن كان لا يعلم، وهذا أمرٌ محمودٌ، وهدفٌ مراد.

ب ـ الترجمة:

الترجمة هي: نقل الكلام إلى لغة أخرى[(١)]، وهي أداة فعالة في نشر القيم، والتعاليم، والعقائد، والمقصود بالترجمة في هذا البحث هو: نقل نص شرعي، مع مراعاة الأمانة العلمية؛ ذلك بأن الترجمان في هذه الحالة يكون مبلغاً لكلام الله، وكلام رسوله ﷺ.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار واقع العالم الإسلامي في القرون الأولى وقارناه بواقعه اليوم نجد أن الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، ممَّا يتطلب نقل أحكام وتعاليم الإسلام إليهم، وبلغتهم التي يفهمونها.

ولا بد لنا اليوم من ترجمة معاني القرآن، والأحاديث، وسائر الأذكار،

---

(١) قلعجي وقنيبي، «معجم لغة الفقهاء»، ط٢، ١/ ١٢٧.

وكذلك الاصطلاحات الشرعية، فهي مفتاح فهم العقيدة، وفهم الأحكام الفقهية عند المسلم العربي، والأعجمي، على حدٍّ سواء، وفهم الإسلام بعمومه لغير المسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله: «فالحجة تقوم على الخلق، ويحصل لهم الهدى؛ بمن ينقل عن الرسول ﷺ، تارةً بالمعنى، وتارةً باللفظ، ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى، والقرآن تجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء»(١).

وكيف يمكن إخراجهم به من الظلمات، وهم لا يعرفون مراد الله منه؟ فعلم أنه لا بد من ترجمة تبين المراد، وتوضح حق الله سبحانه إذا لم يتيسر لهم لغته والعناية بها... قال ابن باز رحمه الله: «فإن الحاجة للترجمة ضرورية، ولا يتم للداعي (المغترب) إلّا بذلك»(٢).

ولقد سبق بيان أهمية الدعوة بلسان المدعوين، ما يغني عن التكرار، وبيان التأكيد على أهمية الترجمة بأنها مطلبٌ ملحٌّ لإقامة الحجة، وبيان المحجَّة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

لقد أدت الترجمة دوراً كبيراً في نقل الثقافات، وبخاصةٍ في هذا العصر الذي يشهد اليوم حركة ترجمة واسعة في مجال علوم الدين المختلفة، وهي ظاهرة قد توصف بأنها صحية، تبشر بخير، باعتبار أنها جانب إيجابي من جوانب الدعوة الإسلامية.

ويمكن القول: إن الترجمة بدأت منذ عهد الرسول ﷺ فقد بوَّب الإمام البخاري، يرحمه الله، في صحيحه باباً بعنوان: «باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد».

وقال خارجة بن زيد: «عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود، حتى كتبت للنبي كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه». وفي رواية

(١) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٢/ ٥٥.
(٢) ابن باز، «مجموع فتاوى ابن باز»، د. ط، ١٢/ ٣٧٤.

الكشميهني «اليهودية»[١].

وفي حديثٍ آخر، أن ابن عباس قال: «**أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا، فإن كَذَبَني فكذِّبوه ـ فذكر الحديث ـ فقال للترجمان قل له: إن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قَدَميَّ هاتين**»[٢].

وهذا الحديث يدلُّ على ضرورة تعلم لغات الأعاجم؛ أولاً لتبليغهم الرسالة، ثم للأمن من مكرهم. فقد ثبت أن النبي ﷺ، كتب إلى هرقل وغيره من الملوك، والحكام، كتباً دعاهم فيها إلى الإسلام، وذكر فيها آية من كتاب الله، أو بعض آية، وكان يعلم أن معناها سيترجم بلغاتهم.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**إيتوني بأجمعكم بالغداة**» وكان رسول الله ﷺ، إذا صلّى الفجر يجلس في مصلاه يسبح، ويدعو، ثم التفت إليهم، فبعث عدة، وقال ﷺ: «**انصحوا الله في أمر عباده؛ فإن من أخبر عن شيء من أمر المسلمين ثم لم ينصح؛ حرَّم الله عليه الجنة، انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى ابن مريم؛ فإنهم أتوا القريب، وتركوا البعيد، فأصبحوا** (يعني: الرسل) **وكل منهم يعرف لسان القوم الذين أرسل إليهم**»، وذكر ذلك النبي ﷺ، فقال: «**هذا أعظم ما كان في حق الله** ﷻ **عليهم في أمر عباده**».

ولندرك عظيم شأن الترجمة زمن الصحابة، نذكر هنا أنهم كانوا إذا فتحوا مصراً دعوا أهله إلى الإسلام. قال الشيخ عبد العزيز بن باز، يرحمه الله:

«إن الصحابة رضي الله عنهم لما غزوا بلاد العجم من فارس، والروم، لم يقاتلوهم حتى دعوهم إلى الإسلام، بواسطة التراجم، ولما فتحوا البلاد العجمية، دعوا الله سبحانه وتعالى باللغة العربية وأمروا الناس بتعلمها، ومن جَهِلَها منهم دعوه بلغته، وأفهموه المراد باللغة التي يفهمها، فقامت بذلك الحجة، وانقطعت المعذرة، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد، ٩/٧٦، حديث رقم (٧١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد، ٩/٧٦، حديث رقم (٧١٩٦).

شك أن هذا السبيل لا بد منه؛ لا سيما في آخر الزمان، وعند غربة الإسلام، وتمسك كل قبيلة بلغتها. فإن الحاجة للترجمة ضرورية، ولا يتم للداعي دعوة إلا بذلك[١].

وعلى الرغم من أن حركة الترجمة اليوم لا تقارن بتلك في عهد المأمون وخَلَفِه؛ من حيث أن معظم المواد المترجمة اليوم هي من تأليف علماء الإسلام، وطلبة العلم من أهل السُّنَّة والجماعة؛ غير أن النصوص المترجمة لا تخلو من آثار سلبية، تنعكس على واقع الدعوة؛ ومن آثارها السلبية أنها تقلل من شأن اللغة العربية، لغة القرآن، في أعين المسلمين الأعاجم، باعتمادهم على النصوص المترجمة اعتماداً كليّاً، يضعف همتهم لتعلم اللغة العربية، أو لبذل المجهود في نطق أحرفها الحلقية.

إن الغرض من الترجمة هو نقل المعلومة من لغةٍ إلى أخرى، أو نقل الفكرة بأحرفٍ وكلماتٍ واصطلاحات، تختلف برمتها عن مثيلاتها في لغة المتلقي لتلك الفكرة. ولهذا قال أهل العلم أقوالاً تتضمن تحريم الترجمة الحرفية؛ لأنها لا تفي المعنى حقّه.

قال الشيخ ابن عثيمين[٢]: «الترجمة الحرفية بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة عند كثير من أهل العلم؛ وذلك لأنه يشترط في هذا النوع من الترجمة شروط لا يمكن تحقيقها؛ منها وجود مفردات مماثلة بين اللغتين، ووجود أدوات للمعاني متشابهة في اللغتين، وتماثل ترتيب الكلمات في الجمل والصفات والإضافات».

وإلى جانب هذا، هناك عاملٌ يغفل عنه غالبية العاملين في هذا المجال؛ وهو أن الذي ينقل الفكرة من لغته إلى لغةٍ أخرى لا يدري أن المؤثرات الثقافية لدى المستهدفين بالترجمة تتحكم في فهمهم الأفكار الجديدة، والمستحدثة سلباً أكثر منها إيجاباً.

ولبيان هذه الحقيقة أسوق المثال التالي: فاصطلاح (العِرْض أو الشرف) له مدلول خُلُقي، واجتماعي، لدى العرب بخاصة، والشرقي بعامة يختلف عن

(١) ابن باز، «مجموع فتاوى ابن باز»، د. ط، ١٢/ ٣٧٤.
(٢) النيجيري، «دور الترجمة الدينية في الدعوة إلى الله تعالى»، د. ط، ص٤٢.

مدلوله في الثقافة الغربية. فإذا ورد هذا الاصطلاح في نصٍّ عربيٍّ للترجمة؛ فلا يمكن أن يُكتفى بترجمته بكلمة تقابل المعنى اللغوي في اللغة الأخرى؛ ككلمة: (Honour) ومعناها: شرف.

ففي هذه الحالة لا بد من بيان مضمون هذا الاصطلاح؛ أي: لا بد من بيان الحقيقة الشرعية لهذا الاصطلاح؛ ليتمكن القارئ من استيعابه، وإلا فإن الاكتفاء بالحقيقة اللغوية تفوت عليه ذلك؛ وهذا هو عين الترجمة الحرفية.

والذي يبدو من النصوص المترجمة؛ أن الترجمان الذي يلتزم الترجمة الحرفية؛ يلجأ إليها لأسباب، منها: عدم استيعاب الترجمان أسس وأصول الترجمة، فهو يظن أنه لا فارق بينها وبين الترجمة التجارية، وأن الذي عليه هو نقل مفردات نص من لغةٍ إلى مفردات لغةٍ أخرى، بغض النظر عمَّا إذا اتضح المعنى أم لم يتضح.

ليس المهم هنا بيان كثرة النتائج السلبية للترجمة الحرفية لآي القرآن بخاصة، والنصوص الشرعية بعامة. فلو لم يكن لها سوى نتيجة سلبية واحدة لكفى بها تحذيراً.

ولكن هناك عدد من المؤثرات السلبية للترجمة؛ أخصُّ **منها:** عدم معرفة كثير من التراجم بعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وعلوم الإسلام. وهذا ما يدفعهم إلى تأويل الأسماء والصفات.

ومنها أيضاً: أن التراجم ذوي العقائد الفاسدة، وأتباع المذاهب الهدامة؛ يروِّجون عقائدهم من خلال ترجماتهم، **ومنها:** جهل الترجمان بالناسخ والمنسوخ من كتاب الله وسُنَّة رسوله.

ومنها: اعتماد التراجم المعنى اللغوي للكلمة، باعتمادهم على المعاجم المدرسية، أو ما تسمَّى بمعاجم الاصطلاحات الإسلامية، دون الرجوع إلى أهل العلم، ومراجعهم، لمعرفة تأويل كلام الله، وكلام نبيِّه ﷺ. ومنها اكتفاء القارئ بترجمة النص، والاستغناء به عن تعلم العربية.

وهناك مؤثرات سلبية أخرى للترجمة الحرفية في مجالاتٍ أخرى؛ وهو: أن من أعداء الإسلام من يفرح بالترجمة المعلولة، ويستغلها لضرب القرآن بعضه

ببعض، ويكفي هنا ما ذكره الدكتور موريس بوكاي مثلاً لهذه الترجمة، حول تكوين الحليب في جسد الإنسان، والحيوان؛ وأن من التراجم من ترجم كلمة الفرث (الغائط)[(١)].

ويمكن بعد ذلك تصور ردود أفعال علماء الطب والتشريح حين يقرؤون مثل هذه الترجمة، ذلك بأنهم لا ينحون باللوْم على الترجمان؛ بل يقولون: إن نصّاً كهذا لا يمكن أن يكون وحياً، بل هو من عند بشر، وهذا نتيجة عدم رجوع الترجمان إلى المراجع العلمية التخصصية.

إن من المسلَّم به أن ترجمة ألفاظ وآي القرآن الكريم ليست القرآن ذاته، لذا فإن التقيد بحرفية النص حين الترجمة غالباً ما يشوه معنى النص؛ غير أن المشكلة أن كثيراً من التراجم من يتقيد بنسق العبارة في اللغة العربية، الذي يعطي الصياغة رونقاً، وجمالاً، وحسن بيان، يتذوقه القارئ العربي، ويقدر قيمته الجمالية؛ غير أن هذا كله لا يتوفر في اللغة المترجم إليها، بل ربما يتغير معنى النص لو تقيد الترجمان بهذه المحسنات، فعلى سبيل المثال من التعبير الجميل الذي ينم عن الحياء الإلٰهي في الكناية عن الجماع، يقول تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، فلو ترجمت هذه الكلمات بحرفيتها لفهم القارئ أنه ينبغي عليه الوضوء كلما مست يده يد زوجه، فالمقصود بالملامسة في هذا السياق هو الجماع وليس اللمس.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، نجد أن كثير من الترجمات لهذه الآية تقول: «هنَّ ثياب لكم وأنتم ثياب لهنَّ». ومنهم من قال: هن سراويل لكم، وأنتم سراويل لهنَّ. أو شيء من هذا القبيل. وقد يستهجن القارئ الأعجمي هذه الترجمة؛ لأن هذا التعبير لا يوجد في اللغة الإنجليزية، وعليه يصبح لزاماً على الترجمان أن يعطي معنى أو مفهوم الآية بدلاً من ترجمتها حرفيّاً.

ولما اقتضت الضرورة تبليغ هذا الدين عملاً بأمر المصطفى ﷺ، ولما كان

---

(١) بوكاي، «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»، ط٣، ص٢٣٤.

الأعاجم هم الغالبية الساحقة من المسلمين فقد اقتضت الضرورة تعليمهم أمور دينهم، وأوامر ربهم، وسُنَّة نبيهم عليه الصلاة والسلام بلغاتهم لصعوبة تعلمهم العربية في الظروف الراهنة. ولا يمكن تحقيق هذا إلا بترجمة معاني آي القرآن وأحكامه وغير ذلك إلى اللغة التي يتكلمونها، فاقتضت الضرورة دعوتهم بلغاتهم أيضاً.

وهذا يعني: أن هذا النوع من الترجمة يدخل في حيز الوجوب؛ كما بيَّن الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، يرحمه الله: «وأما الترجمة بالمعنى للقرآن؛ فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها. وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن، والإسلام، لغير الناطقين بالعربية؛ لأن إبلاغ ذلك واجب؛ وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[(١)(٢)].

غير أنه لا ينبغي أن يؤخذ هذا القول على إطلاقه؛ ذلك بأنه لا بد لهذه الترجمة من شروط، وقيود، أهمها: التقيد بفهم السلف الصالح لنصوص القرآن والعقيدة، وأن لا يصدر إلا عن مصدرَيْ الشرع: الكتاب، والسُّنَّة، ثم عن آراء أهل العلم المشهود لهم بسلامة المعتقد من السلف والخلف.

هذا إلى جانب حصول الترجمان على المؤهلات الشرعية، التي تمكنه من نقل الفكرة إلى اللغة الأعجمية على مراد الله ومراد رسوله.

وينبغي على الترجمان أيضاً أن يعوِّدَ المسلم الأعجمي على استعمال الاصطلاحات الشرعية، وأسامي كتب الله، وأنبيائه، كما ذُكِرت في القرآن، وأن يضع ترجمتها بين قوسين.

إن الله بعث محمداً ﷺ بالرسالة الخالدة لتكون بلاغاً للناس كافة وعامة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونظراً للاعتبارات التي سبق ذكرها، فإن ترجمة النصوص الدينية هي أقوى وسيلة إعلامية لتحقيق هذا الهدف السامي، إذ بها يعلم العباد ذوو العلاقة أمر الله ونهيه.

---

(١) ابن عثيمين، «أصول في التفسير»، ط١، ص٣٢.

(٢) الغزي، «مَوْسُوعَة القَواعِد الفِقْهِيَّة»، ط١، ١/ ١٦٤.

ومن هذا الجانب يمكن القول أن لترجمة النصوص الشرعية محاسن جمة إذا ما روعيت شروطها، **منها:**

١ ـ تبليغ الرسالة الإلٰهية لسائر الخلق. فقد ساعدت الترجمة على نشر الإسلام في شتى بقاع العالم واتساع رقعته اتساعاً أفقيّاً، وذلك بازدياد نسبة المسلمين في العالمين، الغربي، والشرقي، بشكلٍ ملحوظ، وهذا مصداقاً لقول النبي ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله هذا الدين**»[(١)].

٢ ـ كثرت الجمعيات التابعة لأهل السُّنَّة والجماعة بعد أن انتشرت وسائل الدعوة المكتوبة، والمسموعة والمرئية.

٣ ـ صار الإسلام يحتل المرتبة الكميّة الثانية[(٢)]، وهذه ظاهرة تبشر بخير، فلو نظرت إلى أمريكا الشمالية، والجنوبية، وأوربا، لتبين لك أن دين الإسلام أسرع الأديان انتشاراً فيها، رغم ضآلة موارد دعاته، وهذه ظاهرة تقض مضجع هيئات التنصير ودولهم التي تضع تحت تصرفها ميزانيات هائلة.

٤ ـ إن وجود عدد كبير من مكاتب دعوة الجاليات في المملكة السعودية، ساهم وما زال يساهم في زيادة عدد المسلمين الجدد فيها ومتابعتهم، وإعداد دورات تخصصية لهم في اللغة العربية، وعلوم العقيدة، والشريعة وعلوم الدين الأخرى.

٥ ـ في هذا العصر الذي هيمنت الوسائل الإلكترونية (الإنترنت) على كل وسائل الإعلام، وطغت عليها، فقد تصدرت الترجمة كل أدوات هذه الوسيلة. وعلى الرغم من سلبيات هذه الوسيلة إلا أنه لا يمكن تجاهل أهميتها كوسيلة لدحض شبهات أعداء الإسلام وإعطاء صورة ناصعة له من مواقع نظن في القائمين عليها خيراً.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، «مسند الشاميين»، حديث تميم الداري، ٢٨/١٥٥، حديث رقم (١٦٩٥٧). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) حسب إحصائية موقع: Adheents.com. وهو موقع مختص بالإحصائيات حول الأديان وغيرها.

وكما أن لأهل السُّنَّة والجماعة مواقع في الإنترنت، فيه كذلك مواقع للفرق الضالة التي تنشر فسادها، فقد ساهمت الترجمة في كشف شبهات هذه الفرق، وفضح عورها.

ومهما بلغت النتائج الإيجابية للترجمة كثرة، فإنها لا يمكن أن تستوعب علل نتائجها السلبية، ولا أن تدرأ خطرها، **فمنها**:

١ ـ عدم وضوح مسائل العقيدة، والعلوم الشرعية، عند التراجم؛ ممَّا يؤثر على فهم القارئ أو السامع لنتاجهم، ولقد راجعت كثيراً من أعمال الترجمة، فوجدت أن كثيراً من التراجم غير مؤهلين للقيام بهذه المهمة الجليلة وهذا العبء الثقيل. ولا يمكن إنكار الرغبة الصادقة لديهم في العون على نشر الإسلام؛ إلا أن ضعفهم في العلوم الشرعية، أو اللغة الإنجليزية، أو العربية، أو في كلتيهما؛ حال دون تحقيق هدفهم.

٢ ـ انتشرت بين الكثير من المسلمين الأعاجم العقائد الفاسدة؛ وذلك بسبب وفرة إنتاج الدعاة لتلك العقائد الفاسدة منهم في مجال الترجمة. فقد سبقوا سائر المسلمين في هذا المجال، سواء في ترجمة معاني القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وكثير من العلوم الشرعية.

٣ ـ تلقف التراجم العرب وغير العرب أعمال هؤلاء، واعتبروها مرجعاً لهم دون تبين مواطن الضعف والزلل فيها، ونقلوا عنهم ترجمة الاصطلاحات الشرعية بعجرها وبجرها، وتناقلوها بينهم. مثل الترجمة غير الصحيحة لمعنى ﷺ (peace be upon him) ومعنى خاتم الأنبياء ﷺ (The seal of the prophets).

٤ ـ ساعدت الترجمة في ازدياد عدد المتسورين سور العلم من الأعاجم، الذين لا تتقن غالبيتهم الساحقة اللغة العربية؛ ومع هذا، فهم يعتلون منابر الدعوة في الإنترنت، ووسائل الإعلام المتنوعة، والأعجب من هذا أنهم حازوا على رضا أهل الخير من المسلمين العرب، فأمدُّوهم بأموال طائلة بحسن نية، ورغبة في نشر الإسلام، دون أن يطَّلعوا على الطامّات في كتبهم، ومحاضراتهم ممَّا ساعدهم على نيل الشهرة في بلدان كثيرة، وقد تدفع الشهرة بعضهم إلى عدم قبول الحق، ولا يجد من ينتقدهم أذناً صاغية ولا واعية.

٥ ـ اعتماد التراجم على المعاجم المدرسية في ترجمة النصوص الشرعية، أو على ما تسمى بالمعاجم الإسلامية التي هي من تأليف عرب وأعاجم من الذين مرَّ ذكرهم آنفاً ممَّا يجعل الترجمان يعتمد المعنى اللغوي للاصطلاح الشرعي لعدم معرفة معناه الشرعي؛ كمثل الذي ترجم معنى اسم الله الظاهر (The Apparent)؛ أي: (الواضح للعيان) وسبب هذه المشكلة عدم رجوع الترجمان إلى المراجع العلمية الموثقة، أو سؤال أهل العلم عن معنى هذا الاسم.

٦ ـ اعتبار ترجمة النصوص الشرعية المترجمة مرجعاً فوق الشبهات، والاستغناء بها عن أمهات المراجع، وكتب أهل العلم، واستعمال الترجمة كمرجع للفتيا.

٧ ـ عزوف كثير من الأعاجم عن تعلم اللغة العربية، وهذا من أعظم المصائب المترتبة على ترجمة النصوص الشرعية.

وأود في خاتمة المطاف أن ألفت انتباه الإخوة التراجم، عربهم، وعجمهم، أنه لا بد أن تتوفر لدى الترجمان المؤهلات التالية، من أجل النجاح في مهمته، وهي:

١ ـ العلم الشرعي، ومعرفة الاصطلاحات الشرعية بمعانيها اللغوية والشرعية.

٢ ـ معرفة القواعد الفقهية؛ لأنها كثيراً ما تساعد على فهم النص الفقهي.

٣ ـ معرفة عقائد الفِرَق الضَّالة، والمعاصرة منها على وجه الخصوص، والاطِّلاع على كتب السلف التي تحوي الرد على هذه الفرق، وتفنيد حججهم.

٤ ـ التمكن من اللغة العربية، ومعرفة قواعدها واستعمالاتها، وأدلتها، من شعرٍ أو نثر.

٥ ـ التمكن من اللغة الأجنبية، والحديث هنا عن الإنجليزية ومعرفة قواعدها، واستعمالاتها والأمثلة التي تسوقها المعاجم التخصصية للدلالة على معانيها.

وإلى جانب هذا لا بد أن يقتني الترجمان مكتبة خاصة تحوي:

١ ـ قواميس عن اللغة نفسها لتفسير المصطلحات.

٢ ـ معاجم وكتب اللغة العربية ومعاني الكلمات.

٣ ـ كتب المصطلحات.

٤ ـ معاجم متخصصة في اللغتين.

ثالثاً: مراعاة دين المخاطب:

أ ـ مراعاة دين المدعو:

ينقسم غير المسلمين إلى الأصناف التالية[1]:

الصنف الأول: **الدهريون:** هم الذين لا يؤمنون برب، ولا رسول، ولا كتاب، ولا دين.

الصنف الثاني: **المشركون:** هم الذين ما زالوا يعبدون الأصنام، على اختلاف مشاربهم.

الصنف الثالث: **أهل الكتاب:** هم الذين يؤمنون بالله خالقاً، وبكثير من الرسل، ولكنهم يشركون بهم، أو بغيرهم، ولا يؤمنون برسالة الإسلام.

والمقصود من هذا التقسيم؛ أن يكون المعرِّف بالإسلام على بينةٍ من أصناف الناس، ومواقفهم الاعتقادية، وأن يَختار لكل صنف خطابه، وما يناسب اعتقاده، ومستوى إيمانه، فيُخاطب الدهريين: في إثبات وجود الخالق ﷻ، ويقيم البراهين على ذلك.

ويُخاطِب أهل الكتاب: في صحة رسالة الإسلام، وبعثة الرسول ﷺ، ووجوب الإيمان بالرسل جميعاً، وهكذا، لكل صنف طريقتُه، ولكل مستوى مقالُه.

عند تتبع أساليب القرآن في خطاب الناس؛ نجد القرآن الكريم قد خاطب هذه الأصناف كلها، كلّاً حسب إيمانه، وكلّاً بما يناسب تفكيره ومعتقده.

فخاطب الدهريين: بإثبات وجود الخالق، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

---

(١) العرعور، «منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر»، ط١، ص٨٩.

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠].

وحاجَّ إبراهيمُ ﷺ الدهريَّ بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وخاطب القرآن المشركين بما يناسبهم في عقائدهم، فقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

لأنهم كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية، ويشركون في الألوهية، فألزمهم الله بمقتضى الربوبية أن لا يُشرك به؛ لأن العبادة تصرف لخالق هذا الكون والمتصرف فيه، ولا تصرف لغيره من المخلوقات كائناً ما كانت.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأحقاف: ٥].

وخاطب أهل الكتاب بما يناسبهم، ومعتقداتهم، وما يقرون به من توحيد الربوبية، وإيمانهم ببعض الرسل، والكتب، فقال لهم سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [المائدة: ٧٧].

وقال سبحانه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ

وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

ولو أمعنّا النظر في السُّنَّة لِجَمْعِ مثلِ هذا لعجزنا، ولا بأس بذكر قليل من ذلك على سبيل التذكير والتنبيه.

فقد كان رسول الله ﷺ يخاطب أهل الكتاب بغير ما كان يخاطب به كفار قريش، فخاطب اليهود بوجوب التزامهم التوراة الصحيحة، وعدم التحريف فيها، فلو أنهم التزموها لآمنوا، ومن ذلك: لما جاءه اليهود بزانٍ منهم، فقال الرسول ﷺ: «**أنْشُدُك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم؟**»[1].

وخاطب وفد نجران في إبراهيم أنه لم يكن يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كان حنيفاً مسلماً.

وكان قد كتب لهم «أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد»[2].

فانظر كيف خاطبهم بتوحيد الألوهية مباشرة؛ لأنهم مُقرّون بتوحيد الربوبية.

ولا أدَلَّ على ذلك من الرسائل التي كان يرسلها رسول الله ﷺ إلى ملوك وسلاطين الشعوب، فقد كان يخاطبهم بالإيمان، وبدخول الإسلام: فخطابه لكسرى المجوسي، لم يكن كخطابه للنجاشي من أهل الكتاب، ورسائله أشهر من أن تسطر هاهنا[3].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى، ٣/ ١٣٢٧، حديث رقم (١٧٠٠).

(٢) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٢/ ٢١٥ ـ ٢٢٥، وابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٥/ ٥٢، وابن القيِّم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ط٢٧، ٣/ ٦٢٩، وابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ط١، ١/ ٣٥٧.

(٣) «السيرة النبوية»، ٤/ ٣٣٠ وما بعدها، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ٣/ ٦٨٨ وما بعدها.

ومن أجمل ما يسطر ها هنا؛ مفارقة خطاب رسول الله ﷺ بين من في قلبه إيمان، وبين من خوى قلبه من الإيمان، وكان ذلك بين مادية سراقة، وإيمان عمر رضي الله عنهما:

لما تبع سراقةُ بن مالك رسولَ الله ﷺ ساعة الهجرة إلى المدينة ليقبض مكافأة قريش... فلما أدرك سراقةُ النبي طلب منه النبي ﷺ أن يعمي عنه، وله مكافأة مالية هي أقرب إلى الخيال ـ يومئذٍ ـ منها إلى الحقيقة، قال له رسول الله ﷺ: «**كأني بك قد لبست سواري كسرى**»(١).

ودخل عمر على رسول الله ﷺ، وقد أثّر الحصير في جنبه، فبكى عمر، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**» فقال: يا رسول الله، إن كسرى، وقيصر، فيما هما فيه، وأنت رسول الله!!!

فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**»(٢).

فجواب رسول الله ﷺ الأول لسراقة، اختلف اختلافاً كبيراً عن جوابه لعمر.. فالأول كان وعداً بالدنيا، والآخر وعداً بالآخرة، فلماذا اختلف الخطاب؟! ولماذا لم يقل لسراقة ستُسْلم، وستكون لك الجنة؟ ولماذا لم يَقُل لعمر ستكون أميراً عظيماً، وسلطاناً مهيباً، وستملك ما تحت قدم قيصر، وكسرى؟.

ذلك لأن رسول الله ﷺ كان في دعوته وإجاباته مستحضراً حال المدعو الإيمانية، فأما سراقة فلم يخرج لاحقاً رسول الله ﷺ إلا للمال، ونفسيته نفسية غير إيمانية، فهو لا يقيم وقتئذٍ للإيمان والجنة وزناً، فلا يناسب أن يقال له: ستكون مؤمناً، وستدخل الجنة؛ لأن نفسيته ـ يومئذٍ ـ كانت نفسية دنيوية، وقصده

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، جماع أبواب تفريق ما أخذ من أربعة أخماس الفيء غير الموجف عليه، باب الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع، ٦/ ٥٨١، حديث رقم (١٣٠٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب «تفسير القرآن»، باب ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم: ١]، ٦/ ١٥٦، حديث رقم (٤٩١٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤]، ٦/ ١٥٦، حديث رقم (١٤٧٩).

من اتباع النبي ﷺ كان قصداً مادياً، فناسب أن يَعِدَهُ الرسول ﷺ بالمادة (سواري كسرى) التي هي مقصده الأول وقتئذٍ، ومعلوم عند سراقة أمانة رسول الله وصدقه.. وأنه إذا وعد وفى.

وأما عمر رضي الله عنه فنفسيته نفسية إيمانية، لا تقيم للدنيا وزناً، أمام رضا الله تعالى وجنته، فناسب أن يخاطب نفس عمر بما يناسبها، فقال له: «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة**».

ب ـ مراعاة المخاطب في ذاته:

«من الضروري للداعية الحكيم: أن يراعي ظروف الناس، من فقرٍ، ومرضٍ، ووضع اجتماعي، وأن لا يتجاهلها، بل يكون قوي الملاحظة في ذلك مع المدعوين.

فقد خرج رسول الله ﷺ مرة، فإذا بأبي هريرة رضي الله عنه في الطريق، وقد خرّ على وجهه من الجَهْد والجوع، فقال له: «**يا أبا هر**» فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فأخذ بيدي فأقامني، وعرف الذي بي، فانطلق بي إلى رحله، فأمر لي بعُسّ من لبن، فشربت منه، ثم قال: «**عد فاشرب يا أبا هريرة**»(١).

لقد فَطن رسول الله ﷺ إلى حال أبي هريرة، ولم يتجاهل حاجته.

فما أحوجنا إلى هذا الفقه العظيم، بأن يراعي الداعية ظروفَ المدعوين، وأن لا يكون غافلاً عنها، فإن الدعوة إلى الله ليست دعوةً خاليةً، ولا مقالة نظريةً، بل هي دعوةٌ عملية، وممارسةٌ واقعية، لا تغفل عن ظروف الناس، ولا عن أحوالهم، بل هي تُعالج هذه الأحوال في إطار الشرعِ المُطهَّر، تحت ظل الحكمة البالغة(٢).

ج ـ مراعاة طباع المدعوين الشخصية:

إنَّ ممَّا لا شك فيه، أن الله فطر الناس على صفاتٍ متفاوتة، وسجايا

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأطعمة، ٧/٦٨، حديث رقم (٥٣٧٥)، والبعُسُّ: القدح الكبير.

(٢) العرعور، «مراعاة حاجات المدعوين وأحوالهم»، موقع رسالة الإسلام islammessage.com (بتصرف) بتاريخ: ٢٨/٥/١٤٢٩هـ.

متنوعة، وإدراكات متباينة، فمنهم صاحب الحس المرهف، والطبع الرقيق، الذي يتأثر بالعاطفة، ويستجيب للموعظة، ومنهم العقلاني ذو التفكير، الذي يناسبه الطرح العقلي، والاستدلالات الرياضية، ومنهم الذي يؤخذ بالترغيب، ومنهم الذي يتأثر بالترهيب، ومنهم المسالم المنصت، ومنهم المجادل العنيد، ومنهم المتعالم، ومنهم المتجاهل، ومنهم القوي ومنهم الضعيف.

وقد يكون لبعضهم ظروف مؤقتة، تمنعه من الإدراك، وتحول دونه ودون الاستجابة؛ كمصيبة مفاجئة، أو خسارة فادحة، أو حالة نفسية معينة.

ومما لا شك فيه؛ أن مُقتضى الحكمة، ونفع الخطاب، أن تُراعى هذه الطباع، وأن يُهْتَمَّ بخطاب كل صنف بما يناسبه، في إطار الشرع الحنيف.

والناظر في أسلوب القرآن الكريم: يجد تنوعاً عجيباً في الأسلوب، وتفاوتاً بديعاً في الطرح، ومعالجة ناجحة لكل أصناف البشرية.

قال سيد قطب في الظلال: «كان هذا القرآن يُواجه به النفوس في مكة، ويروضها حتى تسلس قيادها، راغبة مختارة، ويرى أنه كان يواجه النفوس بأساليب متنوعة تنوعاً عجيباً، تارةً يواجهها بما يشبه الطوفان الغامر، من الدلائل الموحية، والمؤثرات الجارفة، وتارةً يواجهها، بما يشبه السياط اللاذعة تلهب الحس، فلا يطيق وقعها، ولا يصبر على لذعها! وتارةً يواجهها بما يشبه المناجاة الحبيبة، والمسارَّة الودودة، التي تهفو لها المشاعر، وتأنس لها القلوب..! وتارةً يواجهها بالهول المرعب، والصرخة المفزعة، التي تفتح الأعين على الخطر الداهم القريب..! وتارةً يواجهها بالحقيقة في بساطة، ونصاعة، لا تدع مجالاً للتلفت عنها، ولا الجدل فيها، وتارةً يواجهها بالرجاء الصبوح، والأمل الندي، يهتف لها ويناجيها، وتارةً يتخلل مساربها، ودروبها، ومنحنياتها، فيلقي عليها الأضواء التي تكشفها لذاتها، فترى ما يجري في داخلها رأي العين، وتخجل من بعضه، وتكره بعضه، وتتيقظ لحركاتها، وانفعالاتها، التي كانت غافلة عنها!.. ومئات من اللمسات، ومئات من اللفتات، ومئات من الهتافات، ومئات من المؤثرات، يطلع عليها قارئ القرآن، وهو يتبع تلك المعركة الطويلة، وذلك العلاج البطيء، ويرى كيف انتصر القرآن على الجاهلية في تلك النفوس العصيّة

العنيدة»[١].

وهكذا ينبغي أن يكون أسلوب الداعية متنوعاً، يتناسب وكل موقف؟ ويتوافق مع كل نفس، وما فيها؛ من قدرات خَلْقية، وصفات مكتسبة. غير مُغْفِل لحال المدعو، ولا لصفاته الفطرية، ولا مزاياه الشخصية.

ولولا خشية الإطالة، لسردت الكثير من الشواهد، ولا يفوتني أن أذكر أمثلة للتذكير:

ففي الوقت الذي أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية[٢]، أمر رجلاً من الصحابة أن يقول: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[٣]، بدلاً من قراءة الفاتحة عندما عجز عن تعلم الفاتحة.

فأي مراعاة لأحوال المدعوين بعد هذا؟! رجل يُؤمر بتعلم لغة غير لغته، وذلك لِما رأى رسول الله ﷺ من حفظه، وفطنته، ورجل يأمره بالتسبيح بدل الفاتحة، لِمَا رأى من ضعف ذاكرته، إنها مراعاة لطباع المدعوين الشخصية، التي فقدها بعض الدعاة والمربين.

وهكذا ينبغي على الداعية أن يكون فطناً لطبيعة المدعو، مدركاً لما ينفعه في تلك الصفة التي يتصف بها، فيعجل البيان، ويمسك عن الجواب، كل ذلك وما يتناسب وطباع المدعو.

---

(١) قطب، «في ظلال القرآن»، ط١٧، ٦/ ٣٦٩٢ ـ ٣٦٩٣.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الأنصار، حديث زيد بن ثابت عن النبي، ٣٥/ ٤٦٣، حديث رقم (٢١٥٨٧)، والترمذي في «سننه»، أبواب العلم، باب ما جاء في تعلم السريانية، ٤/ ٣٦٥، حديث رقم (٢٧١٥)، وابن حبان في «صحيحه»، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ذكر زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، ١٦/ ٨٤، حديث رقم (٧١٣٦)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب زيد بن ثابت كاتب النبي ﷺ، ٣/ ٤٧٧، حديث رقم (٥٧٨١) وقال: صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه من زيد بن ثابت ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الكوفيين، بقية حديث عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ، ٣١/ ٤٥٥، حديث رقم (١٩١١٠)، وأبو داود في «سننه»، أبواب تفريغ استفتاح الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، ١/ ٢٢٠، حديث رقم (٨٣٢)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب الطهارة، أما حديث عبد الرحمٰن بن مهدي، ١/ ٣٦٧، حديث رقم (٨٨٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

الثاني عشر: استثمار الجهود الفردية والمؤسسية:

وأقصد بالجهود الفردية: في دعوة الناس منفردين.

ويتبين من ذلك أن الدعوة الفردية هي عكس الدعوة الجماعية، من حيث المدعو:

ففي الدعوة الفردية يكون المدعو فرداً، وفي الدعوة الجماعية يكون المدعو جماعة.

إن الدعوة العامة والدعوة الفردية، بمنزلة القدمين للإنسان لا يستقيم أمره إلا بهما معاً، ولا يمكن الاقتصار على الدعوة الفردية، دون الدعوة العامة، والعكس صحيح.

إنَّ أهمية الدعوة إلى الإسلام، تنبثق من أهمية الدعوة إلى الله من حيث هي؛ فالدعوة إلى الله تعالى على بصيرةٍ واجبةٍ على المسلمين؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويقول: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي «الصحيحين» من حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، على أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»[(١)].

إن الباطل يملك اليوم من وسائل الاتصال الجماهيري ما يخاطب به عشرات الملايين في وقتٍ واحد، بَدءاً من الفضائيات، التي يعمل على صناعتها قدرات وأقلام، وعقول وأفهام، مروراً بالصحف والمجلات والحفلات، التي تثير أحط ما في الإنسان من غريزةٍ وشهوات، وصولاً إلى البرامج الثقافية، ومراكز الأبحاث التخصصية التي تتابع العالم الإسلامي، وتصنع له الخطط والخطوات التي توصله إلى الهاوية.

أقول: ما الذي نملكه اليوم لكي نصمد أمام هذا الطوفان؟

إن ما نملكه يبدو شيئاً ضئيلاً لا وزن له، والحق بخلاف ذلك، إن الحق

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ٩/ ٧٧، حديث رقم (٧١٩٩)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ٣/ ١٤٧٠، حديث رقم (١٧٠٩).

دائماً بسيط المظهر، ولكنه فعَّال، ومؤثر في الحقيقة الكامنة وراء المظهر.

إننا نملك الحق، ونملك الخطاب الفردي الذي يغرس القناعة، ويغير الفكر، ويصحح العقيدة، وهم لا يملكون ذاك الخطاب، إنما خطابهم إعلام جماعي، يعرضون فيه أردأ البضاعات، ويرتكزون في ذلك على إثارة الشهوات، وخطابِنا فردي نعرض فيه أنفس السلع وأغلاها، نرتكز في ذلك على رصيد الفطرة عند الناس، وشتان بين من يغرسون القناعات، ويحرِّرون الإرادات، ومن يروِّجون الضلالات، ويحركون الغرائز والشهوات، إننا بالدعوة الفردية ـ التي تملك كل مقومات التأثير والتغيير، والتي تخاطب الفطرة الكامنة في الأعماق والضمير ـ نملك الكثير؛ فالدعوة الفردية رصيد ضخم، لا يقدره إلا من عرَف طبيعة هذا الدين، وطبيعة الإنسان المستخلف.

وفي هذا الزمان وُجِدَتْ أمور كثيرة، أصبحت الدعوة الفردية معها ضرورة حتمية، لا يمكن الاستغناء عنها في واقع العمل الإسلامي؛ فمن ذلك:

١ ـ الغثائية المسيطرة على عامة المسلمين، والتي أفرزتها الأنظمة العلمانية في مجتمعاتنا، عبر استخدامها لبرامج تربية العبيد، وتلقين الذل لشباب المسلمين، في حين صارت العناصر الجيدة التي تصلح لحمل الأمانة؛ أندر من الكبريت الأحمر، وبإزاء ذلك توجد حاجة ملحَّة في الحركة الإسلامية إلى نوعيات خاصة جيدة من الرجال، يمثلون بالنسبة للصحوة القاعدة الصلبة، التي يعتمد عليها في ميدان البذل، والدعوة، والتضحية، وهذه النوعيات لا يكفي أبداً لإعدادها رسائل الدعوة العامة والكلمات العابرة، بل لا بد مِن اتصال وثيق بهم، وتركيز خاص عليهم؛ لنقلهم هذه النقلة البعيدة ما بين الواقع الغثائي، والمثال المنشود.

٢ ـ التضييق والاضطهاد والمحاربة التي يتعرض لها الدعاة في معظم أرجاء العالم من قِبل أولياء الشيطان، الذين يريدون إطفاء نور الله، عبر منع دعاة الإسلام من ارتقاء المنابر العامة؛ من خطب، ومحاضرات، وصحف، ونشرات، وإذاعات، وفضائيات؛ ممَّا يستلزم معه تفعيل دور الدعوة الفردية، لتعويض الفارق في التأثير الحادث من جرَّاء هذا المنع من وسائل الدعوة العامة.

٣ ـ وجود نوعيات معينة من المدعوين، لا يصلح معهم سوى الدعوة الفردية، ومثال ذلك:

١ ـ مدعو يعتز بوضعه الاجتماعي، ويرى أنه لو خالط الناس في تجمعاتهم؛ لذهبت مكانته التي يتمتع بها، وهذا بالطبع لا يكون إلا لأنه غير ملتزم بالشرع التزاماً كاملاً، ففي مثل هذه الحالة يجب أن يستخدم الداعية الدعوة الفردية.

٢ ـ مدعو تُلازمه رفقة السوء، ويصعب التأثير عليه وهو معهم، ففي هذه الحالة يجب الانفراد به بعيداً عنهم؛ حتى يمكن التأثير عليه ـ بإذن الله تعالى ـ.

٣ ـ مدعو له حالة نفسية خاصة؛ كالنفور من الملتزمين، وصاحب الطبع غير المألوف والمتكبر، والمعاند، فهؤلاء جميعاً يصعب دعوتهم إلى درس أو محاضرة، وإنما يستخدم معهم الدعوة الفردية؛ حتى نبين لهم الحق، ونحببه إليهم؛ فيهديهم الله إن شاء.

ومع كونها منهجاً عريقاً، وضرورة واقعية، إلا أنها مع ذلك تمتلك من الميزات؛ ما يجعلنا ننتهجها ونمارسها، حتى لو لم يتوفر فيها كونها ضرورة ملحة:

١ ـ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور مَن تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[١].

٢ ـ وروى البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم**»[٢].

وأما العمل المؤسسي؛ فأقصد به: أنه شكل من أشكال التعبير عن التعاون بين الناس، أو ما يطلق عليه العمل التعاوني، والميل بقبول العمل الجماعي وممارسته، شكلاً ومضموناً، نصّاً وروحاً، وأداء العمل بشكلٍ منسق، قائم على أسس، ومبادئ، وأركان، وقيم تنظيمية محددة[٣].

ويمكن تعريفه، بأنه: التجمع المنظم بلوائح يوزع العمل فيه على إدارات متخصصة، ولجان وفرق عمل، بحيث تكون مرجعية القرارات فيه لمجلس

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب العلم، باب من سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٤/ ٢٠٦٠، حديث رقم (٢٦٧٤).

(٢) سبق تخريجه ص٨٨.

(٣) العدلوني، «العمل المؤسسي»، د. ط، ص٢٠.

الإدارة، أو الإدارات في دائرة اختصاصها؛ أي: أنها تنبثق من مبدأ الشورى، الذي هو أهم مبدأ في العمل المؤسسي[(١)].

ويمكن تعريفه أيضاً بأنه: كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء، وفعالية العمل، لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجانٍ كبيرة، وفرق عمل، وإدارات متخصصة؛ علمية، ودعوية، واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية، وحرية اتخاذ القرارات، في دائرة اختصاصاتها[(٢)].

وهذا المجال لا يصلح له إلا أناس توفرت لديهم معايير ذاتية، ومواصفات معنوية، أبرزها تقديم الخدمة للآخرين، وإيثار راحتهم، وسعادتهم، على راحتهم الشخصية، وهذه معاني تتطلب توفر مقدار من حب الآخرين وإسعادهم، وتقديم راحتهم، والسهر على خدمتهم، مع ما يلازم ذلك من الأمانة، والصدق في ذلك، والتفاني من أجله.

وليست هذه المعاني غريبة على مجتمعات المسلمين، إذ أنها من صميم دينهم، ونبع عبوديتهم لله تعالى؛ حيث قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: ٨]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ١ ـ ٧]، وقال رسول الله ﷺ، في حديثه الجامع المشهور، في (قضاء الحوائج)، عن ابن عمر: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله** ﷻ **سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ـ ولو شاء أن يمضيه أمضاه ـ ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في**

(١) أسماء الرويشد، «حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية»، موقع لها أون لاين، (١٩)، ربيع الثاني، (١٤٢٥هـ)، (٧) يونيو (٢٠٠٤م)، www.lahaonline.com.

(٢) عبد الحكيم بن محمد بلال، «العمل المؤسسي، معناه ومقومات نجاحه»، موقع مداد: http://midad.com/article/210061

حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»[(١)].

وقول النبي ﷺ فيما أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود، وصححه الألباني، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد؛ فليعد به على من لا زاد له**»[(٢)].

فما تركت هذه الآيات، والأحاديث؛ أي سبيل لأهداف، أو مقاصد، للعمل الجماعي، إلا وتطرقت إليه.

إن الفردية، وحب التملك، والسيطرة، فطرة فطر الله الناس عليها، وما لم تتوفر قناعات ذاتية نابعة من عمق فكر بأهمية استثمار المؤسسات، ومعرفة دور الفرد في المؤسسة، وعلاقة المؤسسة بالفرد، فسيظل الفرد هو المسيطر، والمتحكم بالمؤسسة، وبنشاطه تنشط، وبتغير أفكاره، تتغير ثقافة المؤسسة، وبموته تموت.

إن من أهم ما يلزم الداعية المعرِّف بالإسلام الترفع عن الخلاف بين المنظمات، وإن كان ولا بد من وجود الخلاف في الآراء؛ فليكن للخلاف ضوابط؛ من احترام آراء الآخرين، واجتهاداتهم وحسن الظن بهم، وحمل أعمالهم، وأقوالهم، على أحسن المحامل، ما لم ينشر أو يظهر خلاف ذلك، وفي هذه الحالة، يكون الرد مهذباً، ويترفع عن الهمز، واللمز، ولتكن مصلحة المجتمع فوق كل اعتبارات، وفقاً للضوابط الشرعية، وثوابت الأمة.

وكذلك فإن مما يجب الترفع عنه؛ تسييس الدعوة إلى الإسلام، وتوجيهه لأغراض تخرجه عن مضمونه، وتفرغه من محتواه، فإنَّ للعمل السياسي؛ إطاراته التي تصلح له، وأن لا يجعل العمل الإسلامي مطيَّة لمثل هذه الممارسات غير المسؤولة.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الميم، من اسمه محمد، ٦/ ١٣٩، حديث رقم (٦٠٢٦). وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، ٣/ ١٣٥٤، حديث رقم (١٧٢٨)، وأحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ١٧/ ٣٩٥، حديث رقم (١١٢٩٣).

الفصل الرابع

منهجية طرح موضوعات التعريف بالإسلام

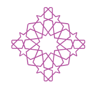
تمهيد: مفهوم المنهجية.

المبحث الأول: منهجية التعريف بحقائق الإسلام العظمى.

المبحث الثاني: منهجية التعريف بالإنسان.

المبحث الثالث: منهجية التعريف بمراتب الدين.

المبحث الرابع: منهجية التعريف بالشريعة الإسلامية.



تمهيد

مفهوم المنهجية

المنهج هو: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق المختلفة والمتنوعة، في علمٍ من العلوم قائم بذاته، أو في عدة علوم بينها رابط يمس الحقيقة العلمية، ويتم تحديد المنهج بواسطة طائفة من القواعد العامة، التي تحدد خطوات القياس العقلي، والتحليل المنطقي، والعقلي، حتى يصل الإنسان إلى نتيجة معلومة.

والمنهج في الدعوة هو: الخطة الكلية والنظام العام، الذي يحدد الإطار العام لكل جوانب الدعوة، وهو الذي يجمع كافة جزئيات قضاياها، وينسق بينها لتتكامل وتحقق ما يراد منها على الوجه الصحيح.

ونظراً لأن منهج الدعوة في قضايا وموضوعات الدعوة فإن منهج الدعوة منهج رباني كله من عند الله تعالى، وقد جاء مفصلاً في الكتاب والسُّنَّة، ولا مجال فيه لاجتهاد مجتهد، أو رأي بشر.

فالدعوة إلى الله تعالى، بما تحمل بين ثناياها من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وما تضمنته من أخبار الرسل والأمم السابقة وأحوال الآخرة، هي ذات طريق واضح ومنهج مُبيَّن، تدركه الفطر النقية والعقول الواعية والنفوس المستقيمة والبصائر المستنيرة، منهج ظاهر، وطريق بارز، يلامس قلوب البشر جميعاً.

وأما منهجية الدعوة: فهي جماع للوسائل، والأساليب التي يستخدمها الداعية في توصيل دعوته حيث يشترط نبل الوسيلة، ونبل الأسلوب، لتحقيق الغاية النبيلة؛ ألا وهي الدعوة إلى الله، ويمكن توضيح مفهوم المنهجية **وفقاً للتفصيل الآتي**:

أولاً: المنهجية لغةً:

(النَّهْجُ) بِوَزْنِ الْفَلْسِ، وَ(الْمَنْهَجُ) بِوَزْنِ الْمَذْهَبِ، وَ(الْمِنْهَاجُ) الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَ(نَهَجَ) الطَّرِيقَ أَبَانَهُ وَأَوْضَحَهُ. وَ(نَهَجَهُ) أَيْضاً سَلَكَهُ وَبَابُهُمَا قَطَعَ(١).

(النَّهْج)، بِفَتْح فَسُكُون: (الطَّريقُ الواضِحُ) البَيِّنُ. وَهُوَ النَّهَج، محرَّكةً أَيضاً. وَالْجمع نَهْجَاتٌ، ونُهُجٌ، ونُهُوجٌ(٢).

منْهَجيَّة [مفرد]: مصدر صناعيّ من مَنْهَج/مِنْهَج: نظامُ طُرُقِ البحث «منهجيَّةُ البحث العلميّ ـ طبَّق منهجيَّة جديدة»(٣).

ثانياً: المنهجية اصطلاحاً:

لم تحدد الكتب المهتمة بالعلوم الشرعية تعريفاً واضحاً للمنهجية، إلا أن العديد من الباحثين قد اجتهدوا في وضع تعريف لها، **ومن تلك التعاريف ما يلي:**

عُرِّفت المنهجية بأنها: فن التنظيم الصحيح لسلسلةٍ من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين(٤).

كما عُرِّفت المنهجية بأنها: علم دراسة الطرائق، وتكوينها، وبنائها، وتفعيلها، وتشغيلها، فهي منهج المناهج بهذا الاعتبار، وأما المنهج أو المناهج فهو مفردات هنا أو هناك، وأدوات ووسائل، وقواعد وخطوات، وإجراءات، هي من مكونات المنهاجية ولكن تستوعبها، ذلك أن علم المنهاجية يتواصل في رؤية فيما قبل المنهج والمنهج ذاته وفيما بعد المنهج في سياق، وأصل، ورابط، بين هذه المنظومة والعناصر المنهاجية، وعمليات التفاعل، والتشغيل، المرتبطة بها(٥).

---

(١) الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ١/ ٣٢٠.
(٢) الزَّبيدي، «تاج العروس من جواهر القاموس»، د. ط، ٦/ ٢٥١.
(٣) عمر، «معجم اللغة العربية المعاصرة»، ط١، ٣/ ٢٢٩١.
(٤) بدوي، «مناهج البحث»، ط٣، ص٦.
(٥) عبد الفتاح، «حول المنهجية الإسلامية»، د. ط، ص٥٥.

كذلك عرِّفت المنهجية بأنها: الأساس الذي ينطلق منه الباحث في بحثه لحل المشكلة أو نقدها، أو إدراك الحقيقة، واختبار صحتها[(١)].

كما عرفت المنهجية بأنها: هي أساس المفاهيم التي يوظفها الباحث في معالجة موضوعه والطريقة التي يوظفها بها[(٢)].

ومن خلال التعريفات السابقة، يرى الباحث أن أغلب تلك التعريفات ابتعدت عن مفهوم المنهجية في الدعوة، نظراً لأنها تعتبر المنهجية مصدراً للمنهج، وأنها تسبقه في الوجود، وتعاصره في النشأة، وتأتي بعده في ربطه بالمناهج الأخرى، وأما في حالة الدعوة إلى الله! فالمنهج هو أساس المنهجية، وهو المحدد لها، والمنهجية في الدعوة إلى الله بذلك تصبح أكثر قرباً من التعريف الأول فهي كاشفة عن حقائق نجهلها في دين الله، أو مثبتة لما نعرفه من الدين حينما نعرضه على الآخرين.

ويمكن تعريف المنهجية الدعوية بأنها: مجموعة الأساليب، والوسائل، التي يستخدمها الداعية في شرح قضايا، وموضوعات الدعوة إلى الله والمستمدة من المنهج الدعوي الرباني.

ثالثاً: المنهجية في القرآن والسُّنَّة:

تمثل المنهج الرباني للدعوة إلى الله في قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

---

(١) صابر، «منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام»، د. ط، ص١٩.

(٢) صابر، «بناء المفاهيم الإسلامية السياسية ضرورة منهجية»، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، د. ط، ٢/٢٤٧.

وأمَّا المنهجية الدعوية: والممثلة في الوسائل، والأساليب، فقد جاءت في صورة قواعد كلية وأسس عامة، لكي يتَّخذ المسلمون منها الوسائل، والأساليب، لتوضيح منهج الإسلام وقضاياه، بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

فهذه الآية، توضح أنَّ من يسلك سبيل الدَّعوة إلى الله، فينبغي عليه أن يأخذ بالأساليب التالية: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالَّتي هي أحسن، هذه الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم إشارةً موجزةً دون تفصيل.

وأما عن المنهجية في السُّنَّة: فقد وردت العديد من الأحاديث التي تعلقت بمنهجية الدعوة إلى الله تعالى، سواء كانت توجيهاً من النبي ﷺ أو فعلاً دعوياً قام به، وهو إمام الدعاة، وسيدهم، **ومن الأحاديث الموضحة لذلك ما يلي:**

حديث حذيفة رضي الله عنه، حيث قال: حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الأمانة نزلتْ من السماء في جَذْرِ قلوبِ الرجال، ونزلَ القرآن فقَرَؤوا القرآن، وَعَلموا منَ السُّنَّة**»(١).

والحديث يوضح أحد أهم الأساليب في استخدام الكتاب، والسُّنَّة؛ كمصدرين رئيسيين في عرض قضية دعوية ما، فعادة ما تأتى آيات القرآن موجزة، ومحددة لحكمٍ ما، أو لقضية ما فيلجأ الداعي إلى السُّنَّة ليفصِّل ما أجمل في القرآن، فتتضحُ الصورة العملية للحكم، أو يفسر ما كان غامضاً أو استشكل على البعض من المدعوين.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المؤمن بطعّان ولا بلعّان، ولا الفاحش البذيء**»(٢).

والحديث يدلُّ على منهجيته ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يبتعد في

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب «الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة»، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ٩/ ٩٢، حديث رقم (٧٢٧٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، ٦/ ٣٩٠، حديث رقم (٣٨٣٩).

دعوته عن الطعن في الآخرين، أو لعنهم، أو وصفهم بما لا يليق من القول، مما يدلُّ على الحرص على حسن القول، وعدم التعرض للأشخاص بالأذى، حتى وإن كانوا أهلاً لذلك.

وعن ابن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخوّلنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا»[(١)]. ويبيِّن ابن حجر فائدة مهمة في هذا الحديث فيقول: «وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابه، وحسن التوصل إلى تعليمهم، وتفهيمهم، ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل»[(٢)].

وروى أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[(٣)].

وهي أحدى القواعد الهامة، والممثلة للأساليب، والوسائل في ذات الوقت فالتيسير يمثل الأساليب، والبشر يمثل الوسائل للمنهجية الدعوية.

رابعاً: المنهجية في واقع الدعوة:

تمثل المنهجية في واقع الدعوة الأسلوب، أو النظام المتبع، في أعمال الدعوة، وشؤون الإرشاد والتوجيه، وهي نابعة من القرآن، والسُّنَّة إلا أنها ما زالت كاصطلاح يتم الخلط بينها وبين المنهج حيث يستخدم الأخير عوضاً عنها، وهو خلط واضح بين المنهج الرباني، وبين المنهجية الممثلة للوسائل والأساليب.

إلا أن منهجية الدعوة إلى الله لم تخرج عن سمتها الوقور، وما عُرِف عنها من التصدي بالحُجَّة الهادئة، والبرهان الرزين، والإخلاص في النصح والإرشاد والتوجية، دون أن تدعو إلى سفك دماء، أو سوء معاملة، وإنما بصَّرتهم بالحق وزيّنته لهم، وأغرتهم على قبوله، وقبَّحت لهم الباطل، وحذّرتهم من سوء المصير

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/٢٥، حديث رقم (٦٨).

(٢) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١٢/٥٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/٢٥، حديث رقم (٦٩).

فيه، وفتح لهم أبواب التوبة، والإنابة إلى الله على مصاريعها لعلهم يؤمنون[(١)].

كما أن منهج السلف الصالح في الدعوة يقوم على أن الأساليب والوسائل لها حكم الغايات، فغاية الدعوة وهدفها شريف ومشروع، فكذلك يجب أن تكون أساليبها ووسائلها، ولذلك فمبدأ الغاية تبرر الوسيلة مبدأ مرفوض في منهج الدعوة الصحيح، واستخدام الوسائل والأساليب مرتبط بالحكمة التي تضع كل أسلوب، وكل وسيلة في موضعها الصحيح[(٢)].

لذلك يجب على كل داعية إلى الله تعالى أن يكون على حذرٍ من التلبيسات الباطلة والشبه الباهتة، فنحن كما أننا مأمورون باتباع النبي ﷺ في العقيدة، والعبادة، والسلوك؛ بل وفي قضايانا الاجتماعية، كذلك يجب علينا متابعته ﷺ في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، وطريقته في التبليغ، وأن نبدأ بما بدأ به، وأن نركّز على ما ركز عليه، وألا نجعل من منهج الدعوة إلى الله تعالى محلّاً للاجتهاد، والأخذ والرد، ونُحدث لهذه الدعوة أصولاً وقوانين جديدة من عند أنفسنا لم تثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فنجعل من أمر التوحيد مثلاً والدعوة إليه؛ أمراً ثانويّاً فرعيّاً، ونزعم أن المصلحة تقتضي ذلك[(٣)].

وهي منهجية قائمة على الاعتدال، أساسها الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، عماده اللين والرفق في غير ضعف، وفي الوقت ذاته الجدال بالتي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة، ثم الجلاد لمن كابر وعاند. ولكن دون إكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج على أن يكف عن المسلمين يده، ولسانه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ

(١) المطعني، «سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرة»، ط١، ١/ ٦٣. بتصرف.

(٢) المطوع، «الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده»، ط٣، ١/ ٣٨.

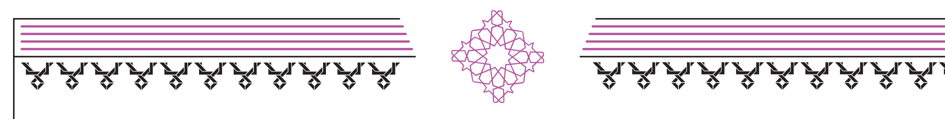
(٣) العنزي، «البصيرة في الدعوة إلى الله»، ط١، ١/ ٤٥.

لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦][(١)].

ونظراً لأهمية منهجية الدعوة بالنسبة للداعي والمدعو له؛ فسيتم إلقاء الضوء خلال الفصل الحالي على منهجية طرح موضوعات التعريف بالإسلام من خلال أربعة مباحث، حيث يطرح المبحث الأول «منهجية التعريف بحقائق الإسلام العظمى»، وأما المبحث الثاني: فيلقى الضوء على «منهجية التعريف بالإنسان»، وأما المبحث الثالث: فيوضح «منهجية التعريف بمراتب الدين»، وأخيراً يأتي المبحث الرابع: ليبين «منهجية التعريف بالشريعة الإسلامية».



(١) آل نواب، «وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار»، د. ط، ١/ ١٧.



المبحث الأول

منهجية التعريف بحقائق الإسلام العظمى

تتمثل حقائق الإسلام العظمى في ثلاثة حقائق، وهي: الله ﷿، والقرآن العظيم والنبي المرسل ﷺ.

ونقصد بمنهجية التعريف: الأسلوب، أو الطريقة، وكذلك وسائل العرض التي سيستخدمها الداعية في عرض تلك الحقائق على المدعوِّين، والتي يجب أن تتخذ في توضيحها الترتيب العلمي في طريق العرض، حتى وإن أخذت شكلاً أكثر بساطة من حيث المحتوى، فعلى الداعية أن يقوم بتوضيح التعريف اللغوي للحقيقة المراد توضيحها، ثم التعريف الإصطلاحي من خلال التعريفات المختلفة للباحثين في ذلك المجال، ومن الممكن أن يختار تعريفاً جامعاً مانعاً ويطرحه على المدعوِّين، كما أن على الداعية أن يوضح ما يمكن أن يتداخل مع تلك الحقيقة من معاني، وأن يوضح خصائص وصفات تلك الحقيقة العظمى للمدعوِّين.

١ ـ الله جل جلاله:

أولاً: اللهُ جل جلاله «الرب»:

هو ربّ كلّ شيء، ومليكه، الخالق وحده، المدبر للكون كله، العالم بكل شيء، المحيي، المميت، الرزاق، القادر، المتصف بكل كمال، المتنزه من كل نقص وعيب، المستحق للعبادة وحده، قال الله ﷿ معرِّفاً عباده بنفسه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦٢].

وقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

ولله ﷻ أسماء كثيرة سمَّى بها نفسه، وقد ورد في الآيات السابقة شيء منها، والقرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة حافلان بذكر أسماء الله ﷻ.

وكل اسم من تلك الأسماء يتضمن صفة يتصف بها الله تبارك وتعالى(١).

وأشهر تلك الأسماء، وأعظمها، وأجلها هو اسم (الله).

ولهذا الاسم خصائص كثيرة، **ومنها ما يلي**:

١ ـ أنه اسم الله الأعظم: حيث ذكر ذلك جماعة من أهل العلم، وبيَّنوا أن الله هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به الرب أجاب، وإذا سئل به أعطى.

٢ ـ أن هذا الاسم هو الأصل لجميع أسماء الله الحسنى، وسائر الأسماء مضافة إليه، ويوصف بها، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ

---

(١) ابن القيِّم، «بدائع الفوائد»، د. ط، ١/١٥٩ ـ ١٧٠، وابن عثيمين، «القواعد المثلى»، ط٣، ص٣٧ ـ ٣٨.

ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

وأما معنى هذا الاسم: فأصله «الإلٰه» وهو بمعنى: المعبود، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الله «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين» رواه ابن جرير في تفسيره[(١)].

فقد جمع رضي الله عنه في هذا التفسير بين **أمرين**:

الأول: الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم الكريم، وهو الألوهية، التي هي وصفه الدالُّ عليها لفظ «الله» كما دلَّ على العلم الذي هو وصفه لفظ «العليم» وكما دلَّ على العزة التي هي وصفه لفظ «العزيز» وكما دلَّ على الحكمة التي هي وصفه لفظ «الحكيم» وكما دلَّ على الرحمة التي هي وصفه لفظ «الرحيم» وغيرها من الأسماء الدالة على ما قام بالذات من مدلول صفاتها.

فكذلك الله هو ذو الألوهية، والألوهية هي الوصف العظيم الذي استحق أن يكون به إلٰهاً، بل استحق أن لا يشاركه في هذا الوصف مشارك بوجهٍ من الوجوه.

وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال، والعظمة، والجمال، وأوصاف الرحمة والبر والكرم والامتنان؛ فإن هذه الصفات هي التي يستحق أن يُؤْلَه ويُعبد لأجلها؛ فيؤله لأن له أوصافَ العظمة، والكبرياء، ويؤله لأنه المتفرد بالقيومية والربوبية والملك والسلطان، ويؤله لأنه المتفرد بالرحمة وإيصال النعم الظاهرة، والباطنة، إلى جميع خلقه، ويؤله لأنه المحيط بكل شيء علماً وحكماً وحكمةً، وإحساناً، ورحمةً، وقدرةً، وعزةً، وقهراً، ويؤله لأنه المتفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقر إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات، وأشد الضرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتأله له وحده، فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا.

(١) آل الشيخ، «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، ط١، ص٣٠.

الثاني: الوصف المتعلق بالعبد من هذا الاسم، وهو العبودية، فالعباد يعبدونه ويألهونه، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

أي: يا يأْلَهُ أهل السماء، وأهل الأرض طوعاً وكرهاً، فكلهم خاضعون لعظمته، منقادون لإرادته ومشيئته، عانون لعزته وقيُّوميَّته.

وعباد الرحمن يألهونه، ويعبدونه، ويبذلون له مقدورهم من التأله القلبي والروحي والقولي والفعلي بحسب مقاماتهم، ومراتبهم، وقد جمع الله هذين المعنيين في عدة مواضع من القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥][(١)].

هذا وسيرد مزيد بيان للعلم بالله ﷻ عند الحديث عن أركان الإسلام، وأركان الإيمان.

ثانياً: قدرة الله ﷿:

القدرة صفة من صفات الله الثابتة له ﷿، وهي القدرة التامة الكاملة على ما سيأتي بيانه.

ومن أسمائه تبارك وتعالى: القدير، والقادر، والمقتدر.

وجميع هذه الأسماء وردت في القرآن، وأكثرها وروداً القدير ثم القادر ثم المقتدر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

---

(١) انظر: البدر، «فقه الأسماء الحسنى»، د. ط، ص٧٧ ـ ٧٨.

وجميعها تدلُّ على ثبوت القدرة صفة لله، وأنه سبحانه كامل القدرة؛ فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دَبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيئ بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون.

وبقدرته يقلِّب القلوب ويصرِّفها على ما يشاء ويريد، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً، والبرَّ بَرّاً، والفاجر فاجراً.

ولكمال قدرته لا يحيط أحدٌ بشيء من علمه إلا بما شاء أن يُعلِّمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات، والأرض، وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، لا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أين كان، الذي سَلِمَتْ قدرتُه من اللُّغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد.

ولكمال قدرته كلُّ شيء طَوْعَ أمره وتحت تدبيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[(١)].

ثالثاً: الله ﷻ موجود:

يجب الاعتقاد الجازم بوجود الله، وأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه سبحانه متصفٌ بصفات الكمال، ونعوت الجلال، منزهٌ عن كل نقص وعيب[(٢)].

ومن خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن **أموراً أربعة**:

١ ـ الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجوداً كاملاً لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

٢ ـ الإيمان بربوبيته: وذلك باعتقاد انفراده ﷻ بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية.

---

(١) البدر، «فقه الأسماء الحسنى»، د. ط، ص٢١٧.

(٢) الحكمي، «أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»، ط٢، ص٥٠.

٣ ـ الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييف.

٤ ـ الإيمان بألوهيته: وذلك بإفراده ﷻ بأفعال العباد؛ فلا يُصْرَفُ أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة لغيره تبارك وتعالى.

رابعاً: وحدانية الله جل جلاله:

لقد دلَّ الشرع، والفطرة، والحس، والعقل، على وحدانية الله، وعلى تفرده بالخلق والرزق، وأنه وحده المستحق للعبادة.

أولاً: دلالة الفطرة على وحدانية الله والإيمان به:

الفطرة في اللغة: هي الخِلْقة، قال ابن منظور: «وفَطَر الله الخلق يفطرهم: خلقهم، وبدأهم.

والفطرة: الابتداء، والاختراع».

وقال: «الفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به.

وقد فطره يَفْطُره بالضم فَطْراً: أي: خلقه»[(١)].

فهذا هو معنى الفطرة في اللغة.

وأما في الشرع: فهي الإسلام، على القول الراجح، كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى[(٢)].

فالفطرة من أعظم البواعث على التدين، وأدلة الشرع نصَّت على أن الإنسان نفسه مفطور على الإقرار بالخالق، والعبودية له.

قال ابن القيم رحمه الله: «وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠]، قالوا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾:

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٥/ ٥٦.

(٢) ابن القيِّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص٥٧٢ ـ ٥٧٥، وابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل»، ط٢، ٨/ ٣٧١.

قالوا: لدين الله»[(١)].

فكل مخلوق قد فُطر على الإيمان بخالقه، وأنه ﷻ رب كل شيء وخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم.

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه[(٢)].

قال النبي ﷺ: «**ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**». وفي رواية: «**إلا على هذه الملة**» وفي رواية: «**إلا على الملة**»[(٣)].

وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)**»[(٤)].

ثم إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه تبارك وتعالى عند الشدائد، فإذا ما وقع الإنسان أي إنسان حتى الكافر الملحد في شدة، أو أحدق به خطر؛ فإن الخيالاتِ والأوهامَ تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فُطِر عليه؛ ليصيح بأعلى صوته، ومن قرارة نفسه، وعميق قلبه، منادياً ربه؛ لِيُفَرِّجَ كربته وهمه، ويلجأ إليه وحده دون سواه.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

(١) ابن القيم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣، وابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل»، ٨/ ٣٧٦.

(٢) ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة»، د. ط، ص١١، والخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط٤، ص٢٧.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، ٢/ ٩٤، حديث رقم (١٣٥٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ٤/ ٢٠٤٧، حديث رقم (٢٦٥٨).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٤/ ٢١٩٧، حديث رقم (٢٨٦٥).

وليس المراد بأنه يولد على الفطرة؛ أنه يولد عالماً بأمور الإسلام؛ فالله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

وليس المراد أيضاً أنه يولد ساذَجاً لا يعرف شركاً ولا توحيداً؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إلا ويولد على الملة**» وفي رواية: «**على هذه الملة**».

بل المراد: أن كل مولود يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدمَ المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه[(١)].

ولذلك قال ﷺ: «**فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**».

ولم يقل يسلمانه؛ لأنه باقٍ على الأصل، فاعتناق غير الإسلام يعد خروجاً عن الأصل والقاعدةِ بأسباب خارجة.

فكل مولود إذاً على وجه الأرض يولد على الفطرة، وهي دين الإسلام؛ فالمولود يولد مقرّاً بخالقه، محبّاً له، متوجهاً إليه.

فإذا بقي على هذه الفطرة فهو مسلم على الأصل، ولا يحتاج إلى تجديد الدخول في الإسلام إذا بلغ وعقل.

وأما إذا نشأ بين أبوين غير مسلمين، واعتنق دينهما الباطل، أو كان معتنقاً أي دين غير الإسلام كان واجباً عليه أن يتخلى عن دينه السابق، ويدخل في دين الإسلام؛ فيشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم يبدأ بتعلم ما يقيم به شعائر دينه من إقامة الصلاة ونحو ذلك.

وهكذا يتبيَّن أن الإسلام هو الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وأن الإنسان مفطورٌ على الإقرار بالخالق، والعبودية له؛ فهذا هو التدين، وذلك باعثه؛ وهذا مقتضى ما دلَّت عليه النصوص صراحة.

وللفطرة فوائد عديدة، منها:

أولاً: أن هذه الفطرة غرزت في النفس البشرية التدين والتعبد لله تعالى.

---

(١) ابن القيِّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص٥٧٨ ـ ٥٧٩.

فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله ﷻ فإنه يُعبِّد نفسه لأي معبود آخر، ليشبع في ذلك نهمته إلى التدين، وذلك كمن استبد به الجوع فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه؛ فإنه يتناول كل ما يمكن أكله، ولو كان خبيثاً ليسد به جوعته.

وهذا ما يفسر لنا وجود التدين عند عموم البشر وقد يكون الدين والمعبود في كثير من الأحيان باطلاً.

ثانياً: إن هذه الفطرة جعلت في جبلَّة الإنسان قبول العبودية والانسجام مع لوازمها، وهذا من الأمور المهمة للإنسان؛ لأن كل ما لا يتفق مع الفطرة فإن النفس تنفر منه ولا تستجيب لمتطلباته.

ثالثاً: إن هذه الفطرة مرجحة للحق، فإذا تعرف الإنسان على دينين حق وباطل، فإن الفطرة تميز بينهما وتميل إلى الحق، بل يقع ذلك في قرارة النفس ويتيقن القلب منه، فإما أن يعلن ذلك ويلتزم به، أو لا يستجيب له بسبب هوى، أو خوف، أو إلف وتقليد ونحو ذلك من الصوارف عن الحق، كما قال ﷻ عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

رابعاً: إن هذه الفطرة تهب للمهتدي يقيناً بالحق الذي هو عليه وإن لم يكن عنده من الأدلة النظرية ما يهبه هذا اليقين، وهذا يفسر لنا والله أعلم عدم ترك المسلم لدينه رغبة عنه وما ذلك إلا لتناسبه مع فطرته، فيعطيه ذلك يقيناً بأنه الحق، وكذلك من اهتدى إلى الإسلام من ذوي الأديان الأخرى الباطلة، فإنه يتمسك به تمسك الغريق بحبل النجاة، وما ذلك إلا لتيقنه من أن هذا الدين هو الحق، لتناسبه وانسجامه مع الفطرة، والله أعلم[١].

ثانياً: دلالة العقل على وحدانية الله والإيمان بالله:

وأما دلالة العقل على وحدانية الله، والإيمان به؛ فلأن المخلوقات جميعها لا بد لها من مُوجِد وخالق؛ إذ لا يمكن أن توجِد نفسَها بنفسِها، ولا يمكن أن توجَدَ صدفة؛ فهذه المخلوقات لا يمكن أن تُوجِد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟

(١) الخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط٤، ص٣٠، ٣١.

كذلك لا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لا بد له من مُحدِثٍ، ولأن وجودها على هذا النظام المتسق البديع المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات، وبين الكائنات بعضها مع بعض؛ يمنع منعاً باتّاً أن يكون وجودُها صدفةً[(١)].

أضف إلى ذلك ما تجده من افتقار المخلوق الشديد؛ فالافتقار وصف ذاتي للمخلوق ملازم له؛ مما يدلُّ على أنه لا بد من وجود خالق، كامل، غني عما سواه، وهو رب العالمين.

وقد ذكر الله ﷻ هذا الدليل العقلي والبرهان القاطع في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥].

يعني: أنهم لم يُخلقوا من غير خالقٍ، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ الآية، وكان يومئذٍ مشركاً قال: «كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي»[(٢)].

ولهذا فإن الله ﷻ يحثُّ كثيراً في كتابه على التعقل والتبصر، ولا أدل على ذلك من كثرة الآيات التي تُخْتَمُ بمثل قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لأن الإنسان إذا تفكر تذكر، وعرف الحق، وإذا تذكر خاف واتقى وانقاد.

ولهذا نجد أن العقلاء الجادين الباحثين عن الحق يصلون إليه، ويوفقون له.

ومما يؤكد ذلك أن كثيراً من كبار المفكرين الغربيين اهتدوا إلى الحق بسبب إجالتِهم أفكارَهم، وبحثهم عن الحق.

---

(١) السعدي، «الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة»، ط١، ص١٩٤، ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة»، د. ط، ص١١ ـ ١٥.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [ق: ٣٩]، ٦/١٤٠، حديث رقم (٤٨٥٤).

ومن نظر في كتاب: (الله يتجلى في عصر العلم) وقد كتبه ثلاثون من علماء الطبيعة والفلك ممن انتهت إليهم الرياسة في هذه الأمور ومثله كتاب: (كريسي موريسون) رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك: (الإنسان لا يقوم وحده) وترجم إلى العربية تحت عنوان: (العلم يدعو إلى الإيمان) يدرك أن العالِمَ الحقيقيَّ لا يكون إلا مؤمناً، وأن العاميَّ لا يكون إلا مؤمناً، وأن الإلحاد، والكفر، لا يكون إلا من أنصاف العلماء وأرباع العلماء؛ ممن تعلم قليلاً من العلم، وخسر بذلك الفطرة المؤمنة، ولم يصل إلى العلم الذي يدعو إلى الإيمان[1].

وبهذا يتبين أن العقل يدل على وحدانية الله ﷻ.

أما إذا أنكر العقل ذلك؛ فإن الخلل في العقل نفسه!

ومن هنا يتبيَّن لنا بطلان قول من قال: إن هذا الكون نشأ بالصدفة، أو أن الطبيعة هي الخالق؛ إن هذه الدعاوى ليست إلا مكابرةً، وعناداً، لما هو متقرر بالمعقول والمنقول، فمن قال: إن هذا الكون نشأ عن طريق الصدفة يقال له: كيف نشأ هذا الكون الفسيح العظيم المتسق المتناسق عن طريق الصدفة؟!

إن ما في هذا الكون يحكي أنه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، لكن الإنسان ظلوم جهول ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [عبس: ١٧، ١٨][2].

أما القول بأن الطبيعة هي الخالق فتلك فرية عظيمة لا دليل عليها، وتهافتها واضحٌ بيِّن لا يحتاج إلى أي رد، بل إن تصور ذلك كافٍ في الرد على أصحابه[3].

ومن تلك الدعاوى نظرية (دارون) التي حاول أصحابها أن يعللوا بها وجود الأحياء، وتزعم هذه النظرية أن أصل الإنسان حيوان صغير نشأ من الماء، ثم أخذت البيئة تفرض عليه من التغييرات في تكوينه، مما أدى إلى نشوء صفات

(١) انظر: نخبة من العلماء الأمريكيين، «الله يتجلَّى في عصر العلم»، د. ط، وانظر: موريسون، «كتاب العلم يدعو للإيمان»، د. ط.
(٢) الأشقر، «العقيدة في الله»، ط١٢، ص٧٤ ـ ٧٥.
(٣) انظر: تفصيل ذلك في «العقيدة في الله»، ط١٢، ص٧٤ ـ ٩٨، وأبو غنيمة، «العلم يتبرأ من نظرية دارون»، د. ط.

جديدة في هذا الكائن، وأخذت هذه الصفات المكتسبة تورَّث في الأبناء حتى تحول مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية جعلت ذلك المخلوق البدائي مخلوقاً أرقى، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان.

هذا هو ملخص تلك النظرية، وعوارها وزيفها واضحٌ بيِّن[(١)].

وقد ثبت بطلانها حتى عند كثيرين ممن يقولون بها.

ومما يقال في ذلك: إنه على فرض صحتها فمن الذي أنشأ ذلك الحيوان الصغير؟ ومن الذي جعله يتطور حتى وصل إلى ما وصل إليه؟!

ثالثاً: دلالة الحس على وحدانية الله والإيمان به:

الحسُّ يدلُّ بوضوح على وحدانية الله ﷻ.

والأدلة الحسية على ذلك كثيرة جدًّاً، **ومنها ما يلي:**

أ ـ إجابة الدعوات:

ويُعْنَى بها إجابة دعوات الملهوفين والمكروبين وغيرهم، ممن يدعون الله ﷻ فيستجاب لهم، ويحصل مقصودهم.

والأمثلة على ذلك لا تحصى ولا تحصر، سواء كان ذلك في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو في حق غيرهم.

ومن ذلك ما قاله الله ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: ١٠ ـ ١٢]، وما قَصَّهُ الله سبحانه عن يونس عليه السلام: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧] فاستجاب الله دعاءه، ونجَّاه من بطن الحوت.

وقال عن أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ

(١) الأشقر، «العقيدة في الله»، ص٧٩ ـ ٩٢. ففيه تفصيل الرد على تلك الدعوى، وأبو غنيمة، «العلم يتبرأ من نظرية دارون»، د. ط.

وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص: ٤١ ـ ٤٣].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه قال: (إن أعرابيًّا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع لنا، فرفع النبي ﷺ يديه، فدعا، فثار السحاب؛ كأمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته.

وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال؛ فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ حوالينا ولا علينا**»، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت)[(١)].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى هذا اليوم لمن أتى بشرائط الإجابة، وكثيراً ما نسمع أن الناس ذهبوا للاستسقاء وقبل أن يخرجوا من المسجد إذا هم يمطرون؛ فإجابة الدعاء دليل قاطع على وحدانية الله عز وجل.

ب ـ صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام:

وهذا دليلٌ حسيٌّ واضح، فالرسل عليهم السلام هم أكمل البشر، وقد بلَّغوا عن الله رسالاته، وقد اصطفاهم الله، واختارهم من بين الخلق، وأيَّدهم بالآيات البينات، ونصرهم، وجعل الغلبة لهم، والدولة على أعدائهم.

فالإنسان إزاء الأنبياء لا يملك إلا أن يقطع بصدقهم؛ إذ إن دعوى النبوة أعظم الدعاوى، ولا يدعيها إلا أصدق الناس أو أكذبهم؛ فالأنبياء هم أصدق الناس على الإطلاق؛ فظهور المعجزات على أيديهم، وتأييد الله لهم، وخذلانه لأعدائهم، وما جبلوا عليه من كريم الخلال، وحميد الخصال، كل ذلك يدل على صدقهم، وبالتالي نعلم أنهم مبعوثون من عند الله، وأنه حق، وعبادته حق[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، أبواب الإستسقاء، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، ٢/ ٣٢، حديث رقم (١٠٣٣) ومسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة الإستسقاء، باب الدعاء في الإستسقاء، ٢/ ٦١٤، حديث رقم (٨٩٧).

(٢) آل الشيخ، كتاب «التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء المرسلين»، ط١، ص١٩٩ ـ ٢٠٢، وص١٢٥ ـ ٢٤٦.

ج ـ دلالة الأنفس:

فلقد صوَّر الله الإنسان على أحسن صورة، وخَلَقَهُ في أحسن تقويم؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، وكما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

ولو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه، وما فيها من عجائب صنع الله، ونظر ظاهره وما فيه من كمال خلقه، وأنه متميزٌ عن سائر الحيوانات، لأدرك أن وراء ذلك ربّاً خالقاً حكيماً في خلقه، ولعلم أن هذا الخالق هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه(١).

يقول الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي في تقرير هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس: ٧]: «وعلى كلٍّ فالنفس آيةٌ كبيرة من آيات الله التي يحق الإقسام بها؛ فإنها في غاية اللطف، والخفة، سريعة التنقل، والحركة، والتغير، والتأثر، والانفعالات النفسية من الهمة، والإرادة، والقصد، والحب، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثالٍ لا فائدة فيه، وتسويتُها على ما هي عليه آيةٌ من آيات الله العظيمة.

والمقصود: أن نفس الإنسان من أعظم الأدلة على وجود الله وحده، ومن ثم تفرده بالعبادة»(٢).

د ـ هداية المخلوقات:

وهذا مشهدٌ من مشاهد الحس؛ الدالة على وحدانية الله عز وجل فلقد هدى الله الحيوان: ناطقه وبهيمه، وطيره، ودوابه، وفصيحه، وأعجمه، إلى ما فيه صلاحُ معاشه وحاله.

ويدخل تحت قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٥٠]، من العجائب والغرائب ما لا يحيط به إلا الله عز وجل.

فَمَن الذي هدى الإنسان ساعة ولادته إلى التقام ثدي أمه؟ ومن الذي أودع

---

(١) البدر، «الشيخ عبد الرحمٰن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ط٤، ص٧٠ ـ ٧٢.
(٢) «الشيخ عبد الرحمٰن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ص٧٠ ـ ٧٢.

فيه معرفة عملية الرضاع؟ تلك العملية الشاقة التي تتطلب انقباضاتٍ متواليةً من عضلات الوجه، واللسان، والعنق، وحركاتٍ متواصلةً للفك الأسفل، والتنفس مع الأنف، كل ذلك يتم بهداية تامة، وبدون سبق علم أو تجربة، فمن الذي ألهمه ذلك؟ إنه: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

ثم إن هدايته بعد أن يكبر إلى السعي في مصالحه من الضرب في الأرض، والسير فيها، كل ذلك من الهداية التامة العامة للمخلوقات.

وأما هداية الطير، والوحش، والدواب فحدِّث ولا حرج، فلقد هداها الله إلى الأفعال العجيبة التي يعجز عنها الإنسان.

وقد ذكر العلامة ابن القيم في كتابه: «شفاء العليل» أموراً عجيبة من هذا القبيل.

وهذا كله من أدل الدلائل على الخالق لها سبحانه وتعالى وعلى إتقان صنعه، وعجيب تدبيره، ولطيف حكمته؛ فإن فيما أودعها من غرائب المعارف، وغوامض الحيل، وحسن التدبير، والتَّأتي لما تريده ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب من معرفته، ومعرفة حكمته، وقدرته، وما يعلم به كل عاقل أن الله لم يَخْلُقْ عبثاً، ولم يَتْرك سدًى، وأن له حكمةً باهرةً، وآيةً ظاهرة، وبرهاناً قاطعاً، يدلُّ على أنه رب كلِّ شيءٍ ومليكُه، وأنه المتفرد بكل كمالٍ دون خلقهِ، وأنه على كل شيءٍ قدير، وبكل شيءٍ عليم(١).

هـ ـ دلالة الآفاق:

فالآفاق يراها كل أحدٍ؛ العالم والجاهل، المؤمن والكافر، فلو تأمل الإنسان بعين البصيرة والتدبر والتفكر لأدرك عظمة مَنْ أنشأها، ولَدَعاه ذلك إلى عبادته وحده لا شريك له.

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي عند قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣]: «وقد فعل تعالى فإنه أرى عباده من الآيات ما

---

(١) ابن القيِّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص١٤٧ ـ ١٦٤.

به تبيَّن أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، الخاذل لمن يشاء»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع الكائنات؛ علم أنها خلقت للحق بالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين، ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر، وأنها مدبرات، مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالَم العلويَّ والسفلي كلَّهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إلٰه إلا هو ولا رب سواه».

وقال: «فهذا خبره تعالى عن أمور مُسْتَقْبَلَةٍ أنه يُري عباده من الآيات والبراهين في الآفاق وفي الأنفس ما يدلهم على أن القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به هو الحق»[(٢)].

وفي كل عصرٍ من العصور يُطلع الله عباده على أمورٍ عظيمة في هذا الكون الفسيح.

وفي العصور المتأخرة ظهر العديد من الاكتشافات والمخترعات والحقائق العلمية، ولا يزال الباحثون يكتشفون في كل يوم سرّاً من أسرار هذا الكون العظيم، مما جعلهم يقفون حائرين واجمين معترفين بالتقصير والعجز، وأن هناك عوالمَ أخرى مجهولة، وأخرى لم تُكتشف بعد.

وخلاصة القول في هذا: إن كل ما في الآفاق يدل دلالةً قاطعةً على وجود مدبر حكيم، رب عليم، مستحق للعبادة.

و ـ عبودية الكائنات:

فالله سبحانه قد خلق جميع الكائنات: إنسها، وجنها، وملائكِها، وحيوانها، وجمادها، ونباتها، وغيرها من الكائنات؛ لعبادته سبحانه وفطرها على توحيده، والاعتراف بألوهيته، والإقرار بفقرها وحاجتها وخضوعها وصمودِها له جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) البدر، «الشيخ عبد الرحمٰن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ط٤، ص٧٢ ـ ٧٣.
(٢) «الشيخ عبد الرحمٰن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة»، ط٤، ص٧٢ ـ ٧٣.

فكل هذه الكائنات تقوم بعبادة الله ﷻ ولا يُخِلُّ بذلك إلا الإنسان المعاند الزائغ عن شرع الله ﷻ المخالف لنظام هذا الكون المحكم البديع؛ الذي ما قام إلا على عبودية الله تعالى.

هذا؛ وتختلف العبوديات من مخلوقٍ إلى مخلوق.

فمن تلك العبوديات: عبودية الإنس، فهي أشرفها وأفضلها.

وأشرف ما فيها عبوديةُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لربهم، وقيامهم بالدعوة والجهاد وغير ذلك، ثم عبودية أتباعهم وأتباع أتباعهم.

ومن ذلك: عبودية الملائكة، والجن وهذا ليس بمستغرب.

وأما الغريب حقّاً فهو عبودية الجمادات والحيوانات، التي يعتقد كثير من الناس أنها لا تعقل ولا تدرك، وليس لها أيُّ عبودية لله تعالى.

إن هذا الكون الواسع بما فيه من الكائنات كلّه يخضع لخالقه وبارئه، ويؤدي عبودية له ﷻ، فلقد ثبت لهذه الكائنات في الكتاب والسُّنَّة طاعاتٌ كثيرةٌ؛ كالسجود، والتسبيح، والصلاة، والاستغفار، والإسلام، والإشفاق، وغيرها[١].

فعن سجود هذه الكائنات يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ [الحج: ١٨].

وليس بالضرورة أن يكون هذا السجود مثل سجود الآدميين من المسلمين؛ فسجود كلٍّ أحدٍ بحسبه.

وأما عن تسبيح الكائنات، فذلك كما في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]. فالكائنات كلها تسبح خالقها، تسبيحاً لا نفقهه نحن البشر، وعدم معرفتنا به ليس دليلاً على نفيه؛ فلقد خص الله بعض خلقه بالاطلاع على تسبيح بعض الكائنات، وأفهمه تسبيحها كداود عليه السلام.

وأما صلاتُها فقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ﴾ [النور: ٤١].

---

(١) التوني، «عبودية الكائنات لرب العالمين»، ط١، ص٢٣٤ ـ ٢٤٥.

فكلها يصلي، ويسبح لله، وليس بالضرورة أن نفهم ذلك.

وأما عن استغفارها: ففي حديث أبي الدرداء ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء**»(١).

وأما عن إسلامها لله تعالى فقد قال ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

إلى غير ذلك من العبوديات المتنوعة، التي لا يتسع المقام لذكرها(٢).

ومن هنا يتبين لنا أن المخلوقاتِ مفتقرةٌ إلى الله ﷻ «وأن فقرَها وحَاجَتها إليه وصفٌ ذاتيٌّ لهذه الموجودات المخلوقة، كما أن الغنى وصف ذاتي للرب الخالق»(٣).

فصمود الكائنات كلها وفقرها إلى الله يدل دلالة واضحة على وحدانيته ﷻ.

ز ـ اختلاف الطعوم والألوان والروائح في النبات:

وهذا دليلٌ حسيٌّ على وحدانية الله؛ فالماء ينزل من السماء عديم اللونِ، والطعمِ، والرائحةِ، ينزل على الأرض الجرداء، ثم يَخْرُج بإذن الله من جَرَّاء ذلك نباتاتٌ مختلفة في اللون، والطعم، والرائحة، فبعضها حلو، وبعضها حامض، وبعضها مُزٌّ، وبعضها أخضرُ، وبعضها أصفرُ، وبعضها أسود.

بل إن النوع الواحد من بعض الثمار متنوع تنوعاً عجيباً؛ ومن ذلك على سبيل المثال (العنب) فمنه جنات معروشات وغير معروشات، ومنه الحلو، ومنه الحامض، ومنه الحامض الحلو، ومنه الأخضر، ومنه الأحمر، ومنه الأسود، ومنه الطويل، ومنه المدور إلى غير ذلك.

وقل مثل ذلك في النخل؛ فمنها ما يكون حلاوته بسراً أكثرَ من حلاوته

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ١/٨١، حديث رقم (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢/١٠٧٩، رقم (٦٢٩٧).

(٢) ابن تيمية، «جامع الرسائل»، ط١، ١/١ ـ ٤٥.

(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ٢/٩.

رطباً والعكس، ومنه الأسود، ومنه الأصفر، ومنه الطويل، ومنه المدور، كل ذلك وهو يسقى بماءٍ واحد.

فمن الذي فضَّل بعضها على بعض في الأكل؟ ومن الذي أودعها هذه المزايا من الألوان والأطعمة؟

إنه الله الذي ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلى: ٣ ـ ٥].

ح ـ اختلاف الألسن:

فنحن نرى اختلاف الألسن، واللغات، من شعبٍ إلى شعب، ومن إنسانٍ إلى إنسان، فمن الذي علَّم الإنسان البيان؟ ومن الذي يعلِّم تلك اللغات جميعاً، ويحصي ما يقولون فلا تختلط عليه؟ إنه الله الواحد الأحد؛ فاختلاف الألسن آية عظيمة تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى[(١)].

٢ ـ القرآن:

أولاً: أ ـ تعريف القرآن لغةً:

يرى بعض علماء اللغة أن لفظ (القرآن) مصدر على وزن فُعْلان؛ كالغفران، والشكران، والرجحان، مأخوذ من قرأ، قراءة، وقرآناً.

ويرى بعضهم أن القرآن اسمُ عَلَمٍ غير مشتق، ولم يؤخذ مِنْ: قَرأ، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل سائر الكتب السماوية كالتوراة، والإنجيل.

وقال بعضهم: معنى القرآن: الجمع؛ وسمي قرآناً؛ لأنه يجمع السور، فيضمها[(٢)].

ب ـ تعريف القرآن شرعاً:

عرَّف العلماء القرآن بتعريفاتٍ كثيرة، ومن أجمع تلك التعريفات وأحسنها

---

(١) تفاصيل ذلك في الجزء الأول من: ابن القيِّم، «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة».

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١/١٢٨ ـ ١٢٩، والحسن والقرعاوي، «البيان في علوم القرآن»، ط١، ص٣.

قولهم: «القرآن كلام الله المعجز، المنزل على النبي محمد ﷺ المنقول تواتراً المتعبد به تلاوة»(١).

وللقرآن أسماء كثيرة تزيد على خمسين اسماً، ومن أشهرها ما يلي:

الكتاب: لأنه يجمع أنواعاً من القصص، والآيات، والأحكام، والأخبار على أوجهٍ مخصوصة.

والذِّكْر: وذلك لما فيه من المواعظ، والتحذير، وأخبار الأمم الماضية، ولما فيه من الشرف، والعز لمن آمن به، وصدَّق بآياته؛ وذلك لأن القرآن يفرق بين الحق والباطل(٢).

ثانياً: مصداقية القرآن ومنزلته وسلامته من التحريف:

القرآن آخر الكتب السماوية وهو خاتمها، وهو أطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

قال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصدقاً لها؛ يعني: يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣].

---

(١) الحسن والقرعاوي، «البيان في علوم القرآن»، ص٣.

(٢) «البيان في علوم القرآن»، ص٥ ـ ٦.

ولا يقبل الله من أحد ديناً إلا ما جاء في هذا القرآن العظيم[١].

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي في قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلٰهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين، واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم، والحكمة، والأحكام، الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه»[٢].

والقرآن الكريم رسالة الله الأخيرة للبشرية، بل هو عامٌّ للجن والإنس؛ بخلاف الكتب السماوية الأخرى، التي كانت خاصة بأقوام معينين، وفترات معينة.

ثم إن القرآن محفوظ من الزيادة، والنقص، والتحريف؛ فلقد تكفَّل الله سبحانه بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، والذكر هو القرآن.

قال المفسرون في تفسير هذه الآية: أي: نحن نزلنا هذا القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾: أي: عن كل ما لا يليق به من تصحيف، وتحريف، وزيادة، ونقص، ونحو ذلك؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقّاً[٣].

والقرآن له أثر عظيم في القلوب؛ فما يسمعه أحد وهو مُلْقٍ سَمْعَهُ إلا يجد أن له تأثيراً عظيماً في نفسه، ولو لم يفهم معانيه أو دلالاته، حتى ولو لم يكن يعرف اللغة العربية.

---

(١) الحكمي، «أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة»، ط٢، ص٨١ ـ ٨٢، السؤال رقم: ٨٠.

(٢) السعدي، «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»، ط١، ١/ ٤٩٠.

(٣) ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، ط١، ٤/ ٣٨٤، والشوكاني، «فتح القدير»، ط١، ٣/ ١٣٩.

وهذا سرٌّ من أسرار القرآن التي تبيِّن عظمته.

ثم إن القرآن له أبلغ الأثر في رُقي الأمم وفلاحها؛ فهو الذي أخرج الله به من أمة العرب أعلام الحكمة والهدى، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس، بعد أن كانوا يتخبطون في دياجير الجهالة.

ومن خصائص القرآن: أن عجائبه لا تنقضي، وأنه لا يَخْلَق من كثرة الرد؛ فكلَّما أكثر الإنسان من قراءته زادت حلاوته مرةً بعد مرة.

ومن خصائصه: أن الله يسَّر تعلمه وحفظه؛ ولهذا فإن كثيراً من أطفال المسلمين يحفظونه كاملاً عن ظهر قلب.

ومن خصائصه: أنه مشتملٌ على أعدل الأحكام، وأعظمها، وأشرفها، وأشملها، فلم يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا وأحاط بها إجمالاً وتفصيلاً، ويشهد بذلك كل منصف عاقل، حتى ولو لم يكن مسلماً(١).

هذا وسيأتي مزيد بيان لمنزلة القرآن، وعظمته في المبحث التالي، وعند الحديث عن إعجاز القرآن الكريم.

ثالثاً: في كون القرآن معجزاً:

كل رسول له معجزة تكون دليلاً من أدلة نبوته ورسالته، وأنه مرسلٌ من قِبَلِ ربه؛ إذ بدون ذلك لا تقع حجة الله على الخلق بالإيمان برسله؛ فمهما سمت أخلاق الرسول، وعلت همته، وجادت قريحته، وتوقَّد ذهنه، وتبوأ المكانة العليا في قومه فإن كل هذا لا يكفي دليلاً على أنه مرسلٌ من قبل الله؛ فلا يمكن للعقل أن يصدق ويذعن ويعترف بأن هذا رسول إلا بما يظهره الله على يديه من معجزات، فيخرق له السنن الكونية: أسبابها ومسبباتها؛ إذ المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، وهي خارجة عن الأسباب المعروفة، هادمة للنتائج المبنية على المقدمات؛ فالنار مثلاً محرقة عادة، ولكنها أصبحت برداً وسلاماً على سيدنا إبراهيم ﷺ؛ فالذي جعلها محرقة على وَفْق السنن والقوانين التي نعرفها هو

(١) الحسن والقرعاوي، «البيان في علوم القرآن»، ط١، ص٩ ـ ٢٦.

الذي جعلها برداً وسلاماً؛ فكانت بذلك معجزة لإبراهيم عليه السلام ودليلاً على نبوته[(١)].

والمقصود من المعجزة ليس هو إعجازَ الناس لذات الإعجاز؛ أي: لمجرد إيقاعهم في العجز عن الإتيان بمثل المعجزة؛ بل المقصود هو الإذعان والإيمان بصاحبها أنه رسول من قبل خالق هذه السنن وهو الله تعالى.

لذا؛ فإن الله تعالى قد بعث كل رسول إلى قومه، وأظهر على يديه المعجزات التي من شأنها أن تجعل قومه يدركون إدراكاً يرفع عنهم كل لبس وغموض أن هذا رسول من عند الله، وليس بِمُدَّعٍ عليه؛ لذا كانت معجزات كل نبي ورسول نابعة من بيئته، وملائمة لقومه؛ فتأتيهم على وَفْق ما برعوا فيه حتى يكون ذلك أدعى لإيمانهم، ولإقامة الحجة على صدق رسولهم، وإلا وصفت بأنها سحر وخيال وضرب من المحال؛ لأن المعجزة لا تُحَقِّق الغايةَ منها إلا إذا حصل التحدي بها، ولا يتحقق التحدي لأمة من الأمم لا تعرف شيئاً عن المُتَحَدَّى به.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم والمتدبر لآياته التي تتحدث عن المعجزات بصورةٍ عامّةٍ لتتبين له كل هذه المعاني التي مَرَّ ذِكْرُها[(٢)].

فهناك معجزة موسى عليه السلام التي كانت في عصاه، وهي تتلاءم مع قوم احترفوا السحر، وفاقوا غيرهم فيه.

ويدلنا على معرفة قومه بالسحر؛ تلك الآيات القرآنية التي تحدثت عن فرعون، ودعوته للسحرة في زمنه، كما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩].

وقوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝١١٢﴾ [الأعراف: ١١١، ١١٢].

---

(١) الباقلاني، «إعجاز القرآن»، ط٥، ص٣٢١ ـ ٣٢٣، والحسن والقرعاوي «البيان في علوم القرآن»، ص٩.

(٢) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ١/٩٣ ـ ٩٧.

وقوله: ﷻ: ﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾ [الشعراء: ٣٦، ٣٧].

وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٣﴾ [الأعراف: ١١٣].

وقل مثل ذلك في معجزة عيسى عليه السلام حين برع قومه بالطب، فجعل الله معجزة عيسى من جنس ما عرف قومه، وبرعوا به؛ فجعل الله على يد عيسى إحياء الموتى قبل دفنهم أو بعده، وجعل مَسْحةً من يديه ترد الأعمى بصيراً، وتبرئ الأبرص فيعود سليماً.

وأَعْلَمُ الناس إدراكاً لهذه المعجزة هم أولئك الذين يعرفون الطب وعلومه، فهم أقدر الناس على التمييز بين إحياء حقيقي أو إحياء مزعوم، وعلى معرفة الفارق بين حياة حقيقية بعد موت محقق، أو إغفاءة نتيجة سكرات المرض، ثم صحوة منه.

وقل مثل ذلك في معجزة النبي ﷺ، فلقد بعث الله تعالى محمداً في قوم كان الكلام بضاعتهم، فكانوا فرسان البلاغة والفصاحة والبيان؛ فالشعر الجزل، والخطب البليغة، والحكمة السائرة تبلغ من نفوسهم ما لا يبلغه السحر.

والقصيدة الشاردة تَعْلَقُها نفوسهم، ويضعونها في أعز مكان، وتكون من المعلقات.

وكانت أسواقهم تبادلاً وتداولاً، يتبادلون فيها بضائعهم، ويتداولون أشعارهم.

فجاءتهم معجزة النبي محمد ﷺ من جنس ما عرفوا وأَلِفوا، فجاء التحدي لهم بالمعروف عندهم، والمألوف لديهم؛ فكان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي تحدى الله بها الناس قاطبة؛ فكان حجة الله البالغة التي لا يحيد عنها إلا مكابر معاند[1].

---

(١) الحسن والقرعاوي، «البيان في علوم القرآن»، ط١، ص٩ ـ ١١، والباقلاني، «إعجاز القرآن»، ط٥، ص٢٨ ـ ٣٦.

قال الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن): «الفصل الأول: في أن نبوة النبي معجزتها القرآن».

ومما قال تحت هذا الباب: «الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا محمد ﷺ بنيت على هذه المعجزة، وإن كان قد أُيِّد بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة، وأحوال خاصة، وعلى أشخاص خاصة».

إلى أن قال: «فأما دلالة القرآن فهي معجزة عامة عَمَّت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد»(١).

رابعاً: في وجه الإعجاز القرآني:

يرى بعض الباحثين أن إعجاز القرآن عام، فمن وجوه الإعجاز: الإعجازُ البياني، والإعجاز العلمي التجريبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي؛ فهذه هي أشهر وجوه الإعجاز التي يذكرها الباحثون في شأن الإعجاز القرآني.

ويذهب أولئك للتدليل على رأيهم بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ولا ينكر أن القرآن يتسع للكثير مما هدى الله إليه البشر في بعض المجالات؛ فلقد اتسعت مدارك علماء التفسير، فأبرزوا لنا هذه المعاني، وبيَّنوا مدى مطابقتها للواقع، ومدى اجتماع الآيات القرآنية لمعانيها العلمية.

غير أن أعظمَ وجوه الإعجاز القرآني وأجلَّها هو الوجه الذي تحدى به القرآن سائر العرب، ألا وهو بلاغة القرآن، وحسن بيانه؛ فالتحدي الأكبر إنما هو بلفظ القرآن، ونظمه(٢).

---

(١) الباقلاني، «إعجاز القرآن»، ص٢٧ ـ ٢٨؛ وابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ١/ ١١١ ـ ١١٢، و١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) «إعجاز القرآن»، ط٥، ص٤٣، والحسن والقرعاوي، «البيان في علوم القرآن»، ط١، ص١٣ ـ ١٤، مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص٩٢.

قال الله ﷻ في شأن القرآن الكريم وإعجازه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال الشيخ محمد رشيد رضا في شأن إعجاز القرآن الكريم: «القرآن كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحُكْمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة، وفي كل بابٍ من هذه الأبواب للإعجاز فصول، وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول.

وقد تحدى محمدٌ رسولُ اللهِ النبيُّ العربيُّ الأميُّ العربَ بإعجازه، وحكى لهم عن ربه القطع بعجزهم عن الإتيان بسورةٍ من مثله؛ فظهر عجزهم على شدة حرص بلغائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته.

ونقل جميعُ المسلمين هذا التحدي إلى جميع الأمم، فظهر عجزهم أيضاً».

إلى أن قال، مبيِّناً عظمة القرآن، وشيئاً من سِرِّ إعجازه: «فالقرآن في البيان والهداية؛ كالروح في الجسد، والأثير في المادة، والكهرباء في الكون تُعْرَفُ هذه الأشياء بمظاهرها وآثارها، ويعجز العارفون عن بيان كُنهها وحقيقتها، وفي وَصْف ما عُرِف منها، أو عنها لذة عقلية لا يستغنى عنها.

كذلك ما عرف من أسباب عجز العلماء والبلغاء على الإتيان بسورة مثل سور القرآن في الهداية، وحسن البيان.

فيه لذَّات عقلية وروحية، وطمأنينة ذوقية وجدانية تتضاءل دونها شبهات الملحدين، وتنهزم من طريقها تشكيكات الزنادقة والمرتابين»[(١)].

ومن هنا يتبين أن الآياتِ القرآنية التي جاءت متحدية للإنس والجن إنما تحدتهم وما زالت أن يأتوا بمثل هذا القرآن نظماً وبياناً.

وهذا هو الوجه الذي أعجز سائر الناس سابقاً ولاحقاً.

وهم إذ عجزوا عن الإتيان بمثله فقد انتفى أن يكون القرآن كلامهم، أو من

(١) من مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا لكتاب: الرافعي، «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، ط٨، ص١٧ ـ ٢٠.

كلام محمد ﷺ؛ لأنه واحد منهم؛ فتعيَّن أن يكون كلام رب البشر ﷻ.

قال الباقلاني متحدثاً عن عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن: «والذي يدلُّ على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنه تحداهم إليه حتى طال التحدي، وجعله دلالة على صدقه ونبوته».

إلى أن قال: «فلو كانوا يقدرون على تكذيبه لفعلوا، وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم، وأهليهم، وأموالهم من حكمه بأمرٍ قريبٍ هو عادتهم في لسانهم، ومألوف في خطابهم.

وكان ذلك يغنيهم عن تكلف القتال، وإكثار المراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسَّبي؛ فلما لم يحصل هناك معارضة منهم عُلِمَ أنهم عاجزون عنها»(١).

ثم إن أحاديث النبي ﷺ قد بلغت أمداً قصيّاً في البلاغة، ولا يجاريها قول بشر، غير أن تلك الأحاديث لا تقارن بآيات الكتاب العزيز من ناحية البلاغة(٢).

فإعجاز القرآن الأعظم هو بلفظ القرآن، وبلاغة نظمه(٣).

إذ من مميزات بلاغة القرآن، وحسن بيانه المعجز:

١ ـ فصاحة مفردات القرآن: فلا تكاد تمر بك كلمة إلا وجدتَها محكمة الوضع، خفيفة الوقع على السمع.

٢ ـ متانة نظمه: التي بلغت الغاية التي ليس وراءها مطلع، فلا يمكن العارف بقوانين البيان، الناظر في منشآت البلغاء بإمعانٍ أن يشير إلى جملةٍ من جمل القرآن فيقول: ليتها جاءت على غير هذا الوضع، أو يشير إلى كلمة من كلمه فيقول: لو استبدل بها كلمة أخرى لكانت الجملة أشد انسجاماً، وأصفى ديباجة(٤).

٣ ـ انتظام دلالته على ما يقصد إفادته وإحضاره في الأذهان: فإنك ترى فيه

---

(١) الباقلاني، «إعجاز القرآن»، ط٥، ص٤٣.
(٢) الحسن والقرعاوي، «البيان في علوم القرآن»، ط١، ص١٤.
(٣) «إعجاز القرآن»، ص٥٨، ٥٩.
(٤) «إعجاز القرآن»، ٢٦٠ ـ ٢٦٥، والبدوي، «من بلاغة القرآن»، د. ط، ص٩٨.

التشابيه الرائعة، والأمثال البارعة، والاستعارات الطريفة، والمجازات اللطيفة، والكنايات المنقطعة النظير، والتعريض الذي يقتضيه المقام، فيكون أقرب إلى حسن البيان من القول الصريح.

٤ ـ استيفاؤه للمعاني: التي يستدعي الحالُ الإفصاحَ عنها أو الإيماء إليها؛ فإنك تنظر في الآية، وتتدبر المعنى الذي سيقت من أجله، فتعود منها ويدك مملوءة من الفوائد التي تقع إليها؛ من حيث تُقَرِّر شريعة، أو تُقيم حجة، أو تلقي موعظة، أو تُرسل حكمة، إلى نحو هذا مما تستبين به سبيلُ الرشد، وتنظم به شؤون الحياة، وترتفع به النفوس إلى أعلى درجات الفلاح في دنياها، وآخرتها.

٥ ـ تناسبه في حسن بيانه دون تفاوت أو تباين: فأنت ترى البليغ من البشر يحسن البيان، ويأخذ لبَّكَ بالمنشآت الرائقة، حتى إذا طال به مجال القول، وقطع فيه أشواطاً واسعة رأيت في جُمَله أو أبياته تفاوتاً في البراعة، وأمكنك أن تبصر فيها ضعفاً، وتستخرج بنقدك الصحيح من أواخر كلامه مآخذ أكثر مما تستخرج من أوائلها.

والقرآن الكريم على طول أمده، وكثرة سوره نزل متناسباً في حسن بيانه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

ثم قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وترى البليغ من البشر يخوض في فنونٍ من الكلام متعددة، فإذا هو يرتفع في فَنٍّ، وينحط في آخر.

والقرآن الكريم يتصرف في فنون كثيرة، مثل: الوعظ، وإقامة الحجج، وشرع الأحكام، والوصف، والوعد، والوعيد، والقصص، والإنذار، وغير ذلك من الوجوه التي تتصل بالهداية العامة؛ فلا تتفاوت فيها ألفاظه الرشيقة، وأساليبه البديعة[١].

٦ ـ صوغ الأقوال على قدر الحقائق: فمن المعروف أن القرآن أتى بحقائق أَسَّسَ بها شريعة واسعة النطاق، وليس من شأن هذه المعاني أن تظهر فيها براعة

(١) الباقلاني، «إعجاز القرآن»، ط٥، ص٦٦ ـ ٧٠، وص٢٦٥، والبدوي، «من بلاغة القرآن»، د. ط، ص٩ ـ ١٠.

البلغاء كما تظهر فيما أَلَّفوه من نحو: المديح، والرثاء، والتهنئة، والغزل، وَوَصْفِ المشاهد، إلى غير ذلك مما يطلقون لأفكارهم فيه العنان، فتذهب مع الخيال كل مذهب، وترتكب من المبالغات ما استطاعت أن ترتكب.

والقرآن الكريم يعبِّر عن تلك المعاني التي تستدعي صدقَ اللهجة، وصوغَ الأقوال على أقدار تلك الحقائق، فترى الفصاحة ضاربة أطنابها، والبلاغة مرسلةً أَشِعَّتها[١].

٧ ـ خلوّه من التصنع: ففي بلغاء البشر من تحس من شعره، أو خطبته، أو رسالته، أنه لم يكن يتصنع فيما يقوله؛ ذلك أنك تجد في كلامه الجيدَ، والوسط، والرديء، وفيهم من تحس فيما يقوله التصنع.

وهذا هو الذي يغلب على كلامه المنظوم، أو المنثور، الجودة في تصوير المعنى، والتعبير عنه بكلام موزون، أو غير موزون.

والقرآن الكريم بالغ الغاية من حسن البيان، فلا يجد فيه الراسخ في نقد المنشآت البليغة ما ينزل عن الدرجة العليا، بل يحس روح البلاغة التي لا يحوم عليها شيء من التصنع سارية في آياته وسوره، سواء في ذلك تصويره للمعاني، أو نظم الألفاظ الناطقة بها[٢].

٨ ـ تكرار القصص في أكمل ما يكون من حسن البيان: فمن أعظم مظاهر بلاغة القرآن، أنه يورد القصة في أوفى درجة من حسن البيان، ثم يعيدها في سورة أخرى على حسب ما يقتضيه مقام الوعظ، حتى إذا عقدت موازنة بين حكايتها هنا وحكايتها هناك، وجدتهما في مرتبة واحدة من البلاغة لا تنزل إحداهما عن الأخرى بحال.

وأما البليغ من البشر، فقد يسوق إليك القصة في عبارات أنيقة، ثم يريد أن يعيدها مرة أخرى، فإذا هي في درجة من البراعة منحطة عن درجتها الأولى[٣].

---

(١) الباقلاني، «إعجاز القرآن»، ط٥، ص٧٦، والبدوي، «من بلاغة القرآن»، د. ط، ص١٠.

(٢) «من بلاغة القرآن»، ص١١، وابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ١/ ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) «إعجاز القرآن»، ص٨٢ ـ ٨٣، «من بلاغة القرآن»، ص١٠ ـ ١١.

٩ ـ أنه جاء على أسلوب التقسيم والتسوير: وهي سُنَّة جديدة في الكلام العربي؛ حيث أدخل بها عليه طريقة التبويب، والتصنيف[(١)].

خامساً: الإعجاز العلمي التجريبي:

ويقصد بهذا النوع من الإعجاز القرآني؛ ما جاء في القرآن الكريم من الآيات التي تحدثت عن سنن الله في الكون ونظامه، وألوان العناية الربانية بالمخلوقات.

فهذا النوع من الإعجاز ميدان فسيح للنظر والتفكيرِ، والقرآنُ الكريم حافل به، مليء بذكر تفاصيله، والإرشاد إليه.

ويقدر بعض الباحثين في هذا النوع أن عدد الآيات التي تحدثت عن الكون، والآفاق، والأنفس، بما يزيد على تسعمائة آية مبثوثة في غضون آيات القرآن الكريم[(٢)].

وهذا النوع من الإعجاز يحتاج إلى ضبطٍ، وتَقَيُّدٍ بالمنهج القرآني، وبُعْدٍ عن تحميل النصوص ما لا تحتمل.

فإذا كان كذلك كان من أمضى الأسلحة لإقامة الحجة، وإثبات صحة الرسالة، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام، قال الله ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

ولا ريب أن الغاية العظمى للقرآن الكريم هو تبصير الناس بطريق الهداية، ودعوتهم لسلوكها: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

وجاءت هذه الهدايات والدعوة إليها بأساليب متنوعة، فمن مخاطبةٍ للفطرة الإنسانية، ومن استدلالٍ بواقع الأشياء المحسوسة، إلى مجادلة عقليةٍ، إلى تذكيرٍ بعاقبة الأمم السابقة، إلى لفت نظرٍ إلى واقع القصور البشري.

---

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ١/ ١٢٠.
(٢) «التحرير والتنوير»، د. ط، ٣/ ١٥٩، ومسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص١٣١ ـ ٢٠٣.

ولما كان المخاطبون هم جملة الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية، والثقافية؛ جاء في القرآن الكريم من البراهين، والأدلة، والأمثال، ما يعم الشرائح الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات؛ لأن المنطلقات الإنسانية محكومة بالفطرة، والعقل، والتجارب، وكل ذلك في دائرة المحدود الممكن؛ لذا كانت قواعد المخاطبات وأسسها العامة تعم كل من كان في عصر نزول الوحي ومن يأتي بعدهم، إلى يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ [الكهف: ٥٤].

وإذا أدركنا هدف القرآن ومنهجه في الخطاب أدركنا أن ورود الآيات الكونية سواء ما يتعلق منها بالآفاق وما يتعلق منها بالأنفس البشرية شيء بدهي أيضاً؛ لأن من فئات الناس المكلفين المخاطبين بالقرآن الكريم مَنْ يَنْصَبّ جلَّ اهتمامه على هذا الجانب من مخلوقات الله.

ولا بدَّ من إقامة الحجة على هؤلاء، وإظهار أن القرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ ليبشِّر به المؤمنين، وينذر به قوماً لُدّاً[(١)].

ومن العسير أن تتذوق هذه الطوائفُ الجمالَ البياني، وتدرك فصاحته وبلاغته؛ لتعترف أنه كلام الله المعجز.

ولكن أولئك يدركون أن هذه المعارف الإنسانية، وهذه الحقائق الكونية لا يُتصور أن يدركها بشرٌ من ذاته؛ لأن كثيراً منها لم تكتشف إلا في عصورٍ متأخرة جدّاً بعد التقدم العلمي في العلوم الكونية، وبعد اختراع آلات دقيقة لم يكن للسابقين عهد بها.

ولا ريب أن ورود هذه الحقائق الضخمة والدقيقة على لسان رجلٍ لم يكن له إلمامٌ بمثل هذه العلوم لدليل على أنه تلقَّاها ممن يعلم السر في السماوات والأرض ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٦][(٢)].

---

(١) مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص١٣١، وابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ١/٩٣ ـ ٩٤، و١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) «التحرير والتنوير»، ١/١٢٦ ـ ١٢٧، «مباحث في إعجاز القرآن»، ص١٣١ ـ ١٣٢.

ولعل من أَجَلِّ ما في القرآن من الآيات التي تدور حول هذا المعنى تلك الآيات التي تتحدث عن النفس البشرية، وعن خلقها، وطبيعتها، وما يعتريها.

وكذلك الآيات التي تتحدث عن السماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والجبل والبحر، والظواهر الجوية؛ كالرياح، والسحب، والمطر، والبرق، والرعد.

وكذلك الآيات التي تتحدث عن الإنسان الذي حظي بالجانب الأكبر من ذلك.

وكذلك الحديث عن الرحم، والنشأة الجنينية إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لِذِكْرِه[١].

ووجه دلالة الإعجاز العلمي التجريبي على مصدرية القرآن الكريم؛ أن تلك الإشارات الكثيرة التي وردت في هذا الشأن قد بلغت مبلغاً لا تستطيع أجيال من العلماء الإحاطة بها مهما أُوتوا من وسائل وإمكانات وجهود وطاقات؛ فهي من الشمول بحيث تمتد في البعد الزمني إلى أصل الكون بمجراته وأفلاكه ونجومه وكواكبه.

ومن الإحاطة بحيث تتعرض للأنظمة المرئية وغير المرئية التي تسير عليها الكائنات الحية والجمادات من رياحٍ، وسحبٍ، وبحارٍ، ونباتٍ، وحيوانٍ، وإنسان.

وبلغت هذه الإشارات والتلميحات مبلغاً من الدقة بحيث تعجز أحدث الوسائل والمختبرات العلمية عن متابعة هذه الحقائق التي يقف العلم التجريبي الحديث إزاءها مبهوتاً.

إن سَوْقَ القرآنِ الكريمِ هذه الحقائقَ بهذه السعة والشمول، وبهذه الدقة المتناهية يحمل كلَّ صاحبِ عقل منصف إلى القول بأن هذا تنزيل العزيز الحكيم الذي أحاط بكل شيء علماً.

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٣/٣٤٨، ٣/٤٣٨، ومسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص١٣٩ ـ ٢٠٣.

إن البشرية كلها عاجزة عن الإحاطة بهذه الحقائق والوصول إلى ماهيتها وأسرارها، فهل يعقل أن هذا القرآن من عند رجل أميّ عاش في بيئةٍ أميةٍ لم يذكر التاريخ عن أسلافها تقدماً في فنون علوم الكون أو النفس البشرية؟

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ [الفرقان: ٤ ـ ٦].

فهذا شيء مما يوحي به الإعجاز التجريبي في القرآن الكريم.

سادساً: الإعجاز التشريعي:

الحديث عن الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم حديث عن النظام الخالد للكون وما فيه، فالذي أبدع الكون من العدم وأوجد فيه من المخلوقات ما لا يُحصى، وجعل أشرف هذه المخلوقات وأكرمها بني آدم اختار لهذا المخلوق المعزز دستوراً في الحياة يُنَظِّم سلوكه في الدنيا وعلاقته بنفسه وبخالقه سبحانه وتعالى ورتَّب نتائج دنيوية، وأخروية، على نتيجة سيره وَفْق هذا الدستور الإلٰهي الكريم؛ حيث يحصل الإنسان على الطمأنينة والعزة في الدنيا، فيشعر بإنسانيته الحقة، ويدرك الحكمة الإلٰهية من خلقه وإيجاده وتفضيله على سائر المخلوقات.

كما ضَمِن الله له السعادة في الآخرة استمراراً لسعادته الدنيوية: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف: ٣٢]، واشتمل القرآن الكريم على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعيشية، ولم يدع جانباً من جوانب الحياة إلا كانت له نظرته الخاصة، وتشريعه المستقل بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها.

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣][1].

---

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ١/١٢٦، ومسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص٢٠٥.

وينتج من تطبيقه على الناس أمة متكاملة الشخصية متميزة الملامح والسلوك عن سائر الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إن الجانب التشريعي والخُلُقي في القرآن الكريم لآية على كون القرآن من عند الله، وليس من عند البشر.

فالأسس الأخلاقية والقواعد التشريعية السامية التي تضمَّنها القرآن الكريم تخرج عن طوق البشر إحاطةً ودقةً وشمولاً.

إن تاريخ الإنسانية يدُلُّ على أنها لم تنجب مفكراً أو فيلسوفاً أو مصلحاً اجتماعيّاً استطاع أن يضع نظاماً كاملاً للعلاقات الداخلية، والخارجية، لدولة ما.

وكم من حكيم حاول ذلك، ولكن نظرياته يعتريها النقص أحياناً، والتناقض طوراً، ومجانبة الصواب كثيراً، فثار على بعضها أتباعه في حياته أو بعد مماته.

ولا تزال هذه الظاهرة تتكرر إلى يومنا هذا في الأمم والشعوب التي لا تدين دين الحق، علماً أن هذه النظريات لا تتناول إلا جانباً واحداً، بل جانباً ضيقاً من جوانب الحياة الاجتماعية.

أما أن توضع نظرية متكاملة الجوانب للكون والمخلوقات والأفراد والجماعات في شتى صورها وحالاتها فهذا مما يخرج من طاقة البشر مهما أوتوا من علمٍ وحكمة؛ فما بالك إذا ورد مثل هذا النظام الكامل على لسان رجل أمي لم يشتهر في حياته بالاطلاع على كتب وفلسفات الأقدمين، ولم يعرف بالأسفار العلمية والتجوال في الآفاق بحثاً وراء الأنظمة والتشريعات(١).

ولقد بقيت تلك العلوم والمبادئ قروناً وأجيالاً كلما مرَّ عليها دول وأزمان وتناولتها الأيدي والأفكار بالبحث والدراسة ظهر بريقها، وأدرك المنصفون من أهل كل عصر ربانية مصدرها، وجدارة تطبيقها وصلاحها دون غيرها لكل زمانٍ ومكان.

إن المبادئ السامية التي وردت في الشريعة الإسلامية وتضمنها القرآن

(١) مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

الكريم لبرهان ساطع على مصدر القرآن الكريم، ودليل صدق على نبوة محمد ﷺ وأنه تلقَّاها من لدن الحكيم الخبير؛ ليكون رحمة للعالمين[(١)].

ومما يؤكد وجه دلالة الإعجاز التشريعي في القرآن أن المتعمق في دراسة التشريعات الإسلامية في مختلف مناحي الحياة يدرك إدراكاً واضحاً أن هذه التشريعات تهدف إلى هداية الإنسان في حياته الدنيا إلى أقوم السبل التي تحفظ للإنسان إنسانيته، وتطلق طاقاته نحو الكمالات البشرية، وتحفظ له نظرته المستقيمة، وتوفر له التوازن الدقيق في متطلباته الجسدية، والروحية، والعقلية مما يثمر له الطمأنينة النفسية والسعادة في حياته الدنيا التي هي السبيل إلى الحياة الباقية في الدار الآخرة.

إن تاريخ البشرية لم يحدثنا عن مُصلح اجتماعي أو فيلسوف عبقري أنه وضع نظام حياة لشعبٍ من الشعوب بمختلف فئاته، وتنوع مجالاتها.

بل حاول كثير من المصلحين أن يضعوا قوانينَ تنظيميةً لدولة من الدول، ولكن محاولاتهم كما مرَّ لم تسلم من كثرة الانتقاد عليها في حياتهم وبعد مماتهم؛ لأنها كانت متأثرةً بِبيئةِ واضعِها قاصرةً عن استيعاب المشكلات من جميع أطرافها.

وما قانون حمورابي، وصولون، وغيرهم، وما أُخذ عليها وما نتج من تطبيقاتها قديماً إلا مظهر من المظاهر التي ابتلي بها الإنسان في مراحل شفائه، ولا زالت هذه الظواهر تتكرر في المجتمعات التي لا تدين دين الحق، فالمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والوثنية تكتوي بمثل هذه التجارب المريرة إلى يومنا هذا.

إن التشريعات الإسلامية التي جمعت بين مطالب الروح والمادة فأشبعت كلّاً منهما في الإنسان بما يناسبها، ووفرت السعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل مع مراعاة الفطرة وتلاؤمها معها لدليل على أن أحداً من البشر لا يستطيع أن يدرك هذه المجالات أو يحيط بها، وهي

(١) مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ص٢٠٦.

برهانٌ ساطعٌ على أنها مُنَزَّلَة من خالق الإنسان الذي أودع فيه هذه الطاقات والقدرات والاستعدادات فأنزل ما ينظمها جميعاً ويوجهها لعبادة الخالق.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين آحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية.

وإذا وازنَّا ما جاء في القرآن بما جاءت به قوانين اليونان والرومان، وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم بما جاء في القرآن، وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور، مع أن قانون الرومان أنشأته الدولة الرومانية في تجارب ثلاثمائة سنة وألف، من وقت إنشاء مدينة روما، إلى ما بعد خمسمائة من الميلاد، ومع أنه قانون تعهده علماء قيل: إنهم ممتازون، منهم: سولون الذي وضع قانون أثينا، ومنهم: ليكورغ الذي وضع نظام أسبرطة.

فجاء محمد ﷺ ومعه القرآن الذي ينطق بالحق عن الله سبحانه وتعالى من غير درس درسه، وكان في بلدٍ أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس، وأتى بنظام للعلاقات الاجتماعية والتنظيم الإنساني، لم يسبقه سابق، ولم يلحق به لاحق»[(١)].

إن الإعجاز التشريعي لآية بيِّنة على أن القرآن الذي اشتمل عليه هو كلام الله أنزله على قلب عبده ورسوله محمد ليخرج الناس من ظلمات الانحراف والضلال والشقاء إلى نور الإيمان والهداية والتمسك **بحبل الله المتين**: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

سابعاً: الإعجاز الغيبي:

من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم التي ذكرها العلماء: الإعجاز بما فيه من أنباء الغيب، ويقصدون بذلك كل ما كان غائباً عن محمد ﷺ ولم يشهد حوادث الواقعة، ولم يحضر وقتها، فيدخل في الغيب بهذا المفهوم كلُّ ما ورد في القرآن

(١) أبو زهرة، «المعجزة الكبرى القرآن»، د. ط، ص٤٥٥.

الكريم عن بداية نشأة الكون، وما وقع منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مبعث رسول الله ﷺ من عظيمات الأمور ومهمات السير.

وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تَحْدُث ويُخْبر بها بطريق الوحي؛ كإخبار الله عَزَّوَجَلَّ له بما يكيده اليهود والمنافقون.

ويشمل أيضاً ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان(١).

فالإعجاز الغيبي إذاً يشمل غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل.

ووجه دلالة الغيب على صدق القرآن؛ أن حالة النبي ﷺ عند إطلاق هذه الأنباء الموغلة في القدم، أو الحاضرة الخفية في صدور أهلها، أو الوعود المستقبلة التي كانت في مجاهل الغيب هي حال الواثق المتيقن من الأمر، وهو بشر لم يطلع على كتب السابقين ولا يملك من تصرف أمور المستقبل شيئاً وكان بذاته ينفي عن نفسه علم الغيب، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فلو لم يكن مستنداً إلى ركنٍ قويٍّ ما أطلق مثل هذا، ولما جازف بدعوته وهو الذي عرف عنه التعقل والحكمة، ولم يعهد منه تسرعٌ في أمر، أو قولٌ بلا رَويَّة، حتى قبل أن يكرمه الله بالرسالة.

فلا شكَّ أن الوحي الإلٰهي كان ينطقه، كما أن الصدق المطلق الذي وافق القرآن الكريم من يوم نزوله إلى يوم انقطاع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، أمرٌ يوجب التوقف والتدبر.

إن الصدق في أخبار القرآن الكريم ظاهرة لا يستطيع إنكارها أحد، حتى الذين عادوا الإسلام؛ فقد كان هؤلاء يضمرون في أنفسهم احترام صدق القرآن وحقيقته بالرغم من ركام الوثنية والشرك والتكذيب الذي لاقوه به، بل كان هذا الاحترام المنتزع منهم والمفروض عليهم ملازماً لشخص الرسول ﷺ الذي كان ينطق بالقرآن.

---

(١) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ص٥/٣١٩ ـ ٣٢٤، ومسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص٢٣٥، والأشقر، «الرسل والرسالات»، ط٤، ص١٧٤.

ولقد أدرك مشركو العرب هذه الحقيقة من خلال اختلاطهم برسول الله ﷺ والمؤمنين به، حيث صدَّقت الحوادث الكونية كثيراً مما أخبرهم به القرآن الكريم.

كما أدرك أهل الكتاب صدق القرآن فيما أخبرهم به من الحوادث الغابرة التي كانوا يعرفونها من بطون كتبهم، وكذلك أدركوا هذا الصدق المطلق من خلال كشف القرآن لمخططاتهم ومؤامراتهم على الإسلام وأهله(١).

إن هذه الأنباء الصادقة التي جاء بها القرآن الكريم لدليل ظاهر، وبرهان قاهر على أنه كلام رب العالمين، الذي يستوي عنده علم السابق واللاحق، ولا تخفى عليه خافية.

لقد ظهر صدق القرآن الكريم لكل ذي عينين في عشرات الحوادث التي أخبر عن وقوعها في المستقبل ووقعت بالفعل كما أخبر، ولا زالت الأيام تكشف عن جوانب من هذه الأنباء، سواء في الكون أو الإنسان أو الحوادث الكونية العامة الشاملة.

إن ظاهرة الإخبار بالمغيبات في القرآن الكريم وتصديق الوقائع لها وعدم تخلف الصدق عنها ولو في جزئيةٍ بسيطةٍ لدليل على أنه وحي ممن خلق الأرض والسماوات العلى، أنزله على رسوله ليكون دلالة على صدقه(٢).

٣ ـ النبي ﷺ:

أولاً: التعريف اللغوي للنبي:

النَّبِيَّ ﷺ اسْمُهُ مِنَ النَّبْوَةِ، وَهُوَ الِارْتِفَاعُ، كَأَنَّهُ مُفَضَّلٌ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِرَفْعِ مَنْزِلَتِهِ. وَيَقُولُونَ: النَّبِيُّ: الطَّرِيقُ(٣).

---

(١) مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص٢٦١.
(٢) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٨، ومسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط٣، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.
(٣) ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٥/ ٣٨٥.

النَّبِيءُ: المُخْبِرُ عن الله تعالى، وتَرْكُ الهمزِ المختارُ، ج: أَنْبِياءُ نُبَآءُ وأَنْبَاءٌ والنَّبِيؤُونَ، والاسمُ: النُّبُوءَةُ(١).

ثانياً: تعريف «النّبيّ» في الاصطلاح:

هو إنسان ذَكَرٌ حُرٌّ من بني آدم، سليم عمَّا يُنَفِّر طَبعاً، أوحى الله إليه بشرْعٍ يَعمل به، ويُؤمَر بتَبليغه.

ثالثاً: نسبه وولادته ونشأته وأخلاقه:

أ ـ نسبه:

هو محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام(٢).

وأُم النبي ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وزهرة أخو جد النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد تزوج بها عبد الله والد النبي ﷺ وأقام معها في بيت أهلها ثلاثة أيام، فلم تلبث أن حملت بالنبي ﷺ ولم تجد في حمله ثقلاً، ولا وحماً كما هو شأن المحصنات الصحيحات الأجسام(٣).

ب ـ ولادته:

وقد ولدته أمه سَويّ الخلق، جميل الصورة، صحيح الجسم، وكانت

---

(١) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ١/ ٥٣.

(٢) ابن حزم، «جوامع السيرة»، د. ط، ص٤ ـ ٦، والسهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/ ٢٣ ـ ٣٨ ففيهما تفصيل النسب، وشرح الأسماء الواردة فيه، وابن الدَّيبع، «حدائق الأنوار»، ط٢، ص٩٤، والشامي، «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، ط١، ١/ ٢٣٥ ـ ٣٢٢، وباشا، «محمد رسول الله»، ط١، ص٢٨، وابن حميد، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم»، ط٤، ١/ ١٩٢.

(٣) العمري، «السيرة النبوية الصحيحة»، ط٦، ١/ ٩٠ ـ ٩١.

ولادته عام الفيل الموافق للحادي والسبعين بعد الخمسمائة للميلاد[١].

وقد تُوفي والده وهو حَمْلٌ في بطن أمه، فكفِلَه جده عبد المطلب، وأرضعته أمه ثلاثة أيام ثم عهد جده بإرضاعه إلى امرأة يقال لها: حليمة السعدية.

ج ـ نشأته:

وكان من عادة العرب أن يسترضعوا لأولادهم في البوادي؛ حيث تتوافر أسباب النشأة البدنية السليمة[٢].

ولقد رأت حليمة السعدية من أمر هذا الرضيع عجباً، ومن ذلك: أنها أتت مع زوجها إلى مكة على أتانٍ هزيلةٍ بطيئة السير، وفي طريق العودة من مكة، وهي تضع الرضيع في حجرها كانت الأتان تعدو عَدْواً سريعاً، وتُخَلِّف وراءها كل الدواب، مما جعل رفاق الطريق كلهم يتعجبون.

وتُحدِّث حليمة بأن ثديها لم يكن يُدِرُّ شيئاً من الحليب، وأن طفلها الرضيع كان دائم البكاء من شدة الجوع، فلما ألقمت الثدي رسول الله دَرَّ غزيراً، فأصبحت ترضعه، وترضع طفلها حتى يشبعا.

وتُحدِّث حليمة عن جدب أرض قومها ديار بني سعد، فلما حظيت بشرف رضاعة هذا الطفل أنتجت أرضها، وماشيتها، وتَبَدَّلت حالها من بؤسٍ وفقرٍ إلى هناءٍ ويسر.

وبعد سنتين عادت به حليمة إلى أمه وجدِّه في مكة، لكن حليمة ألَحَّتْ على أمه أن توافق على بقائه عندها مرة ثانية؛ لِمَا رأت من بركته عليها، فوافقت أُمُّه آمنة، فعادت حليمة بالطفل مرة أخرى إلى ديارها والفرحة تملأ قلبها.

وبعد سنتين عادت به حليمة إلى أمه، وعمره آنذاك أربع سنوات، فحضنته أمه إلى أن توفيت، وكان له من العمر ست سنين، فكفله جدُّه عبد المطلب سنتين

---

(١) ابن الدَّيبع، «حدائق الأنوار»، ط٢، ١/ ٢٩، والطبري، «خلاصة سير سيد البشر»، ط١، ص١٤، والغزالي، «فقه السيرة»، ط١، ص٥٨ ـ ٦٣.

(٢) ابن حزم، «جوامع السيرة»، د. ط، ص٦ ـ ٧، والسهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/ ٢٧٨ ـ ٢٨٦ و٢٩٧.

ثم توفي، وقبل وفاته أوصى به ابنه أبا طالب عمَّ النبي ﷺ فحاطه بعنايته كما يحوط أهله وولده(١).

إلا أنه كان لفقره يعيش عيش الشظف؛ فلم يتعود ﷺ نعيم الترف، ولعلَّ ذلك من عناية الله بهذا النبي الكريم.

وكان ﷺ قد أَلِفَ رعي الغنم مع إخوانه من الرضاع لما كان في بادية بني سعد، فصار يرعى الغنم لأهل مكة؛ فيكفي نفسه بما يأخذه على ذلك من الأجرة، ولا يرهق عمَّه بالنفقة.

ثم سافر مع عمِّه أبي طالب في تجارة إلى الشام، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام، وهناك رآه (بحيرا) الراهب، وبشَّر به عمَّه أبا طالب، وحذَّره من عدوان اليهود عليه بعد أن رأى خاتم النبوة بين كتفيه.

ثم إنه سافر مرةً أخرى مُتَّجراً بمالٍ لخديجة بنت خويلد، فأعطته أفضل مما كانت تعطي غيره؛ إذ جاءت تلك التجارة بأرباحٍ مضاعفة، بل جاءت بسعادة الدنيا والآخرة.

وكانت خديجة هذه أعقل وأكمل امرأة في قريش، حتى كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة؛ لِما لها من الصيانة، والعفَّة، والفضائل الظاهرة.

ولما حدَّثَها غُلامها ميسرةُ بما رأى من النبي ﷺ في رحلته معه إلى الشام من الأخلاق العالية، والفضائل السامية، وما قاله (بحيرا) الراهب لعمِّه أبي طالب في رحلته الأولى إلى الشام تعلقت رغبتها به؛ وبأن تتخذه زوجاً لها، وكانت قد تزوجت من قبل، وتوفي عنها زوجها؛ فتمَّ ذلك الزواج الميمون، وكان عمره آنذاك خمسة وعشرين سنة، وعمرها قريباً من أربعين سنة.

ولم يتزوج عليها طيلة حياتها، ولا أحب مثلها، وتوفيت بعد البعثة النبوية بعشر سنين، فكان كثيراً ما يذكرها، ويتصدق عنها، ويهدي لصاحباتها، وهي الزوجة التي رُزِق منها جميع أولاده عدا إبراهيم؛ فإنه من سُرِّيَّتِهِ ماريا القبطية.

---

(١) السهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١، الماوردي، «أعلام النبوة»، ط١، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩.

هذه بعض أخباره وسيرته قبل النبوة[(١)].

د ـ بدء الوحي:

بَلَغَ النبي ﷺ أشُدَّه، وقَرُب من الأربعين، واكتملت قواه العقلية والبدنية، وكان أول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَق الصبح واضحة كما رآها في منامه.

ثم بعد ذلك حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بنفسه في غار حراء في مكة، فيتعبد الله الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بالطعام والشراب، حتى جاءه الحق، وهو على هذا الشأن؛ بنزول القرآن عليه في شهر رمضان، وذلك بأن تَمَثَّل له الملكُ جبريل، ولقَّنَه عن ربِّه أول ما نزل من القرآن، فقال: [اقرَأ] فقال: «**ما أنا بقارىء**»، فقال له: [اقرَأ] فقال: «**ما أنا بقارىء**»، فقال: [اقرَأ] فقال: «**ما أنا بقارىء**»، وكان جبريل بعد كل جواب من الأجوبة الثلاثة يضمه على صدره، ويعصره حتى يبلغ منه الجهد.

ولما تركه جبريل في المرة الثالثة ألقى عليه أول آيات أُنزلت من القرآن، وهي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

بهذه الآيات العظيمة التي تأمر بالعلم، وتبيِّن بداية خلق الإنسان بدأ نزول الوحي على النبي ﷺ فرجع إلى زوجته خديجة يرجف فؤاده، ولكنه حفظ رشاده، فقال: «**زملوني زملوني**»؛ يعني: لففوني بالثياب، ففعلوا، حتى إذا ذهب عنه الروع، أخبر خديجة الخبر، وقال: «**لقد خشيت على نفسي**».

فقالت خديجة رضي الله عنها: «كلا والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتُكْسِبُ المعدوم، وتُقْري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

وهكذا استدلت هذه المرأة العاقلة على أن من كان هذا شأنه في محبة الخير للناس فلن يخذله الله؛ فسُنَّة الله تقتضي بأن الجزاء من جنس العمل.

---

(١) الأصبهاني، «دلائل النبوة»، ط١، ١/ ٩٠ ـ ٩٢، والسهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/ ٣١٣ ـ ٣١٨ و٣٢٢ ـ ٣٣٥؛ والسيوطي، «الخصائص الكبرى»، د. ط، ١/ ٢٢٦، وباشا، «محمد رسول الله»، ط١، ص٣٥ ـ ٣٦، والغزالي، «فقه السيرة»، ط١، ص٦٩.

ثم انطلقت بعد ذلك خديجة بالنبي ﷺ حتى أتت ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، ويكتب الإنجيل بالعبرانية، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: اسمع من محمد ما يقول، فقال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس[(١)] الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ـ أي: شاباً ـ ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك.

فقال له الرسول ﷺ: **«أَوَ مُخْرِجيَّ هم؟»** قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومُك أَنْصُرْك نصراً مؤزراً، ثم توفي ورقة، وفتر الوحي[(٢)].

واستمرت فترة الوحي ثلاث سنين، قوي فيها استعداد النبي عليه الصلاة والسلام واشتدَّ شوقه وحنينه.

قال ﷺ: **«بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قِبَل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض؛ فجئثت[(٣)] منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني»**[(٤)].

وذكر أنه رعب منه، ولكن ذلك دون الرَّعبة الأولى، فرجع إلى أهله فتزَمَّلَ، وتَدَثَّرَ؛ أي: تغطى بالثياب.

ثم أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ١ ـ ٥].

---

(١) الناموس: صاحب سر المَلِك، قال بعضهم: هو صاحب سر الخير، والجاسوس: صاحب سر الشر. انظر: السهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/٤٠٨.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/٧، حديث رقم (٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/١٣٩، حديث رقم (١٦٠)، والسهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/٣٩٦.

(٣) جئثت منه: أي: ذُعِرْت وخِفْت. انظر: ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث»، د. ط، ١/٢٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب «تفسير القرآن»، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣]، ٦/١٧٤، حديث رقم (٤٩٥٤)، والسهيلي، «الروض الأنف»، ط١، ١/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢.

أي: يا أيها الذي تدثر بثيابه قم فأنذر الناس بالقرآن، وبلغهم دعوة الله، وطهِّر ثيابك وأعمالك من أدران الشرك، واهجر الأصنام، وتبرأ من أهلها.

ثم حمي الوحي بعد ذلك، وتتابع، وبلَّغ ﷺ دعوة ربه، حيث أمره وأوحى إليه بأن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده، وإلى دين الإسلام الذي ارتضاه الله، وختم به الأديان؛ فقام النبي ﷺ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

فاستجاب له أول من استجاب: خديجة من النساء، وأبو بكر الصديق من الرجال، وعلي بن أبي طالب من الصبيان، ثم توالى دخول الناس في دين الله، فاشتدَّ عليه أذى المشركين، وأخرجوه من مكة، وآذوا أصحابه أشدَّ الأذى، فهاجر إلى المدينة، وتتابع عليه نزول الوحي، واستمر في دعوته، وجهاده، وفتوحاته، حتى عاد إلى مكة ظافراً فاتحاً.

وبعد ذلك أكمل الله له الدين، وأقرَّ عينه بعزِّ الإسلام وظهور المسلمين، ثم توفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، أربعون منها قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيّاً رسولاً[(١)].

وبه ختم الله الرسالات السماوية، وأوجب طاعته على الجن والإنس؛ فمن أطاعه سعد في الدنيا، ودخل الجنة في الآخرة، ومن عصاه شقي في الدنيا، ودخل النار في الآخرة.

وبعدما توفاه الله ﷻ تابع أصحابه مسيرته، وبلَّغوا دعوته، وفتحوا البلدان بالإسلام، ونشروا الدين الحق حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار.

ودينه ﷺ باقٍ إلى يوم القيامة.

هـ ـ أخلاقه:

نبيُّنا محمد ﷺ هو خير البرية، وأزكى البشرية، وأعلاها رتبة، وأجلَّها قدراً، وأحسنها خلقاً، وأكرمها على الله تبارك وتعالى.

اختاره الله على علم، وأكرمه بالرسالة، وأيده بالوحي.

---

(١) ابن حزم، «جوامع السيرة»، د. ط، ص٦ ـ ٧.

جبله على حميد الخلال، وفطره على كريم الخصال، ثم أدَّبه فأحسن تأديبه، فربّاه فأحسن تربيته، فكان خلقه القرآن، كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه لما سئلت عنه.

وهو عليه الصلاة والسلام المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق؛ فإنه أُدِّب بالقرآن، وأدَّب الخلق به، ثم لما أكمل الله له خلقه أثنى عليه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

ولقد كتب العلماء رحمهم الله في شمائل النبي ﷺ وأخلاقه، فتحدثوا عن حلمه، وعفوه، ورحمته، وشفقته، وحيائه، وشجاعته، وجوده، وكرمه، وصدقه، وبره، ووفائه، وأمانته، وإيثاره، وتواضعه، ولين جانبه، وكرم معشره، ونحو ذلك مما بلغ به الذروة في كل خلق كريم.

فمن تأسى به، وتخلَّق بخلقه كان في أعز جوار، وأمنع ذمار.

فبحسب متابعته تكون العزة، والكفاية، والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية، والفلاح، والنجاة؛ فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته.

فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح، والعزة، والكفاية، والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة.

ولمخالفيه الذلة، والصغار، والخوف، والضلال، والخذلان، والشقاء في الدنيا والآخرة[١].

فبسط شمائله الحميدة، ونشر أخلاقه الكريمة من أمثل الطرق، وأقوم السبل لحسم الفساد، وكسر شوكة الباطل؛ بل إن ذلك مرقى العز، وسلم السعادة، وسبيل التأسي.

ثانياً: حقيقة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

الأنبياء والرسل بشر مخلوقون يُوحى إليهم، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء.

---

(١) ابن القيِّم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ط٢٧، ١/ ٣٧.

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والنوم، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك.

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتها، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣].

وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٧].

وقال في عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الزخرف: ٥٩][(١)].

والرسالة اصطفاءٌ من الله لا تأتي بالاكتساب، والمجاهدة.

والرسل خير البشر، وصفوتهم، وخلاصتهم.

ثالثاً: عصمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

اتفقت الأمة على أن الأنبياء والرسل معصومون في تحمُّل الرسالة، وفيما يبلِّغون به عن ربهم جل وعلا.

فلا يُنْقِصُوْنَ شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ولا ينسون شيئاً من ذلك إلا ما كان قد نسخ.

وقد تكفَّل الله لنبيِّه محمد ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحي إليه إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه، قال عز وجل: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعلى: ٦، ٧].

والرسل كذلك معصومون في التبليغ؛ فلا يكتمون شيئاً من الوحي، ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل ذلك في حقهم، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

---

(١) ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة الإسلامية»، د. ط، ص٢٥ ـ ٢٦.

أما الأعراض الجِبِلِّيَّة البشرية فلا تنافي العصمة؛ فإبراهيم عليه السلام أوجس في نفسه خيفةً عندما رأى أيدي ضيفه لا تمتد إلى الطعام الذي قدمه لهم، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة.

وموسى عليه السلام غضب غضباً شديداً، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، وألقى الألواح وفي نسختها هدى عندما عاد إلى قومه بعد أن تم ميقات ربه، فوجدهم يعبدون العجل.

ومن ذلك نسيان الرسول ﷺ في غير البلاغ، وفي غير أمور التشريع؛ كما في حديث ذي اليدين عندما سها عليه الصلاة والسلام في الصلاة(١).

بل قد صرح عليه الصلاة والسلام بطروء النسيان عليه كعادة البشر فقال: **«إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني»**(٢).

والأنبياء قد يخطئون في إصابة الحق في القضاء، ولكنهم لا يقرون على ذلك؛ بل يُوحى إليهم بالصواب؛ فتكون حالهم بعد ذلك أكمل منها قبلها.

وأما القبائح، وكبائر الذنوب؛ فهم معصومون منها باتفاق الأمة(٣).

ثالثاً: ما يتضمنه الإيمان بالنبي ﷺ:

الإيمان بالنبي ﷺ يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالته حق من الله تعالى فمن كفر برسالته فقد كفر بالله جل وعلا.

الثاني: تصديق ما صح من أخباره.

الثالث: العمل بشريعته، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، أبواب ما جاء في السهو، باب من لم يتشهد في سجدتي السهو، ٢/ ٦٨، حديث رقم (١٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ١/ ٨٩، حديث رقم (٤٠١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ١/ ٤٠٠، حديث رقم (٥٧٢).

(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ١٠/ ٢٩٣ ـ ٣١٣ و١٥/ ١٥٠، والأشقر، «الرسل والرسالات»، ط٤، ص٩٩، ١١٦.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥](1).

الرابع: اعتقاد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأنه لا نبي بعده، وأن الوحي انقطع من السماء.

وأن النبواتِ قد ختمت بنبوة النبي محمد ﷺ، وهذا من صميم عقيدة المسلمين، وأن من ادّعى خلاف ذلك فهو كافرٌ بالله مكذبٌ لنبيِّه ﷺ.

وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

وقد وردت الأدلَّة من القرآن الكريم على عقيدة ختم النبوة بصورٍ عدة، **منها:**

١ ـ التصريح بالختم، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ففي هذه الآية الكريمة تصريح بخاتمية محمد ﷺ للأنبياء قبله، فلا نبي بعده ولا رسول.

وهذا ما فهمه المفسرون لكتاب الله تعالى من عصر صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

٢ ـ تقرير تلك العقيدة بطريق الاستلزام العقلي؛ وذلك في عددٍ من الآيات؛ كالآيات الدالة على عموم رسالة نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وكالآيات الدالة على تعهد الله ﷻ بحفظ كتابه.

وكالآيات التي تقرر حجية القرآن على كلِّ مَنْ بَلَغ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وكالآيات التي تطالب الناس بالإيمان بالرسل السابقين، والكتب السماوية السابقة فحسب، دون أن تطالبهم بالإيمان بغيرهم.

وأما دلالة السُّنَّة فقد كان النبي ﷺ مهتماً بتقرير عقيدة ختم النبوة،

(١) ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة الإسلامية»، د. ط، ص٢٦.

وتأكيدها، بحيث إنه قد قررها بمختلف الأساليب البيانية، وفي سائر المناسبات الخاصة والعامة، ولم يترك شبهة يمكن أن تغبِّش صورتها إلا وأزالها حتى تركها واضحة جلية.

والمتتبع لأحاديث الرسول ﷺ يرى أنها قد أَكَّدَت خَتميةَ النبوة بعباراتٍ متنوعةٍ يصل بعضها إلى حد التواتر.

وهي في جملتها متواترة تواتراً قطعيّاً لا يُبْقِي مجالاً للشك أو التردد في كون النبي ﷺ خاتَمَ الأنبياء.

قال النبي ﷺ: «**وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(١).

رابعاً: خصائص نبينا محمد ﷺ:

اخْتُصَّ نبيّنا محمدٌ ﷺ بخصائص كثيرة، والمجال لا يتسع لإحصائها، **ومنها على سبيل الإجمال ما يلي:**

١ ـ عموم رسالته ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فهذه الآية الكريمة تدلُّ على عموم رسالته ﷺ إلى الناس جميعاً، وهذه هي إحدى الخصائص التي انفرد بها عليه الصلاة والسلام عن الأنبياء قبله؛ إذ كان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة، ثم يبقى غيرهم محتاجاً إلى من يبلغه أمر الله ﷻ.

ولئلا يُتَوَهَّمَ هذا في رسولنا عليه الصلاة والسلام بيَّن الله سبحانه وتعالى عموم رسالته إلى الناس جميعاً.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى**

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، تتمة مسند الأنصار، ومن حديث ثوبان، ٣٧/٧٩، حديث رقم (٢٢٣٩٥)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ٤/٩٧، حديث رقم (٤٢٥٢)، والترمذي في «سننه»، أبواب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ٤/٦٩، حديث رقم (٢٢١٩). وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. والحاكم في «مستدركه»، كتاب الفتن والملاحم، أما حديث ثوبان، ٤/٤٩٦، حديث رقم (٨٣٩٠) وقال الحاكم: على شرط البخاري ومسلم.

الناس كافة»(١).

٢ ـ أن الله ﷻ تكفل بإظهار دينه على جميع الأديان، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٣].

٣ ـ أن الله ﷻ تكفل بحفظ الكتاب الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩].

٤ ـ أن دينه عليه الصلاة والسلام كامل صالح لكل زمانٍ ومكانٍ وأمة، قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

٥ ـ أنه عليه الصلاة والسلام نصر بالرعب مسيرة شهر، وأحلت له الغنائم، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمته أدركته الصلاة فليصل، كما صح بذلك الحديث عنه(٢).

٦ ـ ما أظهر الله على يديه من المعجزات الكثيرة المتنوعة.

٧ ـ أنه أكثر الناس تابعاً يوم القيامة.

٨ ـ أنه يشفع للخلائق الشفاعة الكبرى يوم القيامة إذا تخلى الأنبياء عن ذلك.

٩ ـ أنه أول من يستفتح باب الجنة، وأن أمته أول الأمم دخولاً للجنة.

إلى غير ذلك مما اختص به عليه الصلاة والسلام.

خامساً: معجزات النبي ﷺ:

تنقسم معجزات النبي ﷺ إلى أقسام باعتبارات؛ حيث قسَّمها بعض العلماء إلى **قسمين**:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»، ١/ ٩٥، حديث رقم (٤٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

القسم الأول: معجزات حسية:

وهي ثلاثة أنواع:

١ ـ معجزات خارجة عن ذات النبي ﷺ، وهي المعجزات التي أجراها الله على يديه.

٢ ـ معجزات في ذاته ﷺ؛ كخاتم النبوة الذي بين كتفيه، وما شوهد من خلْقته، وصورته الدالة على نبوته.

٣ ـ معجزات في صفاته، وكمالاته ﷺ؛ كصدقه، وأمانته، وشجاعته، وسائر أخلاقة التي تبلغ حد الإعجاز.

القسم الثاني: معجزات عقلية:

وهي ستة أنواع:

١ ـ أنه من قبيلة وبيئة لا تُعْرف بالعلم، ولم يرحل إلى الشام إلا مرتين؛ ولا طلب العلم عند أحد؛ فلا يتهم والحالة هذه بأنه ادّعى النبوة من تلقاء نفسه.

٢ ـ أنه انقضى من عمره أربعون سنة دون أن يخوض في شيءٍ من شأن النبوة.

ولا ريب أن سن الشباب هو وقت الحماسة والتَدَفع لمثل تلك الدعوى.

٣ ـ أنه تَحَمَّل في سبيل أداء الرسالة من أنواع المشاق، وصنوف المتاعب ما لا يتحمله بشر، وهو مع ذلك واثق مما جاء به، مستقبلٌ كلَّ ما يعترضه بكل ثقة، ويقين وراحة بال.

٤ ـ أنه كان مجاب الدعوة؛ فما من دعوة دعا بها إلا وأجابها الله ﷻ له.

٥ ـ ما جاء به من المعجزة الكبرى، وهي القرآن الكريم.

٦ ـ ما كان عليه من الفصاحة والبلاغة التي تصل إلى حد الإعجاز.

٧ ـ أن البشارة به جاءت في الكتب السابقة، والنصوص في ذلك كثيرة جدّاً، وسيأتي ذكر لشيءٍ منها.

٨ ـ إخباره عن الغيوب الماضية، والحاضرة، والمستقبلة بما يشهد أنه نبي

من عند الله عز وجل[١].

وهناك تقسيمات أخرى للمعجزات باعتباراتٍ أخرى، حيث قسم ابن تيمية معجزات النبي ﷺ المتعلقة بالقدرة، والفعل والتأثير إلى **تسعة أنواع، وهي كما يلي:**

النوع الأول: ما هو في العالم العلوي؛ كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث.

النوع الثاني: آيات الجو؛ كاستسقائه ﷺ؛ أي: طلبه السقيا والمطر، وكاستصحائه؛ أي: طلبه الصحو، وانكشاف الغيم والسحب.

النوع الثالث: تصرفه في الحيوان: الإنس، والجن، والبهائم.

النوع الرابع: آثاره ﷺ في الأشجار والخشب.

النوع الخامس: آثاره في الماء، والطعام، والثمار الذي يكثر ببركته ﷺ فوق العادة.

النوع السادس: تأثيره ﷺ في الأحجار، وتصرفه فيها، وتسخيرها له؛ كما جاء في «صحيح البخاري» عن أنس قال: صعد النبي ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «**اسكن** ـ وضربه برجله ـ **فليس عليك إلا نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان**»[٢].

النوع السابع: تأييد الله له بملائكته، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: ٩].

النوع الثامن: في كفاية الله له أعداءه، وعصمته له من الناس.

النوع التاسع: في إجابة دعوته.

فهذه أنواع تسعة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الجواب

---

(١) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ١/٣٩٩؛ ابن الوزير، «إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد»، ط٢، ص٧٩ ـ ٨٥، وابن كَمُّونة، «تنقيح الأبحاث للملل الثلاث»، ط١، ص١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً**»، ٥/٩، حديث رقم (٣٦٧٥).

الصحيح»، وشرحها شرحاً مفصلاً، وذكر أمثلة، وأدلة كثيرة على كل واحدٍ منها[(١)].

ومن أعظم معجزات النبي ﷺ التي أعطيها رسولنا ﷺ؛ بل أعظم آيات الرسل أجمعين هو القرآن الكريم؛ فهو آية باقية إلى يوم الدين لا يطرأ عليها التغيير أو التبديل ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وهناك معجزات أخرى كثيرة أجراها الله ﷻ على يد نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام غير معجزة القرآن الكريم، والمقام لا يتسع إلا لذكر القليل من تلك المعجزات؛ **فإلى بيان شيء من ذلك فيما يلي:**

١ ـ **معجزة انشقاق القمر**: وهذا المعجزة من أعظم المعجزات الحسية الدالة على صدق نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

وذلك أن المشركين من أهل مكة سألوا النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر نصفين.

وقد أخبر الله ﷻ عن هذه المعجزة بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١، ٢].

وكل الناس يقر بذلك، ولا ينكره؛ فُعِلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة»[(٢)].

وقد جاء في «صحيح مسلم» أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبا واقد الليثي: «ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟

قال: كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق: ١]، ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]»[(٣)].

قال ابن تيمية معلقاً على ذلك: «ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو

---

(١) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٦/١٥٩ ـ ٣٢٣.
(٢) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٦/١٦٠.
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، ٢/٦٠٧، حديث رقم (٨٩١).

لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين.

وكان عليه الصلاة والسلام من أحرص الناس على تصديق الخلق له، واتّباعه إياه؛ فلو لم يكن انشق لما كان يُخْبِرُ به، ويقرؤه على جميع الناس ويستدل به، ويجعله آية له ﷺ»[(١)].

وجاء في «صحيح البخاري» عن أنسٍ رضي الله عنه (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية؛ فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما)[(٢)].

٢ ـ **معجزة الإسراء والمعراج:** وهو إسراء الله بنبيِّه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ حيث جمع الله له الأنبياء فصلّى بهم إماماً.

قـــــال الله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١].

ومن هناك عرج به إلى السمٰوات العلا، وهناك رأى ما رأى من آيات ربه الكبرى؛ حيث رأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاوز السبع الطباق وكلّمه الرحمٰن، وقَرَّبه.

قال الله عز وجل مبيِّناً ذلك الشأن: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [القمر: ١٢ ـ ١٨].

وقد استعظمت قريش دعوى رسول الله ﷺ في الإسراء، والمعراج؛ فقد كانت القوافل تمضي الأسابيع في الذهاب إلى بيت المقدس والعودة منها؛ فكيف يتسنى لرجلٍ أن يمضي، ويعود في جزءٍ من ليلة! ذلك أمر عجيب، وهو حقّاً عجيب، ولكن العجب يتلاشي إذا علمنا أن الذي أسرى به هو الله تعالى، والله على كل شيء قدير[(٣)].

---

(١) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ٦/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، باب انشقاق القمر، ٥/ ٤٩، حديث رقم (٣٨٦٨).

(٣) تفصيل الكلام عن الإسراء والمعراج: أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٤/ ١٠٧، حديث رقم (٣٢٠٧) والبخاري في «صحيحه»، كتاب =

٣ ـ **تكثيره ﷺ الطعام**: وقد وقع هذا أكثر من مرة، فمن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه، قال: قال أبو طلحة لأم سليم، لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فَأَخْرَجَتْ أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خِمَاراً لها، فَلفَّت الخبز ببعضه، ثمَّ دَسَّته تحت ثوبي، وردتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد والناس معه، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «**أرسلك أبو طلحة؟**» قلت: نعم، قال: «**بطعام؟**» قلت: نعم، فقال ﷺ لمن معه: «**قوموا**» فانطلق، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أمَّ سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم.

قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال ﷺ: «**هلمي يا أمَّ سليم، ما عندك**» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ، فَفُتَّ، وعَصَرت أم سليم عُكَّةً[1] لها، فَأَدَمتهُ، ثم قال ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثمَّ قال: «**ائذن لعشرة**»، فَأَذِن لهم، فأكلوا، حتى شبعوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**» فأذن لهم، فأكلوا، حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**» فأكل القوم كلهم، وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.

وفي رواية: «ثم أكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة، وأم سليم، وأنس، وفَضُل فضلةٌ، فأهديناها لجيراننا»[2].

= مناقب الأنصار، باب المعراج، ٥/ ٥٢، حديث رقم (٣٨٨٧)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ١/ ١٤٨، حديث رقم (١٦٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، ١/ ١٥٦، حديث رقم (١٧٢)، وانظر: ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٦/ ١٦٥ ـ ١٨٢؛ وابن كثير، «البداية والنهاية»، ط١، ٤/ ٢٦٩ ـ ٢٩٢، والأشقر، «الرسل والرسالات»، ط٤، ص١٣٤.

(١) **العُكَّة**: إناء من جلد مستدير يُجْعَلُ فيه السمنُ غالباً والعسل. انظر: ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٦/ ٥٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ١٩٣، =

٤ ـ **تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة**: وقد وقع من هذا شيء كثير من الرسول ﷺ، فمن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله قال: (عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة[١] فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به، ونشرب إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا، وتوضأنا.

قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة)[٢].

٥ ـ **إبراؤه المرض**: فمن ذلك إبراؤه من كسرت رجله؛ فعن البراء بن عازب قال: بعث النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله، قال: عبد الله بن عتيك: فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفتُ أني قتلته، فرجعت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة، فوضعت رجلي، فوقعت في ليلة مقمرةٍ، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة فانطلقتُ إلى أصحابي فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثتهُ فقال: «**ابسط رجلك**» فبسطت رجلي، فمسحها، فكأنما لم أشتِكها قط[٣].

ومن ذلك إبراؤه عين علي بن أبي طالب؛ فعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه،**

= حديث رقم (٣٥٧٨)، والبخاري في «صحيحه»، كتاب «الأيمان والنذور»، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمراً بخبز وما يكون من الأدم، ٨/ ١٤٠، حديث رقم (٦٦٨٨)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققاً تامّاً، واستحباب الاجتماع على الطعام، ٤/ ١٩٣، حديث رقم (٢٠٤٠).

(١) **الركوة**: دلو صغير. انظر: الحموي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ص٢٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٥/ ١٢٢، حديث رقم (٤١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، ٥/ ٩١، حديث رقم (٤٠٣٩).

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلُّهم يرجو أن يعطاها فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا: هو يا رسول يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأتي به فبصق رسول الله في عينه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاهُ الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «**انفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدً خيرٌ لك من أن يكون لك حمرُ النعم**»[(١)].

وحمر النعم: لون من ألوان الإبل المحمودة، وكانت مما تفاخر به العرب.

٦ ـ **تسليم الحجر على النبي ﷺ**: في «صحيح مسلم» عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[(٢)].

٧ ـ **تسليم الشجر والجبال على النبي ﷺ**: فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر، ولا جبل إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله»[(٣)].

فهذه أمثلة يسيرة جدّاً من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتب التي اعتنت بمعجزاته عليه الصلاة والسلام؛ ككتاب دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي، ودلائل النبوة لأبي الشيخ الأصبهاني، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة لابن أبي الدنيا، وغيرها كثيرة من الكتب التي اعتنت بمعجزاته عليه الصلاة والسلام.

هذا غير الكتب التي تكلَّمت على المعجزات ضمن سيرة النبي ﷺ أو كتب

---

(١) سبق تخريجه ص١٩.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، ٤/١٧٨٢، حديث رقم (٢٢٧٧).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب المناقب، ٦/٢٥، حديث رقم (٣٦٢٦).

الصحاح والمسانيد[١].

سادساً: تصريح الكتب السابقة بنبي الإسلام وتبشيرها به:

لقد بشَّرت الكتب السابقة بدين الإسلام، وظهور نبيّه في مواضع كثيرة، والشواهد على ذلك لا تكاد تحصى.

وهذه الشهادات الموجودة في الكتب المتقدمة تُعدُّ من الآيات البينات على نبوة محمد ﷺ ونبوة من قبله[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دلائل نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن؛ فإن الظن لا يدفع اليقين لا سِيَّما مع الآثار الكثيرة المُخْبرة بأن محمداً كان مكتوباً باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء»[٣].

وقد جاء في «صحيح البخاري» عن عطاء بن يسار أنه قال: (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سَخَّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضهُ الله حتى يقيم به الملَّة العوجاء، بأن يقُولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيُناً عُمياً، وقُلُوباً غُلْفاً)[٤].

---

(١) انظر: ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٦/١٥٩ ـ ٥٢٣.

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ٥/١٩٧، وانظر: الكتب الأخرى التي تكلمت على البشارات الواردة في الكتب السابقة الدالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ومنها: الطبري، «الدين والدولة»، والسموأل، «إقحام اليهود»، والجعفري، «تخجيل من حرف الإنجيل»، وابن القيِّم، «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، وداود، محمد في «الكتاب المقدس»، والهندي، «إظهار الحق»، والراسي، «البحث الصريح في إيِّما الدين الصحيح»، والسقا، «البشارة بنبي الإسلام»، وغيرهم كثير ممن عُنوا بإبراز البشارة بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام في الكتب السابقة، وخصوصاً التوراة والإنجيل.

(٣) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ٥/١٥٥.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، ٣/٦٦، حديث رقم (٢١٢٥).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ معلقاً على هذا الأثر: «ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المُعَينَّةُ، ويراد به الجنس، فَيُعبَّر بلفظ القرآن عن الزبور وغيره كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (خُفِّفَ على داود القرآن، فكان ما بين أن تُسْرَج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن)»[(١)].

والمراد به قرآنه، وهو الزبور، ليس المراد به القرآن الذي لم ينزل إلا على محمد ﷺ.

كذلك ما جاء في صفة أمة محمد ﷺ: أناجيلهم في صدورهم، فَسَمَّى الكتب التي يقرؤونها وهي القرآن أناجيل.

وكذلك في التوراة: إني سأقيم لبني إسرائيل نبيّاً من إخوتهم أنزل عليه توراة مثل توراة موسى، فسمى الكتاب الثاني توراة.

فقوله: «أخبرني بصفة رسول الله في التوراة، قد يراد بها نفس الكتب المتقدمة كلِّها، وكلُّها تسمى توراة، ويكون هذا في بعضها.

وقد يراد به: التوراة المعينة، وعلى هذا فيكون هذا في نسخة لم ينسخ منها هذه النسخ؛ فإن النسخ الموجودة بالتوراة التي وقفنا عليها ليس فيها هذا»[(٢)].

وقال الشيخ زيادة بن يحيى الراسي[(٣)] في كتابه «البحث الصريح» في الباب الرابع: البشارات بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل «نورد فيه بينات من كتب العهدين؛ أعني: من التوراة والإنجيل على أن نبيَّنا الأعظم محمداً ﷺ هو النبي الموعود به أيضاً والمشار إليه، والمنبأ عنه من الأنبياء كعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالأدلة الواضحة، والبراهين المتينة كما قد تراها صحيحة»[(٤)].

ثم شرع بإيراد تلك الشهادات؛ حيث أورد إحدى عشرة شهادة، وأتبع كل شهادة بالشرح، والتحليل، والربط، مثبتاً أنها منطبقة تماماً على نبيِّنا محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣، ٤/ ١٦٠، حديث رقم (٣٤١٧).

(٢) ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، ط٢، ٥/ ١٥٦ ـ ١٥٧، وابن القيِّم، «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، ط١، ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) هو أحد علماء النصارى الذين اهتدوا للإسلام.

(٤) الراسي، «البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح»، ط١، ص١٣٩.

فهذا نزرٌ يسير من البشارات بمحمد ﷺ في الكتب السابقة[١].

سابعاً: بشارةُ موسى وعيسى عليهما السلام بمحمد ﷺ:

إن رسولاً عظيماً كمحمد في عموم بعثته، وخلود دينه، وشريعته جدير بأن يُعْلِمَ الله سبحانه بمبعثه رُسُلَه وأنبياءه عليهم السلام ويصفه لهم ببعض نعوته، وعلاماته، ويعهد إليهم بأن يبشروا أقوامهم بظهوره، ويوصوهم بقبول دعوته، وحسن طاعته[٢].

وهذا ما وقع حقّاً؛ قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «قال علي بن أبي طالب، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيّاً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه»[٣].

هذا وإن أعظم بُشْرى بنبوة محمد ﷺ كانت على يد نبيّيَن من أولي العزم من الرسل، ألا وهما موسى وعيسى عليهما السلام، وفي المبحثين التاليين شيء من أخبار تلك البشارتين:

أ ـ بشارة موسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام:

لقد جاء بني إسرائيل الخبر اليقين بالنبي الأمين، على يد نبي الله موسى منذ أمد بعيد، جاءهم الخبر اليقين ببعثته، وبصفاته، ونهج رسالته، وبخصائص ملته؛ فهو النبي الأمي الذي يأمر الناس بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عن من يؤمنون به من بني إسرائيل الأثقال والأغلال التي علم الله أنها ستفرض عليهم بسبب معصيتهم، فيرفعها عنهم النبي

---

(١) الراسي، «البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح»، ص١٧٣ ـ ١٧٤.
(٢) حسين، «محمد رسول الله وخاتم النبيين»، د. ط، ص٥٤ ـ ٥٥.
(٣) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط١، ١/ ٣٥٧.

الأمي حين يؤمنون به، وأتباع هذا النبي يتقون ربهم، ويخرجون زكاة أموالهم، ويؤمنون بآيات الله.

جاء بني إسرائيل الخبر اليقين بأن الذين يؤمنون بهذا النبي الأمي، ويعظمونه، ويوقرونه، وينصرونه، ويؤيدونه، ويتبعون النور الذي أنزل معه هم المفلحون الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

قال الله في محكم تنزيله: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧][1].

فهذه الآية صريحة في أن المصطفى «مكتوب في التوراة والإنجيل، والمراد بكتابته فيهما: ذِكْرُ مبعثه، ودعوته، وشيء من نعوته.

وهذا المعنى موجود في الكتابين يقيناً، فقد نزلت الآية على مسمع من علماء الأمتين: اليهودية والنصرانية، فمنهم من يؤمن به عليه الصلاة والسلام ويخبر بما في كتبهم من ذكره بصفته وعلاماته، ومنهم من لا ينكر أن يكون قد ذكر في الكتابين رسول بهذه النعوت والعلامات، ولكنه يكابر في أن المراد منه المصطفى صلوات الله عليه وسلامه ويقول: المقصود منه نبي آخر، وفي مثل هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقد تصدى لجمع هذه البشائر من كتابي التوراة والإنجيل طائفةٌ من أهل البحث والعلم، وبيَّنوا وجه انطباقها على حال النبي بحيث لا تأخذ الناظر شبهة في أنه الرسول الذي بشَّرت الأنبياء بمبعثه وعموم رسالته.

ولشدة موقع هذه البشارات في الدلالة على صدق نبوته عليه الصلاة

---

(١) انظر: الأشقر، «الرسل والرسالات»، ط٤، ص١٦٥.

والسلام ذكرها القرآن الكريم في دلائل النبوة، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء: ١٩٧].

وإنما كان علْم علماء بني إسرائيل من آيات صدقه؛ لأنهم يستندون في هذا العلم إلى ما في التوراة من نعوته وعلاماته، مع القطع بأن هذه النعوت والعلامات مطابقة لحاله عليه الصلاة والسلام»[(١)].

وقد بقي بقية بشارة موسى عليه السلام في التوراة، ففي سفر التثنية الإصحاح (١٨) فقرة ١٨، ١٩ قال الله لموسى: «أقيم لهم ـ أي: لبني إسرائيل ـ نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه».

ودلالة هذه البشارة على رسولنا ﷺ بيّنة؛ ذلك أنه من بني إسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل؛ فجدهم هو إسحاق، وإسماعيل وإسحاق أخوان، ثم هو أوسط العرب نسباً.

وقوله: مثلك؛ أي: صاحب شريعة مثل موسى، ومحمد ﷺ هو الذي جعل كلامه في فمه؛ حيث كان أُميّاً لا يقرأ من المصحف، ولكن الله يوحي إليه كلامه فيحفظه ويرتله، وهو الرسول المرسل إلى الناس كافة، وبنو إسرائيل مطالبون باتباعه، وترك شريعتهم لشريعته، ومن لم يفعل فإن الله معذبه: ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه».

ومما يعرِّفنا أن هذه البشارة هي بقية البشارة العظيمة التي أوحى الله بها إلى موسى، وأخبرنا بها القرآن الكريم أن هذه البشارة وردت في موقف معين عندما اختار موسى من قومه سبعين رجلاً لميقات الله فأخذتهم الرجفة، وذلك بسبب طلبهم رؤية الله جل وعلا فدعا موسى ربه وتوسل إليه، فبعثهم الله من بعد موتهم، قال الله بعد توسل موسى ودعائه: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ الآيات [الأعراف: ١٥٦].

وإذا رجعت إلى التوراة في سفر الخروج تجد أن هذه البشارة إنما أوحى الله

(١) حسين، «محمد رسول الله وخاتم النبيين»، د. ط، ص٥٥ ـ ٥٦.

بها بعد ذهابه لميقات الله، وتتحدث التوراة عن شيءٍ قريبٍ من الرجفة؛ حيث جاء في التوراة: «وكل الشعب سمع الأصوات وصوت البوق، ونظروا الشهب والجبل دخاناً ونظر كل القوم وتشردوا ووقفوا من بعد...» سفر الخروج الإصحاح (٢٠) من التوراة السامرية(١).

والتوراة التي بين أيدي الناس اليوم محرفة مغيرة يَدُلُّكَ على ذلك هذا الاختلافُ الذي نجده في أمور كثيرة بين نسخها وطبعاتها، فهناك ثلاث نسخ للتوراة: العبرانية، واليونانية، والسامرية، وكل قوم يدعون أن نسختهم هي الصحيحة، وهناك فروق واضحة بين طبعات التوراة وترجماتها.

وقد أدى هذا التحريف إلى ذهاب كثير من البشارات، أو طمس معالمها.

ومع ذلك فقد بقي من هذه البشارات شيء كثيرٍ، ولا تخفى هذه البشارات على من يتأملها، ويعرضها على سيرة الرسول ﷺ متجرداً من الهوى.

والكلام في إيراد هذه البشارات وهي كثيرة يطول(٢).

ب ـ بشارة عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام:

لقد بشَّر عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ، وأخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز بهذه البشارة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف: ٦].

وأحمد من أسماء نبيّنا محمد ﷺ كما ثبت في «صحيح البخاري» عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»(٣).

---

(١) الأشقر، «الرسل والرسالات»، ط٤، ص١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) «الرسل والرسالات»، ص١٦٨ ـ ١٧٣، ففيه ذكر لعدد من تلك البشارات، وانظر: الباب الثامن ففيه ذكر وشرح لعدد من البشارات.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، حديث رقم (٤٨٩٦)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، =

وقد مرَّ عند الحديث عن بشارة موسى بمحمد عليهما السلام ذكر لآية الأعراف، وهي تتضمن وجود وصف النبي مكتوباً في الإنجيل، كما هو مكتوب في التوراة.

ومما ورد ذكره في القرآن من هذا القبيل ما جاء في سورة الفتح، حيث ضرب الله عز وجل في التوراة والإنجيل مثلين لرسولنا وأصحابه، فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن البشارات الموجودة في الإنجيل ما جاء في إنجيل متى الإصحاح (١١) عدد (١٤): «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع».

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه ليس بينه وبين عيسى نبي، فيكون إيلياء الذي بشَّر به عيسى هو محمد ﷺ، وإيليا بحساب الجمل الذي أغرمت به اليهود يساوي محمداً.

وفي إنجيل يوحنا إصحاح (١٤) عدد (١٥): «إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، وفي اللغات الأجنبية فيعطيكم باركليتوس ليمكث معكم إلى الأبد».

وفي إصحاح يوحنا (١٥) عدد (٢٦): «ومتى جاء المعزى الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي ويشهد لي؛ لأن النبي محمد ﷺ شهد للمسيح بالنبوة والرسالة، وروح الحق كناية عن الرسول محمد ﷺ، والمعاني الواردة في هذه الترجمة الحديثة ليست دقيقة؛ لأن أصلها باليونانية وهي اللغة التي ترجمت منها هذه الأناجيل مكتوبة بيركليتوس وفي التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١م، سنة ١٨٣١م، سنة ١٨٤٤م، في لندن تجدها فارقليط وهي أقرب إلى العبارة اليونانية المشار إليها، أما ترجمتها في

= باب في أسمائه ﷺ، ٤/١٨٢٨، حديث رقم (٢٣٥٤).

الطبعات الحديثة إلى المعزى فهو من التحريف الذي ذمَّ الله أهل الكتاب به ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]».

ويلاحظ أن هناك جملة ساقطة قبل الجملة الواردة في عدد (٢٦) من هذا الإصحاح سقطت من الطبعات الحديثة، لكنها واردة صراحة في الطبعات القديمة للإنجيل، ونص هذه الجملة: فلو قد جاء المنحمنا الذي يرسله الله إليكم ومعنى المنحمنا الحرفي باللغة السريانية محمد(١).

ثامناً: أقوال المنصفين من غير المسلمين:

كل عاقل منصف لا يسعه إلا الإعجاب بعظمة النبي ﷺ والتصديق بما جاء به؛ ذلك أن الأمارات الكثيرة شاهدةٌ بعظمته، ناطقةٌ بصدقه.

ولا ريب أن شهادةَ المخالف لها مكانتها؛ فالفضل كما قيل ما شهدت به الأعداء.

وفيما يلي عدد من الشهادات التي أدلى بها جمعٌ من الفلاسفة والمفكرين من غير المسلمين من النصارى وغيرهم.

١ ـ شهادة الفيلسوف الإنجليزي الشهير (توماس كارليل) الحائز على جائزة نوبل للسلام، وهذه الشهادة تكاد تكون أشهر وأعظم شهادة نطق بها كاتب غربي، وتكاد تظن أن الذي كتبها مسلم خبير بأحوال النبي ﷺ.

وفيما يلي مقتطفات مما قال كارليل في كتابه «الأبطال» مخاطباً قومه النصارى: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوِّر.

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدَّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو

---

(١) انظر: الأشقر، «الرسل والرسالات»، ط٤، ص١٦٥ ـ ١٦٦، وانظر: تفصيل البشارات في الكتب التي تحدثت حول هذا الشأن ككتاب ابن تيمية، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، وابن تيمية، «النبوات»، وابن القيِّم، «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»، والهندي، «إظهار الحق»، ففيها ما يشفي ويكفي.

مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

أَمّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل هذا القبول، فما الناس إلا بُلْهٌ مجانين، فوا أسفاً! ما أسوأ هذا الزعم، وما أضعف أهله، وأحقهم بالرثاء والرحمة.

وبعد؛ فعلى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات ألا يصدق شيئاً ألبتة من أقوال أولئك السفهاء؛ فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود وإلحاد، وهي دليل على خبث القلوب، وفساد الضمائر، وموت الأرواح في حياة الأبدان.

ولعل العالَم لم يرَ قط رأياً أكفر من هذا وأَلأَم، وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً، وينشره علناً؟

والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب؛ فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير، والجص، والتراب، وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنفاق، وكثيب من أخلاط المواد.

نعم، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه، فينهدم؛ فكأنه لم يكن.

إلى أن قال: وعلى ذلك، فلسنا نَعُدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، ويطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو إلى غير ذلك من الحقائر.

وما الرسالة التي أدَّاها إلا حقٌّ صراحٌ، وما كلمته إلا قول صادق».

قال: «كلا ما محمد بالكاذب ولا المُلفِّق، وهذه حقيقة تدفع كل باطل، وتدحض حُجة القوم الكافرين».

ثم لا ننسى شيئاً آخر، وهو أنه لم يتلق دروساً على أستاذ أبداً، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب وعجيب وأيم الله أُمِّيَة العرب ولم يقتبس محمد من نور أي إنسان آخر، ولم يغترف من مناهل غيره، ولم يكن

إلا كجميع أشباهه من الأنبياء والعظماء، أولئك الذين أشبِّههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور.

وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيداً، كريماً بَرّاً، رؤوفاً، تقيّاً، فاضلاً، حرّاً، رجلاً، شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب، ليِّن العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، وكان على العموم تضيء وجهه ابتسامةٌ مشرقة من فؤادٍ صادق؛ لأن من الناس من تكون ابتسامته كاذبة ككذب أعماله وأقواله.

إلى أن قال: كان عادلاً، صادق النية، كان ذكي اللب، شهم الفؤاد، لوذعيّاً؛ كأنما بين جنبيه مصابيح كلِّ ليل بهيم، ممتلئاً نوراً، رجلاً عظيماً بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك.

ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدين أن محمداً لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان.

كلا وأيم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل ابن القفار والفلوات، المتوقد المقلتين، العظيم النفس، المملوء رحمةً وخيراً وحكمة، وحِجًى أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه، وكيف لا، وتلك نفس صامتة كبيرة، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين؛ فبينما ترى آخرين يرضون الاصطلاحات الكاذبة، ويسيرون طبق الاعتبارات الباطلة إذ ترى محمداً لم يرض أن يَتَلَفَّع بمألوف الأكاذيب، ويتوشح بمبتدع الأباطيل.

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبحقائق الأمور والكائنات، لقد كان سرُّ الوجود يسطع لعينيه كما قلت بأهواله، ومخاوفه، وروانقه، ومباهره، ولم يكن هناك من الأباطيل ما يحجب ذلك عنه، فكان لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه: ها أنا ذا، فمثل هذا الإخلاص لا يخلو من معنى إلٰهي مقدس، فإذا تكلم هذا الرجل فكل الآذان برغمها صاغية، وكل القلوب واعية، وكل كلام ما عدا ذلك هباء، وكل قول جفاء.

إلى أن قال: إذاً فلنضرب صفحاً عن مذهب الجائرين أن محمداً كاذب، ونعد موافقتهم عاراً، وسبةً، وسخافةً، وحمقاً؛ فلنربأ بأنفسنا عنه.

إلى أن قال: وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون، وأمسكوه بقلوبهم النارية لجدير أن يكون حقّاً، وجدير أن يُصَدَّق به.

وإنما أودع هذا الدين من القواعد هو الشيء الوحيد الذي للإنسان أن يؤمن به.

وهذا الشيء هو روح جميع الأديان، وروح تلبس أثواباً مختلفة، وأثواباً متعددة، وهي في الحقيقة شيء واحد.

وباتباع هذه الروح يصبح الإنسان إماماً كبيراً جارياً على قواعد الخالق، تابعاً لقوانينه، لا مجادلاً عبثاً أن يقاومها ويدافعها.

لقد جاء الإسلام على تلك الملل الكاذبة، والنحل الباطلة، فابتلعها، وحُقَّ له أن يبتلعها؛ لأنه حقيقة، وما كان يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية، وكل ما لم يكن بحق؛ فإنها حطب ميت.

إلى أن قال: أيزعم الأفَّاكون الجهلة أنه مشعوذ ومحتال؟

كلَّا، ثم كلَّا، ما كان قط ذلك القلب المحتدم الجائش كأنه تَنُّور فِكْر يضور ويتأجج ليكون قلب محتال ومشعوذ، لقد كانت حياته في نظره حقّاً، وهذا الكون حقيقة رائعة كبيرة.

إلى أن قال: مثل هذه الأقوال، وهذه الأفعال ترينا في محمد أخ الإنسانية الرحيم، أخانا جميعاً الرؤوف الشفيق، وابن أُمنا الأولى، وأبينا الأول.

وإنني لأحب محمداً لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القفار رجلاً مستقل الرأي، لا يقول إلا عن نفسه، ولا يدّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبراً، ولكنه لم يكن ذليلاً ضَرِعاً، يخاطب بقوله الحرِّ المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة، وللحياة الآخرة، وكان يعرف لنفسه قدرها.

ولم تخل الحروب الشديدة التي وقعت له مع الأعراب من مشاهد قوة، ولكنها كذلك لم تخل من دلائل رحمة، وكرم، وغفران، وكان محمد لا يعتذر من الأولى، ولا يفتخر بالثانية.

إلى أن قال: وما كان محمد بعابث قط، ولا شابَ شيئاً من قوله شائبةُ

لعبٍ ولهوٍ؛ بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح، ومسألة فناء وبقاء، ولم يكن منه بإزائها إلا الإخلاص الشديد، والجد المرير.

فأما التلاعب بالأقوال، والقضايا المنطقية، والعبث بالحقائق فما كان من شأنه قط، وذلك عندي أفظع الجرائم؛ إذ ليس هو إلا رقدة القلب، ووسن العين عن الحق، وعيشة المرء في مظاهر كاذبة.

وفي الإسلام خَلَّة أراها من أشرف الخلال وأجلها، وهي التسوية بين الناس، وهذا يدل على أصدق النظر، وأصوب الرأي؛ فنفس المؤمن رابطة بجميع دول الأرض، والناس في الإسلام سواء.

إلى أن قال: «وسع نوره الأنحاء، وعمَّ ضوؤه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب، وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند، ورجل في الأندلس، وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة، ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل، والمروءة، والبأس، والنجدة، ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة». اهـ.[(١)]

٢ ـ وهذه شهادة قالها (الكونت هنري دي كاستري) وهو أحد وزراء فرنسا، وأحد حُكام الجزائر السابقين في كتابه «الإسلام» الذي عرَّبه الأستاذ فتحي زغلول باشا يقول الوزير الفرنسي الكونت: «إن أمة العرب قبل النبي كانت وثنية على وجه العموم، وكان مذهب توحيد الإلٰه يخطر في الأذهان رويداً رويداً، وكان المشخصون لهذا الاعتقاد فريقاً يقال لهم الأحناف[(٢)] بقوا على مذهب إبراهيم، وأما المسيحيون فكانوا فرقاً كثيرة كلها تعتقد بمذهب التكثير تعدد الآلهة.

وتلقى محمد مذهب أولئك الأحناف بحالة سطحية، لكن لما كانت نفس ذلك النبي مفطورة على التشبع بالدين تكيف هذا المذهب في وجدانه حتى صار اعتقاداً لم تصل إليه نفسٌ قبله إلا قليلاً، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلاباً كليّاً في النوع البشري.

---

(١) باسلامة، «الإسلام في نظر أعلام الغرب»، د. ط، ص٨٩ ـ ٩٥، والحمد، «محمد رسول الله خلاصة سيرته ومقالات نادرة فيها»، ط١، ص٣٠ ـ ٣٥.

(٢) يقصد بهم: الحنفاء الذين بقوا على الفطرة والتوحيد.

ومن الخطأ أن نبحث عن هذا المبدأ العميم فيضه في غير طريقة الأحناف؛ لأن محمداً ما كان يقرأ ولا يكتب، بل كان كما وصف نفسه مراراً نبيّاً أُميّاً.

وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس؛ لأن حياة الشرقيين كلَّها ظاهرة للعيان، على أن القراءة والكتابة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار؛ فثبت إذن مما تقدم أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه؛ إذ لو فرض وكان القرآن قد نقل بعضاً من الكتب المقدسة الأخرى لبقي الأمر مشكلاً كما كان عليه في معرفة حقيقة ما اختلج بروحه الديني، وكيف وجد فيها ذلك الاعتقاد الثابت بوحدانية الله حتى استولى عليه روحاً وجسماً؟

ولقد نعلم أنه مرَّ بمتاعب كثيرة، وقاسى آلاماً نفسية كبرى قبل أن يُخْبَر برسالته؛ فقد خلقه ذا نفس تمحضت للدين، ومن أجل ذلك احتاج إلى العزلة عن الناس؛ لكي يهرب من عبادة الأوثان، ولكي ينفرد بما نزل فيه من الفكر العظيم وهو وحدانية الله تعالى اعتكف في جبل حراء، وأرخى عنان التفكير يجول في بحار التأملات عابداً مجتهداً.

ولعمري فيم كان يفكر ذلك الرجل الذي بلغ الأربعين وهو في ريعان الذكاء، ومن أولئك الشرقيين الذين امتازوا في العقل بحدة التخيل، وقوة الإدراك، لا بوضع المقدمات، وتعليق النتائج عليها ما كان إلا أن يقول مراراً، ويعيد تكراراً هذه الكلمات: الله أحد، الله أحد، كلمات رددها المسلمون أجمعون من بعده، وغاب عنا معشر المسيحيين مغزاها؛ لبعدنا عن فكرة التوحيد.

ولم يزل عقله مشتغلاً حتى ظهر هذا الفكر في كلامه على صور مختلفة جاءت في القرآن: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

وكانت مترادفات اللغة العربية تساعده بمعانيها الرقيقة على ترداد ذلك الفكر السامي الذي دلَّ عليه، ومن تلك الأفكار وتلك العبادة تولدت كلمة الإسلام:

لا إلٰه إلا الله، ذلك هو أصل الاعتقاد بإلٰه فرد، وربّ صمد، منزه عن النقائص، وهو اعتقاد قوي يؤمن به المسلمون على الدوام، ويمتازون به على غيرهم من القبائل والشعوب، أولئك حقّاً هم المؤمنون كما يسمون أنفسهم، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته، وهو ذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته، وأمانته في نبوته.

ثم تكلم عن الوحي، ومعجزات القرآن في بلاغته ومعانيه واعتراف فصحاء العرب بإعجازه، وذكر منهم عتبة بن ربيعة، وذكر مسيلمة الكذاب، وأثبت بطلان ادعائه.

ثم قال: ولو قال قائل: إن القرآن ليس كلام الله، بل كلام محمد فلا بد لنا على الحالين من الاعتراف بأن تلك الآيات البينات لا تصدر عن مبتدع أبداً، خلافاً لرأي من ذهب إلى تكذيب نبوته، ولعلَّ رأيهم جاء من ضيق اللغة التي تلجئنا إلى أن نرمي بالكذب نبيّاً هو في الحقيقة شخصٌ مليءٌ أمانةً وصدقاً.

إلى أن قال: إذاً ليس محمد من المبتدعين، ولا من المنتحلين كتابهم، وليس هو نبي سلاب كما يقول موسيو (سايوس) ولا نسلم بإنكار هذه الحقيقة، وحينئذٍ لا عجب إذا تشابهت تلك الكتب في بعض المواضيع خصوصاً إذا لاحظنا أن القرآن جاء ليتممها، كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

ثم قال: ولكن الأمر الذي تهم معرفته هو أن القرآن آخر كتاب سماوي ينزل للناس، وصاحبه خاتم الرسل؛ فلا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ ولن تجد بعده لكلمات الله تبديلاً.

وقال بعد أن أطال البحث في تحليل ما تقدم، وردَّ على المتطرفين من المستشرقين فرياتهم على نبي الإسلام: «وبالجملة فإن الإسلام ما دخل بلداً إلا وصار ذا المقام الأول بين الديانات المسيحية من غير أن يتعرض لمحوها، وعلى هذا يتحقق أن الدين الإسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة، بل الأقرب للصواب أن يقال: إن كثرة مسالمة المسلمين، ولين جانبهم كان سبباً في سقوط الممالك الغربية».

إلى أن قال: إن ديانة القرآن تمكّنت من قلوب جميع الأمم اليهودية،

والمسيحية، والوثنية في أفريقيا الشمالية، وفي قسم عظيم من آسيا؛ حتى إنه وجد في بلاد الأندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حبّاً في الإسلام كل هذا بغير إكراه.

هذه نبذة وجيزة من نظرية الكونت هنري دي كاستري الوزير الفرنساوي من كتابه (الإسلام) وهذا الكتاب يحتوي على مواضع شتى دحض بها مفتريات القسس، والمبشرين، وبعض المستشرقين المتطرفين الذين لا يقيمون للإنصاف وزناً، وكل ما أذاعوه من التشنيع على الإسلام، وكتابه ونبيّه مع أنه قد صرح أنه مسيحي المذهب، ولكن الذي دفعه إلى ذلك هو:

أولاً: حرية الرأي، والإنصاف في القول الحق، وإن كان ذلك ضد مذهبه.

ثانياً: أراد أن يطلع الأمة الفرنساوية على حقيقة الدين الإسلامي؛ لتكون على بيِّنة من أمرها، ولا تغتر بفريات المبشرين الذين يستنزفون أموال أمتهم باسم التبشير لدينهم دون جدوى ولا طائل تحته غير تضحية الأموال الضخمة في سبيل شهوات القسس، وغطرستهم التي لا حد لها[(١)].

٣ ـ وهذه شهادة للأستاذ الموسيو (سيديو) الفرنساوي أحد أعلام الإفرنج، وأحد وزراء فرنسا السابقين في كتابه «خلاصة تاريخ العرب» تعريب: علي باشا مبارك في المقدمة بعد ذكره لفضل الأمة العربية فقال: «ثم أتى النبي ﷺ فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب، ووجَّه أفكارها إلى مقصدٍ واحد؛ فعلا شأنها حتى امتدت سلطتها من نهر التاج المار بأسبانيا، وبرتغال إلى نهر الكنج وهو أعظم أنهار الهند وانتشر نور العلوم والتمدن بالشرق والغرب، وأهل أوروبا إذ ذاك في ظلمة جهل القرون المتوسطة، وكأنهم نسوا نسياناً كليّاً ما وصل إليهم من أحاديث اليونان والرومان.

واجتهد العباسيون ببغداد، والأمويون بقرطبة، والفاطميون بالقاهرة في تقدم الفنون، ثم تمزقت ممالكهم، وفقدوا شوكتهم السياسية؛ فاقتصروا على السلطة الدينية التي استمرت لهم في سائر أرجاء ممالكهم، وكان لديهم من المعلومات،

(١) باسلامة، «الإسلام في نظر أعلام الغرب»، د. ط، ص٢٥ ـ ٢٨.

والصنائع، والاستكشافات ما استفاده منهم نصارى أسبانيا حين طردوهم منها، كما أن الأتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم»[(١)].

٤ ـ وقال الأستاذ المستشرق (دوزي): «لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبيٌّ منافقٌ كذاب؛ فكيف نعلل انتصاره؟ وما بال فتوحات أتباعه تترى، ويتلو أحدها الآخر؟ وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد؟ وكيف لا يدلُّ ذلك على معجزة هذا الرسول؟

ولقد كانوا يعتقدون أول أمرهم أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة؛ فقد طالما سمعوا عن معجزات الكنيسة التي كانت تحدث لأقل مناسبة، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد المسيحية من غزوات المسلمين، ولكن انتظارهم تلك المعجزات قد طال، وذهب صبرهم أدراج الرياح، وعبثاً حاولوا وقوع هذه المعجزة.

وأعجب من ذلك أن المعجزة إن لم نقل معجزات قد حدثت حقّاً في ذلك العصر، وكانت معجزات أعظم مما كان يتوهمه القديسون أنفسهم، وأي معجزة أروع وأعجب من أن نرى شعباً كان إلى زمنٍ قليلٍ في غيابة من الخمول، ثم ظهر إلى الدنيا فجأة، وظل يتقدم بسرعة لا مثل لها، وهو يغزو الأرجاء الفسيحة، وينتصر على قطر بعد قطر؛ فَتَدِيْنُ له البلاد بالطاعة والولاء، وتقبل على دينه من كل حدبٍ وصوب راضية غير مكرهة؟

ولو أننا عزونا إقبال المسيحيين على الإسلام إلى الفائدة الشخصية، أو الرغبة في التخلص من الذل والضعة فنحن جديرون أن نقرر أن من الثابت المحقق أن كثيراً من المسيحيين دانوا بالإسلام عن عقيدة وإيمان». اهـ.[(٢)].

٥ ـ وهذه مقولة لشاعر فرنسا (لامارتين):

يقول الأستاذ محمد كرد علي في كتابه «المذكرات»: «وآخر ما قرأناه في سيرة النبي العربي، وتحليل عمله العظيم، ما قاله شاعر فرنسا العظيم (لامارتين) قال: لم يقصد رجل قط مختاراً أو غير مختار إلى غاية أسمى؛ لأن تلك الغاية

---

(١) باسلامة، «الإسلام في نظر أعلام الغرب»، ص٢٩.

(٢) «الإسلام في نظر أعلام الغرب»، د. ط، ص٤٠ ـ ٤١.

كانت فوق طاقة البشر، وهي القضاء على ما دخل من الخرافات بين الخالق والمخلوق؛ ليجعل الله للعبد والعبد لله، وأن يعدّل فكرة الألوهية المعقولة في الوثنية المادية المشوهة.

وما عهد قط رجل مثله قام في وقتٍ قصيرٍ بثورةٍ عظيمةٍ مستديمةٍ في العالم؛ لأن الإسلام بعد أقل من قرنين من انتشاره بالدعاة والقوة عم الأقطار العربية الثلاثة، ودعا إلى الله الواحد الأحد في فارس، وخراسان، وما وراء النهر، والهند الغربية، والشام، ومصر، والحبشة، وجميع الأقطار المعروفة من شمالي إفريقية، وعدة أجزاء من البحر المتوسط، وأسبانيا، وشطر من غاليا (فرنسا).

فإذا كانت عظمة الغاية، وقلة الوسائط، ووفرة النتيجة هي الأسباب الثلاثة التي تبين عن نبوغ المرء فمن يجرؤ أن يُشَبِّهَ بمحمد رجلاً عظيماً من رجال التاريخ الحديث؛ فإن من اشتهر منهم لم يُجَيِّش إلا جيوشاً، ولم يسن إلا قوانين، ولم يؤسس إلا ممالك، فلم يُنْشِؤا فيما أنشأوا إلا دولاً عادية كان حظها أن تداعت أركانها بعدهم.

أما ذاك الرجل فأباد جيوشاً، ووضع شرائع، وأسس ممالك، وأَلَّف بين شعوب، وأقام دولاً، وضم شمل ملايين من البشر في ثلث العالم المعمور، وزاد على ذلك أن بدل أفكاراً، ومعتقداتٍ، وأرواحاً، وأتى بكتابٍ أصبح كل حرف من حروفه شريعة قومية روحية سرت إلى شعوب من جميع اللغات والعناصر، وطبع هذه الجنسية الإسلامية بطابعٍ ثابت، وقضى على الأرباب المصنوعة، ودعا إلى الاعتقاد بالله الواحد الأحد.

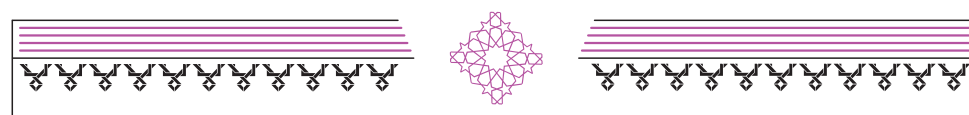
ومن يكون أكثر عظمة إذا قيست العظمة البشرية بكل مظاهرها بعظمة محمد الحكيم الخطيب الداعية المشرع المحارب المبدع في أفكاره، ومؤسس التعاليم القائمة على العقل، وعلى عبادة لا صور فيها، ومنشئ عشرين مملكة أرضية، ومملكة روحية واحدة»[(١)].

هذا نزر يسير مما ورد في هذا السياق، والشهادات فيه لا تكاد تحصى كثرةً[(٢)].

---

(١) كرد، «المذكرات»، د. ط، ٤/ ١٣١٥ ـ ١٣١٦.

(٢) الملا، «أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية»، ط٢، ص١٠٣ ـ ١٠٦.



المبحث الثاني

منهجية التعريف بالإنسان

١ ـ قصة خلق الإنسان:

ترجع حقيقة الإنسان إلى أصلين:

الأصل البعيد: وهو الخِلقة الأولى من طين حين سوَّاه الله تعالى ونفخ فيه من روحه.

والأصل الثاني القريب: وهو خلقه من نطفة، وقد بيَّن الله تبارك وتعالى هذين الأصلين في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩].

وأوضح الله سبحانه وتعالى لنا كيف خلق آدم فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٣١].

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان الأول (آدم) فأوجده بعد أن لم يكن موجوداً؛ أي: أنه أصبح «شيئاً» بعد أن لم يكن «شيئاً» موجوداً.. وإنما كان وجوده فقط في العلم الإلٰهي.. وهذا معنى الآية الكريمة: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾ [مريم: ٦٧].

وأما مراحل خلق الله سبحانه وتعالى لآدم.. فلقد بدأت من (التراب) الذي أضيف إليه (الماء) فصار (طيناً) ثم تحول هذا الطين إلى (حمأ)؛ أي: أسود منتن؛ لأنه تغير ـ والمتغير هو (المسنون) ـ فلما يبس هذا الطين ـ من غير أن تمسه النار ـ سُمِّي (صلصالاً) ـ لأن الصلصال هو الطين اليابس ـ من غير أن تمسه نار ـ

وسُمِّي صلصالاً لأنه يصل؛ أي: له صوت ورنين، وبعد مراحل الخلق هذه ـ التراب، فالماء، فالطين، فالحمأ المسنون، فالصلصال ـ، نفخ الله ﷻ في مادة الخلق هذه من روحه؛ فغدا هذا المخلوق «إنساناً» هو آدم عليه السلام[(١)].

فالإنسان مخلوق من طين، ثم من دم ولحم، وأنه تبعاً لذلك مجبولٌ على الشهوات والدوافع الغريزية وما يتفرع عنها من الجهل، وسفك الدماء، والإفساد، والخسران، والهلع، والجزع، والطمع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى: ١٦].

لقد كان خَلْق الله لآدم عليه السلام في أحسن تَقويم، وأمْره ﷻ الملائكة بالسُّجود له، ثم إسكانه وزَوجه الجنّة، واستخلافه في الأرض بعد ذلك، وهو الشَّرارة الأولى التي أشعلت نيران الحِقد والغِلّ في قلب إبليس اللّعين، حيث اعترض على خَلق آدم، وامتنع عن أمْر السجود له، لاعتقاده الخاطِئ أنه في مَنزلة أعلى منه خَلْقاً، وأفضل عُنصراً، ولقد ذَكَر القرآن الكريم هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١١، ١٢].

والله ﷻ خلق آدم خلقاً مستقلّاً سويّاً متكاملاً، ثم نفخ فيه من روحه، وأسكنه جنته، وأباح له أن يأكل هو وزوجه منها كيف يشاء إلا شجرة واحدة، فأغراه عدوه إبليس بالأكل من الشجرة، فأطاع عدوه، وعصى ربه فأهبطه الله من الجنة إلى الأرض، وقبل الهبوط وعده الله سبحانه بأن ينزل عليه وعلى ذريته هداه كي يعرّف الإنسان بربه ومنهجه وتشريعه ووعد المستجيبين بالهداية في الدنيا

(١) عمارة، «شبهات حول القرآن»، د. ط، ص٢.

والسعادة في الآخرة، وتوعد الله المستكبرين بالمعيشة الضنكة في الدنيا وبالشقاء في الآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٨، ٣٩]. وفي سورة طه يقول سبحانه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦][(١)].

ونصَّ القرآن الكريم على أن أصل البشرية من آدم، وأن حواء خلقت منه، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء: ١].

وأُدخلا الجنة آدم وزوجه، وبيَّن القرآن الكريم أنهما في النعيم سواء وعندما وسوس لهما الشيطان أخرجا من الجنة سويّاً، حيث قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦][(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩ ـ ٢٢].

والآيات دالَّة على أن آدم وحواء متساويان عند الله في التكليف وكذلك في الأجر وإن اختلفا في بعض الأحكام، تبعاً لطبيعة كلٍّ منهما.

---

(١) الصَّلاَّبي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ص٢٠٢.
(٢) إمام، «صلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ»، ط١، ١/٣٩٩.

إن إدراك الداعية لهذا البيان يجعله حاضر الذهن عند نقاشه ودعوته لمدعي نظرية التطور.

٢ ـ البعث والنشور:

تمثِّل قضية البعث والنشور للمعرّف بالإسلام ركيزة هامة في إثبات وجود الآخرة، وحسابها ومن ثم وجود إلٰه خالق، سيحاسب الناس في يوم البعث والنشور، ونظراً لأهمية البعث والنشور كقضية وأهمية توضيحها للمدعوين وخاصة أهل الإلحاد منهم، فإن القران الكريم اهتم بتلك القضية وعرضها في غير ما موضع وفق منهجية واضحة، ومحددة، يمكن للداعية أن يطبقها في دعوته للمدعوين، ومن ثم يعرض تلك القضية وفق المنهج الرباني الذي حدده الله تبارك وتعالى في قرآنه المجيد.

ولقد سلك القرآن الكريم في إثبات المعاد والحياة الثانية مسالك متعددة، هي غاية في الوضوح والسهولة منها: أن الشيء إذا لم يكن ثم كان وأعدم كانت إعادته أيسر وأهون على من بدأه أول مرة ثم أعدمه وأفناه، فالذي بنى داراً ثم هدمها، لا يستحيل عليه ولا في حقه إعادة بنائها كما كانت أو خيراً ممّا كانت، والذي يصنع آلة من الآلات مخترعاً لها لا يستصعب عليها أن يعيدها كما كانت، إذا هو كسرها بإرادته وباختياره ليحولها إلى آلة أفضل منها قبل، وقد ورد هذا المسلك من الاستدلال في سورة الروم، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

ومن مسالك القرآن الكريم في إقامة الأدلة على البعث والنشور: استدلاله بنوم الإنسان، والحيوان واستيقاظهما، فالنوم يُعتبر موتاً مصغراً، والاستيقاظ يُعتبر حياة مصغرة أيضاً، فكما تتم عملية النوم للإنسان، والحيوان وعملية الاستيقاظ لهما، تتم أيضاً عملية الموت والحياة الكاملة لهم، جاء هذا الاستدلال في قول الله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

[الأنعام: ٦٠]، فتأملوا هذه الآية حينما ذكر وفاتنا بالليل، وأنه يعلم ما كسبنا في النهار، أشار ربُّ العزة والجلال إلى أنه كما يُنيمنا بالليل، ويبعثنا في النهار؛ يُرجعنا إليه ﷻ وهذا دليلٌ واضحٌ.

وفي يوم القيامة يوقف هؤلاء الكافرون المكذبون بالبعث والنشور على نار جهنم، ويقال لهم على سبيل التقريع والتأنيب: أليس هذا الذي ترونه، من بعثٍ وحشرٍ وحسابٍ وجزاءٍ على الأعمال، ونار وقودها الناس والحجارة، حقّاً؟! وكنتم تكذبون به في الحياة الدنيا؟ فيقولون: بلى وربنا إنه لحق. فيقال لهم: ذوقوا الآن العذاب في نار جهنم، جزاء لكم على كفركم، وتكذيبكم بالحق[(١)].

والذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

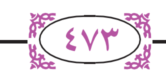
وهم القائلون فيما حكاه الله عنهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [النمل: ٦٧، ٦٨].

وهؤلاء يدّعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يدّعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء، ومن هؤلاء طائفة من اليهود يسمون بالصادقيين، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى، وهم يكذبون بالبعث والنشور والجنة والنار[(٢)].

ومن تبيين الحقائق قوله تعالى ردّاً على منكري البعث والنشور: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ

(١) حومد، «أيسر التفاسير»، د. ط، ص٤٤٢٣.

(٢) الصَّلَّابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ص٢٧٩.



ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٣][1].

وقد تولى القرآن إثبات معقولية البعث والنشور، وردَّ بالبرهان على مكذبي البعث الذين ضعف تصورهم لقدرة الله العظيمة، فتساءلوا مستنكرين: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ [الإسراء: ٤٩ ـ ٥١].

وضرب الله لهؤلاء المنكرين الأمثالَ العقلية التي تقرِّب فكرة البعث إلى أذهانهم، فقال جلَّ ذكره: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٧٨ ـ ٨٣].

والقيامة تشمل جميع البشر، مؤمنهم وكافرهم: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧]، فلا مناص من ذلك اليوم ولا مهرب، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].

والقيامة تقوم في زمنٍ لا يعلم موعده إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

فإذا أَذِن الله بانتهاء الدنيا وانصرامها، تنحلُّ ـ بأمر الله ـ سنن الكون ويختل نظامه وترابطه وتقوم الساعة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨][2].

وبناءً على ما سبق؛ فعلى الداعية حين يعرض على المدعوين قضية البعث والنشور يجب أن يلتزم الحيدة في العرض، وأن يحترم عقول المدعوين في عرض

---

(١) رفاعي، «صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم»، ط١، ص٢٦٦.

(٢) السقار، «تعرف على الإسلام»، د. ط، ص٦٦ ـ ٧٦.

القضية وفق تسلسلٍ عقلانيٍّ مقبول قائم على الحجة والبيان مستشهداً بأمثلة من الحياة اليومية التي يعيشها ويعرفها المدعوين، وكذلك إثبات معقولية وعدالة الحدث، وأن يوضح أنه من غير المعقول أن يتساوى الشخص الصالح المصلح للمجتمع، والشخص الفاسد المفسد للمجتمع، فتنتهي حياة كلّ منها بالموت دون بعث، ونشور، وحساب؛ لأن هذا الكون القائم على دقة التكوين ودقة الحركة له ربٌّ مدبرٌ سيحاسب مخلوقاته عما فعلوه في حياتهم.

٣ ـ الأخلاق:

الأخلاق: جمع: خُلُق، والخُلُقُ، والخُلْقُ: الطبيعة والسجية، وتجمع على أخلاق.

قال ابن منظور: «وفي التنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].
والجمع: أخلاق، لا يُكَسَّر[(١)] على غير ذلك، والخُلْقُ والخُلُقُ السجية»[(٢)].

وقال: «الخُلق بضم اللام وسكونها، وهو: الدين، والطبع، والسجية»[(٣)].

وقال الجاحظ: «الخلق: هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار.

والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلّا بالرياضة والاجتهاد»[(٤)].

وحُسْن الخلق: مركّب من كلمتين، كلمة حسن، وكلمة الخلق، وأما كلمة الخلق فقد مضى تعريفها، وأما كلمة حُسْن فقد قال: ابن منظور: «الحُسْنُ ضد القبح ونقيضه»[(٥)].

---

(١) لا يكسر: أي: لا يجمع جمع تكسير.
(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٠/٨٦ ـ ٨٧، ابن فارس، «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٢/٢١٣ ـ ٢١٤.
(٣) «لسان العرب»، ١٠/٨٦.
(٤) الجاحظ، «تهذيب الأخلاق»، ط١، ص١٢.
(٥) «لسان العرب»، ط٣، ١٣/١١٤.

وقال عن الأزهري: «الحسن نعت لما حسن»[(١)].

وقال عن الجوهري: «والجمع محاسن على غير قياس، كأنه جمع محسن»[(٢)].

وقال: «والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ»[(٣)].

فهذا هو معنى كلمة حسن.

وأما حُسْن الخلق باعتبار تركيبه؛ فقد عُرِّف بتعريفاتٍ عديدةٍ متقاربة، ويمكن أن يُعَرَّف، فيقال: هو التحلي بالفضائل والمكارم؛ كطلاقة الوجه، ولين الجانب، وطيب الكلام، وكرم النفس، وكف الأذى، وبذل الندى، وسلامة الصدر، والحلم، والصبر، والعفو، والشجاعة، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق مع البعد عما يضاد ما ذُكر.

فهذا من أيسر ما يوضحُ معنى حسن الخلق.

قال النبي ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام، والإكرام، والدعاء له، والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له. وتعطي من حرمك من التعليم، والمنفعة والمال، وتعفو عمَّن ظلمك في دم، أو مال، أو عرض. وبعض هذا واجب، وبعضه مستحب»[(٥)].

قال الله ﷻ في وصف نبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ١٣/ ١١٤. (٢) «لسان العرب»، ١٣/ ١١٤.
(٣) «لسان العرب»، ١٣/ ١١٦.
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ٣٥/ ٢٨٤، حديث رقم (٢١٣٥٤)، قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.
(٥) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ١٠/ ٦٥٨.

فسبحانه ما أعظم شأنه، وأتم امتنانه، انظر إلى عظيم فضله، وعميم لطفه؛ كيف أعطى ثم أثنى؟![1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما الخلق العظيم الذي وَصَف اللهُ به محمداً «فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً»، هكذا قال مجاهد، وغيره.

وهو تأويل القرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»[2].

وحقيقته: المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله تعالى بطيب نفس، وانشراح صدر»[3].

وقال ابن القيم في تفسير الآية السابقة: «قال ابن عباس ومجاهد: لعلى دين عظيم، لا دين أحبَّ إليَّ، ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام.

وقال الحسن: هو آداب القرآن.

وقال قتادة: هو ما كان يأمر به من أمر الله، وينهى عنه من نهي الله.

والمعنى: أنك على الخلق الذي آثرك الله به في القرآن»[4].

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: «اعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن: هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجود، والحياء، والشجاعة، وحسن السمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة، والمعاشرة.

والأخلاق كامنة في النفس، ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطعامه، وشرابه، وتأديب أهله ومَنْ لِنَظره، وما يترتب على ذلك من حرمته عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة.

---

(١) الغزالي، «إحياء علوم الدين»، د. ط، ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨.
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ١/٥١٢، حديث رقم (٧٤٦).
(٣) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ١٠/٦٥٨.
(٤) ابن القيِّم، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، ط٣، ٢/٢٨٩.

وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ ففي ذلك كله، وفي سياسته أُمَّتَه، وفيما خُصَّ به من فصاحة كلامه، وجوامع كلمه»[(١)].

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بما يبيِّن أن لحسن الخلق فضائل عظيمة تنتظم خيري الدنيا، والآخرة، **ومن ذلك ما يلي:**

١ ـ أنه امتثال لأمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢ ـ أنه طاعة للرسول ﷺ؛ فلقد أمر بحسن الخلق بأحاديث كثيرة، ومنه الحديث الذي بين أيدينا حديث معاذ رضي الله عنه، وفيه: «**وخالق الناس بخلقٍ حسن**».

٣ ـ أنه اقتداء بالنبي ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٤ ـ رفعة الدرجات، قال النبي ﷺ: «**إن العبد لَيَبْلُغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»[(٢)].

٥ ـ أنه أعظم ما يدخل الجنة، قال النبي ﷺ: «**أعظم ما يدخل الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق**»[(٣)].

٦ ـ القرب من مجلس النبي ﷺ يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام: «**إن من أَحَبِّكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً**»[(٤)].

٧ ـ نيل محبه الله ﷻ؛ فعن أسامة بن شريك، قال: كنا جلوساً عند

---

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٢٩/٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ٤/٢٥٢، حديث رقم (٤٧٩٨)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، ١/١٢٨، حديث رقم (٢٠٠)، وقال الحاكم: على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ٣/٤٣١، حديث رقم (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «سننه»، أبواب الزهد، باب ذكر التوبة، ٥/٣١٨، حديث رقم (٤٢٤٦)، وابن حبان في «صحيحه»، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من أكثر ما يدخل الناس الجنة التقى وحسن الخلق، ٢/٢٢٤، حديث رقم (٤٧٦)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ٣/٤٣٨، حديث رقم (٢٠١٨)، وقال: حديث حسن غريب.

النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا مُتَكَلِّم إذا جاءه أناسٌ فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «**أحسنهم خلاقاً**»(١).

٨ ـ حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من شيءٍ أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق**»(٢).

٩ ـ زيادة الأعمار، وعمارة الديار، قال ﷺ: «**حسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**»(٣).

١٠ ـ كسب القلوب، وتيسير الأمور، والسلامة من شر الخلق.

١١ ـ حسن الخلق مدعاة للذكر الحسن، وزيادة العلم.

١٢ ـ حسن الخلق سبب لراحة البال، وطيب العيش، والسلامة من مضار العيش والعجلة(٤).

سادساً: هل يمكن اكتساب الأخلاق الحسنة أو لا يمكن؟

الجواب عن ذلك أن يقال: إن الأخلاق، والطباع كما أنها غريزية، فطرية، جِبِلِّيَّة هي كذلك اكتسابية تخلُّقيّة تتأتّى بالدَّرَبة، والمجاهدة، والأخذ بالأسباب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس: ٩].

وقال النبي ﷺ: «**إنما العلم بالتعلُّم، إنما الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير**

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، باب الألف، باب ما جاء في التداوي وترك الغيبة وحسن الخلق، ١/ ١٧٩، حديث رقم (٤٧١)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، «مجمع الزوائد»، د. ط، ٨/ ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، باب حسن الخلق، ١/ ١٠٣، حديث رقم (٢٧٠)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ٤/ ٢٥٣، حديث رقم (٤٧٩٩)، والترمذي في «سننه»، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ٣/ ٤٣١، حديث رقم (٢٠٠٣) وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند النساء، مسند الصدِّيقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، ٤٢/ ١٥٣، حديث رقم (٢٥٢٥٩)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) تفاصيل ذلك في: الحمد، سوء الخلق مظاهره أسبابه علاجه، د. ط، ص٦٠ ـ ٨١.

يعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقَّه»[١].

وقال ﷺ: **«وخالق الناس بخلق حسن»**.

فهذه النصوص وغيرها كثير؛ تدلُّ على أن تغيير الطباع والأخلاق وارد ممكن؛ فليس متعذِّراً، ولا مستحيلاً، خلافاً لمن يرى أنها ثابتة في الإنسان لا يمكن أن تتغير؛ بحجة أنها غرائز فُطِر عليها، وطباع جُبِل على التحلي بها؛ فلا يمكنه تغييرها، ولا يتصور فكاكه عنها.

ولو كانت الأخلاق لا تتغير؛ لبطلت الوصايا، والمواعظ، والتأديبات، ولكان الأمر بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل؛ من التكليف بما لا يطاق، ولا يقول بهذا عاقل.

وأما إذا جُبِل المرء على مكارم الأخلاق، ثم سقاها بماء المكرمات، وأدَّبها بآداب الشريعة الغراء، ونمَّاها بالممارسة، والمران؛ فذاك نورٌ على نور، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٢].

٤ ـ البر وآثاره العميقة:

أولاً: مفهوم البر: البر من الألفاظ الشرعية العظيمة التي ترد كثيراً في القرآن والسُّنَّة.

وهو لفظ يحمل في طياته معاني جامعة، وآثاراً عميقة، تدور حول كل خير وفلاح ديني، أو دنيوي.

ولهذا تنوعت عبارات العلماء وأقوالهم في تفسير معنى البر، فقال بعضهم: البر: الصلاح.

وقال بعضهم: الخير.

(١) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى»، باب فضل العلم، ١/ ٢٧٠، حديث رقم (٣٨٥) وقال الألباني في الصحيحة (٣٤٢): إسناده حسن، أو قريب من الحسن.

(٢) انظر: الغزالي، «إحياء علوم الدين»، د. ط، ٣/ ٥٥ ـ ٥٦، والقاسمي، «جوامع الآداب»، د. ط، ص٤.

وقال الزجاج: قال بعضهم: كل ما تُقُرِّب به إلى الله ﷻ من عمل الخير.

وقال أبو منصور: البر: خير الدنيا والآخرة؛ فخير الدنيا: ما ييسره الله للعبد من الهدى والنعمة والخيرات.

وخير الآخرة: الفوز بالنعيم الدائم في الجنة[1].

ومن أحسن من عرَّف البرَّ الشيخُ عبدُ الرحمٰنِ السعديُّ رحمه الله حيث قال: «البر اسمٌ جامعٌ يدخل فيه العقائدُ الإيمانية، وأعمالُ القلوب، وأعمال الجوارح، ويدخل فيه جميع المأمورات، وترك المنهيات»[2].

وهذا التعريف الجامع يغني عن كثيرٍ من الكلام في مفهوم البر.

ثانياً: ورود البر في القرآن الكريم: ورد لفظ البر في القرآن الكريم كثيراً؛ وجاء على تصاريف مختلفة، وفي سياقات متنوعة، **فمن ذلك**:

١ ـ أنه جاء بمعنى الصلة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨].

٢ ـ وجاء بمعنى الطاعة، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤].

وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: ٣٢].

٣ ـ وجاء بمعنى فعل الطاعات، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

فالبر إذا جُمِعَ بينه وبين التقوى صار البرُّ اسماً لفعل الطاعات، والتقوى اسماً لترك المناهي.

٤ ـ أنه جاء بمعنى التقوى، فعند الإطلاق يأتي البر بمعنى التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٤/٥١، ابن موسى، «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم»، د. ط، ص٢١٥.

(٢) السعدي، «المجموعة الكاملة» (المجموعة الخامسة)، د. ط، ١/٥٢٩.

وقوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤][(١)].

ثالثاً: البر في السُّنَّة النبوية: ورد ذكر البر في السُّنَّة النبوية كثيراً، ومعاني البر في السُّنَّة هي نفس معانيه الآنفة الذكر، وربما فُسِّرَ البر في السُّنَّة بمعانٍ أخرى غير ما ذكر؛ حيث فُسِّر بحسن الخلق، وفُسِّر بطمأنينة النفس، وفسِّر بغير ذلك.

ومما ورد في هذا الشأن ما جاء في «صحيح مسلم» عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»[(٢)].

وعن وابصة بن معبد، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «**جئت تسأل عن البر والإثم؟**» قلت: نعم.

قال: «**استفت قلبك؛ البرُّ ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**»[(٣)].

قال ابن رجب في شرح الحديثين السابقين: «وإنما اختلف تفسيره للبر؛ لأن البر يطلق **باعتبارين مُعَيَّنَيْنِ**:

أحدهما: باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم، وربما خُصَّ بالإحسان إلى

---

(١) انظر: ابن موسى، «الوجوه والنظائر»، د. ط، ص٤٢٩، والدامغاني، «الوجوه والنظائر»، د. ط، ص٦٧، وابن الجوزي، «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، ط١، ١/ ٩٥، والقرعاوي، «الوجوه والنظائر»، د. ط، ص٢١٥ ـ ٢١٧، والسعدي، «المجموعة الكاملة» (المجموعة الخامسة)، د. ط، ١/ ٥٢٩.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب «البر والصلة والآداب»، باب تفسير البر والإثم، ٤/ ١٩٨٠، حديث رقم (٢٥٥٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، «مسند الشاميين»، حديث وابصة بن معبد الأسدي نزل الرقة، ٢٩/ ٥٢٣، حديث رقم (١٨٠٠٦)، والدارمي في «سننه»، ومن كتاب البيوع، باب: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، ٣/ ١٦٤٩، حديث رقم (٢٥٧٥)، وأبو يعلى في «مسنده»، مسند وابصة بن معبد، ٣/ ١٦٠، حديث رقم (١٥٨٦)، وحسنه النووي في الأربعين (٢٧).

الوالدين، فيقال: برُّ الوالدين، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً، وقد صنَّف ابنُ المبارك كتاباً سماه «كتاب البرِّ والصلة»، وكذلك في «صحيح البخاري» و«جامع الترمذي»: كتاب «البر والصلة»، ويتضمن هذا الكتاب الإحسان إلى الخلق عموماً، ويقدَّم فيه برُّ الوالدين على غيرهما.

وفي حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده؛ أنَّه قال: يا رسول الله مَنْ أبرُّ؟ قالَ: «**أمك**»، قالَ: ثُمَّ من؟ قال: «**ثم أباك**»، قال: ثم من؟ قالَ: «**ثُمَّ الأقرب فالأقرب**»[(١)].

ومن هذا المعنى، قول النَّبيِّ ﷺ: «**الحجُّ المبرور ليس لهُ جزاءٌ إلَّا الجنَّة**»[(٢)]. وفي «المسند»؛ أنَّه ﷺ سُئِلَ عن برِّ الحجِّ، فقال: «**إطعامُ الطَّعام، وإفشاءُ السلام**»[(٣)]، وفي روايةٍ أخرى: «**وطيبُ الكلام**»[(٤)].

وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما، يقول: «البرُّ شيءٌ هيِّنٌ: وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّنٌ»[(٥)].

وإذا قرن البرُّ بالتَّقوى، كما في قوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

فقد يكون المرادُ بالبرِّ: معاملةَ الخلق بالإحسّان، وبالتَّقوى: معاملة الحقِّ بفعل طاعته، واجتناب محرَّماته.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند البصريين، حديث بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده، ٣٣/٢٣، حديث رقم (٢٠٠٢٨)، والبخاري في «الأدب المفرد»، باب بر الأم، ١/٤، حديث رقم (٣)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين، ٤/٣٣٦، حديث رقم (٥١٣٩)، والترمذي في «سننه»، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في بر الوالدين، ٣/٣٧٣، حديث رقم (١٨٩٧). وقال الترمذي: وهذا حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، ٣/٢، حديث رقم (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ٢/٩٨٣، حديث رقم (١٣٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، ٢٢/٩، حديث رقم (١٤١١٢). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، باب الميم، من اسمه محمد، ٦/٣٦٢، حديث رقم (٦٦١٨)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب الصوم، باب أول كتاب المناسك، ١/٦٥٨، حديث رقم (١٧٧٨). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) الخرائطي، «مكارم الأخلاق»، ط١، ص٦٤.

وقد يكونُ أُريد بالبرِّ: فعل الواجبات، وبالتقوى: اجتناب المحرَّمات، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

قد يُراد بالإثم: المعاصي، وبالعدوان: ظُلم الخلق، وقد يُراد بالإثم: ما هو محرَّم في نفسه كالزِّنى، والسرقة، وشُرب الخمر، وبالعُدوان: تجاوز ما أُذن فيه إلى ما نُهي عنه ممَّا جنسُه مأذونٌ فيه؛ كقتل مَن أُبيح قتلُه لِقِصاصٍ، ومن لا يُباح، وأخذُ زيادة على الواجب من الناس في الزكاة ونحوها، ومجاوزة الجلد في الذي أمر به في الحدود ونحو ذلك[(١)].

ثم بيَّن ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعنى الثاني فقال: «والمعنى الثاني من معنى البرِّ: أنْ يُراد به فعلُ جميع الطاعات الظاهرة والباطنة؛ كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد رُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ: (سئل عن الإيمان، فتلا هذه الآية)»[(٢)].

فالبرُّ بهذا المعنى يدخل فيه جميعُ الطاعات الباطنة؛ كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والطاعات الظاهرة؛ كإنفاق الأموال فيما يحبُّه الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزّكاة، والوفاء بالعهد، والصَّبرِ على الأقدار؛ كالمرض والفقر، وعلى الطَّاعات؛ كالصَّبر عِند لقاءِ العدوِّ»[(٣)].

ويواصل ابن رجب بيانه لمعنى البر فيقول: «وقد يكون جوابُ النَّبيِّ ﷺ في حديث النوَّاس شاملاً لهذه الخصال كلِّها؛ لأنَّ حُسنَ الخُلق قد يُراد به التخلُّقُ بأخلاق الشريعة، والتأدُّبُ بآداب الله التي أدَّبَ بها عبادَه في كتابه، كما قال تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

---

(١) ابن رجب، «جامع العلوم والحكم»، ط٧، ٢/ ٩٧ ـ ٩٨.
(٢) ابن رجب، «روائع التفسير»، ط١، ١/ ٣٨٢.
(٣) «جامع العلوم والحكم»، ط٧، ٢/ ٩٩.

وقالت عائشة: (كان خُلُقُه ﷺ القرآن)[(١)].

يعني: أنَّه يتأدَّب بآدابه، فيفعل أوامرَه، ويجتنب نواهيه، فصار العملُ بالقرآن له خُلقاً كالجبلَّة، والطَّبيعة لا يُفارِقُه، وهذا أحسنُ الأخلاق وأشرفُها وأجملُها[(٢)].

وقد قيل: إنَّ الدِّين كلَّه خُلُقٌ. وأما في حديث وابصة، فقال: «**البرُّ ما اطمأنَّ إليه القلبُ، واطمأنت إليه النفس**»[(٣)].

وفسَّر الحلالَ بنحوِ ذلك، كما في حديث أبي ثعلبة وغيره، وهذا يدلُّ على أنَّ الله فطرَ عبادَه على معرفة الحق، والسكون إليه وقبوله، وركَّز في الطباع محبةَ ذلك، والنفور عن ضدِّه[(٤)].

وبعد هذا التوضيح يمكنني القول:

إنه لمَّا كان العهد المكيُّ المقصود منه تربيةُ الإنسان المسلم، وإعادةُ صياغة شخصيَّته بما يتوافق مع أسس فطرته الأولى التي فطره الله عليها، وبما ينسجم مع معاني الحكمة الإلٰهيَّة في هذا الوجود، وكذا ما يناسب ثقل الرسالة الملقاة على عاتقه، كان لزاماً التركيزُ على الصفة التي يجب على الإنسان المسلم التحلي بها، والتأكيد على المقام الرفيع الذي يجب أن يرتقي إليه الإنسان المسلم، في مجالات حياته كافة، فالله ﷻ من صفاته الكريمة «البر»، إذاً معناه: أنَّ على الإنسان المسلم التخلُّقَ بأخلاق الله تعالى، والملائكة الكرام «البررة»، والاقتداء بأخلاق النبي ﷺ، كلُّ هذا يوحي للإنسان المسلم الذي يُريد المنهج الربانيَّ أن يرتقي بشخصيَّته إلى مستوى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وأن يحاول المرة تلو الأخرى؛ الارتقاء إلى منزلة «البِر» وهكذا إذا جاء العهد المدني، وهو عهد البناء الخارجي للدولة الإسلامية، والتشييد للحضارة الإسلامية، والذي يجب

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند النساء، مسند الصدِّيقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، ٤١/ ١٤٨، حديث رقم (٢٤٦٠١).
(٢) انظر: السندي، «حاشية السندي على سنن النسائي»، ط٢، ٣/ ٢٠٠.
(٣) سبق تخريجه ص٤٨١.
(٤) ابن رجب، «جامع العلوم والحكم»، ط٧، ٢/ ٩٩.

أن يكون التلقي المطلق فيه قاصراً على المنهج الرباني: «القرآن، والسُّنَّة»، وهو ما يستلزم التضحية الكبيرة والمعاناة الطويلة؛ حتى تستقرَّ أسسُ الدول الإسلامية على الأرض.

وأما في العهد المدني؛ فبالإضافة إلى وحي مفردة «البر» التي اقتصَرتْ على الإشارة إلى صفة من صفات الله تعالى، وكذا الملائكة عليهم السلام، وكذا الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى الإشارة إلى مآل الإنسان البارِّ في الدار الآخرة، بالإضافة إلى التنبيه على هاتين الإشارتين؛ جاء التأكيد على المنهج الربانيِّ الذي يجب على الإنسان المسلم التعامل معه، والأخذ منه دون غيره من المذاهب والفلسفات والعقائد، وبذلك يحدث في نفسيَّة الإنسان المسلم انفصالٌ عن واقع الجاهليَّة بكل عقائدها وقيمها، وقوانينها وعلاقاتها، رقيّاً إلى فضاء المنهج الربانيِّ الرَّحْب، ومن ثَمَّ ترسُخُ في ضميره عقيدة «الاستعلاء الرَّباني» وهو يتعامل مع الأشخاص، والأشياء، والأحداث، وهكذا يكون إنساناً بارّاً حقيقة، والله أعلم.

بعد هذا، دَعْنا نستخلص كيفيَّة ورود مفردة «البر» في القاموس القرآني، من حيث معانيها الكليَّة.

لقد وردت مفردة «البر» في السياق القرآني حسب المعاني التالية:

١ ـ بمعنى المنهج الديني، والعقيدة الربانية، والقوانين التشريعيَّة؛ وذلك مثل: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤]، ففي هذه الآية ـ مثلاً ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما: (نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة؛ كان الرجل منهم يقول لصهره، ولذوي قرابته، ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبُتْ على الدِّين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل ـ يعنون به: محمداً صلى الله عليه وسلم ـ فإن أمره حقٌّ، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه)[1].

٢ ـ بمعنى الصفة الفاضلة التي يتحلَّى بها الكائن المطيع لربِّه، المبادر للاستجابة لأوامره وزواجره، وذلك مثل: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا

(١) ينظر: السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، د. ط، ص٩.

عَصِيًّا ﴿١٤﴾ [مريم: ١٤]، ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [الممتحنة: ٨]، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ [عبس: ١٦].

٣ ـ بمعنى صفة كريمة من صفات الله جل جلاله واسم من أسمائه ـ سبحانه ـ، وقد وردت مرة واحدة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ [الطور: ٢٨].

يمكننا ـ بعد كلِّ هذا ـ أن نستخرج ثلاثةَ معانٍ من دلالة مفردة «البر» كما وردت في القرآن:

١ ـ العطاء؛ فالإنسان البارُّ هو الذي يُعطي ولا يأخذ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ [الطور: ٢٨].

٢ ـ المبادرة؛ فالإنسان البار هو المبادر إلى الطاعة والمسارع إلى الاستجابة للمنهج الرباني: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ [عبس: ١٦].

٣ ـ الاستعلاء؛ فالإنسان البار هو المعتزُّ بمنهجه الربانيِّ في الحياة، ومن ثَم يستعلي على مناهج الجاهلية أتتْ من حيث أتت: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وإلى هنا نحصل على النتيجة التالية:

العطاء، والمبادرة، والاستعلاء: هي أسس مفهوم البر في القاموس الاصطلاحي القرآني.

إذن؛ خلاصة المعاني التي يضمرها «مفهوم البر»، سواء في بِنْيَته اللغويَّة، أو في اصطلاحه القرآني، عشرة معانٍ يؤدي بعضها إلى بعض، وينتج بعضها بعضاً: القوَّة، والإخلاص، والإتقان، والجمال، والاستقامة، والثبات، والارتقاء، والعطاء، والمبادرة، والاستعلاء، والله أعلم.

ومعنى قولي: إنَّ بعضها ينتج بعضاً؛ فلأنَّك لا تكون مخلصاً حتى تكون قويّاً، ولا تكون متقناً حتى تكون مخلصاً، ولا تكون جميلاً حتى تكون متقناً،

ولا تكون مستقيماً حتى تكون جميلاً، ولا تكون ثابتاً حتى تكون مستقيماً، ولا تكون مرتقياً حتى تكون ثابتاً، ولا تكون مِعطاءً حتى تكون مرتقياً، ولا تكون مبادراً حتى تكون معطاءً، ولا تكون مستعلياً حتى تكون مبادراً.

حقيقة ونتائج مفهوم «البر»:

وإذا أردنا تفعيل هذه المعاني التي تُشير إليها دلالات مفردة «البر» ـ سواءٌ من حيث اللغة أم من حيث رمزيتها القرآنيَّة ـ في محاولة فهم دلالاتها وإشاراتها، وكذا معانيها ومضامينها، سنجدها ترسم لنا صورةً مكتملةَ الأجزاء، واضحةَ المعالم حول حقيقة هذا الدِّين الذي أنزله الله تعالى على محمَّد بن عبد الله القُرَشيِّ ﷺ ورسالته الكبيرة في الحياة.

إنَّ أوَّل حقيقة يجب أن تُرسَّخ معانيها في ضمير المتلقي، هي: أنَّ هذا الدين لا يؤخذ أجزاءً وتفاريق، ولا يمكن أن يمارس في واقع النفس أو واقع التاريخ بفاعليَّات شكليَّة ومظاهر سطحيَّة، لا تنطوي على إحساس عميق بجماليَّة هذا الدين، وإنما تنبني على رؤية كليَّة لمنهج هذا الدين ومهمَّته في الحياة، تلك حقيقة تبدو لي واضحة بيِّنة لكلِّ مَن تأمل في منظومة هذا الدين وعلاقته بحياة الإنسان في هذا الوجود.

إنَّ هذا الدين لا يمكن للإنسان أن يُفعِّل مضامينه في الواقع ـ سواء الواقع النفسي أو الواقع التاريخي ـ إلَّا إذا أخذه بكلِّ قوَّة، وإخلاص، وإتقان، وجمال، واستقامة، وثبات، وارتقاء، ومن ثَمَّ تكون النتيجة الضرورية هي: «العطاء، والمبادرة، والاستعلاء»، ومعنى هذا الكلام: **أنَّ الإنسان المسلم مطالبٌ أن يكون:**

١ ـ قويّاً في ممارسة تعاليم هذا الدين، سواء في واقعه النفسي أو واقعه التاريخي، ولا يخشى شيئاً وهو يمارس تلك التعاليم؛ قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»**[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ٤/ ٢٠٥٢، حديث رقم (٢٦٦٤).

٢ ـ مخلصاً في تفعيل حقائق هذا الدين، سواءٌ في واقعه النفسي أو واقعه التاريخي، وألَّا يشوبَ تفعيلَ تلك الحقائق بشيءٍ من مفسدات العمل، بحسب ما تقتضيه قوانين الشريعة؛ قال رسول الله ﷺ: «**قال تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معيَ فيه غيري تركتُه وشركَه**»(١).

٣ ـ مُتقِناً لفاعليَّته في ممارسة تعاليم الشريعة، بحيث تكون ممارسته لتلك التعاليم، ممارسة محكمة، وليس فيها أيُّ ثغرة لشدَّة حذقه في تلك الممارسة؛ قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله امرأً عمل عملاً فأتقنه**».

٤ ـ مستقيماً على منهج الحق، وقوانين الشريعة، لا تأخذه في ذلك لومةُ لائم ـ وما أكثرهم في هذا الزمان ـ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢، ١١٣].

٥ ـ ثابتاً على تعاليم المنهج الرَّباني، لا تُزعزعه الجواذب، ولا تُغريه الهواتف.

٦ ـ مرتقياً نحو القمة السامقة التي يُتيحها له المنهج الإلٰهي.

٧ ـ مِعطاءً لا يخشى من ذي العرش إقلالاً، ولا تغرُّه مخابل زخرف الحياة الدنيا؛ فهو لذلك سمحٌ كريمٌ لا يضنُّ بالعطاء عن أخيه المسلم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

٨ ـ مبادراً إلى تفعيل تعاليم الشريعة، وممارسة حقائق الحكمة، ابتغاءَ مرضاة الله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

٩ ـ مستعلياً على جواذب الأرض، ودوافع الهوى، ومغريات الفتنة:

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، ٤/٢٢٨٩، حديث رقم (٢٩٨٥).

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

وعندما يصل الإنسان المسلم إلى هذا المستوى في ممارسة التعاليم العمليَّة لهذا الدين؛ فإنَّه بذلك يصل إلى مستوى الممارسة الحقة؛ أي: الممارسة لتعاليم الشريعة في أفق الجمال؛ أي: ممارسة الفعل بصورةٍ جميلةٍ بكلِّ خصائصها ومقوِّماتها، وبتعبير الرسول الكريم ﷺ «الإحسان» الوارد في حديث جبريل عليه السلام: «**قال: وما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[(١)].

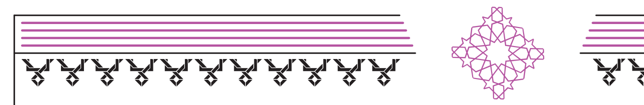
وهكذا يكون قد ارتقى في ممارسة الفعل إلى مستوى الكمال المقدور للإنسان، وتلك هي أقصى درجة مطلوبة لمنهج الإسلام، كما نبَّه على ذلك الرسول الكريم ﷺ في حديث جبريل عليه السلام المحدد لمعاني الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهكذا نجد أن الإنسان إذا فهم فهماً عميقاً لهذا الدين وجد أنه منهجٌ للحياة كافةً، ومن ثَم فهو يقتضي ممارسة تعاليمه في إطارها الكلِّي الشامل المتكامل، وليس أجزاءً وتفاريق؛ أي: إنَّه يجب عليه أن يمارس تعاليم هذا المنهج في مستوى «البر» حتى يكون مسلماً حقّاً، وحتى يرتقي إلى مستوى «البر» في تفاعله مع هذا الدين.

وهكذا يتبين لنا شيء من معاني البر وآثاره العميقة.



(١) أخرجه البخاري، كتاب «الإيمان»، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ١/١٩، حديث رقم (٥٠).



المبحث الثالث

منهجية التعريف بمراتب الدين

المرتبة الأولى: الإسلام:

مفهوم الإسلام:

أ ـ في اللغة لفظُ الإسلامِ في اللغة على معانٍ كثيرة، وتكاد هذه المعاني تدور حول: الانقياد، والاستسلام، والطاعة، والإخلاص، وإظهار الخضوع، والقبول(١).

ثانياً: إطلاقات الإسلام في القرآن الكريم: يطلق لفظ الإسلام في القرآن الكريم عدة إطلاقات، وهي نفس الإطلاقات التي ترد في اللغة، **فمن تلك الإطلاقات الواردة في القرآن الكريم ما يلي:**

١ ـ الإسلام بمعنى الإخلاص، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البقرة: ١٣١]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾ [آل عمران: ٢٠].

٢ ـ الإسلام بمعنى الإقرار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣](٢).

٣ ـ الإسلام بمعنى التوحيد، قاله ابن الجوزي، واستشهد بقول الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤](٣).

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.
(٢) القرعاوي، «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم»، د. ط، ص٣٦٧ ـ ٣٧٠.
(٣) ابن الجوزي، «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، ط١، ١/ ٥١.

٤ ـ الإسلام بمعنى الاستسلام، قاله ابن الجوزي، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣][١].

وهناك أقوال أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

ب ـ معنى الإسلام في الاصطلاح العام:

هو استسلام العبد، وخضوعه لله تعالى، والتزام ما أتى به نبي من الأنبياء، وإظهار ذلك.

أو هو: استسلام العبد لله ظاهراً وباطناً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه بحسب ما جاء عن الله ﷻ على ألسنة رسله عليهم السلام[٢].

والإسلام الخالص: هو الاستسلام، والانقياد لله، والالتزام بما جاء به النبي محمد ﷺ[٣].

وهذا هو الدين الخاتم الذي ختم الله به جميع الأديان، والذي لا يقبل من أحد ديناً سواه، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال النبي ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[٤].

الإسلام دين الفطرة:

أ ـ الفطرة في اللغة: هي الخِلْقة[٥]، قال ابن منظور: «وفَطَر الله الخلق

---

(١) ابن الجوزي، «نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر»، ط١، ١/ ٥١.

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٢/ ٢٩٣، وابن عثيمين، «فتح رب البرية بتلخيص الحموية»، د. ط، ص٩٤.

(٣) ابن تيمية، «التدمرية»، ط٦، ص١٧٣.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب «الإيمان»، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ١/ ١٣٤، حديث رقم (١٥٣).

(٥) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٥/ ٥٦.

يفطرهم: خلقهم، وبدأهم. والفطرة: الابتداء، والاختراع»[١].

وقال: «الفطرة: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به.

وقد فطره يَفْطُرُه بالضم فَطْراً؛ أي: خلقه»[٢].

فهذا هو معنى الفطرة في اللغة.

ب ـ **أما في الشرع**: فهي الإسلام، على القول الراجح، كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى[٣].

فالفطرة من أعظم البواعث على التدين، وأدلة الشرع نصَّت على أن الإنسان نفسه مفطور على الإقرار بالخالق، والعبودية له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠]. قالوا: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾: قالوا: لدين الله»[٤].

فكل مخلوق قد فُطر على الإيمان بخالقه، وأنه عَزَّ وَجَلَّ رب كل شيء وخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم.

ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه[٥].

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**».

وفي رواية: «**إلا على هذه الملة**» وفي رواية: «**إلا على الملة**»[٦].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ٥/٥٦.
(٢) «لسان العرب»، ٥/٥٦.
(٣) ابن تيمية، «درء تعارض العقل والنقل»، ط٢، ٨/ ٣٧١، وابن القيِّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص٥٧٢ ـ ٥٧٥.
(٤) «درء تعارض العقل والنقل»، ٨/٣٧٦، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣.
(٥) ابن عثيمين، «رسائل في العقيدة»، د. ط، ص١١، الخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط٤، ص٢٧.
(٦) سبق تخريجه ص٤٠٠.

وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»(١).

ثم إن الإنسان مفطور على اللجوء إلى ربه تبارك وتعالى عند الشدائد، فإذا ما وقع الإنسان أي إنسان حتى الكافر الملحد في شدة، أو أحدق به خطر فإن الخيالاتِ والأوهامَ تتطاير من ذهنه، ويبقى ما فُطِر عليه؛ ليصيح بأعلى صوته، ومن قرارة نفسه، وعميق قلبه، منادياً ربه؛ لِيُفَرِّجَ كربته وهمه، ويلجأ إليه وحده دون سواه.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وليس المراد بأنه يولد على الفطرة؛ أنه يولد عالماً بأمور الإسلام؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

وليس المراد أيضاً أنه يولد ساذَجاً لا يعرف شركاً ولا توحيداً؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إلا ويولد على الملة**» وفي رواية: «**على هذه الملة**».

بل المراد: أن كل مولود يولد على محبته لفاطره، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعدمَ المعارض؛ لم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه(٢).

ولذلك قال ﷺ: «**فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**».

ولم يقل يسلمانه؛ لأنه باقٍ على الأصل، فاعتناق غير الإسلام يُعد خروجاً عن الأصل والقاعدةِ بأسباب خارجة.

---

(١) سبق تخريجه ص٤٠٠.

(٢) ابن القيِّم، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، د. ط، ص٥٧٨ ـ ٥٧٩.

فكل مولود إذاً على وجه الأرض يولد على الفطرة، وهي دين الإسلام؛ فالمولود يولد مقرّاً بخالقه، محبّاً له، متوجهاً إليه.

فإذا بقي على هذه الفطرة فهو مسلم على الأصل، ولا يحتاج إلى تجديد الدخول في الإسلام إذا بلغ وعقل، وأما إذا نشأ بين أبوين غير مسلمين، واعتنق دينهما الباطل، أو كان معتنقاً أي دين غير الإسلام كان واجباً عليه أن يتخلى عن دينه السابق، ويدخل في دين الإسلام؛ فيشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ثم يبدأ بتعلم ما يقيم به شعائر دينه من إقامة الصلاة ونحو ذلك.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مبيِّناً معنى كون الناس مفطورين على الدين الحنيف: «ومعنى فطر الناس على الدين الحنيف: أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لِخِلْقَتِهم، غير مجافية لها، غير نائين عنه، ولا منكرين له مثل إثبات الوحدانية لله؛ لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل، والنظر الصحيح، حتى لو ترك الإنسانُ وتفكيرَه، ولم يُلَقَّن اعتقاداً ضالّاً؛ لاهتدى إلى التوحيد بفطرته».

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: «وكون الإسلام هو الفطرة، وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختص بها الإسلام من بين سائر الأديان في تفاريعه.

أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلٰهية، وهذا ما أفاده قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

فالإسلام عام، خالد، مناسب، لجميع العصور، وصالح بجميع الأمم، ولا يستتب ذلك إلا إذا بُنِيت أحكامه على أصول الفطرة الإنسانية؛ ليكون صالحاً للناس كافة، وللعصور عامة، وقد اقتضى وصف الفطرة أن يكون الإسلام سمحاً يسراً؛ لأن السماحة، واليسر، مبتغى الفطرة»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللهُ مبيِّناً معنى وصف الإسلام بأنه فطرة الله، قال: «فَوَصْفُ الإسلام بأنه فطرة الله معناه: أن أصل الاعتقاد فيه جارٍ على مقتضى الفطرة العقلية.

وأما تشريعاته، وتفاريعه؛ فهي: إما أمور فطرية أيضاً؛ أي: جارية على

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٩/٢١.

وفق ما يدركه العقل ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطرته.

وقوانين المعاملات فيه هي راجعة إلى ما تشهد به الفطرة؛ لأن طلب المصالح من الفطرة»[(١)].

وهكذا يتبيَّن أن الإسلام هو الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وأن الإنسان مفطورٌ على الإقرار بالخالق، والعبودية له؛ فهذا هو التدين، وذلك باعثه؛ فهذا مقتضى ما دلَّت عليه النصوص صراحة.

كما دلَّت النصوص أيضاً على: أن هذه الفطرة والإقرارَ بالخالق إلٰهاً وربّاً قابلة للتأثر، والتغير، والانحراف بفعل مؤثرات خارجية، وأن هذه المؤثراتِ التي تؤدي إلى انحراف الفطرة عن وجهتها الصحيحة على ضوء **هذه الأدلة ثلاثة**:

١ ـ **الشياطين**: وهي المؤثر الأصلي والأول على هذا الأمر، كما دلَّ على ذلك حديث عياض بن حمار رضي الله عنه المتقدم.

والشياطين شامل لشياطين الجن والإنس ممن يسعون لصرف الناس عن فطرتهم، وإقبالهم على ربهم.

٢ ـ **الأبوان**: كما في الحديث السابق، في قوله ﷺ: «**فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**».

وهذا المؤثر من أقوى المؤثرات؛ لشدة التصاق الأولاد بآبائهم، وقوة تأثير الآباء عليهم.

وقد يقوم المجتمع، والإعلام بدور الأبوين أو أشد من جهة صرف الناس عن مقتضى الفطرة.

٣ ـ **الغفلة**: وهي من أشد المؤثرات الصارفة عن الفطرة؛ فالغفلة بمباهج الدنيا، والاشتغال بنعيمه قد يُنسي الإنسان ربه، ويصرفه عن فطرته التي فَطَره الله عليها.

وقد ذكر الله ذلك في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، ٢١/٩.

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣].

فهذه الآية تبيِّن أن الغفلة من أعظم أسباب الانصراف عن الفطرة(١).

ولسائلٍ أن يسأل فيقول: ما فائدة الفطرة طالما أنها على تلك الحال من التأثر بهذه المؤثرات الخارجية التي تؤدي إلى انحرافها، ولا يكاد الإنسان ينفك عن واحد من هذه المؤثرات والصوارف، أو كلها؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن حكمة الله اقتضت جعل الفطرة بهذه الحال ليتحقق الغرض من ابتلاء الإنسان بالخير والشر ومن ثم جزاؤه على عمله، إذ لو كانت الفطرة قوية لا تتأثر بشيءٍ لما وقع الكفر والانحراف في بني آدم، بل صاروا غير قابلين للكفر، فلا يتحقق الابتلاء، ولله الحكمة البالغة.

ومع ذلك فإن لهذه الفطرة فوائد عديدة منها:

أولاً: أن هذه الفطرة غرزت في النفس البشرية التدين، والتعبد لله تعالى.

فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله ﷻ؛ فإنه يُعبِّد نفسه لأي معبودٍ آخر ليشبع في ذلك نهمته إلى التدين، وذلك كمن استبد به الجوع فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه فإنه يتناول كل ما يمكن أكله ولو كان خبيثاً ليسد به جوعته.

وهذا ما يفسر لنا وجود التدين عند عموم البشر، وقد يكون الدين والمعبود في كثيرٍ من الأحيان باطلاً.

ثانياً: أن هذه الفطرة جعلت في جبلَّة الإنسان قبول العبودية والانسجام مع لوازمها، وهذا من الأمور المهمة للإنسان؛ لأن كل ما لا يتفق مع الفطرة فإن النفس تنفر منه ولا تستجيب لمتطلباته.

ثالثاً: أن هذه الفطرة مرجحة للحق، فإذا تعرف الإنسان على دينين حق وباطل، فإن الفطرة تميز بينهما وتميل إلى الحق؛ بل يقع ذلك في قرارة النفس ويتيقن القلب منه، فإما أن يعلن ذلك ويلتزم به، أو لا يستجيب له بسبب هوى، أو خوف، أو إلف، أو تقليد، ونحو ذلك من الصوارف عن الحق، كما قال ﷻ

(١) الخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط٤، ص٢٨ ـ ٣٠.

عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

رابعاً: أن هذه الفطرة تهب للمهتدي يقيناً بالحق الذي هو عليه وإن لم يكن عنده من الأدلة النظرية ما يهبه هذا اليقين، وهذا يفسر لنا والله أعلم عدم ترك المسلم لدينه رغبة عنه وما ذلك إلا لتناسبه مع فطرته، فيعطيه ذلك يقيناً بأنه الحق، وكذلك من اهتدى إلى الإسلام من ذوي الأديان الأخرى الباطلة، فإنه يتمسك به تمسك الغريق بحبل النجاة، وما ذلك إلا لتيقنه من أن هذا الدين هو الحق، لتناسبه وانسجامه مع الفطرة. والله أعلم[١].

من خلال عرض الداعية للإسلام:

فعليه أن يوضح للمدعوِّين أركان الإسلام الخمسة: الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج، وأن يوضح لهم ما يتعلق بتلك الأركان في جانب الاعتقاد وما يتعلق بجانب العمل، **وفيما يلي توضيح لتلك الأركان:**

١ ـ الشهادة:

شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً رسول الله: معنى هذه الشهادة الاعتقاد الجازم المُعَبِّر عنه باللسان بأن الله هو المعبود الحق وحده لا شريك له، وأن محمداً هو الرسول المبلِّغ عن الله تعالى.

وجُعِلت هاتان الشهادتان ركناً واحداً مع تعدد المشهود به؛ لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال؛ فلا يقبل إسلام، ولا عمل إلا بالإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ.

ومعنى ذلك: ألا يُعْبَدَ إلا الله وحده، ولا يُعْبَدَ إلا بما شرعه على لسان رسوله ﷺ.

فبالإخلاص تتحقق شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وبالمتابعة تتحقق شهادة أن محمداً رسول الله.

ومما يمكن أن يتضح به معنى الشهادتين أن يقال: إن معنى [لا إلٰه إلا الله]:

---

(١) الخلف، «دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية»، ط٤، ص٣٠ ـ ٣١.

هو أن ينطق بها الإنسان معتقداً أن الله هو المعبود الحق وحده؛ ولا يكفي مجرد النطق بها؛ بل لا بد من العمل بمقتضاها من القبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع.

وللشهادتين ثمرات عظيمة منها: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين، والاتباع لغير المرسلين(١).

٢ ـ الصلاة:

للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أية عبادة أخرى، فهي عمود الدين، كما في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»(٢). وهي أول ما فرض الله من العبادات، فرضها بمخاطبة رسوله ﷺ من غير واسطة ليلة المعراج، وكانت في الحديث المشهور خمسين، فما زال رسول الله ﷺ يسأل ربه التخفيف حتى قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]: «**هي خمس في العمل وخمسون في الأجر، والثواب**»(٣).

وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وقد أمر الله تعالى بالمحافظة على الصلاة فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

ومدح سبحانه وتعالى الذين هم على صلواتهم يحافظون، ووعدهم الفردوس أعلى

---

(١) الحمد، «الطريق إلى الإسلام»، ط٢، ص٤٨.

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه»، كتاب الجهاد، ٢/٨٦، حديث رقم (٢٤٠٨). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، ٢٠/٨٦، حديث رقم (١٢٦٤١)، والترمذي في «سننه»، أبواب الصلاة، باب ما جاء كم فرض الله على عباده من الصلوات، ١/٢٨٩، حديث رقم (٢١٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

درجات الجنة فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١].

وذمَّ الله الذين عن صلاتهم ساهون، فقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩]، وليس المراد بإضاعة الصلاة هنا تركها بالكلية، ولكن المراد بإضاعتها السهو عنها حتى يخرج وقتها أحياناً، كما في الآية الثانية قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥].

وهي خمس صلوات في اليوم والليلة: الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وتختلف في إيضاحها للمدعوِّين فإن كان المدعو غير مسلم يذكر له عددها دون تفصيلاتها وإن كان مهتدياً جديداً فيذكر له أذكارها دون الحديث عن السنن الرواتب فإذا ما حسن إسلامه؛ توسع له في ذكر السنن الرواتب، والنوافل، وقيام الليل.

لأن غير المسلم قد يتصور له كثرة التكليف، وصعوبتها، فتكون صادة له عن دخول الإسلام.

٣ ـ الزكاة:

والزكاة: اسم لهذا القدر من المال الذي يدفعه الأغنياء للفقراء، وسُميت: زكاة؛ لأنها تزكّي المال وتنميه كما تزكي صاحبها وتطهّره من دنس البخل والشح، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وفريضة من فرائض الدين، وقد دلّ على فرضيتها الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة.

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝٤٣﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد قُرنت الزكاة بالصلاة في اثنتين وثمانين آية، وفي الحديث المشهور قال ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»، ولما بعث النبي ﷺ

معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فادعهم إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم، فترد في فقرائهم؛ فإن هم أطاعوك لذلك، فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

وأجمعت الأمة على وجوب الزكاة وأنها أحد فرائض الدين، وقد كثر في القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ الحث على إخراج الزكاة، والترغيب في أدائه، والترهيب من منعها، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ [لقمان: ١ ـ ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ۝١٦﴾ [الذاريات: ١٥، ١٦]، ثم فسر إحسانهم فقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، وهذا إحسانهم بينهم وبين الله سبحانه، ثم قال: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات: ١٩]، وهذا إحسانهم فيما بينهم وبين الناس.

والزكاة طهرة للمسلم من داء البخل، والشح، وعبادة المال، وإيثارٌ لله على محبة المال، والإسهام في تحقيق التعاون المطلوب شرعاً؛ بإعانة ذوي الحاجات(١).

٤ ـ الصيام:

صيام رمضان واجب بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماع الأمة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ

---

(١) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ص٤٢.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

والفرض من الصيام شهر رمضان؛ لأن فيه إيثار لمحاب، وتعويد للمسلم على معاني الإخلاص والإرادة والصبر، وكل هذه معانٍ جليلة يحتاجها المسلم[(١)].

والصيام يزكي خلق الصبر، والاحتمال، والإحساس بالفقير والعطف عليه، وينمي في الوقت نفسه مراقبة الله في السر؛ كمراقبته في العلانية، مما يولد التقوى[(٢)].

والتقوى التي جعلها الله غاية للصيام، والجُنَّة التي وصف بها النبي ﷺ الصوم يمكن أن يندرج تحتها كل ما أدركنا، وما لم ندرِك من حكم الصيام، فليس للتقوى حد تنتهي عنده، أو غاية تنتهي إليها، وكذلك الجُنّة، قد تكون من التقصير والمخالفات، وقد يرقى بها صاحبها، فتكون من الشبهات، وقد يزداد رقياً؛ فتصبح جُنَّة من الغفلات والخطرات[(٣)].

٥ ـ الحج:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧]؛ فالحج ركنٌ من أركان الإسلام وفريضة من فرائضه كما هو مشهورٌ في

(١) زيدان، «أصول الدعوة»، ص٤٣ ـ ص٧٥.
(٢) جريشه، «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي»، ط٣، ص٢٢١.
(٣) منصور، «العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين»، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة عشرة العدد [٦١]، ص١٣٢.

حديث ابن عمر: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**».

ومن رحمة الله ـ تبارك وتعالى ـ بعباده المؤمنين أنه لم يوجب عليهم الحج إلا مرةً واحدةً في العمر واشترط لوجوب الحد الاستطاعة؛ فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فالحج واجبٌ على كل مسلم، بالغ، عاقل، حر، مستطيع، وتتحقق الاستطاعة بأمن الطريق والصحة، وملك النفقة التي تكفيه لذهابه وإيابه؛ شريطة أن تكون فاضلة عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقتهم، من امرأةٍ، وولدٍ، وخادمٍ، ونحو ذلك.

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو رحلة كريمة ينتقل فيها المسلم ببدنه وقلبه إلى مكة المكرمة، البلد الأمين، للوقوف بعرفة والطواف ببيت الله الحرام، أول بيت أقيم في الأرض لعبادة الله تعالى.

وللحج محاسن كثيرة منها:

١ ـ الحج مدرسة تربوية، جامعة، لكل أنواع العبادات، القلبية والفكرية والجسدية والمالية والاجتماعية.

٢ ـ الحج غذاء روحي كبير، تمتلئ فيه جوانح المسلم خشية لله ﷻ، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، وتنمو فيه عاطفة الحب لله ورسوله ﷺ، ولمن نصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه.

٣ ـ الحج تذكيرٌ للمسلم بضرورة التجرد الكامل لله ﷻ، حيث يتجرد الحاج عن وطنه، وأهله وعمله وملبسه، ومعظم عاداته من طيب وقص وحلق، وغير ذلك.

٤ ـ الحج تدريبٌ على التقيد بنظام الإسلام عامة؛ فالحاج الذي يتقيد بأحكام الحج ومحظوراته، ويبادر إلى التكفير عن جنايات الإحرام، حريٌ به أن يتقيد بأحكام الإسلام، ويحرص على التوبة والتكفير عن ذنوبه وخطاياه.

٥ ـ الحج رابطة حب، وتعارف، وتعاون، بين الحجاج من جميع أنحاء العالم، وتذكير بالوحدة الإسلامية، وذلك بتوحد المظهر والعمل والشعار.

٦ ـ الحج تمرينٌ على الحياة الجماعية المنظمة، وتدريبٌ على تحمل المشقات، ومفارقة الأهل، والوطن، والتضحية بالراحة، والدَّعَة، في الحياة الرتيبة.

٧ ـ الحج يجدد الأمل في نفس المؤمن، ويبعده عن اليأس، والقنوط، حيث يعود المسلم بعده أصفى قلباً، وأقوى عزيمة على الخير، وأبعد عن مغريات الشر[1].

والحج فيه صبر، وتطهر، من الرفث، والفسوق، والجدال، وفيه تنمية لروابط الأخوة بين المسلمين، وتزكية للوحدة على الله الواحد، والقبلة الواحدة، والغاية الواحدة[2].

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن الإسلام مرتبته عظيمة من مراتب الدين؛ وأنه الترجمة الظاهرة لما يجول بداخل الإنسان من إيمانٍ بالله ﷻ، وعلى الدعاة أن يوضحوا للمدعوِّين أن أركان الإسلام العقائدية وهي الشهادة يلزم لتفعيله القيام ببقية الأركان العملية فالعمل دليل الاعتقاد، والاعتقاد بلا عمل هو اعتقاد ضعيف يحتاج إلى ما يقويه ولا يقوي العقيدة مثل العمل الصالح؛ لأن فيه منفعة العبد ومرضاة الرب.

المرتبة الثانية: الإيمان:

يمثل الإيمان أعلى درجة من أعمال القلوب؛ فصلاحه صلاحٌ للأمر كله، فمن صلح إيمانه صلح عمله ومن فسد إيمانه فسد عمله، وليس كل عمل فاسد دليل على فساد الإيمان فقد يكون نقصاً في العلم أو خطأ في التطبيق، وعلى الداعية أن يعي أهمية قضية الإيمان في الدعوة، وأنها تطرح

(١) مركز قطر للتعريف بالإسلام، «التعريف بالإسلام»، د. ط، ص٣٤٢.
(٢) جريشه، «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي»، ط٣، ص٢٢١.

مسائل شديدة الأهمية توجب على من تصدى لها أن يكون مدركاً لأهميتها وأهمية الطريقة الصحيحة في طرحها، فعلى الداعية أن يطرح مكونات الإيمان وفقاً للترتيب الذي وضعه الله في كتابه وفصَّلته السُّنَّة المشرفة، مبتدأ بالإيمان بالله ثم الإيمان بالملائكة، ثم الإيمان بالكتب السماوية ثم الإيمان بالرسل ثم الإيمان باليوم الأخر وأخيراً الإيمان بالقدر، **وفيما يلي توضيح لمنهجية طرح هذه المكونات.**

والإيمان بالملائكة والرسل والكتب من أسس العقائد، التي لا يكون الإنسان مؤمناً إلا بها. والملائكة رسل الله إلى الأنبياء، والأنبياء رسل الله إلى الناس، والكتب هي الرسالة التي حملها الملك إلى الرسول، ونقلها الرسول إلى الناس[(١)].

وأسس العقيدة هي أركان الإيمان الستة، وهي:

١ ـ الإيمان بالله.

٢ ـ الإيمان بالملائكة.

٣ ـ الإيمان بالكتب.

٤ ـ الإيمان بالرسل.

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر.

٦ ـ الإيمان بالقدر خيره وشره[(٢)].

أولاً: الإيمان بالله:

والإيمان بالله ﷻ له أربع مراتب؛ **وهي:** الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته. أما الإيمان بوجود الله تعالى؛ فإن العلماء استدلوا عليه بأربعة أنواع من الأدلة، وهي: العقل، والشرع، والفطرة، والحس، وسبق الحديث عنها.

---

(١) الطنطاوي، «تعريف عام بدين الإسلام»، ط١، ص١٤٥.

(٢) الحمد، «الطريق إلى الإسلام»، ط٢، ص٥٠.

المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالله ﷻ هي: الإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى:

ومعنى الإيمان بالربوبية: الإيمان بأن الله وحده هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، مالك الملك، ومدبر الأمر.

المرتبة الثالثة: الإيمان بألوهية الله ﷻ:

ومعناه: الاعتقاد والإقرار بأن الله وحده هو المستحق للعبادة دون غيره؛ فكما خلق وحده يجب أن يُعبد وحده.

المرتبة الرابعة: من مراتب الإيمان بالله ﷻ وهي: الإيمان بأسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العلا:

فالله سبحانه وتعالى ذات وكل ذات لا بدَّ لها من أسماء وصفات، وأسماء الله وصفاته توقيفية لا يجوز لأحد أن يُسمي الله تعالى أو يصفه إلا بما سمى الله به نفسه أو سماه به رسله، وكل ما سمى الله به نفسه، وجب الإيمان به من غير تمثيلٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ، ولا تحريفٍ وقوفاً عند قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

والعقيدة الإسلامية تشمل الإيمان بكل ما جاء عن الله، وعن رسول الله ﷺ من الأخبار، والأحكام القطعية، والغيبيات، ونحو ذلك.

والإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجود الله، وبأنه رب كل شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأنه متصفٌ بصفاتٌ الكمال والجلال، وأنه منزهٌ عن كل عيب، ونقص، ومماثلة للمخلوقين.

إنّ الركن الأوّل الأعظم من هذه الأركان ـ وهو الإيمان بالله تعالى ـ قد ضلّ فيه جميع الأقوام والأمم. حتى أقربهم عهداً بهداية الرسل، وجاء القرآن فهدم معاقل هذه الوثنية وحصونها المشيدة في الأفكار والقلوب، وما كان ليتم هذا بإقامة برهانٍ عقلي أو عدة براهين على توحيد الله ﷻ؛ بل لا بدَّ فيه من دحض الشبهات، وتفصيل الحجج العقلية والعلمية والمواعظ الخطابية بالعبارات المختلفة وضرب الأمثال.

لذلك كان أكثر المسائل تكراراً في القرآن؛ مسألة توحيد الله ﷻ في

ألوهيته بعبادته وحده، واعتقاد أنّ كلّ ما سواه من الموجودات سواء في كونهم ملكاً وعبيداً له، لا يملكون من دونه نفعاً ولا ضرّاً لأحد، ولا لأنفسهم إلا فيما سخره من الأسباب المشتركة بين الخلق[١].

والإيمان بالله يتضمن أربع قضايا، هي: إن الله موجود بلا موجد، وأنه رب العالمين وأنه مالك الكون المتصرف فيه، وأنه الإله المعبود وحده، لا يعبد معه غيره[٢].

ويجب أن يعتقد العبد أن النفع والضرر كله من الله وحده، فلا يطلب النفع إلا منه، تدعوه وحده، لا تدعو غيره، ولا تدعوه مع غيره، ولا تتخذ إليه وسيطاً، ولا تستعين إلا به أو بالأسباب التي جعلها طريقاً للنفع، مع الإقرار أنه هو النافع لا مجرد السبب، وأن تخصه بالحب المطلق الدافع إلى الطاعة المطلقة، والخشية الدافعة إلى اجتناب ما نهى عنه[٣].

ويجب على العبد الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، بل أعتقدُ أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى لا سمي له ولا كفؤ له، ولا ندَّ له، ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا[٤].

ويجب عليه أن يؤمن بأن الله المالك لكل شيء، وربٌّ لكل شيء، والذي أحاط بعلمه كل شيء، ويقف المكلفون إزاءه على قدم المساواة، دون النظر إلى أجناسهم، أو لغاتهم أو أوطانهم أو أزمانهم[٥].

(١) الحسيني، «الوحي المحمدي»، ط١، ص١٢١ ـ ١٢٢.
(٢) الطنطاوي، «تعريف عام بدين الإسلام»، ط١، ص٥٣.
(٣) «تعريف عام بدين الإسلام»، ط١، ص٧٨.
(٤) الفارس، «أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، ط١، ص٢٩.
(٥) السعدي، «دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه»، ط١، ٢/ ٥٨٩.

ثانياً: الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان، كما أخبر رب العالمين ﷻ حيث قال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر**»(١).

فمن أنكر وجود الملائكة فقد كفر بالله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، ومن عاداهم أو أحدهم فقد كفر أيضاً قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].

وعالم الملائكة من عوالم الغيب التي لا سبيل إلى معرفتها إلا بالوحي، ومن تكلم عن الملائكة بغير ما قال الوحي فيهم؛ فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، وقد عرفنا من الوحي أصل خلقتهم وبعض صفاتهم الخَلقية والخُلقية، وعلاقتهم بالله تعالى وبالكون وعلاقتهم بالإنسان عموماً وبالمؤمنين خصوصاً، وأما عن أصل خلقتهم؛ فإنهم خلقوا من نور، كما قال النبي ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارجٍ من نار وخلق آدم مما وصف لكم**»(٢)، وأما صفاتهم الخلقية فهم خلق عظيم، ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وأكثر من ذلك كما قال سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١].

وهكذا منهج القرآن في بيان حقيقة الملائكة، فيه ملامح الوسطية بعيداً عن الغلو والإفراط والتفريط، والمطلوب من المؤمن أن يؤمن بالملائكة إيماناً تفصيليّاً وإجماليّاً، فيجب عليه الإيمان بالملائكة التي وردت أسماؤهم في الكتاب أو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب «تفسير القرآن»، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ٦/ ١١٥، حديث رقم (٤٧٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ٤/ ٢٢٩٤، حديث رقم (٢٩٩٦).

السُّنَّة بالتفصيل ومن هؤلاء رؤساؤهم الثلاثة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل[(١)].

معنى ذلك: الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة، خلقوا من نور، يقومون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها، ولا يعصون الله ما أمرهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦][(٢)].

والملائكة: عالم غيبي، مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية، ولا الألوهية شيء؛ أي: أنهم لا يخلُقون، ولا يَرزُقون، ولا يجوز أن يعبدوا مع الله.

وقد منحهم الله ﷻ الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

والملائكة عددهم كثير، ولا يحصيهم إلا الله، **والإيمان بهم يتضمن ما يلي:**

١ ـ الإيمان بوجودهم.

٢ ـ الإيمان بمن عَلِمْنا اسمه منهم؛ كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً؛ أي: نؤمن بأن لله ملائكة كثيرين، ولا يلزم معرفة أسمائهم.

٣ ـ الإيمان بما عَلِمْنا من صفاتهم؛ كصفة جبريل؛ فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح قد سدَّ الأُفق[(٣)].

وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش؛ إنما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[(٤)]. أما صفاتهم الخُلُقية: فإن الله ﷻ وصفهم بأنهم كرامٌ بررة ومن أخص صفاتهم الحياء، كما قال النبي ﷺ وقد دخل عليه عثمان رضي الله عنه: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[(٥)]..

---

(١) الصَّلَّابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ص٢٦٤.

(٢) مركز قطر للتعريف بالإسلام، «التعريف بالإسلام»، د. ط، ص١١٨.

(٣) الحمد، «الطريق إلى الإسلام»، ط٢، ص٥٩.

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب السُّنَّة، باب في الجهمية، ٤/٢٣٢، حديث رقم (٤٧٢٧)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الفضائل، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ٤/١٨٦٦، حديث رقم (٢٤٠١).

والملائكة لا يوصفون بذكورة، ولا أنوثة، وقد ضلَّت العرب إذ جعلت الملائكة إناثاً؛ فكذَّبهم الله تعالى، وأخبر أنهم سيسألون عن قولهم هذا؛ فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

وأما علاقة الملائكة بالله ﷻ؛ فالملائكة خلقٌ من خلق الله، وعبادٌ من عباده مخلوقون مملكون مربون، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩].

والإيمان بالملائكة أحد أركان العقائد الإسلامية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وثمرة الإيمان بالملائكة تتمثل في ازدياد الشعور بعظمة الله، واستشعار رحمته، إذ وكل الملائكة بالدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم. والتحرز عما أمكن من المعاصي، حين يتذكر أنهم يسجلون عليه كل ما يقوله ويفعله. والإقدام والشجاعة في الجهاد، حين يتصور أنهم يؤيدون المجاهدين، بأمر رب العالمين. والعمل للجنة ليكون ممن يسلمون عليه. والبعد عن أسباب دخول النار لئلا يكون ممن يوبخونه[١].

ثالثاً: الإيمان بالكتب السماوية:

إن من أركان الإيمان: الإيمان بالكتب السماوية، وأنها من عند الله ﷻ، إلا أن من البشر من أنكر الكتب السماوية جملة، وهم الملاحدة، وهناك من حرَّف الكتب السماوية وأضاف إليها ما لم ينزل به من سلطان، وهم اليهود والنصارى وقعوا في الغلو وفي الإفراط وابتعدوا عن الصراط المستقيم[٢].

---

(١) الطنطاوي، «تعريف عام بدين الإسلام»، ط١، ص١٤٥.
(٢) الصَّلَّابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ص٣٧٣.

والإيمان بالكتب السماوية الإلٰهية واجبٌ شرعاً، وبيان ذلك أن الله تعالى أمر به أمراً جازماً لا يقتضي إلا طاعة الله تعالى فيه وتحريم معصيته؛ إذ قال تعالى في الأمر بالإيمان بكتبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، هذه الآية وحدها كافية في الدلالة على وجوب الإيمان بكتب الله تعالى عامة، وبالقرآن الكريم كتاب الإسلام خاصة، وفي تحريم التكذيب به، وعدم التصديق بكل ما جاء فيها ممّا هو وحيٌ من الله؛ يعني: أنه لا بدَّ أن يؤمن بكل ما جاء فيها، وأن يُصدق بكل ما جاء فيها، وأن ما أنزله الله عز وجل حقٌّ.

إن هذه الكتب نزلت بالحق، والنور، والهدى، وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم(١).

والكتب السماوية السابقة النزول على القرآن، قد أوكل الله حفظها إلى علماء الأمة في ذلك الزمان؛ كالتوراة والإنجيل، فلم يحفظوها من التحريف والزيادة والنقصان، ولهذا عاتبهم ربهم بقوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالله جعل التوراة والإنجيل عندهم وديعة وطلب منهم حفظهما والعمل بهما، فضيعوهما وحرفوهما، أما القرآن فقد تولى الله جل جلاله حفظه من التحريف والتزييف، ومن كل تغيير(٢).

ذلك بخلاف الكتب السماوية السابقة، التي طرأ عليها الكثير من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان، بل والضياع أيضاً، وكان من ذلك ما أرشد إليه الحق تبارك وتعالى في غير ما آية في كتابه العزيز؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ

(١) الصَّلَّابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ص٢٧٥.
(٢) الجزائري، «المزدكية هي أصل الاشتراكية»، ط١، ص٢١٠.

لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩][1].

وقد أنزل الله تعالى القرآن على محمد ﷺ، وهو أفضل الكتب السماوية، والمهيمن عليها، وناسخها، وفيه تبيان لكل شيء، وهدًى، ورحمةً، وشفاءً، لما في الصدور ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، ومن لازم الإيمان به تلاوته وتدبره والعمل به فما آمن بالقرآن من استحل محارمه[2].

رابعاً: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

والإيمان بالرسل؛ يعني: الإيمان بأنهم أفضل الخلق على الإطلاق، وأكثرهم علماً، وأحسنهم عملاً، وأصدقهم حديثاً، وأكملهم أخلاقاً، وبأن الله خصَّهم بفضائل لا يحصِّلها غيرهم، وأن الله لم يخصهم بطبائع غير طبائع البشر، إنما اختارهم رجالاً يأكلون ويشربون، يبولون ويتغوطون، ويتزوجون ويتناسلون، ويمشون في الأسواق ويبيعون ويشترون؛ فالواجب احترامهم وتوقيرهم من غير إفراطٍ ولا تفريط، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله ﷻ عباد مكرمون لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. وهم من جملة البشر تعتريهم الأسقام والأوجاع، وينالهم الأذى من الأعداء، ويموتون كما يموت سائر الناس وربما يقتلون.

ومن الإيمان بالرسل: الإيمان بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً؛ فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؛ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**». فمن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ فقد افترى على الله الكذب كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) الصلابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ص٨١.

(٢) آل جار الله، «كمال الدين الإسلامي»، ط١، ص٧٣.

ومن أصول الاعتقاد: أن الرسل عليهم الصلاة والسلام، خلقٌ من خلق الله، كلهم عباده، هو أوجدهم وهو المتصرف فيهم، وأنهم لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ نفعاً ولا ضرّاً إلا بإذن الله.

والرسل: جمع: رسول، وهو كل من أوحي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه.

وأول الرسل نوح، وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام. ولم تَخْلُ أمةٌ من الأمم من رسول، يبعثه الله بشريعةٍ مستقلةٍ إلى قومه، أو نبي يوحي إليه بشرعة مَنْ قبله، ليجددها.

والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، ولهذا تلحقهم خصائص البشرية من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب، والرسالة اصطفاء من الله، واختيار، ولا تأتي بالاكتساب، والمجاهدة؛ فالرسل خير البشر، وصفوتهم، وخلاصتهم[(١)].

وليس فيهم شيء من الألوهية؛ لأن الألوهية لله وحده، ولكنهم بشر يوحى اليهم، وقد عجبت الأمم الأولى من الوحي، فقال لهم الله ﷻ رادّاً عليهم مبيّناً أنه لا مكان لعجبهم: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [يونس: ٢][(٢)].

ومن موجبات الإيمان بالرُّسُل: عدَم تفضيل أحدٍ منهم على الآخَر، وأنّ أمر التفضيل من شأن الله تعالى، قال سبحانه جلَّ شأنه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

ومن ثمرات الإيمان بالرسل: العلم برحمة الله، وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله، ويبيِّنوا لهم كيف يعبدون الله، ويسيرون على طريقٍ مستقيمةٍ في هذه الحياة؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك،

---

(١) الحمد، «الطريق إلى الإسلام»، ط٢، ص٦٧.

(٢) الطنطاوي، «تعريف عام بدين الإسلام»، ط١، ص١٥٧.

وشكر الله على هذه النعمة، ومحبة الرسل، وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله، ولأنهم قاموا بعبادة الله، وتبليغ دعوته، والنصح لعباده، ولأنهم خير البشر، وصفوتهم، وأحسنهم أخلاقاً، وأعظمهم عبادة[١].

خامساً: الإيمان باليوم الأخر:

الإيمان باليوم الآخر (يوم القيامة) الركيزة الثانية من ركائز العقائد، ولا يكاد يذكر الإيمان بالله في القرآن؛ حتى يقرن به الإيمان باليوم الآخر.

والمؤمن يذكره دائماً، فيكثر من الخير ابتغاء ثوابه، ويبتعد عن الشر ما استطاع خوف عذابه، إذا عرض له محرم لذيذ، ذكر ألم الآخرة على ارتكابه فصرف نفسه عنه، وزهدها في لذته. وإن واجه واجباً صعباً، ذكر ثواب الآخرة على فعله، فحمل نفسه عليه ورغَّبها فيه، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ينفقون في السراء والضراء، يؤثرون على أنفسهم بالخير وهم أحوج اليه، يفكرون في شدة عقاب الله، فتوجل من سماع اسمه قلوبهم، ثم يتذكرون رحمته فتلين قلوبهم به، وتستريح إلى ذكره[٢].

والمراد باليوم الآخر: يوم القيامة؛ فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ جعلهما يومين اثنين اليوم وغداً، اليوم الدنيا وغداً الآخرة، والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ١ ـ ٤]، وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وعلى الدعاة أن يبيِّنوا للناس أن الإيمان باليوم الآخر وبالبعث والجزاء مما يقتضيه العقل تحقيقاً لقاعدة العدل؛ إذ ليس في المعقول ولا في الحكمة أن تكون

(١) الحمد، «قصة البشرية»، د. ط، ص٧٧. (الكتاب منشور على موقع وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية).

(٢) الطنطاوي، «تعريف عام بدين الإسلام»، ط١، ص٧٨.

هذه الحياة القصيرة هي الغاية من خلق هذا العالم الكبير، وأن تكون نهاية المؤمن والكافر سواء، ونهاية الظالم والمظلوم سواء، ونهاية البَرّ والفاجر سواء.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٧، ٢٨][١]، وأن الإيمان باليوم الآخر هو أحد مقتضيات الإيمان بالله وفق التصور الإسلامي، الذي يقوم على أساس أن الله خلق الإنسان ليستخلفه في الأرض بعهدٍ منه وشرط، يتناول كل صغيرة وكبيرة من نشاطه في هذه الأرض وأنه خلقه واستخلفه ليبتليه في حياته الدنيا، ثم ينال جزاءه بعد نهاية الابتلاء.. فاليوم الآخر والجزاء فيه حتمية من حتميات الإيمان وفق التصور الإسلامي.. وهذا الإيمان على هذا النحو هو الذي يكيف ضمير المسلم وسلوكه، وتقديره للقيم والنتائج في هذه العاجلة. فهو يمضي في طريق الطاعة، وتحقيق الخير، والقيام على الحق والاتجاه إلى البر سواء كانت ثمرة ذلك ـ في الأرض ـ راحةً له أم تعباً. كسباً له أم خسارةً. نصراً له أم هزيمةً. وجداناً له أو حرماناً. حياة له أو استشهاداً؛ لأن جزاءه هناك في الدار الآخرة بعد نجاحه في الابتلاء، واجتيازه للامتحان.. لا يزحزحه عن الطاعة والحق والخير والبر أن تقف له الدنيا كلها بالمعارضة والأذى والشر والقتل.. فهو إنما يتعامل مع الله وينفذ عهده وشرطه وينتظر الجزاء هناك! إنها الوحدة الكبرى. طابع العقيدة الإسلامية. ترسمه هذه الآية القصيرة: الإيمان بالله وملائكته. والإيمان بجميع كتبه ورسله، بلا تفريق بين الرسل، والسمع والطاعة، والإنابة إلى الله. واليقين بيوم الحساب[٢].

والإيمان باليوم الآخر: هو اليقين الجازم بكل ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من: فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والحساب والميزان والصراط والشفاعة، والجنة والنار وما

(١) حسنين، «الإستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته»، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الثاني، ص١٠٤.
(٢) الشحود، «الإنسانُ بينَ الدَّيْنُونةِ للهِ والدَّيْنونةِ لغيرهِ»، ط١، ص٣٣.

أعد الله تعالى لأهلهما، وغير ذلك[١].

وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده؛ حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن عدة أمور:

١ ـ **الإيمان بالبعث**: وهو إحياء الموتى؛ حيث ينفخ في الصور، وهو قرنٌ ينفخ فيه الملك الموكل بذلك، ويقوم الناس لربِّ العالمين حفاةً عراةً غُرْلاً؛ أي: غير مختونين.

وهذا البعث مقتضى الحكمة؛ حيث تقتضي أن يجعل الله لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله.

٢ ـ **الإيمان بالجزاء والحساب**: فيحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

والجزاء والحساب مقتضى الحكمة؛ فإن الله أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاء به الرسل، والعمل بما يجب العمل به.

فلو لم يكن هناك حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الله عنه[٢].

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١ ـ الرغبة في فعل الطاعات، والحرص عليها؛ رجاءً لثواب ذلك اليوم.

٢ ـ الرهبة من فعل المعاصي، والحذر من الرضا بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

٣ ـ تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٤ ـ الصبر على الأذى، والمصائب، واحتساب الأجر[٣].

---

(١) مركز قطر للتعريف بالإسلام، «التعريف بالإسلام»، د. ط، ص١٤٦.

(٢) الحمد، «الطريق إلى الإسلام»، ط٢، ص٦٨.

(٣) الحمد، «قصة البشرية»، د. ط، ص٨٢. (الكتاب منشور على موقع وزارة الشؤون الإسلامية بالسعودية).

سادساً: الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر الركن السادس من أركان الإيمان.

والقدر: اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يُقال: قَدَرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق؛ كقول ربنا سبحانه: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢]؛ أي: خلقهن، فلا فرق بين القضاء والقدر؛ بل كلّ منهما بمعنى الآخر، وإذا أُطلق أحدهما شمل الآخر، والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، وقد تظاهرت عليه الأدلة القطعية من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف.

والإيمان بالقدر خيره وشره، وأن الله تعالى علم أعمال عباده ومقادير خلقه قبل أن يخلقهم وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وشاءها منهم وخلقها وأوجدها في أوقاتها المحددة بلا تقدم ولا تأخر، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥][(١)].

ومن ثمرات الإيمان بالقدر:

١ ـ السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية والتسليم لله في ذلك كله.

٢ ـ الجد والحزم في الأمور، والحرص على كل خير ديني أو دنيوي، كما في قوله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدرَّ الله وما شاء فعل**».

٣ ـ الشكر؛ فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمةٍ فمن الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروهٍ ونقمة، فينبعث بسبب ذلك شكر الله إذ هو المنعم المتفضل الذي قدَّر له ذلك، وهو المستحق للشكر، وهذا لا يعني ألا يشكر الناس[(٢)].

---

(١) آل جار الله، «كمال الدين الإسلامي»، ط١، ص٧٤.

(٢) الصَّلَّابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ص٣٦٦.

وبناءً على ما سبق في الحديث عن أركان الإيمان يمكن القول: إن طرح الداعية لمكونات الإيمان يعتمد في منهجيته على ما طرحه منهج القرآن نظراً لتعلق أغلب المكونات بالغيب، فالإيمان بالله ﷻ وبملائكته وباليوم الاخر وبالقدر كلها إيمان بغيبيات، يجب أن تستقى من مصدر لا جدال فيه وهو القرآن الكريم، وكذلك ما يتعلق بالقرآن وغيره من الكتب الأخرى فعلى الداعي أن يقوم بطرح تلك القضية وفق المنهج القرآني المجمل، ولا يدخل في تفصيلات مقارنة الكتب السماوية بالقرآن ولا مقارنات الأديان، فهذا ليس عمل الداعية وليس له كبير فائدة.

المرتبة الثالثة: الإحسان:

أ ـ الإحسان لغةً:

الإِحْسانُ: ضدُّ الإِساءة. وَرَجُلٌ مُحْسِن ومِحسان[(١)].

والإِحْسَانُ: أَنْ يُقابِلَ الخَيْرَ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، والشَّرَّ بِأَقَلَّ مِنْهُ[(٢)].

أحسنَ إلى أحسنَ بـ يُحسِن، إحساناً، فهو محسِن، والمفعول مُحسَن (للمتعدِّي)[(٣)] وهو: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير.

ب ـ الإحسان اصطلاحاً:

الإحسان في الشريعة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[(٤)].

والإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان؛ **أحدهما**: الإنعام على الغير، **والثاني**: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً محموداً، أو عمل عملاً حسناً، ومنه قول علي كرَّم الله وجهه: الناس أبناء ما يحسنون؛ أي:

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ١٣/ ١١٧.
(٢) الزَّبيدي، «تاج العروس من جواهر القاموس»، د. ط، ٢٩/ ٤٤٤.
(٣) عمر، «معجم اللغة العربية المعاصرة»، ط١، ١/ ٤٩٧.
(٤) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص١٢.

منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون. وإحسان الشيء عرفانه وإيقانه. وقد فسَّر الشارع الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه[١].

ج ـ مراتب الإحسان:

الإحسان مرتبتان:

المرتبة الأولى: أن يعبد الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب، وشوق، ورغبة ومحبة، فهو يطلب مَنْ يحب وهو الله ﷻ، ويقصده ويعبده كأنه يراه، وهذه أعلى المرتبتين، وهي أن تعبد الله كأنك تراه.

والمرتبة الثانية: إذا لم تعبد الله كأنك تراه وتطلبه، فاعبده كأنه هو الذي يراك عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، متذلل له.

قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: «فهل يستطيع أن يسرق أو يزني من يعلم أن أباه وأستاذه مطلٌّ عليه من الشباك يراه، فكيف بمن يعلم أن الله مطّلعٌ عليه وناظرٌ إليه، لذلك جاء في الحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٢].

فأثر العبادات واضح في تقويم الأخلاق وتزكية النفوس، وشحذ العزائم إلى جانب أنها تزكي في العبد مَلَكَة المراقبة لربه، وترقى به إلى درجة الإحسان الذي يجعلك تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٣].

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن الإحسان كبقية الأخلاق، يلزم لمن يوجه الناس أن يكون قدوة في تطبيقه ففاقد الشيء لا يعطيه، والداعية إذا ما دعا للإحسان فيجب أن يكون الإحسان ظاهراً في أخلاقه فيتجاوز عن المسيء ويكرم من أحسن إليه، ويتقي الله في سرِّه وعلانيَّته وخاصة في مجال المعاملات، فالدين ليس شعائر تقام ولكنه المعاملة بما تقتضيه من صلاح النفوس المقيمة للشعيرة والمطبقة للشريعة.

---

(١) المناوي، «التوقيف على مهمات التعاريف»، ط١، ص٤٠.
(٢) الطنطاوي، «مقالات في كلمات»، ط١، ص١٠٣.
(٣) منصور، «العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين»، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد [٦١]، ص١١٩.

والإحسان لا يقتصر على إنفاق الدرهم والدينار؛ أي: على العطاء المادي فحسب، كما هو شائع في أذهان الكثير من الناس، وإن كان ذلك جزءاً مهمّاً في رسم حقيقته، بل هو مفهوم شامل واسع لكلِّ العَلاقات التي تربط الإنسان بغيره من الأشخاص والأشياء والأحداث.

والمتأمل في منهج الإسلام يجد عجباً في رسمه لعلاقة المسلم بغير المسلم وأنها تقوم في أصلها على الإحسان، والبر، والصلة، والعدل، وحب الخير والهداية لهم.

قال الله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨].

قال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي في تفسير هذه الآية: «أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة والمكافأة بالمعروف والقسط للمشركين من أقاربكم وغيرهم حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين، والإخراج من دياركم؛ فليس عليكم جناح أن تصلوهم؛ فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة»[(١)].

وهذا ما فهمه الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حيث ذبح شاةً فقال: هل أهديتم منها لجارنا اليهودي؟ ثلاث مرات.

ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[(٢)].

ففهم هذا الصحابي الجليل من هذا الحديث في حسن معاملة الجار أنه يشمل المسلم والكافر.

وفي ظل هذا التوجيه القرآني؛ عاش أهل الكتاب في جوار المسلمين ينعمون بالأمن والطمأنينة على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

---

(١) السعدي، «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان»، ط١، ص٨٥٦.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ٣٨/١١، حديث رقم (٦٤٩٦)، والبخاري في «الأدب المفرد»، باب الوصاية بالجار، ص٤٩، حديث رقم (١٠١)، وأبو داود في «سننه»، كتاب النوم، باب في حق الجوار، ٣٣٨/٤، حديث رقم (٥١٥٢). وصححه الألباني.

بل لقد وجدوا معاملةً وعدلاً لم يكونوا يجدونها بين أهليهم وبني جنسهم وملَّتهم.

وحين وجدوا تلك المعاملة الحسنة والعدل والخلق من المسلمين أحبوا دين الإسلام، وسارعوا إلى الدخول فيه عن قناعةٍ ويقين.

ولذا يرى بعض الباحثين الغربيين في مجال حقوق الإنسان أن عهد الذمة الذي كان يعقده نبي الإسلام ﷺ كان أول ميثاق في حرية الاعتقاد(١)، وأنه لا يُكْرِه أحداً على الدخول فيه، وأن وظيفة الرسل، وأتباعهم من بعدهم، إنما هي البلاغ، وإيصال الحق الى الناس.

قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ [ص: ٦٥].

فالمهمة الـمُناطة بهم إذاً إنما هي الدعوة والبلاغ، والمناصحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهي ما يُعرف بهداية الدلالة والإرشاد.

وأما هداية التوفيق، والإلهام، وإدخال الإيمان في القلوب فهي لله وحده.

وهذا ما يؤكد جانباً من جوانب الحرية، ألا وهو تَحَرُّرُ الإنسان من كل رقابة بينه وبين خالقه؛ فالعلاقة في الإسلام مباشرة بين الإنسان وربه من غير واسطة من أحد مهما كانت منزلته(٢).

قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام؛ فإنه واضحٌ جَليةٌ دلائلُه وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكْرَهَ أحَدٌ على الدخول فيه؛ بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونوَّر بصيرته دخل فيه على بيِّنة.

ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول مكرهاً مقسوراً»(٣).

---

(١) جوردن، «نشأة وتطور حقوق الإنسان»، د. ط، ص٢٤.
(٢) ابن حميد، «تلبيس مردود في قضايا حية»، د. ط، ص٢٩.
(٣) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ١/ ٦٨٢، وهناك تفسيرات أخرى للآية غير أن هذا التفسير هو الأشهر.

كما يُظْهر القرآن صورة أخرى في المعاملة الحسنة مع المخالفين في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فالآية تشهد بطريقٍ واضحٍ أن هؤلاء بقوا مع المسلمين مع احتفاظهم بدينهم المخالف للإسلام، ولم يمنع الإسلام من الإحسان في معاملتهم.

ونجد مبدأ الحرية في الديانة مقرراً في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

والمراد ههنا: دعوة الناس، ولا يلزم من ذلك أن كلَّ من دُعي إلى الإسلام والهدى أنه سيجيب، وإن كان الواجب عليهم أن يكونوا مسلمين جميعاً[(١)].

وقد شهد بإحسانِ المسلمين غير المسلمين، وأكثر هذه الشهادات من المنصفين، وبعضها ممن يسمون برجال الدين المسيحيين، بل إن بعضها ممن يتسمون بالحقد والجهل على الإسلام.

وفيما يلي شيء من تلك الشهادات:

١ ـ تقول دائرة المعارف الكتابية والتي كتبها جماعة من المختصين في شأن اللاهوت والكتاب المقدس عن الحالة الدينية، وما ناله المسيحيون في مصر إبَّان الفتح الإسلامي؛ من معاملةٍ عادلة: «وحظي اليهود والأقباط من العرب أفضل من معاملة الرومان، أو رجال الكنيسة اليونانية.

وبعد الفتح العربي استراحت الكنيسة من الاضطهاد، فازدهرت، وربحت كثيراً من النفوس حتى بين غير المسيحيين»[(٢)].

---

(١) انظر: جمل الليل، «حقوق الإنسان»، د. ط، ص٢٠٢ ـ ٢٠٥.
(٢) دائرة المعارف الكتابية إعداد جماعة من اللاهوتيين مادة اسكندر/٦، وانظر: «حقوق الإنسان»، ص٣١٣.

٢ ـ وهذا المطران ميشيل يتيم يتحدث عن الفتح الإسلامي لمنطقة الشام والعراق، والتي كان معظم سكانها من المسيحيين؛ فيقول: «ولما استتب الأمر للعرب بعد السنوات الأولى من الفتوحات اضطر الخلفاء والحكام إلى إصدار أحكام واضحة تحدد موقف المسلمين من النصارى، وتنظم أوضاعهم الدينية والسياسية والاجتماعية.

لقد اتصفت هذه العهود بالسماحة ورحابة الصدر، فسمحت لمن يشاء من السكان والرهبان والموظفين بالهجرة إلى الأراضي البيزنطية، فغادر الدولة الإسلامية عدد وافر، وحافظ الباقون على كنائسهم، وأموالهم، وحريتهم الدينية، وشرائعهم الخاصة بقيادة أساقفتهم».

ثم ذكر بعض الواجبات المترتبة عليهم إزاء ذلك(١).

٣ ـ وهذا جولدزيهر وهو المستشرق المعروف بطعنه في عدد من الشرائع الإسلامية نجده لا يخفي إعجابه، حيث يقول: «وروح التسامح في الإسلام قديماً، تلك الروح التي اعترف بها المسيحيون المعاصرون أيضاً، كان لها أصلها في القرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقد جاءت الأخبار عن السنين العشر الأولى للإسلام بمُثُلٍ للتسامح الديني للخلفاء إزاء الأديان القديمة، وكثيراً ما كانوا يوصون في وصاياهم للفاتحين بالتعاليم الحكيمة»(٢).

٢ ـ وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «فما يدَّعيه بعضهم من اتهامهم؛ أي: المسلمين بالتعصب والوحشية إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة في تسامحهم، وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة.

التاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي

(١) يتيم وديك، «تاريخ الكنيسة الشرقية»، د. ط، ص١٦٨، وانظر: جمل الليل، «حقوق الإنسان»، د. ط، ص٣١٤.
(٢) جولدزيهر، «العقيدة والشريعة في الإسلام»، د. ط، ص٤٦، وانظر: «حقوق الإنسان»، ص٣١٥.

عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب، وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر، مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاحٍ لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف، ولا الحضارة الرومانية بعنفها وفرض إرادتها بالقوة»[(١)].

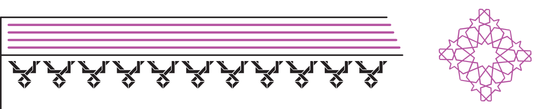
٣ ـ ويقول المستشرق الإنجليزي توماس آرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: «لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامحٍ عظيمٍ منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح»[(٢)].

٤ ـ ويقول أيضاً: «لم نسمع عن أية محاولةٍ مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهادٍ منظمٍ قُصد منه استئصال الدين المسيحي»[(٣)].

فهذا عدد من الشهادات التي تبيِّن ما كان عليه المسلمون من التسامح[(٤)].



(١) هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب»، د. ط، ص٣٥٧.
(٢) أرنولد، «الدعوة إلى الإسلام»، د. ط، ص٩٨ ـ ٩٩.
(٣) «الدعوة إلى الإسلام»، ص٩٩.
(٤) جمل الليل، «حقوق الإنسان»، د. ط، ص٣١٢ ـ ٣١٧.



المبحث الرابع

منهجية التعريف بالشريعة الإسلامية

١ ـ مصادر التشريع:

الكتاب والسُّنَّة: هما مصدرا التشريع في الدين الإسلامي؛ فمنهما تُسْتَمد عقائد الإسلام، وشرائعه، وأحكامه، وآدابه، وما جرى مجرى ذلك.

وعلى الداعية إذا ما تعرض لمصادر التشريع، أن يوضح للمدعوِّين أن التشريع لا يأتي من فراغ فكل تشريع له مصدر يستقي من قواعده التشريع ويكتمل بناؤه وفقاً لتلك القواعد، والتشريع الإسلامي تشريعٌ إلٰهي أنزله الله تعالى في كتابه العزيز مجملاً وجاءت السُّنَّة المشرفة ففصلت ما أجمل، إلا أن متغيرات وحوادث الزمن أتت بقضايا جديدة لم يتعرض لها الكتاب ولم تتعرض لها السُّنَّة وإن كانت القواعد الحاكمة لها موجودة في كليهما؛ لذلك فقد اجتهد علماء المسلمين فوضعوا علوماً تمكِّنهم من استنباط الأحكام من القواعد فاعتبروا أن كل إجماع على الحكم المستنبط هو مصدر تشريعي مستقى من الكتاب والسُّنَّة، كما اجتهدوا فيما لم يستطيعوا استنباطه من الأحكام فقاسوا بعض القضايا المحدثة على قضايا ثابتة في الكتاب والسُّنَّة، وأرسوا قواعد على القياس واعتبروه مصدراً تشريعيّاً قائماً على الكتاب والسُّنَّة، **وفيما يلي توضيح لتلك المصادر:**

أولاً: القرآن:

القرآن: اسم كتاب الله خاصّة، ولا يسمّى به شيء من سائر الكتب غيره، وإنما سمّي قرآناً؛ لأنه يجمع السور فيضمها، وسمّي القرآن فرقاناً؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وبين المسلم والكافر، وخرج تقديره على تقدير: رجل قنعان،

والمعنى: أنه يرضى الخصمان والمختلفان في الأمر بحكمه بينهما ويقنعان به[١].

وفهم كتاب الله يورثه النَّفس الثَّابِت فِي الْقلب فَإِذا ثَبت فَكَأَنَّهُ يعاين ربه جلَّ وَعز ووعده ووعيده[٢].

قد أنزل الله ﷻ القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين، وجعله شفاءً ورحمةً للمؤمنين، ونوراً، وضياءً، وهدًى للعالمين، وتكفّل بحفظه من التحريف والتبديل والزيادة والنقص على يد المضلين، ويسّر حفظه وتلاوته، على الصغير، والكبير، والمرأة، والرجل، والعرب، والعجم، وأهل الحضر، والبادية، فقال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

ولقد هيأ لخدمة كتابه من كل جيل رجالاً لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وتلاوة كتابه، وجعلهم أهله وخاصته، فتناقلوا قراءاته من الصدور إلى الصدور وحرصوا على تلقيه بنصه ولفظه كما تلقاه أمين الأرض عن أمين السماء وأدّوه إلى طلابهم كما أدّاه رسول الله ﷺ إلى أصحابه ﵃. واتصل سند المتأخرين بأسانيد المتقدمين وسيبقى هذا السند ممتدّاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بإذن الله تعالى[٣].

فوصَفَهُ ـ سبحانه ـ بأنَّه محفوظٌ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ووصف مَحَلَّهُ بالحفظ في هذه السورة.

فالله ـ سبحانه ـ حفظ مَحَلَّهُ، وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل، وحَفِظَ معانيه من التحريف كما حفظ ألفاظَهُ من التبديل، وأقام له من يحفظ حُرُوفَهُ من الزيادة والنقصان، ومعانيه من التحريف والتغيير[٤].

فرض الله تعالى على الأمة ضبط القرآن وتعلمه وروايته على الوجه الذى نزل به، بمعنى أنه يجب أن يكون في كل عصرٍ طائفة من الأمة تبلغ حد التواتر يقومون بتحمله وروايته باللغة التي نزل بها ويحفظونه من التحريف والتغيير

---

(١) البصري، «مجاز القرآن»، د. ط، ص٣.
(٢) المحاسبي، «فهم القرآن ومعانيه»، ط٢، ص٣١٣.
(٣) الداني، «جامع البيان في القراءات السبع»، ط١، ١/ ٢.
(٤) ابن القيِّم، «التبيان في أيمان القرآن»، ط١، ص١٥٦.

والتبديل، وأن يكون فيهم من يعرف أوجه القراءات والطرق والكيفيات المتلقاة من أفواه المشايخ طبقة عن طبقة إلى رسول الله ﷺ[(١)].

وأضحت هذه العناية بحقٍّ أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب وأجلّها، وأبعدها من التحريف والتغيير، وبذلك هيأ الله الأسباب المتكاثرة لحفظ كتابه، وهذا مصداق قوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩][(٢)].

والله سبحانه قد وعد بحفظ كتابه فهيأ له من الأسباب الداعية إلى حفظه وصيانته من التحريف والتبديل ما لم يتهيأ لكتابٍ غيره في الدنيا، وعلى كثرة ما صوبه أعداء الإسلام إلى القرآن من سهام غير صائبة، وتلفيقات مزورة فقد بقي القرآن كالطود الشامخ الذي لا تزحزحه عن مكانه الرياح، والأعاصير، مهما اشتدت، وقد تكسرت على صخرته العاتية كل السهام، وبيَّتوا كل كيد، وسيبقى هكذا، صلداً، قويّاً حتى يرث الله الأرض وما عليها، وصدق الله حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢][(٣)].

وحكمة حفظ الله له من التحريف والتبديل عائد إلى أن القرآن هو مصدر التشريع الأول للبشرية من لدن بعثة النبي ﷺ؛ فحفظ الكتاب حفظ للشريعة، **ويتمتع القرآن بعددٍ من الخصائص منها:**

* اشتماله على الأحرف المقطعة في أوائل السور، وذلك ما لم يعهده العرب في كلامهم.

* فواتح السور.

* هيمنته على الكتب السابقة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) الخطاط، «تاريخ القرآن الكريم»، ط١، ص٢٠٢.
(٢) أبو شُهبة، «المدخل لدراسة القرآن الكريم»، ط٢، ص١٧.
(٣) «المدخل لدراسة القرآن الكريم»، ص٣٠٨.

* التعبد بتلاوته، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤]. وقال ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**».

* الثواب الجزيل لمن تلاه وتدبره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[(١)].

ثانياً: السُّنَّة:

والسُّنَّة: هي المصدر الثاني للتشريع، بنص الكتاب، والإجماع، والمعقول، أما الكتاب؛ فقد دلَّ على أن ما ينطق به النبي ﷺ على وجه التشريع مبناه الوحي؛ أي: مصدره الوحي من الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب، فإن السُّنَّة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصلٌ عظيمٌ لأهل الإسلام»[(٢)].

والسُّنَّة: هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله، سواء فعله رسول الله ﷺ أو فعل على زمانه أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه لعدم المقتضي حينئذٍ لفعله أو وجود المانع منه. فإنه إذا ثبت أنه أمر به أو استحبه فهو سُنَّة»[(٣)].

وأصبحت السُّنَّة هي البوتقة التي انصهرت فيها كل الثقافات، فهي بمثابة النهر الكبير، والمذاهب والفرق روافد، وقول الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شاهد: «إن أساليب القرآن أرجح في سلامة العقيدة والتزام صفاء الفطرة؛ من جملة أساليب اليونان والصوفية، وفي بوتقة السُّنَّة أصبح العقل في خدمة الوحي يسير في ضوئه، وأباح فقهاء المسلمين قدراً كبيراً من التأويل والاختلاف في الفروع دون أن

---

(١) الجرمي، «معجم علوم القرآن»، ط١، ص١٤٥.
(٢) علي، «شبهات القرآنيين»، د. ط، ص٥٣.
(٣) ابن تيمية، «مجموعة الفتاوى»، د٣، ٣٠/٢٠٦.

يتجاوزوا وجه الانحرافات الهدامة»[١].

والسُّنَّة: كان لها وجود في حياة النبي ﷺ قبل الهجرة، وبعد الهجرة؛ لأن السُّنَّة هي أقواله وأفعاله وتقريراته. فهي كانت كالزرع ينمو ويتكاثر على مدى حياة من أرسله الله رحمة للعالمين.

وأصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار عقب وفاة صاحب الرسالة، وأحلوا بها وفي صدورهم وعلى ألسنتهم أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وسمعها منهم التابعون في كل مصر من الأمصار التي فتحها الإسلام، وكانت هذه السُّنَّة مصابيح هدى بعد القرآن لدى المسلمين الأوائل.

ولذلك، لما رأى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز جمع السُّنَّة وتدوينها على نطاقٍ واسعٍ، دبَّت حركات الجمع في كل الأقطار[٢] وبرز لجمعها أفذاذ الرجال ممن حرسوا الحديث والسُّنَّة؛ فبينوا الصحيح والسقيم والقوي والضعيف في تراثٍ لا يوجد مثله في الأمم السابقة.

ثالثاً: الإجماع:

الإجماع لغةً: العزم والاتفاق[٣].

واصطلاحاً: اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد النبي ﷺ على حكمٍ شرعي.

فخرج بقولنا: «اتفاق»: وجود خلاف، ولو من واحد؛ فلا ينعقد معه الإجماع.

وخرج بقولنا: «مجتهدي»: العوام والمقلدون؛ فلا يعتبر وفاقهم ولا خلافهم».

والإجماع: هو الأصل الثالث؛ الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

والعلماء يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين.

---

(١) الشربيني، «كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها»، ط١، ص١١٤.

(٢) المطعني، «الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السُّنَّة النبوية عرض وتفنيد ونقض»، ط١، ص١٢٩.

(٣) ابن النجار، «شرح الكوكب المنير»، ط٢، ٢/ ٢١٠.

والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه «السلف الصالح»؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة[(١)].

وصفة الإجماع هو ما تُيُقن أنه لا خلاف فيه بين أحدٍ من علماء الإسلام، ونعلم ذلك من حيث علمنا الأخبارَ التي لا يتخالج فيها شك، مثل أن المسلمين خرجوا من الحجاز إلى اليمن[(٢)].

رابعاً: القياس:

والقياس: «تقدير الشيء بغيره، وهذا يتناول تقدير الشيء المعين بنظيره المعين، وتقديره بالأمر الكلي المتناول له ولأمثاله؛ فإنّ الكلي هو مثال في الذهن لجزئياته. ولهذا كان مطابقاً موافقاً له»[(٣)].

والقياس: في اللغة عبارة عن التقدير، يقال: قست النعل بالنعل، إذا قدرته وسويته، وهو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره. وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص؛ لتعديه الحكم من المنصوص عليه إلى غيره، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم[(٤)].

والقياس اصطلاحاً هو: «الجمع بين الفرع والأصل لاشتراكهما في علة الأصل، فافترقا، غير أن القياس يفتقر إلى اجتهاد، وقد لا يُفتقر الاجتهاد إلى القياس»[(٥)].

وعند أهل الأصول: القياس: إبانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر، واختيار لفظ الإبانة دون الإثبات؛ لأن القياس مظهر للحكم لا مثبت، وذكر مثل الحكم، ومثل العلة، احتراز عن لزوم القول بانتقال الأوصاف، واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين.

---

(١) ابن تيمية، «العقيدة الواسطية»، ط٢، ص١٢٨.
(٢) ابن تيمية، «نقد مراتب الإجماع»، ط١، ص٢٨٧.
(٣) ابن تيمية، «الرد على المنطقيين»، د. ط، ص١١٩.
(٤) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص١٨١.
(٥) الماوردي، «الحاوي الكبير»، ط١، ١٦/١١٨.

والقياس إما جلي، وهو ما تسبق إليه الأفهام، وإما خفي، وهو ما يكون بخلافه[(١)].

وقد يكون القياس قياساً شموليّاً ويقصد به: «انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره[(٢)].

وقد يكون القياس تمثيليّاً ويقصد به انتقال الذهن من حكمٍ معينٍ لاشتراكهما في ذلك المعنى المشترك الكلي»[(٣)].

وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن مصادر التشريع هي القرآن والسُّنَّة والإجماع والقياس، وعلى الداعية أن يوضح للمدعوين أن الإجماع والقياس استمدَّا قوة التشريع من الكتاب والسُّنَّة، وأن كل إجماع لم يوافقها هو اجتهاد أجراه العلماء لضرورة إذا ما انتهت عادوا إلى الأصل في التطبيق، وأن أي قياس لم يوافق الكتاب والسُّنَّة هو قياسٌ فاسد.

٢ ـ مقاصد الشريعة:

المقاصد في اللغة: جمع: مقصد، وهي من (قصد) وتعني: التوجه نحو الشيء، يقال: قصدت قصده؛ أي: نحوتُ نحوه، وأقصد السهم، أصاب[(٤)].

ومقاصد الشريعة لغةً: الأهداف التي وضعت لها مقاصد الكلام: ما وراء السطور، أو ما بينها.

وأما في الشرع: «فهي الغايات التي وُضعت الشريعةُ لتحقيقها»[(٥)]، وتنقسم إلى مقاصد عامة، ومقاصد خاصة، على أربعة مراتب، وهي: الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، والمكملات، والمقاصد العامة الخمسة، التي تعد أهم الضروريات، **وهي**:

---

(١) الجرجاني، «التعريفات»، ص١٨١.
(٢) ابن تيمية، «الرد على المنطقيين»، د. ط، ص١١٩.
(٣) «الرد على المنطقيين»، ص١٢١.
(٤) ابن فارس: «معجم مقاييس اللغة»، د. ط، ٥/ ٩٥ ـ ٩٦، والأصفهاني، «مفردات ألفاظ القرآن الكريم»، د. ط، ص٤٥١ ـ ٤٥٢.
(٥) عمر، «معجم اللغة العربية المعاصرة»، ط١، ٣/ ١٨٢٠.

أولاً: حفظ الدين.

ثانياً: حفظ النفس.

ثالثاً: حفظ العقل. ذ

رابعاً: حفظ المال.

خامساً: حفظ النسل.

«فأما الضرورية فمعناها: أنها لا بدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد، وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة، والنعيم، والرجوع بالخسران المبين، **والحفظ لها يكون بأمرين:**

أحدهما: ما يقيم أركانها، ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

الثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»(١).

ومقاصد الشريعة: علم قصد الشارع لإبطالها، وإعدامها، إلى المفسدة اليسيرة، التي في جعل ما لم يوجد تبعاً لما وجد؛ لما فيه من المصلحة، وقد اعتبرها الشارع، ولم يأت عنه حرف واحد أنه نهى عن بيع المعدوم، وإنما نهى عن بيع الغرر، والغرر شيء وهذا شيء، ولا يسمى هذا البيع غرراً لا لغة، ولا عرفاً ولا شرعاً(٢).

وقد أمر الشرع باعتبار هذه المقاصد، وحثَّ على تحقيقها، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان، ويأمر بصلة الأرحام، وينهى عن

---

(١) الشاطبي، «الموافقات»، ط١، ٢/ ٧.

(٢) ابن القيِّم، «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، ١/ ٢٣٥.

الفواحش: المحرمات، والمنكرات: ما ظهر منها من فاعلها؛ ولهذا قيل في الموضع الآخر، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. وأما البغي فهو: العدوان على الناس[(١)].

وقد اجتهد العلماء في بيان علل الأحكام، وغايات الإسلام، ومقاصد الشريعة، وأهدافها، فبيَّنوا أن لكل حكم من أحكام الإسلام وظيفة يؤديها، وغاية يحققها، وعلَّة ظاهرة أو كامنة يعمل لإيجاده، ومقصداً وهدفاً يقصده ويستهدفه، لتحقيق مصلحة للإنسان، أو دفع مفسدة ومضرة عنه.

وقد أجمع علماء الأمة على أن الشريعة مبنية على جلب المصالح، ودرء المفاسد[(٢)].

ولذا قيل: إن «مقصود الشرع من الخلق خمسة، وهي: أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم؛ فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة؛ فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة»[(٣)].

والمصالح المعتبرة هي المصالح الحقيقية، وهي ترجع إلى أمور خمسة: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال؛ لأن هذه الأمور الخمسة بها قوام الدنيا التي يعيش فيها الإنسان[(٤)].

أولاً: حفظ الدين:

يُعَدُّ الحفاظ على الدين؛ حفاظ على الحياة، كما أن الحفاظ على حياة المسلم حياة للدين؛ إذ وجود الإنسان؛ يعني: وجود الدين، وبفقده يفقد أساس وجوده، ومعاني إنسانيته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

---

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٤/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧.
(٢) عز الدين، «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، د. ط، ١/ ٥.
(٣) الغزالي، «المستصفى في علم الأصول»، ط١، ١/ ٤١٧.
(٤) جمل الليل، «حقوق الإنسان»، د. ط، ص١٦.

[الذاريات: ٥٦]، وبإدراك الإنسان لهذه الحقيقة، وإيمانه العميق بها؛ يدرك الكرامة المطلقة، والفضل الكبير لخالقه عليه، وبذلك يفهَم قيمة الوجود في هذا الكون، في ظل التنظيم الإلٰهي البديع لهذا الكون.

«فالدين الحق مصلحة ضرورية للناس؛ لأنه ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقته بمجتمعه»(١)، وفيما يلي بيان حفظ الشريعة للدين الحنيف:

١ ـ حفظ الدين؛ بالعمل بأحكامه في العبادات، والمعاملات، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨]، يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به، المصدّقين برسوله: أنْ يأخذوا بجميع عُرَى الإسلام، وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك(٢)، ومن ذلك أيضاً مراعاة أنظمة السلامة المرورية التي بها يتحقق حفظ النفس، والمال، وتتحقق بها الطاعة، والاستقرار.

٢ ـ الدعوة إلى الدخول في الدين، والتمسك به، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]؛ أي: «دعا عباد الله إليه، وَعَمِلَ صَالِحاً، وَقَالَ: إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ أي: وهو في نفسه مهتدٍ بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم، ومُتَعَدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير، ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى»(٣)؛ لأنه بالدعوة ينتشر الخير، وتعم الفضيلة، وينحسر الفساد وأهله، وذلك خير ضمانة لحماية دين الله ﷻ.

أية نظرة عاقلة لن تجد مجتمعاً صالحاً بدون هذه الأهداف أو الغايات السامية، التي تكفل تحقيق مجتمع متكامل، متماسك، متعاون، يقوم على الحب

(١) الزامل، «الدين والضبط الاجتماعي»، ط١، ص١٥.
(٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ١/ ٥٦٥.
(٣) «تفسير القرآن العظيم»، ٧/ ١٧٩.

بأسمى معانيه، وحفظ الدين؛ يعني: ضرورة التمسك بالشريعة الإسلامية، وإقامة الحد على الكافرين، وعلى كل من أنكر فرضاً من الفرائض، أو أحلَّ حراماً، ويكون حفظ النفس باتباع أوامر الله ﷻ، وإقامة الحد، وردع كل معتد، من أجل تكريم النفس، وحمايتها من كل ضرر، ويكون حفظ العقل بتحريم المسكرات، والخمور، وكل ما يُفقد العقل، ويؤدي إلى التهلكة، ويكون حفظ العرض؛ بتنظيم العلاقة بين الرجال والنساء، على أساس مبادئ الشريعة الإسلامية، فقد أحل الله الزواج، وبيَّن ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله: إنه يقوم، وينام، ويصوم، ويفطر، ويتزوج النساء، وإنه من رغب عن سُنَّته فلا ينتسب إليه عليه الصلاة السلام أو إلى الأمة المسلمة، وأباح الشرع للرجل أن يتزوج مثنى، وثلاث، ورباع، بشرط تحقيق العدل، والقدرة على الإنفاق، وحرَّم الله الزنا، ويُعد الزنا من الكبائر؛ لأنه يخرب البيوت، ويقطع العلاقات، ويفكك الأسر، ويؤدي إلى ظهور الحقد والكراهية، والغيرة، والحسد، وكافة الموبقات. ولهذا شدد الشرع حدَّ الزنا، وأما حفظ المال؛ فيكون بحماية كل ما يجمعه الإنسان من مالٍ حلال، وذلك بإقامة الحد على السارق المغتصب، الذي يقطع الطريق على المارة، ويعتدي على أموالهم قهراً، فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا(١).

٣ ـ الجهاد في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]؛ أي: وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده، بعد قيام الحجة عليه(٢).

٤ ـ رد كل ما يخالف الشرع ويناهضه من محدثات البدع والأهواء، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ**»(٣).

(١) السمالوطي، «بناء المجتمع الإسلامي»، ط٣، ص٣٤.
(٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٨/ ٢٧.
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور =

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ، فإنه صريحٌ في ردِّ كل البدع، والمخترعات[(١)].

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ثانياً: حفظ النفس:

من مقاصد الشريعة: وجوب حفظ النفس؛ وهي من الضروريات الخمس، التي ألمع إليها الأصوليون، إلا ما كان بذلاً للنفس في سبيل الله تعالى، فهذا قد رغَّبت فيه النصوص القرآنية، والحديثية، وإن في الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، كما جاء في الحديث الصحيح.

وقد نصَّت كثير من الآيات القرآنية على ضرورة حفظ النفس، وحمايتها من التلف، والفساد، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]؛ أي: بارتكاب محارم الله، وتعاطي معاصيه؛ أي: فيما أمركم به، ونهاكم عنه[(٢)]، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وهذا تهديدٌ شديد، ووعيدٌ أكيد، لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرونٌ بالشرك بالله، في غير ما آية في كتاب الله، وعن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ، قال: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه؛ المفارق للجماعة**»[(٣)].

= فالصلح مردود، ٣/ ١٨٤، حديث رقم (٢٦٩٧).

(١) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٢/ ١٦.

(٢) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٢/ ٢٦٨.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب «الديات»، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ =

وحفظ النفس من الأولويات التي جاءت الشريعة الاسلامية بالحث على حفظها، وسلامتها مما يتسبب في إزهاقها، وقد نص القرآن الكريم على ضرورة حفظ النفس، وحمايتها من التلف، والفساد، في كثيرٍ من المواطن، وبأساليب مختلفة، وحذر النبي ﷺ من التعدي عليها بغير حق، كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ، قال: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم**»(٢).

وقد ذكر بعض العلماء أن حفظ النفس يحصل بمعانٍ، منها: حفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود، من جهة المأكل والمشرب والملبس والمسكن، هذا مع الموقف الحازم للإسلام من آفة القتل، وما يفضي إليه أو يتسبب فيه، ورفض الاعتداء على الخلق بأي شكلٍ من الأشكال(٣)، فالمولى تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء: ٢٩]، هذا فيما يتعلق بقتل النفس عموماً، وأما قتل المسلم؛ فهو أشد، فقد أوضح المنهج الإسلامي خطر ذلك الأمر وعظمه، من ذلك قوله تعالى في القتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ

= بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۝٤٥﴾ [المائدة: ٤٥]، ٩/ ٥، حديث رقم (٦٨٧٨)، النيسابوري، ومسلم في «صحيحه»، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، ٣/ ١٣٠٢، حديث رقم (١٦٧٦).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، ١/ ٣٥، حديث رقم (١٢١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ١/ ٨١، حديث رقم (٦٥)، (١١٨).

(٢) أخرجه النسائي في «سننه»، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ٧/ ٨٢، حديث رقم (٣٩٨٧). وصححه الألباني.

(٣) الكندي، «السلامة المرورية من منظور إسلامي»، موقع الإدارة العامة للمرور، سلطنة عمان، تاريخ النشر: ٧/ ٢/ ٢٠١١م، الناشر: مال الله الصادري، استرجع بتاريخ: ١٥/ ٨/ ١٤٣٧هـ.

وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ﴾ [النساء: ٩٢]، فرتب سبحانه على القتل الخطأ دفع الدية لأولياء الدم، وعتق رقبة مؤمنة، تكفيراً عن هذا الجرم العظيم الذي ارتكبة، وإن كان على سبيل الخطأ.

وأما القتل العمد: فقد رتَّب عليه الشرع عقوبات عظيمة، لما يتلبس به القاتل عمداً من قصدٍ وجرأة على الأنفس المعصومة، وإزهاقها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وهذا تهديدٌ شديد، ووعيدٌ أكيد، لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله، في غير ما آية في كتاب الله[(١)]، حيث يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان: ٦٨]، وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»[(٢)].

ثالثاً: حفظ العقل:

اختص الله تعالى الإنسان بنعمة العقل، وكرّمه بها من بين سائر المخلوقات الأخرى، ولهذا كان العقل هو مناط التكليف، وبه يحجز الإنسان نفسه عن التصرفات الخاطئة، التي يلحق الإنسان بسببها الضرر، وتنافي العقل، والرشد، والحكمة، ولذلك كان حفظ العقل، «والعناية به؛ مما حثت عليه التربية الإسلامية، وحفظ العقل إنما هو فرع لحفظ النفس، والنسل، فبحفظهما يقع حفظ العقل، وبفواتهما يفوت العقل أيضاً»[(٣)]، ولهذا جاءت أنظمة وقوانين السلامة المرورية التي وضعت من قبل الدولة رعاية لهذه المصلحة، وحفظاً للناس من أضرار الحوادث، ورعايةً للأبناء من الوقوع في التصرفات والسلوكيات السلبية التي تتنافى مع المقصد الشرعي، والتربوي، لحفظ هذه النعمة العظيمة، التي

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٢/٢٦٨.
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الديات، ٩/٢، حديث رقم (٦٨٦٢).
(٣) الريسوني، «نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي»، ط٢، ص٤٣.

اختص الله تعالى بها الإنسان من بين سائر مخلوقاته، **وتتضح عناية الإسلام بالعقل من خلال النقاط التالية:**

١ ـ الدعوة إلى تنمية العقل ماديّاً، ومعنويّاً؛ ماديّاً: بالغذاء الذي يقوي وينشِّط جسم الإنسان، وذهنه، ومعنويّاً: بالتعلم، والتعليم، والتفكر، والبحث، والمناقشة، وإلى غير ذلك من العمليات العقلية المختلفة، والتي من شأنها تنمية العقل، وزيادة نفعه على الإنسان فيما فيه مصلحته، ومصلحة الآخرين.

٢ ـ منع كل ما من شأنه إفساد العقل، وإدخال الخلل عليه؛ قليلاً كان أو كثيراً، ولهذا شرع الإسلام جملة من العقوبات الرادعة، التي من شأنها حماية العقل من التعدي عليه؛ سواء من الإنسان ذاته، أو من غيره، ومن ذلك تحريم المسكرات بأنواعها؛ وذلك لما لها من آثار سيئة على العقل، وضرر على الفرد والمجتمع، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠﴾ [المائدة: ٩٠]، ففي هذه الآية الكريمة بيَّن ﷻ حرمة الخمر؛ لأنها تُلحِق الضررَ الجسيم بالعقل البشري، فهي نهي من الله تعالى لعباده المؤمنين عن تعاطي الخمر، والميسر، وذلك لكونها رجس من عمل الشيطان؛ أي: سَخَط من عمل الشيطان[(١)].

فزوال العقل بالكلية، أو ذهاب بعضه بسبب المسكرات؛ له أثر بالغ في تصرفات المكلف؛ حيث تتسم هذه التصرفات حينئذٍ بعدم الاتزان، وعدم المسؤولية، ولذلك كان «العقل هو قوام كل فعل تتعلق به مصلحة، فاختلاله يؤدي إلى مفاسد عظيمة»[(٢)]. وسيأتي معنا بإذن الله مبحثٌ خاصٌّ بموقف الإسلام من العقل.

رابعاً: حفظ المال:

يُعَدُّ المال في الإسلام نعمة من نعم الله تعالى على الخلق، ووسيلة من الوسائل التي تعين على العيش بكرامة وراحة، فهو أحد ضروريات الحياة

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٣/ ١٧٩.
(٢) الشوكاني، «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول»، ط١، ٢/ ١٣٠.

الإنسانية، فهو ملكٌ لصاحبه الذي اكتسبه بوجهٍ حلال، يتصرف فيه كما يشاء، في الحدود التي شرعها الله ﷻ، وأحلَّ له، وهو مطالبٌ شرعاً بالمحافظة عليه، وعدم إهداره وتبذيره فيما لا فائدة فيه؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء: ٢٩].

فنهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل؛ أي: بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية؛ كأنواع الربا، والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل، وإن ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا، لكن المتاجر المشروعة التي تكون عن تراضٍ من البائع، والمشتري، فافعلوها وتسببوا بها في تحصيل الأموال(١).

ونجد أن الشريعة الإسلامية قد أحاطت المال بعدة تدابير تعين المتمسك بها على التصرف فيه على وجهٍ لا تلحقه فيه تبعة، **فمن ذلك**:

١ ـ الاعتقاد بأن المال مال الله تعالى، وأن الإنسان خليفة فيه، ومستأمنٌ عليه، ومأمورٌ بحفظه، وإنفاقه في الحق، كما قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٞ كَبِيرٞ ٧﴾ [الحديد: ٧]، فالآية تدلُّ على أن «أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله، فيثيبه على ذلك بالجنة»(٢).

٢ ـ السعي لكسب المال الحلال، واجتناب الحرام، لما في ذلك من تحقيق العبودية لله تعالى ورجاء مغفرته، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢]، ويقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالأكل من طَيبات ما رزقهم تعالى، وأن يشكروه على ذلك، إن كانوا عبيده، والأكل من الحلال، سبب لتقبل الدعاء

---

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٢/٢٦٨.

(٢) القرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ١٧/٢٣٨.

والعبادة، كما أن الأكل من الحرام؛ يمنع قبولَ الدعاء، والعبادة[(١)]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وذلك لما في الربا من فسادٍ للمال، وأكل للحقوق بالباطل، وسبب في الخسران، والعياذ بالله.

٣ ـ تحريم إضاعة المال بأي صورةٍ كانت، فمن ذلك النهي عن التبذير، والإسراف في المال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، «المبذرين كانوا إخوان الشياطين؛ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله؛ وكان الشيطان لربه كفوراً؛ أي: جاحداً لنعمه، وهذا يتضمن أن المسرف كفور للنعم»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقيل: معناه: ولا تسرفوا في الإعطاء، فتعطوا فوق المعروف[(٣)]، ومن ذلك أيضاً النهي عن إعطاء المال للسفهاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النساء: ٥]. ينهى تعالى عن تَمْكين السفهاء من التصرّف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً؛ أي: تقوم بها معايشهم من التجارة وغيرها[(٤)].

الإشهاد على التعاملات المالية المختلفة، وتوثيق ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦]؛ «أمر الله تعالى بالإشهاد تنبيهاً على التحصين، وإرشاداً إلى نكتة بديعة، وهي أن كل مال قبض على وجه الأمانة بإشهادٍ لا يبرأ منه إلا بإشهادٍ على دفعه، لقوله تعالى: ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٦]»[(٥)].

٤ ـ كما ورد أيضاً في آية الدين بطولها حين حثَّ الله تعالى على تقييد

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ١/ ٤٨٠.
(٢) ابن الجوزي، «زاد المسير في علم التفسير»، ط٣، ٥/ ٢٨.
(٣) «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٣/ ٣٤٩.
(٤) «تفسير القرآن العظيم»، ٢/ ٢١٤.
(٥) ابن العربي، «أحكام القرآن»، ط٣، ١/ ٤٢٥.

وكتب المعاملات، والعقود، وتوثيقها؛ احتراماً للحقوق، ودرءً للنزاع، وحفظاً للمال من الضياع، ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فإنه تعالى: (لما أمر الله سبحانه بالتوثيق بالشهادة على الحقوق)؛ كان ذلك دليلاً على المحافظة في مراعاة المال، وحفظه، ويعتضد بحديث النبي ﷺ: «**نـهى عـن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(١)(٢).

٥ ـ أداء الحقوق التي أوجبها الله تبارك وتعالى في المال، ومن ذلك: إخراج الزكاة، والإنفاق على الأهل، والأولاد، والإنفاق في وجوه الخير عموماً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

خامساً: حفظ النسل:

المراد بالنسل: الذرية التي تعقب الوالدين من ذكورٍ، وإناث، ويعتبر حفظ النسل من الضرورات التي دعت الشريعة الإسلامية إلى حفظها والعناية بها، وصونها عما يخل بنظامها، أو يدنسها.

وحفظ الإسلام النسل من جانب الوجود؛ بتشريع الزواج، وتنظيم شؤونه؛ حفظاً للنسب، والولاية، والرعاية، والتوارث، وغير ذلك، وسن أحكاماً لذلك؛ كالمحافظة على الجنين في بطن أمه، ووجوب النفقة للأم في مدة حملها إذا كانت قد طلقت من زوجها، ونسبة المولود إلى والده، والرضاع، وما يتعلق به من أحكام، كما أنه في جانب العدم حُفظ النسل بتحريم وتجريم الزنا، والتحذير من قتل الأولاد لأي سببٍ كان، ومنع التبتل، ووجوب الحد على من وقع فيما يخالف الطريق التي شرع الله للنكاح.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وكم الغنى، ٢/ ١٢٤، حديث رقم (١٤٧٧)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، ٣/ ١٣٤١، حديث رقم (٥٩٣).

(٢) ابن العربي، «أحكام القرآن»، ط٣، ١/ ٣٤٧.

وقد سنَّ الإسلام كثيراً من التشريعات في هذا الجانب، ولا غرو؛ فالعنصر البشري يعتبر من أهم الموارد على الإطلاق، **وتتضح عناية الإسلام بشأن النسل من خلال ما يلي:**

١ ـ الترغيب في الزواج؛ وذلك لأنه سبب لاستمرار النسل، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]. **الأيامى**: جمع: أيِّم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها، وللرجل الذي لا زوجة له، وسواء كان قد تزوج ثم فارق، أو لم يتزوج واحد منهما، حكاه الجوهري عن أهل اللغة، يقال: رجل أيّم، وامرأة أيّم، أيضاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار، والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢][(١)].

٢ ـ الحثُّ على الزواج بالمرأة الولود، لتكثير الأمة، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب، وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «**لا**»، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «**تزوجوا الودود، الولود، فإني مكاثرٌ بكم الأمم**»[(٢)].

٣ ـ إباحة تعدد الزوجات في حال المقدرة على العدل بينهم، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣]؛ أي: انكحوا ما شئتم من النساء، إن شاء أحدكم ثنتين، وإن شاء ثلاثاً، وإن شاء أربعاً[(٣)].

٤ ـ تحريم قتل الأجنة، وقتل الأطفال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١]؛ أي: خشية ـ خوف ـ حصول فقر، في الآجل؛ ولهذا قال هناك: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾

---

(١) ابن كثير، «تفسير القرآن العظيم»، ط٢، ٦/٥١.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ٢/٢٢٠، حديث رقم (٢٠٥٠)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب النكاح، ٢/١٧٦، حديث رقم (٢٦٨٥). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، ٢/٢٠٩ ـ ٢١٠.

فبدأ؛ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله، وأما في هذه الآية فلما كان الفقر حاصلاً؛ قال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ﴾؛ لأنه الأهم هاهنا، والله أعلم.

٥ ـ تحريم الزنا، واللواط؛ لأنها ممارسات تتنافى مع هذا المقصد الشرعي، ويستعاض بها عن الطريق السليم والمسلك الصحيح في قضاء الوطر، وإشباع الغريزة الجنسية، وهو الزواج، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

وبناءً على ما سبق يتضح أن الشرع الحنيف حرص على أن يحقق تلك المقاصد من خلال تطبيق النص الشرعي، وعلى الداعية أن يوضح للمدعوِّين أن تطبيق النص الشرعي دائماً ما يؤدي إلى تحقيق المصلحة في الدنيا، والآخرة، وأن هناك حالات تمثل حالات الضرورة، يمكن فيها اللجوء إلى مخالفة القاعدة الأصلية إلى قاعدة أخرى ترخص للمسلم القيام بما يحقق مقاصد الشريعة للعامة، فكل موضع فيه هلاك، أو ضرر للدين أو النفس أو العقل أو المال أو النسل؛ وضع الشرع الحنيف قواعد ترخص للمضطر القيام بما يحقق دفع الضرر، حتى وإن خالف قاعدة آمرة.

٣ ـ خصائص الشريعة:

تنفرد الشريعة الإسلامية بخصائص تتميّز بها، وأحكام لا نظير لها، وتتمتّع بالاستقلالية التامة، وتصوغ عقل الأمّة في العقائد، والعبادات، والمعاملات، بفكرٍ واضحٍ يتلاءم مع فطرة الإنسان، وبمنهجٍ مستقلٍّ على الشرائع والنُّظم الأخرى.

والداعية إلى دين الإسلام، وشريعته، يجب أن يلم بخصائص تلك الشريعة، وأن يقوم بعرض وتوضيح ما يميز تلك الخصائص، ويجعلها صالحة للإنسانية جمعاء، لذلك فعلى الداعية أن يوضح للمدعوِّين خلو الشريعة من النقائص، وشمولها وعمومها، ومثاليتها، وواقعيتها، وأنها ليست مجرد نصائح وإرشادات، بل هي قوانين فيها من التنظيم والردع ما تستقيم به أمور الحياة عند تطبيقها، **وفيما يلي توضيح لتلك الخصائص**:

أولاً: إنها من عند الله سبحانه وتعالى الخبير ببواطن الأمور، الذي يعلَم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

وأحكام الشريعة مستمَدّة من وحي الله لفظاً، ومعنى، وهو: القرآن الكريم، أو معنى من عند الله، ولفظاً من رسول الله ﷺ وهي: السُّنَّة، وكون الشريعة من عند الله ورسوله؛ فهذا يحفظها من الخطأ، ويعصمها من الهوى، ويصونها من عبث العقول، وتقلّبات الدّهر، وحوادث الأيام؛ فإن نصوص القرآن، والسُّنَّة، تحمل بين ثناياها أموراً ثابتةً لا تتغيّر بتغيّر الزمان، والمكان، وهي: العقائد، والعبادات، والأخلاق، وتشتمل على قضايا وقواعد عامّة للبشر، أن يجتهدوا في حدودها وفْق ما يُحقّق المصلحة الإنسانية، ويدفع عنها الضرر.

ويترتب على كون الإسلام من عند الله؛ كماله، وخلوه من معاني النقص، والجهل، والهوى، والظلم، لسببٍ بسيطٍ واضح، هو: أن صفات الصانع تظهر فيما يصنعه، ولما كان الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته، وصفاته، وأفعاله، ويستحيل في حقه خلاف ذلك؛ فإن أثر هذا الكمال يظهر في ما يشرعه من أحكام، ومناهج، وقواعد، وبالتالي لا بد أن يكون كاملاً.

وهذا بخلاف ما يصنعه الإنسان ويشرعه فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور؛ لأن هذه المعاني لاصقة بالبشر، ويستحيل تجردهم عنها كل التجرد، وبالتالي تظهر هذه النقائص في القوانين، والشرائع التي يصنعونها.

ثانياً: إن مبادئ الشريعة وأحكامها تتلاءم وتتوافق مع الفطرة الإنسانية، وتراعي دوافع الإنسان، ورغباته، في إطار ما شرعه الله من حدود، وأحكام، فهي لا تجنح للجوْر، ولا تميل للظلم، ولا تكبت رغبة، ولا تصادر فطرة، بخلاف قوانين وشرائع البشَر، التي تتلاعب بها الأهواء، وتعبث بها العقول، وتُصاغ وفْق رغبات واضعيها، وتتغيّر وتتبدّل مع شارد ووارد، أمّا أحكام الله؛

فلا تتغير، ولا تتبدّل، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر: ٤٣].

ثالثاً: أنّ ثوابها وجزاءها في الدنيا والآخِرة، بخلاف الأحكام الوضعية فجزاؤها يتوقّف على الدنيا فقط، ممّا يجعل الناس يستهينون بها، ويتهرّبون من تنفيذها، وبعض العقوبات تسقط بمُضيّ المدّة، بخلاف أحكام الشريعة؛ فإنّ من يتهرّب منها في الدنيا يجد الجزاء والعقوبة له بالمرصاد في الآخِرة.

رابعاً: من خصائص الشريعة؛ عمومها؛ وبقاؤها؛ واستمرارها.

الإسلام بما يحمله من تشريعاتٍ، ونُظُم؛ عامّ للبشر جميعاً، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨].

وهذه الشريعة قائمة، لا ينسخها دِين، ولا تتوقّف أحكامها، ولا تتعطّل حدودها إلى قيام الساعة.

وعموم الشريعة وبقاؤها واستمرارها يستلزم عقلاً: أن تكون أحكامها على نحوٍ من الشمول، والإحاطة، بما يُحقِّق مصالح البشر في كل زمانٍ ومكان؛ فهي تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد؛ فمصالح العباد تقوم على أمورٍ ضرورية، أو حاجيّة، أو تحسينيّة.

فالأمور الضرورية التي لا قيام للإنسان إلا بها، وإذا انعدمت حلّ الفساد، وعمت الفوضى؛ وهي: حِفْظ الدِّين، والنفس، والعقل، والعِرض، والمال.

والحاجيات هي التي يحتاج إليها الناس ليعيشوا بيُسرٍ وسعادة، وإذا فاتَتْهم لم يختلّ نظام الحياة، ولكن يصيب الناسَ ضيقٌ وحرج.

وأمّا التحسينات؛ فهي ترجع إلى محاسن العادات، ومكارم الأخلاق، وإذا فاتت لم يختلّ نظام الحياة، ولا يصيب الناسَ حرج، ولكن يخرجون عن النهج القويم، ويتمرّدون على ما تُوجبه الفِطرة النّقيّة.

فالشريعة جاءت أحكامُها لتحقيق وحفظ الضروريات والحاجيات والتسحينات، فالدِّين شَرع لإقامته العبادات، وشَرع لحِفْظه الجهاد والعقوبات.

والنفس شُرع لإيجادها النكاح، وشُرع لحفْظها القصاص، على من يعتدي عليها، وتحريم إلقاء النفس في التهلكة، ولزوم دفع الضرر عنها.

خامساً: الشمول؛ فالإسلام نظامٌ شاملٌ لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان. وهذا الوصف للإسلام وصفٌ حقيقيٌّ ثابتٌ للإسلام لا يجوز تجريده منه إلا بالافتراء عليه أو بسبب الجهل به.

وشمول الإسلام هذا لشؤون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، فهو شمولٌ تامٌّ بكل معاني الكلمة.

سادساً: العموم؛ فمن بديهيات الإسلام وصفاته الأصلية؛ أنه جاء لعموم البشر ولم يأت لطائفةٍ معينةٍ منهم أو لجنسٍ خاصٍّ من أجناسهم.

سابعاً: أحكام الإسلام ليست نصائح وإرشادات خالية من الثواب والعقاب؛ بل إنها إرشادات ونصائح حقّاً ولكن لها ثواب حسن ينال الملتزم بها، ولها عقاب يصيب المخالف لها، على درجاتٍ متفاوتة في العقاب والثواب.

ثامناً: المثالية والواقعية؛ فالإسلام يحرص على إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له، وهذا يكون بجعل تصرفاته، وأقواله، وأفعاله، وتروكه، وقصوده، وأفكاره، وميوله، وفق المناهج، والأوضاع، والكيفيات، التي جاء بها الإسلام، وقد تحقق ذلك كله في رسول الله ﷺ، ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتأسي به، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقوام هذه المثالية الاعتدال والشمول[١].

وبناءً على ما سبق يتضح أن بيان خصائص الشريعة من أهم ما يجب أن يقوم به الداعية ليلفت نظر المدعوِّين إلى تلك الخصائص ويجعلهم يمعنون النظر فيها ليكشف لهم مدى عظمة تلك الشريعة ومدى قوتها وملائمتها لكل زمانٍ ومكان، ومدى حاجة الناس إلى البشرية المحدودة الخصائص والفاعلية.

---

(١) صقر، «شريعة الله لا شريعة البشر»، د. ط، ص٤٠ ـ ٥٠.

٤ ـ محاسن الشريعة:

يجب على الداعية أن يلم بمحاسن الشريعة وأن يوضحها للمدعوِّين نظراً لحاجتهم لمعرفة تلك المحاسن ليتضح لهم ما خفي عنهم ويعيدوا بناء الصورة الذهنية للشريعة، لذلك فعلى الداعية أن يوضح لهم مدى كمال الشريعة وحرصها على جلب المنافع ودفع المضار عن الإنسان المسلم وغير المسلم، كما أن على الداعية أن يوضح دعوة الشريعة لمكارم الأخلاق في التعامل مع المسلم وغير المسلم، كذلك على الداعية أن يوضح كمال القضاء في الإسلام ونزاهته وعدله مع المسلم وغير المسلم، **وفيما يلي توضيح لتلك المحاسن:**

فمن محاسن الشريعة الإسلامية، أنها لم تُحرم شيئاً إلا عوضت خيراً منه، مما يسد مسده، ويغني عنه، فالله تعالى، لم يضيق على عباده من جانب، إلا وسَّع عليهم من جانبٍ آخر، من جنسه، وهو تعالى لا يُريد بعباده عنتاً، ولا إرهاقاً، بل يُريد بهم اليُسرَ والخير والهداية والرحمة، فقد حرَّم الله على عباده، الاستقسام بالأزلام، وعوَّضهم عنه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الزنا، وأعاضهم عنه الزواج الحلال، وحرم عليهم شرب المسكرات، وأعاضهم عنها بالأشربة اللذيذة[(١)]. **ومن محاسن الشريعة على سبيل الإجمال:**

أولاً: الكمال:

أما الكمال؛ فلأنها من الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن الماجشون: «سمعت مالكاً يقول: من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يؤمئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً»[(٢)].

(١) صقر، «شريعة الله لا شريعة البشر»، د. ط، ص١٨٦.
(٢) ابن حزم، «الإحكام في أصول الأحكام»، د. ط، ٦/ ٨٥.

ثانياً: جلب المنافع:

ومن جلب المنافع إباحة جميع ما في الأرض وتسخير كل القوة لخدمة الإنسان والقاعدة في ذلك عند الفقهاء: الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي الحظر.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقد شرعت العقود لتناول هذه المنافع من بيعٍ، وإيجارٍ، وشركةٍ، وغير ذلك، مما يجلب النفع على الفرد، وعلى الجماعة.

ثالثاً: دفع المضار:

فقد دفعت عما يسمى بالضروريات الخمس[(١)]، بقصد حمايتها وهي الضروريات لكل مجتمع وقد جاءت جميع الأديان بحمايتها؛ لأنه لا حياة بدونها ولا استقرار ولا أمن ولا طمأنينة.

رابعاً: العدل في منهج القضاء الإسلامي:

وأما المنهج القضائي في الإسلام فهو المثال الأعلى منذ صدر الإسلام؛ لأنه شمل بالعناية كلّاً من القاضي والمقضي عليه والمقضى فيه والمتقاضين وسير القضاء؛ أي: ما يسمى بأطراف القضاء أو أركان القضاء.

فإذا كان الغرض من منهج القضاء هو تحقق العدل والإنصاف والمساواة، فإن ما رسمه القرآن بصريح النصوص ليغني عن البيان. **منها**:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

ويقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

---

(١) الشاطبي، «الموافقات»، ط١، ٤/٣٤٧ ـ ٣٤٩.

وحتى مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

وقصة المرأة المخزومية مثالٌ عملي على الكمال في منهج القضاء الإسلامي فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟** ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: **إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ. وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»**[(١)].

وبهذا يتضح الكمال في القضاء شكلاً ومنهجاً.

أما الشمول في الحكم:

فقد اتسع نطاق التحكيم حتى شمل العبادات، والزوجات، وتعدى، إلى القبائل، والعشائر، وما يمكن أن يسمى القضاء الدولي.

وفي العبادات: ففي تقدير جزاء الصيد؛ قال تعالى: ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ [المائدة: ٩٥].

وفي تقدير الأمور النسبية: كتقدير نفقة الزوجة والأولاد ومصاريف القصار.

وفي القضايا الزوجية: حينما تتأزم الأمور أمام القاضي ولا يعلم أسباب الخلاف لما بين الزوجين من الخفاء والتستر ولا طريق إلا الإصلاح؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

وقد اتسع نطاق الحكم والقضاء في الإسلام فشمل القبائل والطوائف ويمكن أن نقول القرى والمدن والأقطار وما يطلق عليه الآن محكمة العدل

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ٤/ ١٧٥، حديث رقم (٣٤٧٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ٣/ ١٣١٥، حديث رقم (١٦٨٨).

الدولية وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

وبناءً على ما سبق فإن على الداعية توضيح محاسن الشريعة ومدى توافق تلك المحاسن مع فطرة الانسان السليمة، والتي تميل إلى تحقيق المنفعة لها وللغير وإلى درء المفسدة عنها وعن الغير، كما أنها تميل إلى التخلق بكل حسن وإلى أن تعامل بكل خلق قويم، كما أن على الدعاة أن يوضحوا للمدعويين أن من أهم محاسن الشريعة أنها تظل المسلم وغير المسلم بالعدل في الحكم والقضاء من خلال منظومة من القواعد المرنة والواضحة.



الفصل الخامس

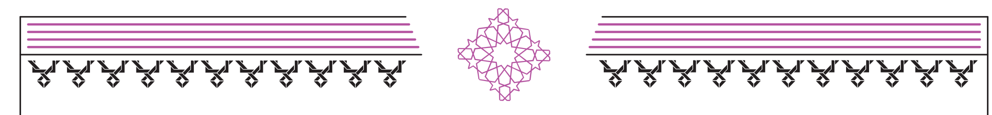
منهجية التعريف بالقضايا والشخصيات والمعالم

المبحث الأول: منهجية التعريف بأبرز القضايا الإنسانية

المبحث الثاني: منهجية التعريف بأبرز القضايا الشرعية

المبحث الثالث: منهجية التعريف بالشخصيات الإسلامية

المبحث الرابع: منهجية التعريف بالمعالم الإسلامية



المبحث الأول

منهجية التعريف بأبرز القضايا الإنسانية

١ ـ موقف الإسلام من العقل:

أولاً: مفهوم العقل:

أ ـ **تعريف العقل**: هو نورٌ روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية، والنظرية[١].

ويقول الأستاذ الدكتور محمد نعيم ياسين في بيان ماهية العقل: هو أحد غرائز النفس، أو قوة من قُواها تُمكِّنها من إدراك المعاني والحقائق[٢].

والعاقل: هو الجامع لأمره، الذي يحبس نفسه عن هواها، وسمي العقل بهذا الاسم؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، ويحجزها عما لا ينبغي من اعتقادٍ فاسد، أو فعلٍ قبيح[٣].

ثانياً: منزلة العقل في الإسلام:

حظي العقل في رحاب الإسلام بمكانةٍ ساميةٍ ومنزلةٍ عليا، وقد أشار ﷺ إلى هذه المكانة في قوله: «**ما خَلق الله خلقاً أكْرمَ من العقل**»[٤]، وقال ﷺ: «**ما كسب أحدٌ شيئاً أفضلَ من عقلٍ يهديه إلى هدًى، أو يَرُدّه عن ردًى**»..

---

(١) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ص١٣٣٦.

(٢) ياسين، «مباحث في العقل»، د. ط، ص١٣٠. وهناك أقوال كثيرة في بيان ماهية العقل يطول ذكرها، وفي كتاب ياسين المذكور بيان مفصَّل لذلك.

(٣) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٨/٢٧، «القاموس المحيط»، ص١٣٣٦.

(٤) أخرجه الترمذي في «نوادر الأصول» بإسنادٍ ضعيف.

ولقد امتدح القرآن الكريم أصحاب العقول السليمة التي تَهدي إلى الحق، فكلّ أمرٍ حسنٍ ذي بالٍ يوصف أصحابه بالعقل والعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وكل موضعٍ يذمّ فيه الكفّار، يكون بسبب الجهل وفقدان العقل الراشد والفكر السديد، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧١].

ولقد أطلق القرآن الكريم أسماء كثيرة على العقل، ممّا يدلّ على شرف المسمَّى ومكانته؛ **ومن ذلك ما يلي**:

١ ـ **الفؤاد**: وهو الذي تستقرّ فيه العلوم والمعارف الثابتة والعقائد الراسخة، مقترنة بشحنةٍ من العواطف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢ ـ **اللُّب**: وهو الدائرة الواقعة في عمق مركز التفكير، وهو مركز استقرار المعرفة العلْمية، ومركز التّذكّر والاعتبار والاتّعاظ، وعنه تصدر النتائج الفكرية إلى الفؤاد والقلب والصدر، لتحريك العواطف، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ولقد وصف الله ﷻ المتّقين من عباده الذين يتفكّرون في خلْق السماوات والأرض، ويشاهدون عظَمة الخالق لهذا الكون، ويعلمون مدى حاجة البشر إلى شرع الله الحكيم، بأنهم: أولو الألباب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

كما يُطلق على العقلاء بأنهم «أولو النُّهَى»، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: ٥٤]، وأنهم «ذوو حِجْر»؛ أي: عقل وفهم وإدراك، قال تعالى: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: ٥].

والقرآن الكريم مليء بالأمر بالتعقل، والنظر، والتدبر، والثناء على من كانوا كذلك.

كما أنه مليء بذم الذين عطلوا عقولهم، وركنوا إلى التقليد الأعمى، واتبعوا ما ألفوا عليه آباءهم من غير ما بينة أو أثارة من علم[(١)].

ثالثاً: وظيفة العقل:

العقل نورٌ أودعه الله في الإنسان؛ ليكشف له الأشياء، والحقائق الواقعة، وليفهم به عن الله ورسوله ﷺ ولينظر من خلاله في ملكوت السمٰوات والأرض، وليدرك به أسرار الكون، ويتدبر في نفسه وآيات الله من حوله، ويصل من خلاله إلى كثيرٍ من أمور الاعتقاد في حدود طاقته، ويبحث من طريقه إلى ما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه.

رابعاً: حدود العقل:

فمع أن الإسلام ينظر تلك النظرة العظيمة للعقل، ومع أن للعقل وظيفته العظمى ـ كما مر ـ إلا أن الإسلام يحدد مجال العقل، وذلك صوناً للطاقة العقلية أن تتشتت أو تتبدد وراء الأمور الغيبية التي لا يستطيع العقل إدراكها أو الوقوف على حقيقتها؛ كالذات الإلٰهية، والروح، والجنة، والنار، وكيفية صفات الله ﷻ وغيرها؛ ذلك أن العقل البشري له مجاله الذي يعمل فيه؛ فإذا ما حاول أن يتخطى هذا المجال فإنه سَيَضِل ويتخبط في متاهات لا قِبَل له بها؛ فمجال العقل كل ما هو محسوس.

وأما الغيبيات التي لا تقع تحت مداركه فلا مجال للعقل أن يخوض فيها، ولا يخرج عما دلَّت عليه النصوص الشرعية في شأنها.

خامساً: العقل في مجال العقيدة:

لا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة وغيرها؛ إلا أنه لا يجوز للعقل كما مر أن يتجاوز وظيفته، ويجنح في أودية الخيال الفاسد، ويتيه مع الأوهام الكاذبة؛ فالخيال والوهم لا يصلحان أساساً للعقيدة والمعرفة الصحيحة.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة حقيقة ثابتة دلَّ عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية التي لا تتعارض مع العقل السليم.

---

(١) ياسين، «مباحث في العقل»، د. ط، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤.

٢ ـ موقف الإسلام من المرأة:

لقد كرَّم الله تعالى بني آدم جميعاً لم يفرق في ذلك بين ذكرٍ وأنثى، ولم يمايز الذكر بذكورته ولا الأنثى بأنوثتها؛ بل جعل التكامل هو السُّنَّة الأبدية التي تدار حركة الحياة في إطارها والمرأة في الإسلام كالرجل في الإسلام لكلٍّ منهما حقوقٌ وواجبات، وكلاهما مكلفٌ وكلاهما مسؤولٌ وكلاهما محاسب؛ للمحسن منهما جزاء واحد وهو الجنة وللمسيء منهما جزاءٌ واحد وهو النار.

وعلى الدعاة أن يدركوا أمراً هامّاً، وهو أن قضية المرأة وما أثير حولها طوال قرون مضت تستوجب منهم مراعاة طرح هذا الموضوع وفقاً لقواعده العامة دون الدخول إلى تفصيلاتٍ قد تجر الداعية إلى طرح أحكام فقهية ربما لا يلم بأصلها، وقد يكون طرحها في مجال الدعوة أمرٌ غير صحيح فلكل مقام مقال وليس كل وقت يصلح للطرح، ولا يعقل أن أجادل شخصاً في أمورٍ تفصيليةٍ قد تكون محل خلاف وهو لا يؤمن بالإسلام وقد لا يؤمن بوجود الأديان من الأصل، لذلك يجب على الداعية عند طرحه لقضية المرأة في الإسلام أن يبين أنها تتساوى مع الرجل أمام الله وأنها مكلفة مثله تماماً، إلا أن دور كلّاً منهما يختلف عن الآخر، وفقاً للتكوين واختلافه وأن يوضح تكريم الإسلام للمرأة واحتفاء القرآن والسُّنَّة بها، وأن يوضح مجموعة الحقوق التي تتمتع بها المرأة المسلمة، **ويمكن بيان ذلك في الآتي:**

أولاً: المرأة في القرآن:

جاء الإسلام الحنيف محافظاً على المرأة، آمراً إياها أن تلتزم بيتها، وإنْ خرجت تخرج في إطار ما سمح لها به الشرع، فقال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، كما جاء الإسلامُ كذلك ناصراً للمرأة في كل أحوالها وأعمارها، فقد كرمها الإسلام أُمّاً، وكرمها زوجاً، وكرمها طفلةً، غير أن الذي يُلفتُ النظرَ بصورةٍ أكبر في رحمة النبي ﷺ بالنساء هو جانب التطبيق العملي في حياته ﷺ، فلم تكن هذه الكلماتُ الرائعة مجردَ تسكينٍ لعاطفة النساء، أو تجمُّلٍ لا حقيقةَ

له، بل كانت هذه الكلمات تُمارَس كلَّ يومٍ وكلَّ لحظةٍ في بيته ﷺ وفي بيوت أصحابه رضوان الله عليهم.

وقد خاطب المولى ﷻ المرأة في القرآن باعتبارها (عاملاً)، على سبيل التسوية المطلقة بين الرجل والمرأة في المسؤولية الوجودية من حمل الأمانة الكبرى، كما مر في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وأما ما خالفت المرأة الرجل فيه من أحكام؛ فذلك راجعٌ إلى الطبيعة التكاملية بين الذكورة والأنوثة، وليس إلى تنقيص خلقي تكويني في طبيعتها. فقد ينقص الرجل في شيء لتكمله المرأة، وقد تنقص المرأة في شيء ليكمله الرجل؛ سعياً لتكوين الحاجة الفطرية الطبيعية بينهما ورغبة في دوام الالتقاء وضمان استمرار الحياة(١).

أعفيت المرأة من مسؤوليتي الصوم والصلاة في حالتي حيضها ونفاسها، وأعفيت من مسؤولية الصوم في حالة حملها، إذا خافت على نفسها أو ولدها، رعاية لحالتها الجسمية والنفسية التي تعرض لها عندئذٍ(٢).

ووصل الإسلام في رفع مكانة المرأة وتسويتها بالرجل إلى حد أن يقول القرآن الكريم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وهكذا سوى في الولاية بين الرجل والمرأة، ويدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي، وولاية النصرة والحرية والسياسة(٣).

مما لا ريب فيه أن الإسلام رفعَ شأن المرأة في بلاد العرب وحَسَّنَ حالها؛ بل إن النبي ﷺ أوصى الزوجات بطاعة أزواجهن، وقد أمر بالرفق بهن، ونهى عن تزويج الفتيات كُرهاً، وعن أكل أموالهن، ولم يكن للنساء نصيبٌ في

(١) الأنصاري، «سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة»، ط١، ٣٦/١.
(٢) الدمشقي، «الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم»، ط١، ١٤٣/١.
(٣) أحمد، «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن»، د. ط، ٢٠٨/١.

المواريث أيام الجاهلية؛ بل إنَّ الرجل كان إذا بشَّره أهله ببنتٍ اسودَّ وجهُهُ، وقد حكى القرآن ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]، ومن صور تكريمها أيضاً قد نزلت سورة خاصة بهنَّ تسمى سورة النساء توضح فيها أحكام المواريث، وكيفية معاملة المرأة في حال نشوزها فقال عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ۝٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

فقد بيَّن الله تعالى صفة المرأة الصالحة في هذه الآية.

ومن تكريم المرأة أيضاً مساواتها بالرجل في تعدد ألفاظ كل منهما في هذه السورة، وقد بيَّن الله تعالى فيها أحكام المواريث، ووعد فيها بالعقاب لمن خالف حدوده فيها، وجعل هذا التقسيم خاصّاً به سبحانه وتعالى، فقال عز وجل: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝١٤﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

ولا شك أنَّ الإسلام أمر بحُسن معاشرة الزوجة، وقد أباح للزوج مفارقة زوجته رغم أنَّه بغض الطلاق، فقال عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ۝١٩﴾ [النساء: ١٩].

وقد انتهت هذه السورة المباركة أيضاً بتفصيلٍ بديعٍ لمن مات وليس له ولد فيما يسمى بالكلالة، أن يرثه مَن تبقَّى من أهله بالعدل والإنصاف دون ظُلم أو جَورٍ للحقوق، فقال عز وجل: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ۝١٧٦﴾ [النساء: ١٧٦].

ثانياً: المرأة في السُّنَّة:

كان الرسول ﷺ يُقَدِّر مكانة النساء، ويحرص على حمايتهنَّ من الأذى الجسدي أو المعنوي، ويُظهِر رحمته بهنَّ بأكثر من طريقةٍ، وفي أكثر من موقفٍ وكان رسول الله ﷺ دائمَ الوصية بالنساء، وكان يقول لأصحابه: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً**»، وتكررت منه نفس النصيحة في حجة الوداع، وهو يخاطب أمته، وكان يوقن أنَّ هذه الوصية من الأهمية بمكانٍ حتى يُفردَ لها جزءاً خاصّاً من خطبته في هذا اليوم العظيم، فقال رسول الله ﷺ: «... **وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً، فإنهن خُلقنَ من ضِلَعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضلَع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزلْ أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**»(١).

ويوضِّح رسول الله ﷺ في جملةٍ بلاغيةٍ أنَّ النساء يُماثِلن الرجال في القدر والمكانة، ولا ينتقص منهن أبداً كونُهنَّ نساء، فيقول ﷺ: «**إِنَّما النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائهم**»(٣).

وقال ﷺ: «**إني أحرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ٧/ ٢٦، حديث رقم (٥١٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند النساء، مسند الصدِّيقة عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنها، ٤٣/ ٢٦٤، حديث رقم (٢٦١٩٥)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، ١/ ٦١، حديث رقم (٢٣٦) قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٢/ ٣٦٤، حديث رقم (٧٤٠٢)، والترمذي في «سننه»، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٢/ ٤٥٧، حديث رقم (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٥/ ٤١٦، حديث رقم (٩٦٦٦)، وابن ماجه في «سننه»، كتاب الأدب، باب حق اليتيم، ٢/ ١٢١٣، حديث رقم (٣٦٧٨)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب الإيمان، وأما حديث سمرة بن جندب، ١/ ١٣١، حديث رقم (٢١١٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وقال ﷺ: «**لا يكون لأحد ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو بنتان، أو أختان، فيتقي الله فيهن، ويحسن إليهن إلا دخل الجنة**»[(١)].

ثالثاً: المرأة في نسيج المجتمع المسلم:

من خصائص النظام الاجتماعي الإسلامي تحديده لدور المرأة في المجتمع تحديداً، دقيقاً، واضحاً، صريحاً، مفصَّلاً، حتى لا تدخل الأهواء في هذه المسألة الخطيرة، وحتى تتحقق للمجتمع طهارته ونظافته وعفَّته واستقامته، وتنشأ فيه الأجيال القوية الأمينة، فيبقى المجتمع على صلاحه واستقامته ويسعد أفراده، وقد تناول القرآن الكريم بآيات كثيرة شؤون المرأة وتحديد مركزها الاجتماعي، وما لها وما عليها، وكذلك فعلت السُّنَّة النبوية، وما لها وما عليها، ولا شَكَّ أنَّ معالجة موضوع المرأة في القرآن بآياتٍ كثيرة، وفي السُّنَّة بأحاديث كثيرة، يدلُّ دلالة قاطعة على أهمية هذا الموضوع وعظيم عناية الإسلام به. والواقع أنَّ حالة المرأة في المجتمع ومدى ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات، ونوع الضوابط التي تحكم سلوكها، كل ذلك كان ولا يزال من أعظم المؤثِّرات في سير المجتمع، وفي مدى صلاحه وفساده، ولهذا كله فقد أولى الإسلام مسألة المرأة كل ما تستحق من عنايةٍ وتوضيحٍ حتى تستبين الأمور، ويعرف الناس المسلك السديد في معالجة هذه المسألة على الوجه الصحيح[(٢)].

والإسلام عندما وضع على عاتق الأم أعظم مهام الحياة، وهي التربية للأجيال وبناء الإنسان كان ذلك من معرفة الإسلام بأن التربية الصحيحة لا تتوفر إلا في الأسرة التي تستطيع المرأة فيها أن تعطي وقتها لبيتها وزوجها وأطفالها وأن توفر لهم جميعاً المأوى الدافئ والجو المليء بمعاني العطف والمودة والرحمة.

إن المجتمعات الحديثة التي خرجت فيها المرأة مع الرجل إلى العمل

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ١٧/ ٤٧٦، حديث رقم (١١٣٨٤)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.
(٢) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ١/ ١٢٢.

جعلت الأبوين منصرفين عن العناية والرعاية لأطفالهما لأنهما يعودان من العمل منهكين متعبين محتاجين إلى الراحة الجسدية مما يفقد أبناءهما عواطف المحبة والرحمة والنظر في مشاكلهم التربوية والتعليمية وحاجتهم إلى الحنان والرعاية، ومثل هذه الأسرة لا تفقد أبناءها ما تقدم بل تجعلهم يتعلمون كثيراً من أنواع السلوك السيئ والعادات الضارة من الشارع أو صحبة الأشرار أو الخدم في البيوت(١).

رابعاً: تكريم الإسلام للمرأة:

كرَّم الإسلام المرأة بكونها أُمّاً بأنْ أوصى الأبناء بحُسْن معاملة الآباء، وخاصةً الأم، فقد صوَّر القرآن الكريم هذا الأمر في تصويرٍ بليغ ومُعجزٍ في أكثر من موضع، فقال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى في الموضع الثاني: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى في الموضع الثالث: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالى في الموضع الأخير: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد ورد في سُنَّة النبي ﷺ ما يُعَضِّدُ ذلك، (فقد جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ

---

(١) محجوب، «بيئات التربية الإسلامية»، ١/١٠٥، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشر، العدد السادس والأربعون، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الثانية.

فقال: يا رسولَ اللهِ، مَنْ أحقُّ الناسِ بحُسنِ صَحابتي؟ قال: «**أُمُّك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**ثم أُمُّك**»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «**ثم أُمُّك**»، قال: ثم مَن؟ قال: «**ثم أبوك**»)(١).

فقد أوصى النبي ﷺ بالأم ثلاث مراتٍ، لِما لها من تكريم ومكانةٍ عظيمة، ورفعةً لشأنها، فما كُرِّمَتْ المرأةُ في أي شريعةٍ سوى شريعة الإسلام.

وعن طلحة بن معاوية السلمي قال: «أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إني أريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ تعالى، فقال: «**أُمُّكَ حَيَّةٌ؟**» فقلتُ: نعمْ، فقال: «**الزم رِجْلَها فثَمَّ الجنَّة**»»(٢).

كما كرَّم الإسلام للمرأة بكونها زوجة، ومما يمكن أن يُذكر في هذا الموضع ما أوصى به رسول الله ﷺ في حجة الوداع، إذ أوصى بالنساء، فقال: «**... فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله...**»(٣).

وقال ﷺ: «**إِنَّما النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(٤).

فقد جعلها الإسلام شقيقةً للرجل في كل أحواله وأفعاله، تشترك معه في تربية الأولاد، وتعمل على خدمتهم، واستقرار بيتهم، وباستقرار البيت بالزوجين يخرج بيتاً طيباً على الهدي النبوي، يساهم هذا البيت في بناء المجتمع، لذا يمكن أن يقال أنَّها نصف المجتمع، بل أكثر من نصفه، فالمرأةُ هي الأم، والزوجة، والبنت، والأخت.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأدب، باب مَن أحق الناس بحسن الصُّحْبة، ٨/ ٢، حديث رقم (٥٩٧١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ٤/ ١٩٧٤، حديث رقم (٢٥٤٨).

(٢) أخرجه بن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب الأدب، باب ما ذكر في بر الوالدين، ٥/ ٢١٩، حديث رقم (٢٥٤١١). قال ابن كثير: إسناده حسن. ابن كثير، «جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن»، ط٢، ٤/ ٤٤١.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ٢/ ٨٨٦، حديث رقم (١٢١٨).

(٤) سبق تخريجه ص٥٥٩.

مما سبق يتضح أن المرأة في الإسلام تعامل معاملة قد تفوق الرجل في الرعاية والاحترام والرحمة والرأفة على مستوى إنسانيتها وعلى مستوى أسرتها وعلى مستوى المجتمع الإسلامي ككل؛ فالمرأة في الإسلام تأخذ مكانتها بعملها فهي ليست تابعة لأحد وإن كانت رعايتها كُلِّف بها الأب، والأخ، والزوج، والمجتمع، أنصفها الإسلام فجعل لها من الحقوق ما لم يعطها لها قانونٌ وضعي ولا شريعة سابقة، وفي كل حالة من الحالات التي تمر بها في المجتمع لها أولوية الرعاية حتى في حالة الحرب والقتال، وهي حالة يصعب فيها حفظ الحقوق إلا أن الإسلام حفظ حق كل امرأة سواء كانت مسلمة أو غير مسلمة فلا تقتل ولا يهتك عرضها ولا تذل ولكن ترعى وتصان.

خامساً: منزلة المرأة عند النظم الأخرى:

مرَّ معنا شيء من مكانة المرأة في دين الإسلام؛ فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية، فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها، ولقمة تسد جوعتها، وربما كان ذلك على حساب الشرف، ونبيل الأخلاق.

وأين إكرامُ الإسلام للمرأة، وجَعْلُها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار، وتعدها مخلوقاً نجساً؟

وأين إكرام الإسلام للمرأة ممن يجعلون المرأة سلعةً يتاجرون بجسدها في الدعايات والإعلانات؟

وأين إكرام الإسلام لها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مبايعة تنتقل فيه الزوجة؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج؟ حتى إن بعض مجامعهم انعقدت؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها أهي من البشر أو لا؟![١].

(١) بسيوني، عبد السلام، «ماذا يريدون من المرأة»، د. ط، ص٦٣ ـ ٦٦، و١٢٠، والعويد، «من أجل تحرير حقيقي للمرأة»، د. ط، ص١٤، وجمعية الإصلاح والتوجيه الإجتماعي بالإمارات، المجتمع العاري بالوثائق والأرقام، ط١، ص٥٦ ـ ٥٧.

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تسعد في دنياها مع أسرتها وفي كنف والديها، ورعاية زوجها، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها، أو شبابها، أو هرمها، وفي حال فقرها أو غناها، أو صحتها أو مرضها.

وإن كان هناك من تقصيرٍ في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام فإنما هو بسبب القصور والجهل، والبُعد عن تطبيق شرائع الدين، والوزر في ذلك على من أخطأ، والدين براء من تبعة تلك النقائص.

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه.

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال: عفة، وصيانة، ومودة، ورحمة، ورعاية، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية.

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة، فترى أن حجابها وعفتها تخلّفٌ ورجعية، وأنها لا بد أن تكون دميةً يعبث بها كل ساقط؛ فذلك سر السعادة عندهم.

وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها.

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج، والاختلاط، وإظهار المفاتن، وإبداء الزينة، وكشف الصدور، والأفخاذ، وما هو أشد؟!

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟!

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة، فإذا استنفدت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟!

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة، والجدة، والعجوز؟

إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجىء، ودور العجزة والمسنين؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها.

وقد يكون لها نصيبٌ من راتب تقاعد، أو نحوه، فتأكل منه حتى تموت؛

فلا رحم هناك، ولا صلة، ولا ولي حميم(١).

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها، وعظم حقها، وتنافس أولادها وأقاربها على برها كما سبق؛ لأنها أدَّت ما عليها، وبقي الذي لها عند أبنائها، وأحفادها، وأهلها، ومجتمعها.

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلُّفٌ ورجعيةٌ فزعمٌ باطل، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب، والتخلف بعينه، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا.

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم، كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقرى درجة درجة حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة(٢).

وهكذا تبيَّن لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام، ومدى ضياعها وتشردها إذا هي ابتعدت عن الإسلام.

٣ ـ موقف الإسلام من الميراث:

لم يقتصر تنظيم الإسلام على حياة الإنسان فقط؛ بل امتد ذلك التنظيم ليشمل دوره بعد مماته، حيث يصبح كل إنسان ميت مورث ويصبح منه له الحق في إرثه وارث.

---

(١) حسين، «حصوننا مهددة من داخلها»، ط٨، ص٨٩ ـ ٩٠، والرفاعي، «وحي القلم»، ط١، ١/ ٢٠٤، وحسين، «رسائل الإصلاح»، ط١، ٢/ ٢٢٣.

(٢) ابن حميد، «تلبيس مردود في قضايا حية»، د. ط، ص٦٥ ـ ٦٨، «حصوننا مهددة من داخلها»، ط٨، ص٨٩ ـ ٩٠.

والإرث لم يستحدثه الإسلام بل هو أمرٌ متعارفٌ عليه منذ بداية الخليقة؛ إلا أن الإسلام وضع للإرث منظومة محكمة أجمل قواعدها القرآن الكريم وفصلتها السُّنَّة المشرفة.

وعلى الدعاة أن يعرضوا قضية الميراث بتسلسلٍ يمكِّن المتلقي من الفهم لماهية الميراث لغةً وماهيته اصطلاحاً كما حدده الشرع الحنيف، كما أن على الدعاة أن يوضحوا خصائص الميراث في الإسلام وخاصة فيما يتعلق بقضية ميراث المرأة وبين عدالة الإسلام في تلك القضية، **وذلك كما يلي**:

أولاً: مفهوم الميراث:

أ ـ الميراث لغةً:

ورِثَ مَالَ أَبِيهِ ثُمَّ قِيلَ: وَرِثَ أَبَاهُ مَالاً يَرِثُهُ وِرَاثَةً أَيْضاً وَالتُّرَاثُ بِالضَّمِّ وَالْإِرْثُ كَذَلِكَ، وَالتَّاء وَالْهَمْزَةُ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ فَإِنْ وَرِثَ الْبَعْضَ قِيلَ: وَرِثَ مِنْهُ وَالْفَاعِلُ وَارِثٌ وَالْجَمْعُ وُرَّاثٌ وَوَرَثَةٌ، مِثْلُ: كَافِرٍ وَكُفَّارٍ وَكَفَرَةٍ، وَالْمَالُ مَوْرُوثٌ، وَالْأَبُ مَوْرُوثٌ أَيْضاً، وَأَوْرَثَهُ أَبُوهُ مَالاً: جَعَلَهُ لَهُ مِيرَاثاً، وَوَرَّثْتُهُ تَوْرِيثاً، أَشْرَكْتُهُ فِي الْمِيرَاثِ[(١)]. الإرْثُ المِيراثُ، وأَصل الْهَمْزَةِ فِيهِ وَاوٌ. يُقَالُ: هُوَ فِي إِرْثِ صِدْقٍ؛ أي: فِي أَصلِ صِدْقٍ، وَهُوَ عَلَى إِرثٍ مِنْ كَذَا؛ أي: عَلَى أَمر قَدِيمٍ تَوارَثه الآخِرُ عَنِ الأَوَّل[(٢)].

ب ـ الميراث اصطلاحاً:

يمكن تعريف الميراث: بأنه انتقال الشيء من شخصٍ إلى آخر سواء أكان هذا الشيء حسيّاً أو معنويّاً ـ يقال: ورث فلان المال وورث المجد ـ ويراد بالميراث هنا: انتقال المال من الميت إلى ورثته. وقد حددت الشريعة الإسلامية نظاماً دقيقاً للميراث يتضمن مجموعة من المعايير والقواعد والضوابط والأسس الثابتة تبيِّن كيفية توزيع الميراث بين الورثة[(٣)].

---

(١) الحموي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ٢/ ٦٥٥.
(٢) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٢/ ١١١.
(٣) السمالوطي، «بناء المجتمع الإسلامي»، ط٣، ١/ ٢٢٨.

ثانياً: خصائص الميراث في الإسلام:

يحقق الميراث ضماناً اجتماعيّاً داخل الأسرة؛ لما يوفره من أموالٍ تعود إلى الأحياء منهم إذا مات أحدهم، وترك مالاً؛ فلا يضيع الصغير واليتيم والأرملة، ولا يصيرون عالة على المجتمع، وفي هذا تخفيفٌ عن كاهل الدولة والمجتمع في سد حاجات المحتاجين.

وكذلك الميراث أيضاً: يُفَتِّتُ الثَّرَوَاتِ، وَيَمْنَعُ مِنْ تَكْدِيسِه في أيدٍ قليلة؛ لأن تَرِكَةَ الإنسان بعد موته تُقَسَّمُ عَلَى عَدَدٍ غَيْرِ قَلِيلٍ من أقاربه، ولما كان الإنسان غير مخلدٍ في الدنيا، وَعُمْرُهُ فِي الْغَالِبِ قصير، لا يتجاوز بضع عشراتٍ من السنين؛ فإن الثروة التي يجمعها الإنسان في حياته لا بد أن تتفتت بعد زمنٍ قصير، وتفتيت الثروات الكبيرة مما يُرَغِّبُ فِيهِ الْإِسْلَامُ، ويسلك لتحقيقه سبلاً كثيرة هادئة مريحة، لا عنف فيها ولا اهتزاز، ومن هذه السبل تقرير مبدأ الميراث؛ فتنظيم الإرث في الإسلام جاء إذاً على غايةٍ من العدل والدقة، مما لا نجد له نظيراً مطلقاً في أي شرعٍ آخر.

والإسلام أسس للأسرة قواعد لتقسيم الميراث بنصوصٍ شرعيةٍ واجبة التطبيق، كما بيَّن الحقوق المرعية بين أفراد المجتمع على مستوى الزوجين أو عموم أفراد الأسرة، أو الجوار، ولم يتركها لاجتهادات الأفراد، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣][(١)].

وتنظيم الميراث وتحديد أنصبة الورثة جاء على شكلٍ فريدٍ لا يوجد له نظير في جميع الديانات روعي فيه مختلف الاعتبارات؛ كقرب الوارث وحاجته، وتفتيت الثروة وتوزيعها، مما يجعل هذا التنظيم وما بني عليه من أسس واعتبارات صالحاً لكل زمانٍ ومكان[(٢)].

ومبدأ الإرث يدفع إلى المزيد من بذل النشاط والجهد في أمرٍ واضح؛ لأنَّ

---

(١) الحازمي، «مصطلح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي» (دراسة نقدية)، ١/٣٠٨، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الرابع والعشرون بعد المائة.

(٢) زيدان، «أصول الدعوة»، ط٩، ١/٦٦.

الإنسان لا يعمل لنفسه فقط، وإنما لمن يهمه شأنهم من أفراد أسرته أيضاً، فهو يجهد نفسه ليسد حاجاتهم مع حاجات نفسه، وكما أنه يعمل لتوفير حاجاتهم الحاضرة؛ فكذلك يبذل جهداً آخر لتوفير ما يسد حاجاتهم في المستقبل، فإن بقي في قيد الحياة تولَّى الإنفاق بنفسه عليهم، وإن مات تولَّوا هم بأنفسهم الإنفاق من أمواله التي تركها لهم، وعلى هذا فإذا منع التوارث فإنَّ الإنسان تضعف همته في العمل، ويقلل نشاطه الاقتصادي؛ لأنه يعلم بأنَّ ثمرة جهوده لا ترجع إلى أفراد أسرته الذين يهتم بأمرهم[(١)].

كان بعض البشر يحرمون النساء من حق الميراث وغيره، وبعضهم يضيّق عليهن حق التصرف فيما يملكن، فأبطل الإسلام هذا الظلم، وأثبت لهن حق التملك والتصرف بأنفسهن في دائرة الشرع، قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾ [النساء: ٧][(٢)].

والميراث في الجاهلية كان فوضى يورث من شاء ما شاء إلا النساء، فكان أهل الجاهلية لا يورثونهن، بل ربما وَرِثوهن تركة كما يورث المتاع، وذلك كالخالة زوجة الأب، كان يرث شخصها، أكبر الأولاد بعد وفاة أبيهم، وجاء الإسلام فشرع نظاماً متكاملاً للإرث فريداً لم يسبق ولن يلحق؛ فالميراث في الإسلام، يقوم على رعاية: الأعباء الملقاة على الوارث، وعلى درجة القربى، كما يقوم على الحق والعدل والمصلحة[(٣)].

ومن الملاحظ: أن التشريع الإسلامي في أغلبه جاء في القرآن مجملاً وفصلته السُّنَّة المطهرة إلا نظام الإرث، فقد جاء مفصلاً في سورتي النساء والمائدة، وبعض البقرة، فلم يترك الأمر لأحدٍ من البشر بل تولى الله تعالى قسمتها بنفسه، ولم يترك ﷻ الأموال تجتمع بيد القلة من الناس، ولم يجعل

(١) زيدان، «أصول الدعوة»، ١/ ٢٥٥.
(٢) محمد رشيد، «الوحي المحمدي»، ط١، ١/ ٢٣٧.
(٣) صبح، «الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم»، ط٢، ١/ ١٩٧.

التركة ملكاً للدولة كما في بعض الأنظمة في العصر الحديث، فتنعدم المسؤولية الفردية والكيان الشخصي للإنسان، بل كان بيد هذا وذاك، بحيث فتت الثروة تفتيتاً، وأعطى هذه الثروة للأجيال القادمة بالوضع المعتدل المتزن إلى من ينبغي أن يحملوا الأمانة من بعد(١).

وهكذا يمضي نظام الميراث حكيماً ليؤدي وظيفةً اقتصاديةً عظيمةً، عجز البعض عن إدراكها، فراح يبدل كلام الله، وينتهك حدود الله، ويسوي بين الذكر والأنثى في الميراث؛ ليحقق بذلك الظلم، وهو يحسب أنه يحقق العدل، فليس البشر مهما كانوا بأعدل من الله تعالى، ولا هم أرحم بالبشر من ربِّ البشر، الرحمٰن الرحيم، الحنَّان، المنَّان، الكريم الودود!(٢).

ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث نصف ما للرجل، ومما يتبين به عدل الإسلام في هذه المسألة: أن الإسلام جعل نفقة الزوجة واجبة على الزوج، وجعل مهر الزوجة واجب على الزوج أيضاً، وهي نظرة تكاملية للمجتمع لتحريك ثروته بالكامل، فلو أن رجلاً توفى وخلَّف ابناً وبنتاً وكان للابن ضعف نصيب أخته، ثم أخذ كل منهما نصيبه، ثم تزوج كل منهما؛ فالابن إذا تزوج فإنه مطالب بالمهر، والسكن، والنفقة على زوجته وأولاده طيلة حياته.

وأما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها، وليست مطالبة بشيءٍ من نصيبها لتصرفه على زوجها، أو نفقة بيتها أو على أولادها؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها، مع مهرها من زوجها، مع أنها لا تُطَالب بالنفقة على نفسها وأولادها(٣).

ويتضح مما سبق أن نظام الميراث في الإسلام نظام دقيق وعادل يهدف إلى انتقال الثروات وعدم ركودها وإعادة تقسيمها بما يعود بالنفع على أكبر شريحة من الناس، ويمنع انتقال الثروة بالطرق الجائرة التي لا يراعى فيها العدل في التوزيع، كما أن الإسلام كفل للمرأة الحق في إرثها وكفل لها الانتفاع به الأمر الذي

(١) الصَّلَّابي، «الوسطية في القرآن الكريم»، ط١، ١/ ٥٤٤.
(٢) جريشه، «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي»، ط٣، ١/ ٢٣٣.
(٣) الحمد، «الطريق إلى الإسلام»، ط٢، ١/ ٩٠.

يوضح عناية الإسلام بالإنسان وأسرته في حياته وبعد مماته، وهو من أسباب الاستقرار النفسي وسيادة الأمان بين الناس.

٤ ـ علاقة المسلم بغيره:

المسلم لا يعيش وحده في هذه الحياة؛ بل يعيش معه أبناء دينه وملّته من المسلمين وكذلك أبناء الملل والنحل الأخرى، والعلاقة بين المسلم والمسلم وكذلك بين المسلم وغير المسلم سواء كان من أهل الكتاب أو ممن كفروا بالله يحكمها عدد من القواعد العامة والقواعد الخاصة، ويجب على الداعية أن يوضح ذلك للمدعوِّين، فالمسلم يتعامل مع غيره من بين البشر سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أقرباء دم أو أعداء دين بقاعدة العدل المطلقة فظلم المسلم للمسلم أو الكافر لا يجوز في الإسلام، والحفاظ على حرمات الناس يُعد من القواعد العامة في سلوك المسلم فلا يتعدى على حرمة مسلم أو كافر سواء حرمة نفسه أو جسده أو ماله أو عقله أو دينه، كما أن على المسلم أن يتعامل مع غيره بما يكفل له احترام إنسانيته التي جعلها الله تعالى مكرمة من فوق سبع سماوات.

أما على مستوى الخصوصية فالمسلم له حقوق خاصة على المسلم، منها: مناصرته حين يظلم ورده عن ظلمه حين يظلم، وبسط الجناح إليه بالمودة والرحمة وإعطاءه حقوقه الشرعية كاملة كما حددها الشرع الحنيف، **وفيما يلي توضيح لجانب من علاقة المسلم بغيره بشيءٍ من التفصيل:**

١ ـ علاقة المسلم بالآخر:

أرسل الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالهدى ودِين الحق ليظهره على الدين كله، وهو دين البشر جميعاً على اختلاف ألسنتهم وألوانهم؛ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فلا دِين حقّاً بعدَه كما لا نبي بعد خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والمسلمون مأمورون بنشْر هذا الدِّين وتعاليمه بين الناس؛ مسلمين كانوا أو غير مسلمين، ومُكلَّفون بإبلاغ هذه الدعوة إلى البشر أجمعين حتى يخرجوا من الظلمات إلى النور، فالقيام بهذا الواجب يستلزم من المسلم أنْ يختلط بغيره؛

سَواء كان هذا الغير مسلماً أو غير مسلم؛ إذ إن الدعوة لا تتمُّ إلا بذلك، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب؛ وعليه: فإنَّ الاختلاط بغير المسلمين قد يكون ضرورة شرعية، **هذا من جهة.**

ومن جهةٍ أخرى؛ أنَّ مقتضيات الحياة تفرض على الإنسان أنْ يكون على علاقةٍ وصلةٍ دائمةٍ بآخَرين؛ إذ الإنسان وحدَه لا يقدر على تحقيق كلِّ ما يحتاج إليه ويلزمه لقوام حياته، بل هو بحاجةٍ إلى التعاون والتساند مع آخَرين؛ ولذلك يُقال: «إن الاجتماع الإنساني ضروري»[(١)].

ولما كان الإسلام ديناً عالميّاً وخاتم الأديان، فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى إكراه العالم على التمسك بدينٍ واحد؛ لأن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعاً، بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم، على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس[(٢)].

ومن خِلال هذه العلاقات البشرية الضروريَّة يلتقي المسلم بأناسٍ دِينُهم يخالف دِينَه، كما أن المجتمع الإسلامي لم يخلُ قطُّ من غير المسلمين في عصرٍ من العصور؛ لأنَّ الإسلام لم يكرههم أنْ يكونوا مسلمين، ولا أمر المسلمين أنْ يعتزلوهم، بل أَذِنَ لهم أنْ يعيشوا مع المسلمين في بلاد الإسلام بصفة أهل الذمَّة آمِنين مطمئنِّين على أنفُسهم وأموالهم بما بذلوه من الجزية ما لم ينقضوا العهد، فهذه المعيَّة والمجاورة وغيرها من الأسباب تقتضي نُشوء العلاقات ودَوامها بين المسلمين وغير المسلمين، وتوجد العديد من الأحاديث التي تُفِيد أنَّ العلاقات

---

(١) ابن خلدون، «المقدمة»، د. ط، ص٤١.
(٢) الطويل، «الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم» (الجذور ـ الممارسة ـ سبل المواجهة)، ط٢، ٤/١٨.

في مختلف المجالات كانت قائمةً بين المسلمين وغير المسلمين في عهد النبي ﷺ وكذلك كان الأمر في العصور التي تَلِيه.

فقد رُوِي عن عائشة رضي الله عنها قالت: (اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً ورهنه درعه)[١].

ورُوِي عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر رضي الله عنهما؛ أنه قال: كنَّا مع النبي عليه الصلاة والسلام ثم جاء رجلٌ مشرك مشعان طويل بغنم يسوقُها، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أبيعاً أم عطية؟** ـ أو قال: **أم هبة؟**» قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة[٢].

ورُوِي عن عبد الله قال: أعطى رسول الله عليه الصلاة والسلام (خيبر اليهود أنْ يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها)[٣].

ورُوِي عن أسماء بنت أبي بكرٍ قالت: قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: (وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: «**نعم، صِلِي أمَّك**»)[٤].

ورُوِي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إنَّ يهودية أتت النبي عليه الصلاة والسلام بشاةٍ مسمومةٍ فأكل منها)[٥].

ورُوِي عن عبد الله؛ أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن حلف على يمينٍ وهو فيها فاجرٌ ليقتطع بها مال امرئٍ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان**»، قال:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الرهن، باب من رهن درعه، ٣١٤٢، حديث رقم (٢٥٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب البيوع، باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، ٣/ ٨٠، حديث رقم (٢٢١٦)، مشعان؛ أي: منتفش الشعر، ثائر الرأس. ابن الأثير، «النهاية في غريب الحديث والأثر»، د. ط، ٢/ ٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الشركة، باب مشاركة الذمي والمشركين في المزارعة، ٣/ ١٤٠، حديث رقم (٢٤٩٩).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، ٣/ ١٦٤، حديث رقم (٢٦٢٠).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ٣/ ١٦٣، حديث رقم (٢٦١٧).

فقال الأشعث: فيَّ والله كان ذلك؛ كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني فقدمته إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال لي رسول الله: «**ألك بيِّنة؟**» قلت: لا، قال: فقال لليهودي: «**احلف**» قال: قلت: يا رسول الله، إذاً يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ إلى آخِرِ الآيات [آل عمران: ٧٧][١].

وقد تكون بين أفراد من غير المسلمين وبين دولةٍ إسلاميَّةٍ التي يذكر تفاصيلها في أبواب وأحكام أهل الذمة والمستأمنين.

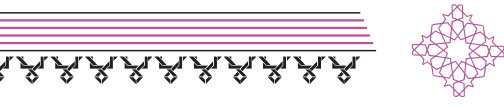
والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين بعد أنْ تطورت وسائل النقل وتغيَّرت ظروف الحياة في العالم بعامَّة، قد توسَّعت وتنوَّعت، فذهب الكثير من أبناء المسلمين إلى بلاد الكفار لغرض الدعوة أو التجارة أو الدراسة أو العمل، وكذلك جاء الكثير منهم إلى بلاد الإسلام لأغراضٍ شتَّى، فكلُّ ذلك يؤدِّي إلى تزايُد العلاقات الفردية بين المسلمين وغير المسلمين.

وكلُّ مسلم له صلة وعلاقة بغير المسلمين ينبغي له أنْ يعرف مَدَى الحكم الشرعي لعلاقاته هذه ومعاملاته الفردية معه؛ ليصبح داعيةَ خيرٍ ورشادٍ كما كان سلَف هذه الأمَّة.

ومما سبق يتضح أن علاقة المسلم بغيره سواء كان مسلماً أو كافراً غير معتدٍ يحكمها العديد من القواعد النبيلة العادلة والإنسانية، وعلى الدعاة أن يكونوا في ذلك قدوة عملية.



(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، ٣/١٢١، حديث رقم (٢٤١٦).



المبحث الثاني

منهجية التعريف بأبرز القضايا الشرعية

١ ـ الحدود في الإسلام:

الحدود في الإسلام هي نهاية العقوبات؛ أي: أغلظها، وكل شرع أو نظام أو قانون وضعي يضع عقوبات ردعية مغلظة في نهاية سلم التجريم ومن ثم العقوبات، وبناءً على ذلك فعلى الدعاة أن تكون منهجية توضيح الحدود في الإسلام قائمة على توضيح معنى الحدود ومدى الشبه بينها وبين القوانين المعمول بها في معظم بلاد العالم، وأن الهدف منها هو الردع لكل خارجٍ عن الشرع ولكل معتدٍ على حقوق الآخرين، كما أن على الدعاة أن يوضحوا أن الحدود؛ كعقوبات يلزم تطبيقها تحقيق عدد من الشروط العامة كفاية الناس أمنهم وقوتهم وما يحفظ حياتهم، مع وجود نظام عام قائمٌ على الشرع وقواعده السمحة، وكذلك تحقق عدد من الشروط الخاصة بالواقعة؛ كالإقرار لمرتكبيها أو وجود الشهود أو غير ذلك من الشروط، وأن كافة الحدود تدرأ بالشبهات.

لذلك على الدعاة أن يفطنوا إلى أن مناقشة القضايا الخاصة بالمجتمع المسلم، ويجب أن تطرح في صيغةٍ عامةٍ وأن تقارن في عمومها بما يشبهها في المجتمعات الأخرى تقريباً لصورتها في ذهن المدعوِّين، **وفيما يلي توضيح لجانب ما يتعلق بالحدود.**

أولاً: مفهوم الحدود:

الحد لغةً: الفصل والمنع، يقال: حددته عن أمره إذا منعته، ويسمى الحاجب حدّاداً؛ لأنه يمنع من الدخول، وكذلك السجان؛ لأنه يمنع من الخروج، والحد: الحاجز بين الشيئين، وحد الشيء: منتهاه. وحده: أقام عليه

الحد، وإنما سمي حدّاً؛ لأنه يمنع عن المعاودة[(١)].

والحد في الشرع: عقوبة مقدرة تجب حقّاً لله تعالى.

والعقوبة: اسم لما يوقع على الإنسان من جزاءٍ في الدنيا نتيجة مخالفته للشرع وارتكاب ما نهي عنه.

وكلمة «مقدرة»؛ أي: أن لها قدراً خاصّاً مبيناً في كتاب الله، أو سُنَّة نبيّه ﷺ، أو الإجماع فلا يسمى التعزير حدّاً لعدم التقدير.

وكلمة «حقّاً لله تعالى» نسبة الحق لله مع تنزيهه سبحانه من أن ينتفع بشيءٍ ما تعظيماً لشأن هذا الحق وتنويهاً بأثره، وحفزاً للأنفس على مراعاته واحترامه، وكذلك لأنه لا يتعلق به حق لآدمي كالقصاص مثلاً.

وما كان حقّاً لله فإنه لا يقبل الإسقاط، لا من الأفراد، ولا من الجماعة[(٢)]..

والحدود هي ما فُرِضَ من عقابٍ معينٍ على جرمٍ مبين بالنص؛ كالقتل لحفظ الأنفس، والزنا لحفظ العرض والنسل، والسرقة لحفظ المال، والفساد في الأرض بقطع الطرق لحفظ الأمن، والسكر لحفظ العقل، وبعض العلماء لا يجعل عقابه حدّاً لعدم النص في القرآن ولا في السُّنَّة، والحكمة في هذه الحدود المعينة إرهاب الأشقياء والفساق.

وقالوا: «إن إقامة الحدود من حق الإمام الأعظم (الخليفة) دون غيره من الحكام.

(وثانيهما): التعزير، وهو مفوّضٌ إلى اجتهاد الحكام مع وجوب العدل وحفظ المصالح العامة والخاصة وهو الأعم الأشمل.

والعبرة في كل هذه القواعد التي فضّل بها الإسلام جميع شرائع الأنبياء وقوانين الحكماء والعلماء، أنها جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ نشأ بين أميين ليس

---

(١) الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، ط٨، ١/٢٨٦، والحموي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ١/١٣٥ والرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ص١٢٥.

(٢) البارعي، «تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق»، ط١، ٣/١٦٣، عودة، «التشريع الجنائي الإسلامي»، د. ط، ١/٧٨ ـ ٧٩.

عندهم شرع منزّل، ولا قانون مدوّن، فهل يعقل أن يكون إلهاماً فجأةً في سن الكهولة منبجساً من نفسه، ولم يؤثر عنه قبله شيء من مثله؟»[(١)].

كادت عقوبات الحدود الشرعية تلتهم مفهوم «تطبيق الشريعة»، لكثرة ما ألح الكثيرون من مؤيدين ومعارضين على الحدود، وحجم النقاشات التي دارت حولها، ومدى صلاحيتها والفوارق بينها وبين القوانين الوضعية إلى غير ذلك، بحجة أن هذه الحدود مخالفة لحقوق الإنسان التي ابتدعوها، لا سيما وأن احترام حقوق الإنسان مقررة قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، فهي مقررة بتقرير الله سبحانه وتعالى لها، ليست وليدة ثورة أو انقلابات سياسية، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال رسوله المصطفى ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[(٢)].

وقال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»[(٣)].

كما أن مبادئ حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية السمحة، ووفق المفهوم الإلٰهي لهذه الحقوق وهو ذلك المفهوم الذي يقوم على أسس الدين والأخلاق لا الفردية المطلقة غير المنضبطة.

والحد في الشرع: عقوبة بدنية واستيفاء حق الله تعالى[(٤)]، أو هو العقوبة المقدرة شرعاً، سواء أكانت حقّاً لله أم للعبد فلا يسمى القصاص حدّاً؛ لأنه حق العبد، ولا التعزير لعدم التقدير.

وركنه: إقامة الإمام أو نائبه في الإقامة.

وشرطه: كون من يقام عليه صحيح العقل سليم البدن من أهل الاعتبار

---

(١) محمد رشيد، «الوحي المحمدي»، ط١، ١/٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ١/١٩، حديث رقم (٤٨).

(٣) المتقي الهندي، «كنز العمال»، ط٥، ١٢/٦٦٠، رقم (٣٦٠١٠).

(٤) العنسي، «التاج المذهب لأحكام المذهب»، د. ط، ٦/٤٧٢.

والانتذار حتى لا يقام على المجنون والسكران والمريض وضعيف الخلقة إلا بعد الصحة والإفاقة(١).

حكم إقامة الحدود الشرعية:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وقد حذَّر الله تعالى من اقتراف الحدود، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١].

وقال جلَّ شأنه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال ﷺ: «**حدٌّ يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً**»(٢).

وقد أمر الرسول ﷺ بإقامة الحدود، فقال: «**أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم**»(٣).

قال شيخ الإسلام: خاطب الله المؤمنين بالحدود والحقوق خطاباً مطلقاً كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]؛ لكن قد عُلم أن المخاطب بالفعل لا بد أن يكون قادراً عليه والعاجزون لا يجب عليهم، وقد عُلم أن هذا فرض على الكفاية، وهو مثل

(١) لجنة علماء، «الفتاوى الهندية»، ط٢، ١٥/ ٥٧.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، «مسند أبي هريرة» رضي الله عنه، ١٥/ ١٢٤، حديث رقم (٩٢٢٦)، والنسائي في «سننه»، كتاب قطع السارقين، باب الترغيب في إقامة الحد، ٨/ ٧٥، حديث رقم (٤٩٠٤). قال الألباني: حسن بلفظ أربعين.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، ٢/ ٨٤٩، حديث رقم (٢٥٤٠)، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح. انظر: البوصيري، «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه»، ط٢، ٣/ ١٠٣.

الجهاد؛ بل هو نوع من الجهاد، فقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، ونحو ذلك هو فرض على الكفاية من القادرين و«القدرة» هي السلطان؛ فلهذا: وجب إقامة الحدود على ذي السلطان ونوابه[(١)].

لقد شرع الله تعالى الحدود للانزجار عما يتضرر به العباد، وصيانة دار الإسلام عن الفساد والطهر من الذنب؛ ليست بحكم أصلي لإقامة الحد؛ لأنها تحصل بالتوبة لا بإقامة الحد، ولهذا يقام الحد على الكافر ولا طهرة له.

إن حق الإمام في إسقاط الحد إذا وجد المسقط خاص بما هو حق لله تعالى، أو ما يغلب فيه حق الله؛ كحد الزنا والسرقة والشرب والحرابة، أما ما هو حق للعبد، أو يغلب فيه حق العبد فليس للإمام إسقاطه، وإنما يكون الإسقاط من صاحب الحق، ووجه ذلك كما يقول الفقهاء: أن حقوق الله تعالى مبنية على التسامح والعفو، فإذا وجد ما يسقطها، فالإمام نائب في الاستيفاء لحق الله تعالى فله إسقاطها. أما حقوق العباد، فإن مبناها على الشح والضيق، والعبد بحاجة إلى استيفاء حقه، فيتوقف الاستيفاء على طلب.

كما أن الحدود الشرعية كما وجبت بنصٍّ شرعي، لا تسقط بعد وجوبها وثبوتها عند الإمام إلا بنصٍّ شرعي، أو إجماع، فلا بد فيها من التوقيف أو الاتفاق، فلا مجال فيها للأهواء الشخصية، والأغراض الدنيوية، وليس لذلك سبيل في إسقاط حد أو وجوبه. ومن هنا: شرع التثبت في الحكم على من فعل ما يوجب الحد؛ فشرع الإقرار الصريح، وتعدد الشهود والإمام مندوب إلى الاستفسار عن كل الملابسات الممكنة قبل إصدار الحكم، وفي ذلك تعظيم لأحكام الله، ووقوف عند حدوده، واحترام لحقوق الإنسان؛ لئلا يؤخذ البريء بذنب غيره، ولئلا يعاقب من لا يستحق العقوبة[(٢)].

---

(١) ابن تيمية، «مجموع الفتاوى»، ط٣، ٩/١٣٨.

(٢) الحمود، «مسقطات الحدود في الشريعة الإسلامية»، رسالة ماجستير، منشورة على موقع الإسلام اليوم.

إن العقوبات الشرعية المقدرة تتفاوت من حيث الحق الغالب فيها: فقد يكون الاعتداء فيها على حق الجماعة، وأمر الله وشرعه غالباً، ففي هذه الحالة يكون الغالب فيها حق الله تعالى، فيجب استيفاؤه ولا يحل لأحد إسقاطه، وقد يكون الاعتداء فيها ـ غالباً ـ يخص الأفراد، وحقوق العباد، فيكون حق العبد هو الغالب، وفيها حق لله، وهو: مخالفة أمره، وتعدي حدوده، فمصلحة العقوبة فيها تعود إلى الأفراد، وفي هذه الحالة يصح للعبد إسقاط الحد، كما في حد القذف.

إن ورود النصوص الشرعية في وجوب تنفيذ الحدود معناه: أن الإمام ملزمٌ باستيفاء الحد، إذا توفرت الشروط وانتفت موانعه. وورود النص القطعي في وجوب استيفاء الحد، لا يمنع ورود الإسقاط على تلك الحدود، فإذا طرأ على الحد ما يسقطه، وترجح لدى الإمام إسقاطه، فله ذلك سواء قبل الحكم أم بعده.

ثانياً: الحدود رحمة:

الإسلام ينظر لحقوق الإنسان على أنها منحة إلٰهية، ليست منحة من مخلوق لمخلوقٍ مثله، يمنّ بها عليه إن شاء أو يسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله له بمقتضى فطرته الإنسانية، فهي تتمتع بقدرٍ كافٍ من الهيبة والاحترام والقدسية فلا يتجرأ شخص على انتهاكها أو الاعتداء عليها، أما ما يثيره المبطلون من أن إقامة الحدود الشرعية اعتداء على حقوق الإنسان فهذه شبهة باطلة عقلاً وشرعاً، والمتأمل لحال المجتمعات التي تطبق فيها الحدود والأخرى التي لا تطبق فيها ليجد البون الشاسع في استقرار تلك المجتمعات، وانتشار الأمن فيها، فيشعر الإنسان بطمأنينة نفسية، وسكينة قلبية، وأمن مستتب، بل إن تطبيق الحدود الشرعية على المجرمين خير وسيلة للقضاء على الجريمة، وخير وسيلة لحفظ الدماء أن تسفك، والحياة من أن تهدر، والأعراض من أن تنتهك، والأنساب من أن تختلط، والأموال من أن تضيع أو تؤكل بالباطل، والعقول من أن تختل، والدين من أن يتخذ سخرية وهزواً.

ولقد أخرج المجتمع الإسلامي الأول أناساً ارتكبوا حدوداً، وكان لهم أن يستروا على أنفسهم، لكنهم كانوا هم الذين يذهبون بأنفسهم لإقامة الحد عليهم،

أفبعد ذلك كله، يأتي من يجهلون الإسلام ويقولون: إن الحدود تعذيب وقسوة! بل إن الحدود حفاظ ورحمة.

والإسلام حين وضع الحدود لم يكن المراد تعذيب الناس، بل يطبق الحدود في حدود ضيقة، فيدرأ الحد بأدنى شبهة، ولا يقام إلا إذا وصل إلى الحاكم المسلم، فإن لم يصل، فللذي ارتكب الحد أن يتوب إلى الله تعالى، ثم إن الناظر إلى تطبيق الحدود يعلم أن هذا التطبيق يمنع ارتكابه وتكرره مرة أخرى، وإن إقامة الحدود في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين لم يتعد حدود أصابع اليدين، ثم إن اللِّين لا يجدي في كل موقف من المواقف؛ بل القسوة والشدة، لهما أثرهما في الإصلاح أحياناً كثيرة. وما تفعله دول العالم المتحضر أدعياء الديمقراطية وحقوق الإنسان لهو أشد مما يمكن أن يوصف بأنه قسوة، وخذ سجن أبو غريب وغوانتنامو مثالاً على عدم القسوة في أعرافهم.

كما يحاول البعض من أعداء الإسلام أن يصوروا تطبيق الحدود على أنه تعذيب وقسوة وتنكيل، وهم حين يفكرون في ذلك الأمر، يفكرون في منظر تقطيع اليد، أو الجلد أو الرجم لمن أتى حدّاً من حدود الله، ويتناسون تماماً الأضرار التي نجمت عن ارتكابهم الحدود، من أموال الناس التي انتهبت، والتي ربما تسببت في فقر أصحابها، أو هتك الأعراض واختلاط الأنساب وفساد المجتمع، أليس من الأنفع للمجتمع أن تقطع يد كل عام، ويشيع الأمن بين الناس، ويطمئن الناس على أموالهم وأعراضهم، بدلاً من إشاعة الخوف في نفوسهم وقلوبهم من أولئك الذين يرتكبون جرماً في حق أنفسهم قبل أن يرتكبوا جرماً أعظم في حق الناس.

إن إقامة حدود الله في الأرض رحمة للعباد، فلم يشرع في الكذب قطع اللسان ولا القتل، ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس، وإنما شرع لهم في ذلك ما هو موجب أسمائه وصفاته من حكمته ورحمته، ولطفه وإحسانه وعدله، لتزول النوائب، وتنقطع الأطماع عن التظالم والعدوان، ويقتنع كل إنسان بما آتاه الله مالكه وخالقه، فلا يطمع في أخذ حق الآخرين، ومتى قضي على الجريمة أو ضاق نطاقها فإن الأمن يستقر، ويتوفر الرخاء، وتتسع

الأرزاق ويصبح المجتمع هادئاً مستقرّاً لا يعاني من قلاقل أو اضطرابات، فضلاً عن كون ذلك كله وقبل كل شيء هو امتثالٌ لأمر الله ﷻ واحتكامٌ إلى شرعه القويم.

ثالثاً: إذا لم تطبق الحدود الشرعية تحولت إلى عقوباتٍ كونية:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]؛ إن الله تعالى أمرنا نحن المسلمين أن نقيم الحدود على أصحاب المعاصي، فإذا تخلينا عن إقامة الحدود فإن هذه العقوبة الشرعية التي كان من المفروض أن نقوم بها نحن، تتحول بإذن الله تعالى إلى عقوبة كونية عامة، وإذا كان الحد الشرعي إنما يتناول العاصي فقط، فإن العقوبة الكونية العامة قد تشمل المباشر للجريمة وغير المباشر، ولهذا جاء في الحديث؛ أن النبي ﷺ لما كُلِّم في المخزومية التي كانت تسرق، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ إلا أسامة بن زيد حبَّه وابن حِبّه، فقال النبي ﷺ: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟! ثم قال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت؛ لقطع محمد ﷺ يدها**»[(١)].

وحاشاها رضي الله عنها من ذلك، لكن هذا مثال في العدالة، حتى على بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس في المجتمع الإسلامي من يجري في عروقه دم مقدس، وهو فوق النظام والعدالة أو ـ كما يقال ـ فوق القانون، لكن يخضع الجميع لشريعة الله ﷻ، الكبير والصغير أمام شريعة الله تعالى سواء، وقد جاء عمر رضي الله عنه بابن عمرو بن العاص، وطلب من القبطي الأجنبي البعيد؛ بل والكافر أن يأخذ الدرة ويضعها على رأسه ويضربه ويقول: «اضرب ابن الأكرمين»، خذ حقك، انتصر من ابن الأكرمين، وفي بلاط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، الذي اشتهر عنه قوله: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

(١) سبق تخريجه ص٥٤٩.

إذن: عقوبة الحد ـ مثلاً ـ على السارق بالقطع، أو عقوبة رجم الزاني المحصن، أو عقوبة جلد غير المحصن، أو أي حدٍّ شرعيٍّ أمر الله تعالى به، إذا فعله الناس أمنوا واطمأنوا على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وأرغد عليهم الله تعالى عليهم عيشهم، فإذا قصروا ولم يقوموا بالحدود، فإن هذه العقوبة الشرعية تتحول إلى عقوبة كونية، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما أهلك الذين من قبلكم**...» لماذا أهلكوا؟ لأنهم عطلوا الحدود؛ لم يقيموا الحدود الشرعية، فنزلت عليهم العقوبات الكونية القدرية التي لا يد لهم في دفعها، وهي عقوبات عامة تشمل الجميع، ثم يبعثون على نياتهم، كما قال الرسول ﷺ[(١)].

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥]، ولا شك أن تعطيل حدود الله من أشد الظلم.

رابعاً: مميزات الحدود في الشريعة الإسلامية:

إن الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة، صالحة لكل زمانٍ ومكان، عادلة في تشريعاتها وأحكامها، وهذا يتجلى في موازنة التشريع لأنواع العقوبات الشرعية بأنواع موجباتها، فجعل شدة العقاب مقابل شدة أثر الجريمة، وخطرها على المجتمع الإسلامي أفراداً وجماعات، وهذا يتجلى لنا واضحاً في عقوبة الزاني المحصن، وعقوبة المحارب، فشدة العقوبة فيهما نظراً لشدة الجريمة البشعة، وفي مقابل ذلك: عقوبة القذف، فهي أخف الحدود؛ لأن جريمة القذف أقل أثراً من الزنا والحرابة. ومن مميزات هذا التشريع: المساواة بين مستحقي العقوبة الشرعية المقدرة، فلا تسقط عن الشريف لمنزلته بين الناس أو جاهه أو سلطانه، ولا تسقط عن الغني لكثرة أمواله، وهذا يتجلى لنا واضحاً في قول الرسول ﷺ في الحديث السابق: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(٢)].

كما إن ورود الإسقاط على الحدود الشرعية لا يضعف من قطعيتها في

(١) العودة، «مطارق السُّنن الإلٰهية»، موقع سلمان العودة على الشبكة العنكبوتية.
(٢) الحمود، «مسقطات الحدود في الشريعة الإسلامية»، رسالة ماجستير، منشورة على موقع الإسلام اليوم.

الوجوب، ولا يؤدي إلى تعطيلها ـ كما يقوله بعض المتأخرين ـ وإنما الإسقاط الشرعي؛ يعني: استثناء حالة الإسقاط من حكم النص الدال على وجوب الحد، وهذا أمر له شواهد كثيرة في الأحكام الشرعية؛ كما في الصلاة، والصيام والحج والكفارات، فمثلاً: الصلاة واجبة على كل مسلم ومسلمة، وتسقط عن المرأة في أيام حيضها؛ فتركها للصلاة في هذه الفترة ليس تعطيلاً للنص الدال على الوجوب المطلق، وإنما تمشياً مع النصوص الأخرى الدالة على استثناء هذه الحالة من الحكم العام. وهذا هو الشأن في الحدود إذا ورد ما يسقطها بنصٍّ أو إجماع، بالإضافة إلى أن الأخذ بقاعدة درء الحدود بالشبهات يؤدي غالباً إلى تبرئة المتهم من الجريمة المنسوبة إليه، ودرء العقوبة الحدية عنه كأن تكون الشبهة قائمة في ركن من أركان الجريمة، أو في طرق إثباتها، وقد تستدعي الحال أحياناً بعد درء الحد إلى استبدال ذلك بعقوبةٍ تعزيريةٍ بدلاً من الحد المشتبه فيه، كمن أقر بحدٍّ من الحدود الشرعية، ثم عدل عن إقراره لشبهةٍ قوية، فإن الإمام يدرأ عنه الحد، وله أن يعاقبه عقوبة تعزيرية ليكون أبلغ في ردعه وزجره.

خامساً: الحدود في جميع الشرائع:

ثم إن هذه الحدود التي نتحدث عنها لم تكن بدعاً من الأمر ولا هي فقط في شريعتنا نحن المسلمين ليتصدى لها أعداء الإسلام؛ بل قد أمر الله تعالى بها في جميع الشرائع السماوية، فقد أمر الله بإقامة الحدود في التوراة المنزلة على موسى ﷺ، فعن نافع عن ابن عمر، أنه قال: (إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا أن رجلاً منهم وامرأةً زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟**» قالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: إن فيها لآية الرجم، فأتوا التوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما بعدها وما قبلها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله بن عمر: فرأيته رجلاً يجنأ على المرأة يقيها الحجارة)[1].

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ =

قال القاضي أبو بكر بن العربي: جاؤوا محكمين له في الظاهر ومختبرين في الباطن هل هو نبي حق أو مسامح في الحق؟ فقبل النبي ﷺ إفتاءهم وتأمل سؤالهم، وهذا يدلُّ على أن التحكيم جائز في الشرع انتهى، كما أن فيه وجوب حد الزنا على الكافر، وبه قال الشافعي وأحمد وأبو حنيفة والجمهور.

قال ابن عبد البر: قال مالك: وإنما رجم رسول الله ﷺ اليهوديين؛ لأنه لم تكن لليهود يومئذٍ ذمة وتحاكموا إليه.

وقال الطحاوي ـ لما ذكر كلام مالك ـ هذا: لو لم يكن واجباً عليهم لما أقامه النبي ﷺ، قال: وإذا كان من لا ذمة له قد حده النبي ﷺ في الزنا فمن له ذمة أحرى بذلك(١).

٢ ـ الجهاد في الإسلام:

تُعَدُّ قضية الجهاد من القضايا الهامة بالنسبة للمعرِّف بالإسلام لما لها من صدى في عالم اليوم، نظراً لاختلاف ذلك المفهوم السامي بمفهوم الإرهاب والاعتداء على الناس وغزو بلادهم ونهب خيراتهم، لذلك فعلى الداعية أن يجتهد في إظهار الصورة الصحيحة لمفهوم الجهاد دون الوقوع في فخ الدفاع ورد الشبهات فقط، ويتم إظهار تلك الصورة من خلال توضيح الداعية لمعنى الجهاد لغةً ومعناه اصطلاحاً وكذلك معناه في التطبيق في عالم اليوم، كما أن عليه أن يوضح أن مصطلح الجهاد وإن أسيء له إلا أن الاصطلاحات يمكن أن تتطابق من حيث التسميات في حين أن مفاهيم تلك المصطلحات تكون أبعد بكثيرٍ من بعضها، فالرجل الصالح الذي يكد ويشقى يطلق على جهده مصطلح العمل، وكذلك اللص قاطع الطريق ومروع الناس وسالب أرزاقهم يطلق على أفعاله مصطلح العمل؛ لكن شتان ما بين هذا العمل وذاك العمل، كذلك شتان بين

= أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦]، ٤/٢٠٦، حديث رقم (٣٦٣٥).

(١) العراقي، «طرح التثريب في شرح التقريب»، د. ط، ٨/١٥٢.

الجهاد في الإسلام وبين من أطلقوا على أفعال القتل والتدمير جهاداً، **وفيما يلي توضيح لجانبٍ من المعلومات التعريفية بالجهاد:**.

أولاً: مفهوم الجهاد:

أ ـ الجهاد لغةً:

الجِهَادُ، (بِالْكَسْرِ: القِتَالُ معَ العَدُوِّ؛ كالمُجَاهَدة)، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٧٨]، يُقَال: جَاهَدَ العَدوَّ مُجاهدةً وجِهَاداً: قاتَلَه. وَفِي الحَدِيث: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ولكنْ جِهَادٌ ونِيّةٌ**»[(١)].

ب ـ الجهاد اصطلاحاً:

الجهاد: هو الدعاء إلى الدين الحق[(٢)]. وهو: «الجد والاجتهاد في كل أمرٍ يقوي المسلمين، ويصلحهم، ويلم شعثهم، ويضم متفرقهم، ويدفع عنهم عدوان الأعداء أو يخففه بكل طريقةٍ ووسيلة»[(٣)].

ثانياً: أقسام الجهاد في الإسلام:

يقول الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجهاد نوعان: جهاد يُقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم، وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية.

وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يُقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والملحدين وجميع أعداء الدين، ومقاومتهم.

وهذان نوعان: جهاد بالحجة والبرهان واللسان، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقتٍ وزمان»[(٤)].

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، ٣/ ١٥٣.
(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص٨٠.
(٣) السعدي، «وجوب التعاون بين المسلمين»، د. ط، ص٧.
(٤) «وجوب التعاون بين المسلمين»، ص٧، ٨.

ثالثاً: منزلة الجهاد في القرآن الكريم:

والجهاد في سبيل الله ﷻ عزة وكرامة، وهو من أفضل الأعمال على الإطلاق عند الله تبارك وتعالى، وثوابه يربو على ثواب الحج والعمرة والصيام والقيام، ويكفيه فضيلة أن الله تبارك وتعالى، قد تكفل للمجاهدين إما بالنصر والظفر، أو بالجنة والعاقبة الحسنى.

ولقد فاز الجهاد بالعديد من الآيات التي تشهد له بالفضل، والتي تَعِدُ المجاهدين بالمثوبة التي لا تعادلها مثوبة، وإن الجهاد تجارةً رابحةً مع الله الديَّان الكريم الغني المعطي الرحيم قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدْنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

وقال جلَّ من قائل: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [النساء: ٩٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذه الآيات ترشد إلى وجوب إعداد واستخدام القوة المادية والمعنوية، وذلك لإرهاب أعداء الله، ومقاومة شرورهم، ضمن قواعد السياسة الخارجية الإسلامية، والنظر إلى المخالف نظرة شفقة ورحمة، ما لم يمارس هؤلاء المخالفون عداوتهم بشكلٍ عملي.

والرسالة الخيرة التي يحملها العلماء الأصحاء إنما هي تعليم الجاهلين،

وتطبيب المرضى، ومساعدتهم، والرفق بهم، والأخذ بأيديهم في طريق الصحة والسلامة الفكرية والقلبية والنفسية والجسدية.

فإذا لم تجد الوسائل الهينة اللينة، والبيانية والتربوية على اختلاف صورها وأشكالها الترغيبية والترهيبية، لإصلاح نفوس أعداء رسالة الإسلام، أو تجميد عداوتهم، وهدم أحقادهم، وصرفهم عن مكايدهم ضد الإسلام والمسلمين، فإن الضرورة قد تدعو إلى أن يلجأوا إلى وسائل أخرى تترقى فيها أساليب العنف شيئاً فشيئاً، مع ضبط النفس، وعدم اتباع الهوى، ومع الرغبة الملحة بالانتصار للحق فقط، دون أن تتدخل عوامل نفسية أخرى(١).

وقد يظن كثيرٌ من الناس أن سبب تشريع الجهاد في الإسلام يرجع إلى اختلاف العقيدة والدين، والشريعة والمنهج مع أصل الديانات الأخرى، وهذا الظن باطلٌ وغير صحيح، إذ إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبل أن يهادن أهل الديانات الأخرى وأن يعيش معها معايشة سلمية، فالجهاد في الإسلام جهاد إنساني لم يشهد المؤرخون أنبل من أغراضه، ولا أسمى من أهدافه، ولا أرفع من مقاصده، فهو يجنح للسلم إن طلب العدو ذلك، وهو رحيمٌ رفيقٌ لا يعتدي ولا يأخذ على حين غرة، ولا يقتل شيخاً مُسِنّاً، ولا امرأةً، ولا طفلاً، ولا آمناً غير باغٍ ولا آثم، وشريعة الإسلام في الجهاد شريعة عادلة غير معتدية كغيرها من الشرائع الإسلامية التي جاءت لتحمي لا لتبدد، ولتعدل لا لتبغي ولا لتفرق، ولتنشر السلام والأمن لا لترهب الضعيف الآمن.

والجهاد كغيره من مسائل هذا الدين، له شروط، وأركان، وواجبات، وله أحكام تفصيلية والذي يدعو إليه هو ولي الأمر لقول الله ﷻ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، وليس لأحدٍ من الناس أن يفتئتوا على ولي الأمر بالدعوة إلى الجهاد، أما لو دعا إلى الجهاد آحاد الناس فستحل الفوضى(٢). وتظهر أعمال التخريب والإفساد ـ من تفجير وقتل وتدمير للممتلكات ـ.

(١) الدمشقي، «الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم»، ط١، ١/ ٤١٨، المستكملة لعناصر خطة الكتاب.

(٢) آل الشيخ، «الأصول الشرعية عند حلول الشبهات»، د. ط، ١/ ٣٤.

والإسلام يرفض كل عملٍ إجرامي خطير، وعدوان على الأنفس المعصومة، وإتلاف للأموال المحترمة، فهو مقتض للعقوبات الشرعية الزاجرة الرادعة، عملاً بنصوص الشريعة ومقتضيات حفظ سلطانها، وتحريم الخروج على من تولى أمر الأمة فيها، يقول النبي ﷺ: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتةً جاهليةً، ومن قاتل تحت رايةٍ عُمّيّةٍ يغضب لِعَصبةٍ، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، فقتلةٌ جاهليةٌ، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**»(١).

ومن زعم أن هذه التخريبات وما يراد من تفجيرٍ وقتل: من الجهاد؛ فذلك جاهلٌ ضال، فليست من الجهاد في سبيل الله في شيء، وإنما هي من الإفساد والتخريب والضلال المبين.

ومن الشروط الهامة أيضاً في الجهاد: أن يكون القتال لإعلاء كلمة الله، مع التأكيد على أن القتال وسيلة تكون في آخر الأمر، حينما لا تجدي الوسائل الأخرى من دونه، وحينما يصبح حملة رسالة الإسلام تحت الخطر أبداهم، أو هدفاً للخطر المستفز أو المتربص من قبل أعدائهم.

وحينما تُلجئ الضرورة إلى سلوك سبيل القتال، فإن القتال يستدعي الجود بالنفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود. ولذلك كان لمن يجود بنفسه في هذا السبيل حظ الشهادة في سبيل الله، وكان للمقاتل في هذا السبيل من الضمان الرباني أن يدخله الله الجنة، وأن ينال ما لا يوصف من أجرٍ عظيمٍ عنده، أو يعود إلى أهله نائلاً ما نال من غنيمةٍ وأجر(٢).

والجهاد يسهم في كل عملٍ من شأنه العزة والتمكين وهي من أسباب النصر، وتتحقق بمضاعفة الجهد في الإنتاج الحربي، وحراسة أجهزة الدولة من تخريب العدو، والتصدي لدعايات العدو وإشاعات المنافقين والمغرضين، ومن

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ٣/١٤٧٦، حديث رقم (١٨٤٨).

(٢) الدمشقي، «الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم»، ط١، ١/٤١٩، المستكملة لعناصر خطة الكتاب.

ثَمّ كشفها والرد عليها بالكلمة الواضحة، ويتحقق الجهاد أيضاً بالعمل البناء لإقامة التضامن الإسلامي، وتكتيل جهود المسلمين، وتوطيد أواصر المحبة بينهم.

وفي هذا الصدد يحسن التنبيه إلى أن المصطلح الإسلامي هو الجهاد وليس الحرب أو القتال، وإنما مفهومه أشمل وأعم كما مرَّ.

إن لفظ الحرب غالباً ما يراد به القتال الذي يشب لهيبه، وتستعر ناره بين الرجال والأحزاب والشعوب لمآرب شخصية، وأغراض ذاتية، وأهداف مادية.

والقتال المشروع في الإسلام ليس من هذا القبيل، وليس لهذه الأغراض، ولا لتلك الأهداف[١].

وبناءً على ما سبق يتضح أن الجهاد في الإسلام ليس للاعتداء ولم يشرع للغزو ولا لفرض الدين ولا للترويع وزعزعة الأمن، ولكنه شرع لصيانة النفس والمال والعرض والدين من كل عابثٍ لا يرقب في الناس إلّاً ولا ذمة، وعلى الداعية أن يوضح ذلك المفهوم للجهاد وأن يربطه بحق الدولة في الدفاع عن نفسها وأنه حق مشروع لا يمكن لأحدٍ مؤاخذتها عليه أو أن يمنعها منه، وهو حق كفله الإسلام للمسلمين في الشرع الحنيف ووضع له شروط ومحاذير تفرقه عن كل ادعاء يتلبس به أو يدعيه لاستحلال دم الناس وأموالهم وحرماتهم.

وبناءً عليه؛ فإن الجهاد في الإسلام مشروعٌ لنشر الحق، وليدخل الناس في الإسلام كافة.

ثالثاً: نظرة السيرة النبوية للجهاد:

من ذا الذي يجهل أن محمداً ﷺ قد أفاض على العالم حكمة وهداية وإصلاحاً؟

ومن تقصى السيرة النبوية وجد فيها قول عائشة رضي الله عنها: (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله، فينتقم لله)[٢].

(١) انظر: ابن حميد، «تلبيس مردود في قضايا حية»، د. ط، ص٩٨ ـ ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ٨/ ١٦٠، حديث رقم (٦٧٨٦).

فمحمد عليه الصلاة والسلام لم يقاتل الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون حرصاً على حياته، وإنما كان يقاتلهم حرصاً على حياة الفضيلة، وظهور الحق، وبسط أنوار التوحيد، وإقامة نظم المدنية المهذبة، ولكن الناشئين على اللهو واتباع الشهوات لا يفقهون[(١)].

فما الذي كان يريده المفترون على نبيِّنا محمد ﷺ أن يفعل بعدما ألح عليه العدوان هكذا، حتى كاد يأتي عليه؟!

إن الدنيا لَتَعرف كيف تَكتَّلَ الكفار ضده في شِعب أبي طالب ذلك الحصار الاقتصادي والسياسي والاجتماعي المشهور الذي أنزل بمحمدٍ وصحبه وبعض قرابته من الضُّر ما آذاهم حتى أكل بعضهم يوماً من الجوع أوراق الشجر[(٢)].

ولولا أن الله عَطَّف عليه قلوبَ بعض الكرام لبلغ الكفار مرادهم، مما أكره الرسول ﷺ على الإذن لصحبه بالهجرة الكبرى إلى المدينة.

ثم أدركهم بعدها صبيحة الليلة التي جمع الكفارُ فيها من كل قبيلة فتًى، وقرروا أن ينُهْوا حياته بالسيف؛ حتى يضيع في القبائل دمه، وما تقوى على حربهم قريش[(٣)].

فأي صبر كانوا ينتظرون من الرسول ﷺ فوق هذا الصبر؟ وكيف تكون الموادعةُ بعد هذا سبيلَ التفاهمِ من أناسٍ رفعوا عليه السيف، ولم يَحْمِهِ منه أحدٌ غيرُ رعايةِ الله له؟!

إن صبر محمد ﷺ على قومه حتى هذا المدى لَهُوَ آيةُ الآيات على عظمة التسامح والمسالمة عند محمد، وإرخائه العِنان لقومٍ لم يكونوا يستحقون سوى الكبريت والحطب.

لقد سَالَمَ محمدٌ المشركين، وجاوز حدود الصبر، فما أجدت المسالمة،

---

(١) الدَّيبع، «حدائق الأنوار»، ٢، ١/ ٤٤ و٢/ ٥٠٩، وحسين، «محمد رسول الله وخاتم النبيين»، د. ط، ص١٠٤، وباشا، «محمد رسول الله»، ط١، ص٢٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة، ٢/ ١٤٨، حديث رقم (١٥٩٠).

(٣) ينظر: ابن عبد الوهاب، «مختصر سيرة النبي ﷺ»، د. ط، ص١٢٧.

ولا أفاد الصَّبرُ، وأصبح الاستمرار عليهما مما لا يتفق ومنطقَ الحياة، ومما لا يتفق كذلك ومنطقَ النبي الذي جاء قويّاً كفرسان العرب، عظيماً في حسبه ونسبه وفضائله، والذي جاء قبل هذا ليكون رسولَ حياةٍ يخاطب أهلها بما يفهمون.

إنْ لقيه الناس بالإحسان فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وإن كانت الأخرى فَدِيْنُ محمدٍ فيه العزة والقوة والرجولة والشامة التي لا تقبل الذل والمهانة.

ومن عَجَبٍ أن ما اتخذه محمد صلوات الله عليه وسلامه سلوكاً لنفسه، وطريقاً لحماية دعوته منذ القرون الطوال هو نفسه الطريق الذي آثرته البشرية دون غيره لضمان البقاء.

ولو خضع الناس للبغي، وأداروا خدودهم اليسرى لمن يصفعهم على اليمنى، لما قام على وجه الدنيا أحدٌ في وجه ظالم، ولعاش الطغاة أعمارهم محفوفين بالإجلال والإعظام.

ولو قال أصحاب محمد ﷺ مقالة أصحاب موسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤]، لما قُدِّرَ للحياة أن تفيد من أسرار هذا الدين العظيم الذي لا يوجد لمشكلات عالم اليوم من حلول أفضل مما فرضها لها دين محمد ﷺ(١)!

رابعاً: آداب الحرب في الإسلام:

إن الحرب في الإسلام لها آداب، وأحكام محفوفة بالرفق، والرحمة.

فمن الرفق الذي أقام عليه الإسلام سياسته الحربية: أنه منع من التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال؛ كالرهبان، والفلاحين، والنساء، والأطفال، والشيخ الهرم، والأجير، والمعتوه، والأعمى، والزَّمِن.

ومن الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى، والزَّمِن ولو كانا ذوي رأي في الحرب والتدبير.

ولا يجوز قتلُ النساءِ وإن استعملن لحراسة الحصون أو رمين بنحو

(١) انظر: مقال: مرزوق، «نبي الملحمة»، ص١٨١ ـ ١٨٥. في باشا، «محمد رسول الله».

الحجارة، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ [البقرة: ١٩٠]، فجعل القتال في مقابلة القتال.

ونبَّه النبي ﷺ على أن من لا يقاتل لا يقتل، حين وجد امرأة في بعض الغزوات قتيلة؛ أنكر ذلك، وقال: «**ما كانت هذه لتقاتل**»[(١)]!

وإذا وضع المحاربون الأطفال والنساء أمامهم، وجب الكف عن قتالهم، إلا أن يَتَّخِذوا ذلك ذريعة للنصر علينا، ونخشى أن تكون دائرة السوء على جندنا.

ولا يجيز الإسلامُ التمثيلَ بالمحارب، قال ﷺ: «**ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**»[(٢)].

ويمنع من حمل الرؤوس من بلدٍ إلى بلد، أو حملها إلى الولاة، وقد أنكر أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا؛ فقد روى البيهقي عن عقبة بن عامر الجهني؛ أن عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة بعثا عقبة بريداً إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه برأس يناق بطريق الشام؛ فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك، فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا.

قال أبو بكر: تأسِّياً أو استناناً بفارس والروم؟

لا يحمل إليّ برأس، وإنما يكفي الكتاب والخبر[(٣)].

وأخرج أحمد وأبو داود من حديث عمران بن حصين وسمرة بن جندب؛ أن النبي ﷺ (كان ينهى عن المُثْلة)[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكيين، مسند رباح بن الربيع، ٢٥/ ٣٧١، حديث رقم (١٥٩٩٢)، أبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، ٣/ ٥٣، حديث رقم (٢٦٦٩)، وابن حبان في «صحيحه»، كتاب السير، ذكر خبر ثان يدل على أن النساء والصبيان من أهل الحرب يقتلون إذا قاتلوا، ١١/ ١١٢، حديث رقم (٤٧٩١).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ٣/ ١٣٥٧، حديث رقم (١٧٣١).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب السير، باب ما جاء في نقل الرؤوس، ٩/ ٢٢٣، حديث رقم (١٨٣٥١). ابن حجر العسقلاني، «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير»، ط١، ٤/ ٢٠١، وقال ابن حجر: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند البصريين، حديث عمران حصين، ٣٣/ ٧٩، حديث =

والمثلة: تعذيب المقتول بقطع أعضائه، وتشويه خلقه قبل أن يُقتل أو بعده، وذلك كأن يجدع أنفُه، أو تصلم أذنُه، أو تفقأ عينُه، وما أشبه ذلك من أعضائه[(١)].

ولم يشرعِ الإسلامُ للأسير حكماً واحداً، بل جعل أمره موكولاً إلى الأمير الذي يقدر مصلحة الحرب، وله أن يخلي سبيله بفداءٍ، أو بغير فداء.

ومن أدب الحرب في الإسلام: الوفاءُ بتأمين المحارب؛ فإذا أعطى أحدُ الجند الأمان لأحد المحاربين وجب احترام هذا الأمان، ولا يجوز لأحدٍ أن يتعرض لذلك المحارب بأذى.

وإلى هذا يشير قوله صلوات الله عليه: «**ويسعى بذمتهم أدناهم**»[(٢)].

وقد أمضى النبي ﷺ أمان أم هانئ بنت أبي طالب لرجلٍ من المشركين، وقال لها: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[(٣)].

وحدث في عهد عمر بن الخطاب أن عبداً أَمَّن أهل بلد بالعراق، فكتب قائد الجيش وهو أبو عبيدة إلى عمر يأخذ رأيه في هذا الأمان، فكتب إليه عمر: «إن الله عظّم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا؛ فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم»[(٤)].

ومن آداب الحرب في الإسلام، ومما يُجَلِّي معنى الرفق والرحمة مجاملةُ رسل العدو، وترك التعرض لهم بأذى؛ فقد يأتي رسول العدو في شأن الصلح أو

= رقم (١٩٨٤٤)، وأبو داود في «سننه»، باب الجهاد، باب في النهي عن المثلة، ٣/ ٥٣، حديث رقم (٢٦٦٧)، وصححه الألباني.

(١) انظر: ابن رجب، «جامع العلوم والحكم»، ط٧، ١/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الديات، باب إيقاد المسلم بالكافر، ٤/ ١٨٠، حديث رقم (٤٥٣٠)، الحاكم في «مستدركه»، كتاب قسم الفيء، باب والأصل من كتاب الله ﷻ، ٢/ ١٥٣، حديث رقم (٢٦٢٣). وقال الحاكم: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن، ٤/ ١٠٠، حديث رقم (٣١٧١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها، ١/ ٤٩٨، حديث رقم (٣٣٦).

(٤) الطبري، «تاريخ الطبري»، ط٢، ٣/ ١٨٨.

غيره مما فيه تخفيف شر الحرب؛ فمن حسن الرأي أن لا يُتَعَرَّض للرسل بأذى، وأن يكونوا في أمنٍ حتى يعودوا إلى قومهم؛ فإن التعرض لهم بأذى يقطع صلة الرسالة بين الفريقين، ويسد طريق المفاوضات التي يُتَوسَّل بها إلى عدم الدخول في الحرب، أو إنهائها إذا كانت ناشبة.

ومكارم الأخلاق تأبى أن يُتَعَرَّض لرسولٍ بأذًى ولو أرسله قومه لإبلاغ ما عزموا عليه من محاربتنا، أو صدر منه كلام في تعظيم أمر قومه بقصد الفخر أو الإرهاب.

وقد جرى نظام الإسلام في الحرب على هذا الأدب المقبول(١).

لقد قدم أبو رافع بكتابٍ من قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله أُلقِيَ في قلبه الإسلام، فقال: يا رسول الله: إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أني لا أخيس بالعهد، ولا أحبسُ البُرُدَ، ولكن ارجع فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن، فارجع**».

قال: فرجعت، ثم أقبلت إلى رسول الله ﷺ، وأسلمت(٢).

هذه بعض من آداب الحرب في الإسلام، تلك الآداب التي غَيَّرت نظرةَ الناس للحرب؛ إذ كانت نظرتهم تعني أن مبدأ الشفقة مناقض للحرب التي تعني الكُلوحَ، والعبوس، والقسوة بكل حال.

وبخاصة ما نراه اليوم من حروب هذا العصر التي تأكل الأخضر واليابس، وتتسم بالوحشية، ولا تعرف الرحمة لا في أثنائها، ولا بعد نهايتها.

غير أن الناظر في تاريخنا المجيد، وسيرة نبيّنا الأعظم عليه الصلاة والسلام يجد هذا المعنى واضحاً بعد نصره ﷺ، وتمكنه من الأعداء الذين ناصبوه العداوة، ولم يَدَعوا طريقاً في سبيل إيذائه إلا وسلكوه.

---

(١) حسين، «رسائل الإصلاح»، ط١، ١/ ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الأنصار، حديث أبي رافع، ٣٩/ ٢٨٢، حديث رقم (٢٣٨٥٧)، وأبو داود في «سننه»، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، ٣/ ٨٢، حديث رقم (٢٧٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى»، كتاب السير، باب الرسل والبرد، ٨/ ٥٢، حديث رقم (٨٦٢١)، وابن حبان في «صحيحه»، باب الهجرة، باب ذكر الإخبار عن نفي جواز حبس الإمام أهل العهد وأصحاب بردهم في دار الإسلام، ١١/ ٢٣٣، حديث رقم (٤٨٧٧). وصححه الألباني.

ومن نظر إلى فعل النبي ﷺ يوم فتح مكة بعد صراعٍ مرير، وبعد أن فعلت قريشٌ بالنبي ﷺ وأصحابه ما فعلوا.

فعندما انتصر عليهم، وأحاط بهم إحاطة السِّوار بالمِعْصم، وظنت قريش الظنون؛ لعلمهم بسوء صنيعهم السابق، وحسبوا أنه سيدخل مكة دخول الجبابرة والطغاة مزهواً منتقماً فاجأهم بأن جاء متواضعاً متخشعاً لربه، غير مَزْهوٍّ بنصره، ولا شامت بأعدائه.

وعندما رأى قريشاً وهم يتوقعون الإجهاز عليهم، ورأى جموع الصحابة وهم ينتظرون أدنى إشارة منه، قال النبي عليه الصلاة والسلام مخاطباً قريشاً: «**ما تظنون أني فاعلٌ بكم**»؟.

قالوا: أخ كريم وابن أخٍ كريم.

قال: «**فاذهبوا فأنتم الطلقاء**»[(١)].

ولقد كان لتحلِّي المسلمين بأدب الحرب من الرحمة والسماحة أثراً بالغاً في نفوس كثيرٍ من أعدائهم؛ حيث أعجبوا بدين الإسلام، ونبيِّه، ورحمةِ أهله، وحسنِ معاملتهم.

بل لقد وجدوا عدلاً ورحمةً لم يجدوها عند بني ملتهم، مما حدا بكثيرٍ منهم إلى الدخول في الإسلامِ، والحوادثُ في هذا السياق لا تكاد تحصى.

خامساً: أمثلة على أخلاق المسلمين في الجهاد:

من الأمثلة على أخلاق المسلمين في الجهاد: أن كثيراً من زعماء الصليبيين، وكثيراً من عامتهم الذين قطعوا الأرض لقطع رقاب المسلمين ارتَموا في أحضان الدعوة الإسلامية التي غامروا كل مغامراتهم للقضاء عليها منذ أول تعارف؛ ذلك هو أعجبُ آثارِ التسامح[(٢)]!

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب السير، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، ٩/ ١٩٩، حديث رقم (١٨٢٧٦).

(٢) وما مضى من أحكام الحرب وآدابها إنما هو نزر يسير مجمل، أما تفاصيل ذلك، واستثناءاته وأحكامه فهي مبثوثة في التفاسير، وكتب الفقه، وشروح الحديث، والكتب التي أفردت في الحرب، والجهاد وما إلى ذلك. =

فقد أسلم في الحرب الصليبية الأولى ممن أسلم (رينود) أمير طوائف الجرمان واللمبارديين، وأسلم معه خلقٌ كثيرٌ منهم.

وأسلم في الحرب الصليبية الثانية خلقٌ كثيرٌ، كما يروي السير توماس عن راهبٍ من رهبان سنت دنيس كان قسيساً في المعبد الخصوصي للملك لويس السابع، ورافقه في هذه الغزوة طائفة كبيرة، وإليك ما يقوله الراهب في عبارةٍ شائقة:

«وفي طريق الصليبيين إلى المقدس، عبر جبال الأناضول التقوا بجيش المسلمين، فهُزِم الصليبيون شرَّ هزيمة.

وكان في الممرِّ الجبلي (فريجيا) وذلك سنة ١١٤٨م، ولم يصلوا إلى مرسى (أضاليا) إلا بشقِّ الأنفس، ومنها استطاع القادرون بعد تلبية طلبات التجار اليونانيين الباهظة أن يرحلوا إلى أنطاكية بحراً، وقد دفعوا مبالغ طائلة، وتركوا خلفهم الجرحى، والمرضى، والحجاج، فدفع كذلك لويس خمسمائة مارك لليونانيين على أن يُعْنَوْا بهؤلاء الضعفاء حتى يُشْفَوا، وعلى أن يرافقهم حرسُ اليونان حتى يلحقوا بمن سبقهم، فما كان من اليونان الغادرين إلا أن تربصوا حتى تباعد جيش الصليبيين، واتصلوا بالمسلمين الأتراك، وأخبروهم بما عليه الحجاج والجرحى، ممن تخلفوا من الوهن والعجز، ثم قعدوا ينظرون إلى إخوانهم في الدين ينال منهم البؤس، والمرض، وسهام المسلمين.

ولما ضاق الصليبيون المتخلفون ذَرْعاً بما أصابهم خرج ثلاثةُ آلاف أو أربعة من قلعتهم محاولين النجاة بأنفسهم، فحصرهم المسلمون، وشدُّوا عليهم، ثم حملوا على المعسكرات الصليبية، وكان حال من خرج ومن بقي في المعسكر ليس فيه أقلُّ رجاءٍ، ولم يُنْقَذُوا إلا بما نزل في قلوب المسلمين من الرحمة، حين اطَّلعوا على ما فيه عدُّوهم من بأساء، وما أصابهم من ضراء رقَّت قلوبهم، وذابت نفوسهم؛ رحمة لأعدائهم الصليبيين المساكين، فواسَوا المريضَ، وأحسنُوا

= انظر: السرخسي، «المبسوط»، د. ط، ١٠/٥، وابن الهمام، «فتح القدير»، د. ط، ٤/ ٩٠، وابن قدامة، «المغني»، د. ط، ٩/٣٢٦، والنووي، «روضة الطالبين وعمدة المفتين»، ط٣، ١٠/ ١٥٠.

للفقيرِ، وأطعموا المسكينَ بسخاءٍ وكرم، وبلغ من إحسانهم أن بعضهم استردَّ بالشِّراء أو الحيلة أو القهر النقودَ الفرنساوية التي أخذها اليونان من الحجاج، وردَّها عليهم، ووزعها على المحتاجين من الصليبيين.

وقد كان الفرق واضحاً بين معاملة هؤلاء الكفار يقصد المسلمين للحجاجِ المسيحيينَ، ومعاملة اليونان الذين سخَّروا إخوانهم في الدين، ونهبُوا أموالَهم وضربوهم.

كان الفرق عظيماً لدرجةٍ حملت الصليبيين على اعتناق دين الأعداء المنقذين، ومن غير أن يُكرَهوا أو يُقْهرُوا.

لقد فرُّوا من إخوانهم في الدين الذين أساؤوا إليهم، فلَحِق ثلاثةُ آلافٍ بالجيشِ الإسلاميِّ بعد أن رجع عنهم ودخلوا في دينه.

لقد كانت الرحمةُ أشدَّ قسوةً من الخيانةِ!

لقد أعطاهم المسلمون الخبزَ وسلبوهم الإيمانَ، واحسرتاهُ!

لقد ارتدُّوا عن المسيحية من غيرِ أن يُجْبَرَ واحدٌ منهم على ترك دينه.

ذلك ما يقوله الراهب!»[(١)].

ولقد بلغ تأثير الإعجاب بشجاعة صلاح الدين وفضائله في الصليبيين، أن كثيراً من أمرائهم وعامَّتهم المُعجَبين به ذهب بهم هذا الإعجابُ إلى ترك دينهم، وأهلهم والدخول في الإسلام.

مثلُ ذلك ما فعل الزعيم الإنجليزيُّ (روبرت سنت أليان) وكان ذلك قبل انتصار صلاح الدين في معركة حِطّين الفاصلة التي وقع فيها ملكُ القدسِ (جاي) أسيراً.

ويقول بعضُ مؤرخي النصارى: إن ستةً من أمراء هذا الملك استولى عليهم الشيطانُ ليلةَ المعركة، فأسلموا، وانضموا إلى صفوف الأعداء دون أن يُقهروا من أحدٍ على ذلك.

وقد وصل الأمرُ (بريمون الثالث) أمير طرابلس الشام أن اتفق مع صلاح الدين على أن يدعو قومه إلى الإسلام.

(١) انظر: عزام، «الرسالة الخالدة»، د. ط، ص٣١٣ ـ ٣١٥.

وحتى بعد صلاح الدين، لما قام الصليبيون بحربهم الثالثة انتقاماً لسقوط بيت المقدس، وحاصروا عكا، وأصابتهم البأساءُ، وعضَّهم الجوع فرّ كثير إلى صفوف المسلمين؛ فمنهم من آمن، ومنهم من رجع إلى قومه، ومنهم من استمر على نصرانيته، واختار البقاءَ وأن يقاتل في صفوف المسلمين.

وفي هذا المعنى يقول السير (جون ماندفيل) أحدُ المعاصرين للصليبيين: «كان بعضُ المسيحيين يرتدُّون عن دينهم، ويصيرون عرباً؛ لفقرهم، أو غباوتهم، أو شقاوتهم».

ولا يُنتظر بالطبع من صليبيٍّ كالسير جون أن يفسِّرَ ما يسميه المسلمون بالهداية إلا بالغباوة والشقاوة.

والذي يعنينا من الأمر أن الفقراء والأغبياء والضالين الذين ذكرهم السير ماندفيل دخلوا في الإسلام الذي جاؤوا لمحوه مختارين، واجْتُذِبُوا إليه بالدعوة والإرشاد لا القهر والاضطهاد؛ بل إنَّ بعض المؤرخين المسيحيين المعاصرين للفتح الإسلامي واسترداد بيت المقدس، وبعد ذلك بكثير بعد انهيار دُوَل الفرنجة في الشام كلِّها يُشيرون إلى فرحِ النصارى بالتحرّر من حكم الصليبيين.

ويقول السير توماس في هذا المعنى: «لقد سكنوا إلى الحكم الإسلامي وادعين مستبشرين، كما استمر الحكامُ المسلمون على عادتهم القديمة من التسامح، وسعة الصدر لأهل الملل الأخرى».

ويقول الأستاذ عبد الرحمٰن عزام: «وإذا كان ما ذكرنا هو بعض الشواهد على انتشار الدعوة المحمدية بالحجة بين أشدِّ خصومها المحاربين، وفي أحلكِ أيام الدولة الإسلامية أيام غاراتِ الصليبيين والتتر فإن لنا شاهداً آخرَ من بطريقِ خراسانَ في أعزِّ أيام الدولة الأموية العربية، نختتمُ به هذا الفصل، يقول البطرقُ (يوساب الثالث) اليعقوبيُّ في خطاب طويل بعث به لحَبْرٍ زميلٍ: أين أبناؤك أيها الأب! أين هذا الشعب العظيمُ شعبُ مَرْو! لم تصبهم جائحة، ولا سقطوا للسيف، ولا عُذِّبوا بنار، وإنما أصابهم متاع الدنيا، فارتدّوا عن دينهم، وقذفوا بأنفسهم كما يَقْذِفُ المجانينُ في مهاوي الهلاك والكفر، فلم ينجُ من هذا السعير إلا قسِّيسان اثنان فرَّا بنفسيْهما من جحيم الكفر؛ أي: الإسلام واحسرتاه على

الآلاف المؤلَّفة الذين حملوا اسمَ المسيحية وصفتَها، ولم يقعْ منهم شهيدٌ واحد، ولا ضحى واحد منهم لدينه!!

أين كذلك بِيَعُ كِرْمانَ، وكنائسُ فارس!

لم يكن قدومُ شيطانٍ، ولا ملَك، ولا أميرٍ، ولا أمرُ خليفة أو سلطان هو الذي قضى عليها.

لم يكن ساحراً موهوباً أُوتِيَ المنطقَ، وسلطةَ الشيطان على النفوس، ولكنه ساحرٌ هز رأسَه فقط، فخرّت كنائسُ فارسَ كلها على الأرض!

أما العرب الذين آتاهم الله ملك الدنيا كما تعلم فلم يطعنوا في ديننا، ولا اعتدوا على بِيَعنا، بل بالعكس ضالعوا مع ديننا، وفضّلوه على غيره، وأكرموا رهباننا وقساوستنا، واحترموا أولياءنا، وأحسنوا الهباتِ إلى معابدنا، فلماذا إذاً هجر أهلُ مَرْو نصرانيتَهم زُلْفى لهؤلاء العرب؟ وهم يعلمون ويقولون: إن العربَ ما طلبوا منهم تغييرَ دينهم، بل أقرُّوهم عليه كاملاً، ولم يسألوهم إلا ضريبةً بسيطةً يؤدُّونها عن أنفسهم، ولكنهم اشترَوا خلودَ أرواحهم في دين المسيح بمتاعٍ قليلٍ»[(١)].

٣ ـ موقف الإسلام من الأقليات:

تمثل الأقليات وما يطلق عليها شرعاً: أهل الذمة، جزء من نسيج بعض الدول الإسلامية، ولم يكن ذلك الأمر أمراً حادثاً فمن عهد النبي ﷺ إلى الآن ما زالت الكثير من الدول بها بعض المواطنين من النصارى أو اليهود أو من غيرهم ممن يأخذون ذات أحكامهم، والدعاة في طرح ما يتعلق بالأقليات وطريقة التعامل معهم في الإسلام يجب أن يوضحوا أمراً هامّاً ألا وهو أن التعامل قائمٌ على حقوق محددة وراسخة يتمتع فيها أهل الذمة من الأقليات بكامل ما للمواطن المسلم من حقوق، كما أن التاريخ أثبت ذلك على مر العصور وأن محاولات تشويه ذلك باءت بالفشل، **وفيما يلي توضيح للأقليات وحقوقهم بشيءٍ من التفصيل**.

---

(١) انظر: عزام، «الرسالة الخالدة»، د. ط ص٣١٣ ـ ٣٢٠.

أولاً: مفهوم الأقليات:

الشريعة الإسلامية كغيرها من الشرائع لا تعرف مصطلح (أقليات)، نظراً لحداثة المصطلح، إلا أنها رائدة في مجال إعطاء وحماية الحقوق لكل ذي حق. ومن ذلك الأقليات غير الإسلامية في الدولة الإسلامية.

فهو مصطلح تم إيجاده في العصر الحديث بسبب التخوف على حقوق فئة قليلة العدد تعيش وسط أغلبية تختلف مع هذه الأقلية بالدين أو المذهب أو العرق أو نحو ذلك مما يؤبه له في التمييز بين الشعوب. وما ذلك إلا لخشية أن تطغى الأكثرية على القلة الضعيفة فتهدد دين هذه الأقلية أو وجودها أو ثقافتها أو نحو ذلك[(١)].

والمصطلح الفقهي الذي يمكن أن يعبر به عن الأقليات هو: (أهل الذمة).

والذمة في اللغة: الأمان والعهد، فأهل الذمة أهل العهد، والذمي: هو المعاهد، نسبة إلى الذمة؛ أي: العهد من الإمام ـ أو ممن ينوب عنه ـ بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام[(٢)]. وأهل الذمة قد يكونون من أهل الكتاب، وقد يكونون من غيرهم؛ كالمجوس.

ولقد جاء الإسلام لاستيعاب البشرية بكافة أطيافها العرقية والدينية، وهذه المهمة لا يستطيع عليها غيره؛ لذلك استوعب أديان البشرية بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. واستوعب أجناسها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، وترجم هذا الرسول ﷺ بقوله: «**يا أيها الناس!**

---

(١) أبو زيد، «حقوق الأقليات في الإسلام»، موقع الدكتور محمد أبو زيد:
http://m-abuzaid.com.

(٢) الرومي، «فصول البدائع في أصول الشرائع»، ط١، ٧/ ١١١، وابن عابدين، «رد المحتار على الدر المختار»، ط٢، ٣/ ٢٧٥. والأزهري، «جواهر الإكليل»، ١/ ١٠٥، والبهوتي، «كشاف القناع عن متن الإقناع»، د. ط، ٣/ ١١٦، والخرشي، «شرح مختصر خليل»، د. ط، ٣/ ١٤٣، والحطاب الرعيني، «مواهب الجليل في شرح مختصر خليل»، ط٣، ٣/ ٢٨١، والشربيني، «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»، ط١، ٤/ ٢٤٢، وابن القيِّم، «أحكام أهل الذمة»، ط١، ٢/ ٤٧٥.

إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي، ولا عجمي على عربي ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، **ألا هل بلغت؟**» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**فليبلغ الشاهد الغائب**»[(١)].

وقد عاشت الأقليات عند المسلمين ولا تزال منذ قيام دولة الإسلام، وعاشت عند غيرهم. والمنصف الذي يعدل كيف كان حالهم في دار الإسلام؟ وكيف هو في غيرها؟

وفي ظلِّ التشريع الإسلامي حظيت الأقلِّيَّة غير المسلمة في المجتمع المسلم بما لم تحظَ به أقلِّيَّة أخرى في أي قانونٍ وفي أي بلدٍ آخر من حقوقٍ وامتيازات؛ وذلك أن العَلاقة بين المجتمع المسلم والأقلِّيَّة غير المسلمة حكمتها القاعدة الربَّانيَّة التي في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

فقد حدَّدت هذه الآية الأساس الأخلاقي والقانوني الذي يجب أن يُعامِل به المسلمون غيرهم، وهو البرُّ والقسط لكل مَن لم يناصبهم العداء، وهي أُسُس لم تعرفها البشريَّة قبل الإسلام، وقد عاشت قروناً بعده وهي تقاسي الويل من فقدانها، ولا تزال إلى اليوم تتطلَّع إلى تحقيقها في المجتمعات الحديثة فلا تكاد تصل إليها؛ بسبب الهوى والعصبيَّة والعنصريَّة.

وينعقد عقد الذمة بإيجابٍ وقبولٍ باللفظ، أو ما يقوم مقامه، ولا تشترط كتابته كما هو الشأن في سائر العقود[(٢)].

ويشترط في العقد على الذمي التزام أحكام الإسلام في غير العبادات؛

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، ٣٧/ ٤٧٤، حديث رقم (٢٣٤٨٩). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) الشربيني، «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»، ط١، ٤/ ٢٤٣، وابن قدامة، «المغني»، د. ط، ٨/ ٥٣٤، والطبري، «تاريخ الطبري»، ط٢، ٥/ ٢٢٨، وأبي عبيد، «الأموال»، د. ط، ص٨٧، والشيرازي، «المهذب في فقه الإمام الشافعي»، د. ط، ٢/ ٢٥٤، والماوردي، «الأحكام السلطانية»، د. ط، ص١٤٥، والرومي، «فصول البدائع في أصول الشرائع»، ط١، ٧/ ١١٠.

كحقوق الآدميين في المعاملات وغرامة المتلفات[١].

ثانياً: حقوق أهل الذمة (الأقليات):

القاعدة المعتمدة عند الفقهاء بما يخص أهل الذمة هي: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)، وقد تختلف عبارات المذاهب في التعبير عن هذه القاعدة، إلا أن مفهومها واحد عند المذاهب الأربعة[٢].

ويؤيدها بعض الآثار عن السلف، فقد روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: إنما قبلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا.

وقاعدة: (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) كلمة عظيمة تتسع لحقوق يصعب حصرها، ومن أهمها حماية الدولة لهم ولأملاكهم وأعراضهم؛ حيث يُعدّ أهل الذمة من أهل دار الإسلام؛ لأن المسلمين حين أعطوهم الذمة فقد التزموا دفع الظلم عنهم والمحافظة عليهم، وصاروا أهل دار الإسلام، كما صرح الفقهاء بذلك[٣].

وعلى ذلك؛ فلأهل الذمة حق الإقامة آمنين مطمئنين على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وعلى الإمام حمايتهم من كل من أراد بهم سوءاً من المسلمين أو أهل الحرب أو أهل الذمة؛ لأن التزامهم بالعهد حفظهم من الاعتداء عليهم، فيجب عليه الذب عنهم، ومنع من يقصدهم بالأذى من المسلمين أو الكفار، واستنقاذ من أسر منهم، واسترجاع ما أخذ من أموالهم، سواء كانوا مع المسلمين أم منفردين عنهم في بلدٍ لهم؛ لأنهم بذلوا الجزية لحفظهم وحفظ أموالهم[٤].

---

(١) الرومي، «فصول البدائع في أصول الشرائع»، ط١، ٧/ ١١١، والشربيني، «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»، ط١، ٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣، وابن قدامة، «المغني»، د. ط، ٨/ ٥٠٥، والبهوتي، «كشاف القناع عن متن الإقناع»، د. ط، ٣/ ١١٧ ـ ١٢١.

(٢) الكاساني، «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، ط٢، ٦/ ١١١، وابن جزي، «القوانين الفقهية»، د. ط، ص١٠٥، والشيرازي، «المهذب في فقة الإمام الشافعي»، د. ط، ٢/ ٢٥٦، ص٢٤٧، «الأحكام السلطانية»، «المغني»، ٨/ ٤٤٥ ـ ٥٣٥.

(٣) «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، ٥/ ٢٨١، والسرخسي، «شرح السير الكبير»، د. ط، ١/ ١٤٠، «المغني»، ٥/ ٥٦٦.

(٤) «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، ط٢، ٧/ ١١١، والدردير، «الشرح الصغير»، د. ط، =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن: من أَمِنَهُ الناسُ على دمائهم وأموالهم**»[(١)].

فكلمة: **(أمنه الناس)**: شاملة للمسلم، وللمعاهد، من أهل الذمة، ومن غيرهم.

ومن مقتضيات عقد الذمة: العدل معهم، وتجنب ظلمهم، فلا يُظلمون ولا يُؤذَون، قال النبي ﷺ: «**ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقّه، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ منه، فأنا حجيجه يوم القيامة**»[(٢)].

وقد حذَّر ﷺ مِن ظُلمهم أو انتقاص حقوقهم، وجعل نفسه الشريفة خصماً للمعتدي عليهم، فقال ﷺ: «**مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَداً، أَوِ انْتَقَصَهُ حَقّاً، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٣)].

وللذمي حق المواطنة، وهذا مفهوم ومستنبط من خلال وثيقة المدينة (الدستور الذي خطه الرسول ﷺ بعد قدومه المدينة)، والتي كانت بمثابة دستور لدولة الرسول ﷺ في المدينة، وطبقاً لها نشأت علاقة انتماء جديدة، بين المسلمين والمشركين واليهود، توزع الحقوق والواجبات واللوائح على الجميع[(٤)].

ولقد كفل التشريع الإسلامي للأقليات غير المسلمة حقوقاً وامتيازات عِدَّة،

= ٢/ ٢٧٣ و٤/ ٣٣٥، والشيرازي، «المهذب في فقة الإمام الشافعي»، د. ط، ٢/ ٢٥٦، والبهوتي، «كشاف القناع عن متن الإقناع»، د. ط، ٣/ ١٣٩، وابن قدامة، «المغني»، د. ط، ٨/ ٥٣٥.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، «مسند أبي هريرة رضي الله عنه»، ١٤/ ٤٩٩، حديث رقم (٨٩٣١)، والترمذي في «سننه»، أبواب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ٤/ ٣١٣، حديث رقم (٢٦٢٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في «سننه»، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة المؤمن، ٨/ ١٠٤، حديث رقم (٤٩٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ٣/ ١٧٠، حديث رقم (٣٠٥٢)، صححه الألباني.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ١/ ٥٠٣. وابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ٢/ ٣٢٢.

لعلَّ من أهمِّها: كفالة حرية الاعتقاد، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقد تجسَّد ذلك في رسالة الرسول ﷺ إلى أهل الكتاب من أهل اليمن التي دعاهم فيها إلى الإسلام؛ حيث قال ﷺ: «... **وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لا يُفْتَنُ عَنْهَا**»(١).

فالأصل في أهل الذمة تركهم وما يدينون، فيقرون على الكفر وعقائدهم وأعمالهم التي يعتبرونها من أمور دينهم؛ كضرب الناقوس خفيفاً في داخل معابدهم، وقراءة التوراة والإنجيل فيما بينهم، ولا يمنعون من ارتكاب المعاصي التي يعتقدون بجوازها؛ كشرب الخمر، واتخاذ الخنازير وبيعها، أو الأكل والشرب في نهار رمضان، وغير ذلك فيما بينهم، أو إذا انفردوا بقرية. ويشترط في جميع هذا ألّا يُظهروها ولا يُجهروا بها بين المسلمين، وإلا مُنعوا وعُزروا، وهذا باتفاق المذاهب، فقد جاء في شروط أهل الذمة لعبد الرحمٰن بن غنم: «ألّا نضرب ناقوساً إلا ضرباً خفيّاً في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليباً، ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا، ولا نظهر صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين...» إلخ(٢)(٣).

وقد تكفَّل الشرع الإسلامي بحقِّ حماية أموال غير المسلمين؛ حيث حرَّم أخذها أو الاستيلاء عليها بغير وجه حقٍّ، وذلك كأنْ تُسْرَق أو تُغْصَب أو تُتْلَف،

---

(١) ابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٢/ ٥٨٩.

(٢) العيني، «البناية شرح الهداية»، ط١، ٤/ ٨٣٧، وابن عابدين، «رد المحتار على الدر المختار»، ط٢، ٣/ ٢٧٢، والدسوقي، «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير»، د. ط، ٢/ ٢٠٤، والشربيني، «مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج»، ط١، ٤/ ٢٥٧، والبهوتي، «كشاف القناع عن متن الإقناع»، د. ط، ٣/ ١٣٣.

(٣) أبو عبيد، «الأموال»، د. ط، ص٢٨، وابن زنجويه، «الأموال»، ط١، ١/ ١٠٩، وابن هشام، «السيرة النبوية»، ط٢، ٢/ ٥٨٨، وابن كثير، «السيرة النبوية»، د. ط، ٥/ ١٤٦، وقال ابن حجر العسقلاني: ورواه ابن زنجويه في «الأموال» عن النَّضر بن شميلٍ، عن عوفٍ، عن الحسن قال: كتب رسول الله.. فذكره، وهذان مرسلان يقوّي أحدهما الآخر. انظر: ابن حجر العسقلاني، «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير»، ط١، ٤/ ٣١٥.

أو غير ذلك ممَّا يقع تحت باب الظلم، وقد جاء ذلك تطبيقاً عمليّاً في عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران، حيث جاء فيه: **«وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتِهِمْ جِوَارُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَكُلِّ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ...»**(١).

ومن ذلك حقُّ الأقلية غير المسلمة في أن تَكْفُلَهَا الدولةُ الإسلاميَّة من خزانة الدولة ـ بيت المال ـ عند حال العجز أو الشيخوخة أو الفقر؛ وذلك انطلاقاً من قول الرسول ﷺ: **«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّ رَاعٍ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»**(٢). على اعتبار أنهم من رعاياها كالمسلمين تماماً، وهي مسؤولة عنهم جميعاً أمام الله ﷻ، وفي ذلك روى أبو عبيد(٣) في (الأموال) عن سعيد بن المسيب(٤) أنه قال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْيَهُودِ فَهِيَ تُجْرَى(٥) عَلَيْهِمْ)(٦).

ومما يُعَبِّرُ عن عظمة الإسلام وإنسانية الحضارة الإسلامية في ذلك الصدد، ذلك الموقف الذي تناقلته كتب السُّنَّة النبويَّة؛ حين مَرَّتْ على الرسول ﷺ جنازة فقام لها، فقيل له: إنه يهودي. فقال ﷺ: **«أَلَيْسَتْ نَفْساً»**(٧).

---

(١) البيهقي، «دلائل النبوة»، ط١، ٥/ ٤٨٥، وأبو يوسف، «الخراج»، د. ط، ص٧٢، وابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ط١، ١/ ٢٨٨.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ٢/ ٥، حديث رقم (٨٩٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ٣/ ١٤٥٩، حديث رقم (١٨٢٩).

(٣) أبو عبيد: هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (١٥٧ ـ ٢٢٤هـ/ ٧٧٤ ـ ٨٣٨م) من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، وكان مُؤَدِّباً، ولد بهراة، وتعلم بها، ورحل إلى بغداد ومصر، وتوفي بمكة. انظر: الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، ط٣، ١٠/ ٤٩٠ ـ ٤٩٢.

(٤) سعيد بن المسيِّب: هو: أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن القرشي (١٣ ـ ٩٤هـ/ ٦٣٤ ـ ٧١٣م) سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. انظر: ابن سعد، «الطبقات الكبرى»، ط١، ٥/ ١١٩ ـ ١٤٣.

(٥) تجرى عليهم: أي: ترسل إليهم.

(٦) أبو عبيد، «الأموال»، د. ط، ص٦١٣، وقال الألباني: سنده صحيح إلى سعيد بن المسيب. انظر: الألباني، «تمام المنة في التعليق على فقه السُّنَّة»، ط٥، ص٣٨٩.

(٧) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة، ٢/ ٦٦١، حديث رقم (٩٦١).

وهكذا كانت حقوق الأقليات غير المسلمة في الإسلام وفي الحضارة الإسلامية؛ فالقاعدة هي: احترام كل نفس إنسانيَّة طالما لم تَظلم أو تُعَادِ.

وبناءً على ما سبق يتضح سماحة الإسلام ومدى اهتمامه بغير المسلمين ومدى حفاظه على حقوقهم المختلفة وعلى الداعية أن يعي من ذلك أن الإسلام يهدف في حدِّ ذاته إلى أن يكون تطبيقه دعوة إلى الدخول في الإسلام فالمنهج يحمل في جنباته الدعوة إلى المنهج.

٤ ـ موقف الإسلام من الإكراه

الإيمان أمرٌ قلبي لا يمكن لأحدٍ أن يتحكم فيه، وهو أمرٌ إنساني خارج عن إرادة البشر، لذلك جعل الله الإكراه على الإيمان؛ كالإكراه على الكفر يقع باطلاً ولا يجوز، وبناءً على ذلك يجب أن يوضح الداعية للمدعوِّين أن الإكراه عمل ممقوت في الإسلام وأن صور الإكراه لا تقبل شرعاً.

كما على الداعية أن يوضح للمدعوين أن الإنسان في الإسلام له حق الاختيار ولا يمكن حمله على أي فعلٍ سواء كان الفعل مقبولاً شرعاً أو غير مقبول، حتى أن الحاكم ليس له أن يجبر أحداً على الإيمان أو الكفر، **وفيما يلي توضيح لجانبٍ من المعلومات التعريفية بالإكراه:**

أولاً: مفهوم الإكراه:

١ ـ الإكراه لغةً:

يُقَالُ: قَامَ عَلَى كُرْهٍ؛ أَيْ: عَلَى مَشَقَّةٍ. وَأَقَامَهُ فُلَانٌ عَلَى كَرْهٍ؛ أَيْ: أَكْرَهَهُ عَلَى الْقِيَامِ. وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: هُمَا لُغَتَانِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَ(أَكْرَهَهُ) عَلَى كَذَا: حَمَلَهُ عَلَيْهِ كُرْهاً. وَ(كَرَّهْتُ) إِلَيْهِ الشَّيْءَ (تَكْرِيهاً) ضِدُّ: حَبَّبْتُهُ إِلَيْهِ. وَاسْتَكْرَهْتُ الشَّيْءَ[(١)]..

وَأَكْرَهْتُهُ عَلَى الْأَمْرِ إِكْرَاهاً: حَمَلْتُهُ عَلَيْهِ قَهْراً يُقَالُ: فَعَلْتُهُ كَرْهاً بِالْفَتْحِ؛

---

(١) الرازي، «مختار الصحاح»، ط٥، ١/٢٦٩.

أَيْ: إكْرَاهاً وَعَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة: ٥٣] فَقَابَلَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، قَالَ الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْكُرْهِ بِالضَّمِّ فَالْفَتْحُ فِيهِ جَائِزٌ إلَّا قَوْلَهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] وَالْكَرِيهَةُ: الشِّدَّةُ فِي الْحَرْبِ(١).

٢ ـ الإكراه اصطلاحاً:

هو الإلزام والإجبار على ما يكره الإنسان، طبعاً أو شرعاً، فيقدم على عدم الرضا، ليرفع ما هو أضر(٢).

والإكراه: «الإلزام على سبيل القهر والغلبة بالقيام بعملٍ من الأعمال تحت تأثير قوة ملجئة، أو تهديد بانتقام أشد ضرراً أو شرّاً من الضرر أو الشر اللذين يُفضي إليهما العمل المُكَره عليه، أو مساويين لهما، والملزم بالقيام بالفعل كَارهٌ له، مقهور عليه مغلوب على أمره فيه.

وقد اقتضت الواقعية في أسس الإسلام مراعاة مثل هذا الأمر الذي يتعرض له الإنسان في حياته، مما هو خارج عن نطاق إرادته الحرة؛ إذ تكون إرادته فيه مغلوبة مستكرهة، ولذلك نلاحظ أن الأحكام الإسلامية قررت مع هذا النوع من الإكراه رفع مسؤولية الإنسان عن العمل المستكره عليه»(٣).

والقاعدة الشرعية التي بيَّنها القرآن الكريم في الإكراه واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ونفي الإكراه خبر في معنى النهي، والمراد: نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام؛ أي: لا تكرهوا أحداً على اتباع الإسلام قسراً، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصّاً، وهي دليلٌ واضحٌ على إبطال الإكراه على الدين بسائر

(١) الفيومي، «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير»، د. ط، ١/ ٥٣٢.
(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص٣٣.
(٣) الدمشقي، «الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم»، ط١، ١/ ٢٠٩، (المستكملة لعناصر خطة الكتاب).

أنواعه؛ لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر، وبالاختيار[(١)].

ويشترط في الإكراه ليكون مُعتَبراً ومُؤثراً فيما يقدم عليه المكلف من أقوالٍ أو أفعالٍ أو تروك، فيكون المكرِه قادراً على إيقاع ما هدد به، وإلا كان هذياناً وضرباً من اللغو الذي لا يلتفت إليه، ولعل هذا ما جعل أبا حنيفة يشترط في تحقيق الإكراه أن يكون من السلطان؛ لأن غيره لا يتمكن من تحقيق ما هدد به، والواقع أن الإكراه يقع من السلطان وغيره؛ لأن إلحاق الضرر بالغير يمكن أن يحصل من كل متسلط، إما بولاية أو تغلب أو فرط هجوم، وهو رأي الجمهور[(٢)].

ويقع الإكراه بما يسبب الهلاك، أو يحدث ضرراً كبيراً يشق على المستكره تحمله؛ كأن يهدد بقتل أو قطع عضو أو ضرب شديد أو حبس وقيد مديدين، وهو الإكراه الملجئ، كما أن الإكراه يكون عاجلاً غير آجل بأن يهدد بتنفيذه في الحال، فإن كان بشيء غير فوري ولا حالٍّ فلا يعتبر إكراهاً؛ لأن التأجيل مظنة التخلص مما هدد به، بالاستغاثة أو الاحتماء بالسلطات العامة إذا لم تكن هي مصدر الإكراه، فإن كان الزمن قصيراً لا يتمكن فيه من إيجاد مخرج يكون حينئذ إكراهاً. يقول ابن حجر: «فلو قال: إن لم تفعل كذا ضربتك غداً لا يعد مكرهاً، ويستثنى ما إذا ذكر زمناً قريباً جدّاً أو جرت العادة بأنه لا يخلف»[(٣)].

والإكراه على الكفر لا يخرج من الملة، وكذلك الإكراه على الإيمان لا يدخل الملة، فالتلفظ بكلمة الكفر، أو حكاية ألفاظ تدلُّ عليه مع انشراح القلب بالإيمان، فإنه مرخصٌ فيه بصريح الآية في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

والإسلام دين حجة وبرهان، وإحقاق للحق، دين اقتناع عقلي وتذوق

(١) ابن عاشور، «التحرير والتنوير»، د. ط، ٣/٢٦.
(٢) الكاساني، «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، ط٢، ٧/١٧٦، مالك، «المدونة الكبرى»، ط١، ٣/٢٠٩، والقرطبي، «الجامع لأحكام القرآن»، ط٢، ١٠/١٥١.
(٣) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ١٢/٤٣٨.

وجداني لم يكن ليلزم أحداً على الدخول فيه إلزاماً، ولم يرغم أحداً على قبوله؛ قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦][(١)].

ومن الأمثلة الهامة على عدم الإكراه مواجهة الإسلام لظاهرة القعود عن القتال، فقد عاب الله ﷻ على المؤمنين قعودهم عن الجهاد في سبيل الله حبّاً للراحة، وخلوداً إلى الأرض فحدثهم بالقرآن ووجههم به وهو رحمة من عنده؛ فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨].

كما واجه الإسلام ظاهرة النفاق والمنافقين بالتي هي أحسن فلم يُصِدر حكماً بإعمال السلاح في رقاب المنافقين، للقضاء على دابرهم، ولم يحل بينهم وبين حقوقهم في الحياة، ولم يصادر حرياتهم لا في قولٍ ولا في فعل، ولكنه وقف منهم موقفاً سلميّاً فاقتصر دوره على فضح مؤامراتهم، وكشف أسرارهم، وتحذير المسلمين من الانخداع بهم، وتهديدهم بسوء المصير، ونهى الله صاحب الدعوة عن الركون إليهم والصلاة عليهم إذا ماتوا، ثم الاستغفار لهم أحياءً وأمواتاً.

ومما سبق يتضح أن الإكراه أمرٌ غير جائزٍ في الإسلام وكل صور الإكراه غير مقبولة، وأن قضية الإكراه سواء كانت في صورة الإكراه على الكفر أو الإيمان، أو كانت متعلقة بأمرٍ من أمور الدين أو الدنيا فإنها مرفوضة ويعتبرها الشرع عملاً قسريّاً سالباً للإرادة، والإرادة في الإسلام هي النية والقصد والعزم وكل عمل بلا نية هو عمل باطل، لذلك على الدعاة أن يوضحوا أن الإيمان بالإسلام يجب أن يكون اختياريّاً، وأن هناك بعض الجماعات أو التنظيمات تحاول حمل الناس على الإيمان عُنوةً وعملها كله باطل ولا يمت للإسلام بصلة؛ لأنها تخالف المبدأ الحاكم في تلك القضية وهو عدم وجود إكراه في الدين، وأن هذا المبدأ يهدم الدعاوى القائلة: إن الإسلام انتشر بالسيف وبالقوة فلا الإيمان

(١) العمري، فالجهاد في الإسلام إنما شرع لرد العدوان ودفع الشر وللدفاع عن النفس، وهو مبدأ لا يمكن أن يجادل فيه عاقلٌ منصفٌ نزيهٌ مهما كان معتقده، ط٩، ١/ ٢٨٠.

بالسيف جائز ولا هو حق ولا هو شرع، ولكن شرع الله هو الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

٤ ـ حقوق الإنسان في الإسلام:

أولاً: مفهوم حقوق الإنسان وماهيته في الشريعة الإسلامية:

الحقُّ في اللغة[١]: نقيض الباطل وجمعه حُقوقٌ وحِقاقٌ، وحَقَّ الأَمرُ يَحِقُّ ويَحُقُّ حَقّاً وحُقوقاً: صار حَقّاً وثَبت؛ قال الأَزهري: معناه وجَب يَجِب وجُوباً، وأحققت الشيء أوجبته والحق الأمر المقضى والموجود والثابت.

والحقُّ في اللغة أيضاً[٢]: يُعرف بأنه الثابتُ الذي لا يسوغ إنكارُه، وهو الحكم المطابق للمعاني، ويقابله الباطل، فالحقّ إذن هو الثبوت، وهذا المعنى يعمّق الإيمان بالحقوق جميعاً؛ حقوق الفرد والمجتمع، ويقوي الثقة واليقين في أن حقوق الإنسان هي من صميم التعاليم الإسلامية، فهو «اختصاصٌ ثابتٌ في الشرع يقتضى سلطةً أو تكليفاً لله على عباده أو لشخصٍ على غيره»[٣].

والحقُّ في الشريعة الإسلامية[٣] يمثّل القاعدة الأساسية للتشريع كلِّه؛ وتأسيساً على هذه القاعدة، فإن حقوق الإنسان في المنظور الإسلامي، هي حقوق الله التي يترتَّب على الوفاء بها وأدائها على خير الوجوه؛ خلوصُ العبودية لله، والطاعةُ له سبحانه، والقيامُ بتكاليف شرعه الحنيف، وبذلك يرتقي المفهومُ الإسلاميُّ لحقوق الإنسان، إلى مقام العبادة الرفيع، باعتبار أن هذه الحقوق، هي في الشريعة الإسلامية، واجباتٌ دينيةٌ، ومن الفروض الشرعية، وهذه درجةٌ من التكليف تطوق الإنسانَ بمسؤوليةٍ كبرى، أمام ربّه ﷻ، ثم أمام نفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء، وينسجم هذا المفهومُ مع المعنى اللغوي للحق.

---

(١) ابن منظور، «لسان العرب»، ط٣، مادة: (حقق).
(٢) التويجري: «حقوق الإنسان في الإسلام»، «حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية»، الرباط، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسسكو)، ١٤٢٢هـ.
(٣) العبادي، «الملكية في الشريعة الإسلامية»، د. ط، ـ١/١٠٢.

وبهذا المعنى، فإن حقوق الإنسان في الإسلام، هي من الثوابت التي يقوم عليها المجتمعُ الإسلاميُّ، فهي ليست حقوقاً سياسيةً ودستوريةً فحسب، وليست نتاجاً فكريّاً يمثّل مرحلةً من تطوّر العقل الإنساني، وليست حقوقاً طبيعيةً كما يعبر عنها في القانون الوضعي، ولكنها في التعاليم الإسلامية، واجبات دينية يُكلَّف بها الفردُ والمجتمع، كلٌّ في نطاقه، وفي حدود المسؤولية التي ينهض بها، وبذلك فإن الفرد في المجتمع الإسلامي يتشرَّب هذه الحقوقَ، ويتكيّف معها، بحيث تصبح جزءاً من مكوّناته النفسية والعقلية والوجدانية، ويحافظ عليها؛ لأن في المحافظة عليها، أداءٌ لواجبٍ شرعي، وليس من حقه أن يفرط فيها؛ لأن التفريط فيها تقصيرٌ في أداء هذا الواجب.

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِـي ﷺ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلا آخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ[1]: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ... قَالَ: **هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟** قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً..**».

وفي حديث أَبِي كَرِيمَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[2]: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِنْ شَاءَ اقْتَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**».

فجعل قِرَى الضيف حقّاً من طريق المعروف والمروءة ولم يزل قِرَى الضيف من شيم الكرام ومنع القرى مذموم.

ثانياً: نشأة حقوق الإنسان:

إن الاهتمام بمجال حقوق الإنسان ليس وليد الآونة المعاصرة، إنما هو نتاج تراكمات تاريخية متتالية ومتعاقبة، وما خلَّفته العقائد الدينية من مبادئ تُعلي من قدر الإنسان وقيمته، وتنبذ التعسف معه أو ظلمه.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب اللباس، حديث رقم (٥٩٦٧)، مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، حديث رقم (٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٢٧٥٠).

إلّا أن الاهتمام الغربي المعاصر ـ الذي لم يسبق له مثيل من قبل ـ بهذا المجال على مستوى التنظير والممارسة ومن خلال المنظمات والمواثيق والإعلانات وغيرها، قد أخذ بُعداً عالميّاً، وكان من نتائجه المهمة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م.

ويُعزى التطور الذي شهده مجال الحقوق الإنسانية ـ على المستوى النظري بالخصوص ـ إلى التطور السياسي الذي عرفته أوروبا، ومحاولة عدد من المفكرين والفلاسفة، الوقوف في وجه الاستبداد السياسي للدولة والكنيسة، من دون إغفال الموروث اليوناني والروماني الذي شكَّل الخلفية الفكرية لهؤلاء المفكرين، وهم يضعون القواعد والقوانين الوضعية ويطورونها.

فالفكر الروماني تمركز حول مقولة مفادها: أن الدين خاضع للدولة، فجاءت المسيحية تبعاً للعلمانية بالفصل بين الدين والدولة وتأكيد كرامة الإنسان، باعتبار أن الخالق قد خصه بهذه الكرامة، ومن هنا ولدت فكرة القانون الطبيعي لتأكيد حقوق الأفراد ومقاومة الطغيان، ثم تطورت الفكرة متجردة من أساسها الديني إلى اعتبار العقل منشأ القانون، وأن للفرد ـ لكونه أسبق من المجتمع ـ حقوقاً طبيعيةً كامنةً في طبيعته ويكشفها العقل، وهي حق الحياة والحرية والملكية، وأن انتماء الفرد إلى جماعة إنما يهدف إلى تأكيد ذاته، وكفالة حقوقه، وليس إلى إهدارها أو التنازل عنها، وأن واجب الدولة حمايتها وعدم الانتقاص منها.

ثم تطورت الفكرة إلى تصور نظرية «العقد الاجتماعي» والتي بموجبها تنازل الأفراد عن جزء من حرياتهم المطلقة ـ التي كانوا يتمتعون بها في حياتهم الطبيعية ـ في سبيل إنشاء سلطة تتولى حمايتهم وتنظيمهم، ويظل الجزء الآخر من الحريات التي احتفظوا بها بمنأى عن تدخل الدولة.

وفي ضوء هذه الأفكار انبثقت المواثيق الأولى لحقوق الإنسان[١]: في بريطانيا العهد الأعظم سنة ١٢١٥م، ولائحة الحقوق سنة ١٦٨٨م، وفي الولايات

---

(١) محمد تقي مصباح اليزيدي: منشأ الحقوق:
www.balagh.com/mosoa/falsafh/0q1cvb9g.htm

المتحدة، إعلان الاستقلال سنة ١٧٧٦م، كما انبثق في فرنسا الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن سنة ١٧٨٩م، وكذلك باقي دساتير الثورة الفرنسية **والتي اتفقت جميعها حول ما يلي**:

١ ـ أن حقوق الإنسان وحرياته طبيعية لا يُقبل التنازل عنها، كما لا يجوز إجبار الإنسان على ممارستها.

٢ ـ أن حقوق الإنسان وإن لم تكن مطلقة، فإنه لا مناص من وضع قيودٍ تنظم ممارستها، شريطة ألا تصل هذه القيود إلى حد إهدار أصل الحق نفسه.

٣ ـ أن تلتزم الدولة بعدم التعرض للأفراد عند ممارستهم حقوقهم وعدم الاعتداء عليها، كما أن الأفراد ليس لهم حقوق اقتضاء أو دائنية على الدولة يلزمونها بموجبها تقديم الخدمات، فهي التزام على الدولة بالامتناع عن عمل وليست التزاماً بعمل.

٤ ـ أن الحقوق فردية وليست جماعية، فهي مرتبطة بالفرد وليس بأي تجمعات كالمدينة أو النقابة.

ومع ظهور التصنيع في أوروبا وما نتج عنه من مشكلاتٍ عُمّالية، نشأ ما يسمى بالديموقراطية الاقتصادية والاجتماعية، وبدأت تظهر آثار ذلك في حقوق الإنسان منذ دستور ١٨٤٨م في فرنسا، وغيره من الدساتير الأوروبية الأخرى التي تلته، والتي تضمنت إشارات محدودة الأثر إلى التزام الدولة بحماية المواطن وتعليمه ومساعدته.

وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين، نشأ تطورٌ آخر أكثر جدية، فقد نصَّت دساتير بعض الدول الأوروبية على ما يعتبر استلهاماً للفكر الاشتراكي بصورةٍ مخففة، إذ اعترفت بحق العمل وحق الأمن الاجتماعي وحماية تكوين النقابات وبعض حقوق الأسرة، وبذلك تأكد مبدأ تدخل الدولة الذي يتعارض مع المذهب الفردي الذي كان سائداً قبل ذلك، هذا إلى جانب قيام الاتحاد السوفيتي قياماً كاملاً على أساس الاشتراكية وتدخل الدولة.

أما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد صدرت عدة دساتير لدول أوروبا الشرقية على النمط السوفيتي، كما استقلت كثيرٌ من دول أفريقيا وأصدرت دساتير

تحتوي على إعلانات بحقوق الإنسان، وكذلك الحال في الدساتير الجديدة لدول أوروبا الغربية، هذا إلى صدور وثائق دولية هي:

١ ـ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨م.

٢ ـ المعاهدة الأوروبية لحقوق الإنسان في ١٤/ ١١/ ١٩٥٠م.

٣ ـ الاتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية في ١٦/ ١٢/ ١٩٦٦م.

٤ ـ الاتفاقية الدولية للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ١٦/ ١٢/ ١٩٦٦م.

وتعكس تلك الإعلانات والمعاهدات والاتفاقيات الدولية المتعددة بشأن حقوق الإنسان تنامي الإدراك العالمي لأهمية الحفاظ على تلك الحقوق التي تعد بمثابة حجر أساسٍ لاستقرار المجتمع، فأينما وَجدتَ مجتمعاً مستقرّاً وَجدتَ إنساناً مطمئناً على حقوقه(١).

وبتتبع المراحل المتعاقبة للعناية بحقوق الإنسان منذ الحرب العالمية الثانية يمكن استقراء سمات حقوق الإنسان في تلك الفترة، **وإيجازها على النحو التالي**:

أخذت حقوق الإنسان وحرياته تتجه من الإطلاق نحو النسبية والتقييد لصالح الدولة ليتحقق التوافق بين الحريات والحقوق المتنافرة للأفراد، ولكن هذا التقييد هو الاستثناء فلا يباح إلّا بقانونٍ ولا يقاس عليه ولا يتوسع فيه، كما أنه يدور مع علته ويقدر دائماً بقدره ولا يخرج عن مسوغاته والضرورات الدافعة إليه.

تطورت حقوق الإنسان من الفردية إلى الجماعية؛ أي: التي لا يمكن تحقيقها إلّا جماعيّاً مثل: حقوق الأسرة، والأقليات العرقية، والجماعات الإقليمية، وتعد هذه الجماعات وسائل لخدمة الإنسان الذي هو الهدف الأصلي لها، كما حدث تطور نحو الجماعية من حيث ممارسة الحقوق ومنها: حرية العبادة الجماعية، وحق تكوين النقابات، وحرية إنشاء الأحزاب السياسية.

تحولت الحقوق من السلبية إلى الإيجابية، ومنها الحقوق الاقتصادية

---

(١) لبن الأنصاري: «تعليم حقوق الإنسان ليست حقّاً فحسب بل مسؤولية»، مجلة المعرفة، عدد (١٠٧)، الرياض، روتانا للإعلام، ١٤٢٥هـ، ص٢١.

والاجتماعية، التي تفرض على الدولة التزامات إيجابية بأن تكفل هذه الحقوق، وكظهور المرافق العامة التي توفر بعض الاحتياجات للأفراد، وكتأكيد حقوق الأفراد في الاقتضاء من السلطة لجميع العناصر الأساسية التي يستلزمها تطوره؛ كالرعاية الصحية والكفالة الاجتماعية والرفاهية والتعليم والتثقيف، وترتَّب على ذلك أنه اتجه المجتمع إلى إعادة تنظيم أوضاعه الاقتصادية.

وخلاصة القول: فإن منشأ الحقوق الإنسانية عند الغرب كان نتيجة الظلم والاستبداد الطبقي مما جعل هذه الحقوق مطلباً حيويّاً لتلك الشعوب، وهذا يختلف تماماً عن النظام الإسلامي الذي يأمر بالعدل والإحسان والرحمة.

لقد أكدت الشريعة الإسلامية حقوق الإنسان وحثَّتْ على صونها وحفظها وإحاطتها بالرعاية وشمولها بالعناية من أولي الأمر.

فالإسلام؛ وهو دين الله ورسالته الخاتمة إلى البشرية، أقام المنهج المتكامل للحياة الإنسانية، على قواعد ثابتة، وجعل له أصولاً راسخةً ومبادئ خالدة ما كان لها أن تغفل حقوق الإنسان؛ بل أولت تلك الحقوق مكانةً متميزةً بين مبادئ الشريعة، فقد دلَّت الأحاديث النبوية الشريفة على أن التفريط في أي حقٍّ منها يُعد تفريطاً في جنب الله، وتعدّياً على حدوده، وخروجاً على سُنَّة الله في خلقه؛ لأن حقّ الفرد والمجتمع حقٌّ لله تعالى، حيث يترتَّب على الوفاء بها وأدائها على خير الوجوه، خلوصُ العبودية لله، والطاعةُ له سبحانه، والقيامُ بتكاليف شرعه الحنيف.

وبذلك يرتقي المفهومُ الإسلاميُّ لحقوق الإنسان، إلى مقام العبادة الرفيع لكون هذه الحقوق ـ من منظور الشريعة الإسلامية ـ واجباتٍ دينيةً، ومن الفروض الشرعية، وهذه درجةٌ من التكليف تُطوق الإنسانَ بمسؤوليةٍ كبرى، أمام ربّه ﷻ، ثم أمام نفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء.

والحديث عن تعاليم الإسلام المقررة لحقوق الإنسان من منظور حديثي فقهي، وهي تعاليم فيها الصلاح والخير، وأعظم ما فيها أنَّها سبقت جميع المذاهب التي تحدثت عن حقوق الإنسان، وأن الإسلام جعل هذه التعاليم من أولويات التقرب إلى الله ﷻ، كما يتقرب بالصلاة وغيرها من العبادات.

فهذه الحقوق هي التي تمنح الإنسان الانطلاق إلى الآفاق الواسعة؛ ليبلغ كماله، ويحصل على ارتقائه المقدر له سواء أكان ماديّاً أم أدبيّاً، ومن ثَمَّ فإن أيَّ تفويت أو تنقيص لحقٍّ من حقوق الإنسان يعتبر جريمة من الجرائم وهذا نفسه هو السبب الحقيقيُّ في منع الإسلام للحرب أيّاً كان نوعها؛ لأن الحرب بجانب كونِهَا اعتداءً على الحياة وهي حقٌّ مقدَّسٌ فهي تدميرٌ لما تصلح به الحياة.

والمسلمون يتفقون على أن الإنسان لا بد أن تُصَانَ كرامته وحقوقه في الحياة والعيش الكريم؛ مما يوجب علينا التمييز بين حقوق الإنسان والدعوة إلى الانحلال والتفسخ الأخلاقيِّ في المجتمع.

إن القوانين تُسن في كل دولة حسب حاجة المجتمعات الموجودة بِهَا؛ لما يضمن استقرارهم وأمنهم، ويعلم المسلمون جيِّداً أنه لا يوجد أيُّ قانون وضعيٍّ في العالم أجمع يَسْلَمُ من الثغرات والأخطاء، وأكبر دليل على ذلك هو التعديلات المستمرة التي تطرأ على القوانين الوضعيَّة.

فينبغي على المسلمين تفحُّص الخطاب المغلف الذي توجهه الجماعات الحقوقية في الغرب، والتي من ناحيةٍ تُصر على ضرورة احترام الأديان والمذاهب وكفالة حرية الممارسة لها، وإن كانت تنفي عن نفسها أي انتماءٍ دينيٍّ، ومن ناحيةٍ أخرى تنتقد أحكاماً وحدوداً في صميم العقيدة الإسلامية.

وينبغي الفطنة وأخذ الحيطة تجاه ما يعايشه عالمنا اليوم من ازدواجيةٍ في المعايير التي يكيل بها الغرب، وما تحمله من متناقضاتٍ صارخةٍ مؤثرة في شتى مناحي الحياة في هذا العصر، وهو الأمر الذي يمثّل تحدّياً ضارياً يفرض على الشعوب والأمم الدخولَ في مواجهةٍ غير متكافئة مع القوة الكبرى الساعية إلى الهيمنة والسيطرة على مقدرات العالم تحت دعاوى عديدة، بعضُها يكتسي صبغة العَوْلَمة، التي هي اليومَ التوجّهُ العامُّ للنظام الجديد المفروض على العالم، والذي في ظلِّه تُنتهك حقوق الإنسان بدرجةٍ أو بأخرى، وبأسلوبٍ أو بآخر، وما يصاحب ذلك من مفارقات تزيد من التردد والاختلاف حول التسليم بعالمية حقوق الإنسان وفق التفسير الغربي لها؛ إذ إنه على الرغم من اعتراف الحكومات الإسلامية بالشرعية الدولية للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فإن ذلك لا يَنفي

الحرصَ على أن تُراعى الخصوصيات الثقافية التي تُقرّها المواثيق الدولية في تفسير مواد هذا الإعلان العالمي، ولا يُجيز أن يكون تطبيقُ تلك الحقوق غير عادل وشامل وبمعايير مزدوجة، يتم من خلالها التمييز بين شعبٍ وآخر.

والعالم الإسلامي يرى أن حقوق الإنسان تُصان عندما يُحترم الإنسان وأسرته ومجتمعه ودينه وعقيدته، بالإضافة إلى توفير كل السبل للحياة الكريمة والآمنة له، وليس بفرض القوانين المدمرة للأخلاق والفضائل والمجتمع. وما قضية حقوق الإنسان إلا واحدةً من القضايا التي طالما أثارها الآخرون كي يستخدموها لإخضاع الدول سياسيّاً من منطلق الإدانات التي توجه بانْتِهَاكَاتِ حقوق الإنسان، وفرض حصارات اقتصادية وعسكرية وسياسية وعلمية، مستندة إلى شرعية استصدرتها بقرارات تصدر عن المؤسسات والهيئات الدولية.

ويبقى من المهم ـ أيضاً ـ أن يجمع المسلمون كلمتهم للعملٍ بشكلٍّ علميٍّ مدروس من أجل تعبئة الرأي العام الإسلامي والرأي العام الدولي الذي يحتكم إلى العقل لضمان تحقيق عدم التضارب بين القوانين الدولية الموجودة حاليّاً وتلك التي تُسن من حينٍ لآخر، والتي قد يتضارب بعضها مع أحكام الشريعة الإسلامية، كما ينبغي أيضاً السعي الجاد لضمان حق الدول الإسلامية في التحفظ على كل ما هو مُنَافٍ للشرع الإسلامي إذا ما أُجيزت هذه القوانين بغالبية الدول الأعضاء في المنظمات الدولية، وأن يكون هذا التحفظ ضماناً بعدم إلزام الدول الإسلامية بتطبيق المواد والقوانين المخالفة للشرع الإسلاميِّ.

لقد جدَّت قضايا عديدة، شغلت عقول الناس وفكرهم ونالت حظّاً وافراً من اهتمامهم وسعيهم، وينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، على علم بهذه القضايا، وما يراد منها، والقائمين بها، وما فيها من خيرٍ للناس أو شر.

وأهم من ذلك، أن يضعها الدعاة إلى الله تعالى على ميزان الإسلام، فتوزن به، وتقوم على أساسه، حتى يتميز الخبيث من الطيب، في الأفكار والأعمال، وحتى يعرف المسلمون حقيقة ما يعرض عليهم، ويميزون بين ما ينفعهم منه، فيستفيدون منه، وما يضرهم في دينهم ودنياهم، فيعرضون عنه.

وحين يتعرف الدعاة على حقيقة القضايا التي تثار بين الناس، باسم حقوق

الإنسان، أو المساواة بين الرجل والمرأة، أو التسامح الديني، يستطيعون بما عندهم من علمٍ بكتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وبما يعرفونه عن حقيقة هذه الدعوات، وأحوال أهلها والقائمين بها، والأهداف التي ترمي إليها، أن يكونوا هداةً للناس إلى الحق فيما يثار، ودعاةً إلى الخير، ورواداً للإصلاح في مجتمعاتهم. وبذلك يظهر الإسلام على الدين كله.

إن مصطلح حقوق الإنسان مصطلحٌ جذاب، يغري كثيراً من الناس، والمبادئ براقة، قد ينخدع بها المسلم المعاصر.

ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً، والمسلمون يسمعون عن كرامة الإنسان، والتسوية بين الناس، والتكافل والتراحم بينهم؛ بل إن المسلمين منذ ظهور الإسلام، وهم يقرؤون آيات الكتاب العزيز، وأحاديث المصطفى ﷺ ترشدهم، وتهديهم إلى هذه المعاني السامية.

ولكن الخطر كل الخطر، والضرر كل الضرر، على المجتمعات الإسلامية، يظهر حينما نوازن بين الشعارات التي تأتينا من كل حدبٍ وصوبٍ عن هذه المبادئ، وبين مفاهيمنا الإسلامية عنها.

فنحن نعرف من ديننا كرامة الإنسان، والمساواة بين الناس، والشورى، والتكافل، والتراحم بين الناس.

فهل ما يدعون إليه، هو ما نعرفه، وما نفهمه عنها، في ديننا؟

فالمبادئ، جذابة وبراقة، وربما تكون المصطلحات واحدة، ولكن ما هو المضمون؟ وما هي المفاهيم؟ وما أثر ذلك في عقيدتنا وأخلاقنا وسلوكنا، حين تخدعنا المبادئ والشعارات وحدها، دون أن نحقق في مضمونها، وفي المفاهيم التي تندرج تحتها؟

وهنا يجب:

أ ـ التأكيد على أن نتعرف على الحقيقة في قضية حقوق الإنسان، كما تثار في عالمنا المعاصر، وأهم من ذلك، أن نضع شعاراتها، ومفاهيمها، ونتائجها، في ميزان الإسلام، قاصدين من ذلك، الدعوة إلى سبيل الله، وإرشاد المسلمين إلى الحق، وهدايتهم إلى الخير، وإصلاح دينهم ودنياهم.

ب ـ إن أي حقٍّ للإنسان في الإسلام باعتباره آدميّاً، وليس نتيجة تطور اجتماعي أو سياسي، كما هو الحال في التفكير الغربي، الذي بدأ يعرف ما يسمى بحقوق الإنسان في العصر الحديث، بعد تطور طويل، ونمو في الدراسات القانونية والاجتماعية والسياسية.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

وبعد ذلك بقرونٍ طويلة، تضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نفس اللفظ، إذ تبدأ ديباجة الإعلان بالاعتراف (بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية).

ج ـ إن حقوق الآدمي في الإسلام ـ ولفظ الآدمي بذاته ينفي كل تفرقة تقوم على العرق أو اللون ـ وردت جزءً من الشريعة الإسلامية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبناء العقدي والأخلاقي فيه.

فحقوق الآدمي، مضمونة بالنصوص الشرعية التي تنص على الحق، وعلى ضماناته؛ بل وعلى الجزاء المقرر عند انتهاكه.

فالحق في الحياة مضمون: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

والجزاء مقرر عند انتهاك هذا النص:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨].

وهو جزاء يوقع بشروطٍ شرعيةٍ دقيقةٍ مفصلةٍ في كتب الفقه، وهي شروط تضمن حق المجتمع وحق الفرد معاً.

وكذلك؛ فإن الحق في التكافل الاجتماعي منصوصٌ عليه في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

وفريضة الزكاة، وهي ركنٌ من أركان الإسلام، بيّنت وحددت الأموال التي تخصص لتحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، وبيَّن الله تعالى في القرآن الكريم، الفئات التي تستحق أن يوفر المجتمع سبل معيشتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

وهكذا في حقوق الآدمي التي وردت في الشريعة؛ كالمساواة بين الناس.

إذ جعل القرآن الكريم معيار التفاضل بين الناس، هو التقوى، وهي خشية الله تعالى، والالتزام بالعمل الصالح، كما في كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه، نتيجة هذه الخشية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

وحظَّر الإسلام تفاضل الناس على أساس العرق واللون.

وعندما قال أحد الصحابة لرجل مسلم: (يا ابن السوداء)[(١)]، وصف الرسول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ هذا القول بأنه يدلُّ على جاهلية؛ أي: على معايير وقيم سابقة على الإسلام، لا تصلح إلا في مجتمعات التخلف والجهل، ووضع الصحابي الجليل خده على الأرض طالباً ممن أساء إليه بقوله أن يعفو عنه.

د ـ لم تكن كرامة الآدمي في الإسلام، منذ نزول القرآن، شعاراً عامّاً، بل كانت نظاماً تشريعيّاً داخلاً في البناء العقدي والأخلاقي الإسلامي، وأهم ما يميزه أنه يستند إلى نظريةٍ عامةٍ في هذا البناء.

إن كرامة الإنسان، وهي الحق الأصيل والمهم من حقوق الآدمي، تستند في الإسلام إلى جملة أسباب، **من أهمها**:

أن الإنسان هو أكرم المخلوقات، وأنه الكائن الذي تشرف بأن سوّاه الله بيده: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: ٢٩].

وعلَّمه الأسماء كلها: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ [البقرة: ٣١].

---

(١) البيهقي، «شعب الإيمان»، د. ط، ٤/٢٨٨.

والآيات في القرآن الكريم تدلُّ على أن الإنسان أقوم المخلوقات، من حيث أصل الخلقة وصورتها يقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

وإن كان هذا الإنسان ضعيفاً بحسب خلقته: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨].

لكنه المخلوق الذي له إرادة وعقل وكرامة، وهو الذي سخَّر الله له ما في السماوات والأرض: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣].

ومن تأمل العديد من الآيات في كتاب الله الكريم يجد أن الكرامة التي وهبها الله لبني آدم، ليست شعاراً، ولكنها بناء أصيل في الإسلام، له مؤيداته وشواهده في كثيرٍ من نصوص الكتاب والسُّنَّة.

يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

إنها كرامة الإنسان حين يولد، وكرامته في العيش، وكرامته حين يموت.

فالإنسان في الإسلام، نعمة لأبويه حين يولد، ونفسٌ بشريةٌ تستحق أن تحيا، وتنال حقوقها في المجتمع الإنساني، وهو يكرَّم حين يموت، فيغسل ويصلّى عليه، ويدعو له الناس بالرحمة والمغفرة، ويحظّر الإسلام، أن يمس جسد الإنسان إلا بحق، ويحرم التمثيل بجسد الإنسان حتى وهو ميت لا يشعر بشيء، وينهى النبي ﷺ عن كسر عظام الميت، احتراماً لتلك الكرامة التي وهبها الله للآدمي منذ مولده وفي مسيرة حياته، وحتى بعد موته.

فعن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**كسر عظم الميت ككسره حيّاً**»[(١)(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الجنائز، حديث رقم (٣٢٠٧)، ابن ماجه في «سننه»، باب ما جاء في الجنائز، حديث رقم (١٦١٦)، أحمد في «مسنده»، ٦/ ١٠٠.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب الجنائز، باب في الحفار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان، حديث رقم (٣١٩١)، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وإسناده على شرط مسلم. ابن حجر العسقلاني، «بلوغ المرام»، د. ط، ص١١٤.

فالإسلام وحده، سبق إلى تقرير تلك الكرامة قبل مواثيق البشر في صورةٍ كاملةٍ للكرامة الإنسانية، يعرفها المسلمون منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

وهذا التكريم الإلٰهي، عام لكل الناس، بغض النظر عن العرق واللون والوضع الاجتماعي.

وقد نظمت الشريعة حقوق المعاهدين، بحيث تكفل لهم حق الحياة وحرمة النفس والبدن والعرض والمال، ما داموا قائمين على العهد في المجتمع الإسلامي، أو كانوا مسالمين خارج المجتمع الإسلامي.

وتفصيل ذلك في آيات القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، وما يبنى عليهما من بيانٍ وتفصيلٍ واجتهادٍ في كتب الفقه الإسلامي.

ثالثاً: حرية الإنسان:

لم تصبح الحرية تلك الكلمة التي تؤثر في الأفراد والجماعات في الغرب، عقيدةً راسخةً في المجتمعات الغربية، إلا بعد كفاحٍ طويلٍ ومريرٍ دام عدة قرون.

ولم يتخلص الناس في أوروبا من استبداد حكام الإقطاع وسلطان رجال الكنيسة، وجمودهم، ووقوفهم في وجه كل نزعة للتحرر الإنساني، والتقدم العلمي، إلا بعد جهدٍ كبيرٍ بذله كُتَّاب وفلاسفة، دام عشرات السنين.

ومع ذلك، لم يتحدد معنى الحرية تحديداً واضحاً حتى الآن.

وفي المفهوم الإسلامي، تعتبر الشريعة أساس الحق، وليس الحق أساس الشريعة.

فالحق في الحرية، هو وسيلة كبرى لتحقيق غايات نبيلة وسامية، تتفق مع كرامة الإنسان ورسالته في استخلافه في الأرض.

ومن أجل ذلك، بدأ الإسلام بتحرير الإنسان من العبودية لغير الله ﷻ وتحريره من شهوات نفسه ونزوات غريزته.

فالحرية كما يرى علماء المسلمين، هي قدرة الإنسان على التصرف، إلا لمانعٍ من أذى أو ضرر له أو لغيره.

وفي الإسلام يجب على الإنسان أن يتحرر من عبودية غير الله، وسمى الله

عبادة الإنسان غير الله طاغوتاً، وأمر الناس أن يكفروا به، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

ولما كان الرقّ نظاماً اقتصاديّاً عرفته كل الحضارات، فقد سلك الإسلام وسيلةً ناجعةً للتخلص منه، فضيّق من موارده، حتى اقتصرت على ما يكون منه في قتالٍ مشروع، مع جواز عدم اتباعه حتى في هذه الحالة، ثم وسع أشد التوسعة في تحرير الأرقاء، ولفظ «الرقيق» في ذاته، يشير إلى رقة المعاملة لهم والإحسان إليهم، ويجوز في الإسلام، أن يتفق الرقيق مع سيده على عتقه نظير مال، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٣﴾ [النور: ٣٣].

ويجب في الإسلام تحرير الرقيق جزاءً على أخطاء يرتكبها الإنسان؛ كالقتل الخطأ أو تجاوز بعض الشعائر الدينية، حتى إن الهزل من السيد وتلفظه بعتق الرقيق، ينتج أثره في تحرر الرقيق، وهو ما لم تستطع تحقيقه شعارات الحرية الزائفة مع وجود الرق فعلاً وحقيقة، في مجتمعاتٍ تعرضت للغزو والنهب الاستعماري خلال القرن الماضي.

ومن قبل ذلك بقرون، اختطف الغربيون مئات الألوف من أبناء أفريقيا، ليعملوا لهم دون أجرٍ في مزارعهم.

ويكفي أنه لم يبق في بلدٍ إسلاميٍّ مجتمع له كيان، أصله الأول الرقيق.

بينما لا يزال في الولايات المتحدة الأمريكية، مجتمع الزنوج من عدة ملايين.

وفي القرآن الكريم، دعوة إلى التفكر والتدبر، وإعمال العقل والنظر في الكون؛ بغية الوصول إلى معرفة السنن الكونية والاجتماعية، والاعتبار بما وقع: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٦٩﴾ [النمل: ٦٩]، وقال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ويمتدح الله، المجتمع المسلم الذي يكون من صفاته وآدابه الشورى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى: ٣٨].

فلا حرج على المسلم، أن ينصح لأولي الأمر، كما في الحديث الشريف: «**الدين النصيحة**، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)(٢)]؛ فالمشاركة بالرأي، مكفولة بحكم الشورى، الذي يجب على الأمة كلها أن تعمل به، وتستطيع الأمة أن تقوم به بأي طريقٍ يحقق فائدة التشاور والتناصح في الأمور العامة، وفق توجيهات الإسلام وهديه.

لقد تقرر في الإسلام فيما يتعلق بالشورى أنه قيمة كبرى، وترك تطبيقها بما يحقق الهدف منها إلى أهل الحل والعقد، يختارون ما يرونه في شكلها ونظامها وإجراءاتها.

ولا حد لحرية الرأي والفكر في الإسلام، إلا الحفاظ على أصول الدين وأركان الإسلام وقيمه وحدوده، ورعاية المصالح العامة.

فالاجتهاد مباحٌ ومطلوب، في أمور الدين والدنيا، ولا يُنكر منه إلا ما يهدم أصلاً من أصول العقيدة أو التشريع، أو يهدر قيمة خلقية من أخلاق الإسلام، أو يقصد فتنة الناس وإضلالهم.

فحرية الرأي المنضبطة بضوابط الشرع، تبني المجتمع الإسلامي، وتصحح أخطاءه، وتبصره بطريق الهداية والفلاح في أموره العامة.

ولم تكن حرية الفكر والرأي، مطلقة في أي مجتمع، للذين يخرجون على

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، حديث رقم (٥٥)، والنسائي في «سننه»، كتاب البيعة، حديث رقم (٤١٩٧)، أبو داود في «سننه»، كتاب الأدب، حديث رقم (٤٩٤٤)، أحمد في «مسنده»، ٤/ ١٠٢.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإيمان، حديث رقم (٩٥)، والترمذي في «سننه»، أبواب البر والصلة، باب في النصيحة، حديث رقم (١٧)، والنسائي في «سننه»، كتاب البيعة، باب النصيحة للإمام، حديث رقم (٣١).

ما تَقرَّر من أصول الاعتقاد ومكارم الأخلاق، مهما كانت معتقداتهم، فالحرية المطلقة، هي الفوضى المطلقة.

وتكفل الشريعة للرجل والمرأة على السواء، ما تواضع علماء القانون على تسميته بالحرية المدنية.

إن أهلية المرأة كاملة، وذمتها المالية من شأنها، ولها أن تجري التصرفات المالية دون حرج، وهي حرة في اختيار زوجها.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن البكر العاقلة الرشيدة، لا يتصرف أبوها في أي شيءٍ من مالها إلا برضاها)[١].

ولا شكَّ أن التشريع الإسلامي الذي مضت عليه القرون الطويلة، لم تصل إليه القوانين الوضعية الحديثة، التي وضعت قيوداً على أهلية المرأة في التصرف بعد زواجها.

إن الحرية قيمة كبرى في الإسلام، تسمو بالإنسان في حياته المادية والروحية، وليست انفلاتاً مما في الإسلام من قواعد السلوك الاجتماعي أو الخلقي، الذي يحفظ للمجتمع مصالحه وتماسكه.

وفي الإسلام لا حرية لأحدٍ في نشر الفساد أو الرذيلة أو الفتنة في المجتمع؛ لأن الحرية لا تنزل بصاحبها إلى الشر والإفساد، ولا تبيح له أن يؤذي غيره، أو يعرض المجتمع للخطر.

وكم قاست مجتمعات عديدة في العصر الحديث، من الانفلات، وإهدار الفضيلة، وذبحها على مذبح الشهوات، وإهدار كرامة النفس والجسد الإنساني باسم الحرية.

فالحرية حقٌّ للإنسان، ولكنها مثل كل الحقوق، لها وظيفة اجتماعية، لا يجوز إهدارها، ولا تجاوزها، ولها ضوابطها وقيودها ومجالاتها.

وأخيراً؛ فإن هذه الخصوصية الإسلامية في حقوق الإنسان، والتي تظهر تطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، لم تحظ للأسف بالتزام كثيرٍ من الدول في العالم الإسلامي.

---

(١) اين القيم، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ٥/ ٩٧.

لقد اعتنقت كثير من دول العالم الإسلامي ـ نتيجة انبهارها بالفكر الغربي بالذات أو انهيارها أمامه ـ المبادئ والشعارات التي يطلقها الفكر الغربي، والتي تمثل تاريخه وتراثه وحياته بعيداً عن الهدي الإلٰهي.

ولذلك، تبدو هذه الدول ضعيفةً أمام انتقادات الغرب لها في مجال حقوق الإنسان.

لقد بدأت هزيمتها الفكرية باعتناق مفاهيمه، والجري وراء شعاراته وقوانينه.

فإذا تبين لها ـ بالنظر إلى ما توجبه عقيدة شعوبها المسلمة، وشريعتها وتراثها الحضاري وقيمها الاجتماعية ـ أن تلك المبادئ تضر بمجتمعاتها، وتَحُول دون تقدمها، وحاولت الخروج من تلك التبعية للفكر الغربي في موضوع حقوق الإنسان، انبرت لها وسائل الإعلام الغربية، تنكر عليها حقّها في الخصوصية الدينية والاجتماعية والثقافية، وهو ما تشكو منه دولٌ كثيرة، وتتحمل نتائجه الظالمة.

وقد ظهر ذلك واضحاً في مؤتمر ڤينا لحقوق الإنسان، الذي عقد في الفترة من ٢٤ ذي الحجة ١٤١٣هـ إلى ٥ محرم ١٤١٤هـ الموافق ١٤ ـ ٢٥ يونيه ١٩٩٣م، إذ حاولت كثير من الدول المشاركة فيه، أن تتمسك بخصوصيتها الثقافية والاجتماعية، أمام طغيان الثقافة الغربية ومفاهيمها في قضية حقوق الإنسان[١].

إن الحل في يد البلاد الإسلامية، وهو اختيارها للهدي الإلٰهي، القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وأصول الشريعة ومبادئها، وإظهار الاعتزاز بتلك الخصوصية الدينية والثقافية، وتطبيقها والالتزام بها.

وهذه الخصوصية، هي التي تكفل لها موقعاً مشرِّفاً في مجال حقوق الإنسان في المجتمع الدولي.

إن المسلمين، يلتزمون أحكام الشريعة التي تمليها عليهم عقيدة الإسلام، ومن أصول هذه الشريعة، تنبع مبادئ حقوق الإنسان ومفاهيمها الصحيحة، لا

(١) http://www.ohchr.org AboutUs/Pages/ViennaWC.aspx /AR/

سيما فيما يتعلق بحرية الإنسان التي ترفعه، وتنهض بحياته الإنسانية، وما يتعلق بحقوق المرأة المسلمة في نطاق كرامتها الإنسانية، ومصلحة الأسرة والمجتمع.

ومن أصول هذه الشريعة، يستمد المسلمون نظامهم في مواجهة الجريمة وأثرها المدمر للمجتمع، الذي من حقه الأمن والأمان، بما توفره الشريعة من وقايةٍ من الجريمة، وردع لها في أحكام الحدود والقصاص والتعزيرات.

ولدينا في الشريعة الإسلامية، القيم العالية في حرية التفكير والتعبير بضوابطها الشرعية، فلا نحتاج إلى التقليد والاستعارة من الغير.

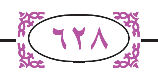
وقد رأينا ما أدت إليه المفاهيم الزائفة لمبادئ حرية الإنسان، والتسوية الحسابية بين الناس، دون اعتبار للنظرة الإنسانية، ولا للعدالة في الحقوق والواجبات داخل المجتمع، من عواقب وخيمةٍ على الفرد والمجتمع في كثيرٍ من مجتمعات العالم.

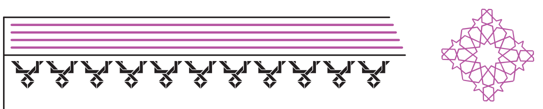
إن تطبيق الشريعة الإسلامية، هو العاصم للأمة الإسلامية من التردي فيما وقعت فيه المجتمعات الغربية من تدهورٍ أخلاقي، وشيوع للظلم والفساد، وانتشار للجريمة، وتفكك للأسرة.

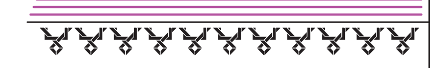
وهو أيضاً سلاحنا وجوهر دفاعنا حين نتصدى لما يوجه إلى البلاد الإسلامية من حملاتٍ مشبوهةٍ ومغرضة، تطلب من المسلمين أن يكونوا تابعين للفكر الغربي ومفاهيمه، مع أنهم حملة الهدي الإلٰهي في العقيدة والشريعة في عالمنا المعاصر، وهو الذي يضمن لهم أن يعودوا كما كانوا، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وسوف تظهر الأمة الإسلامية في موضوع حقوق الإنسان، حاملةً للهدي الإلٰهي الذي كرّم الإنسان قبل المواثيق الدولية بأكثر من ألف عام: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤].

❁ ❁ ❁







المبحث الثالث

منهجية التعريف بالشخصيات الإسلامية

١ ـ الصحابة رضي الله عنهم:

للصحابة رضي الله عنهم مكانة مرموقة بين المسلمين ويعتبرون من أكثر الشخصيات التي نالت شهرةً وحبّاً بينهم، وعلى الداعية أن يبرز في تعريفه بالصحابة الأدوار المختلفة التي قاموا بها في مراحل الدعوة الأولى وفي بناء دولة الإسلام ومناصرة رسول الله ﷺ، كما أن على الداعية أن يوضّح ما يميّز الصحابة وجيلهم عن الأجيال التالية للأمة الإسلامية نظراً لتعاملهم المباشر مع النبي ﷺ وأخذهم عنه صحيح الدين، مما كوَّن لديهم عقيدة إيمانية صلبة أصبحت مثلاً يحتذى به بين أجيال الأمة الإسلامية، كما على الداعية أن يوضح أننا نتعامل مع الصحابة بكل احترامٍ وتبجيلٍ وأدبٍ دون مغالاة أو تقديس لأشخاصهم؛ فهم جميعاً رضوان الله عليهم بشر عاشوا خدماً للدين وماتوا فداءً للدين فأصبحوا بذلك قدوةً للبشر، **وفيما يلي بعض المعلومات التعريفية عن الصحابة:**

أولاً: مفهوم الصحابي:

١ ـ الصحابي لغةً:

الصحابة في الأصل، مصدر الأصحاب: جمع: صحب، والصحابة «بالفتح» الأصحاب، وجمع: الأصحاب، أصاحيب: وهو من لَقِي النَّبِي ﷺ مُؤمناً بِهِ وَمَات على الْإِسْلَام (ج) صحابة[1].

---

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، «المعجم الوسيط»، د. ط، ١/ ٥٠٧.

قال السخاوي: «يقع على من صحب أقل ما يطلق عليه اسم صحبة فضلاً عمن طالت صحبته وكثرت مجالسته»(١).

٢ ـ الصحابي اصطلاحاً:

قال ابن حجر: وأصح ما وقفت عليه من ذلك: أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام؛ فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارضٍ كالعمى(٢).

ثانياً: خصائص الصحابة:

امتاز الصحابة رضوان الله عليهم بعددٍ من الخصائص، ومن تلك الخصائص: أن الله تعالى اختارهم لصحبة رسوله ﷺ، وتلقى الشريعة عنه قوماً هم أفضل هذه الأمة التي هي خير الأمم فشرَّفهم بصحبة نبيِّه ﷺ وخصَّهم في الدنيا بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقد بلَّغوا عن رسول الله ﷺ ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام، ولهم مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ، ومن دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً(٣).

وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه وضرب بهم مثلاً في التوراة وفي الإنجيل، فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ

(١) السخاوي، «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي»، ط١، ٣/٨٦.
(٢) ابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ١/٧ ـ ٩.
(٣) البدر، «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم»، ط١، ص٦.

يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وذكر الشوكاني عن ابن جرير وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾؛ يعني: نعتهم مكتوب في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الله تعالى السمٰوات والأرض[(١)].

واختلف المفسرون في هذه الآية، وكم مثل ضُرب فيها فقيل: هما مثلان، وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أحدهما في التوراة، والآخر في الإنجيل، وعلى كِلا القولين هو شرف لأصحاب النبي ﷺ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم خَلُصَت نياتهم وحَسُنَت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم[(٢)].

ويكفيهم شرفاً أن النبي ﷺ أوصى بِهم فقال: «**استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم**»[(٣)].

ومن خصائصهم: مظاهر حبهم للرسول ﷺ والذي حكاه التاريخ الصادق عنهم من أنه ما كان أحد يحبّ أحداً مثل ما كان أصحاب محمّد يحبون محمّداً، دم الرّجل منهم رخيص في سبيل أن يفدي رسول الله ﷺ من شوكةٍ يشاكها في أسفل قدمه، وماء وضوئه يبتدرونه في اليوم الشّديد البرد، يتبركون به، وأب الواحد منهم وأبناؤه من ألدّ أعدائه ما داموا يعادون محمّداً، وحديث محمّد موضع التّنافس من رجالهم ونسائهم، حتى إذا أعيا الواحد منهم طلابه، تناوب هو وزميل له الاختلاف إلى رسول الله ﷺ على أن يقوم أحدهما بعمل الآخر عند ذهابه، ويقوم الآخر برواية ما سمعه وعرفه من الرّسول بعد إيابه[(٤)].

ومن خصائصهم جهودهم في خدمة الدين حيث تفرقت الصحابة رضي الله عنهم في النواحي والأمصار والثغور وفي فتوح البلدان والمغازي والإمارة والقضاء

(١) الشوكاني، «فتح القدير»، ط١، ٤/ ١٢٧.
(٢) عيسى، «الإصابة في الذب عن الصحابة رضي الله عنهم»، د. ط، ص٦٠.
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الخلفاء الراشدين، مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ١/ ٢٦٨، حديث رقم (١١٤). قال شعيب الأرنوؤط: إسناده صحيح.
(٤) ابن حجر العسقلاني، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ط١، ١/ ٣١.

والأحكام، فبثَّ كل واحدٍ منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وَعَاهُ وحفظه عن رسول الله ﷺ، وحكموا بحكم الله ﷻ، وأمضوا الأمور على ما سنَّ رسول الله ﷺ، وأفتوا فيما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المسائل، وجردوا أنفسهم مع تقدمة حسن النية والقربة إلى الله تقدس اسمه لتعليم الناس الفرائض والأحكام والسنن والحلال والحرام، حتى قبضهم الله ﷻ رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين[1].

ويمكن إجمال جانب من خصائص الصحابة فيما يلي:

١ ـ أنهم لقوا النبي ﷺ الذي هو خير البشر على الإطلاق.

٢ ـ أنهم أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وأهله وسلم في هذه الأمة فكان لهم دورٌ في إرساء قواعد الإسلام.

٣ ـ أنهم أقرضوا الله، فهم لتسامي صفاتهم جعلهم الله موضع المقرض له سبحانه وتعالى، ويا له من شرفٍ يقول تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

٤ ـ أنهم نالوا رضا الله عنهم، وماذا بعد رضا الله؟ يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٥ ـ أنهم جميعاً عدول، وما يرونه عن النبي عليه الصلاة والسلام مقبول.

٦ ـ أنهم نقلوا هوية الإسلام ومقاصد الشريعة للناس ومن خلالهم يفهم كلام الله وكلام نبينا محمد ﷺ.

٧ ـ أنهم قاتل في صفهم الملائكة وشاركوهم في الغزوات كيوم بدر، وحنين وغيرها، كما دلَّ على ذلك الآيات والأحاديث، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

٨ ـ أن الله تعالى جعل سبيلهم هو الصراط المستقيم، وأن من يتبع غيره

---

(١) البدر، «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم»، ط١، ص١٠٧.

يصلى جهنم قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

٩ ـ اختصَّهم الله ﷻ من الأمة بأن جعلهم مستشارين لنبيِّه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

١٠ ـ أن الله شهد لهم بصدق العهد معه، وأنهم لم يبدِّلوا ولم ينكثوا ما عاهدوا عليه الله، يقول تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فجملة الفضائل والمناقب لهم جاءت على الإجمال والتفصيل، وعلى المجموع والأفراد. قال الإمام الذهبي: وأجمعت علماء السُّنَّة أن أفضل الصحابة: العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﷺ أجمعين، ولا يشك في ذلك إلا مبتدعٌ منافق(١).

وفضل الصحابة الأربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ﷺ. إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله تعالى، وذلك لا يطِّلع عليه إلا رسول الله ﷺ بإطلاع الله تعالى له. وقد ورد عنه ثناؤه عليهم كلهم، ولا يتحقق إدراك حقيقة تفضيله عليه الصلاة والسلام(٢).

وبناءً على ما سبق يتضح أن جميع الصحابة بشكلٍ عام، وكبارهم بشكلٍ خاص، تمتعوا بمميزات يصعب حصرها، وذلك لأنهم تربوا في مدرسة سيد البشر فأصبح كل واحدٍ منهم خليفة للعلم والفهم والحكمة، كما أصبحوا قدوات لأجيال المسلمين كل واحدٍ منهم يتميز عن غيره، فنالوا القيادة على مستوى التاريخ، وعلى الدعاة أن يبرزوا للمدعوِّين ما لاقاه الصحابة في بداية حياتهم من الظلم والقهر الذي أودى بحياة الكثير منهم، وكم قاسى من تبقى منهم فخرج من الديار وخسر المال وخسر الأهل ليعلي كلمة الله في الأرض.

كما أن على الدعاة أن يقارنوا بين دافع الصحابة الصعب وحياتهم القاسية

---

(١) عيسى، «الإصابة في الذب عن الصحابة ﷺ»، د. ط، ص١٢٤.
(٢) الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ص١٣٢.

في بداية الدعوة مقارنةً بواقع المدعوِّين الذين تعرض عليهم الدعوة أو الداخلين إلى الإسلام، وعليهم أن يبينوا جهودهم في نشر الإسلام وعدم التبديل والتحريف مع غاية الأمانة في النقل.

٢ ـ التابعون:

انتقل الدين الإسلامي من جيلٍ إلى جيل، سلسلة من نور من النبي ﷺ إلى الصحابة رضي الله عنهم، ومن الصحابة إلى التابعين عليهم رحمة الله، والتابعون نالوا شرفاً عظيماً لأنهم أخذوا الدين والعلم والمعرفة عن صحابة رسول الله ﷺ، وكبار التابعين وصغارهم خدموا الدين وحملوا رايته عن الصحابة، فمنهم من تعلم العلم وعلّمه، ومنهم من خرج إلى الانضمام في جيوش الفتح ومنهم من حمل راية الإسلام في قلبه وتقلب بين البلاد فأصبح بخُلُقِه وإسلامه داعياً إلى الله نبراس خير وقدوة في الدين وفي الحياة.

وعلى الداعية أن ينقل للمدعوِّين جهود التابعين في نشر الدعوة وكيف كانت تلك الجهود مكللة بالنجاح والفلاح فوصلت الدعوة إلى أطرف الدنيا، وفتح الله على أيديهم قلوباً لم تر النور إلا في الإسلام، كما أن على الداعية أن يوضِّح أن التابعين كانوا دعاة بالقول وبالعمل من خلال طيب الأخلاق وحسن العشرة وحرصهم على الأدب مع الناس.

أولاً: مفهوم التابعي:

١ ـ التابعي لغةً:

هو من لقي الصحابي من الثقلين مؤمناً بالنبي ﷺ ومات على الإسلام[(١)].

٢ ـ التابعي اصطلاحاً:

للعلماء في تعريف التابعي **قولان مشهوران**:

١ ـ فمنهم من يقول: «هو مَنْ لَقِيَ الصحابيَّ وإن لم يصحبه» وهو الذي

(١) التهانوي، «موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم»، ط١، ٢/ ٣٦٢.

عليه عمل الأكثرين من أئمة الحديث[١].

٢ ـ ومنهم من يقول: «هو من صحب صحابيّاً»[٢]، ولا يكتفي فيه بمجرد اللُّقِي.

ومنهم من قال: «التَّابِعِيّ: هُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ»[٣].

ولا يُشترط في التابعي أن يكون مؤمناً حال لقائه الصحابي، فقد يراه وهو كافر، ثم يُسْلم بعد ذلك[٤]، وكذلك لا يُشترط أن يسمع منه[٥]، واختار الحافظ في «النزهة»[٦]، والسخاوي في «فتح المغيث»[٧]: أنه لا يُشترط أن يكون التابعي حال لقاء الصحابي مميزاً، وعُدَّ هؤلاء في الصحابة لشرف الرؤية، وليست رؤية النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ كرؤية غيره فهذا قياس مع الفارق. ولعله لذلك اشترط ابن حبان أن يكون التابعي في حال لقائه الصحابي في سن البالغ الذي يحفظ[٨].

---

(١) العراقي، «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح»، ط١، ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) قاله الخطيب البغدادي، «الكفاية في علم الرواية»، د. ط، ص٥٩. إلا أن العراقي ذكر كلاماً للخطيب في جزء جَمَع فيه رواية الستة من التابعين بعضهم عن بعض، وذكر منصور المعتمر في التابعين، مع تصريحه بأنه لم يسمع من ابن أبي أوفى؛ إنما له رؤية فقط، وقال العراقي: «ويُحمل قوله في «الكفاية»: «من صَحِبَ الصحابي» على أن المراد اللُّقِي؛ جمْعاً بين كلاميْه، والله أعلم». اهـ. «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح»، ص٣١٩.

(٣) القاري، «شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر»، د. ط، ص٥٩٥.

(٤) السخاوي، «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي»، ط١، ١/١٤٧، وابن أبي شريف، «حاشية الكمال»، د. ط، ص١١٧، قال العراقي: «وأهل الحديث وإن أطلقوا: أن التابعي: من لقي أحداً من الصحابة، فمرادهم مع الإسلام». اهـ. وعندي: أنه لا يلزم من ذلك وجود الإسلام حال اللقاء، بل قد يُحمل على وجود الإسلام ولو بعد اللقاء، بل قد يُحمل على وجود الإسلام ولو بعد اللقاء، فإن من لم يسلم ليس تابعيّاً وإن لقي الصحابي، والله أعلم. «التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح»، ص٣٢٠.

(٥) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي»، ١/١٤٥.

(٦) ابن حجر العسقلاني، «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر»، ط٣، ٤/١٤٥ ـ ١٥٢.

(٧) ويستفاد من كلامه أن الإطلاق قول الأكثر؛ لأنه لم يذكر عن أحد أنه قيّد ذلك إلا ابن حبان.

(٨) «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي»، ط١، ١/١٤٦، وابن حبان، «الثقات»، ط١، ٦/٢٧٠.

وقد بيَّنت السُّنَّة فضل التابعين؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»(١).

وقال النووي رحمه الله: «الصحيح أن قرنه ﷺ: الصحابة، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم»(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: **(ثم الذين يلونهم)**؛ أي: القرن الذي بعدهم، وهم التابعون، **(ثم الذين يلونهم)** وهم أتباع التابعين. انتهى(٣).

وقال القاري رحمه الله: قال السيوطي: والأصح أنه ـ يعني: القرن ـ لا ينضبط بمدة، فقرنه ﷺ هم الصحابة، وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من مائة سنة إلى نحو سبعين، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى نحو العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتُحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن، وظهر مصداق قوله ﷺ: «**ثم يفشو الكذب**». انتهى(٤).

وقد عرفوا بالتابعين لاتباعهم آثار النبي ﷺ وآثار من سبقهم من صحابته رضي الله عنهم، كما سمي الصحابة صحابة لصحبتهم للنبي ﷺ، وتميزوا بقوة الحفظ والفهم، والفقه في الدين، والبصر بالتأويل؛ ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها الكنوز، ورزقت فيها فهماً خاصّاً.. وهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الذي أنبتته الأرض الطيبة، ثم وليها من بعدهم قومٌ آخرون،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٥/٣، حديث رقم (٣٦٥١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ٤/١٩٦٣، حديث رقم (٢٥٣٣).

(٢) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ١٦/٨٥.

(٣) ابن حجر العسقلاني، «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، د. ط، ٧/٦.

(٤) القاري، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، ط١، ٩/٣٨٧٨.

حفظوا النصوص التي ورثوها؛ فكان همهم حفظها وضبطها؛ فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، ورووا؛ قد علم كل أناسٍ مشربهم[(١)].

ومما سبق يتضح أن التابعين رضوان الله عليهم كانوا خير خلفٍ لخير سلف، وأنهم بذلوا النفيس والغالي في سبيل إعلاء كلمة الدين ونشره في أرجاء المعمورة، وأنهم ضربوا أروع الأمثال في تعاملاتهم مع غير المسلمين، فلم يروِّعوا ولم يستبيحوا مالاً أو عرضاً أو دماً؛ بل كانوا خير سفراء للدين وخير حرس للعقيدة.

وعلى الداعية أن يؤكد أن الإسلام ليس فيه تقديس لأشخاصٍ سواء كان نبيّاً أو صحابيّاً أو تابعيّاً، ولكن الأمم تعرف برجالها، لذلك يحرص الدعاة على ذكر القدوة من هؤلاء الرجال دون مغالاة فيهم ولا تقليل من قدر أحدٍ منهم.

٣ ـ العلماء:

أولاً: مفهوم العلماء في اللغة والاصطلاح:

١ ـ العلماء في اللغة:

العلم في اللغة من كلمة: علم وهو نقيض الجهل، فكلمة علماء جمع ومفردها عالم وهو نقيض جاهل، والجاهل هو الذي لم يكن لديه علم أو هو الذي لم يدرك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً[(٢)].

٢ ـ العلماء في الاصطلاح:

العالم هو الذي يدرك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، والعالم الشرعي هو العالم بما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى، لهذا قال الرسول ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(٣)]، قال الإمام النووي: «فيه

(١) الحَمَدَاني، «حياة التابعين»، د. ط، ص٦٦.
(٢) الجوهري، «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، ط٤، ٥/١٩٩١، الجرجاني، «التعريفات»، ط١، ١/١٩٩.
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، =

فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله»[(١)]، وقال النبي ﷺ أيضاً: «**إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر**»[(٢)].

وقد ذكر في القرآن الكريم أن أهل العلم والعلماء هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، قال فضيلة الشيخ العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها»[(٣)].

ثانياً: العلماء في الكتاب والسُّنَّة:

لقد مدح الله تعالى العلماء، وأثنى عليهم وبيَّن فضلهم في كتابه الكريم، **ومن ذلك الأدلة الآتية:**

١ ـ قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٣ ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٤ ـ وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

= ١/ ٢٥، حديث رقم (٧١)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٢/ ٧١٩، حديث رقم (١٠٣٧).

(١) النووي، «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، ط٢، ٧/ ١٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ٤/ ٣٤٦، حديث رقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «سننه»، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ١/ ٨١، حديث رقم (٢٢٣)، وابن حبان في «صحيحه»، كتاب العلم، باب ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل الذي ذكرنا قبل، ١/ ٢٨٩، حديث رقم (٨٨). وصححه الألباني.

(٣) ابن عثيمين، «العلم»، د. ط، ص١٩.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

٧ ـ وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«من يُرِدْ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وَإِنَّمَا أنا قَاسِمٌ، وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هذه الْأُمَّةُ قَائِمَةً على أَمْرِ اللهِ لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْرُ الله»**(١).

٨ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهَّلَ الله له طَرِيقاً إلى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رضاً بِمَا يَصْنَعَ، وَإِنَّ العالمَ يَسْتَغْفِرُ له من في السَّمَوات ومَنْ في الْأَرْضِ حتى الْحِيتَانِ في الْمَاءِ، وَفضْلُ الْعَالِمِ على الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ على سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَاراً، ولا دِرْهَماً إِنَّما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»**(٢).

٩ ـ وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«فَضْلُ العلمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ العِبَادةِ، وخَيرُ دينِكُم الوَرَعُ»**(٣).

١٠ ـ وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْل أَجْرِ فَاعِلِه»**(٤).

---

(١) سبق تخريجه ص٦٣٧.

(٢) سبق تخريجه ص٦٣٧.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، باب العين، من اسمه علي، ٤/١٩٦، حديث رقم (٣٩٦٠)، والحاكم في «مستدركه»، كتاب العلم، فأما حديث عبد الله بن نمير، ١/١٧١، حديث رقم (٣١٧). قال البيهقي: هذا الحديث يُروى مرفوعاً بأسانيد ضعيفة وهو صحيح من قول مطرف بن عبد الله بن الشخير. البيهقي، «المدخل إلى السنن الكبرى»، د. ط، ص٣٠٣.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، ٣/١٥٠٦، حديث رقم (١٨٩٣).

١١ ـ وعن سهل بن سعد ﵁ قال: قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﵁: «**فوالله لأنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم**»(١).

وهذا فضلٌ عظيمٌ يؤتيه الله من يشاء من عباده، فهو المتفضل على عبده بالعلم النافع ويثيبه على طلبه وعلى نشره.

وما على المسلم الراغب في فضل الله العظيم إلا أن يبذل الأسباب، ويسأل الله العلم النافع والعمل الصالح، وهذه الآيات والأحاديث إنما هي في حق العالِم العامل بعلمه، وأما العالم غير العامل فإنه من أشد الناس عذاباً يوم القيامة، وكذا العالم الذي لم يبتغ بعلمه وجه الله ﷻ لا يشم رائحة الجنة، وهو أحد الثلاثة الذين تسعَّر بهم النار قبل الخلائق كلهم(٢).

ومن أعظم الأدلة على فضل الدعوة إلى الله ـ إضافة إلى ما تقدم ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]. وليس هناك أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل بما يعلم، وطابق قوله واعتقاده فعل.

ثالثاً: دور العلماء في نشر الدين:

إن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر، ولم يترك نبيّنا ﷺ ديناراً ولا درهماً وإنما ترك علماً، فأي عالم مخلص أخذ بالعلم فإنه قد يرث محمداً ﷺ، وهذا من أكبر فضائل الأعمال.

والعالمون هم القائمون بأمر الله تعالى، هم دعاة الهدى يدعون الناس إلى

---

(١) سبق تخريجه ص١٩.

(٢) الدمياطي، «ثواب العمل الصالح»، د. ط، ص٨، والحديث أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ٣/١٥١٣، حديث رقم (١٩٠٥).

دين الله، هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ولا يحق لأي جاهلٍ أن يسأل غير عالم في أحكام الشريعة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، قال محمد بن كعب: لا يحل لعالم أن يسكت على علمه ولا لجاهلٍ أن يسكت على جهله، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال علي رضي الله عنه: «ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا»[١].

فلا بد من استشعار عظمة دور العلماء؛ لأنهم دعاة الخير في المجتمع، وإن لم نأخذ أحكام الشريعة منهم فممن نأخذ؟ ولا بد من طاعة العلماء؛ لأنهم صنفان من ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ومن فوائد الآية: الوصية بالسمع والطاعة لولاة الأمور ومنهم العلماء، قال فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم، فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها، وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها»[٢].

إن العلم نور، كما أن العالم نور، فالعلم نورٌ يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في ذلك على علمٍ وبصيرة، وأما العالم فنور أيضاً يهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ولنا قصةً الرجل الذي من بني إسرائيل قتل تسعاً وتسعين نفساً ذات عبرة، فجاء وسأل رجلاً عابداً: هل لي من توبة؟ قال: كيف تتوب وقد قتلت تسعاً وتسعين؟ فقتله فأكمل المائة، ثم ذهب وسأل عالماً، فقال له: نعم، ومن يَحُول بين العبد وربه؟ تب إلى الله يقبل توبتك، ولكن اخرج من هذه البلدة التي فيها قرناء السوء، واذهب إلى القرية الفلانية فيها رجالٌ صالحون يعبدون الله فاعبد الله معهم، فخرج الرجل تائباً إلى الله، فلما انتصف به الطريق مات، فجاءت ملائكة الرحمة بكفنٍ وحنوطٍ

(١) الجزائري، «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير»، ط٥، ١/ ٤٢٤.
(٢) ابن عثيمين، «العلم»، د. ط، ص١٩.

من الجنة، وجاءت ملائكة العذاب بكفنٍ وحنوطٍ من النار، وكلٌّ جلس مد البصر ينتظر انتزاع الروح ليأخذها إلى جانبه، فاختصموا فيه، فأرسل الله إليهم ملكاً على صورة رجل، فقال: قيسوا ما بين البلدين وألحقوه بأقربهما منه، فقاسوا ما بين البلد التي خرج منها والبلد التي ذهب إليها، فكان الفرق ذراعاً فقط فأخذت روحه ملائكة الرحمة(١).

والقصة معروفة، فوجود العالم في المجتمع أمرٌ مهمٌّ للغاية.

ولا يخلو مجتمع ما من وجود الناس بمختلف أنواعهم، فيهم الجاهل والعامي والمضل والظالم والعالم، فلو تُرك الأمر للجهلاء ولغيرهم من عوام الناس يفتون بغير علم، ضلوا وأضلوا الناس، ووقعوا فيما وصفه النبي ﷺ في حديث: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٢).

رابعاً: واجب اتِّباع العلماء على منهج السلف الصالح:

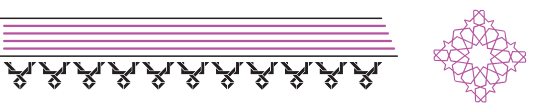
إن اتِّباع العلماء الربانيين في زماننا أمرٌ واجبٌ لا غبار عليه، فهم كما قلنا أحد صنفي ولاة الأمور الذين أمر الله بطاعتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

ومن هنا نفهم أن عالم الشريعة هو الذي يبين شريعة الله وأحكامها ويدعو الناس إليها، ويمكن القول أيضاً: إن أهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة.

ويتأكد اتباع علماء أهل السُّنَّة والجماعة في زمن الفتن وكثرة الاختلافات، فقد يقع الرجل في فتنةٍ ما ولا يقدر أن يخرج منها؛ لأنه كان بعيداً عن العلماء، ولم يكن يأخذ رأيهم في كيفية التعامل معها، فمثل هذا قد ضل وأضل غيره.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، ٢١١٨/٤، حديث رقم (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ٣١/١، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ٢٠٥٨/٤، حديث رقم (٢٦٧٣).



المبحث الرابع

منهجية التعريف بالمعالم الإسلامية

١ ـ المؤسسات الإسلامية:

انتقلت الجهود الدعوية وخدمات العالم الإسلامي من الجهود الفردية إلى الجهود المؤسسية، وذلك استجابةً للمتغيرات المختلفة التي مرَّ بها العالم في العصر الحديث الذي يُمكِن أن يُوصف بأنه عصر المؤسسات، وعلى الدعاة أن يستفيدوا من تلك المؤسسات التي تقدم للمسلمين وغير المسلمين العديد من الخدمات الدينية والاجتماعية، وتنقل الإسلام بصورةٍ صحيحةٍ للناس دون تعصبٍ أو مغالاة أو اختلال، **وفيما يلي بعض الأمثلة على المؤسسات الإسلامية:**

أولاً: الندوة العالمية للشباب الإسلامي:

في عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) عقد في أرض المملكة العربية السعودية مؤتمرٌ عالميٌّ ضم عدداً كبيراً من مندوبي منظمات الشباب الإسلامي في العالم تحت عنوان: (المنظمات الطلابية الإسلامية ودورها ومشكلاتها)، وكان هذا المؤتمر هو نواة ما عرف فيما بعد بالندوة العالمية للشباب الإسلامي، **حيث كان من أهم توصيات هذا اللقاء:**

إنشاء أمانة للمؤتمر مقرها الرياض (عاصمة المملكة العربية السعودية) مهمتها متابعة تنفيذ التوصيات الصادرة عن المؤتمر.

فكانت هذه الفكرة محل اهتمام ورعاية من رائد دعوة التضامن الإسلامي، الملك فيصل بن عبد العزيز يرحمه الله، فأصدر توجيهاً ملكيّاً بإنشاء الأمانة العامة التي كانت نواة أول هيئة إسلامية عالمية متخصصة في شؤون الشباب المسلم، تقوم عقيدته وفكره وسلوكه، وتتبنى قضاياه، وتعرف بآماله وآلامه، وتدعمه

وتؤازره، وتأخذ على عاتقها إحياء المعاني السامية للتضامن الإسلامي، وتسعى إلى توثيق الروابط بين منظمات العمل الإسلامي عموماً، ومنظمات العمل الشبابي خصوصاً.

فالندوة العالمية للشباب الإسلامي؛ هيئة إسلامية عالمية مستقلة، وملتقى إسلامي يدعم جهود العاملين في مؤسسات الشباب الإسلامي في العالم وجمعياتهم وهيئاتهم.

وتسعى إلى:

١ ـ خدمة الدعوة إلى الإسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً.

٢ ـ ترسيخ الاعتزاز بالإسلام لدى الشباب المسلم.

٣ ـ العمل على تعميق الثقافة الإسلامية لدى الشباب المسلم.

٤ ـ دعم الهيئات، والجمعيات العلمية، والثقافية والمهنية الخاصة بالشباب.

٥ ـ التعاون والتنسيق مع المؤسسات والهيئات التي تعمل في خدمة الشباب.

ومن **أبرز جهودها في التعريف بالإسلام:**

١ ـ إقامة المخيمات الشبابية في مختلف الدول.

٢ ـ بناء المساجد.

٣ ـ كفالة الأئمة والدعاة.

٤ ـ طباعة المصحف الشريف وتوزيعه.

٥ ـ تدريب الدعاة وتأهيلهم.

٦ ـ المشاركة في المحافل المختلفة.

٧ ـ وللاطّلاع على مناشط الندوة وإسهاماتها في التعريف بالإسلام بشكلٍ مفصّلٍ ينظر: موقع الندوة على الشبكة العنكبوتية[١].

---

(١) www.wamy.org

ثانياً: الأزهر:

الجامع الأزهر من أهم المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي. وهو جامعٌ وجامعةٌ منذ أكثر من ألف عام، بالرغم من أنه أنشئ لغرض نشر المذهب الشيعي عندما تم فتح مصر على يد جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر، إلا أنه حاليّاً يدرِّس الإسلام حسب المذهب السُّنِّي، وبعدما أسس مدينة القاهرة شرع في إنشاء الجامع الأزهر وأتمه، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة في ٧ رمضان ٣٦١هـ ـ ٩٧٢م، فهو بذلك أول جامع أنشئ في مدينة القاهرة.

ويُعد العصر المملوكي من أزهى وأفضل العصور التي عاشها الأزهر الشريف حيث تسابق حكام المماليك في الاهتمام بالأزهر طلاباً وشيوخاً وعمارةً وتوسعوا في الإنفاق عليه والاهتمام به؛ بل والإضافة إلى بنيته المعمارية.

وأما في العصر العثماني فقد أبدى سلاطين آل عثمان احتراماً كبيراً للمسجد، وأهله، بالرغم من مقاومته لهم ووقوفه مع المماليك خلال حربهم مع العثمانيين، إلا أن هذا الاحترام لم يترجم عمليّاً في صورة الرعاية والاهتمام بعمارته أو الإنفاق على شيوخه وطلابه.

إلا أن الجامع خلال تلك الفترة قد أصبح المكان الأفضل لدى عموم المصريين، والأول في تلقي العلوم والتفقه في الدين، وأصبح مركزاً لأكبر تجمع لعلماء مصر كما بدأ في تدريس بعض علوم الفلسفة والمنطق لأول مرة.

وفي عام ١٩٦١م ووفقاً للقانون المصري تمّ إعلان قيام جامعة الأزهر رسميّاً وإنشاء العديد من الكليات.

ومن أشهر العلماء الذين ارتبطت أسماؤهم بالأزهر: ابن خلدون، وابن حجر العسقلاني، والسخاوي، وابن تغري بردي، والقلقشندي، وغيرهم من العلماء.

وأبرز إنجازاته في خدمة الإسلام والتعريف به:

١ ـ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢ ـ إنشاء معاهد الأزهر في دول العالم المختلفة.

٣ ـ البعثات التي أرسلها الأزهر للعالم.

٤ ـ استقبال الطلاب الوافدين لتعلم الإسلام والحصول على الشهادات العلمية المختلفة.

وللاستزادة في التعرف على جهود الأزهر ينظر إلى موقعه على الشبكة العنكبوتية.

وكذلك الاطلاع على الورقة العلمية المقدمة في مؤتمر مكة التاسع بتاريخ ٣/٥/١٤٢٩هـ عن جهود دولة مصر في التعريف بالإسلام.

ولا زال الجامع إلى اليوم قائماً شامخاً تتحدى مآذنه الزمان وتطاول هامات علمائه السحاب، لا يلين لمعتدٍ، ولا ينحني لمتجبرٍ، صادعاً بالحق داعياً إليه ما بقيت جدرانه ومآذنه[١].

ثالثاً: رابطة العالم الإسلامي:

منظمة إسلامية عالمية جامعة، مقرها مكة المكرمة، تنسق الجهود في مجالات التعريف بالإسلام وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات والافتراءات التي تلصق به، شعار رابطة العالم الإسلامي والعمل على جمع كلمة المسلمين، وعونهم في حل مشكلاتهم، وتنفيذ مشروعاتهم الدعوية، والتعليمية، والتربوية، والثقافية. وتشجع الحوار مع أصحاب الثقافات الأخرى؛ وتسعى إلى ما يحقق السلم والأمن والعدل في البشرية، وتحارب العنف والإرهاب.

أنشئت بموجب قرارٍ صدر عن المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بمكة المكرمة في ١٤ من ذي الحجة ١٣٨١هـ، الموافق ٢٨ من مايو ١٩٦٢م. وتمثل الرابطة في معظم المنظمات الإسلامية والعالمية، ومنها منظمة التربية والتعليم والثقافة (اليونسكو)، ومنظمة الطفل العالمية (اليونيسيف)، وهيئة الأمم المتحدة بصفة عضو مراقب بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي بين المنظمات الدولية غير الحكومية ذات الوضع الاستشاري، وتشارك في اجتماعات منظمة التعاون الإسلامي بصفة مراقب؛ كما تحضر مؤتمرات القمة، ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية.

---

(١) www.azhar.eg

أهدافها:

١ ـ التعريف بالإسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً، والدعوة إليه، وتوعية المسلمين بحقائقه النبيلة وفقاً للقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المطهرة.

٢ ـ العمل على تحقيق رسالة الإسلام في نشر السلام، والعدل، وحفظ حقوق الإنسان.

٣ ـ شرح تعاليم الإسلام الصحيحة والدعوة إليها، ودحض الافتراءات عليه؛ والتصدي لمحاولات التشويه لصورته، والتضليل الموجه ضد دعوة الحق.

٤ ـ تنمية التعارف والتعاون بين الشعوب الإسلامية، والعمل على إيقاظ الوعي المشترك بقضايا المسلمين وتطلعاتهم إلى تحقيق العدل والسلام والاستقرار.

٥ ـ بذل الجهود في علاج المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي، وتقديم العون للمسلمين في حل مشكلاتهم، وتحقيق آمالهم المشروعة.

٦ ـ بذل الجهود الممكنة لدفع عوامل النزاع والشقاق وفساد ذات البين داخل الشعوب والجاليات الإسلامية، وفيما بينها.

٧ ـ السعي لنشر الفضيلة، والإصلاح في الأرض، ودفع الإفساد عنها، وحث الناس على طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ.

٨ ـ السعي إلى نشر ثقافة الحوار الحضاري بين شعوب العالم، والعمل على تعميق التعايش الإيجابي، والتركيز على القيم الإنسانية المشتركة، والتصدي لنظريات الصراع الحضاري.

ورابطة العالم الإسلامي بهيئاتها المختلفة أحدثت نقلةً نوعيةً في العمل الإسلامي، تمثَّل ذلك في كفالتها للدعاة وإقامتها للمحاضرات والندوات والمؤتمرات ومساهمتها الفاعلة في التواصل مع جميع شرائح المجتمع العالمي من خلال مؤتمرات الحوار ومعارض التعريف بالإسلام، وغيرها من المناشط المختلفة والتي يمكن الرجوع إليها على موقع الرابطة الإلكتروني[١].

---

(١) http: //themwl.org/global/ar/node/1286

رابعاً: لجنة التعريف بالإسلام في الكويت:

لجنة التعريف بالإسلام هي إحدى اللجان التابعة لجمعية النجاة الخيرية بالكويت. وقد تأسست عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م. **وتهدف إلى الآتي:**

١ ـ التعريف بالإسلام لغير المسلمين.

٢ ـ رعاية المهتدين الجدد.

٣ ـ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٤ ـ توعية الجاليات المسلمة.

بدأت نشاطها بتعليم اللغة العربية وكيفية النطق بها، ومن ثم تعريفهم بمبادئ الإسلام وقيمه وأركانه، وكان ذلك مقصوراً على يوم الجمعة من كل أسبوع، وهو وقت الفراغ الوحيد لدى العمالة المترددة على اللجنة، ومن هذا المنطلق سميت اللجنة باسم «مدارس الجمعة».

وبعد انتشار الفكرة ورواجها وتزايد عدد المترددين عليها ومع مرور الوقت وتعالي الهمم ورغبة أهل هذا البلد المعطاء في نشر الإسلام وبذلهم الغالي والنفيس من أجل ذلك؛ أخذ القائمون على اللجنة في تطويرها وتوسيع دائرة نشاطاتها إلى أن أصبح مقرها الرئيسي بمسجد الملا صالح بشارع فهد السالم.

وقد وصل عدد أفرع اللجنة الآن إلى ١٥ فرعاً في مختلف المناطق الكويتية.

كذلك فإن هذه الأفرع تؤدي دورها بفضل الله تعالى في الدعوة من خلال كفالتها للدعاة الذين وصل عددهم إلى أكثر من ٧٤ داعية يتحدثون بـ ١٤ لغة.

أما حجم الإنجاز الذي تحقق بفضل الله تعالى، ثم بجهود القائمين على هذه اللجنة المباركة ونحن في عام ٢٠١٣م، فهو إنجازٌ مشهودٌ حيث وصل عدد الذين أشهروا إسلامهم منذ نشأتها إلى أكثر من ٦١ ألف مهتدٍ ومهتدية من مختلف الجنسيات.

علاوة على ذلك تقدم اللجنة خدمات اجتماعية وتربوية ودينية وتثقيفية عديدة للمسلمين الجدد، وكذلك لأبناء الجاليات المسلمة ممن يعيشون على أرض الكويت، وذلك من خلال إقامة خطبة الجمعة بمختلف اللغات، وتنظيم مشروع إفطار الصائم سنويّاً والذي يقدم من خلاله أكثر من ١٠٠ ألف وجبة.

إلى جانب تنظيم المحاضرات والندوات والملتقيات لغير المسلمين حيث يتم فيها شرح مبادئ الإسلام شرحاً مبسطاً وسطيّاً واضحاً، كذلك تقيم اللجنة العديد من الأنشطة الترفيهية والترويحية لغير المسلمين، ناهيك عن إقامة دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها بمختلف أفرع اللجنة. وللوصول إلى ذلك الهدف تقوم اللجنة بطباعة وتوفير جميع الوسائل الدعوية من كتبٍ وأشرطةٍ ونشراتٍ للمسلمين ولغير المسلمين بمختلف اللغات.

كذلك تقوم اللجنة بدعم ومد المراكز الخارجية الإسلامية سواء بالدعم المادي، أم المعنوي، وكذلك بالخبرات الدعوية، والتعاون في سبيل خدمة هذا الدين[1].

خامساً: جمعية العون المباشر بالكويت:

تأسست جمعية العون المباشر في عام ١٩٩٩م، وهي جمعيةٌ تهتم بالتعليم، والإغاثة وتنمية قدرات ودخل المجتمعات الفقيرة والرقي بها لدرجة الاعتماد على الذات والمصادر المحلية.

وقد نمت هذه المؤسسة حتى غدت شجرة كبيرة تظلل الملايين من المستفيدين من خدماتها الإنسانية والاجتماعية والصحية والتعليمية ومن مساجدها ومدارسها وآبارها ومشاريعها الخيرية المختلفة.

وقد ركزت خدماتها في المجالات التالية:

١ ـ التركيز على جانبي التعليم والتنمية للفرد.

٢ ـ العناية بالخدمات الصحية وتطويرها.

٣ ـ محاربة الفقر.

٤ ـ تطوير الكفاءات البشرية.

٥ ـ خلق روح التعاون والإبداع.

وكان من أهم إنجازاتها في خدمة الإسلام والتعريف به:

---

(١) ipc.org.kw

١ ـ كفالة ٢٠٠٠ معلم.

٢ ـ كفالة ما يزيد عن ٦٠ ألف يتيم.

٣ ـ كفالة أكثر من ٣٠٠٠ طالب للدراسات الجامعية.

٤ ـ تقديم أكثر من ٧٠٠ منحة دراسية للدراسات العليا.

٥ ـ بناء أكثر من ٤٥٠٠ مسجد في مختلف الدول الأفريقية.

٦ ـ إقامة ١٠ محطات إذاعية في أفريقيا.

ولا يخفى على المتتبع لنشاط هذه الجمعية المباركة ما لمؤسسها المغفور له بإذن الله الشيخ عبدالرحمٰن السميط(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جهودٍ جبارةٍ تعجز عنها بعض الدول(٢).

سادساً: الجامعات الإسلامية:

تعتبر الجامعات الإسلامية؛ كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بباكستان وكوالالمبور وجامعة إفريقيا العالمية وجامعة أم درمان الإسلامية، وغيرها من الجامعات التي تمنح فرص الابتعاث إليها ـ كجامعات المملكة العربية السعودية ومصر والسودان وغيرها من الجامعات الإسلامية والعلمية ـ من أهم الجامعات في خدمة الإسلام والتعريف به لما تتمتع به من كثرة أعدد الطلاب وتعدد جنسياتهم، وما تتمتع به من سلامة المنهج والسمعة الطيبة والتأثير القوي على الساحة الإسلامية والدعوية، بالإضافة إلى ما توفره للطلبة من السكن والإعاشة وتذاكر السفر السنوية ووسائل التعليم. فلها فضلٌ كبيرٌ على الدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم؛ لأن خريجيها هم معظم الدعاة المشهورين في أكثر البلاد. ولا تزال المجتمعات الإسلامية بحاجةٍ

---

(١) الدكتور عبد الرحمٰن حمود السميط ولد في ٣٠ من شهر ذي القعدة عام ١٣٦٦ هجرية وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صباح يوم الخميس ٨ من شهر شوال ١٤٣٤هـ، طبيب متخصص في أمراض الجهاز الهضمي، تفرغ للعمل في جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي إفريقيا سابقاً) كأمين عام ثم رئيس مجلس الإدارة حتى ٢٠٠٨، وتولى رئاسة مركز دراسات العمل الخيري، وتحرير مجلة الكوثر.

(٢) https: //direct-aid.org/donate/ar

إلى مزيد من الدعاة المتمسكين بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة المسلحين بالعلم الشرعي. وينتظر المسلمون من خريجي هذه الجامعات أن يضطلعوا بدورهم الريادي في العمل الدعوي والتعليمي وحل مشكلات الأمة.

ويتجلى دور الجامعات في الآتي:

أولاً: البناء الذاتي للطلاب وذلك بالتأكيد على:

١ ـ الإخلاص وإرادة وجه الله في طلب العلم وفي العمل به والدعوة إليه.

٢ ـ مضاعفة الجهد في طلب العلم، وعدم الاكتفاء بالمقررات الدراسية.

٣ ـ أخذ دورات في المهارات الدعوية والقيادية والإدارية والإعلامية والتربوية مع الإلمام بالتقنيات الحديثة للاستفادة منها في نشر الدعوة.

٤ ـ الإفادة القصوى من الوقت والفرص، والتركيز على البحث والمطالعة.

٥ ـ ممارسة التدريس أثناء الدراسة للتدرب بها.

ثانياً: واجبهم تجاه الطلبة:

١ ـ تعليمهم وتربيتهم.

٢ ـ إعانتهم وتوجيههم.

٣ ـ جمع شملهم، وتوحيد صفوفهم، وإصلاح ذات بينهم.

٤ ـ محاربة الأمراض والعقبات التي قد تقف في طريق الطلاب مثل (الاهتمام بالدنيا، والجري وراء حطامها الزائل من حرصٍ على الشهرة والمال، والتنافس فيهما ـ الخوف من التصنيف والنقد ـ الخوف على الأهل والولد وعلى المستقبل المعيشي ـ الإحباط واليأس ـ ضعف الهمة والشعور بالدونية ـ عدم الشعور بالمسؤولية ـ التكتلات القبلية والإقليمية والحزبية والنفعية).

٥ ـ تشغيلهم وتوظيفهم في العمل الدعوي.

٦ ـ التنسيق مع الطلاب في الجامعات الأخرى والتعاون معهم في الدعوة وإصلاح المجتمع.

ثالثاً: التأكيد على دورهم في دعوة وإصلاح الناس بـ:

١ ـ تنظيم الدروس والمحاضرات.

٢ ـ إرسال قوافل دعوية إلى المدن والقرى والهجر، والتنسيق مع الدعاة المقيمين فيها لإلقاء المحاضرات والدروس.

٣ ـ مساعدة المحتاجين، وتقديم الدعم لهم قدر المستطاع.

٤ ـ مشاركة الأعمال الدعوية الصيفية في بلدانهم.

٥ ـ المشاركة في القوافل الدعوية إلى المدن والقرى والأرياف.

٦ ـ المساهمة في إقامة المؤتمرات العلمية (وهي عبارةٌ عن دروسٍ علميةٍ يلقيها نُخبةٌ من علماء البلاد في مركزٍ دعوي أو مسجدٍ كبير، ويحضرها أعداد كبيرة من جميع شرائح المجتمع، ويتم بث الدروس عن طريق الإذاعات والتلفزة والبالتوك وعن طريق الهواتف، كما يتم تسجيل تلك الدروس بالصوت والصورة؛ ليعم الانتفاع بها. وتستمر هذه الدروس في فترةٍ تتراوح من أسبوع إلى أسبوعين. ويجيب العلماء بعد كل درسٍ عن أسئلة المستمعين. وتقام هذه الدورات في المدن الكبرى، وتحتاج إلى إعدادٍ جيدٍ يستغرق وقتاً من الزمن. وقد يتناول المؤتمر عدة موضوعات تهم المجتمع، وقد يركز على موضوعٍ واحدٍ يتناول العلماء جميع أطرافه.

٧ ـ المحاضرات العامة التي تلقى في المساجد والكتاتيب والمراكز الدعوية والمدارس والمعاهد والجامعات والساحات العامة، ويركز فيها على أصول الدين ومبادئه العامة، والأخلاق الإسلامية، والمشاكل القائمة في تلك البيئة وطرح الحلول المناسبة لها.

٨ ـ إعداد دراسات وبحوث في القضايا المنهجية والمشكلات الاجتماعية (القضايا الدعوية والتربوية ـ إنقاذ الأقليات المسلمة من الذوبان في المجتمعات النصرانية والوثنية، والتصدي للخطوات الرامية إلى شق صفوفهم وإثارة الحروب بينهم ـ مواجهة جماعات التكفير ـ موالاة الكفار وإعانتهم على محاربة المسلمين ـ مواجهة المد التنصيري في العالم الإسلامي ـ السفر والإقامة في بلاد الكفر ـ طرق مواجهة الهجمة اليهودية النصرانية على الأمة الإسلامية ـ نقل الخبرات

والتجارب الدعوية والتربوية والسياسية عن الجماعات الإسلامية ـ الاستفادة من التكنولوجيا والتقنية الحديثة في مجال العمل الإسلامي ـ إعداد دراسات عن الشعوب الإسلامية، ومواطنها، وعاداتها، وخصائصها، وجوانب الضعف فيها، ومدى التزامها بالدين والانحرافات المنتشرة فيها، وأقرب الطرق إلى التأثير عليها ـ توحيد الصفوف وتحقيق التعاون بين العاملين للإسلام وتلافي أسباب الخلاف والشقاق بينهم ـ العصبية القبلية وما يترتب عليها من تفكك المجتمعات والاقتتال الداخلي وضعف الأمة.

٩ ـ المساهمة الفعالة في العمل الإعلامي، ونشر المقالات والبحوث في المجلات الإسلامية بمختلف اللغات.

١٠ ـ توعية الحجاج والمعتمرين ودعوتهم في مكة والمشاعر، وتنظيم دروس ومحاضرات لهم في مساكنهم أثناء زيارتهم للمسجد النبوي.

١١ ـ عقد لقاءات لأعيان ووجهاء الحجاج والمعتمرين، ومناقشة القضايا الدعوية معهم، وترغيبهم في العمل للإسلام.

١٢ ـ إقامة علاقات أخوية مع الطلبة والأساتذة، وتحقيق التعاون وتبادل التجارب الدعوية معهم.

١٣ ـ الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية، والمشاركة الفعالة في حل مشكلاتها قدر المستطاع.

١٤ ـ عرض الدعوة على القبائل بالتعاون مع العلماء والدعاة والأعيان من أهل القبيلة المدعوة.

ومما سبق يتضح أن المؤسسات الإسلامية تقوم بدورٍ فاعلٍ وهامٍّ بالنسبة للعالم الإسلامي وكذلك للمسلمين الجدد علاوةً على جهودها في إيصال الدعوة إلى غير المسلمين، كما يتضح للدعاة والمدعوِّين أيضاً أن تلك المؤسسات تعتبر الضمانة العصرية للحصول على المعلومات الصحيحة والتوجيه المستنير من خلال العلم المنهجي، والاجتهاد المنظم في قضايا الإسلام المختلفة.

٢ ـ الأماكن الإسلامية:

أولاً: مكة المكرمة:

كما حظي الأشخاص من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام باصطفاء الله تعالى لهم وتكريمه لذواتهم حظيت الأماكن أيضاً، ومن أكثر الأماكن التي ينطبق عليها صفة الحظوة في الاختيار: مكة المكرمة، وعلى الدعاة أن يبرزوا أهمية مكة المكرمة بوصفها مكاناً يرتبط بخامس أركان الإسلام وهو الحج، كما أنها تضم بين جنباتها أكرم وأشرف البقاع على الأرض وهو الحرم المكي، بالإضافة إلى احتواء الحرم على بيت الله وهو الكعبة وما للكعبة من مكانةٍ ساميةٍ كقبلةٍ للمسلمين.

على الدعاة أن يوضِّحوا للمدعوِّين أهمية أن يتعاملوا مع مكة بالإجلال المناسب لها، دون أن يتلبس ذلك الإجلال بشركٍ أو بما ينافي حقيقة المكان ورمزيته، فيوضحوا لهم أن توفير المكان واحترامه إنما هو نابعٌ من تعظيم شعائر الله تعالى، وأن الاحترام والتقدير عائدٌ إلى طاعة الله تعالى. **وفيما يلي جانبٌ من المعلومات التعريفية بمكة المكرمة.**

التعريف بمكة المكرمة:

وسمَّاها الله بـ«أمِّ القرى»، فقال: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، وسمَّاها ـ تعالى ـ «البلد الأمين» في قوله جَلَّ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ ـ ٣]، وقال عزَّ من قائل: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾ [البلد: ١، ٢]، وقال عَزَّ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقال تعالى أيضاً على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

مع ظهور دعوة الحق والهداية الإلٰهيَّة، ارتقت مكة وتربَّعت على قمَّة المجد وذروته، وحازَتْ إلى الأبد المرتبةَ الأولى مكانةً، ولا أقدس في العالمين العربي والإسلامي، وفي كلِّ صقع من أصقاع الأرض فيه مسلم، بعد أنْ أصبحت قبلة المسلمين يُولُّون وجوههم إليها خمسَ مرَّاتٍ في اليوم والليلة عند أداء كلِّ صلاة، ويشدُّون الرحال إلى كعبتها المشرّفة من شتَّى أرجاء المعمورة، وقد جعَل الله من هذه المعجزة رابطةً وعروةً وُثقَى لا انفِصام لها بين بيته الحرام بمكة والمسجد الأقصى بالقدس، عندما أَسرَى بالنبي ﷺ حيث عَرج منه إلى السمٰوات العُلَا، وقد خلَّد هذا الحدثَ التاريخي الخارق ـ الذي تَمَّ قبلَ الهجرة في السابع والعشرين من رجب ـ القرآنُ الكريم، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١][(١)].

فقد اختارها الله ﷻ لتضم الكعبة المشرفة قبلة المسلمين وفضَّلها الله ﷻ على غيرها من سائر بلاد العالم وجعلها منسكاً لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليها من كل فجٍّ عميق، لا يدخلونها إلا متواضعين متذللين كاشفي رؤوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا، فليس هناك بقعة غيرها على وجه الأرض يجب على كل قادر أن يسعى إليها قال الله جلَّ ذكره: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] ولم يقل مثابة للعرب دون العجم، إذ كان اسم الناس شاملاً للفريقين، فقد جعله الله مثابةً للجميع، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ الآية [الحج: ٢٦]، فمن شرف مكّة أمنه، ومقام إبراهيم فيه، وحجّ الأنبياء إليه[(٢)].

ومكة كانت دار آدم ﵇، ولم يزل بها الحجر الأسود حتى نزل الطوفان، ثم أمر الله تعالى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ببناء الكعبة، وقد زاد في بنيان بيت الكعبة أبو جعفر المنصور[(٣)].

ومن معالم الحرم الباقية حائط البيت (الكعبة) حِجْرُ إسماعيل، أمَّا «الملتزم»

---

(١) مقبل، «حق العرب والمسلمين في القدس وفلسطين»، ط٢، ص٤٤.

(٢) ابن الفقيه، «البلدان»، ط١، ١/ ٧٥.

(٣) المنجم، «آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان»، ط١، ١/ ٢٦.

وهو مَوضِع استِجابة الدُّعاء فيقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة المشرَّفة[١].

وجاء في حديثٍ لابن عبَّاس مرفوعاً: «**نزَل الحجر الأسود من الجنَّة**»، وفي رواية أخرى: «**الحجر الأسود من الجنَّة**»، وعندما وصَلَ إبراهيم عليه السلام بالبناء إلى الرُّكن الجنوبي، طلَب من ابنِه إسماعيل عليه السلام أنْ يأتيه بحجرٍ صلب، فأخَذ يَبحَث في الأرجاء، وإذا بجبريل عليه السلام يَهبِط من السماء بالحجرِ الأسود فوضَعَه إبراهيم عليه السلام في موضعه حيث مكانه حتى الآن ـ علامةً على بداية الطواف حولها تنفيذاً لأمر ربه[٢].

ولم تكن مكة المكرمة في يومٍ من الأيام في عزلةٍ جغرافية، فقد كانت أسواقها ـ عبر العصور ـ تزدحم بالتجار صاعدين إلى الشام، أو هابطين إلى اليمن، وتمرّس سكانها بالتجارة، وتضخمت رؤوس أموالهم، وكانوا في ثراءٍ ويسرٍ كبيرين، وقد كان من الطبيعي أن لا يقتصر سكانها على العرب وحدهم، فقد كانت تضم عناصر إسلامية يفدون إليها، فقراء وأغنياء يحملون معهم علومهم وفنونهم للمجاورة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقد حبى الله عز وجل مكة المكرمة بموقعٍ فريدٍ متميزٍ، إذ جعل فيها بيته الحرام، وقبلته المشرفة التي تهفو النفوس لزيارتها والتعرف عليها، منذ أن أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بالأذان للناس بالحج ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

الأمر الذي جعل مكة المكرمة ملتقى العديد من العناصر من شتى بقاع العالم الإسلامي مكانة مكة المكرمة الدينية، فهي تحتل مكانة سامية في قلوب المسلمين عامة، فمكة المكرمة خصها الله بأمورٍ لم يخص بها غيرها.

وقد تميزت هذه المدينة بوجود منطقة تحيط بمركز التجمع السكاني حول

(١) عبد الغني، «تاريخ مكَّة المكرمة قديماً وحديثاً»، د. ط، ص٤٦.

(٢) بكداش، «فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهيَّة وما يتعلَّق بها»، ط٥.

بيت الله الحرام، تسمى حرم مكة، لها حدود توارثتها الأجيال منذ القدم، وحافظ عليها المسلمون عبر الزمان وجددوا بناءها، وهي عبارةٌ عن علاماتٍ تعرف بالأنصاب أو الأعلام أو الأميال، لم يكن للبشر أي دخل في اختيارها، وإنما اختارتها العناية الإلٰهية لتحقيق الأمن والأمان لسكان هذا الحرم الشريف، وتتمتع منطقة الحرم بأهميةٍ دينيةٍ عظيمة، من حيث تحريم دخول غير المسلمين إليها، وتحريم قطع شجرها، وتنفير الطير والصيد بداخلها، أو القتال فيها[1] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقد لاقى المسجدُ الحرام كلَّ الاهتمام والرِّعايَة الفائِقَة في العصور الإسلاميَّة المختلفة؛ كالعصر الأموي والعبَّاسي والمملوكي والعثماني، وهو الاهتِمام نفسه والرِّعايَة نفسها اللذان شهدهما في العهد السعودي؛ حيث نال المسجد الحرام عنايةً عظيمةً استثنائيَّةً على نحوٍ غير مسبوق، وما زالت ورشة البناء الهائلة التي تُعرَف بمشروع تَوسِعَة الحرمين الشريفين ـ تَعمَل بلا تَوقُّفٍ مُحَقِّقةً إنجازات ضَخمة تَمَّ فيها تجديدٌ شامل للكعبة المشرَّفة، من تجميلٍ وتزيين وزخرفةٍ وتوسعاتٍ وتحسيناتٍ وترميماتٍ وإصلاحاتٍ واسعة، داخل الحرم المكي الشريف وخارجه، رُوعِي فيها إبراز الطابع العمراني الأصيل للعمارة العربيَّة الإسلاميَّة بأروع سماتها.

ونتيجةً لتزايد الحجيج كلَّ عام؛ لكون حجِّ البيت ركناً من أركان الإسلام، وفرضاً لِمَن استطاع إليه سبيلاً، ولاستيعاب تَنامِي عدد الحُجَّاج الذين فاقَ عدَدُهم في السنوات الأخيرة ثلاثة ملايين حاجّاً، حشَدت المملكة كُلَّ إمكاناتها من ماديَّةٍ وبشريَّةٍ لتَطوِير مَشاعِر الحج، وتَوفِير كافَّة التَّسهِيلات اللازمة لخدمة ضيوف الرحمٰن، فالمَرافِق العامَّة من شبكات مياه الشرب المتطوِّرة والإضاءة الشامِلَة، وإنشاء دورات المياه الكثيرة، وإقامة شبكة من الطُّرُق والشوارع الفسيحة التي تتخلَّلها الجسور والمعابر والأنفاق الضَّخمة لتَخفِيف الازدِحام الشديد خلالَ مَوسِم الحج، ولتَنظِيم حركة المرور بين مكَّة والمشاعر المقدَّسة في عرفة ومنى

(١) الفاسي، «العقد الثمين»، ط١، ١/ ٤١.

ومزدلفة ـ لهو خيرُ شاهدٍ على هذه الإنجازات الكبرى[١].

ومن خصائص البلد الحرام التي ذكرها الله في كتابه: خصيصة الأمن التي تميزت عن غيرها بتكرار ذكرها في القرآن الكريم؛ فقد تكررت في ثماني آيات كريمات بسياقاتٍ مختلفة، منها آية تضمنت قسماً من الله العظيم بالبلد الأمين، قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ ـ ٣].

وآيتان ورد فيهما دعاء نبي الله إبراهيم عليه السلام لمكة بالأمن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وخمس آيات ورد فيها ذكر الأمن في البلد الحرام على صيغة الإخبار والامتنان من الله عز وجل على أهل مكة والناس بذلك، ولبيان شرف البلد الحرام وتميزه عن سائر بلاد الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ٣، ٤].

فهذه ثمانية مواطن في كتاب الله عز وجل فيها الإشارة إلى أمن مكة؛ فمن تأمل في تلك الآيات، وأنعم النظر في أساليبها، ولاحظ تكرار تلك الكلمة (الأمن) أدرك أن الأمن من أهم الأمور التي يجب توافرها قبل غيرها في مكة، كيف لا؛ وقد عُدَّ الأمن من أكبر شروط حسن المكان في أي بقعةٍ على وجه الأرض، ولا خير في أرضٍ يكون فيها الأمن معدوماً؛ فالإنسان أينما كان يقوّم المكان بقدر ما فيه من الأمن والسلامة من المكاره والمخاوف، ويرغب في سكنى المكان أو مفارقته بقدر ما يجد فيه من الأمن؛ فبالأمن يأمن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وبه تُؤمن السُّبل، وتُردّ المظالم لأهلها؛ فينتصر المظلوم، ويُردع الظالم، ويُزار المرضى، ويُحترم الموتى، ويُرحم الصغير ويدلّل، ويُحترم الكبير ويُبجَّل، وتوصل الأرحام، ويُكرَّم الكريم، ويُعاقب اللئيم.

(١) عبد الغني، «تاريخ مكَّة المكرمة قديماً وحديثاً»، د. ط، ص٢٦ ـ ٣٣.

تعمر البلاد إذا شعر أهلها بالأمن، وتنمو ثرواتها إذا شعر أهلها بالأمن، فالحياة المستقرة تكون بالأمن، والفوضى والهرج يكون عند اختلال الأمن.

ولذا؛ لم يغفل الإسلام هذا الجانب؛ بل جاء ليجعل الأمن مقاماً بين الناس، فدعا المسلمين إلى فعل كل ما يكون مساعداً في توفير الأمن والسلامة، وحذرهم من كل ما يكون سبباً في ذهابهما وحلول ضدهما، وإن خير ما يشهد لهذا موقف عرفة، أعظم مجمع في تاريخ الأمة في حجة الوداع يخاطب النّبي ﷺ الأمة إلى قيام الساعة، يأمرها بتحقيق الأمن والسلامة، وبالابتعاد عن كل ما يكون مخلّاً بذلك من القتل ونحوه، فقال ﷺ كما في «صحيح البخاري»: «**أتدرون أي يوم هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **أليس يوم النحر؟** قلنا: بلى، قال: **أي شهر هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: **أليس ذو الحجة؟** قلنا: بلى، قال: **أي بلد هذا؟** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **أليست بالبلدة الحرام؟** قلنا: بلى، قال: **فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟** قالوا: نعم، قال: **اللَّهُمَّ اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب...**».

ومن خلال ما سبق فهذه بعض الدلائل التي توضح أمن مكة وأمانها، **وتؤكد عليه:**

بقاء الكعبة وعدم قدرة أهل الكفر على نقضها مع الرغبة الشديدة في ذلك، وقصة أصحاب الفيل خير شاهدٍ على ذلك؛ فقد أرادوا هدم الكعبة، لكن الله حماها، وأنزل عليهم غضبه، وأذاقهم أشد العذاب والنكال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

عدم تمكن الدجال الأعور من دخول مكة في آخر الزمان، يقول ﷺ كما في «الصحيحين»: «**ليس من بلدٍ إلا سيطؤُه الدجال، إلا مكةَ والمدينةَ، ليس له من نِقَابِها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها...**».

مكة أرض ليست صالحة للزراعة؛ لكن الله سبحانه رزق أهلها من كل

الثمرات كما في قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧﴾ [القصص: ٥٧]؛ وذلك استجابةً لدعوة الخليل عليه السلام حينما دعا بقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

جعل الله في ماء زمزم خاصية الإشباع؛ فهو يغني عن الطعام عند فقده، يقول ﷺ كما في مسند البزار: «**زَمْزَم طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفاءُ سَقَمٍ**»(١).

إن مكةَ مثابةً للناس، ومكان يقدم عليه الناس بكثرة، وكان هذا سبباً لجلب كثير من الأرزاق والثمار من كل أقطار الدنيا إلى البلد الحرام.

مكة مؤمنة من الغزو إلى يوم القيامة، يقول ﷺ كما في المسند: «**لا تُغْزَى هذهِ** ـ أي: مكة ـ **بَعدَهَا أبداً إلى يومِ القِيَامَةِ**»(٢).

مكة مؤمنة من الطاعون، يقول ﷺ كما في المسند: «**المَدينةُ ومكةُ محفوفَتَانِ بالمَلائكةِ عَلى كلِّ نَقبٍ مِنها مَلك لا يَدخلُهَا الدَّجالُ ولا الطَّاعُون**»(٣).

إن المتأمل في الهدى الذي جعله الله سبحانه وتعالى للبيت الحرام فإنه يجد أن الأمور التي ترتبت عليه تنقسم إلى **قسمين**:

١ ـ منح ربانية إذا عمل الناس على الهدى بالبيت.

٢ ـ عقوبات إلٰهية إذا تركوا الهدى بالبيت.

فالمنح الإلٰهية في الهدى بالبيت هي:

١ ـ **هداية في العقائد والتصورات**: هذا البيت العظيم يبني في النفس المنصفة المتأملة فيه طلباً للهداية تصوراتٍ صحيحةٍ عن الله ـ تبارك وتعالى ـ بما

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، ٤/١٩١٩، حديث رقم (٢٤٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند الكوفيين، حديث الحارث بن مالك بن برصاء، ٣١/٣٦١، حديث رقم (١٩٠٢٠). قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٣/٢٢، حديث رقم (١٨٨١).

جعل فيه من الآيات الدَّالةِ على قدرته؛ فليس هناك بيتٌ في الدُّنيا امتنع عن سطوة الملوك والجبابرة على مرِّ هذه الأزمان المتطاولة غير هذا البيت، ولا يزال التاريخُ يحفظ كلمة عبد المطلب لأبرهة: أنا ربُّ الإبلِ، وللبيتِ ربٌّ يحميه، ولا زالت حادثة أصحاب الفيل شاهدة إلى قيام السَّاعة بأنَّ الكعبةَ بيت الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ **هداية في الأحكام والتشريعات**: لقد ربط الله بهذا البيتِ عباداتٍ عدَّة، جعلها الله أعظم العبادات في الإسلام، وعُدَّت من أركان الإسلامِ ومقاصده العظام:

١ ـ ارتباط الصلاة بالبيت الحرام: وذلك باعتباره قبلة كل مصلٍّ، فلا تصح الصلاة إلا بالتوجه للكعبة المشرفة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

٢ ـ جعل الله فيه لعباده مناسك الحج والعمرة: فلا يتم إسلام المسلم المقتدر حتى يفد إلى البيت العتيق ويؤدِّي نسك الحجِّ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاًۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

٣ ـ عبادة الطواف: ربط الله به عبادة الطواف التي يحقق فيها المسلمُ تعبده لربِّه، ويحصل على الخير العظيم من تقبيل الحجر الأسود، والمسح على الركن اليماني، ومن الطواف نفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

٤ ـ أثر القبلة في تحقيق أمره الشرعي بالاجتماع، فالأمة الإسلامية بأكملها ومن كل نواحي الدنيا يتجهون إليها وقت أداء صلواتهم المفروضة وغير المفروضة، وفي دعواتهم لخالقهم، وقراءتهم للقرآن وغير ذلك من العبادات التي يشرع فيها استقبال القبلة وجوباً أو استحباباً، ولا شك أن هذه الصور من أهم مظاهر الاجتماع والوحدة.

٣ ـ **هداية في المآل والنعيم في الجنات**: ومن أمثلة ذلك: الحجُّ إلى بيت الله الذي هو من خواصِّ البلد الحرام، قد جعل الله سبحانه جزاءه الجنة؛

يقول رسول الله ﷺ كما في «الصحيحين»: **«وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»**[(١)].

وأما العقوبات الإلٰهية في ترك الهدى بالبيت فهي ما يلي:

١ ـ قيام الساعة وخراب العالم، يقول ﷺ كما في «صحيح مسلم»: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ»**[(٢)].

٢ ـ خراب البيت، يقول الرسول ﷺ كما في «المستدرك»: **«لن يستحلَّ هذا البيتَ إلا أهلُه؛ فإذا استحلوه فلا تَسلْ عن هلكَةِ العرب، ثم تظهر الحبشةُ؛ فيخربونه خراباً لا يُعمرُ بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزَه»**[(٣)].

٣ ـ هلاك العرب خاصة، والناس عامة، يقول ﷺ كما في الحديث السابق: **«لن يستحلَّ هذا البيتَ إلا أهلُه؛ فإذا استحلوه فلا تَسلْ عن هلكَةِ العرب»**[(٤)]، ويقول سعيد بن جبير: لا يزال الناس بخير ما حجوا واعتمروا.

ومما سبق يتضح أن مكة المكرمة لها مكانتها التي حباها الله بها ولها مكانتها في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وعلى الدعاة أن يوضحوا هذه المكانة وأن يبرزوها كمَعْلَمٍ ورمزٍ إسلاميٍّ دالٍّ على عظمة شعائر الله ووحدة الأمة وقوتها في توجهها لقبلة واحدة، كما أن على الدعاة أن يلفتوا نظر المدعوِّين إلى جلال شعيرة الحج وإلى جوهرها وهي التجرد لله تعالى والمساواة بين العباد أمام الله تعالى، وكيف أن الناس يفدون إليها من كل مكان، وما يظهر من الانتظام بدقةٍ فائقةٍ في الصلاة والطواف وأداء المناسك وغيرها، مما يجلب الدهشة للمدعو ويعلم أن ذلك كله تدبيرٌ وتيسيرٌ وتسخيرٌ من ربِّ العالمين جلَّ في علاه.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، ٣/٢، حديث رقم (١٧٧٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ٢/٩٨٣، حديث رقم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾، ٢/١٤٩، حديث رقم (١٥٩٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، ١٣/٢٩٠، حديث رقم (٧٩١٠). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

ثانياً: المدينة المنورة:

لم تقلّ المدينة المنورة عن مكة أهمية فقد كان لهجرة النبي ﷺ إليها اختيار واصطفاء من الله تعالى لهذه الأرض الطيبة، وما أظهره رجالها من الأنصار من حبٍّ ومحاباةٍ ونصرةٍ لله ورسوله، جعل رسول الله ﷺ محبّاً لها متعلقاً بسكناها داعياً إلى الله تعالى أن يبارك فيها، وكان فيها مقامه وقبره الشريف وقبور آل بيته وأمهات المؤمنين وخيار الصحابة من مهاجرين وأنصار، لذلك فعلى الدعاة أن يوضّحوا للمدعوِّين أهمية المدينة المنورة كرمزٍ للتاريخ المشرق للدين الإسلامي وكأرضٍ طيبةٍ رضي الله أن ينصر دينه فيها، وأن تكون مركزاً للرحمة والحكمة والنور والهدى، **وفيما يلي جانباً من المعلومات التعريفية بالمدينة المنورة:**

لا تخفى مكانة المدينة المنورة الإسلامية والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية على نظر أحَد، فيكفيها فخراً: أنها هي التي آوت ونصرت واحتضنت رسولَ الله ﷺ، وتزداد تباهياً بأنْ يضم ثراها خير البرية، وتتألق بين العواصم الإسلامية بأنها الأرض التي وقَع على ترابها المؤاخاة العظيمة بين المهاجرين والأنصار، وفي فرحٍ وحبورٍ تهمس فرحاً بأنها شهِدت أولى غزوات ومعارك نشر الإسلام، وبها اشتدت شوكة الإسلام والمسلمين، وتقف مزدانةً بين كل الحواضر بذلك الصَّرح والشموخ الذي يتمثل في جَبل أُحُد، الذي قال عنه رسولُ الله ﷺ: «**أُحُدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه**»، ومن الأحاديث الدالة على فضل المدينة المنورة حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها، وحرَّمتُ المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ودعوت لها، في مدِّها وصاعِها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة**»[(١)].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، فلما أشرف على المدينة، قال: «**اللَّهُمَّ إني أُحرم ما بين جبليها مثل ما حرم به إبراهيم مكة، اللَّهُمَّ بارك لهم في مُدّهم وصاعهم**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ٢/ ٩٩١، حديث رقم (١٣٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها =

حديث أنس رضي الله عنه. عن عاصم، (قال: قلت لأنس أحرمَ رسول الله ﷺ المدينة؟ قال: نعم، ما بين كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). قال عاصم: فأخبرني موسى بن أنس أنه قال: أو آوى مُحدثاً)(١).

حديث علي رضي الله عنه. خطبنا علي رضي الله عنه على منبرٍ من آجُر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة، فقال: والله، ما عندنا من كتاب يُقرأ إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة. فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل، وإذا فيها: (المدينة حرم من عير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)، . . . الحديث(٢).

حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها. قال رسول الله ﷺ: **«ما بين لابتيها حرام»**(٣).

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ، حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أن قال: **«يأتي الدجال، وهو مُحرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه. فيقول: أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في**

= بالبركة وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ٢/ ٩٩٣، حديث رقم (١٣٦٥).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب إثم من آوى محدثاً، ٩/ ١٠٠، حديث رقم (٧٣٠٦)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ٢/ ٩٩٤، حديث رقم (١٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع ٩/ ٩٧، حديث رقم (٧٣٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لابتي المدينة، ٣/ ٢١، حديث رقم (١٨٧٣)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ٢/ ٩٩٩، حديث رقم (١٣٧٢).

الأمر؟ فيقول: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قطُّ أشدَّ بصيرةً مني اليوم، فيقول الدجال: أَقتُلُهُ فلا أُسلَّط عليه»(١).

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**ليس من بلدٍ إلا سيطؤهُ الدجال، إلا مكة والمدينة. ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق»**(٢).

وقال ﷺ: «**لا يصبر أحد على لأوائها وجهدها، إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»**(٣)، هذا يدلُّ على المكانة العظيمة التي اختصت بها المدينة المنورة عن سائر البلدان والمدن، وإلا لما كان النبي صلوات الله وسلامه عليه قد خصَّها بهذه المكانة في أن الصابر على التعايش بين ظروفها التي تمر به في هذه الحياة، إلا وكان النبي ﷺ شفيعاً أو شهيداً له يوم القيامة.

فقد ثبت أن الإقامة والمجاورة فيها له من الخصال التي لا تعد ولا تحصى ومن الصفات التي يحملها طالب العيش فيها، ألا وإن الذين يطلبون العيش فيها ومجاورتها قد خصهم بذلك النبي ﷺ. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا بخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل جاء ينظر إلى متاع غيره»**(٤). فقد حرص الرسول الكريم عليه أتم الصلاة وأفضل التسليم على أن يكون القادم إلى هذه المدينة طالباً للعلم أو متعلمه كي تحصل له الدرجات العظيمة وتكتب له المنزلة العظيمة التي يحصل عليها المجاهدون في سبيل الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٣/ ٢٢، حديث رقم (١٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٣/ ٢٢، حديث رقم (١٨٨١).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ٢/ ٩٩٢، حديث رقم (١٣٦٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب صلاة التطوع والإمامة وأبواب متفرقة، ٢/ ١٤٨، حديث رقم (٧٥١٧).

وثبت عن النبي ﷺ أنه دعا لأهل المدينة المنورة بزيادة البركة في مدهم وصاعهم، وقد أنجز له الله تعالى ما وعده ودعاه به، فحصلت البركة من الله تعالى نتيجةً لهذا الدعاء الطيب المبارك الطاهر من الرسول الكريم ﷺ.

حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرّم إبراهيم مكة ودعوت لها، في مدِّها وصاعِها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة**»(١).

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ، قال: «**اللَّهُمَّ بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومُدِّهم**»(٢)؛ يعني: أهل المدينة.

حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**اللَّهُمَّ اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**»(٣).

وحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حُمّاها إلى الجُحفة، اللَّهُمَّ بارك لنا في مُدّنا وصاعنا**»(٤).

من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه،... فلما أشرف على المدينة، قال: «**اللَّهُمَّ إني أُحرم ما بين جبليها مثل ما حرم به إبراهيم مكة، اللَّهُمَّ بارك لهم في مُدّهم وصاعهم**»(٥).

---

(١) سبق تخريجه ص٦٦٢.
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده، ٣/٦٨، حديث رقم (٢١٣٠)
(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، ٣/٢٣، حديث رقم (١٨٨٥).
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، ٨/٨٠، حديث رقم (٦٣٧٢).
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب الأطعمة، باب الحيس، ٧/٧٦، حديث رقم (٥٤٢٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها، ٢/٩٩٣، حديث رقم (١٣٦٥).

وحديث أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا به أن قال: «**يأتي الدجال، وهو مُحرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه. فيقول: أرأيت إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكون في الأمر؟ فيقول: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت قطُّ أشدُّ بصيرةً مني اليوم، فيقول الدجال: أَقتُلُه فلا أُسلَّط عليه**»[(٢)].

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**ليس من بلدٍ إلا سيطؤهُ الدجال، إلا مكة والمدينة. ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق**»[(٣)].

ومن الناحية الصحية والأوبئة التي تصيب الناس والبلدان فقد دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لشفاء الناس في المدينة من الحمى والأمراض، فقال صلى الله عليه وسلم حينما أصاب الناس الوباء: «**اللَّهُمَّ انقل وبائها إلى الجحفة**». ورد عن موسى بن عقبة، عن سالم عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**رأيت في المنام امرأة سوداء ثائرة الشعر أخرجت من المدينة فأسكنت في مهيعة الجحفة تأولتها بأن وباء المدينة ينقله الله إلى مهيعة، وكانت الجحفة يومئذٍ دار شرك**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٣/ ٢٢، حديث رقم (١٨٨٠)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ٢/ ١٠٠٥، حديث رقم (١٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٣/ ٢٢، حديث رقم (١٨٨٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ٣/ ٢٢، حديث رقم (١٨٨١).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، «مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه»، =

وفيما يلي يمكن إجمال جانب من خصائص المدينة المنورة:

١ ـ اختصاصها بكون الإيمان يأرز إليها.

٢ ـ هي دار الإسلام أبداً.

٣ ـ يئس الشيطان أن يعبد فيها.

٤ ـ تعظيم الصغيرة من الذنوب في المدينة فتكون كبيرة، لقوله ﷺ: «**من أحدث فيها حدثاً**...» والحدث: يشمل الصغيرة أيضاً، فهي بها كبيرة، لذا يعظم جزاؤها لدلالتها على تهاون وجرأة مرتكبها بحرم رسول الله ﷺ.

٥ ـ اختيار الله تعالى أهلها ليكونوا أنصار الله وأنصار رسوله ﷺ، فكانوا أهلاً للنصرة والإيواء.

٦ ـ مضاعفة ثواب الأعمال الصالحة فيها، من صلاةٍ وصيامٍ وصدقة.

٧ ـ لا يريد أحد أهلها بسوء، إلا أذابه الله تعالى كما يذوب الملح بالماء.

٨ ـ تحريم الإحداث فيها، أو إيواء المحدث.

٩ ـ تأسيس وبناء مسجدها على يد النبي ﷺ. وشارك معه كبار الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

١٠ ـ هي أول بلدٍ اتخذ فيها مسجد لعامة المسلمين في هذه الأمة.

١١ ـ مسجدها أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال.

١٢ ـ اشتماله على بقعة هي أفضل بقاع الأرض بالإجماع، وهي الموضع الذي ضم جسد النبي ﷺ في حجرته.

١٣ ـ الصلاة في المسجد النبوي الشريف أفضل أو خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وهذا الفضل شامل لصلاة الفرض والنافلة، والله أعلم.

= ١٠/٣٤٦، حديث رقم (٦٢١٦)، والدارمي في «سننه»، كتاب الرؤيا، باب في القمص، والبئر، واللبن، والعسل، والسمن، والتمر، وغير ذلك في النوم، ٢/١٣٧٩، حديث رقم (٢٢٠٧). قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

١٤ ـ ما بين المنبر الشريف والبيت الشريف روضةٌ من رياض الجنة، فهي مخصصة بذلك.

١٥ ـ وبناءً على ما سبق يتضح أن المدينة المنورة بما حباها الله من مكانةٍ وإجلالٍ نابع عن اختياره لها ﷻ لتكون نقطة انطلاق لنصرة دينه، ومركزاً للرحمة والعلم، وعلى الدعاة أن يظهروا هذه المكانة من خلال استعراض تاريخ هذه المدينة العظيمة التي لم تشابهها مدينة في كرمها وجودها وطيبها فحقت أن تكون مدينة رسول الله ﷺ، وعلى الدعاة أيضاً أن يوضحوا أن مهاجري مكة وأنصار المدينة بالرغم من أن البلدتين كانت تعد دولاً منفصلةً وشعوباً غير متقاربة إلا أن الله ألَّف بين قلوبهم وجعلهم إخواناً مناصرين للدين الحق دالٌّ على أن الدعوة لا تحدها الحدود ولا تقتصر على شعبٍ أو دول.

ثالثاً: بيت المقدس:

القبلة الأولى التي ارتضاها الله تعالى لعباده المسلمين كانت بيت المقدس، وسرى رسول الله من مكة إلى المدينة كانت بيت المقدس، ونقطة الانطلاق من الأرض إلى السماء عروجاً برسول الله ﷺ كانت بيت المقدس، وعلى الدعاة أن يلتفتوا إلى تلك النقاط الهامة والتي تعد دليلاً على تعظيم الله تعالى لتلك البقعة التي باركها، كما أن على الدعاة أن يوضحوا أن بيت المقدس بما يضم من معالم إسلامية هو سجل التاريخ الإسلامي العظيم في التعامل مع غير المسلمين، فحين كانوا مسالمين شهدوا الوثيقة العمرية، وحين كانوا غازين شهدوا بأس صلاح الدين الأيوبي، **وفيما يلي توضيح لجانبٍ من المعلومات التعريفية ببيت المقدس:**

أُسري بالرسول ﷺ وعُرِج به إلى السَّماء قبل الهجرة النبويَّة بعام وبضعة أشهر، وقد بيَّن القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

ويقول الرَّسول ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحال إلَّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»(١)؛ ويقول أيضاً: «**فُضِّلت الصلاة في المسجد**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب =

الحرام على غيرِه بمائة ألْف صلاة، وفي مسجدي بألف صلاة، وفي مسجد بيْت المقدس بخمسمائة صلاة»[(١)].

فالمسجد الأقصى كما نرى من النصوص الإسلامية؛ مسرى الرَّسول ﷺ ومنطقة عروجه، وهو أولى القِبلَتين وثاني مسجدَين وُضِعَا في الأرض، وهو منزلٌ مباركٌ تُضاعَف فيه الحَسنات، وتُغفر فيه الذنوب.

ومن الآيات الدالة على مكانة بيت المقدس:

يقول تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

ومن المتفق عليه دون خلافٍ أو تأويلٍ أنّ المسجد الأقصى في القدس من أرض فلسطين.

وقال تعالى في قصة إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨١].

والأرض المباركة هي فلسطين؛ أي: ما حول المسجد الأقصى وذلك باتفاق الآراء. وقال تعالى في قصة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ: ١٨].

وهو ما كان بين مساكن سبأ في اليمن وبين قرى الشام من العمارة القديمة فباركنا فيها؛ أي: الشام ومنها القدس مركز البركة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين: ١ ـ ٣].

= فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ٢/ ٦٠، حديث رقم (١١٨٩)، مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ٢/ ١٠١٤، حديث رقم (١٣٩٧).

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، باب ما جاء في الصلاة في المسجد الجامع، ١/ ٤٥٣، حديث رقم (١٤١٣). وضعفه الألباني.

قال ابن عباس: التين بلاد الشام والزيتون بلاد فلسطين وطور سينين الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام. والبلد الأمين مكة.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ [المؤمنون: ٥٠].

قال ابن عباس: هي بيت المقدس.

وهناك آيات أخرى فسّرها المفسرون على أنّها تدلُّ على بلاد الشام بعامة التي منها بيت المقدس[١].

فمكانة القدس والأرض المباركة في القرآن الكريم لا تقل أهميةً عن مكانة القدس الحرام. ولهذا السبب كان المسجدان مرتبطين بالإسلام ارتباطاً وثيقاً. ولهذا السبب فهم المسلمون الأوائل مسؤولية الدفاع عنهما والجهاد لأجل الحفاظ على قدسيتها. حتى يرث الله الأرض وما عليها.

ومن الأحاديث الدالة على مكانة بيت المقدس:

حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: (يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس فقال: «**أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاةً فيه كألف صلاةٍ فيما سواه**. قالت: أرأيت من لم يطقْ أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: **فليهد إليه زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى له كان كمن صلى فيه**»)[٢].

في فضل العبادة والصلاة ببيت المقدس: روى الإمام أحمد عن معقل بن أبي معقل الأسدي؛ أن رسول الله ﷺ نهى أن نستقبل القبلتين ببولٍ أو غائط. والقبلتان هما الكعبة والمسجد الأقصى.

عن عبد الله بن الديلمي قال: دخلت على عبد الله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له: الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزن بشرب الخمر. فقلت بلغني عنك حديث. أنه من أتى بيت المقدس لا ينهزه إلا الصلاة فيه خرج من

---

(١) انظر: سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥، وسورة ق، الآية: ٤١، وسورة النور، الآية: ٣٦، وسورة النحل، الآيتان: ١٧ ـ ١٨، وسورة الحديد، الآية: ١٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، مسند القبائل، حديث ميمونة بنت سعد، ٤٥/٥٩٧، حديث رقم (٢٧٦٢٦). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

خطيئته مثل يوم ولدته أمه. ثم قال عبد الله بن عمرو: إني لا أحل لأحدٍ أن يقول عليّ ما لم أقل. سمعت رسول الله ﷺ يقول: ... الحديث[(١)].

وجاء في الحديث: «**من أهلّ بحجةٍ أو عمرةٍ من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله ما تقدم من ذنبه (أو وجبت له الجنة)**»[(٢)]، من أهلّ بعمرة من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب[(٣)].

عن جابر، أنّ رجلاً قال: «يا رسول الله أيّ الخلق أول دخولاً إلى الجنة؟ قال: **الأنبياء**. قال: ثم من؟ قال: **الشهداء**. قال: ثم من؟ قال: **مؤذنو المسجد الحرام**. قال: ثم من؟ قال: **مؤذنو بيت المقدس** قال: ثم من؟ قال: **مؤذنو مسجدي هذا**. قال: ثم من؟ قال: **سائر المؤذنين على قدر أعمالهم**»[(٤)].

وروى البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء رفعه: «**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة**»[(٥)]. قال ﷺ: «**لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى**». وفي رواية أخرى: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي**»[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ١١/٢١٩، حديث رقم (٦٦٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه»، كتاب المناسك، باب في المواقيت، ٢/١٤٣، حديث رقم (١٧٤١). وضعفه الألباني.

(٣) وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه عبد الله كما روي ذلك في: العليمي، «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، د. ط، ص١٤٦.

(٤) البستي، «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى»، ط٢، ص١٤٨.

(٥) أخرجه ابن ماجه في «سننه»، كتاب «إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها»، باب ما جاء في الصلاة في المسجد الجامع، ١/٤٥٣، حديث رقم (١٤١٣). وضعفه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه»، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ٢/٦٠، حديث رقم (١١٨٩)، مسلم في «صحيحه»، كتاب الحج، باب لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ٢/١٠١٤، حديث رقم (١٣٩٧).

ومن أهم معالم المسجد الأقصى الشريف:

الصخرة المقدسة: وتوجد في قلب المسجد الأقصى في وسط مسجد الصخرة تعلوها القبة الذهبية.

وهذه الصخرة هي التي هبط عليها سيدنا رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بعد أن حمله البراق وسرى به عليه الصلاة والسلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. ورد في فضلها الأحاديث والآثار وشاع ذكرها في البلاد والأقطار، والزائر لها لا يجوز له أن يقوم بتقبيلها أو لمسها أو التمسح والتبرك بها.. بل يصلي ركعتين بجوارها ويجعلها على يمينه في صلاته.

وتحت هذه الصخرة المقدسة توجد مغارة عبارة عن تجويف واسع غير منتظم..

يصفهما ابن بطوطة في كتابه «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»:

(صخرةٌ صماء ارتفاعها قدر قامة وتحتها مغارة مقدار بيت صغير يُنزل إليها على درجٍ وهنالك شكل محراب وعلى الصخرة شبّاكان اثنان محكما العمل يغلقان عليها أحدهما من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب).

مسجد الصخرة: يُعد مسجد الصخرة الرمز المعماري للمسجد الأقصى ولمدينة القدس ويضم المسجد بداخله الصخرة المقدسة ومشيد به من خارجه القبة التي تحيط بالصخرة، بناؤه مثمن الشكل من الداخل والخارج بني بفنٍّ وإتقانٍ وعمارته كانت عمارة فريدة قد عزّ نظيرها وقلّما يوجد مثيلها على وجه الكرة الأرضية.

قبة الصخرة: صرحٌ إسلامي عظيمٌ، تُعد من أجمل وأروع ما بُني في العالم قاطبة مكونة من طبقتين:

قاعدة تحمل رقبة القبة والقبة مغطاة بصفائح النحاس المطلية بالذهب..

وتعد قبة الصخرة من أهم وأبرز معالم المسجد الأقصى الشريف.. يقول ابن بطوطة في وصفه لها:

(تتلألأ أنواراً وتلمع لمعان البرق يَحار البصر في تأمل محاسنها ويقصر

لسان رائيها عن تمثيلها) وبجانب قبة الصخرة هناك قبابٌ أخرى متفرقة في ساحات المسجد الأقصى منها ما كان معدّاً لبحث أمور الرعية، ومنها ما استخدم ليكون مقرّاً للعلم والعلماء، ومنها ما استخدم للصلاة والتعبد.. من هذه القباب: قبة السلسلة وقبة المعراج.

الجامع القبلي (المسجد القبلي): وهو موضع الإمام حاليّاً في الصلاة.. قبته رصاصية اللون مكونة من طبقتين أيضاً قاعدة غير مرتفعة تحمل رقبة القبة وقد كانت مثل قبة الصخرة مغطاة بصفائح النحاس المطلية بالذهب إلا أنها استبدلت حاليّاً بألواحٍ من الرصاص.

ويُعد جزءً من الجامع القبلي وتابعاً له كُلّاً من: جامع عمر وهو: الممتد بمحاذاة السور الجنوبي للجامع القبلي.. والمصلى القديم أو المسجد القديم وهو: الموجود تحت الرواق الأوسط للجامع.

المصلى المرواني أو المسجد المرواني: وهو عبارة عن أرْوقة حجرية قائمة على دعامات قوية.. ويتم الوصول إليه من خلال سلم حجري شمال شرق الجامع القبلي وقد دنسه الصليبيون عند احتلالهم لبيت المقدس.

مسجد النساء: وهو المسجد الملاصق لجدار المسجد القبلي ويوجد بمحاذاة الحائط الجنوبي له وبناؤه مرتفع عنه.. به جزء للمتحف الإسلامي وجزء لمكتبة الأقصى الشريف وجزء يستخدم كمستودع.

وجامع المغاربة: يلي مسجد النساء.. به متحفٌ ومقتنياتٌ إسلامية وآثار عهود الفتح الإسلامي لبيت المقدس وداراً للكتب الإسلامية.

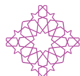
مسجد البراق (مصلى البراق): يوجد في الساحة الجنوبية في المكان المحاذي لحائط البراق بالقرب من باب المغاربة.. ويتم النزول إليه بدرج.. وقد سمي بهذا الاسم لمرابضة البراق في موضعه ليلة الإسراء والمعراج..

وحائط البراق: هو الحائط الذي وقف وربض فيه البراق في ليلة الإسراء والمعراج.

يُعَدّ جزءً من الحرم القدسي الشريف طوله حوالي مائة متراً وارتفاعه حوالي عشرون متراً وأمامه رصيف بعرض أربعة أمتار تقريباً.

بناءً على ما سبق يتضح أهمية بيت المقدس ومكانته الدينية، والتاريخية، والاجتماعية، بالنسبة للمسلمين، وعلى الدعاة أن يوضحوا تلك الأهمية للمدعوِّين وأن يلفتوا نظر المدعوِّين إلى الممارسات السياسية، والعرقية، التي تتعرض لها تلك البقعة الغالية على كل مسلمٍ ومسلمة، وأن يوضحوا عدالة المطالبة بالحفاظ عليها من التعديات التي قد تمارس من خلال أهداف سياسية، لا تراعي حرمة إنسانية ولا حرمة دينية.





الخاتمة

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، **وبعد:**

في خاتمة البحث، هذا ملخصٌ لأهم النتائج والتوصيات:

النتائج:

١ ـ أن مجالات الدعوة إلى الإسلام قد كثرت وحاجة الدعاة إلى الوسائل والأساليب الجديدة المرتبطة بالمنهج النبوي سُنَّةً وبالواقع حاجةً وبالإبداع والابتكار والتجديد بياناً لهو من الأمور المهمة التي يجب على الدعاة صرف التنبه له.

٢ ـ التعريف بالإسلام هو الخطوة الأولى في دعوة الناس إلى الله، فلا يمكن أن تدعو إنساناً لشيءٍ هو يجهله.

٣ ـ الحديث عن فكرة التعريف بالإسلام في هذا الوقت من الأهمية بمكانٍ في ظل الحملات المنظمة التي تشنها بعض الجمعيات والمؤسسات، بل الدول في تشويه صورة الإسلام ورموزه ومجتمعاته وقيمه وأخلاقه، وأنه أخطر قادم.

٤ ـ المنهجية في التعريف بالإسلام إنَّما نريد بها مادة التعريف بالإسلام والطُّرق والسُّبُل المسلوكة في تبليغها للناس كافة.

٥ ـ تأتي أهمية بناء المنهجية العلمية في مجال التعريف بالإسلام على وجه الخصوص؛ لخلو المكتبة الإسلامية من رسالةٍ علميةٍ تسد هذا الفراغ المنهجي في مجال التعريف بالإسلام؛ ولذا كان من الواجب على المهتمين بمجال دعوة غير المسلمين سد هذه الثغرة المهمة لرسم منهجية معتبرة لتأهيل الدعاة المعرِّفين بالإسلام تختصر لهم الوقت والجهد وتحقق لهم الثمار المرجوة من دعوتهم بأفضل الطرق الموصلة إلى الهدف المرجو.

٦ ـ الاهتمام بالمنهجية يُعد تأصيلاً للفكر ولا يتحقق إلا بالتَّحصين الثقافي والتميُّز الحضاري للأمة الإسلامية، ولا يتأتّى ذلك إلَّا بالعودة إلى الجذور والينابيع الأصيلة للفكر الإسلامي والتي أصلها الأوحد هو الوحي من أجل ضبط حركة الفكر في انطلاقته وأهدافه، ووسائله وحمايته من الانحراف والانتكاس.

٧ ـ دور المعرِّف بالإسلام معرفة الحق والالتزام بما ورد في الكتاب والسُّنَّة، وعليه أن يتدبَّرهما ويستخرج منهما بيان هذه الحقائق وتحديدها وتفصيلها ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥]. ومن ثم تبليغه للناس.

٨ ـ إنَّ المضمون الدعوي توقيفي لا تصرُّف فيه، أمَّا المنهج فإنَّه اجتهادي، ولذا تتعدد مناهج النَّاس في تبليغ دين الله تعالى، وكلهم يسيرون على أسسٍ ومبادئ راسخة تحدد ملامح تلك المناهج، حتى تصل إلى الهدف جميعاً فلا تزيغ أو تنحرف.

٩ ـ إنْ كانت المناهج اجتهادية؛ فإنَّ ذلك يقتضي أنْ تكون عُرضةً للخطأ، ولذا فالتقويم مطلوب، والمناصحة مقبولة، ويمكن أنْ نقول إنَّ نفس الحديث عن المنهج يُعدُّ مظهراً من مظاهر النُّضج في التفكير وتجاوز الوقوف عند المسائل الفرعية وتكرارها والجدل فيها على حساب الأصول.

١٠ ـ تأتي أهمية إبداء الملاحظات على الوسائل والأساليب؛ لأنها لا تقدح في أصل المنهج بالضرورة، فقد تكون المناهج سليمة وتأتي الأخطاء في تطبيقها أو تنزيلها على الواقع، ولذا فإنَّه لا بدَّ من اتِّساع الفهم، وحسن القبول والاستفادة من المفيد الموضوعي منها، ومناقشة ما يحتاج إلى المناقشة بما يُحقِّق الفائدة لمن أبدى الملاحظة لغيره.

١١ ـ مفهوم التعريف بالإسلام: هو العرض والبيان لعقائد وعبادات وتشريعات الإسلام لغير المسلمين عن طريق بناء تصورٍ صحيحٍ أو تصحيح تصورٍ خاطئ أو إزالة شبهة.

١٢ ـ من خلال دراسة النصوص الشرعية يتبين أن أبرز المرادفات لمصطلح التعريف بالإسلام في القرآن سبعة مرادفات وهي: [البيان، البلاغ، التلاوة، والإسماع، والإيصال، القول، العرض].

١٣ ـ العلاقة بين التعريف بالإسلام ومصطلحات الدعوة والدعوة إلى الله والتعليم بينها عمومٌ وخصوصٌ يجب مراعاته عند مزاولة الدعوة.

١٤ ـ أهداف التعريف بالإسلام المرجوة من المُعَرّفين به بعد المعرفة تتلخص في الآتي:

١ ـ قبول الإسلام والدخول فيه.

٢ ـ إزالة تصور خاطئ عن الإسلام.

٣ ـ بناء تصور صحيح عن الإسلام.

٤ ـ التحييد.

٥ ـ النصرة.

٦ ـ إقامة الحجة.

٧ ـ رفع الحرج عن الأمة.

١٥ ـ ليس كل منتسبٍ للإسلام يحمله علماً وعملاً، وليس كل من يحمله علماً وعملاً يستطيع الدعوة إليه، وليس كل داعية لدية قدرة على الإقناع بالإسلام، وليس كل من يقنع بالإسلام يستطيع أن يرد الشُّبه التي ترد عن الإسلام. فمرحلة الإقناع وردّ الشبهات لا يستطيع أن يقوم بها إلا المعرِّف بالإسلام، وعلى ذلك فكل معرِّفٍ داعية وليس كل داعيةٍ معرِّفاً.

١٦ ـ شواهد التعريف بالإسلام في الكتاب والسُّنَّة كثيرة ومتنوعة مما يوجب على الباحث أن يدقق النظر فيها ليظهر له من التوجيه القرآني والنبوي ما يرسم له الطريق.

١٧ ـ نشأة مصطلح التعريف بالإسلام وظهوره له أسبابه التي يجب العناية بها.

١٨ ـ الأسلوب المناسب والوسيلة الملائمة في الوقت المناسب هي أقصر طريق موصل لتحقيق أهداف التعريف بالإسلام.

١٩ ـ الأسلوب في الدعوة إلى الله هو: طريقة العرض والتأثير والإقناع التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه، ومن ثم تحقيق الهدف الذي يصبو إلى تحقيقه.

٢٠ ـ وسائل الدعوة إلى الإسلام متجددةٌ ومتطورةٌ ومتنوعة، وعلى دعاة الإسلام وعلمائه أن يستفيدوا منها لتبليغ دعوة الله إلى الناس، وبكل اللغات إن أمكن ذلك.

٢١ ـ الداعية الناجح لا يترك وسيلةً لعرض دعوته وكسب الأنصار لها إلا استعملها، دون حصرٍ لنفسه في دائرةٍ ضيقةٍ من الوسائل، مع الحفاظ على ثوابت الدعوة وأصولها، وبما يتناسب مع الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

٢٢ ـ الدعوة إلى الإسلام من أعمال رسول الله ﷺ وأتباعه، ولذا لا بد أن تكون منطلقةً من كتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، منضبطةً بأحكام الإسلام في مناهجها وأساليبها ووسائلها، مع عدم الخلط في هذا الجانب والتقييد بالضوابط التي حددها العلماء لاستخدام الوسائل.

٢٣ ـ العلاقة بين مهمَّة الداعية المعرف بالإسلام وصفاته يجب أن تكون واضحة ومحددة حيث أن كل مهمة ـ بحسب طبيعتها ـ تقتضي للنجاح فيها، أن يكون القائم بها متَّصفاً بمواصفات، أو مؤهَّلاً بمؤهِّلاتٍ تمكِّنه من القيام بها على أكمل وجه.

فالعلاقة وطيدة بين المهمَّة المنوطة به ونوعية الصفات والمهارات والمؤهلات التي يجب أن تتوفر فيه.

ولذلك فقد يصلح شخصٌ ما للقيام بمهمَّةٍ معينة، ولا يصلح لمهمَّةٍ أخرى؛ وقد ينجح في مهمة تربوية تعليمية، ولا ينجح في مهمة إدارية.

٢٤ ـ إن صفات الداعية، ومؤهلاته، لا يمكن أن تُتَناول كموضوعٍ نظري، بعيداً عن الوظائف التي يُطلَب من الداعية القيام بها؛ فللدعوة في كلِّ وظيفة من وظائفها الثلاث؛ البلاغ، التربية، التنفيذ مؤهلات ينبغي أن تتوفر في المتقدم للقيام بها.

٢٥ ـ يحتاج المعرف بالإسلام إلى كثيرٍ من المهارات اللازمة التي يحقق بها هدفه، وهو إقبال غير المسلمين على اعتناق الدين الإسلامي أو معرفته بالصورة الصحيحة؛ كالمهارات الشخصية والمهارات الاجتماعية والمهارات الفكرية والمهارات النفسية ليتمكن من استمالة الطرف الآخر وإقناعه بما لديه من رسالةٍ سامية.

٢٦ ـ المدعوون هم العنصر الأساس، إذ ما شُرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم.

ولذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاهها بما يناسبها، وبما يقرره الشرع الحنيف، ومما لا شك فيه: أن المدعوين ليسوا في الاستجابة سواء، ولا في الفهم، ولا في العلم، ولا في التدين.. كذلك، فمخاطبتهم على حدٍّ سواء، ليس من الحكمة في شيء.

٢٧ ـ إن فهم واقع المدعوين أمرٌ مهمٌّ حين الدعوة إلى الإسلام، وأعظم الناس فهماً لواقع أممهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولعل من أهم الأمور المتعلقة بمعرفة الواقع معرفة أعراف المدعوين، وعاداتهم، وأحوالهم التي تحدد لهم تصرفاتهم وسنن معايشهم وطرائق سلوكهم، وأعراف المدعوين تتغير بتغير الزمان والمكان وهذه حقيقة لا مراء فيها.

٢٨ ـ كما أننا مأمورون باتباع النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والسلوك، بل وفي قضايانا الاجتماعية، كذلك يجب علينا متابعته ﷺ في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، وطريقته في التبليغ، وأن نبدأ بما بدأ به، وأن نركز على ما ركز عليه، وألا نجعل من منهج الدعوة إلى الله تعالى محلّاً للاجتهاد والأخذ والرد، ونُحدث لهذه الدعوة أصولاً وقوانين جديدة من عند أنفسنا لم تثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فنجعل من أمر التوحيد مثلاً والدعوة إليه أمراً ثانويّاً فرعيّاً، ونزعم أن المصلحة تقتضي ذلك.

٢٩ ـ تتمثل حقائق الإسلام العظمى في خمس حقائق وهي الله ﷻ والقرآن العظيم والنبي المرسل محمد ﷺ واليوم الآخر والأخلاق.

٣٠ ـ يجب الحديث عن الله كحقيقةٍ عظمى وقضيةٍ كبرى في خطابنا عن الإسلام بحيث نتحدث عن الله الموجود الخالق الرازق الرب، حتى لا يختلط على المتلقي بين ركن الإسلام الأعظم وهو التوحيد وبين ما تعتقده الطوائف الأخرى.

٣١ ـ بعث الله تعالى محمَّداً في قومٍ كان الكلام بضاعتهم، فكانوا فرسان

البلاغة والفصاحة والبيان، فالشعر الجزل، والخطب البليغة، والحكمة السائرة تبلغ من نفوسهم ما لا يبلغه السحر.

والقصيدة الشاردة تَعْلَقُها نفوسهم، ويضعونها في أعز مكان، وتكون من المعلقات.

وكانت أسواقهم تبادلاً وتداولاً، يتبادلون فيها بضائعهم، ويتداولون أشعارهم، فجاءتهم معجزة النبي محمد ﷺ من جنس ما عرفوا وأَلِفوا، فجاء التحدي لهم بالمعروف عندهم، والمألوف لديهم؛ فكان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي تحدَّى الله بها الناس قاطبة؛ فكان حجَّة الله البالغة التي لا يحيد عنها إلا مكابر معاند.

٣٢ ـ اتفقت الأمة على أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون في تحمُّل الرسالة، وفيما يبلغون به عن ربهم ﷻ، فلا يُنْقِصُوْنَ شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ولا ينسون شيئاً من ذلك إلا ما كان قد نسخ، وقد تكفل الله لنبيه محمد ﷺ بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحى إليه إلا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه، وأن النبوات قد ختمت بنبوة النبي محمد ﷺ وهذا من صميم عقيدة المسلمين، وأن من ادَّعى خلاف ذلك فهو كافرٌ بالله مكذبٌ لنبيِّه ﷺ.

٣٣ ـ لقد بشرت الكتب السابقة بدين الإسلام، وظهور نبيه في مواضع كثيرة، والشواهد على ذلك لا تكاد تحصى، وهذه الشهادات موجودة في الكتب المتقدمة تُعدُّ من الآيات البينات على نبوَّة محمَّد ﷺ ونبوَّة من قبله.

٣٤ ـ كل عاقل منصف لا يسعه إلا الإعجاب بعظمة النبي ﷺ والتصديق بما جاء به؛ ذلك أن الأمارات الكثيرة شاهدةٌ بعظمته، ناطقةٌ بصدقه، ولا ريب أن شهادةَ المخالف لها مكانتها؛ فالفضل كما قيل ما شهدت به الأعداء.

٣٥ ـ تمثل قضية البعث والنشور للمعرّف بالإسلام ركيزة هامة في إثبات وجود الآخرة وحسابها، ومن ثم وجود إلٰه خالق سيحاسب الناس في يوم البعث والنشور.

٣٦ ـ تضافرت النصوص على أن تغيير الطباع والأخلاق واردٌ ممكن؛ ليس متعذِّراً، ولا مستحيلاً، خلافاً لمن يرى أنها ثابتة في الإنسان لا يمكن أن تتغير؛

بحجة أنها غرائز فُطِر عليها، وطباع جُبل على التحلي بها؛ فلا يمكنه تغييرها، ولا يتصور فكاكه عنها، ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا، والمواعظ، والتأديبات، ولكان الأمر بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل من التكليف بما لا يطاق، ولا يقول بهذا عاقل.

وأما إذا جُبِل المرء على مكارم الأخلاق، ثم سقاها بماء المكرمات، وأدَّبها بآداب الشريعة الغراء، ونمَّاها بالممارسة، والمران فذاك نورٌ على نور، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهي من أهم ما يدعو إليه الإسلام.

٣٧ ـ على الداعية إذا ما تعرض لمصادر التشريع أن يوضح للمدعويين أن التشريع لا يأتي من فراغ، فكل تشريع له مصدر يستقي من قواعده التشريع ويكتمل بناءه وفقاً لتلك القواعد، والتشريع الاسلامي تشريع إلٰهي أنزله الله تعالى في كتابه العزيز مجملاً وجاءت السُّنَّة المشرّفة ففصَّلت ما أجمل.

٣٨ ـ تنفرد الشريعة الإسلامية بخصائص تتميّز بها وأحكام لا نظير لها، وتتمتّع بالاستقلالية التامة، وتصوغ عقل الأمّة في العقائد والعبادات والمعاملات بفكرٍ واضحٍ يتلاءم مع فطرة الإنسان، وبمنهجٍ مستقلٍّ على الشرائع والنُّظم الأخرى.

٣٩ ـ الداعية إلى دين الإسلام وشريعته يجب أن يلم بخصائص الشريعة وأن يقوم بعرض وتوضيح ما يميز تلك الخصائص ويجعلها صالحة للإنسانية جمعاء، وعلى الداعية أن يوضح للمدعويين خلو الشريعة من النقائص وشمولها وعمومها ومثاليتها وواقعيتها، وأنها ليست مجرد نصائح وإرشادات بل هي قوانين فيها من التنظيم والردع ما تستقيم به أمور الحياة عند تطبيقها.

٤٠ ـ منهجية التعريف بالإسلام من خلال الأماكن كمكة والمدينة أو من خلال الأحداث والأشخاص تعد ميزة عند الداعية إذا ما أحسن تقديمها في ثوبها الصحيح.

التوصيات:

١ ـ وجوب العناية بمادة التعريف بالإسلام لغير المسلمين والعمل على نشره بين الدعاة العاملين في الميدان الدعوي وكذلك تدريسه كمقرر دراسي في الجامعات والمعاهد.

٢ ـ بحث مفهوم التعريف بالإسلام نواة لأَبحاث كثيرة ومتنوعة في تأصيل المفهوم وتطبيقاته، مما يستلزم على أهل الاختصاص بذل الوسع في استكمال المادة العلمية.

٣ ـ إخراج المادة العلمية في حقاب تدريبية ومواد إثرائية لتُسْهِم في ردم الهوة الموجودة عند بعض الدعاة العاملين في الميدان أو المنظرين لها وهم بعيدون كل البعد عن تطبيقاتها الميدانية.

٤ ـ على مراكز الأبحاث العلمية والجامعات التعليمية والمنظمات الإسلامية عقد ورش العمل المختلفة وإقامة المؤتمرات المتنوعة لنشر مفهوم التعريف بالإسلام وتطبيقاته وتوحيد الرؤى حياله.

٥ ـ إنشاء الهيئات والمنظمات المتخصصة في مجال التعريف بالإسلام للقيام بواجب البلاغ المبين ولخدمة العاملين فيه.

٦ ـ وجوب تأهيل وتدريب الدعاة على أساليب ووسائل ومهارات التعريف بالإسلام.

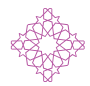
٧ ـ الرجال والنساء على حدٍّ سواء في التكليف والبلاغ، مما يوجب العناية بالمرأة كي تقوم بواجبها في الدعوة إلى الإسلام.

٨ ـ يجب الحذر من الوقوع في الخلط بين دعوة المسلم الجديد وغير المسلم فلكلٍّ مادته العلمية التي تناسبه.

٩ ـ يجب أن يكون الخطاب الذي نقدمه لغير المسلمين واضحاً مبيناً يزيل اللبس ولا يورث شبهة.

١٠ ـ الحذر من الخوض في الرد على الشبهات قبل تقديم صورة صحيحة عن الإسلام، حتى لا يخسر الداعية موقفه، فالشبهات التي يخرجها الأعداء عن الإسلام متنوعة ومتجددة هدفها تشويه الإسلام فحسب.

والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمَّد وآله وصحبه



فهرس الآيات

سورة البقرة

سورة النساء

سورة الأنفال

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾	٣	٤٣٩
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾	٩	٤٢٣
﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾	١١	٤٦٩
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾	٢٣	٥٦١
﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾	٢٤	٦٢٧
﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾	٢٧	٥٤٠
﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ٣١﴾	٣١	٥٤٢
﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾	٣٢	٥٤٣
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾	٣٦	٥٥٤
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾	٤٤	٤١٠
﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾	٤٩ ـ ٥١	٤٧٣
﴿وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ٥٥﴾	٥٥	٥١٢
﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	٤٨٤، ٥٧٦، ٦١٩، ٦٢١
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾	٨٢	١٥٢
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾	٨٨	٤٦، ٤١٩
﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠﴾	١٠٠	٤٦٩

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة السجدة

سورة الأحزاب

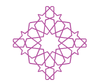
الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾	٣٥	٢٧٠
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	١٥٧، ٤٤١، ٥٥١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	٤٥١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾	٧٠	١٩٢
﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾	٧٢	٤٦٩
سورة سبأ		
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	٦٦٩
﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٣٢٦
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	١٥٦، ١٨٧، ٥٤٥
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾	٤٦	٢٠٤
سورة فاطر		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾	١	٥٠٧
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾	٢٨	٦٣٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	٥٢٧
﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	٥٤٥
﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	٣٩٧
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ﴾	٤٥	٢٨٨

سورة الزخرف

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة التحريم		
﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾	٦	٥٠٨
سورة الملك		
﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾	١٥	١٩٢
﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ٢٧﴾	٢٧	٤٦
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ٣٠﴾	٣٠	٤٦
سورة القلم		
﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾	١	١٩٢
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾	٤	١٠٤، ٢٩٣، ٤٣٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨٣
﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾	١٠، ١١	١٩٣
﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾	٥١	٤٢
سورة الحاقة		
﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦﴾	٤٤ ـ ٤٦	٤٣٩
سورة المعارج		
﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١﴾	١٩ ـ ٢١	٤٦٩
﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾	٢٤، ٢٥	٦١٩
سورة الجن		
﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾	٢٠ ـ ٢٢	٤٦



فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إنّي والله ما سألته لألبسها، إنّما سألته لتكون كفني. . .»	٣١٦
«اهتم النبي ﷺ كيف يجمع الناس»	٣٤٥
«أَوَ مُخْرِجيَّ هم؟» قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ. .	٤٣٦
«أوسعوا للشيخ»	١٠٨
«إيتوني بأجمعكم بالغداة»	٣٦٥
«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر»	٥٠٧
«أيّها النّاس قولوا: لا إلٰه إلّا الله تفلحوا» وكان. . .	١٠٧، ١١٦
«بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر»	٣٨٠
«البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»	٤٨١
«البرُّ شيءٌ هيِّنٌ: وجهٌ طليقٌ وكلامٌ ليِّنٌ»	٤٨٢
«البرُّ ما اطمأنَّ إليه القلبُ، واطمأنت إليه النفس»	٤٨٤
«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيم الرُّوم. . .»	١١٠
«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم مِنْ مُحَمَّدٍ عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط»	١٠٩
«بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة. . .»	٢٩٨
«بعثت إلى الأحمر والأسود»	٣٦٢
«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده»	١٠١
«بل الله جبلك عليهما»	٢٨٨
«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، . . .»	١٩، ٣٣
«بني الإسلام على خمس»	٤٩٩، ٥٠٢
«بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري قبل السماء. . . . . .»	٤٣٦
«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»	٥٤٢
«تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير»	٤٧
«تكون النُّبوة فيكم ما شاء الله أنْ تكون. . . .»	١٦
«ثم يفشو الكذب»	٦٣٥
«جئت تسأل عن البر والإثم؟). . . .»	٤٨١
«الحجُّ المبرور ليس لهُ جزاءٌ إلّا الجنَّة»	٤٨٢
«حد يعمل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً» »	٥٧٧
«حسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»	٤٧٨
«خَالِفوا المشركين، ووفِّروا اللِّحى، وأحْفوا الشوارب»	١٩٨
«خرج حتى صعِد الصفا فهتف: يا صباحاه. . . .»	١٩٧

الحديث	الصفحة



المصادر والمراجع

١ ـ أبجد العلوم، القنوجي، صديق بن حسن خان (١٣٠٧هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٢ ـ أبجديات البحث في العلوم الشرعية، الأنصاري، فريد، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).

٣ ـ إبستمولوجيا السياسة المقارنة: النموذج المعرفي، النظرية، المنهج، عارف، نصر محمد، (٢٠٠٢م).

٤ ـ إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد (ت٥٠٥هـ)، مراجعة وضبط: الشيخ محمد الدالي بلطة، بيروت، صيدا.

٥ ـ أخطاء في فهم المنهج، الدويش، محمد بن عبد الله، مجلة البيان، العدد [١٠٠]، ذو الحجة (١٤١٦هـ) مايو (١٩٩٦م).

٦ ـ الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، عبد الرحمن حسن، حبنَّكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ)، مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

٧ ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس، الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي (ت٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٨ ـ الأداء المنهجي في تفسير آيات الأحكام، أسد، حسن كاظم، رسالة لنيل الدكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، (٢٠٠٩م).

٩ ـ آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة.

١٠ ـ آداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، قدم له وحقق أصله وعلق عليه: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١١ ـ أدب الدنيا والدين، الماوردي (ت٤٥٠هـ)، شرح: محمد كريم راجح، دار اقرأ، الطبعة الرابعة، (١٤٠٥هـ).

١٢ ـ **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب.

١٣ ـ **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**، جريشة، علي محمد، الزيبق، محمد شريف، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

١٤ ـ **استخدام البالتوك في الدعوة إلى الله ﷻ والبديل المقترح**، القريوتي، عاصم بن عبد الله موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية (www.said.net).

١٥ ـ **الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته**، حسنين، عبد المنعم محمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الثاني، (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

١٦ ـ **الإسلام في نظر أعلام الغرب**، باسلامة، حسين عبد الله.

١٧ ـ **الإسلام والآخر**، السحمراني، أسعد، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

١٨ ـ **الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)**، الشايب، أحمد، مكتبة النهضة المصرية، (٢٠٠٣م).

١٩ ـ **الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر**، الخياط، خالد، دار المجتمع، (١٩٩١م).

٢٠ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

٢١ ـ **اصطلاح فلسفة التربية في ضوء المنهج الإسلامي (دراسة نقدية)**، الحازمي، خالد بن حامد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة والثلاثون، العدد الرابع والعشرون بعد المائة، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢٢ ـ **أصول الدعوة**، زيدان، عبد الكريم، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م).

٢٣ ـ **الأصول الشرعية عند حلول الشبهات**، آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

٢٤ ـ **الأصول العلمية للدعوة السلفية**، اليوسف، عبد الرحمٰن بن عبد الخالق، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الثانية، (١٣٩٨هـ).

٢٥ ـ **أصول الفقه**، أبو زهرة، محمد، دار الفكر العربي القاهرة.

٢٦ ـ **أصول في التفسير**، ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت١٤٢١هـ) أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٢٧ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٢٨ ـ **أضواء على الثقافة الاسلامية**، العمري، نادية شريف، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٢٩ ـ **أضواء على الهجرة**، سبع، توفيق محمد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان ـ بيروت.

٣٠ ـ **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، دار عمار، عمان، (٢٠٠٠م).

٣١ ـ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م).

٣٢ ـ **إعجاز القرآن**، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني (ت٤٠٣)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (١٩٨٢م).

٣٣ ـ **إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩١م).

٣٤ ـ **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، مايو (٢٠٠٢م).

٣٥ ـ **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، طبعة المجمع.

٣٦ ـ **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، المنجم، إسحاق بن الحسين (توفي في القرن الرابع الهجري)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).

٣٧ ـ **الأنوار الساطعات لآيات جامعات = البرهان المحكم في أن القرآن يهدي للتي هي أقوم**، السلمان، عبد العزيز بن محمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع بالرياض، (١٤١٨هـ).

٣٨ ـ **أهداف دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**، إبراهيم بن عثمان الفارس، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ).

٣٩ ـ **آيات التربية الإسلامية**، محجوب، عباس، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية عشر، العدد السادس والأربعون، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الثانية، (١٤٠٠هـ).

٤٠ ـ **البحث العلمي؛ مفهومه وأدواته وأساليبه**، ذوقان عبيدات وآخرون، الأردن، دار الفكر، (١٩٨٢م).

٤١ ـ **البحث العلمي؛ مناهجه وتقنياته**، عمر، محمد زيان، مطبعة خالد حسن الطرابيشي، (١٩٧٩م).

٤٢ ـ **بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).

٤٣ ـ **البحر المحيط**، الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان (ت٧٤٥)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٤٤ ـ **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (١٤١٩هـ).

٤٥ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، الكاساني (ت٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

٤٦ ـ **البصيرة في الدعوة إلى الله**، عزيز بن فرحان العنزي، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

٤٧ ـ **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة (ت٢٦٨هـ)**، تأليف: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السُّنَّة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٤٨ ـ **بناء المجتمع الإسلامي**، السمالوطي، نبيل، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٤٩ ـ **البلدان**، الهمداني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥)، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٥٠ ـ **البيان والتبيين**، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (١٤٢٣هـ).

٥١ ـ **بينات الرسول ومعجزاته**، الزنداني، عبد المجيد عزيز، موقع جامعة الإيمان على هذا الرابط: www.jameatalema-book-MOGZAT-MAIN.HT.

٥٢ ـ **تاج العروس**، الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت١٢٠٥هـ)، دار الهداية، (٢٠١٠م).

٥٣ ـ **تاريخ القرآن الكريم**، الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي (ت١٤٠٠هـ)، طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة، مطبعة الفتح بجدة، الحجاز، الطبعة الأولى، (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م).

٥٤ ـ **تاريخ دمشق**، أبو القاسم، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٥٥ ـ **تاريخ مكَّة المكرمة قديماً وحديثاً**، عبد الغني، محمد، المدينة المنوَّرة، مطابع الرشيد، (٢٠٠١م).

٥٦ ـ **تأهيل المبتعثين للدراسة في البلاد غير الإسلامية للتعريف بالإسلام**، مصطفى، عبد الرحمٰن السيد، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، (١٤٣٥هـ).

٥٧ ـ **التبيان في أيمان القرآن**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبي زيد، راجعه: محمد أجمل الإصلاحي، عبد الرحمٰن بن معاضة الشهري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

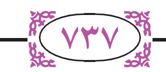
٥٨ ـ **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت٧٤٣هـ)، ومعه حاشية الشِّلْبِيِّ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت١٠٢١هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق ـ القاهرة.

٥٩ ـ **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، التونسي، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

٦٠ ـ **التسهيل في علوم التنزيل**، الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ).

٦١ ـ **تعرف على الإسلام**، السقار، منقذ بن محمود، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

٦٢ ـ **التعريف بالإسلام**، مركز قطر للتعريف بالإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بقطر، إعداد للموسوعة الشاملة: إلياس شرادي.



٦٣ ـ **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت٨١٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).
٦٤ ـ **تفسير القرآن العظيم**، ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).
٦٥ ـ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) القرشي، تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرين، دار الشعب، مصر.
٦٦ ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٩٩٧م).
٦٧ ـ **تفسير الوسيط**، طنطاوي، محمد سيد، ترقيم المكتبة الشاملة.
٦٨ ـ **تفسير حقي، روح البيان في تفسير القرآن**، إسماعيل حقي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، المطبعة العثمانية، (١٣٣٠هـ).
٦٩ ـ **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.
٧٠ ـ **التوجيه الإسلامي لمنهجية البحث في العلوم الإنسانية في الفكر الإسلامي**، آل عايش، عبد الله بن حلفان، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية، tabyatona.net.
٧١ ـ **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد، مفتي لبنان، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).
٧٢ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد بن زين العابدين المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، دار الفكر المعاصر ـ دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ).
٧٣ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر ابن عبد الله (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمٰن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).
٧٤ ـ **جامع البيان في القراءات السبع**، الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (ت٤٤٤هـ)، جامعة الشارقة، الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، الطبعة الأولى، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).
٧٥ ـ **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

٧٦ ـ **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، نكري، عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ).

٧٧ ـ **الجامع الكبير = سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٩٩٨م).

٧٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٧٩ ـ **جمهرة اللغة**، الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٤٢١)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨٧م).

٨٠ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن ـ عبد العزيز بن إبراهيم ـ حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

٨١ ـ **الجواهر السلمانية على المنظومة البيقونية**، السليماني، أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل، دار الكيان، (٢٠٠٦م).

٨٢ ـ **حاجة الداعية إلى العلم بالعرف لمراعاة أحوال المدعوين**، رقية بنت نصر الله نياز، موقع شبكة رسالة الإسلام.

٨٣ ـ **حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية**، أسماء الرويشد، موقع لها أون لاين، ١٩ ربيع الثاني (١٤٢٥هـ)، (٧) يونيو (٢٠٠٤م)، www.lahaonline.com.

٨٤ ـ **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، أبو يحيى، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (٩٢٦)، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).

٨٥ ـ **الحسبة**، الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، الطبعة الثانية، (١٧) جمادى الأولى (١٤٢٥هـ) ـ الموافق (٥ ـ ٧ ـ ٢٠٠٤م).

٨٦ ـ **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم**، الدمشقي، عبد الرحمٰن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ت١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٨٧ ـ **حقوق الأقليات في الإسلام**، أبو زيد، محمد أبو زيد، مركز سورية للبحوث والدراسات، ٢٠١٤م.

٨٨ ـ حقوق الإنسان في الإسلام، طاهر أحمد مولانا جمل الليل.
٨٩ ـ حكم الإسلام في وسائل الإعلام، علوان، عبد الله ناصح، دار السلام للنشر.
٩٠ ـ حكم التمثيل، بكر بن عبد الله أبو زيد (ت١٤٢٩هـ)، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).
٩١ ـ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، أصل الكتاب: رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ).
٩٢ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (ت٤٣٠هـ)، دار السعادة، بجوار محافظة مصر، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٧٤م).
٩٣ ـ الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور ـ الممارسة ـ سبل المواجهة)، الطويل، يوسف العاصي إبراهيم، صوت القلم العربي، مصر، الطبعة الثانية، (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م).
٩٤ ـ الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، محمود حب الله، عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٩٤٨هـ).
٩٥ ـ خصائص القرآن الكريم، الرومي، فهد عبد الرحمٰن، رئاسة: إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الرابعة، (١٤٠٩هـ).
٩٦ ـ الخصائص الكبرى، عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٩٧ ـ الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسُّنَّة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
٩٨ ـ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف، سعود.
٩٩ ـ دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، السعدي، إسحاق بن عبد الله، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).
١٠٠ ـ دراسات في علوم القرآن، فهد بن عبد الرحمٰن بن سليمان الرومي، (٢٠٠٥م).
١٠١ ـ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها، رؤوف شلبي، دار القلم، الطبعة الثالثة، (٢٠١٠م).

١٠٢ ـ **الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده**، عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

١٠٣ ـ **الدعوة إلى الله تعالى؛ خصائصها، ومقوماتها، ومنهاجها**، نوفل، أبو المجد السيد، مطبعة الحضارة العربية، مصر، الطبعة الأولى، (١٩٧٧م).

١٠٤ ـ **الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية**، البشر، خالد بن عبد الله، موقع الدين على شبكة المعلومات الدولية (http:--www.deen.ws-daoh-112.htm).

١٠٥ ـ **الدعوة إلى الله عبر الشبكة العنكبوتية**، خالد بن عبد الله البشر، موقع الدين على شبكة المعلومات الدولية deen.ws-daohhtm.

١٠٦ ـ **الدعوة بالمراسلة**، الريس، عبد الرحمٰن؛ والقاسم، عبد الملك.

١٠٧ ـ **الدين والضبط الاجتماعي**، الزامل، محمد عبد الله، بحث متطلب لمقرر التربية والضبط الاجتماعي ـ مرحلة الدكتوراه، كلية التربية، قسم التربية، جامعة الملك سعود ـ الرياض، (١٤٣٥هـ).

١٠٨ ـ **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ابن خلدون، عبد الرحمٰن (ت٨٠٨)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

١٠٩ ـ **الرحيق المختوم**، صفي الرحمٰن المباركفوري (١٤٢٧هـ)، دار الهلال ـ بيروت.

١١٠ ـ **الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم**، صبح، عبد المجيد حامد، دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة، المنصورة ـ مصر، الطبعة الثانية، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١١١ ـ **الرسالة الرشيدية على الرسالة الشريفة للسيد علي بن محمد الجرجاني**، عبد الرشيد الجونغوري الهندي، تحقيق وشرح: علي مصطفى الغرابي، القاهرة، مكتبة صبيح، (١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م).

١١٢ ـ **الرسالة المحمدية**، السيد سليمان الندوي الحسيني (ت١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ).

١١٣ ـ **الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام**، سيد محمد الساداتي الشنقيطي، عالم الكتب، الرياض، (١٤١٥هـ).

١١٤ ـ **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، ابن حبان، أبو حاتم البستي (ت٣٥٤هـ)، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بدون طبعة، (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

١١٥ ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٩٨٣م).

١١٦ ـ **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ).

١١٧ ـ **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١١٨ ـ **السلامة المرورية من منظور إسلامي**، أحمد بن يحيى بن أحمد الكندي، موقع الإدارة العامة للمرور، سلطنة عُمان، تاريخ النشر (٧ ـ ٢ ـ ٢٠١١م)، الناشر: مال الله الصادري، استرجع بتاريخ (١٥ ـ ٨ ـ ١٤٣٧هـ).

١١٩ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، الألباني، محمد ناصر الدين، أبو عبد الرحمٰن (ت١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٢٠ ـ **سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرةً**، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٢١ ـ **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٢٢ ـ **سنن أبي داود**، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ـ محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م).

١٢٣ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين بن علي النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (٢٠٠٣م).

١٢٤ ـ **السنن الكبرى**، الخراساني، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

١٢٥ ـ **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، محمد بن أحمد عثمان (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥هـ).

١٢٦ ـ **السيرة الحلبية**، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت، (١٤٢٧هـ).

١٢٧ ـ **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسُّنَّة**، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت١٤٠٣هـ)، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، (١٤٢٧هـ).

١٢٨ ـ **السيرة النبوية من البداية والنهاية**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) القرشي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

١٢٩ ـ **السيرة النبوية**، ابن هشام (٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).

١٣٠ ـ **السيرة النبوية؛ عرض وقائع وتحليل أحداث**، الصلابي، علي محمد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة، (١٤٢٩هـ).

١٣١ ـ **سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة**، المغربي، فريد الأنصاري (ت١٤٣٠هـ)، الناشر: ألوان مغربية، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١٣٢ ـ **الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السُّنَّة النبوية؛ عرض وتفنيد ونقض**، المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

١٣٣ ـ **شبهات القرآنيين**، ابن شيخ علي، عثمان بن معلم محمود، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

١٣٤ ـ **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، (١٩٩٦م).

١٣٥ ـ **الشرح الكبير على متن المقنع**، عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (ت٦٨٢هـ) دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١٣٦ ـ **شرح ديوان المتنبي**، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا ـ إبراهيم الأبياري ـ عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة ـ بيروت..

١٣٧ ـ **شرح ديوان المتنبي**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨م.

١٣٨ ـ **الشرح على شرح جلال الدين المحلي للورقات**، ابن حميد، أحمد بن عبد الله، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، (١٤١٣هـ).

١٣٩ ـ **شريعة الله لا شريعة البشر**، صقر، شحاتة محمد، دار الخلفاء الراشدين ـ الإسكندرية، دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية ـ مصر.

١٤٠ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، السبتي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ).

١٤١ ـ **الصحاح**، الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت٣٩١)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، (١٩٩٠م).

١٤٢ ـ **صحيح السيرة النبوية**، الألباني، محمد ناصر الدين، أبو عبد الرحمٰن (ت١٤٢٠هـ)، المكتبة الإسلامية، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

١٤٣ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٤ ـ **صلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ**، إمام، محمد علي محمد، مطبعة السلام، ميت غمر، مصر، الطبعة الأولى، (٢٠٠٩م).

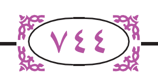
١٤٥ ـ **صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم**، دراسة في التفسير الموضوع، رفاعي، عاطف إبراهيم المتولي، إشراف: حاتم محمد منصور مزروعة، رسالة ماجستير، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

١٤٦ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).

١٤٧ ـ **طبقات الفقهاء**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، هذَّبه: محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان.

١٤٨ ـ **الطبقات الكبرى**، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٠م).

١٤٩ ـ **طرق لخدمة الإسلام عبر الإنترنت**، شوقي عباد، موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية (saaid.net).



١٥٠ ـ **الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري**، المطيري، عبد المحسن بن زبن بن متعب.

١٥١ ـ **الطلاب والشبكات الاجتماعية؛ دراسة ميدانية في استخدامات وإشباعات طلاب كلية الفنون والإعلام للفيسبوك كشبكة اجتماعية**، صالحة الدماري، بحث مقدم ضمن متطلبات دبلوم الدراسات العليا، جامعة الفاتح، كلية الفنون والإعلام، (٢٠١٠م).

١٥٢ ـ **العباب الزاخر واللباب الفاخر**، الحسن بن محمد الصاغاني (٦٥٠هـ) تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، العراق، (١٩٨٦م).

١٥٣ ـ **العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين**، منصور، علي عبد اللطيف، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد (٦١).

١٥٤ ـ **عبد الرحمٰن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة**، عبد الرزاق العباد البدر.

١٥٥ ـ **عبودية الكائنات لربِّ العالمين**، فريد التوني، دار الضياء العربي، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

١٥٦ ـ **العقد الثمين**، الفاسي، الحسني (ت٨٣٢)، تحقيق: محمد حامد الفقيه، مطبعة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، (١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م).

١٥٧ ـ **عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم**، البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م).

١٥٨ ـ **علم الجذل في علم الجدل**، الطوفي الحنبلي، نجم الدين (ت٧١٦هـ)، تحقيق: فولفهارتهاينريش، فيسبادن (ألمانيا)، دار فرانز شتاينر، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١٥٩ ـ **العلم يدعو للإيمان**، كريسي موريسون، ترجمة: محمد صالح الفلكي، دار القلم، بيروت.

١٦٠ ـ **العمل المؤسسي**، محمد أكرم العدلوني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

١٦١ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، العظيم آبادي محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمٰن (ت١٣٢٩هـ)، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ).

١٦٢ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

١٦٣ ـ **الفروق اللغوية**، العسكري، أبو هلال (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، (٢٠٠٠م).

١٦٤ ـ **فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام، وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية وما يتعلق بها**، بكداش، سائد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الخامسة، (٢٠٠٣م).

١٦٥ ـ **فقه الدعوة إلى الله**، محمود، علي عبد الحليم، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، (١٩٩٠م).

١٦٦ ـ **فقه السيرة النبوية**، منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الثانية، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

١٦٧ ـ **فن الخطابة وإعداد الخطيب**، علي محفوظ، دار الاعتصام، دار النصر للطباعة.

١٦٨ ـ **فهم القرآن ومعانيه**، المحاسبي، الحارث بن أسد أبو عبد الله (ت٢٤٣هـ)، تحقيق: حسين الكندي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٨هـ).

١٦٩ ـ **في ظلال القرآن**، سيد قطب (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت ـ القاهرة، الطبعة السابعة عشر، (١٤١٢هـ).

١٧٠ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، زين الدين محمد بن زين العابدين المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، (١٣٥٦هـ).

١٧١ ـ **قاعدة أصولية**، موسوعة القواعد الفقهية، الغزي، محمد صدقي أحمد محمد آل بورنو أبو الحارث، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١٧٢ ـ **القاموس المحيط**، الفيروزابادى، مجد الدين (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

١٧٣ ـ **قصة البشرية**، الحمد، محمد إبراهيم، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

١٧٤ ـ **القصص في الحديث النبوي الشريف**، محمد بن حسن الزير، المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٩٨هـ).

١٧٥ ـ **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة، (١٤١٤هـ).

١٧٦ ـ **كتاب (الله يتجلى في عصر العلم)**، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفرمونسيما، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: د. محمد جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت.

١٧٧ ـ **كتاب الإيضاح في الجدل والمناظرة**، ابن الجوزي، محيي الدين يوسف بن عبد الرحمٰن المعروف بابن ابن الجوزي، تحقيق محمود بن محمد السيد دغيم، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ ـ ١٩٥٥م).

١٧٨ ـ **كتاب التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت٨١٦هـ)، تحقيق وزيادة: الدكتور محمد عبد الرحمٰن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

١٧٩ ـ **كتاب الفقيه والمتفقه**، البغدادي، أبو بكر الخطيب (ت٤٦٣هـ)، حققه: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م).

١٨٠ ـ **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٠٩هـ).

١٨١ ـ **الكليات**، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤١٩هـ).

١٨٢ ـ **كمال الدين الإسلامي**، آل جار الله، عبد الله بن جار الله بن إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ).

١٨٣ ـ **كيف تكتب بحثاً**، يعقوب، إميل، طرابلس ـ لبنان.

١٨٤ ـ **لباب النقول في أسباب النزول**، عبد الرحمٰن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، ضبط: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٨٥ ـ **اللباب في علوم الكتاب**، الحنبلي، عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ).

١٨٦ ـ **لسان العرب**، محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤١٤هـ).

١٨٧ ـ **ماذا يريدون من المرأة**، بسيوني، عبد السلام.
١٨٨ ـ **مباحث في العقل ياسين**، محمد نعيم.
١٨٩ ـ **مبادئ وأصول علم الإدارة العامة**، عفيفي، مصطفى محمود.
١٩٠ ـ **مجاز القرآن**، البصري، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٣٨١هـ).
١٩١ ـ **مجلة الوعي الإسلامي**، العدد (٥٣٢)، بتاريخ: (٣ ـ ٩ ـ ٢٠١٠م)، بقلم الكاتب: د. محمد محمود متولي، جامعة الكويت.
١٩٢ ـ **مجمع الأمثال**، النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
١٩٣ ـ **مجموع الفتاوى**، الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).
١٩٤ ـ **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللهُ، (ت١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
١٩٥ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم ومساعده ابنه محمد، جمع وترتيب: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم ومساعده ابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، المملكة العربية السعودية.
١٩٦ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤٢هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).
١٩٧ ـ **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).
١٩٨ ـ **محمد في التوراة والإنجيل والقرآن**، أحمد إبراهيم خليل، دار المنار، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).
١٩٩ ـ **مختار الصحاح**، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت ـ صيدا، الطبعة الخامسة، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٢٠٠ ـ مختصر سيرة النبي ﷺ، محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٠٦)، المطبعة السلفية ومكتبتها، (١٣٩٧هـ).
٢٠١ ـ مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م).
٢٠٢ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، عبد الله بن أحمد (ت٧١٠هـ)، تحقيق: الشيخ مروان الشعار، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).
٢٠٣ ـ المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، العساف، صالح بن حمد، مكتبة العبيكان، (٢٠٠٦م).
٢٠٤ ـ المدخل إلى دراسة الأديان، مسعود حايفي، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، (٢٠١٠م).
٢٠٥ ـ المدخل الى علم الدعوة، البيانوني، محمد أبو الفتح، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).
٢٠٦ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت١٤٠٣هـ)، مكتبه السُّنَّة، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م).
٢٠٧ ـ المرأة المسلمة المعاصرة؛ عدادها ومسؤوليتها في الدعوة، أبو بطين، أحمد، دار عالم الكتب ـ الرياض، (١٩٩١م).
٢٠٨ ـ المرأة والدعوة، موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الدولية.
٢٠٩ ـ مراعاة أحوال الناس في ضوء السُّنَّة النبوية، عبد اللطيف مصطفى الأسطل، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين.
٢١٠ ـ مراعاة حاجات المدعوين وأحوالهم، عدنان آل عرعور، موقع رسالة الإسلام islammessage.com 28-5-1429.
٢١١ ـ المزدكية هي أصل الاشتراكية، الجزائري، عبد اللطيف بن علي بن أحمد بن محمد السلطاني القنطري (ت١٤٠٤هـ)، دار الكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).
٢١٢ ـ المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).
٢١٣ ـ مسقطات الحدود في الشريعة الإسلامية، الحمود، إبراهيم بن ناصر بن محمد، رسالة ماجستير، منشورة على موقع الإسلام اليوم.

٢١٤ ـ **مسند أحمد**، ابن حنبل، الإمام أحمد (ت٢٤١)، إشراف د. سمير طه المجذوب، إعداد: علي حسن الطويل، وسمير حسن

٢١٥ ـ **مصايد الشيطان**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

٢١٦ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (١٩٩٤م).

٢١٧ ـ **مطارق السنن الإلـٰهية**، سلمان العودة، موقع سلمان العودة على الشبكة العنكبوتية.

٢١٨ ـ **معالم أساسية لنجاح الداعية**، جهاد، المجتمع الكويتية، (٤ ـ ٧ ـ ١٤٢٢هـ).

٢١٩ ـ **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السُّنَّة، أبو محمد الحسين ابن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ).

٢٢٠ ـ **معالم السنن في شرح سنن أبي داود**، الخطابي (ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م).

٢٢١ ـ **المعجزة الكبرى؛ القرآن؛ نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكم الغناء به**، أبو زهرة، محمد، دار الفكر العربي.

٢٢٢ ـ **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

٢٢٣ ـ **معجم النفائس الكبير**، أبو حاقة، أحمد، جماعة من المختصين، دار النفائس، الطبعة الأولى، (١٤٢٨هـ).

٢٢٤ ـ **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٤م).

٢٢٥ ـ **معجم علوم القرآن**، الجرمي، إبراهيم محمد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٢٢٦ ـ **معجم لغة الفقهاء**، محمد رواس قلعجي ـ حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢٢٧ ـ **معجم مصطلحات الدعوة والإعلام الإسلامي**، طه الزيدي، دار الفجر، الأردن، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ).

٢٢٨ ـ **معجم مقاييس اللغة**، الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٢٢٩ ـ المغني في أبواب التوحيد والعدل، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الأسدأبادي (ت٤١٥هـ)، تحقيق: خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٢٣٠ ـ مفاتيح الغيب، تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٢٠هـ).

٢٣١ ـ مفاهيم قرآنية، خلف الله، محمد أحمد، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الرقم (٧٩)، شوال ١٤٠٤هـ ـ يوليو (١٩٨٤م).

٢٣٢ ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة. لبنان، (٢٠٠٠م).

٢٣٣ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٣٩٣)، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، والشركة التونسية للتوزيع.

٢٣٤ ـ مقال «نبي الملحمة»، للأستاذ عبد الصبور مرزوق في كتاب «محمد رسول الله» لأحمد تيمور باشا.

٢٣٥ ـ مقال بعنوان: إشراقات قرآنية من سورة العصر فوائد ودروس، الصالح، عبد العزيز بن عبد الله، مجلة البيان، العدد: (١٦٠).

٢٣٦ ـ مقال بعنوان: الدعوة الإسلامية ومواقعها على الإنترنت بين الواقع والطموح، ذياب عبد الكريم، مجلة الفرقان، العدد (٢٦١).

٢٣٧ ـ مقال بعنوان: المعارف اللازمة للداعية، عمر بشير الطيوبي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد (٥)، (١٩٨٨م).

٢٣٨ ـ مقالات في كلمات، الطنطاوي، علي بن مصطفى (ت١٤٢٠هـ)، جمع وترتيب: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٢٣٩ ـ مقتطفات من كتاب المسؤولية، المصري، محمد أمين، دار الأرقم، الكويت، (١٩٧٩م).

٢٤٠ ـ المقدمة، ابن خلدون، عبد الرحمٰن (ت٨٠٨)، بيروت، دار القلم، بدون تاريخ.

٢٤١ ـ ملامح العقلانية العلمية في التراث العربي الإسلامي، عواد، محمد أحمد.

٢٤٢ ـ من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، محمد سعيد رمضان البوطي، بيروت، (١٤٢٠هـ).

٢٤٣ ـ من فقه الأقليات المسلمة، عبد القادر، خالد محمد، مطبوعات محفوظة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

٢٤٤ ـ مناهج البحث العلمي، أحمد حسن الرفاعي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، (١٩٩٨م).

٢٤٥ ـ مناهج البحث العلمي، بدوي، عبد الرحمٰن، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثالثة، (١٩٧٧م).

٢٤٦ ـ مناهج البحث العلمي، عريفج، سامي وآخرون، الطبعة الأولى، عمان، (١٩٨٧م).

٢٤٧ ـ مناهج الجدل في القرآن، الألمعي، زاهر عواض، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ)

٢٤٨ ـ مناهج الدعوة في سورة النحل، بحث الماجستير لم يطبع، شبو، وداد محمد أحمد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، (٢٠٠٥م).

٢٤٩ ـ مناهج الدعوة في سورة النحل، وداد محمد أحمد شبو، أطروحة (ماجستير)، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، (٢٠٠٥م).

٢٥٠ ـ المنتخب في تفسير القرآن العظيم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثامنة، (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

٢٥١ ـ منهاج الحياة الإسلام، الهادي، محمد زين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).

٢٥٢ ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٢هـ).

٢٥٣ ـ منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة العدد (١١٥)، السنة (٣٤)، (١٤٢٢هـ).

٢٥٤ ـ منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، العسكري، عبود عبد الله، دار النمير، دمشق، الطبعة الثانية، (٢٠٠٤م).

٢٥٥ ـ مهارات التواصل مع الأولاد، كي تكسب ولدك، خالد بن سعود بن عبد العزيز الحليبي، مركز الملك عبد الله للحوار الوطني، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ).

٢٥٦ ـ الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي (٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٥٧ ـ **الموسوعة الفقهية الميسرة**، محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٢٥٨ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، (١٤٢٠هـ).

٢٥٩ ـ **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (توفي بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م).

٢٦٠ ـ **موقع شبكة الألوكة دور شبكات التواصل الاجتماعي في نشر الإسلام في أمريكا اللاتينية**: رابط الموضوع http:--www.alukah.net-wold muslimsixzznlg.

٢٦١ ـ **موقع قافلة الخير على شبكة المعلومات الدولية** (http:--www.islamic-ef.og-aabic).

٢٦٢ ـ **موقع مصراوي**، خبر بعنوان: «مسؤولة إندونيسية: الفيس بوك وراء حمل المراهقات والزواج المبكر» متوفر بتاريخ (٣ ـ ٥ ـ ٢٠١١م).

٢٦٣ ـ **نشأة وتطور حقوق الإنسان**، بول جوردن.

٢٦٤ ـ **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، الريسوني، أحمد، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ـ الرياض، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٢٦٥ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٥هـ).

٢٦٦ ـ **النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، صالح بن عبد الله بن حميد نضرة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، د.ت.

٢٦٧ ـ **نقد مراتب الإجماع**، الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، بعناية: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٦٨ ـ **النكت والعيون**، الماوردي (ت٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٢٦٩ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٧٠ ـ **الهجرة الأولى في الإسلام**، سلمان العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ).

٢٧١ ـ **الهجرة في القرآن الكريم**، جزولي، أحزمي سامعون، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).

٢٧٢ ـ **هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة**، علي محفوظ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية.

٢٧٣ ـ **هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب**، الجزائري، أبو بكر جابر، دار الخاني للنشر والتوزيع، مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة الثالثة، (١٤٠٩هـ).

٢٧٤ ـ **الوحي المحمدي**، الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني (ت١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

٢٧٥ ـ **وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار**، عبد الرب نواب الدين آل نواب، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف

٢٧٦ ـ **الوسطية في القرآن الكريم**، الصلابي، علي محمد، مكتبة الصحابة، الشارقة ـ الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٢٧٧ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت.

٢٧٨ ـ **٩٢ وسيلة دعوية**، إبراهيم بن عثمان الفارس، موقع صيد الفوائد على الإنترنت: saaid.net.



فهرس المحتوى

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى | الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى | الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة